028813

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٣٠ ريالاً للأفراد و٥٠ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

ج ١ و ٢ – س ١١ رجب وشعبان ١٣٩٦ هـ – تموز / آب (يوليو / أغسطس) ١٩٧٦

من المجلة إلى قرائها

احتجبت المجلة عن قرائها عاماً كاملاً ، وهو احتجاب لا يَدَ للقائمين على إصدار المجله فيه ، فلقد كانت تطبع في بيروت ، بموافقة (وزارة الإعلام) لأسباب اضطرت لذلك، منذ عشر سنوات، وقد تمّ طبع معظم أجزاء السنة الماضية – سنة المجلة العاشرة – ولكن عدت عليها عوادي الفتنة التي قامت في تلك السنة ، ولا تزال قائمة ، فذهب ما طُبِع منها مع ما ذهب ! ولكن يجب أن لا تذهب حقوق القراء الذين قدموا ما طُلب منهم متطلعين إلى ما يطلبون ، فكانت أولى المحاولات طبع الأجزاء التي تأخر وصولها إليهم وتقديمها لهم ، غير أن قدرة المطابع في بلادنا على طبع ما يقارب ألف صحفة مغلّفاً مجزّءاً في مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر وإن كانت متوفرة ، لن تحظى بها مجلة لا يتجاوز المطبوع منها بضعة آلاف من النسخ ، لا تبلغ أجرة طبعها من نفوس أصحاب تلك المطابع ما تبلغه الأجور التي تدفع للمطبوعات الأخرى .

ولم تضنّ (وزارة الإعلام) بمدّ يد العون ، بل العونَ كله ، ولا غرو **فمعالي الأستاذ الدكتور محمد عبده اليماني** يدرك ما للصحافة من أثر في حياة الأمة ، وينظر إلى مجلة « العرب » نظرة الرجل العامل لخير وطنه وأمته ، ويحرص على أن

تبلغ صحافة بلده في عهده خير ما تبلغه صحافة في أداء واجبها ، **ولا يرضى – بأية حال من الأحوال – أن يعتورها ضعف يؤثر في سيرها نحو غايتها المثلى .**

غير أن الأمر ، وإن ذللت عقباته الكثيرة ، فعقبة الطباعة الكأداء قد حالت دون طبع أجزاء السنة الماضية وتقديمها للقراء قبل انتهاء تلك السنة ، فماذا تعمل المجلة حيال قرائها ؟ !

لا بُدَّ من تقديم أجزاء السنة الماضية ، ومن مواصلة صدور المجلة في سنتها المقبلة فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين ؟

إنها وسيلة واحدة للتوفيق بينهما : إصدار أجزاء تلك السنة ، مع أجزاء هذه السنة في وقت واحد ، وتقديمها للقراء ، فمباحث المجلة لا تتأثر بالزمن ، والاستفادة منها حاصلة في الحالتين .

وهذا هو الجهد المستطاع ، وهو جهد لا يبخس القارىء شيئاً من حقه ، وإن كانت الضرورة قد ألجأت إليه (وللضرورة حكم غير مطرد) .

والأمر لله من قبل ومن بعد . . .

أيام في بلاد "العم سام"

— ١ —

من الأمثال التي تدور على ألسنة الناس : (يا داخل مصر غيرك ألوف) يُضرب للأمر الذي ألفه الناس وعرفوه ، وأكثروا منه . ولهذا فإن حديثي عما شاهدته أثناء زيارتي للولايات المتحدة قد يعتبر من الأحاديث المكرورة التي لا جديد فيها ، غير أن المرء اعتاد أن يتحدث عن بعض ما انطبع في ذهنه أو بعض ما شاهده من الأمور التي استرعت انتباهه ، وقد يكون من ذلك ما قد يُذهب عن القارىء سأم القراءة مما لا يكلفه تفكيراً ، أو تعمقاً في تَفهُّمِ ما يقرأ .

كنت زرت الولايات المتحدة في شهري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٠ أي قبل سبعة عشر عاماً ، وتجولت في أنحائها ما يقرب من شهرين شاهدت أشهر مدنها ، ولكنني لم أكتب شيئاً عن تلك الرحلة ، مع أنني كنت شديد التأثر بما شاهدت في ذلك الوقت من مظاهر العمران في تلك البلاد . ولم يبق في ذاكرتي من آثار تلك الرحلة سوى لمحات قصيرة . فما زلت أذكر أنني أثناء عبور الطائرة فوق المحيط ، وكان رفيق الرحلة الأستاذ حسن عبد الحي قزاز ، وقد اعتدت أن أنام أثناء الطيران وهكذا كان وإذا بالأخ الأستاذ حسن يهز الكرسي الذي كنت نائماً فوقه ، ويصرخ بي قائلاً : يا أستاذ نحن فوق المحيط وأنت تغط في نومك ! ! قم ! ! ألا تخاف من سقوط الطائرة ؟ فأجبته : سقوطها وأنا نائم أسهل منه وأنا يقظان فدعني أنام) . وقد اجتازت الطائرة المحيط من (شنن) إلى (جلدر) في سبع ساعات تقريباً ، وكانت من طائرات (شركة الزيت العربية الأمريكية) التي وجهت الدعوة إلى عدد من الصحفيين لم يسافر منهم سوانا .

ومن الذكريات الممتعة التي أحفظها للرفيق الكريم أنه أراد أن يكرم أحد رفقاء

الرحلة فقدم له نوعاً من الطيب وضع منه قليلاً في طرف فراء ثمين كان يلبسه فتأثر ذلك الرفيق بل غضب غضباً أثار ضجة أيقظتني من النوم .

ومما لا أنساه عناية شركة الزيت بنا وتوفير جميع وسائل الراحة ، فالإسكان كان في أحسن الفنادق ، والسيارات المعدة لتنقلنا من أجود الأنواع ، وتوفير سبل الراحة مع اطلاعنا على كل ما نريد الإطلاع عليه كل ذلك كان مهيئاً لنا .

وقد حدث أن شاهدت صبيحة يوم من الأيام التي كنا خلالها مقيمين في أحد فنادق نيويورك شاهدت العلم الإسرائيلي فوق الفندق ، فدعوت أحد رفاقنا في الرحلة ممن عهدت إليهم الشركة تنظيمها ، وطلبت منه الإتصال بإدارة الفندق لإنزال العلم الإسرائيلي أو خروجنا منه إلى فندق آخر ، فكان أن حضر أحد موظفيه مُبَرِّراً رفع العلم بأن من عادة الفندق إذا نزله وزير أن يرفع علم دولة ذلك الوزير ، وأنه رُفع بالأمس العلم العراقي ، لوجود وزير خارجية العراق ، وقد رُفع اليوم لوجود وزيرة خارجية إسرائيل (قولدا مايز) . غير أنني لم أقبل هذا الإعتذار ، فانتقلنا من الفندق إلى فندق آخر ، هو (ولدورف استوريا) وكان مطلا على حديقة (سنترال بارك (وعادتي أن أستيقظ مبكراً في الصباح فأسير ماشياً قرابة ساعة ، وبينما كنت أسير في تلك الحديقة التي يبلغ طولها بضعة أكيال إذا برجل يمرُّ بي محيِّياً باللغة الإنجليزية فلم أجبه ، فحياني باللغة العبرية فقلت ظناً أنه لا يعرف العربية خاطبني باللغة التي أستطيع أن أرد على تحيتك بها فحياني باللغة العربية . ولما قلت له لماذا خاطبتني بالعبرية وأنت تعرف العربية ؟ قال : ظننتك يهودياً إذ من عادة بعض اليهود إرخاء اللحية ثم عرفت منه أنه منهم ممن انتقل من مصر ، وذكر لي المحلة التي كان يسكنها من القاهرة ، ولما قلت له : ما رأيك بخطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي ألقاه في هيئة الأمم أمس شتمه أسوأ شتيمة ، وكشف عن نفسه بأنه صهيوني فلذت عنه وانصرفت .

ومما لا أنساه من ذكريات تلك الرحلة أن إحدى السيدات الأمريكيات وتدعى (تنكرزلي) وقد نسيت اسمها الأول ، وكانت عظيمة الثراء ، ولها مزارع واسعة

ودارات جميلة تتخلل تلك المزارع وعندها اسطبل كبير لتربية الخيول العربية ، وكانت في ولاية (ماريلاند (الواقعة شمال مدينة واشنطن بما يقرب من مسيرة ساعتين للسيارة ، ودعتنا هذه السيدة الفاضلة للغداء ، أو أن الشركة هي التي رتبت تلك الدعوة ، فأمضينا سحابة ذلك اليوم في ضيافتها وشاهدنا عدداً من الخيل في اسطبلها الذي سمته (المرح AL MARAH) وكانت مغرمة بتربية الخيل العربية ، وبلغ من اهتمامها بها أنها أنشأت متحفاً يحوي كل ما يتعلق بالخيل كالسرج واللجام والعنان وغير ذلك ، بل قد وضعت فيه بعض الجماجم والعظام لأفراس عربية ماتت فحفظت بعض آثارها ، وجمعت طائفة من الكتب عربية وغيرها مما يتعلق بالخيل ، وكان أن تحدثت معها عن بعض المؤلفات في هذا الموضوع فسرّها ذلك وأهدت إلي صورة كتاب مخطوط هو : « قطر السيل في أمر الخيل » المبلقيني الشافعي ولما ذكرت لها رحلة الليدي (آن بلنت) إلى نجد للبحث عن الخيل أخرجت تلك الرحلة قائلة : لقد تمزقت من كثرة قرائتي فيها ، ولقد سافرت إلى لندن مراراً، وفي كل مرة لا يفوتني الذهاب إلى بيتها وقد توفيت ولكنني أشاهد آثارها مما أحضرته من نجد حينما زارته . وقد كتبت السيدة (تنكرزلي) في طرة المصورة كلمة إهداء وصفتني فيها بأنني خبير بالخيول العربية ، وذو معرفة بها ، وأنا في الحقيقة من أجهل الناس بهذا الموضوع ، وكتبت معي كتاب توصية للمشرف على منزل السيدة (آن بلنت) في لندن ، ولكنني لم أزر ذلك البيت .

ولقد كان من أثر اهتمام تلك السيدة الفاضلة وعنايتها بالخيول العربية ما حفزني إلى تأليف معجم دعوته « معجم خيل العرب » وكنت بعد عودتي من تلك الرحلة أبعث إليها بما أحصله من كتب تتعلق بالخيل غير أنني لم أتلق منها منذ عدت من رحلتي في تلك السنة إلى يومنا هذا ما أعرف به شيئاً من أحوالها .

ولقد أُعجبت بنظام (مكتبة الكنقرس) في نيويورك ، وبسرعة إحضار ما يطلبه الزائر من الكتب وغيرها من وسائل المعرفة .

وكان فيها في ذلك العام على ما قيل لي ما يقرب من ثلاثة ملايين بين كتاب

وشريط مصور أو مسجل ، ولكنها من أفقر المكتبات بالكتب العربية ، وخاصّة المخطوطة ، أما أغنى مكتبة في الولايات المتحدة بها فهي مكتبة جامعة (برنستن) فقد اشترت مكتبة تبلغ آلاف المخطوطات من عربية وغيرها من مستشرق يهودي يدعى (دودا) وقد زرت تلك المكتبة ، وأهدت لي الجامعة بعض مطبوعاتها ، وكان من بينها الجزء الثامن من كتاب « الإكليل » للهمداني ، تحقيق المرحوم الدكتور نبيه أمين فارس .

وفي مدينة (شيكاغو) دعانا للعشاء ثريٌ أرمني يدعى جورج مرديكيان ، وكان العشاء شرقيّاً من المأكولات اللبنانية كبّة ومرقوق (قرصان) وتبّولة وغيرها من أنواع الأطعمة الشرقية ، وكان ذلك الرجل قدم إلى الولايات المتحدة هارباً مما كان جرى للأرمن في (تركيا) فركب إحدى البواخر وعمره يقرب من عشر سنوات ، وكان لا يملك أجرة الركوب ، فقبل منه أصحاب الباخرة أن يقوم بتنظيف ظهرها مقابل إركابه . ثم اشتغل ببعض الأعمال اليسيرة حتى أصبح من أعظم أثرياء الولايات المتحدة بحيث كان يملك عدداً من محطات المرناة (التليفزيون) بل كان يهيء لقسم كبير من الجيش الأمريكي ما يحتاج إليه من مواد الغذاء ، وكان محبّاً للعرب ينشر في بعض الصحف الأمريكية مقالات في الدفاع عن حقوقهم ، وقد اطلعت على بعض ما كتب في مجلة (ريدرزدايجست) وقرأت مؤلفاً عنه باللغة العربية ، ألفه كمال الملاخ الكاتب المصري المعروف . وقد أنشأ ذلك الثري الأرمني مدرسة ومتحفاً للأرمن في بيروت وكان كثير المساعدات لقومه .

وأذكر أنني أثناء دخولنا في مطعم في مدينة (شيكاغو) وكان مُطِلا على المدينة يشاهد منه ما حولها من البحيرات الجميلة ، وأثناء الجلوس خاطبني أحد القائمين بتقديم الطعام باللغة العربية ، وكان شابّاً . ولما أظهرت استغرابي من معرفته تلك اللغة قال لي : أنا ورفيقي الذي تراه واقفاً هناك من بغداد واسمي أحمد العبيدي ، وصاحبي محمد الصفار ، ونحن ندرس في إحدى الجامعات ، ولكن الطلاب العراقيين ليسوا كالطلاب السعوديين ، فالإعانة التي تقدم لنا لا تفي بمتطلبات الحياة ، ولهذا فنحن نعمل ساعات في الأسبوع لقاء أجرٍ يعيننا على البقاء هنا للدراسة .

ثم أردف : وهل في هذا عيب ؟ ! فأجبته : لا والله بل هذا من الأمور المحبوبة شرعاً وعقلاً ، والدراسة لا تنحصر في ما يلقى على الطلاب من المحاضرات ، ولكنها تشمل الحياة العملية بكل مظاهرها .

ولما مررنا بمدينة (هيوستن) في ولاية (تكساس) طلبت من مضيفينا أن يكون الغداء في ضاحية من ضواحي المدينة ، خارجها ، وسررت حين وجدت في المطعم الذي تغدينا فيه شاباً مصرياً ، بلغ السنة الثالثة في كلية الصيدلة ، وأبوه وكيل الزراعة في مصر وهو من أهل حلوان ، وكان ذلك الشاب يعمل في المطعم ليستعين بما يتقاضاه من أجر على طلب العلم .

كان رئيس المسلمين في الولايات المتحدة أثناء زيارتنا يدعى (جيمس خليل) وقد أقاموا لنا حفلة تكريم في ولاية (مشيجن) واجتمعنا بعالم جليل لبناني الأصل يدعى محمد جواد شري ، ولما زرنا المسجد في تلك المدينة رأينا فيه ما يقرب من عشرين رجلاً ، قيل لنا : إنهم قدموا حديثاً من اليمن للبحث عن عمل ، فأسكنوا في المسجد حتى تتهيأ لهم أعمال ، ويقوم أهل الخير من المسلمين بمساعدتهم .

وكنت أتصور أن الحمام الذي يألف الحرم الشريف بمكة المكرمة ، خاصاً بالحرم ، على حدّ قول النابغة :

والمؤمن العائذات الطير تمسحهـــا ركبانُ مكة بين الغيـــل والسند

وما أدركت أن الإلفة تنشأ عن عدم الإيذاء والتعرض ، في كل مكان ، حتى شاهدت الحمام أثناء زيارة البيت الأبيض في واشنطن يقع على بعض الأيدي لالتقاط الحبّ ، ومثل ذلك في حديقة (لكسومبرج) في الحي اللاتيني في باريس .

ورغبت ونحن في مدينة نيويورك زيارة (حيّ جرينتش فيلج Greenwich Village) حينما قيل لي : إنه مجتمع الفنانين والشعراء وبعض المفكرين وبعض المصـــابين بشيء من الهوس ولعل المشرفين على الرحلة لم يريدوا أن أطلع على كل ما سمعته عن ذلك الحي فاختاروا الذهاب صباحاً ، فذهبت مع شاب من موظفي الشركة يدعى ماجد ولكنني لم أشاهد في ذلك الحي ما كنت أتصور مما قيل لي عنه ،

وأثناء العودة لمحت كتابة عربية هي (جريدة الهدى) فطلبت زيارة تلك الجريدة وقابلت صاحبتها وهي لبنانية تدعى (ماريا مكرزل) وعرفت عندها رجلاً من الشام كان صاحب وكالة أنباء نسيت اسمه وكتبت لتلك الصحيفة كلمة إجابة لرغبة صاحبتها . وفي أثناء العودة منها إلى الفندق لمحت اسم مطعم يدعى (مطعم مكة) ولكنه مكتوب بالحروف اللاتينية : (Mecca Restaurant) وفي المساء استغرب الرفاق عندما قلت لهم سنتعشى في مطعم مكة ومن بينهم من أقام في نيويورك سنوات وقالوا : هنا مطاعم لبنانية وشامية ولكن ليس من بينها ما يحمل اسم مطعم مكة ولكن أحدهم دفع ثمن ما تناولناه من طعام في ذلك المطعم الواقع في الدور الرابع من بيت مطل على الشارع الحادي عشر لقاء اصراره على الإنكار . والجميل حقاً في مدينة نيويورك وفي كثير من المدن الأمريكية سهولة الإهتداء إلى الأمكنة الواقعة بقرب الشوارع الرئيسية لامتداد تلك الشوارع ، وكونها تعرف بالأرقام المتسلسلة لا بالأسماء ، وخاصة في الأحياء العظيمة والضواحي . وقد تسمى الشوارع الكبيرة بأسماء بعض المشاهير القدامى ، ولكن ما يتفرع منها من الشوارع تعرف بأرقام متسلسلة تبدأ من قلب المدينة وتستمر مقاطعة للشوارع الكبيرة حتى تنتهي مهما بلغ عددها .

زرنا مستشفى عظيماً تابعاً للجيش الأمريكي تستخدم فيه الذرة في علاج بعض الأمراض وكان يرافقنا طبيبان مصريان يشرحان لنا بعض ما نشاهد ، وقبل خروج الزائر من المستشفى يقف في مكان مخصص للوقوف ، وفوقه آله كالساعة فإذا وقف وتحرك أحد عقاربها كان دليلاً على أن الزائر قد تلوث بشيء من الأشعة وحينما وقفت صار العقرب يضطرب بسرعة ، فدهش الطبيبان واتصلا بالهاتف بإنسان جاء مسرعاً ولما نظر إليَّ طلب أن أَمُدَّ يدي اليسرى فمددتها فأبصر فيها ساعة فيها مادَّة من النوع الذي يوضع في الساعات الليلية فتنير ، من مادة (الفوسفور) ولما نزعها من يدي عاد العقرب المتحرك إلى موضعه ثابتاً .

وفي أثناء زيارتنا قام عمال الطائرات بإضراب فاضطررنا أن نقطع المسافة من

شرق الولايات المتحدة الشمالي إلى جنوبها الغربي بواسطة القطار السريع ، وفي رحلة استغرقت ٧٢ ساعة حتى بلغنا ولاية كاليفورنيا وأتينا إلى مدينة (بيركلي Berkeley) استجابة لدعوة موجهة من (اتحاد الطلبة العرب) وقد رغبت أن يكون نزولنا في أحد البيوت المخصصة للطلبة لنعرف شيئاً عن حياتهم في مساكنهم ، فأنزلت أنا ورفيقي في غرفتين من الغرف المعدة للطلاب ، وبينما كنت متمدداً فوق سرير صغير إذا بصاحبي الأستاذ القزاز يناديني بأعلى صوته ، وغرفته تتقابل غرفتي وبينهما ممر إلى الحمامات : (أنظر أنظر يا أستاذ ! ! هؤلاء الذين لا يستحون) ! ! فأجبته بالآية الكريمة : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . والحق أن الأستاذ القزاز رفيق رحلة يملأها أنساً وبهجة وسروراً ، ولا أنسى حينما مررنا بمزرعة واسعة فرأينا فيها ثوراً ضخم الجثة تتدلى آنثياه كالدلوين الصغيرتين ، والأستاذ القزاز صحفي لمّاح ، فطلب الوقوف عند هذا الثور وأمر المصور أن يصورنا بجانبه ولم يُجْدِ التعلل بضيق الوقت وبالرغبة في السير بسرعة إلى المكان الذي كنا نقصد وقد رأيت تلك الصورة في جريدة البلاد التي كان الأستاذ القزاز يسجل فيها أنباء تلك الرحلة أولاً بأول ، وصورتا الصحفيين العتيدين تحيطان بصورة ذلك الثور .

وفي مدينة بيركلي أقام الطلاب العرب لنا حفلة تكريم ، وكان أول الخطباء أحد أساتذة الجامعة في تلك المدينة وهو الأستاذ (جورج لنشوفسكي) وبعد أن رحب بالضّيف كان فيما قال في الحديث عن الجامعات الأمريكية ما ترجمته : (وها أنتم الآن تشاهدون الجامعات في الولايات المتحدة مفتحة الأبواب لجميع الطلاب العرب ولسنا كدول الستار الحديدي الذين لا يمكنون من دخول جامعاتهم إلا من يريدون) وكان المترجم أحد الطلاب العرب ويدعى أحمد الخطيب وبعد إلقاء الكلمات طُلب مني أن أعقب عليها ، وبعد أن شكرت الطلاب العرب على كريم دعوتهم ، وعبرت عن سرورنا جميعاً بما شاهدناه من الأساتذة من عناية واهتمام بطلابنا . أردفت قائلاً وليسمح لي الآن الأستاذ (جورج لينشوفنسكي) في التعقيب على كلمته بعد إسداء الشكر الجزيل له ، لقد كنت أود أن تكون الكلمة التي قالها عن قبول الجامعات للطلاب العرب بطريقة الأمتنان ، كنت أود أن تكون قد صدرت من

رجل سياسة لا رجل علم له أثر في توجيه أبنائنا ذلك أن العلم هو تراث بني الإنسان جميعهم من إغريق وفرس وهنود وعرب وعبرانيين وروم وغيرهم من بني الأنسان ولهذا فإن من حق كل إنسان أسهمت أمته في ذلك التراث من حقه أن ينال نصيبه كاملاً غير منقوص ، وأن لا يمتن عليه أحد في ذلك ، أو يعتقد بأنه تفضل عليه ، إذ هو حق له يجب أن يأخذه ، ولو جاز الامتنان لجاز القول بأن جامعات العرب في الأندلس وفي بغداد وفي مصر وفي الشرق كانت مفتحة لجميع الطلاب من مختلف الأجناس حينما كان الغربيون يغطون في سباتهم العميق ، ولكن العلم يجب أن يؤخذ ، وأن يتمتع كل إنسان بنصيبه منه أي إنسان كان ، وهذا ما ينبغي أن يعيه أبناؤنا الطلاب وأن لا يجهله أساتذتهم .

قلت هذا أو ما هو في معناه وبعد فراغي طلب الأستاذ (لنشوفسكي) التعقيب قائلاً ما معناه : كنت أظن أنني أتحدث إلى صحفيين قد لا يتعمقون بما يسمعون ، ولكنني أعتذر الآن ، وأقرر أن ما قاله فلان هو الحق ، وأن الأنسان يجب أن ينال نصيبه من العلم وألا يَمُنَّ عليه أحد بذلك .

ثم كان ما جرى سبب تعارف والأستاذ المذكور له مؤلفات منها ما يتعلق بنفط الشرق الأوسط وقد زار المملكة — على ما بلغني — .

وممن عرفته أثنـــاء تلك الرحلة مؤلف أمريكي يدعى (جاك بتلر J. Butler) حدث التعارف بيننا ونحن في هولندا وترافقنا في الرحلة إلى نيويورك ، فنزلت فيها وواصل سفره إلى (لوس أنجلس) وقد أخبرني بعنوانه هناك وبرقم الهاتف فلما زرت تلك المدينة اتصلت به فدعاني إلى منزله ، ولما سألني عن أحسن ما رأيت في تلك البلاد أجبته إجابة مزجت فيها الجد بالهزل فقلت : (المغاطس) التي رأيتها فيما نزلت فيه من الفنادق فقد كنت أمضي جزءاً من الوقت جوف المغطس (البانيو) متلذذاً بحرارة الماء ، لأنني أُحسُّ بآلام في الركب وفي القدمين (روماتيزم) فأرتاح لذلك . فقال لي : الماء الحارُّ لا يصلح لمعالجة ما ذكرت من آلام ، وإنما الذي يصلح الماء البارد . ثم أمر زوجته بأن تدعو أباها بواسطة الهاتف ، فجاء وهو

شيخ قوي البنية طويل القامة ، فقال الأستاذ (جاك) بعد أن جلس : هذا صهري كان مصاباً بآلام المفاصل سبع سنوات ، وهو طريح الفراش ولم ندخر وسعاً في علاجه فلم يشفَ من مرضه حتى جاءنا طبيب أمرنا بأن نصب على مفاصل رجليه الماء البارد شيئاً فشيئاً وسرعان ما كان يحرك رجليه ، ثم شفي شفاءاً تاماً باستعمال الماء البارد ، وهو الآن لايستعمل سواه صيفاً ولا شتاء فقلت : إذن سأجرب . وما أشدَّ دهشتي حين صرت أرتاح بالماء البارد ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت لا أستعمل سواه إلا حينما أريد تنظيف جسمي ، وزالت عني جميع الآلام التي كنت أشعر بها في مفاصل رجليَّ .

ولما قابلت أحد أطباء الأعصاب في مستشفى (كليفلند) في رحلتي الثانية وكنت أشكو آلاماً في الظهر ويدعى الدكتور (ماكنزي) نصحني باستعمال الماء الحار ، فأخبرته بما تقدم فقال الأجسام تختلف وكذا الأمراض ، ولهذا لا أنْصح كل مريض بالأعصاب باستعمال الماء البارد ، وما دمت مرتاحاً منه فأنا لا أنهاك عن استعماله ولكنني أشير بأن تستعمل الماء الساخن في ظهرك ورقبتك وما تحس به من آلام في يديك .

سيقول بعض القراء : وما أجمل ما رأيت هناك وأعجبك ؟ ! والجواب أنني بعد أن أستثني المكتبات العامة وسهولة الإستفادة منها واهتمام القائمين عليها بمراجعيها أذكر أنَّ أبرز ما لا يزال عالقاً بذاكرتي ، جمال مدينة (شيكاغو) عند طلوع الشمس حيث تكون أشعتها ساطعة على وجه مياه تلك البحيرات القريبة منها ، وكان الجوُّ إذ ذاك معتدلاً لا قَرَّ ولا حَرَّ .

أما مدينة (ديزني لند) التي أمضينا فيها نهاراً كاملاً فلقد كانت في نظري إحدى عجائب الدنيا . ولن أتحدث عما شاهدته فيها :

ما أراني أقــول إلا معـــاراً أو معــاداً مُرَدَّداً مكــروراً

ولا شكَّ أن المرء تنطبع في مخيلته صور ما يشاهد أول مرة ثم لا تلبث أن تتغير ، فقد كنت في تلك الرحلة عندما مررت بمدينة واشنطن أعجبت بجمالها ونظافة

شوارعها وما يحيط بها من الحدائق ، ولكنني عندما شاهدتها في رحلتي الثانية وكان الفصل شتاء وجدتها تغيرت كثيراً عما انطبع في ذهني عنها في رحلتي فليست شوارعها بتلك الشوارع الجميلة الواسعة ، وليست نظافتها بالقدر الذي كنت أتصوره ، ورأيت فيها من الأبنية الخربة والأسواق الضيقة ما كنت لأصدق بأن مثله يوجد في هذه المدينة العظيمة . وقد يكون هذا ناشئاً عن كون المرء في أول مشاهدته لأية مدينة تكون انطباعاته عنها قائمة على ما كان في ذهنه من تصورات ، فيتأثر بها تأثراً يجعله لا يبصرها على حقيقتها أول مرة ، وقد يكون لذلك سبب آخر هو أن المشرفين على الرحلة الأولى أرادوا أن يبرزوا لنا محاسن تلك البلاد فتحيّنُوا من الأوقات أنسبها .

ويبالغ بعض الكتاب حينما يتحدث عن جمال المدن الغربية ونظافتها ، مبالغة تتعدّى الحقيقة . أذكر أننا تغدينا في أحد المطاعم الكبيرة في مدينة (نيويورك) وكنت قد سمعت أن الذباب لا يوجد في هذه المدينة ، ففوجئت بخلاف ما كنت أتوقّع ، ولما قلت لأحد رفاق الرحلة : كيف تبالغون في وصف نظافة هذه المدينة وها هو الذباب يتهافت على الطعام ؟ ! فقال : وما كان مؤدّباً : لعله حضر معنا ! ! ولو قال : هذا نادر ، والنادر لا حكم له لأصاب وسلم من العتاب ! ولا أظن أحداً مرّ بمدينة (روما) في فصل الصيف ولم يشاهد باعة البطيخ في ساحة المحطة وأسراب الذباب تكاد تغطي ما يعرضون ، أما شوارع مدينة (باريس) وحدائقها العامة فإن تلويثها بأوساخ الكلاب مما يقزّز نفس كل من اعتاد التجول فيها مشياً على قدميه ، وقلّ من يفعل ذلك ! ! إذ السائحون لم يعتادوا ذلك ، ولا يرتادون إلا كل موقع جميل .

هذه لمحات مما علق بالذاكرة عن الرحلة الأولى . أما الرحلة الثانية إلى الولايات المتحدة فقد كانت للعلاج فقد أحسست بآلام في ظهري ورقبتي ويدي اليمنى وكنت مع ذلك أعاني ثقلاً في السمع وضَعفاً في البصر ، فأشار عليّ من إشارته غُنْم بالسفر إلى تلك البلاد بعد أن أكرمني أكرمه الله بسعادة الدارين بالأمر بتهيئة ما

يلزمني في تلك الرحلة من نفقة وأجر علاج وركوب في الطائرة . فكان السفر من جدة في إحدى الطائرات السعودية في اليوم التاسع عشر من شهر محرم سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦/١/٢٠م) إلى (لندن) وكانت الرحلة متّصلة ومدة الطيران ست ساعات ، ومع طولها فقد كانت مريحة .

من عادتي إذا وصلت مدينة (لندن) المبادرة لزيارة (المتحف البريطاني) للبحث عن المخطوطات فمكتبته من أغنى المكتبات بها ، ولكنني كنت في هذه الرحلة في حالة عزوف عن المطالعة فمنذ آخر شهر رمضان وأنا منصرف عن القراءة والكتابة والمطالعة ، ومشغول بنفسي ، ولهذا كانت الأيام الخمسة التي أمضيتها في مدينة (لندن) مملة ، لولا سويعات تتخللها يزورني فيها الأخ الصديق الأستاذ عبد العزيز المنصور التركي ، (عمدة المعارف) كما كنت أسميه وأعني بالمعارف أوسع مدلول لهذه /كلمة . وكان رفاق الرحلة أمُّ محمد وبناتنا الثلاث اللواتي أُلحقن بالبعثة في الولايات المتحدة .

لم تكن مدينة (لندن) في نظري أثناء هذه الرحلة بالمدينة التي تحدثت عنها حينما زرتها قبل ست عشرة سنة (أكتوبر سنة ١٩٦٠) وفي زيارتي الثانية قبل بضع سنوات ومعروف أن المرء كلما تقدمت به السنُّ تغيرت نظرته إلى الحياة ، وأصبح لا يحس بكثير من مباهجها ، وتتغير أكثر فأكثر عندما تعتريه بعض الصدمات النفسية . ولهذا فقد كانت الأيام القليلة التي أمضيتها في (لندن) طويلة حقاً مما دعاني إلى السفر إلى باريس لكي تكون الرحلة منها إلى مدينة (هيوستن) في ولاية (تكساس) من الولايات المتحدة مقر الملحق الثقافي الذي يتولى ترتيب شؤون الطلاب.

وكان الوصول إلى باريس في اليوم الرابع والعشرين من محرم ١٣٩٦هـ (١/٢٥/ ١٩٧٦ م) والبقاء أربعة أيام ، ولا أنسى فضل أحد أبنائنا الأستاذ أبي رائد عبد الله الطويل الملحق الثقافي ، حيث جعل بأنسه وبشره وحسن استقباله تلك الأيام تمر قصيرة (وأيام السرور قصار) وأذكر لسفيرنا معالي الأستاذ محمد علي رضا فضله وتواضعه فقد كرم بزيارة الفندق وكتابة كلمة رقيقة يواسيني فيها ، وقد كنت خرجت للإستعداد للسفر الذي كان لأبي رائد أكبر الأثر في تيسير وسائله .

ولقد كان الوصول إلى مدينة (هيوستن) مساء بعد طيران متواصل ، استغرق أكثر من عشر ساعات ، ولم نسلم في المطار من استغلال أحد أبناء (العم حام) الذي أخرج لنا أمتعتنا إلى سيارة الأجرة ولا لسائق السيارة وهناك لا بدّ من نفح سائق سيارة الأجرة هبة مع أجرته .

لم تكن أجور الفنادق في أوربة ولا في الولايات المتحدة مرتفعة ، وخاصة المتوسطة منها ، أما امتيازها بالنظافة وبحسن الترتيب عن الفنادق الأخرى فمن الأمور المعروفة . بتنا في مدينة (هيوستن) ليلة الخميس الثامنة والعشرين من شهر المحرم ١٣٩٦هـ (١٩٧٦/١/٢٩م) وما أشد دهشتنا في الصباح أثناء تناول طعام الإفطار في مطعم الفندق حين أبصرنا الأستاذ عبد العزيز المنقور يدخل المطعم للبحث عن أحد أبنائه من الطلبة ، فكان اللقاء والذهاب إلى المكتب ، وترتيب ما ينبغي ترتيبه لإلحاق البنيات بإحدى جامعات ولاية (أريجن) في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة ، وفي اليوم الثاني مساءاً كان السفر من (هيوستن) والمرور بمدينة (دلس Dallas) بعد طيران ساعة تزيد ، ثم مواصلة الرحلة منها بعد نصف ساعة إلى مدينة (بورتلاند Portland) من ولاية (أُريجن) حيث كان الوصول بعد خمس ساعات ليلاً ، وما أشد دهشتنا بل ما أعظم سرور البنيّات وأمهن حين شاهدن عدداً من أقاربهن عند باب الطائرة ، ومن معارفهن وأخواتهن .

فلقد كانت هذه الولاية من أولى الولايات الأمريكية التي يكثر الابتعاث إلى جامعاتها من أبناء بلادنا .

مدينة بورتلاند : تنتشر هذه المدينة في سفوح تلال مرتفعة ويخترقها نهر تمتد شوارعها الكبيرة مستطيلة من ضفته الغربية حيث توجد الجامعة على مقربة من ذلك النهر في سفح أحد التّلال المكسوة بالأشجار وليست هذه المدينة كبيرة فالمرء يستطيع التجول بين جميع شوارعها الستة عشر التي هي وسط المدينة في أقل من ساعة مشياً على الأقدام ، ويلحق بها كثير من الضّواحي الواسعة المتباعدة وأبرز ما يشاهد المرء فيها كثرة الجسور فوق طرقها المتقاطعة الكثيرة ، وهي على مقربة من شاطىء

المحيط الهادىء ، وليست كثيرة السكان فهم لا يبلغون نصف مليون وفنادقها قليلة ، بخلاف مصارفها (البنوك) وأهم ما فيها من المعالم جامعتها ، وفيها عدد غير قليل من الطلاب الشرقيين .

والعرب في هذه المدينة — من لبنانيين وسوريين وفلسطينيين — كثيرون ، ممن هاجروا إليها منذ زمن طويل ، ولهم كلمة مسموعة ومنهم أطباء ومحامون ونوّاب .

ولهم نادٍ خاص بهم وبلغ من نفوذهم في هذه المدينة أن أحدهم وهو لبناني مسيحي مرشح لوظيفة حاكم للولاية (ولاية أوريجن) ويدعى فكتور عطية من سورية ، وهو الآن رئيس الحزب الديموقراطي ، ويرجح أن يفوز بذلك لكثرة مؤيديه .

وقد افتتحت فيها إذاعة عربية في ٦ مارس ١٩٧٦م تذيع كل يوم أحد ساعة واحدة .

وأذكر أنني في أحد الأيام وكنت غالباً أجول المدينة ماشياً وفي إحدى جولاتي احتجت إلى الاستراحة فعرّجت إلى أقرب مقهى أستريح فيه وبعد أن جلست وتناولت فنجاناً من القهوة رأيت معلقاً في المكان صوراً إسلامية صورة الكعبة وأحد المساجد وكتابة بالحروف العربية ولكنها فارسية فحاولت أن أستوضح من الرجل الذي قدم لي القهوة لماذا علقت الصور والكتابة هنا ، وما أشد دهشتي حين عرفت أنه عربي لبناني تخرج في جامعة بورتلاند الواقعة في وسط المدينة ثم فتح هذا المحل مطعماً ومقهى دعاه (جنة دمشق Damascus Garden) ويدعى شوقي الخال وهو يدرس اللغة العربية في مركز دراسات الشرق الأوسط بتلك الجامعة التي تخرج منها بدرجة ماجستير في العلوم السياسية وهو من قرية تدعى عمارة الحصن من قضاء تل كلخ محافظة حمص .

في زيارة المكتبة العامة : يجد المرء في كل مدينة من المدن الأوربية أو الأمريكية صحيفة تصدر في تلك المدينة أسبوعية توضح كل ما يتطلع السائح إلى زيارته وفيها مصور جغرافي (خريطة) يحدد الأماكن المذكورة ولهذا فكثير من السائحين لا

يحتاجون إلى من يرشدهم ويعرفهم بما يريدون زيارته من المواضع وكذا الحال في هذه المدينة على صغرها ولهذا كنت أمضي وجه النهار في التجوال بين معالمها فكان أن مررت بالمكتبـــة العامة واسمها (Multnomah County Library) فدخلتها فاستقبلتني فتاة عرفت أنني أهوى المطالعة فأوصلتني إلى قسم التسجيل حيث قدم لي هذا القسم بطاقة تمكنني لا من المطالعة في المكتبة فحسب بل من استعارة ما أريده

MULTNOMAH COUNTY LIBRARY

1910
HAMAD M AL JASSER
1414 SW 6
PORTLAND, OR 97201
22L-1611

2 1168 00007 5119

I accept responsibility for all material
charged on this card

Please report immediately if lost or stolen

من الكتب والخروج بها إلى المكان الذي أنزل فيه والغربيون يفهمون حقاً ما تقوم به المكتبات في سبيل نشر الثقافة ، ولهذا فهم يحرصون على أن يسهلوا جميع الوسائل ليكثر المستفيدون من المكتبات ، أما في كثير من البلاد العربية والشرقية على وجه العموم فإن حصول المرء على بغيته من المكتبة يتوقف على مكانته ومنزلته عند أصحاب تلك المكتبة ، وأذكر أنني كنت أمضيت زمناً طويلاً كانت (دار الكتب المصرية) هي أحب مكان إلى نفسي حينما أزور القاهرة ، وقد عرفت فيها كثيراً من ذوي العلم والفضل والأدب ، واستفدت من ترددي عليها ومطالعة بعض مخطوطاتها أعظم فائدة وكنت أجد من القائمين على أمورها من وسائل التسهيل ما قل أن أجد مثله في غيرها من دور الكتب ، غير أن الزمان دار دورته فتغيرت الحال فانتقل كثير ممن كنت أعرف إلى رحمة الله وأحيل آخرون إلى التقاعد وحل محل أولئك أناس لا أقول عنهم أكثر من أنهم يجهلون الغاية التي تنشأ لها المكتبات ، فكان الدخول في تلك الدار يستلزم الحصول على بطاقة توقع من الأمن العام ثم من إدارة الدار بعد اتخاذ طرق ووسائل ليس في مستطاع كل إنسان اتخاذها . وليت الأمر يقف

عند هذا الحد لقد عمل (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ما ينبغي عمله لكي ييسر لي الاستفادة مما في تلك الدار من نفائس المخطوطات ونوادر الكتب فذهبت في صبيحة يوم من أيام شهر مارس ١٩٧٣م مدلاً بالبطاقة التي أحملها ولكنني صدمت أسوأ صدمة عندما قدمني أحد موظفي الدار ممن كنت أعرفه إلى الموظف المشرف على قسم المخطوطات وهو شاب (درعمي) أي من خريجي دار العلوم ويدعى محمد جلالي فأبديت له رغبتي في الاطلاع على مخطوطة تتعلق بوصف منازل الحج من كتب الخزانة التيمورية المضافة إلى دار الكتب فقدم لي ورقة مطبوعة (استمارة) ملأت ما فيها من استيضاحات واكتفيت بعد ذكر المؤهلات بكلمة (عضو مجمع اللغة العربية) فلما قرأها قال لي : (الكلمة دي ما تنفعش ايه الشهادات اللي تحملها) : فقلت له يا بني لاداعي لذكر الشهادات فأنا أحد رجلين جاهل يريد الاستفادة أو عالم يريد الاستزادة والأمران هما وظيفة هذه الدار ولكنه قابلني بوجه عابس قائلاً : لا بد من أن تكتب هنا الشهادات التي تحملها فقلت له: لا أحمل شيئاً ولكن هذا الأخ الذي عرفك بي يعرف أنني قد عرفت هذه الدار واستفدت منها منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ولكن هذا الموظف المحترم كتب فوق تلك الورقة (ترفع إلى مقام سيادة المدير) ، ورفض أن يقدم لي ما طلبت لكي أنظر فيه أمامه . حقاً إن الكتب المخطوطة لا يسمح بإخراجها من المكتبة ولكنني أنا لم أطلب سوى النظر في ذلك الكتاب وقتاً قصيراً في غرفة ذلك الموظف لأعرف شيئاً عن نسخته وعن عدد صفحاتها فيما لو أردت تصويرها . ولقد كان موقف مدير دار الكتب معي موقفاً كريماً فقد خرجت متأثراً من سوء معاملة ذلك الموظف وذهبت مسرعاً إلى مكتب مدير الدار وبعد أخذ ورد بيني وبين حاجبه (سكرتيره) دخلت عليه وكان ذلك الحاجب قد عرف ما جرى بيني وبين ذلك الموظف فسرعان ما أدخله على المدير ولما استقر به المجلس طفق يهذو بكلام مختلط مشيراً إلي في حركات لا توصف بالوقار وبعد برهة من الزمن التفت إلي المدير وقال ماذا حدث فقلت إذا سمحت بتوجيه سؤال موجز هو : هل من اللائق أن يتولى الإشراف على زوار الدار من العلماء والباحثين مثل هذا الأخ الجالس أمامك ولا أزيد على هذا ؟ فكان جواب المدير : (لا والله !) ثم أخرج من أحد أدراج منضدته حبوباً بيضاء قائلاً :

ولهذا تجدني أقاسي من هذا وأمثاله ما يضطرني إلى استعمال هذا الدواء ثم أمره أن يخرج ولكن ما أشد دهشتي عندما زرت بعد وقت ليس بالطويل الصديق الدكتور ناصر الدين الأسد مدير الإدارة الثقافية بالجامعة العربية فذهب معي ليطلعني على أسماء بعض المخطوطات التي صورتها بعثة المعهد من الخزانة الملكية في مدينة الرباط فإذا بصاحبنا قد خرج من دار الكتب إلى معهد المخطوطات بوساطة أخينا الأستاذ صالح أبو رقيقة ولكن صاحبنا عفى الله عنه انزوى جانباً ولعله فعل ذلك خجلاً فالله يسامحه .

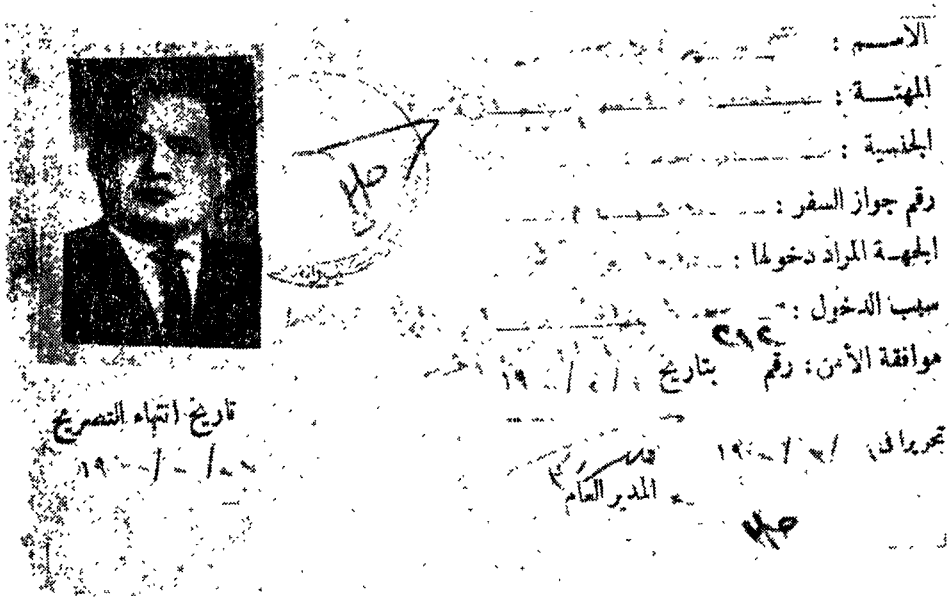

وأعود للحديث عن المكتبة العامة في بورتلاند . لما أبديت رغبتي في مطالعة بعض الكتب العربية سارت بي إحدى الموظفات إلى مكان الكتب الشرقية غير إنني لم أجد من بينها كتاباً عربياً أتوق إلى مطالعته ولم أر فيها سوى كتاب واحد عن حياة المسيح عليه السلام ولما أظهرت استغرابي عن فقر تلك المكتبة وخلوها من الكتب العربية قالت لي تلك الفتاة : يحسن أن تذهب إلى مكتبة الجامعة أو إلى مركز الشرق الأوسط للدراسات الشرقية فكان ذلك .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

عالية نجد

(ويتحف القراء الأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل بمقتطفات من كتابه « عالية نجد » وهو جزء من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وتأمل « العرب » أن توالي نشر تلك المقتطفات ، وأن تتلقى ملاحظات القراء حولها ، فالأستاذ ابن جنيدل يسرُّه أن يستقبلها القراء بمزيد من الاهتمام ، وأن يتلقى منهم من الملاحظات ما يضيف معلومات وفوائد إلى مباحثه القيِّمة، لكي يبرز ذلك المعجم بالصورة التي يتوخاها كل معنيٍّ بدراسة الجانب الجغرافي لهذه البلاد) .

١ ــ أبَا الجِرْفَان : أوله همزة مفتوحة ، وثانيه باء موحدة بعدها ألف : وأبا : بمعنى صاحب ، أو ذو ، والجرفان ، بجيم معجمة تنطق مكسورة ، وراء مهملة ساكنة ثم فاء موحدة بعدها ألف ثم نون . والجرفان : جمع جرف ، وهو جانب الوادي المرتفع كالجدار ، ويتكون الجرف في جانب الوادي من المياه حين تجرف بطن الوادي وتعمقه ، فتكون جوانبه قائمة كالجدران ، ويجمعها العامة فيقولون : جرفان ، وجرفَة .

وأبا الجرفان : واد كبير ، له روافد كثيرة ، يقع في منطقة العرض الغربية ، غرب وادي السرداح ، تصبّ فيه سيول شفا العرض الشرقية ، يبدأ سيله من وادي

رويضة العرض ، ثم يتجه جنوباً شرقياً ، حافاً بقرى شفا العرض ومرتفعاته من الشرق فيصب فيه شعيب الرويضة ثم طحي ثم الدميني ، ثم سنام ، ثم المغرة ، ثم الأودية التي تلتقي وتتجمع في ملقى البدع ، ثم ينحدر ويصبّ في السّرداح ، وفي أعلاه جبل أسود ، جنوب بلدة الرويضة يسمّى : مدقة ، وجبل آخر . معترض شرقاً من مدْقة ، ممسوح الظهر ، يسمّى : درقان ، بمعنى أنه ساتر لما وراءه ، وقد ذكره الهمداني باسم ذي خشب ، فقال : وادي ذي خشب ، وهو فرع العرض ، يدفع فيه الأجرعان ، وستار الشريف الذي في طرف ذي خشب ، فوراءه العبلاء والزعابة ، ثم مأسل جأوة وهو حصنان ونخل وزرع [1] قلت : مما يؤيد القول أن أبا الجرفان هو وادي ذي خشب ، قول الهمداني : ستار الشريف الذي في طرف ذي خشب ، وقوله : وراءه العبلاء والزعابة ، ثم مأسل جأوة .

وقد ذكرت أن في أعلا أبا الجرفان جبل أسود يسمّى مدقة ، وشرقاً منه جبل يسمّى درقان وأعالي الوادي تأتي منهما ، ويبدو لي أن جبل درقان هو الستار ، فهو معترض فيما بين مدقة وهضبة زعّابة كالسّتار ، ومعنى درقان في لغة العامة السّاتر لمن يكون وراءه ، ثم ذكر الهمداني ماسل جأوه ، وهو أيضاً قريب من هذه المواضع ، يسمّى في هذا العهد : مُوَيْسلا ، تصغير ماسل ، وفيه آبار تزرع ، وآثار مساكن وزراعة قديمة ، وذكر زعابة ، وهي هضبة حمراء عالية تطل على بلدة الرويضة من الشرق ، في أعلا هذا الوادي ، وما زالت معروفة بهذا الإسم ، وذكر مواضع قريبة من هذه المواضع مثل : طحي وعصيل ، وكلها ما زالت معروفة بأسمائها ، وقد اعتبر الهمداني هذه المواضع داخلة ضمن بلاد الشّريف ، وهي إن لم تكن في هذا العهد معتبرة منه فهي متصلة به من ناحيته الجنوبية ، وقد أورد الهجري بيتاً لبعض بني نمير حيث قال :

فلمّا بدت عروى وأجزاع مأسل وذو خشب كان الفؤاد يطـير

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٤٧ .

028813

وقال : عروى هضبة حذاء ماسل ، بها جأوة باهلة . [1]

سبق أن ذكرت مأسل جأوة ، وهو واقع شرق عروى ، يسمّى – في هذا العهد – مُوَيسلاً .

وعروى قمة شاهقة تناوح جبل مدقة من الشمال ، ويفهم من هذا البيت أن اسم ذي خشب يعمّ الوادي والجبل الذي في أعلاه ، الذي يسمّى حالياً مدقّة .

أما الإسم : ذو خشب ، فإنه قد جرى فيه تعديل يسير فأصبح اسماً لريع في أعلا الوادي يقال له : الخِشِبي ، يقع غرب هضبة مدقة ، وشرق جنوب طحي ، وهذا الريع طريق بين بلدة الرويضة وقرية المغرة ، وهو في أعلا وادي أبا الجرفان .

٢ – **أَبْقَار** : بفتح أوله ، وثانيه باء ساكنة ، فقاف مثناة مفتوحة بعدها ألف ثم راء ، خروم سود ، فيها جبيلات ونتوآت سود متقاربة ، يتخللها شعاب صغيرة ، فيها طلح وسلم ، تقع بين جبل النير وجبل الخَرَج ، يمر طريق الحجاز الرياض المسفلت من طرفها الشمالي ، فيما بين بلد عفيف وبلد القاعية ، ولها ذكر في الشعر الشعبي بهذا الإسم :

قال محمد بن بليهد :

قفّوا ومرّوا كشب والخال وأبقار ... ومثلثه وأجله وكبشان والنير
لعلْ يسقي دربهم عذب الأمطار ... تنثر عزاليه المزون المزابير

وقال محمد العبدالله الهتيمي المشهور بأبي نومه :

وَجْدَاهْ ياجيرانّا كلَ يوم ... والجارْ يذكرْ ما جراله مع الجارْ
عسى الحيا يسقيْ بلادْ البقوم ... من مدلهم تالي اللّيلْ جرّارْ
حيثنّها مدهالْ عفْرىَ ردوْم ... لاسانية حضر ولا جاتْ بحوارْ
عهديْ بهمْ يومْ الظّعَايْن قسومِ ... بين الخَرَجْ وأم المشَاعِيبْ وأبقارْ

---

(١) أبحاث الهجري ٣٣٩ ، ويبدو لي أن صحة البيت : كاد الفؤاد يطير .

وكلّ من الخَرَج وأم المشاعيب قريب من أبقار . وانظر شرح الأبيات في رسم الخرج . وقد ذكر في كتب المعاجم باسم (بَقَر) .

قال ياقوت : بَقَر ، بالتحريك ، موضع قرب خفّان . وقرون بَقَر : في ديار بني عامر المجاورة لبني الحارث بن كعب ، كانت فيه وقعة ، وذو بقر : واد بين أخيلة الحمى . حمى الربذة ، قال الشاعر :

إلا كدارك بذي بقر الحمى ... هيهات ذو بقر من المزدار

وقال القحيف العقيلي :

فيا عجباً منّي ومن طارق الكرى ... إذا منع العين الرّقاد وسَهّرا

ومن عبرة جاءت شآبيب إن بَدَا ... بذي بقر آيات رَبْع تأبّدا

قلت : ذكر ياقوت : ثلاثة مواضع ، أحدها قرب خفان ، وهذا لا ينطبق على موضع أبقار الذي نتحدث عنه ، لأنه بعيد جداً من هذه الناحية .

الثاني : قرون بقر الواقع في ديار بني عامر ، وهذا الموضع يحتمل أنه هو الموضع الذي نتحدث عنه ، المعروف باسم « أبقار » .

الثالث : يقع في حمى الربذة ، وهذا الأخير مشهور في كتب المعاجم ، وحمى الربذة بعيد جدّاً من موقع أبقار الذي نتحدث عنه ، وإنما الحمى القريب منه حمى ضرية ، فأبقار يقع جنوب حمى ضريه ، والواقع في حمى الربذة ما زال معروفاً يُسمّى (أبقار) .

أما الشواهد التي ذكرها ياقوت ، فإنه ذكر بيتاً لم ينسبه إلى قائل وهو البيت الذي فيه ذكر الحمى .

قلت : وهذا البيت خاص بذي بقر الواقع في حمى الربذة ، وقد ذكره الهجري مع بيت قبله منسوبين إلى مؤرج السلمي ، عند ذكر ذي بقر الواقع في حمى الربذة ، وحدده تحديداً دقيقاً ، والبيتان[1] :

---

(١) أبحاث الهجري ٢٤٣ .

قدر أحلّك ذا النخيل وقــد أرى وأبيك مالك ذو النخيــل بــدار
إلا كداركم بــذي بقــر الحمى هيهات ذو بقر من الــــزوّار

أما أبيات القحيف العقيلي فليس ببعيد أن يكون المقصود بها أبقاراً الذي ننتحدث عنه .

وقد ذكر الشيخ محمد بن بليهد هذا المواضع وحدده تحديداً صائباً ووصفه وصفاً جغرافياً ، إلاّ أنه قال : وهي التي قال فيها صاحب المعجم هي من الحمى ، وأورد بيت مؤرج السّلمي ، وعنى بقوله صاحب المعجم ياقوت الحموي[1] .

ويلاحظ في ذلك أنه اختصر عبارة ياقوت فحذف منها ذكر الربذة ، وياقوت في عبارته ميز حمى الربذة لئلا يلتبس بحمى فيد أو حمى ضرية ، ثم أنه أورد هذه العبارة وبيت المؤرج السلمي في ذكر هذا الموضع وهي خاصة بالموضع الذي في حمى الربذة ، وليست خاصة بحمى ضرية القريب من موضع أبقار الذي تحدث عنه ، وذو بقر الذي في حمى الرّبذة لا يزال معروفاً ، ويدعى في هذا العهد أبقار ، وهو واديان ينحدران من غربي الجبال الواقعة جنوب الربذة ، ويتجه سيلهما غرباً شمالياً ، أحدهما ، وهو الشمالي يدع جبل العبد (أسود البرم قديماً) على اليمين منه وينفذ جبال القهب ويفيض في المغر ، ثم يلتقي بوادي الأرطاوي . والثاني منهما يدع جبل روم على يساره ويلتقي بوادي السليلة ، ثم يلتقي أيضاً بوادي الأرطاوي .

وفي أسفل الأول منهما بقرب جبل العبد ماء مر يسمّى عبدة ، ويحتمل أن هذا الماء هو الذي كان يسمّى قديماً حفائر المهدي ، وهذه المواضع كلها في حمى الربذة وأبقار بالنسبة لقرية الربذة تقع في الجنوب الغربي .

قال الهجري : الجبال التي تلي القهب عن يمين المصعد إلى مكة جبل أسود يدعى أسود البرم ، بينه وبين الربذة عشرون ميلاً ، وهو في أرض بني سليم .

---

(١) صحيح الأخبار ٢/٥٢ .

وأقرب المياه من أسود البرم حفاير حفرها المهدي على ميلين منه تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرج السّلمي فقال :

قدر أحلّك ذا النخيـــل وقد أرى وأبيك مالك ذو النخيـــل بدار
إلاّ كداركـــم بذي بقر الحمـــى هيهـــات ذو بقـــر من الـــزوّار

ثم يلي أسود البرم جبلان يقال لأحدهما أروم وللآخر آرام ، وهما في قبلة الربذة .

وقال الحربي : وعلى ثلاثة أميال من السليلة بركة تعرف بابن حجر ، وقصر خرب ، يمنة ، مدورة ، في واد يقال له ذو بقر .

٣ ــ أَبُو خَيَالة : بفتح أوله وثانيه باء موّحدة ثم واو ساكنة ، فخاء معجمة مفتوحة فياء مثناة مفتوحة بعدها ألف ثم لام مفتوحة ثم هاء : ماء قديم ، وفي ناحيته الشرقية قرن أسود يسمّى : مذروب أبو خيالة ، يقع شرقاً جنوبياً من بلدة الدوادمي وغرباً من ماسل ، وهو لقبيلة الفلتة النفعة من عتيبة ، وإيّاه يعني الشّاعر ذيخان العضياني الروقي من عتيبة :

يَا راكب هِجْن عَلَيْهَـــا الكَلَايِـــــفْ
هِجْن عَلَى قطْع المَرَارْيت صِبّارْ[1]
قِصّوا بهن الدّرْبَ يَآهْل اللّفَايِـــــفْ
خَلّوا شِدَادْ يمين والرّجْمَ جايَسْارْ[2]
وأبُو خَيَالَـــهْ دَرْبهـــنْ بالوُصَايِـــــفْ
وأيَمَنْ معَيْقِلْ دَرْبَ حزَباتْ الأكْوار[3]

---

(١) هجن : نجائب . الكلايف : ما يحتاجه المسافر من أمتعة وأدوات ، المراريت : جمع مروتة ، وهي الصحراء القليلة الشجر ، صبار : صفة مبالغة من الصبر على المشقة .

(٢) قصوابهن : إتبعوا بهن الدرب الأقوم . اللفايف : الخبرة بالطرق وبمسالكها . خلوا شداد يمين : اتركوا جبل شداد يمينا . والرجم : رجم مغيرا ، يكون يسارا عنكم .

(٣) بالوصايف : فيما أصفه لكم ، وأيمن جبل معيقل هو طريقكم بعد أبو خيالة .

وعلى هذا الماء كانت أول وقعة حربية خاضها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله – وحالفه فيها الحظ فانتصر وغنم ، وكان خارجاً من الكويت ، قبل أن يفتح مدينة الرياض ، وكان طريقه في إغارته من شمالي العرض ، شرب من ماء الحفيّرة وتقدمت أمامه عيونه ، ثم أغار على « أبو خياله » في غربي شمال العرض ، وكانت غاراته في تلك الفترة غارات خاطفة ، تتّسم بالحذر والسّرعة وكان لا ينصرف مع الطريق التي يغير منها ، كانت غارته على قبائل من عتيبة فأخذهم ثم واصل سيره وأغار على أخلاط من عتيبة وقحطان على ماء الجثجاثية ، في غربي العرض شرقاً جنوبيّاً من أبو خيالة ، فأخذهم ، وقفل راجعاً مع بطن العرض من فوره ، وقد أشار بعض المؤرخين إلى هذه الوقائع ، قال سمو الأمير سعود بن هذلول : بعد وقعة الصّريف خرج عبد العزيز من الكويت ومعه أربعون رجلاً على أربعين مطية ، يحملون أربعين بندقية ، توجّه بهؤلاء الرّجال من الكويت ، وقصد بهم جهة الأحساء فالتف حوله كثير من العجمان وآل مرة وسبيع والسّهول ، فسار بهم إلى نجد ، وشنّ الغارة بهم على عرب قحطان الموالين لابن رشيد فأخذ أموالهم ومواشيهم ورجع من حيث أتى إلى الأحساء[1] .

ويقول الأستاذ خالد الفرج : كانت الحملة مؤلفة من أربعين بعيراً ليس فيها سوى آل سعود ومواليهم المخلصين لهم ، وقد زوّدهم مبارك بمأتي ريال وثلاثين بندقية وبعض الزّاد ، خرجت الحملة على رأسها عبد العزيز فأمّ البادية يستنفر قبائلها ، فأتاه شراذم من العجمان وانضمّ إليه بنو مرة وسبيع والسهول وغيرهم ، فأتى « حَرض » وقد اجتمع له ما يقارب الألف والخمسمائة ، فشنّ الغارة على قبائل من مطير وقحطان والدواسر وغيرها فأصاب مغنماً ، وظلّ يغزو القبائل التابعة لابن رشيد ويعود إلى الأحساء يتموّن منها[2] . .

كان ذلك عام ١٣١٨هـ . ويقول الأستاذ خالد الفرج في نظمه :

---

(١) تاريخ ملوك آل سعود ٥٨/٥٩ .

(٢) أحسن القصص ١٥ .

فتمشّى بأربعين ذلولا
يضرب البيد عرضها والطّولا
فدعا بدوها قبيلاً قبيلا
وسبيعاً ومرة والسّهولا

فأتوا نحوه رعيلاً رعيلا وأتى حرض بالجيوش الكثار

بَسمَ السّعد مرة في الزمان
وتدانت للقطف تلك الأماني
بيد أنّ العدوّ ليس بوان
أرسل ابن الرشيد نحو ابن ثاني
وإلى الترك كي تسدّ الموانى

فتنادى البداة بالخذلان وتولّوا إلى انتجاع القفار

ما بقي عنده سوى الأربعينا
بعد أن ذاق لذّة الظافرينا
ضربات لو صادفت منه لينا
لأزالت بالشك منه اليقينا
فهي توهي العزم القوي المتينا

فانتحى برهة إلى «يَبْرينا» وقضى شهره بشبه حصار

حالة لو أصابت الصّلد ذابا
فالأعادي قد سدّت الأبوابا
وغدت تلكم الأماني سَرَابا
غير أن الحماس زاد التهابا
رُبّ يأس إلى النجاة أهابا

عقدوا العزم «للرّياض» ذهابا لم يبالوا للفوز أم للبَوار

لقد لبّى الأتراك طلب ابن رشيد فسدّوا أبواب الأحساء في وجه خصمه ،

وصعب عليه تموين جيوشه ، حتى تفرقت عنه خوفاً من أعدائه المتألّبة ، ولم يبق معه سوى الستّين الذين خرجوا معه من الكويت ، على أربعين بعيراً[1] .

قلت : في هذه الفترة القاسية من أيام عبد العزيز وتحت ضغط هذه الظّروف المتأزّمة إنتحى بمن بقي معه إلى واحة يبرين ، أتراه يخلد هناك في شبه حصار ، في فيافي الصحاري ، أو تراه يفقد آماله أو تضعف عزائمه حيال تدابير بن رشيد وأعوانه ، إنّ نشوة الانتصارات في وسط نجد ما زالت تخامر ذهنه ، وإنه ما زال في مسيرة إنتصارات متلاحقة ، وإنّ أهدافه الكبرى لا تزال ماثلة في مخيلته ، راسمة في تفكيره ، إنه وطأ بقدميه بلاداً طالما حنّ إليها ، إنه شاهد بطن نجد ، وسار في فجاجه ، وأغار في جنباته ، وحالفه النصر على ثرائه ، شاهد آثار آبائه وأجداده في بلاده ، وإن هذه الغارات الجريئة التي قام بها في هذه البلاد كانت تجربة موفّقة ، مؤزّرة بالنصر مكلّلة بالنّجاح ، متّسمة بالعزيمة الصّادقة والإقدام ، تعلّم فيها كيف يرتب خطواته وكيف ينظم خططه ، وكيف يؤلف أعوانه ويقود جيوشه ، إنه لن يخلد في يبرين ولن يرجع إلى الكويت ، إنه لن يهدأ له بال ، وقد ذاق حلاوة النصر في تجربته ، ولن يطيب له المقام وقد جنى نتائج إقدامه ثمرة شهية ، ولكنه هناك في يبرين إبتعد عن أعدائه ليرسم خطة لوثبة جرئية ، ويعدّ نفسه لمغامرة خطيرة ، إن له نفساً طمّاحة ، تتطلّع من السامي إلى ما هو أسمى ، إن حلمه العميق الذي يراود نفسه في حركاته وسكناته ، وإن أمنيته الكبرى ، وغايته التي يسعى لها ، وهدفه الذي يرمي إليه ، هو فتح مدينة الرياض ، عاصمة دولة آبائه ، ومركز سلطانهم ، واستعادة مجد تليد وسلطان عريق في هذه البلاد ، كان ينشد إعادته وإشادة بنائه .

وحقاً كانت الوثبة صادقة ، وفاز الصقر في وثبته ، ونفّذ كلّ ما رسمه في يبرين ، وحقّق آمالاً كان يسعى وراءها ، وأشاد مجداً رفيعاً ، فكانت وثبته حدثاً تاريخياً هاماً ، ليس بالنسبة لبلاد نجد ، ولكن لمستقبل الجزيرة العربية كلّها .

---

(١) أحسن القصص ١٩ .

وحدثني أبي – وهو ممن أدركوا هذه الحوادث وله عناية بأخبارها – فقال : إنّ أول غارة قام بها الملك عبد العزيز كانت على ماء (أبو خياله) فانتصر وغنم وواصل غارته على أخلاط من عتيبة وقحطان على ماء الجثجاثية فانتصر وغنم ، ثم قفل راجعاً . ثم أعاد الكرة بعد فترة فأغار على قبائل من عتيبة على الأنجل فانتصر وغنم ثم أغار على آخرين في البكرات فانتصر وغنم وقفل راجعاً ، كلّ هذه الغارات وهو في الكويت .

قلت : إنّ أهميّة هذه الغزوات السريعة هي أنّها أول تجربة حربية خاضها عبد العزيز ، في وسط نجد ، بعيداً عن مركز انطلاقه ، وحالفه فيها النصر ، وحاز فيها الغنائم ، وقسم بين قومه ، فكانت دليل يمن وفاتحة نصر ، دفعته إلى القيام بغارات مماثلة بعضها تلو الآخر ، لمع نجم سعده فيها وذاق حلاوة النصر وإحراز المغنم وقد ذكر أمين الريحاني هذه الغزوات فقال : ركب القائد الشاب على رأس جيشه يقطع الصّمان والدهناء ، فوصل إلى مكان يقال له العرض بنجد ، وغزا هناك عرب قحطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد فأصاب منهم مغنماً كبيراً وعاد إلى ناحية الأحساء[1] .

أبو خيالة أيضاً كالذي قبله : جبل أسود ، يقع شمال هجرة سنام في حمرة العرض يحفّ به من الجنوب وادي الدميثي .

أبو خيالة أيضاً كالذي قبله : ماء عدّ ، يقع في الناحية الشرقية من حزم الدواسر ، شمال وادي الدواسر ، وحزم الدواسر محدد في موضعه .

٤ – أُثْلِث: بفتح أوله ، وثانيه ثاء مثلثة ساكنة ، ثم لام مكسورة بعدها ثاء مثلثة : جبل أسود ، يقع شرقاً جنوبياً من النير ، وإغرباً من ثهلان ، في غربي الأسودة ، بينها وبين نفود العويند ، وفي ناحيته الغربية رس عذب ، وهو في بلاد قبيلة العصمة من عتيبة ، وقديماً كان في بلاد بني عامر ، وإياه عنى الشاعر الشعبي الشّعري القحطاني بقوله :

---

(١) نجد الحديث ١٢٢ .

الدّرْب من بين أثلث والصّدُوْعي والحَمض يمّ الهَضْبَة اللي لها أرواس[1]
وحنّا إلى ذكْرْ الحَيَالهْ نُزوْع نَبرى لقِطْعانٍ على قُبّ الأفراس[2]

الصدوعي : الذي ذكره ماء يقع شرقاً جنوبياً من أثلث ، غير بعيد منه ، ويعني بالهضبة اللّي لها أرواس ، هضبة جبلة ، وهو بذلك يحدّد طريقهم في انحدارهم في فصل الربيع ، وتصعيدهم في أوائل فصل الصّيف ، فهم يعبرون بين جبل أثلث وبين ماء الصّدوعي منحدرين مع وادي الرشا ، وآخذين معه من أعاليه حتى ينتهي بهم إلى هضبة جبلة ، ذات الرؤوس المتناوحة والمناكب العالية ، حيث تلتقي الأودية وتكتظ مدافع الأودية بأنواع الحمض المختلفة ، والحديث عن جبله مستوفي في موضعه .

ولم أر لأثلث ذكراً في كتب المعاجم القديمة بهذا الإسم ، إلا أنه جاء في شعر امرىء القيس ذكر موضع مبدوء إسمه بالياء المثناة بدلاً من الهمزة ، وتحدث عنه ياقوت بهذا الإسم « يثلث » ولا يبعد أن يكون هو أثلث الذي نتحدث عنه ، لأن امرأ القيس ذكر معه في شعره مواضع قريبة من هذا الموضع ، قال امرؤ القيس :

قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين تلاع يثلث فالعريض
أصاب قطيّات فسال لواهما فوادي البدي فانتحى للأريض

ويرى الشيخ محمد بن بليهد أنه هو الوارد في شعر امرىء القيس ، قال : يثلث : جبل في عالية نجد ، يقال له اليوم « أثلث » أبدل القوم ياءه همزة ، وهو واقع بين شهلان ودمخ[3] .

وقال ياقوت : يثلث : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح اللام ، والثاء الأخيرة مثلّثة ، أيضاً : موضع عن الأزهري ، قال أمرؤ القيس :

---

(١) الحمض : نبات ترعاه الابل . يم : عنده وفي ناحيته . اللي : التي .
(٢) حنا نحن ، إلى : إذا . الحيا : الغيث . نزوع : نرتحل عجلين . نبرى : نرافق : قطعان ، أذواد الابل . قب : ضمر الأفراس .
(٣) صحيح الأخبار ١/٨١ .

قعدت له وصحبتي بين ضـــارج وبين تلاع يثلث فالعريض[1]

وقد ذكره البكري ، ولم يزد فيما ذكر شيئاً عما ذكره ياقوت .

قلت : ذكر امرؤ القيس يثلث مقروناً بذكر العريض ، وقد جاء في تحديد العريض ما يدل على أنه قريب من جبل أثلث الذي نتحدث عنه .

قال ياقوت : عَريض : بفتح أوله وآخره ضاد : وهو بمعنى خلاف الطويل ، وهو قنة منقادة ، بطرف النير ، نير بني غاضرة ، وفي قول إمرىء القيس :

قعدت له وصحبتي بين ضـــارج وبين تـــلاع يثلث فالعريـــض

فالعريض : جبل ، وقيل : إسم واد ، وقيل موضع بنجد[2] .

ويبدو أن ياقوتاً يرى أن عريضاً والعريض — معرف — موضعان مختلفان ، ويحتمل أنهما موضع واحد ، فكثير ما يلجأ الشعراء إلى تعريف منكر أو تنكير معرف لضرورة الوزن الشعري ، بل وقد يلجئون إلى تثنية المفرد وإفراد المثنى لهذا الغرض ، وهذا أمر مألوف وشائع في الشعر العربي ، قديمه وحديثه .

وعريض الذي حدده ياقوت في طرف جبل النير قريب من جبل أثلث ، غير أنه لا يعرف بهذا الإسم في هذا العهد ، وقد أصبح يعرف باسم عقب ، بلفظ العقب مؤخر القدم ، قنة سوداء منقادة في طرف النير الشرقي الجنوبي ، وفي ناحيتها الشمالية ، شعاب في صحراء واسعة ، تتجه هذه الشعاب شرقاً شمالياً وتتصل بأعالي وادي الرمادية ، تسمّى هذه الشعاب : المتعرضات ، واحدتها متعرضة ، وهي مشهورة بجودة مراعيها ، ووفرة نباتها ولا سيما الخصاب والوهط ، ويحتمل أن تسميتها « المتعرضات » كانت نسبة إلى العريض الذي أصبح إسمه متغيّراً .

وذكر أبو علي الهجري أن العريض ماء لباهلة غربي ثهلان[3] .

---

(١) معجم البلدان ٥/٤٣١ .
(٢) معجم البلدان ٤/١١٤ .
(٣) أبحاث الهجري ٢٧٠ .

ومعروف أن البلاد الواقعة بين جبلي ثهلان والنير وجبل أثلث كلها متقاربة ، وتختلط فيها مياه باهلة مع مياه بني غاضرة ، ومياهها كثيرة ومتقاربة ، ويرى بعض أعلامها من بعض .

أما المواضع الواردة في شعر إمرىء القيس : فقد استوفيت بحث البدي في ذكر جهام وبحث قطيات في ذكر أم المشاعيب وبحث ضارج في ذكر كف .

أما الأريض : فقد جاء في بعض الروايات : فانتحى لليريض[1] . .

وقال أبو علي الهجري : ثهلان جبل عظيم ، علم أسود ، به الوحوش ، عرضه يوم ، به فلجى وذو يقن ، والرّيان ، والأطياء ، واليريض خسف به ماء[2] .

فذكر أن اليريض من مياه ثهلان ، وقد أوضحت قرب ثهلان من أثلث ومن النير ومن المتعرضات .

٥ ــ **الأُثْلَة** : بفتح أوله وثانيه ثاء مثلثة ساكنة ثم لام مفتوحة بعدها هاء ، بلفظ الأثلة واحدة الأثل ، قرية قديمة ، تقع شمالاً من قرية وضاخ على بعد ستة أكيال ، وشرقاً شمالياً من بلدة نفي على بعد ثمانية وعشرين كيلاً تقريباً ، وهي في متسّع من الأرض على ضفة واد ينحدر سيله شرقاً ، ويفيض في أسفل الرشاء ، وفيها نخيل معمورة ، سكانها من قبيلة باهلة ، انتقلوا اليها من بلدة المذنب ، وعمروها وسمّوها الأثلة ، وسبب تسميتها بهذا الإسم هو أنهم حينما أتوا إلى هذا الوادي ــ وكان خالياً من العمران ــ وجدوا فيه أثلا كثيراً على امتداده ، فأسّسوا فيه بلدتهم وسمّوها الأثلة ، وما زالت بلدة عامرة تابعة لأمارة الرياض إداريّاً عن طريق مركز الدوادمي ، وتبعد عن الدوادمي شمالاً مائة كيل تقريباً ، أميرها فهد بن محمد بن عويويد الباهلي ، مبانيها متأخرة من الناحية العمرانية ، فلا تكاد ترى فيها تجديداً ، ومن أقدم مبانيها برج لآل عويويد ، مبني من الطّين ، سمك جداره يزيد عن المتر ، يتكوّن من طابقين مقام على جانب مدخل قصرهم في نخلهم ، في غربي البلدة ،

---

(١) معجم ما استعجم ١/٢٣٣ .
(٢) أبحاث الهجري ٢١٦ .

وحدثني محمد العويويد – والد الأمير – وهو شيخ طاعن في السن ، أنّ هذا البرج إبتناه جدهم حمود العويويد ، وسكنه حتى توفي ثم سكنه من بعده إبنه محمد حتى توفي ، وسكنه بعد محمد ابنه علي حتى توفي وسكنه بعد علي إبنه محمد وهو المتحدث ، وما زال هذا البرج عامراً يسكنه أهله ، رغم أنه لا يبدو عليه أثر ترميم ، مما يدل على جودة الطين وتماسكه وإحكام بنائه ، وفي حمود العويويد يقول شاعر من عتيبة :

كرِيْم يا نَوّ نَهَضْ من حَـــدَرا نَوّ الخَرِيْف مَلّيــمْ الحِيّـــانِ
يسْقِي غَرِيْس حمُوْد هُوْ والقَصْرَا ويَحدِرْ عَـــلىَ قرّاية الضّيفَـــانِ
أوْلادْ ناصِـــرْ يَـــوْم كـــلّ أزْرَا عَـــدّوْا عَـــلى نَزّالـــة الأوْطَانِ

سكن هذا الشاعر بلدة الأثلة ثم انتقل منها إلى المذنب بلدة النّواصر وسكنها برهة من الزمن ، ثم انتقل إلى بلدة أخرى فلم يجد فيها شيئاً مما كان يناله من عطف أهل الأثلة البَواهل وأهل المذنب النّواصر وكرمهم ، فتذكر حياته في هاتين البلدتين وذكرهما في شعره ، فدعا بسقيا الغيث لنخل حمود العويويد وقصره ، ثم دعا بأن يحدر السّحاب على أولاد ناصر – يعني النواصر – ويسقي بلادهم المذنب ، لأنهم يقرؤن الضّيُوف حين أزرا الناس ، أي عجزوا عن الضّيافة ، ويقول أيضاً في مدح أهل الأثلة :

أهْلِ القصُورْ اللّي مواعِينُهم طِيْن عَسَى الحَيا يذكَرْ علىَ دارُهمْ طَاحْ
صَبّابَة للسّمْنِ فَـــوقْ المواعِينْ لطّامة لِلجَمْعْ الأدهَمْ ونِطّـــاحْ

مدحهم بالكرم ، وعبر عنه باغداق مواعين الطّعام بالسّمن ، وهذه من صفات الكرام ودلائل الجود ، ومدحهم بالشجاعة ، والإقدام ، وذكر أن مواعينهم كانت من الطّين ، وهذا كان في عهد الشاعر الذي عاش مع حمود جدّ العويويد ، وحدّثني محمد العويويد أنه أدرك مواعين الطين تستعمل في الأثلة ، وكانت تصنع فيها ، وكانت نساؤهم تقوم بصناعتها .

وحدثني عن صناعتها فقال : تأخذ النساء طيناً من أرض البلد ثم تضعه في حُفر

ويُسقى بالماء ويخضُّ بعَصىً حتى يذوب ويكون لزجاً ، ثم يستخرج ما فيه من أتربة خشنة ، ثم يُخَضُّ ويترك حتى ينعقد كالعجينة اللّينة ، ثم يؤتى بحجارة هشه (كشّان أخضر) من مكان في وضحى – ووضحى في أعلا وادي وضاخ– ويدق وينخل ، ويؤخذ الناعم منه ويضاف إلى عجينة الطين كثرها منه ويخلط بعضهما ببعض ويكون من مجموعهما عجينة ناعمة ثم تبنى منها المواعين بأحجام وأشكال مختلفة حسب الحاجة فإذا جفت وضع الأصغر في الأكبر لكلّ شكل منها ثم كفيت وبعضها في بطن بعض ثم شبت عليها النار حتى تحمى ، ثم تترك حتى تبرد فتصبح قوية صالحة للاستعمال .

وفي بلدة الأثلة هاجرت قبيلتان من مطير بني عبدالله ، قبيلة ميمون ورئيسهم جهز ابن شرار ، وقبيلة العضيلات من الصّعبَة ، ورئيسهم مذكر بن سحمان ، وكانت مساكنهم في غربي البلدة ، فامتد فيها العمران ، غير أنها أصبحت في هذا العهد خالية خراباً ، لأنهم إنتقلوا منها إلى ربيق ، وانتقل أميرهم مذكر بن سحمان إليها ، وهناك أسّسوا لهم هجرة وعمروا مساكن ، ورُبيق : بلفظ التصغير تبعد عن الأثلة شمالاً مسافة عشرين كيلاً .

أما جهز بن شرار فإنه استقر في هجرته في الأثلة ، وكان له ولدان ، صنيتان مات غازياً في حصار جدة مقتولاً مع عبد العزيز آل سعود ، ومحمد ابنه الثاني توفي ، فامتد به العمر وكبر سنه ، وتولى أمارة المطران في الهجرة مذكر بن سحمان أمير العضيلات ، انصرف جهز إلى العبادة وتزوج امرأتين من البواهل في الأثلة ، الأولى لم تبق معه طويلاً ، وأما الثانية فإنها بقيت معه حتى توفي ، وهي من أسرة آل عويويد أمراء الأثلة ، أخت لمحمد بن عويويد ، وتوفي في الأثلة عن عمر مديد عام ١٣٥٩هـ .

كان جهز بن شرار شجاعاً مغواراً وزعيماً وقائداً فاتكاً ، وكان شاعراً مكثراً ، جيد الشعر طويل النّفَس ، وكان شعره في شبابه تعبيراً عن فعاله وفعال قومه ، وتصويراً معبراً عن كل ما يلاقيه مع أعدائه ، وكان صريحاً في شعره وفي أخباره

فيما له وما عليه من إنتصارات وهزائم . أما شعره بعد أن هاجر وكبر سنّه فهو يختلف عما قبله فهو تعبير عن مشاعره وإحساساته كرجل مسلم أدركه الكبر وتذكر أمر الآخرة وعرف مصير الحياة ، فكان دليلاً على حسن حظّه من الإسلام وخاتمته الخيرة ، رحمه الله .

وقد أفردت لأخبار حمود العويويد مؤسّس الأثلة وأخبار جهز بن شرار وأشعارهما مؤلفاً خاصّاً بهما .

٦ ـ **أم المَشَاعِيب** : أوله ميم بعدها شين مفتوحة ثم ألف بعدها عين مهملة مكسورة ، ثم ياء مثناة ساكنة بعدها باء موحدة : هضبة حمراء صغيرة ، تقع غرباً من بلدة الدوادمي على بعد ثمانية أكيال ، وكان طريق السيارات القديم الآتي من الحجاز إلى الرياض يمر من جانبها الجنوبي ، وإياها يعني الشاعر محمد بن بليهد بقوله من قصيدة نبطيه :

يبي يسنّد سيْدْ كلّ الأعَارِيبْ
له يمْ بيتْ اللهْ منادِيْ وجَذّابْ[1]
لَوَاهَنِيْ داوِرْدْ وأمْ المشَاعِيْب
إنْ مَرْها مُعطِيْ طوِيْلات الأرقَابْ[2]
جَانَا الخبرْ يَا مِرْذِيْ الفِطَّر الشّيْب
إنْ السّفَرْ قد تم لِدْيَارْ الأجنَابْ[3]
قد رَتّبهْ حَامِيْ الونّيَاتْ تَرتيبْ
أبوكْ فَكّاكْ المشاكلْ والأنْشَابْ[4]
إختَارْوا اللّي يحتملْ للمَواجِيْبْ
في خِدْمَةِ الحِضْرانْ والبَدْو الاعرابْ[5]

---

(١) يبي يسند : يريد أن يذهب إلى مكة ، يم : إلى ، جذاب : دافع .
(٢) لواهني : بمعنى هنيئاً ، داورد : من أسماء بلدة الدوادمي ، طويلات الأرقاب : نجائب . الابل
(٣) مزدي الفطر الشيب : متعب ومنهك عتاق النجائب بطول السفر ومواصلة السير .
(٤) حامي الونيات : من يحمي وانيات الخيل والابل في حومة الوغى .
(٥) إختاروا : إشارة إلى اختيار والده للسفر إلى أمريكا ، وثقة والده بكفاءته وحنكته السياسية .

يَا مَا رمُوْكْ بدَرْبْ مَكْرُوْه وصْعِيْبْ
لَوْ هُوْ يحملْ فوقْ صمّ الحَصَا ذابْ[1]
إنْ كَانْ سِلْم ، فِيك للسِّلْم تَقرِيْبْ
وإن كان حَربْ فانت للحربِ مشهابْ[2]
حَظك كبِيرْ وانت منْ طِيْب في طِيْب
من خلقتكْ مَا قَطْ عَنكْ السّعْد غَابْ[3]

قال الشيخ محمد بن بليهد هذه القصيدة في الملك فيصل بن عبد العزيز حينما بعثه والده الملك عبد العزيز لأمريكا للمرة الأولى ، وقد سافر من الرياض إلى الحجاز ماراً بالدوادمي وبأم المشاعيب ليواصل سفره من جدة إلى أمريكا ، عام ١٩٤٣م .

أم المشاعيب أيضاً : هضاب حمر ، بعضها قريب إلى بعض ، تقع في عثعث من الأرض يحف من حولها صيهد أبيض ، تقع شمالاً غربياً من الكودة ، وغرباً من العرائس ، يراها السائر مع طريق السيارات المسفلت شمالاً منه وهو بحذاء جبل النير ، وهي التي ذكرها الشاعر الشعبي محمد العبدالله الهتيمي ، وكنيته أبو نومة بقوله :

وجْـدَاهْ يا جِيْرانَـا كلّ يَوْمِ ... والجارْ يذكر ما جرَى لَهُ مَعَ الجارْ
عَسَى الحيـا يسقي بلاد البقـوْم ... من مِدْلهمّ تـالي اللّيـلْ جَـرّارْ
حَيْثنّهـا مِدْهال عَفْـرَا ردُوْم ... لاسانية حَضْر ولاجـاتْ بِحْوَارْ
عَهْدي بهم يَـوْم الظّعاين قسُـوْم ... بين الخَرجْ وأمْ المشَاعيْب وأبقارْ

في هذه الأبيات قرن الشاعر ذكر أم المشاعيب بذكر الخرج وأبقار ، وهما واقعان جنوباً منها ، غير بعيد بعض هذه الأعلام من بعض ، وانظر لشرحها رسم الخَرج .

---

(١) ياما : بمعنى كم لتكثير العدد ، رموك : وضعوك وكلفوك – يعني والده – في اعتماده عليه .
(٢) فيه تنويه بمهارته وخبرته في شئون السلم ، وشجاعته وإقدامه في ميدان الحرب .
(٣) فيه تنويه بمحالفة النصر له وبنجاحه ، في المهام المسندة له في السلم وفي الحرب .

وأم المشاعيب داخلة في نطاق حمى ضرية قديماً ، واقعة في أعلا الوَضح ، في بلاد بني كعب ابن كلاب ، وقد ذكرها الأصفهاني وحددها تحديداً واضحاً باسم « قطيّات » ووصفها وصفاً جغرافياً ينطبق على أم المشاعيب ، وكذلك ما ذكره ياقوت في وصفها وتحديدها .

قال الأصفهاني : وقال العامري في قول العطاف :

تربّعت في النير من أوطانهـــا بين قطيّـــات إلى دغنانهـــــا

أمّا قطيّات : فلبطن من كعب بن كلاب ، يقال لهم بنو برقان ، وهي في وسط وضح الحمى ، والوضح أرض بيضاء سهلة أنف[1] . أما دغانين فلبني وقاص من كعب من بني أبي بكر .

وقال في موضع آخر من كتابه : وكبشات وهن أجبل ، كبشة لبني جعفر ، وكبشة لبني لقيطة ، وكبشة للضباب ، وقطيّات وهنّ هضبات إلى هذا المكان عن الغنوي[2] .

قلت : ذكر قطيات في عبارته الأولى مقرونة بذكر النير وذكر دغانين ، وهما واقعان جنوباً منها ، وفي عبارته الثانية ذكرها مع كبشات ، وهي واقعة شرقاً منها ، وكلّها متقاربة .

وقال ياقوت : قطيّات جمع تصغير قطاة ، هضبات لبني جعفر بن كلاب بالحمى حمى ضرية ، وقال الأصمعي : قال العامري : وقطيّات هضبات لنا ، وهنّ هضاب حمر ملس بالوضح وضح الحمى ، متجاورات ينظر بعضهنّ إلى بعض ، وهي قلات مياه كعب بن كلاب ، ومياه بنى أبي بكر بن كلاب[3] .

وقد ورد ذكر قطيّات في شعراء امرىء القيس حيث يقول :

---

(١) بلاد العرب ١٦٠-١٦١ .
(٢) بلاد العرب ٩٤ .
(٣) معجم البلدان ٣٧٦/٤ .

أعنّي على برق أراه ومِيْـــــضِ ... يُضيْيء حَبِّياً في شماريخ بِيْضِ
ويَهْـــدَأ تـــارات سنـــاه وتارةً ... يَنُوء كتعْتاب الكَسير المهيْضِ
وتخرجُ منـــه لامعـــاتٌ كأنّهـــا ... أكفّ تلقّى الفوز عند المَفِيْـــضِ
قَعَدت له وصحبـــتي بين ضـــارج ... وبين تـــلاع يثلـــث فالعَرِيْضِ
أصابُ قُطيّـــات فسال لـواهمـــا ... فوادي البديّ فانْتحى للأرِيْـــضِ[1]
بميث دماث في ريـــاض أثيثـــة ... تحيل سواقيهـــا بماء قضِيْـــضِ
بلاد عريضة وأرض أريضَـــــة ... مدافع غيث في فضـــاء عَرِيْضِ
فأضحى يُســـحّ الماء عن كلّ فيقة ... بحورُ الضباب في صفاصف بيْض
فاسقي به أختي ضعيفـــة إذ نـــأت ... وإذ بعد المزار ، غيرَ القَرِيْـــضِ

وفي شعر امريء القيس نجد أن الوصف الجغرافي لبلاد الوضح – قطيّات وما حَولها – يتفق مع ما ذكره أصحاب المعاجم ، فذكر لوى الرمل حولها ، ووصف البلاد بأنها ميث دماث ، ورياض أثيثة ، وأرض أريضة ، وهذا هو الوصف الملائم لبلاد الوضح.

ومن الملاحظ أنه لا يوجد في بلاد الوضح هضبات تغير إسمها الحالي عن إسمها القديم إلاّ هذه الهضبات – أم المشاعيب – في أعلا الوضح ، وهضبة (شرثة) في وسط الوضح مما يلي أسفله ، أما المواضع الواردة في شعر إمرء القيس – يثلث والعريض – فإنهما موضحان في ذكر (أثلث) و (عقب والمتعرضات) أما الأريض فإنه محدد في ذكر ثهلان ، وضارج في ذكر كُف .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن أبا علي الهجري ذكر بلاد الواضح وحدّدها تحديداً واضحاً ووصف أعلامها وجغرافيتها . وذكر قطيّات باسم القطبّيات ، وتبعه في ذلك أبو عبيد البكري فيما نقله عنه ، وهذا خطأ من الهجري رحمه الله أو أنه وقع تصحيفاً من النسّاخ .

---

(١) في بعض الروايات : اليريض .

وسأذكر هنا ما قاله عن وضح الحمى ، ثم أذكر ما ورد في ذكر القطبيّات من الشعر ومن أقوال أصحاب المعاجم ، قال الهجري : أول جبل عن يسار المصعد جبل يُدعى الأقعس ، وهو محدد طويل في بلاد بني كعب بن كلاب ، وهو في ناحية الوضح ، والوَضح : بلد سهل كريم ينبت الطّريفة ، بين أعلاه وأسفله ليلتان ، أسفله في ناحية دار غنى ، وأعلاه عند الأقعس . ثم الجبال الحمر التي تدعى قُطبيّات ، في ناحية دار بني أبي بكر بن كلاب ، وشعر جبل عظيم في ناحية الوضح ، ثم الجبال التي تلي قطبيّات عن يسار المصعد : وهي هضبات حمر يقال لها العرائس ، وهي في الوضح في بلد كريم ، وبين قطبيّات وبين العرايس جبل يقال له عمود الكود ، وهو جبل فارد طويل[1] .

قلت : إشتملت عبارة الهجري على وصف جغرافي دقيق لبلاد الوضح وللأعلام القريبة من هضبات أم المشاعيب ، وتحدث عنها باسم القطبيّات ، ولم يختلف في تحديده أو وصفه مع ما ذكره الأصفهاني وياقوت ، وإنما إختلف معهم في الإسم . القطبيّات :

قال عبيد بن الأبرص الأسدي :

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيّات فالذّنوبُ
فراكسٌ فثعيلبات ... فذات فرقين فالقليْبُ
فعردة فقفا حبّر ... ليس بها منهمُ عَريب
وبدلت من أهلها وحوشاً ... وغيّرت حالها الخطوْبُ

قلت : ذكر عبيد القطبيّات مع مواضع كلها بعيدة عن وضح الحمى ، فذكر ملحوباً والذنوب وراكساً وثعيلبات وذات فرقين وعردة وحبّراً .

قال البكري : قُطبيّات : بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الباء المعجمة بواحدة وتشديد الياء أخت الواو ، قال أبو الحسن الأخفش: إنما هي القطبية بئر معروفة ،

(١) أبحاث الهجري ٢٦٦ .

فضم عبيد إليها ما حولها فقال « القطبيّات » وكذلك قول الآخر « عويرضات » إنما هو عويرضة[1] .

وقال الأصفهاني : القطبيّة لبني زنباع ، وكانت القطبيّة ردهة في جوف سواج[2] .

وقال ياقوت ؛ القطبيّات : بالضم ثم التشديد وبعده باء موحدة وياء مشددة ، أظنه جمع قطبية ، من القطب وهو المزج إسم جبل في شعر عبيد ،

والقطبيّة واحد الذي قبله : ماء لبني زنباع ، وكانت القطبية ردهة في جوف سواج[3] .

وبما ذكرته يتضح تحديد كلّ من قطيّات — التي قلنا أنها أم المشاعيب — والقطبيّات التي ذكرها عبيد في شعره ، وحددها أصحاب المعاجم .

ويبدو لي أن إسم قطيّات أدخل عليه شيء من التحريف وانتقل إلى موضع آخر غير بعيد منها . فهناك حشة سوداء تقع في جمش جهام تسمّى « أم قطا » وهي واقعة في بلاد الضباب قديماً ، وداخلة ضمن حمى ضرية ، إلاّ أنها خارجة من بلاد الوضح ، فأم المشاعيب تقع غرب كبشات في بروث الوضح ، وأم قطا تقع شرق كبشات في جمش جهام .

أما ما ذكره محمد بن بليهد تعليقاً على شعر امرىء القيس فإنه قد أبعد النجعة في تحديده فقال : قطيّات : هضبات جنوب ضرية يقال لها في هذا العهد (مغطيّات) زادوا على قطيّات ميماً وابدلوا القاف غيناً ، وهي واقعة شرق جبل شعر المشهور بعالية نجد ، تبعد عنه مسافة نصف يوم ، ثم ذكر مواضع أخرى[4] .

والواقع أنني زرت هذه البلاد ولم أعرف فيها هضبات تدعى (مغطيّات) ، وهذا التحديد الذي ذكره يتعارض مع ما ذكره الهجري وغيره في تحديدها ، وما ذكروه واضح لا لبس عليه .

سعد بن عبد الله بن جنيدل

---

(١) معجم ما استعجم ١٠٨٢/٣ .
(٢) بلاد العرب ١٢٢ .
(٣) معجم البلدان ٣٧١/٤ .
(٤) صحيح الأخبار ٨١/١ .

في رحاب الحرمين

مع ابن عبد السلام الدرعي في رحلتيه

- ٧ -

وصف الكعبة : قال في الرحلة الكبرى :

وصفتها من داخلها حسبما شاهدت ذلك لما دخلتها ليلاً في جماعة من الفضلاء بعد جهد جهيد وإعطاء ما تيسّر من الدراهم أنها بيت قريب من التربيع نقص من الركن الذي عن يمين الداخل مقدار السُّلم نحو ثلاثة أذرع ، يصعد منه إلى السطح ، وعدد درجها ثمان وثلاثون درجة ، ولهذا السلم باب صغير لا يظهر للداخل إلا إن فتح الباب ، وأرضها مفروشة بالرخام الملوّن ، وقد كسي منها السقف والحيطان بكسوة مخالفة للخارجة في اللون ، فإن الخارجة سوداء كلها والداخلة بياض في حمرة (؟) وفيها مصابيح معلقة بعضها ذهب وبعضها بللار رصافي ملون بلون زَوَرْديّ (؟) ولها ثلاثة أعمدة من خشب مصطفة في وسطها ما بين جهة الحجر ومقابلها من جهة اليمين هو طولها ، وكلّ من الأعمدة الثلاثة قد سُمِّر عليه ألواح من حديد من أسفله مقدار وقفة ، يحكى أن الأعمدة من العود الهندي ، ولم أره في تاريخ معتمد .

ويقابلك وأنت داخل علامة في الجدار جعلت دليلاً على الباب القديم ، وبينها وبين الركن اليماني المستجار ، وهو معدود من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء كالملتزم وهو يقابله من الجهة الشرقية عند زلاج الباب مما يلي ركن الحجر الأسود من داخل نحو صندوقة صغيرة يجعل السادن فيها المفتاح إن دخل وهي من فضة ، يريها الناس للتبرك ويأخذ على ذلك عطاء شاهدت ذلك ، والخشب الذي عليها اللوح ذاهب من ناحية الباب إلى الجهة المقابلة له ، أحدهما رأسه على حد السلم وهو

أقرب الجدار إليها وليس بينه وبينه إلا مقدار ما يُصَلّى فيه ، والثاني بينه وبين الباب ، والثالث عند الباب ولها سقفان أحدهما فوق الآخر ، وبينهما درجة ، وفي السقف طاقات أربع للضوء نافذة إلى أسفلها ، وسقفها الأعلى مما يلي السماء مرخم برخام أبيض ، وبابها من ظاهر مصفح بصفائح من فضة مموهة بالذهب ، وعتبتها العليا مطلية بالفضة ، وإن وقف المتوسط من الناس في المطاف تحت الباب ومَدّ يده جِدّاً ربما وصلت العتبة السفلى ، وميزابها من عود وعليه صفائح الذهب وهو يصب في الحجر – بكسر الحاء – وفي وضعها قال العبدري : يسير نتوء يتبين للمتأمل . قلت : ولم أرَ الآن شيئاً من ذالك وإنما المطاف الدائر بها معه انخفاض عن باقي الصحن ولعله غير بعد زمان العبدري – والله أعلم – وقد أسأنا الأدب فأمعنا النظر والقصد الوقوف على الحقيقة إذ لا دليل أقوى من المشاهدة .

ويذكر كسوة الكعبة ، ويصف الحِجْر والحَجَرَ الأسود ، ويحاول أن يعرف الحُفرة التي بين الباب وبين الحِجْرَ : (سألت عنها بعض علماء مكة ممن لقيته بها فلم يشف لي غليلاً بذلك) ويورد من كتاب « الخميس » لحسين بن محمد بن الحسين ومن تاريخ الفاسي حولها نقولاً يعقبها تساؤلات ، ويقول عن عرض الحِجْر : (نحو ثلاثة الأذرع وتدويره من داخله ثمان وثلاثون ذراعاً حسبما حررت ذلك) .

ثم يصف ما يحدث عن دخول الكعبة من الفوضى فيقول :

واعلم أن البيت في غير أيام الموسم إن أريد دخوله ينصب له سُلّمٌ ، وفي أيامي رأيتها فتحت مراراً ولا أراهم من الإزدحام نصبوا سلماً ، وإنما يتكلف الأول(؟) الصعود على ظهر غيره فيمدّ يده لمن تحته ، وتراهم يتزاحمون ويتحينون أوقات فراغ المسجد كجوف الليل ، ومع ذالك لا يخلو عن زحمة وقلة احترام ، فترى الرجال يتساقطون ويتقاتلون على ذالك ، وربما سالت الدماء ، وربما اختلط النساء بالرجال حتى يتساقط الذكر على الأنثى والأنثى على الذكر ويلتفت بعضهم لبعض ، وأعظم من ذالك ما يقع عند الركنين اليمانيين فقلما يتمكن أحد كل التمكن منهما ،

وأفضى بهم إلى البدعة الشنيعة ، فيقطعون الأوقات بلثمهما ولحسهما خصوصاً الأسود حتى إنْ خلا تشمّ منه بعض العفونات مما يناله من الأيدي والأفواه ، وقد وقع مثل هذا في زمن العبدري وزاد : قد أسقطوا بجهلهم وجفائهم حُرْمته[1] .

نظافة الحرم :

ويُعْجَبُ بالنظافة في الحرم فبعد أن يورد قول العبدري: منهم من لم يُبال بالبصاق وقتل القمل في المسجد وإلقاء الوسخ في داخله . قال : وقد دخلت مسجد دار الندوة فوجدته ملآناً من الأوساخ والقمامات . ووجدت فيه أناساً يشتغلون بأعمالهم من سائر الصناعات . يعقب على هذا بقوله : قلت : وما ذكره من البصاق والقمل ، وفي دار الندوة لم نَرَ منه شيئاً ، وكل ذالك اليوم في الغاية من النظافة خصوصاً المطاف ترى السّدَنَة من العبيد المعروفون بالأغوات يكنسون كل صبيحة مع ظهور الضوء ، وهم في غاية السكينة والوقار والعفاف عن المسألة عكس الذين بالحجرة النبوية .

عن المقام وزمزم :

ثم يتحدث عن مقام ابراهيم بتوسع نقلاً عن الأزرقي وغيره ويصف بئر زمزم ، ولكنه يستاء مما يشاهد داخل قبتها : (تراهم يغتسلون بمآزرهم ، يعطي مريدُ الغسل للسقائين وهم واقفون على التنور وهم جماعة دواوينَ فيصبون عليه دلْواً كبيراً أو دلوين أو ما أراد على حسب عطائه حتى يشفي غليله وهم مع ذلك لا يراعون لها حرمة ، فيتشاجرون على الماء ، ويأخذ أحدهم الدلو فيصبه على نفسه بثيابه حتى وقعوا في تلويث المكان الشريف ، لا سيما وهي في وسط أفضل المساجد : فيجب تنزيه المسجد عن قاذوراتهم ولغطهم ورفع أصواتهم وخصوماتهم قال تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » قال الحافظ ابن كثير : في « تاريخه » وذكر عن عبد المطلب أنه لما حفر زمزم قال : اللهم إني لا أحلها لمغتسل ، وهي لشارب حِلٌ وبِلٌ ، وذالك أنه جعل لها موضعين : حوضاً للشرب ، وحوضاً

---

(١) ص ٢٦٧ .

للوضوء فعند ذلك قال : لا أحلها لمغتسل ، لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه . وبِلٌ بلغة حِمْيَرَ مُبَاحٌ . قال العبدري : ويتقوّلون في ذالك أشياء مالها وجود مثل زيادة الماء في ليلة الجمعة ، وهو أمر مشهور عندهم ، وقد ذكر ابن جبير في « رحلته » أنه قاسه في ليلة الجمعة وهم يتقاتلون عليه وقت زيادته بزعمهم فوجده على حاله ، وبِوُدِّي لو أتاح الله محتسباً يذيقهم النكال ، فإن حرم الله تعالى أولى المواضع بالهيبة ولزوم السكينة .

الأبنية داخل المسجد :

ويذكر ما بداخل المسجد من الأبنية : (وبأزاء قبة زمزم قبة الشراب وهي سقاية الحاج ، ويسقى منها للناس في رمضان ، ويجري إليها الماء في قناة تحت الأرض من قبة زمزم ، وبإزائها بيت صغير هو مخزن الكعبة ، وليس في المسجد أبنية سوى هذه الثلاث قاله العبدري ، ويعقب على ذلك بقوله : (قلت وفيه في صحنه مقامات الأئمة الأربعة للصلاة ، ولا يقال حدثت بعد زمانه ، لأنها حدثت في زمان الإمام ابن الحاجب وهو أقدم من العبدري وحجه إنما كان سنة ٧٧٨ ، ثم يصف تلك المقامات ويذكر سبب إحداثها : (لما تنازع أرباب المذاهب كل يروم الإختصاص بتوليته إمامة المسجد الحرام ، فارتفعت فيها الفتاوي إليه — يقصد ابن الحاجب — بالإسكندرية ، فأجاب بأن غاية ما يقال فيها أنها بمنزلة تعدد المساجد ، ولا يقال على مذهب المالكية إن فيها إعادة الجماعة بعد الراتب إلى غير ذلك مما وقع التهويش[1] به والتشويش على الناس وقد رأيت بمكة تأليفاً في ذلك لبعض علماء العصر من المالكية) .

ويذكر باب بني شيبة القديم ، والأبواب الأخرى ، وما حول المطاف وكيفية إنارة المسجد ، ويتحدث عن الصفا والمروة ومما قال : (وأما المروة فبنيت أدراجاً وفوقها دكان كبير ، والواقف بها لا يستقبل القبلة ، يبقى المسجد لصوب اليمين ، وبإزائها الحلاقون ، فليست بذاك في النظافة لما يقع عندها من اجتماع الناس تتحلق

---

(١) من مآثر حكومتنا الرشيدة إزالة بدعة تعدد الجماعة في المسجد الحرام .

بعد النسك ، فيكثر الشعث ، بل وربما وجدت النجاسة في المسعى ، بل لا تكاد تفارقه من الآدمي وغيره .

تحديد المشاعر المقدسة :

ثم يورد فصلاً (في ذكر محال المناسك خارج مكة) يبدأه بوصف الطريق منها إلى عرفة وأنه : بين جبال في وادي ، فإذا زايل الإنسان البيوت مرَّ بالحجون ومنه إلى المحصب ، ومنه إلى الأبطح ، ومنه — وجبل حراء عن يسارك بمرآي غير بعيد — إلى منى ، ومنها للمزدلفة ، ومنها لعرفة ، وعدد الأميال من مكة إلى عرفة أثنا عشر ميلاً لا تزيد ولا تنقص ، قاله الأزرقي ، وضبطه المشارقة أيضاً بست ساعات بالمشي بالهوينا . والمزدلفة أوسع وأوطأ من منى ، والمشعر الحرام منها فيما يلي منى ، وحدُّ المزدلفة مما يلي منى مُحَسِّر ، وهو واد صغير هنالك قدر رمية الحجر . قال الشيخ أبو سالم[1] : وهو أول ما تحاذي البركة الخربة التي على يسارك إن مررت بطريق الأركاب وأنت ذاهب إلى منى ، حتى تأخذ في الطلوع إلى منى ، وترتفع بك الأرض ، وبهذا عَرَّفَهُ أعلم أهل عصره بالمناسك خليل المكي حسبما نقله عنه البلوي في رحلته إذْ سأله عن حَدّه) .

وحدها — يعني المزدلفة — مما يلي عرفة — مأزما عرفة ، وهما جبلان مكتنفان للطريق أفسح من مأزمي منى . قال ابن حريج : قلت لعطاء : ما حدّ المزدلفة ؟ قال : من مأزمي عرفة إلى مُحَسِّر ، وليس المأزمان منها ولكن منتهاها فقف بأيها شئت .

ومن محسّر إلى مسجد مزدلفة نحو الميل ، ومن مسجد مزدلفة إلى مسجد عرفة (؟) أربعة أميال ، وهو مسجد كبير على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى الموقف ، مستطيل من الشرق إلى الغرب ، وفي غربه ويعرف بمسجد ابراهيم عليه السلام ، وهو في أصل عرفة (؟) وقل من يعرفه من الحجاج لأن الموقف وراءه بميل ، وهو

---

(١) «العياشية» ١/١٦٥ .

على وادي عرفة ، والوادي هو بطن عرفة ، ويقال إن حائطه القبلي على حدّه ، ولو سقط ما وقع إلا فيه . قال العبدريُّ : وليس المسجد على حدّ الحرم ، بل ذكر الأزرقي أن من حدّ الحرم إلى مسجد عرفة ألف ذراع وستمائة ذراع وخمسة أذرع ، ونمرة حبل على اليمين إذا خرجت من مأزمي عرفة ، وعليه أنصاب ، وتحت الجبل غارٌ ذكروا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نزله ، وبين الغار (؟) والمسجد (؟) الفا ذراع وإحدى وعشرون ذراعاً قاله الأزرقي .

وحدود عرفة : البسيط الذي أحاطت به جبال الموقف ، والذي منه يميناً ويساراً إلى التي فيها هذا المسجد والمأزمان من جهة مكة ، وبطن عرفة . قلت : وقد اتفق لي ما اتفق للعبدري في رحلته ، فقد سألت عنه عربياً من سكانها فأجاب بأن البطن هو هذا الوادي الذي عليه مسجد نمرة ، وعرفة بلاد ، وأشار بيده إلى جهة اليمن ، ونحن إذ ذاك مستقبلون جهة مكة . وفي العبدري التعبير باليسار ، ولعله سأله وهما مستقبلان عرفة فلا تخالف — والله أعلم — زاد العبدري : وسألته عن العلمين المنصوبين على الطريق في وسط بسيط عرفة فقال لي: إنما بناهما الأمراء احتياطاً على الناس ألاّ يتقدموا فيخرجوا من عرفة قبل غروب الشمس ، فأوهموهم أن العلمين حدّ عرفة وهما في وسطها ، حتى يكون من تعجل لا يخرج من عرفة إلا بعد الغروب . ثم ذكر أن بعرفة عين ماء جارية عذبة . وقال : (وقد حدثت بدعة بها حسبما شاهدنا ذلك وهي أن الإمام وهو واقف بها يخطب ويخلل خطبته بالتلبية ، فإذا وصل محلها لبّى بلسانه يسمعه من يليه ويشير لمن لم يسمعه بطرف ثوبه فاتخذها الناس سنة ، فجعل كل من بالموقف يشير بثوبه ويلبي ، فاعتقد العامة بذلك أن الإشارة بالثوب مزية يتقربون بها وما هي إلاّ بدعة يجب إنكارها ، ووصمة في الدين يجب إخمادها) .

وقال : وأما منى ففيها مشاهد أعظمها مسجد الخيف وهو تحت جبل ثبير ، هكذا قال أبو سالم[1] ، وفي القسطلاني في باب طواف النساء مع الرجال من البخاري

(١) نص كلام أبي سالم : وكان نزولنا وراء المسجد قرب الغار الذي نزلت فيه سورة المرسلات على النبي (صلى الله عليه وسلم) وخبره مذكور في الصحيح ، وقد بنى على بابه محوط شبه مسجد صغير ، والناس يقصدونه للصلاة فيه والدعاء وهو في أصل جبل ثبير ، بينه وبين مسجد الخيف رمية بحجر (العياشية ١٩٨/١) .

ما نصه : ثبير جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب منها إلى منى وعلى يمين الذاهب من منى إلى عرفات وبمكة جملة جبال أخرى يقال لكل منها ثبير ، كما ذكر ياقوت والبكري هـ. وفيه أيضاً : في باب منى يدفع من المزدلفة – بعد ذكر ما تقدم ونسبته للإمام النووي ما نصه : قال صاحب « نيل المرام في تاريخ البلد الحرام » : وهذا غير مستقيم لأنه يقتضي أن ثبيراً المذكور في صفة الحج بالمزدلفة لا بمنى على ما ذكر المحبُّ الطبريُّ . قال المجد الشيرازي في كتاب « الوصل والمُنى في بيان فضل منى » : قول النووي مخالف لإجماع أئمة اللغة والتواريخ . هـ. وفي كتاب « الإعلام» خلافه وهو : ثبير عن يسار الذاهب إلى عرفات وهو أعرف لأنه من سكان الحرم ، وأهل مكة أعرف بشعابها) .

مسجد الخيف :

ويصف مسجد الخيف : (لم يسقف منه إلا أربعة صفوف لناحية الكعبة ، وباقيه صحن كبير ، وفي قبة لها أبواب وهي محل فسطاطه (صلى الله عليه وسلم) وكل ثمن منها أربعة وعشرون قدماً .

وفي « الرحلة الناصرية » أنها موضع خباء علي بن أبي طالب . قال الشيخ أبو سالم : يسمى مسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قيل إنه أول من بناه ، وهو موضع نزول النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه في حجة الوداع ، وطوله من المحراب إلى الباب الذي يقابله اربعمائة ، وعرضه ثلاثمائة وأربعون . هـ . وهذا المسجد اليوم قد تخرب بعض جداره الشرقي ، وامتهنه أكثر الركاب (؟) بنشر اللحوم وإراقة الدماء ، حسبما شاهدنا ذلك ، ترى الرجل يعمد إلى إبل أو غنم مذبوحة فيأتي باللحوم فيملحها وينشرها فيه من غير نكير ، والذباب يجتمع عليها ، بل ربما رميتْ فيه العذرة وأنواع الكناسات والأقذار والرؤوس بدمائها حتى حصلت النتونة الفاحشة في المسجد ، ولم يقتصروا على ذلك بل أفضى بهم قلة التحفظ وكثرة التهاون إلى إيقاد النار فيه للطبخ والشي ونحو ذلك حتى اسودت جُدرانه ... والبناء الموجود فيه اليوم وفي مسجد نمرة من عمل قايتباي .

الآثار في منى :

ويذكر ما اعتاد الحجاج زيارته في منى من الأمكنة ، ولا يُعنى بالتثبت والتحقيق في صحتها من الناحية التاريخية فيتحدث عن (غار المرسلات) و (مسجد النحر) و (مسجد الكبش) و (مسجد الحلق) بجنب جمرة العقبة يقابل حوانيت الحلاقين ، ويوصي بالتفطن لفعلهم فإنهم لا يستوعبون الرأس بالحلق بل ربما اقتصروا على بعضه قائلين : يكفيك هذا وقصدهم استكثار الأجرة ، ويذكر (مسجد البيعة) محدّداً مواضع تلك المساجد ، وليس مُحقّقاً فكثير مما ذكر لا أصل له .

الآثار في مكة :

ثم يورد فصلاً (في ذكر أماكن تقصد بمكة وخارجها للزيارة والتبرك) ونحن نحاول عرض الكتاب لا استحساناً لكل ما جاء فيه ، ولكن لنوضح للقارىء محتوياته توضيحاً لا نقصد من ورائه إلا أن يكون مطابقاً للواقع ، وقائماً على أساس من الأمانة العلمية في عرض أقوال المؤلف وآرائه بطريقة موجزة ، ونحاول عبثاً إذا أردنا من عالم عاش في بيئة صوفية وفي عهد جمود فكري أن يكون على درجة من صفاء العقيدة ومن صدق النظر تلائم عصرنا الذي نعيش فيه .

فمن المواضع التي ذكرها — ١ — الحجر الذي في زقاق الحجر — ٢ — دار أبي بكر الصديق — ٣ — منزل خديجة — ٤ — البيت الذي ولد فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد نقل عن أبي سالم قوله : قد علم من كتب السِّير ما وقع من الإختلاف في مولده (صلى الله عليه وسلم) هل هو بمكة أو بالأبواء ، وعلى الأول فهل بالشعب أو بالمحصب ، ولا أدري من أين (أخذ) الناس تعيين هذا المحل بالخصوص ثم أطال القول في استبعاد ذلك كمولد علي وغيره — ٥ — دار الأرقم — ٦ — مسجد الجن قال : ويقال له مسجد البيعة وموضع الخطّ — ٧ — مسجد بأعلى مكة عند بئر جبير بن مطعم — ٨ — مسجد الشجرة ، يقابل مسجد الجن — ٩ — مسجد عبد الصمد بن علي عند سوق الغنم — ١٠ — مسجد ينسب لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بأسفل مكة يسمى دار الهجرة — ١١ — مسجد المتّكأ — ١٢ — المُدَّعَى

وقال عنه : ويقال المودع وهو في زقاق يبقى عن يسارك وأنت مستقبل القبلة ، والأسطوانة جعلت علماً على موضع وقوفه (صلى الله عليه وسلم) لما قدم مكة ورأى البيت وقف داعياً فقيل المدّعى ، وقيل : به ودع النبي (صلى الله عليه وسلم) أهل مكة في حجة الوداع — ١٣ — مشهد عبد القادر الجيلاني ، وهو رباط يجتمع به من ينتسب إليه — ١٤ — معبد الجنيد وابراهيم ابن أدهم — ١٥ — مقبرة الحجون وقال عنها :

ومن أعظم ما يزار بمكة الحجون ، وهو الآن مقبرتان بينهما الطريق الجادّة النازلة من كداء — بالفتح — وبه قبر أم المؤمنين ، خديجة (رضي الله عنها) ومعها أولادها الذكور في قبة ، وفيه قبر عبدالله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه) وأخوها عبد الرحمن ، وبه — على ما قيل — قبر آمنة والدة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقيل : قبرت بالأبواء ، وبه من العلماء والصالحين ما لا يكاد يحصره العدُّ ، فمنهم أبو طالب مكي (؟) وأبو السعود والنسفي صاحب العقائد ، والحطاب شارح مختصر خليل ، وسيدي عمر الأعرابي ، وبه قباب الشرفاء العلويين الأمراء بمكة .

— ١٦ — قبر عباس بن مرداس وعباس بن عبدالله بن عباس ، « قال عنهما : بداخل البيوت في قبة صغيرة ولم يحدد موضعها — ١٧ — جبل أبي قبيس وذكر أنه صعده وقال إن فيه مغارة يقال أنها قبر آدم ، وبه مسجد يقال له مسجد ابراهيم ليس بالخليل (ع.م) وبأعلى الجبل دهليز به عظام الرؤوس ، يحكى بل تواتر عند أهل مكة أن من أكل رأساً مشوياً فيه)[1] .

— ١٨ — قبة على الجبل الذي على يسار الذاهب إلى الشبيكة يقال أن فيه مولد عمر (ض) — ١٩ — غار حراء قال : واشتهر عند العامة من أهل مكة وغيرهم بجبل النور ، وهو جبل عن يسارك وأنت ذاهب من مكة إلى منى بمرآي من العين ، على ثلاثة أميال من مكة ، وهو جبل شامخ وبأعلاه قبة ظاهرة ، قيل : بنيت على

---

(١) كلام غير واضح ، وفي إحدى الرحلات (أمن من الصداع) .

موضع تَحَنُّثِهِ (ص) تُرى من المسجد الحرام ، وبه بدا نزول الوحي وبه نزل على النبي (ص) إقرأ ، ثم المزمّل والمدّثّر ، والغار في أعلاه وبإزائه صهريج ماء يجتمع أيام المطر ، سايغ عذب شرابه — ثم أورد من كلام السهيلي وغيره طرفاً مما ورد في هذا الجبل ، وذكر أنه لم يستطع الوصول إليه — ٢٠ — مسجد الجعرانة حيث أحرم النبي (ص) بعمرةٍ ، وقال : وهذا الموضع قد هُجِر اليوم الإحرام للعمرة منه ، ويعبّر عنه بعض العامة بالعمرة القديمة ، وجُلُّ الناس لا يعرف أنه ميقات للعمرة ، بل ربما جَهّلوا من طلب الإحرام منه — ٢١ — مساجد عائشة بالتنعيم ونقل عن كتاب « الإعلام » لقطب الدين الحنفي قوله : وهذا المسجد فوق التنعيم ، على يمين[1] (...) وقد تهدم ، وما بقي منه إلا آثار جدران قائمة[1] (...) النبي (ص) عائشة مع أخيها عبد الرحمن لتعتمر منه ، ولا يصل المعتمرون إليه ، بل يقتصرون على أجبال الحرم ، ومسجد عائشة يتعين تجديده لأنه من الآثار المباركة ، وقد تركة الناس ، واقتصروا على[1] (...) بالأحجار بمحاريب ، وهناك صهريج يمتلىء من المطر من قديم ، ثم جعلت الآن بئر يمتلىء منها — ٢٢ — الطائف خارج مكة ، وبه مشاهد منها ضريح سيدنا عبدالله بن عباس (ض) — ٢٣ — جدّة مرسى على البحر القلزمي ورد في فضلها آثار ، وبها قبر أمنا حوّاء على ما اشتهر من الأقوال — ٢٤ — مسجد بذي طوى كان عليه السلام ينزل هناك تحت سمرة في موضع المسجد ، وبنته زبيدة .

العلماء بمكة :

ثم ختم كلامه عن مكة بذكر من لقيه من الفضلاء ، وما رآه فيها من الكتب النادرة فقال : فصل في ذكر من لقيته بمكة من الفضلاء وأخذت عنه من النبلاء اعلم وفقنا الله تعالى وإياك أن مكة اليوم ليس بها من يُرجع إليه في المعضلات ، ولا من يصلح للتمثيل بين يديه ، وقديم في زمن المحبّ الطبري قال العبدري : ضعف العلم في هذه البلاد لضعف العيش بها ، والناس مع الدنيا وصاحبها .

---

(١) كلمات غير واضحة .

أما المالكية فلم أرَ بها بعد البحث إلا المجاورين منهم ، وأولاهم بالتقديم الشيخ أبو زيد – المذكور قبله[1] – وله مماسَّة بالعربية واللغة والقراءة وغيرها ، أوقفني على حواشي على « القاموس » في نحو ست كراريس ، ومحصلها التشنيع عليه في الرد على الجوهري ، وتكلم معه المحشي في نحو ثلاثمائة مسألة ، وغالبها نقل من أصله ، وقد وهبني منها نسخة ، تقبل الله تعالى منه ، وشكر سعيه .

وسألني عن نازلة تنازع فيها أرباب الفتوى والمذاهب أيام حجنا وهي أن رجلاً حلف بالحرام وحنث ووقع وأنكر أن يكون حلف ولا حنث ، فشهد عليه عدلان فاعذر إليه فيهما ، فجرحتهما بَينة بأنهما يبعثان لأرباب الذمة بجدة مايبعثاه (؟) من السلع وهما ينوبان عنهم في بيع ما وجهوه إليهما من مثل ذالك أيسمع هذا التجريح ويعمل بمقتضاه حتى ليلزم (؟) الرجل حنث في زوجته ؟ أم لا يعمل به لجواز البيع والشراء مع الذميين وأن يكون المسلم وكيلاً عنها في ذالك ؟ فأجبت بأنه لا يجرح الشاهد بما ذكر لجواز الإقدام على ذالك ، نعم إن ثبت على الشاهد أنه يدخل عليهما الربا من الذميين بذالك ، أو يداخلونهم مداخلة تمكن محبتهم في قلبه فلا شك أنها جرحة فيه .

وسألني عن متعلقات حروف الجرّ ونحوها ، من كل مقدر لا بُدَّ منه في صحة المعنى كالمبتدا أو الفاعل والمفعول هي من القرآن . فأجبته بأن السؤال قديم – ثم نقل من إحدى حواشي تفسير البيضاوي كلاماً في الموضوع .

وقال بعده : ومنهم الشيخ المنيس (؟) يعرف هناك بالتونسي وهو في الحقيقة الزواوي ، اجتمعت به وذهب بي لبيته ، وأضافني في جماعة من الفضلاء ، وله مماسة ما بفقه مالك .

وأما الحنفية كالشافعية (؟) فلهم اليد الطولى في الحرمين الشريفين في طلبة وغيرهم ، ومنهم الأئمة والقضاة والمفتون ، ولم ألق إذ ذاك بعد البحث من يصلح للأخذ عنه .

---

(١) لم أجد قوله عنه .

وأما الحنابلة فما أضعف مذهبهم في مصر والحرمين ، وأكثرهم اليوم بالشام ، وفيما وراء النهر وغالبهم – على ما يحكى – أهل عقائد فاسدة فيما بين رافضي وغيره ، ولم ألق بمكة منهم إلا إمام مقامهم وهو الشيخ علي ، فهو يدعى معرفة فقه ابن حنبل ويفتي في مذهبه من غير منازع له :

خلت الديار فَسُدت غير مسوّدِ ومن الشقاء تفردي بالسُّؤدُدِ

بحث عني حتى اجتمع بي تجاه الحِجْر ، بقرب دار الندوة ، وقد صاحب معه ضيافةً ، تقبل الله منه ، وأخبرني أنه كان أخذ العهد الناصري من عمنا الشيخ أبي يعقوب يوسف بن محمد طيب الله ثراه ، لما حج سنة أحد (؟) وستين .

نعم من منن الله تعالى وعظيم مواهبه أن اجتمعت بعد البحث[1] (؟) .

وعن الواردين من سائر الآفاق تجاه البيت قبالة الميزاب بمحدث الشام في وقتنا ، وهو الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن عُبيد العطار الشافعي إمام مسجد دمشق والمدرس به ، وكان – والله – من الأولياء والصالحين ، والعلماء العاملين ، فرأيت رجلاً خاضعاً خاشعاً ذاكراً ، لا يتكلم إلا فيما يعنيه ، وكان أمثل من رأيته في سفري من لدن خروجي من مقري ، فتفاوضت معه بمسائل علمية ، فكان مما استفدته منه وقد جرى ذكر مسند الإمام أحمد بن حنبل . لما اشتريت الثلث الوسط منه بالمسجد الحرام ، وأكمله الله بعد بمصر ، قائلاً : فيه أربعون ألف حديث – يعني بالتكرار وإلا فالذي فيه من غير تكرار ثلاثون ألف حديث – لم يتكلم معه فيها إلا في ستة ، أجيب عن الخمس (؟) . وبقي الباقي بلا جواب ، وهو : « يدخل الجنة عبد الرحمن بن عوف حَبْواً » قال : وهو موضوع . قلت : وقد وقعت – بعد ذالك – على رسالة للحافظ ابن حجر وهي بالخزانة الناصرية سماها : « القول المسدّد ، في الذبّ عن مسند الإمام أحمد »[2] ومحصلها : أن شيخه الحافظ العراقي سُئِل : هل في مسند

---

(١) أصاب الصفحة بلل فلم تظهر كثير من الكلمات .

(٢) في الهامش حاشية عن طبع المسند وطبع رسالة ابن حجر .

أحمد حديث ضعيف أو موضوع ؟ فأجاب : أن به بعض ذالك ثم استرسل في الحديث ناقلاً عن « القول المسدد » .

وسألته : أترفع نسبك لصحابي من أصحاب النبي (ص) ؟ وأنا قد توسمت منه الشرف المصطفوي فقال : لا يرفع نسبه إلا من تقدم في آبائه علم ، وأنا لم يتقدم في آبائي علم ، فازددت بكلامه هذا فيه محبة لما قام عليه من الصدق ومراقبة الجليل سبحانه ، ولما جالسته مراراً عقدنا عقد الأخوة في الله تعالى بعد أن كان هو السابق لطلبها من حسن ظنه واعتقاده ، ثم طلبت منه الأجازة فامتنع إلا بأني أجيزه كولده معه وقد صاحبه واسمه الشيخ عبد الوهاب ، يفعل كل مناما طلبه منه صاحبه ، بعد قوله : على شريطة إجازة الأقران . ونص ما أجازني به وكتبه لي بخطه تجاه الكعبة الشريفة[1] : بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ومن نقلوا لنا أقواله وأفعاله وأحواله ، وبعد فقد اجتمعت تجاه بيت الله بالأخ العالم الفهيم البارع بالمعقول والمنقول سيدنا الشيخ محمد بن عبد السلام من ذرية الإمام ابن ناصر ، وطلب مني إجازة الأقران ، ولشيخه أبي العباس أحمد بن الحسن من حفدة ابن ناصر للتبرك ، ولاتصال الأسناد ، فإن الأسانيد أنساب أهل الحديث فامتثلت لأمره رجاء بركته وبركة أصوله وأجزتهما عن الشاميين الشيخ علي بن كزبر ، والشيخ اسماعيل العجلوني . والشيخ محمد الغرفي (؟) والشيخ أحمد المُنيفي (؟) والشيخ علي الجنيني كلهم عن الشيخ المحقق عبد الغني النابلسي الصوفي صاحب التآليف الكثيرة وعن أبي المواهب وعن محمد الكاملي (؟) وثلاثتهم عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي صاحب الثبت ، وهو عن الشيخ حجازي الواعظ المعمر ، وهو عن الشيخ محمد ابن ارْكاس وهو عن سيدي الحافظ ابن حجر قدس الله سره ، وأرجو منهما الدعاء لي ولذريتي بالتوفيق لمرضاة الله

---

(١) في الهامش : إجازة للمؤلف وإجازة المؤلف له وانظر الفهرسة الجامعة للإمام ابن عبدالسلام في هذه الإجازة صحيفة ٨٤ منها .

وحسن الختام . كتبه أحقر الورى أحمد بن عبيد العطار الشافعي الإمام في مسجد دمشق الأموي .

الكتب النادرة :

وقال : فصل في ذكر ما شاهدته بمكة من الكتب مما لم أكن رأيته ، أوْ إلاَّ نادِراً في خصوص خزانتها :

مجلدان من[1] (...) التلمساني على الحلاب إلى الحج ، فأعجبت[1] (...) وكتاب المجمل في اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس[1] (...) (...) في مجلد كثير الفوائد ، سهل التناول والأول من (...) الفاكهاني على الرسالة (...) آخر الصلوات وهو شرح عديم النظير .

وحواشي الشيخ زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي[1] (...) على عادته في مؤلفاته في سفر (...) وتبصره[1] (...) في أربعة أسفار بخط حسن مغربي من أحباس المسجد الحرام ولم أكن رأيت منها في عمري إلا قسطاً في الخزانة الناصرية .

وبمكة من الكتب سيما فقه الحنفية العجب ، وهي كاسدة جداً لا يكاد يباع منها شيء إلا بالموسم .

ومما وجدته يباع بالمسجد الحرام : صحيح ابن حبان ، ومشكل الأسماء والآثار للطحاوي وهو كتاب كبير ، والمؤتلف والمختلف للذهبي ، والتجريد له ، مختصر جامع الأصول ، وعندنا في الخزانة الناصرية في[1] (...) ومما وجدته يباع أيضاً : الأحاديث المختارة للضياء المقدسي ، أبو الحسن الأسنائي (؟) على مسند الإمام أحمد ، في ثلاثة أجزاء ، وقد اشترى لأميرنا نصرالله ، فجيء به له ، وسنن الترمذي ، والنسائي وهما بالخزانة الناصرية كبقية الستة .

(للحديث صلة)

---

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة في المصورة .

مكة المكرمة في القرن السابع

كما في رحلة التجيبي الأندلسي

فضل العلماء المغاربة في ميدان الرحلات إلى الحج مما لا يجهله أحد ممن عني بدراسة التراث العربي .

والرحّالة القاسم بن يوسف بن علي السبتي التجيبي المولود في حدود سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م) المتوفي سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩م) من أولئك العلماء الأفذاذ الذين رحلوا إلى المشرق وسجلوا ما شاهدوه وتعتبر رحلته باعتبار ما وصل إلينا منها من أوفى الرحلات وأدقّها تَفْصيلاً ، وخاصة ما يتعلق بمشاهير علماء ذلك العصر .

وقد تحدثت في كلمة موجزة عن تلك الرحلة[1] وأشرت إلى وجود قطعة منها[1] في دار الكتب القومية في مدينة تونس .

وقد قام أخونا وصديقنا الأستاذ عبدالحفيظ منصوربتحقيق تلك القطعة فقدم لها بوصف موجز تحدّث فيه عن المخطوطة ، بعد أن ترجم المؤلف ، وأشار إلى بعض ميزات رحلته ، ووضع لها فهارس وافية وطبعت طبعاً حسناً بمطبعة (الشركة التونسية لفنون الرسم في تونس) ووقعت المطبوعة في ٥٥٧ صفحة .

وهذه القطعة من رحلة التجيبي تبدأ بالحديث عن مدينة القاهرة ، وتنتهي بوصف مبيت الحجاج بمنى ثم ينقطع الكلام بعد قوله : (فخرجت من مكة شرفها الله في بقية يوم الخميس المذكور بقصد منى ، ووصلتها ليلاً وقد تقدم ذكرها في هذا التّقْييد بما أغنى عن إعادته — فأقمنا بها إلى نحو الثلث الآخر من الليلة المذكورة ،

---

(١) مجلة العرب ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) .

ليلة الجمعة . ورحل الأمير المصري وتبعه سائر الناس ، وكانت السنة أن يقيم الناس بمنى حتى يصلوا الصبح ، وتطلع الشمس وحينئذ يرحلون إلى عرفات فلم يفعلوا ذلك ، ورحلنا معهم اضطراراً لا اختياراً ، بسبب ما يُخَاف من أذى بني شُعبة المغيرين على) ...

جدة في أواخر القرن السابع :

ولقد قدم الحجاز بطريق البحر فركب السفينة من عيذاب إلى جُدّة فأرسى في مرسى أبْحُر ، ووصفه قائلاً : (وهذا المرسى من أحسن المراسي وضعاً ، وهو شبه خليج من البحر ، يدخل في البر ، والبر مطيف بحافتيه ويُكنُّ من جميع الأرواح ، وبين هذا المرسي وبين جدة نحو ساعتين من نهار) ثم ذكر بلوغه مدينة جدة بعد ٢٤ يوماً من عيذاب بلغها في ٨ رمضان سنة ٦٩٦هـ ونزل بدار أحد كبرائها ، وسماه الشيخ الأجلّ ظفر ، ووصفه بحسن الأخلاق وطيب النفس ، وذكر أن المسافة بين عيذاب وجدة نحو ٢٠٠ ميل ، وأنها تقطع في الغالب في يوم وليلة ثم ذكر مدينة جدة وقال (هي بضم الجيم لا غير ، والجُدة بالضم والجِدة بالكسر شاطىء البحر والنهر (كذا قال وقوله محلُّ نَظَرٍ . وأضاف : (وأصل الجُدّة الطريق الممتدة ، ويقال إنها سميت بأبي جدة جرم بن ربّان نزلها فعرفت به كما عرف كثير من البلاد بمن نزلها من الرجال .

ويقال : إن هذه المدينة كانت من بناء الفرس وأن ملوكهم كانوا ينزلونها للتجارة ، لأنها كانت محط السفن من الهند ومن عدن وعيذاب والقلزم وغير ذلك .

وزعموا أنه كان في بعض دورها قباب سامية محكمة البناء ، كانوا يجعلونها علماً على من بلغ كسبه مائة ألف دينار ، وكان أهلها موصوفين بالغناء وكثرة المال بخلاف ما هم عليه الآن ، فإنهم من أشد الناس فقراً ، ومن أكثرهم على الجوع صبراً ، وقد تهدم اليوم أكثر بنائها ، وأكثر بيوتها الآن الأخصاص ، وأكثر شرب أهلها من جباب منقورة في الحجارة بخارج المدينة ، وأكثرها يُمدُّ بعضه بعضاً ، وهي من الكثرة بحيث لا يكاد يبلغها الحصر ، عاينّا منها ما لم نقدر على

إحصائه ولا عده مما يدل على أن البلد كان عظيماً آهلاً فيما تقادم من الزمان ، حسب ما ذكرت وبها الآن إقلاع وحطٌّ ، يُسافر منها لليمن ولسواكن وعيذاب والقلزم وغير ذلك . وبها مصايد للسمك ، ومنها يحمل إلى مكة وغيرها ، وفي هذه المدينة مسجد موصوف بالبركة ، ينسبونه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأبى ذلك بعضهم وقال : إنّما هو منسوب لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، ولعله أصح . وفي هذا المسجد عمودان من خشب الأبنوس ، وبسببهما يعرف بمسجد الأبنوس ، ما رأينا قط قدرهما من الأبنوس .

وعَايَنّا أيضاً بخارج هذه المدينة قبة مبنية ، زعموا أن بها قبر أم البشر حوّاء عليها السلام ، وقد صور بداخلها صورة قبر . . . وأهل العلم يأبون أن ذلك موضع قبرها ، ويقولون إنما هو موضع نزولها من الجنة .

وبهذه المدينة عامل من قبل الشريف أبي نُمَيٍّ الحسني ملك مكة — شرفها الله — يقبض مكوسها وضرائبها التي تؤخذ من الحجاج ... أخذ منا من غرائر الطعام نحو ربع كل غِرارة ، وألزم أيضاً من كان له متاع أن يؤدي ضريبةً أخرى على المتاع . ولهم أيضاً ضريبة أُخرى على الجمال التي يكتريها الحجاج لركوبهم ، وحمل متاعهم ، وأزوادهم ، ويرفع جميع ذلك للشريف أبي نُميٍّ) .

ولم يتمكن الرحالة من السفر من جدة إلى مكة إلا بعد أربعة أيام بسبب تعذر الجمال ، فغادرها في الثاني عشر من شهر رمضان سنة ٦٩٦ ونزل بموضع يدعى (البرابر) جمع بربري بمقربة من واسط ، وبمقربة من الجديد الذي وصفه بأنه (حصن الشريف أبي نمي جديد محدث بناه الشريف وأتقنه وابتنى فيه الدور والمواضع الحسنة ، وفيه نخيل وماء جارٍ وكثير من أنواع الخضر) .

وقال عن البرابر بأنه (فسيح الساحة ، كثير النخل ، وفيه نهر جارٍ ، ترده الإبل والأنعام) وكان نزوله فيه على ما قال (بإزاء حديقة عظيمة يدعونها بحائط قريش والماء جارٍ في وسط هذه الحديقة) ثم ذكر مروره بالتّنْعيم وبثَنيّة كُدَيٍّ ، وأنه رأى بقربها على قارعة الطريق كومين عظيمين من حجارة ، عن يسار المارِّ

إلى مكة وقد ابتدرهما الناس بالحجارة يرجمونهما على زعم أنهما قبر أبي لهب ، وقبر زوجه حمالة الحطب ، وعلق على ذلك بقوله : (وأرى ذلك غير صحيح) ولكنه أردف قائلاً : (والذي يشبه أن يكون أحد الكومين قبر أبي (رغال) . ثم ذكر أنّ أبا رغال هلك بالمغمّس ، وفاته – رحمه الله – أن المغمّس شرق مكة لا غربها .

وتحدث عن نزوله على باب مكة قائلاً : (الباب المعروف الآن بباب الشُّبيكة وبباب العمرة أيضاً ، وكان قديماً يعرف بباب الزاهر[1] وهو بأسفل مكة عند ثنيّة كُدَيٍّ – بضم الكاف والقصر والتنوين – ومن هذه التثنيّة دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح) . نزل هناك بمقربةٍ من ذي طوى ثم اغتسل ودخل مكة ليلاً ، ودخل الحرم الشريف من باب بني شيبة ، وسعى وطاف وحَدَّد المسافة بين الصفا والمروة ٧٨٠ ذراعاً ، ونزل في دار ملاصقة لباب الصفا ، في حائطها القبلي طاق فيه شباك حديد[2] يبصر القاعد خلف هذا الشباك البيت المعظم ويقابل الحجر الأسود . ثم انتقل إلى دار في أجياد تعرف بدار القائد محمد بن الحسن مولى الشريف أبي نُمَيٍّ .

مكة المكرمة في آخر القرن السابع :

وقال في صف مكة شرفها الله : (هي في بطن وادٍ مقدس ، قد أحدقت الجبال بها من كل جهة ومكان ، ووضعها قريب من شكلٍ مثلث وهي غاية في الكبر) ثم ذكر أسماءها وشرح كل أسم ، وقال : (ولمكة الآن ثلاثة أبواب : الأول باب المعلا ، وهو عند الثنية المعروفة بكَداء ، ومنه يُخرج إلى المقبرة ، وعليه طريق منى وعرفات والطائف والعراق ، والباب الثاني باب المسفل ، وعليه طريق أهل اليمن ، ومن خرج منه إلى اليمن يمر على كُدَيٍّ . والثالث باب العمرة ويعرف بباب الشُّبَيْكة باسم بئر هناك ، ويقال آبار ، وكان قديماً يعرف باب الزاهر ،

---

(١) في المطبوعة (الزاهد) خطأ تكرر .

(٢) في المطبوعة : (جديد) .

وعليه طريق مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم وجدة والشام ومنه يتوجه إلى التنعيم) .

وذكر حدود الحرم وفضائله وفضائل مكة ، وأورد طائفة من الأحاديث والآثار في ذلك ، ثم وصف المسجد والكعبة وبنيانها ، وما في الحرم الشريف من المآثر ، وأوفى الكلام في كل ذلك .

وتحدث عن دخول الكعبة الشريفة حديثاً ممتعاً موجزه: أنه (في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٩٦هـ قرب سدنة البيت أدراجه ، حتى ألزقوها بالكعبة ، والأدراج شبه مِنْبر واسع من الخشب ، بحيث يصعد على كل درجة منها أربعة أنْفس في صفٍّ واحد ، وعدد الأدراج تسع ، وفي كل ركن من أركان هذا المنبر بكرة يجرون عليها الأدراج المذكورة من حيال المقام الشريف حتى تصل إلى باب البيت فتكون آخر درجة منها متصلة بأسْكُفّة الباب ، فصعد الشّيْبِيُّون عليها وقعدوا ينتظرون كبيرهم الذي بيده المفتاح ، فدخل وبيده كيس فيه مفتاح القُفل من فضة خالصة ففتح وخَرَّ ساجداً على أسكفّة الباب يقبلها ، ثم دخل البيت وحده وأجافُوا خلفه الباب ، بقدر ما صلى ركعتين ، ثم فتح الباب ودخل سائر الشيبيين صغيرهم وكبيرهم ، وأجافوا عليهم الباب ، وأقاموا بالبيت قدر مقام زعيمهم ، ثم فتحوا الباب وقعد كبيرهم في أسكفته ، وبادر الناس بالدخول إلى البيت الشريف) وكان الرحالة من الداخلين ولهذا وصف ما شاهده قائلاً : (أول مرة يدخل الغريب البيت يقصده أحد الحجبة فيطوف به على أركانه ويطلب منه أجراً ، عادة مستمرَّة منهم ، ويُلحُّون في الطلب ، ولا يتركونه يَتَفرغ لشيءٍ من مراده حتى يدفع إليهم شيئاً ، والحجاج من كبر غَلاتهم) .

والرحالة من العلماء الذين يتحرون في أعمالهم إتباع السنة ، واجتناب كل ما هو مبتدع في الدين ، في الغالب ، ولهذا حمل على سدنة الكعبة في عهده فانتقد أشياء تجري في جوف بيت الله الحرام مثل الكوة التي في الجدار الغربي من البيت ، التي كانوا يسمونها (العروة الوثقى) ومثل المسمار الفضَّة الذي في وسط البيت في لوح من رخام من ألواح السطح يسمونه (سُرَّة الدنيا) ويحملون العامة على فعل أشياء

داخل البيت لا تجوز شرعاً ولا عقلاً ، وأشار إلى ازدحام الناس للدخول في البيت وحذّر من فعل ما يحدث الضرر أو يخالف السنة وهو في كل ما يورد من الأخبار يؤيد آراءه بأحاديث وآثار عن السلف الصالح .

ومما ذكر بقرب البيت الشريف الحوض المفروش بالرمل ، الذي يلي الركن العراقي ، وينصب فيه ماء البيت الشريف إذا غسل ، وأشار إلى أنه فيما يقال : كان موضع المقام الشريف وعقب على ذلك بقوله : (والذي يشبه عندي أن يكون عُمِل لصب ماء داخل البيت إذا غسل مخافة أن ينتشر على موضع المطاف) .

والتجيبي ذو عناية بالحديث النبوي ولهذا يكثر إيراد الأحاديث بأسانيدها ، ويطيل في ذلك ، وهو كما أشرنا من قبل يحذر من البدع فبعد أن ذكر الأئمة الذين يصلون في المسجد الحرام الصلوات المكتوبة من الشافعية والمالكية والحنابلة والأحناف ، وأن كل واحد منهم يصلي جماعته قال : (وهذا كله من البدع التي حدثت بهذا الحرم الشريف ، ولم يكن فيه في زمن السلف الصالح شيء من هذا إلى أن غلب الديلمي على العراق فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرهما من البلدان فبقي الناس في الحرم الشريف أشتاتاً لا إمام لهم يقيم الصلاة ، فنزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجل منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة ، فَمَضَى العمل على ذلك من يومئذ والله عز وجل يرشدنا وأهل حرمه الشريف لاتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم ، وكان الحق أن يجتمع الناس كلهم خلف إمام واحد والله يرشد لذلك) .

وقد استجاب الله دعوة هذا العالم الجليل فكان مما قامت به الدولة السعودية وفقها الله من الإصلاحات في الحرم الشريف جمع المصلين خلف إمام واحد .

وذكر أن للزيدية إماماً يصلي بهم ، وتحدث عن هذه الفرقة حديث المنكر لما هي عليه وأشار إلى أن أمير مكة على مذهبها ووصف أول جمعة صلاها في المسجد الحرام قائلاً : (ولما قرب وقت زوال الشمس ضُمَّ المنْبر إلى صفح الكعبة الذي يقابل المقام بإزاء الحوض الذي ينزل فيه ماء البيت الشريف ، وجُرَّ على بكرات ، وبعد الزوال وصل الخطيب إلى الحرم ، وهو أحد بني الطبري فدخل من باب

النبي (صلى الله عليه وسلم) لابساً ثوباً أسود ، متعمماً بعمامة سوداء ، وعليه طيلسان أسود رقيق ، وهو يمشي بين رايتين سوداوين ، يمسكهما رجلان ، فلما قرب من المنبر عرّج إلى الحجر الأسود فقبله ودعا عنده ، ثم سعى إلى المنبر فلما وصل أول درجة منه أخذ السيف من يد مؤذن كان يمسكه ، وضرب بنعل السيف ضربة في الدرجة الأولى أسمعت الحاضرين ، ثم فعل مثل ذلك في الثانية ، وفي الثالثة ، فلما انتهى إلى الدرجة العليا وقف مستقبلاً البيت مستدبراً الناس ، داعياً بدعاء خفي ، ثم استدار إلى الناس واستقبلهم ، والتفت يمينه وشماله يسلم عليهم ، فرد من قرب منه ، ثم جلس وأذن مؤذنون متراسلون بين يديه في المنبر ، على الأدراج ، فلما فرغوا خطب خطبة بليغة سنية ثم لما فرغ أقام المؤذنون الصلاة ونزل إلى خلف المقام فصلى بالناس صلاة الجمعة ثم لما فرغ قصد الحجر الأسود فقبله) .

من ليالي رمضان في الحرم الشريف : ووصف ليلة دخوله الحرم أثناء شهر رمضان فأبدع ، قال : (كان وصولنا لهذا البلد الأمين أثناء الشهر المبارك ، وليلة وصولنا ألفينا الحرم الشريف قد مليء شمعاً ومشاعل ، حتى تلألأ الحرم نوراً ، وتفرق فيه الأئمة لصلاة التراويح ، طائفة فوق طلئفة ، في نواحيه وزواياه ، وبادر الغرباء للإشتغال بالطواف وهو أولى لهم ، ومن الناس من كان يفصل بين كل ترويحتين بطواف أسبوع ، وأول من فعل ذلك — فيما يقال — خالد بن عبدالله القسري وهو أول من أدار الصفوف حول الكعبة فيما يقال — والله أعلم — .

وغصّ الحرم الشريف بناسه ، وكان وصل في سنة ٦٩٦هـ إلى مكة من المصريين ، والمدنيين جملة كبيرة مقدار ما يصل في كل سنة من المواسم أو ما يقرب من ذلك لأنه جرى على ألسنة الناس في أقطار الأرض أن الوقفة تكون يوم الجمعة .

ووصل في جملة المصريين جماعة من القراء المعروفين بحسن الصوت وطيب النغمة ، وكانوا يجتمعون في كل ليلة بإزاء باب بني شيبة من الحرم الشريف فيقرؤون جزءاً من الكتاب العزيز ، متراسلين ، بالتلاحين ، على عادة القرّاء في هذه البلاد المشرقية ، فكانت تكاد تخشع لحسن أصواتهم الجمادات .

وقراءتهم بالتلاحين جائزة ، لما روينا عن أبي موسى – رضي الله عنه – أنه قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : لو أعلم أنك تستمع لحبّرْته لك تحبيراً . يريد لجعلته لك ألواناً حساناً ، وهو التلحين ، مأخوذ من الثوب المحبّر المخطط الألوان .

وكان لأولئك القراء واحد كان مقدمهم ، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن العظيم ، وكان إذا ذهب جزء من الليل قصد المدرسة المنصورية[1] ، وصعد على سطحها المشرف على الحرم الشريف ، وتلا جزءاً من الكتاب العزيز ، رافعاً صوته العجيب بحيث يسمعه كل من في المسجد ، وكان ينضاف إلى حسن صوته وطيب نغماته شرف الموضع وحسنه وبهاؤه ، خصوصاً في الليالي القمرية التي يغشى فيها ضياء القمر جميع الحرم الشريف ، وبه يزداد جماله ، وتشرق كسوة الكعبة المعظمة بشعاع ذلك القمر ، وبنور الشمع وضوء المشاعل والسرج . ويكون في أثناء ذلك للطائفين دَوِيٌّ كدويّ النحل ، فيتألف من مجموع ذلك ما يعجز عنه الوصف .

وكان القراء يختمون القرآن العظيم في صلاة التراويح في كل ليلة من ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان بداخل المسجد الحرام ، ويحضرون خطيباً فيخطب لهم إثر الختم ، ويدعو ، ويؤمّنُ الحاضرون .

وفي ليلة الخامس والعشرين من الشّهر المعظم ختم بعض القراء ، وحضر خطيبهم ، وحضرنا هذا الختم المبارك وكان الجمع فيه كثيراً ، فلما ختم القارىء صعد أحد المكيين المنبر ، بمقربة من مكان إمام المالكية ، وخطب خطبة بليغة حسنة ، أخذ فيها بمجامع القلوب ، وكان فصيحاً لسِناً ، حسن النغمة ذكيّاً ، وخشع الحاضرون ، ودعا دعاء حسناً ، وكانت ساعة مباركة يرجى فيها قبول الدعاء .

ثم لما كانت ليلة سبع وعشرين من الشهر المذكور – وكانت ليلة القدر[2] – أوقدت أركان صوامع المسجد بجملة من السرج من كل جهة من جهاته الأربع ،

---

(١) بناها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ملك اليمن (بين سنتي ٦٢٦ و٦٤٨) .

(٢) قد اختلف العلماء في تحديد ليلة القدر ، وقول المؤلف هو أحد الأقوال في ذلك .

وزيد في قناديل المسجد ، وأكثر في تلك الليلة إيقاد الشمع بكل جهة ومكان ، واجتمع لحضور هذا الختم جمع كثير من المكيين ، والقادمين عليهم وكنت فيمن حضر ، فلما ختموا صعد أحد المصريين منبراً قد أُعِدَّ لذالك ، فلما استوى عليه اندفع بعض القراء يتلو بين يديه آيات من الكتاب العزيز . ووصل الشريف أبو نُمَيٍّ في أثناء ذلك فقعد في جملة الناس يستمع الخطبة ، ووصل معه كثير من أقاربه وحاشيته ، وانحشر عند ذلك معظم المكيين ، وكثر الازدحام على سماع هذا الخطيب من الرجال والنساء ثم خطب الخطيب خطبة بليغة مناسبة للشهر المبارك وللبقعة الطاهرة ، فلما فرغ منها شرع في الدعاء للسيد الشريف أبي تمي ، ورفع نسبه إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وعند ذكره لهذا النسب أمر له أبو نمي بخلعة حريرية وعمامة حريرية مصفحة بالذهب فدفعتا إليه فلبسهما على المنبر والناس ينظرون إليه ، وتكلم بعض الحاضرين في لباسه الحرير ، ولعله لبسهما خوفاً من عادية من دفعهما إليه) .

الآثار في مكة ومنى : وتطغى على التجيبي العاطفة حينما يتحدث عن آثار مكة ومنى حتى ليكاد يصدق بكل ما يسمع من عوام الناس عن الموالد والدور والغيران وغيرها ، وقَلَّ أن ينتقد شيئاً من ذلك . وحين ذكر دار خديجة قال : (ورأينا فيها قبة أخرى ذكر لنا أن بها ولدت سيدة نساء العالمين ، فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويزعم عوامُّ المكيين الآن أن بهذه القبة ولد الحسن والحسين عليهما السلام .

ورأيت الشيخ الفقيه الأديب ابن جبير قد اعتمد هذا القول فذكر في رحلته ما نصه : (وقبة صغيرة أيضاً في الدار المذكورة ، فيها كان مولد فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) وفيها أيضاً ولدت هي سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهما . انتهى ما قال . وهذا الذي ذكره لم أر أحداً من أهل العلم قاله غيره ، وهو خطأ لا شك فيه والصحيح الذي يعوَّل عليه أن الحسن والحسين وُلدا في المدينة بعد الهجرة ، وهذا ما لا خلاف فيه بين الأمة) .

وليته سار على هذا عند ذكر كل أثر من الآثار التي اخترعها الجهال ، فانطلى

اختراعهم على كثير من الرحالين والمؤرخين ومنهم هذا العالم الجليل الذي ذكر آثاراً كثيرة ، ولكنه لم يورد لها مستنداً صحيحاً ، بل قد يورد أخباراً ضعيفة عن بعض الآثار ، بخلاف معاصره الإمام ابن رشيد الفهري الأندلسي — الذي نشرنا ما يتعلق بالحجاز من رحلته في مجلة « العرب » .

ومما ذكر التجيبي من الآثار :

١ — البيت الذي ولد فيه خير البشر ، وذكر أن ولد عقيل بن أبي طالب باعوه ، وأن الخيزران جارية المهدي أم موسى وهارون الخليفتين جعلت مكان المولد مسجداً ، وأخرجته من الدار المذكورة واشرعته في زقاق عرف بزقاق المولد .

٢ — منزل أم المؤمنين خديجة .

٣ — دار بقرب دار خديجة منسوبة لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .

٤ — حجر في جدار مقابل للدار المنسوبة للصديق (يزعمون) أنه سلم على النبي (صلى الله عليه وسلم) .

٥ — حجر آخر بقرب هذا الحجر فيه أثر : (زعم عوام المكيين أنه أثر مرفق النبي (صلى الله عليه وسلم (وأنه اتكأ عليه فلان له ، وبقي فيه أثر مرفقه الشريف ، وقد رأيت إنكار هذا لبعض فضلاء المكيين القدماء) .

٦ — موضع في شعب بني هاشم ، ذكروا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) استخفى فيه من الكفار .

٧ — موضع في الشعب المذكور ، ذكروا أن فيه ولد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقد صُيِّر مسجداً .

٨ — موضع عند الصفا يعرف بدار الخيزران ، وكان داراً للأرقم بن أبي الأرقم ، استتر فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) في أول الإسلام يعبد الله سِرّاً ، مع من أسلم من الصحابة . ويدعو فيها إلى الله ، فأسلم فيها جماعة ، منهم الفاروق عمر بن الخطاب ، وأظهر الإسلام من يومئذ ، وصارت هذه الدار للخيزران وكان المنصور اشتراها من أولاد الأرقم ، فصارت للمهدي بعده ثم لجاريته الخيزران.

٩ — موضع بأعلى مكة ، يقال إن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى فيه .

١٠ — موضع بقرب باب المعلى ، محوّق بحجارة ، مرتفع نحو شبر ، مصوّر في قبلته محراب يذكرون أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صرع فيه أبا لهب والنبي (صلى الله عليه وسلم)[١] إذ ذاك صبي .

١١ — مقبرة المعلى وذكر أنه عاين فيها الموضع الذي صلب فيه الحجاج عبدالله ابن الزبير رضي الله عنه ، قد بني فيه سدٌّ بالجيار وكتب عليه : (هنا صلب الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه) .

وممن سمّى من المقبورين في المعلى ممن عاين قبره قبر الفضيل بن عياض اليربوعي التميمي الإمام الزاهد ، وقبر سفيان بن عيينة المحدث الجليل ، وقبر أبي القاسم القشيري العالم الزاهد .

١٢ — مسجد البيعة في شعب على يسار القاصد إلى منى قبل جمرة العقبة ، مكتوب فيه في حجر : (هنا كانت أول بيعة كانت في الإسلام) .

١٣ — مسجد الخيف بمنى وأطال الحديث عنه .

١٤ — غار في أصل الجبل بمقربة من مسجد الخيف يعرف بغار المرسلات ، لأن فيه أنزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) سورة (والمرسلات) وأورد أحاديث في ذلك ، وذكر أنه رأى في الغار أثراً في الحجر ، ذكر له أنه لان للنبي (صلى الله عليه وسلم) حين قعد تحته ، وأن ذلك أثر عمامته (صلى الله عليه وسلم) .

١٥ — مسجد الكبش ، ذكر له أن هناك نزل الكبش الذي فدى الله به أحد ولدي إبراهيم — عليه السلام — اسحاق واسماعيل على الخلاف في ذلك[٢] ، وهو بمقربة من سفح ثبير ، وذكر بقربه آثاراً منسوبة إلى ابراهيم عليه السلام .

---

(١) أورد خبراً عن ابن اسحاق أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال لما أمر بالتماس أبي جهل في قتلى بدر : « انظروا إن خفي عليكم إلى أثر جرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبدالله بن جدعان ونحن غلمان ، وكنت أشب منه بيسير فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فجحشت إحداهما جحشاً لم يزل به أثره » .

(٢) كثير من المحققين من العلماء يرون أن الذبيح هو اسماعيل .

١٦ – مسجد عند جمرة العقبة ، على يسار المتوجه من مكة إلى منى على قارعة الطريق ، وعلم حجرة العقبة ملصق به .

١٧ – مسجد في طريق التنعيم بإزائه درجة تعلوها أخرى ويسمى هذا الموضع المتكأ ، يذكرون أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قعد فيه مستريحاً عند مجيئه من العمرة .

١٨ – جبل أبي قُبيس . وذكر أنه عاين فيه موضعاً قيل له : إنه موضع موقف النبي (صلى الله عليه وسلم) عند انشقاق القمر . ورآى كهفاً صغيراً قيل له : إنه الموضع الذي كان فيه الحجر الأسود مستودعاً حتى بنى ابراهيم عليه السلام البيت . وشجرة يزعم عوام الناس أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بويع تحتها وقال : (وأرى ذلك غير صحيح ، لأنها قد خفيت على أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) مع معاينتهم لها وقرب العهد ، فكيف يعلمها هاؤلاء ؟) .

١٩ – جبل ثور الذي فيه الغار المبارك ، المذكور في القرآن الكريم وقال عنه بعد إيراد طائفة من الأحاديث تتعلق به : (ويقال لهذا الجبل ثور أطحل ، وهو جبل عالٍ شامخ وعر ، كثير الحجارة صعب المرتقى جداً ، لا يكاد يبلغ إلى أعلاه إلا بالجهد ، وليس حول مكة أعلى منه ، ولا أشدّ توعُّراً ، ويتراءى من أعلاه بحر جدة ، وكثيراً ما يتجنب الناس طلوعه لصعوبته ويحذرون من رقيّه . أخبرني الشيخ الفقيه الإمام أبو إسحاق الطبري المكي قال : صعد شيخنا الإمام أبو بكر بن مسدي إلى جبل ثور مرة واحدة في عمره ثم لم يعد إليه ، وكان ينهي عن الصعود إليه لصعوبته ويقول : (لا يصعد جبل ثور إلا ثور ، هذا أو معناه أو قريب منه) .

ووصف الغار وصفاً تاماً .

٢٠ – جبل حِرَاء – بكسر الحاء وفتح الراء بعدها ألف ممدودة – وصفه وأورد طائفة من الأخبار الواردة فيه ، وتحدث عن بدء الوحي ، وأرد طرفاً من أحاديثه بأسانيدها متصلة .

٢١ – وذكر أنّ بمقربة من المتكإ الذي بطريق التنعيم جبال أربعة ، عليها

أعلام من الحجارة (يذكرون أنها الجبال التي جعل إبراهيم عليه السلام عليها أجزاء الطير ، ثم دعاهنّ والله أعلم) .

٢٢ – جبل البَكّاء – بفتح الباء والكاف مشددة ، بعدها ألف ممدودة – قال : (وبمقربة منها – يقصد الجبال الأربعة – على يمين المتوجه من مكة إلى التنعيم جبل يدعونه البكّاء ، يزعمون أن حجارة تنحدر منه في يوم الوقفة من كل سنة ، ولا ينحدر منه شيء في سائر الأيام ولذلك سمي بالبكاء ، وتحت هذا الجبل مما يلي المغرب كانت سقاية ابن الجراح) .

وقد أوردت مجمل ما ذكر عن الآثار لكي أوضح أنه – رحمه الله – لم يُعْنَ بالتثبت فيما ذكر له فأورد كثيراً منها اعتماداً على ما شاع عند العامة مما لا يقوم على أصل من الحقيقة ، وباستثناء قليل من المساجد فإن جُلَّ ما أورد لم يثبت له فضيلة عن السلف الصالح ، بل هو مما اخترعته عقول العوام ومن على شاكلتهم .

علماء مكة : ولقد كان من أهداف علماء المغرب في رحلاتهم إلى المشرق التلقي عن علمائه والأخذ عنهم ، ورواية الحديث ، ولهذا تزخر الرحلات المغربية بتراجم علماء المشارقة ، وبذكر أسانيدهم في رواية كتب الحديث وغيره . والرحالة التجيبي ذو حظ وافر في هذا المقام ، وذو عناية بهذا الشأن ، ولهذا فقد أورد في رحلته تراجم عدد من علماء مصر والحجاز وأطال في ذلك . وعقد فصلاً ضمنه تراجم علماء مكة ممن روى عنه ، مع ذكر أسانيدهم ومروياتهم . فمن أولئك العلماء :

١ – أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن علي الشافعي المكي الطبري المنعوت بالعماد وليس من الطبريين المكيين ، وروى عنه « صحيح البخاري » ، و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « جامع الترمذي » و « الشمائل » له ، و « سنن النسائي » و « مسند الشافعي » ، وكتاب « السنن » و « اختلاف الحديث » للشافعي أيضاً ، و « سنن الدارمي » ، و « الجمع بين الصحيحين » للحميدي الأندلسي ، و « الأجزاء العشرة » المعروفة بالثقفيات للقاسم بن الفضل الثقفي ، و « المعلم بفوائد

مسلم » للمازري ، و « معالم السنن » للخطابي . و « أخبار مكة اللأزرقي » ، و « مصابيح السنة » للبغوي ، و « التنبيه » للشيرازي ، وكتاب « قمع الحرص بالقناعة ، والصبر تحت حكمها بالطاعة » للخرائطي . وأورد أسانيده في رواية تلك الكتب .

٢ — أبو الحسين يحيى بن محمد بن علي المكي الطبري أخو الشيخ عماد الدين المتقدم ذكره ، وذكر أنه من أهل نخلة ، لهم حديقة فيها جيدة فيها نخل وكرم وليمون ، يقيم فيها أكثر أوقاته ، وذكر بعض مروياته ومنها الشمائل وسنن أبي داود ، وغيرهما .

٣ — أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي ، ومما روى عنه « الغيلانيات » و « عين المعاني » في التفسير للسجاوندي ، و « الوسيط » في التفسير للواحدي ، « وصحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « جامع الترمذي » و « الشمائل » له ، و « سنن النسائي » و « السنن » للشافعي وكتاب « اختلاف الحديث » له ، و « السيرة الشامية » و « مغازي ابن اسحاق » رواية ابن هشام ، و « مسند ابن حبّان » و « مسند الدارمي » و « شرح السنة » للبغوي ، و « الإعتبار في ناسخ الحديث ومنسوخه » للحازمي ، وكتاب « عوارف المعارف » للسهروردي ، و « التنبيه » لأبي إسحاق الشيرازي ، و « سنن الترمذي » و « الأجزاء العشرة العوالي » للثقفي ، وجزء فيه مسألة « الإجازة للمجهول والمعدوم » للخطيب البغدادي وكتاب « القبل والمعانقة والمصافحة » لأحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر ابن الأعرابي ، و « المجالس المكية ، في الأحاديث النبوية » لعمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي ، و « الأربعين المختارة من فضل خصال الحج والزيارة » لابن مسدي الأندلسي ، وكتاب « خلاصة سيد البشر[1] » للمحب الطبري المكي ، و « الجواهر المنظمة ، في فضل الشهور المعظمة » له و « الدر النضيد ، فيما ورد في العيد » و « الملخص في معرفة علوم الحديث » لابن الصلاح و « المنتخب من الملخص » و « تنبيه أهل الرسوخ ، في علم الناسخ والمنسوخ » مختصر « الاعتبار » وكتاب

---

(١) كذا ولعله « خلاصة سيرة سيد البشر » .

« الجنة المختصر من شرح السنة » و « العقد الثمين ، في مدح سيد المرسلين » قصيدة مطلعها :

إنزل بطيبة أيهـا المســـترفد واحلـل بساحتهـا فنعم المقصد

أبياتها مئتان ونيّف وعشرون بيتاً . و « عمدة الثقات ، في معرفة الأوقات » منظومة . والكتب الأخيرة تأليف الشيخ رضي الدين أبي إسحاق إبراهيم الطبري ، وقد روى عنه أشعاراً كثيرة لبعض المتقدمين من العلماء وغيرهم ، وأطال الثناء على هذا الشيخ وقال : (والطبري منسوب إلى طبرية مدينة بالشام وهي الآن مدينة الأردن ، وفيها مياه جارية لا تنقطع ، تدخل إلى حماماتها ، في الصيف والشتاء ، كان أصل سلف شيخنا هذا منها ، ثم انتقلوا إلى مكة ونزلوها واستقروا بها ، وخطيب مكة الآن من بني عم رضي الدين المذكور ، وكذلك القاضي بها انتهى . وأقول : وقد بقي آل الطبري يتوارثون مناصب القضاء والإفتاء في مكة إلى ما بعد القرن الثاني عشر الهجري ، وكان في شارع المدّعى – قبل أن يغير – شارع يعرف بزقاق الطبري ، وكان يسكن فيه أحد فضلاء مكة من بيت (ملائكة) فكان إذا غضب على أحد من سكان هذا الزقاق يقول معبراً عن الأسى والحزن : (لا حول ولا قوة إلا بالله ، بعدما كان يخرج من هذا الزقاق ثمانون عِمّة (عمامة) أصبح لا يسكنه إلا الجهال) .

٤ – وممن تلقى عنهم العلم في مكة أبو عمرو عثمان بن محمد التوزري المالكي المجاور بمكة . ومما سمع عليه « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » . و « جامع الترمذي » و « سنن النسائي » و « سنن ابن ماجة » و « مسند أحمد » و « سنن الدارمي » و « المعجم الكبير » للطبراني .

٥ – والشيخ المعمر اسماعيل بن ابراهيم المصري ، قرأ عليه في « صحيح البخاري » .

٦ – والشيخ عبدالله الدلاصي [1] من العلماء الزهاد .

---

(١) دلاص بليدة من بلاد صعيد مصر كثيرة الكتان .

٧ ــ الشيخ محمد بن غالب الجياني الأندلسي الشافعي ، ومن سماعاته « الموطأ » و « صحيح البخاري » و « المعجم الكبير » للطبراني ، و « مسند الدارمي » و « دلائل النبوة » للبيهقي ، و « عوالي الفراوي » في الحديث و « زاد المسير في التفسير » لابن الجوزي و « مثير العزم الساكن ، إلى أشرف الأماكن » له و « مشيخة ابن عبد الدائم » و « الخطب النباتية » و « الجامع لأخلاق الراوي والسامع » للخطيب البغدادي و « عوارف المعارف » للسهروردي و « بداية السول ، فيما سنح من تفضيل الرسول » ــ صلى الله عليه وسلم ــ للعز ابن عبد السلام و « الفرق بين الإيمان والإسلام » له و « فوائد المصائب والبلايا ، والمحن والرزايا » له أيضاً و « كتاب الصوم » له ، و « مقالة في السماع » له . وقد أكثر الرواية عنه وأورد من مروياته أشعاراً كثيرة ، في العبادة والزهد ، وقد يستطرد فيورد من الشعر ما لا صلة له بموضوعه ، فقد أورد بسنده إلى الشيخ بشير بن أبي بكر الجعفري التبريزي شيخ الحرم الشريف أنه قال : دخلت على وزير الخليفة في بغداد ، وتركت نعلي بالباب ، فلما خرجت من عند الوزير فقدت النعلى ، فكتبت إلى الوزير رقعة فيها :

دخلت إليك يــا أملي بَشــيراً ... فلمــا أن خرجت خرجت بِشْرَا
أعِد يائي التي سقطت من اسمي ... فيائي في الحســاب تعدُّ عشرا[1]

ثم أورد عن الشاعر محمد بن سكرة الهاشمي أنه قال : دخلت حماماً وخرجت وقد سرق مداسي ، فعدت إلى داري حافياً وأنا أقول :

إليك أذمُّ حمام ابن موســى ... وإن فاق المنَى طيبــاً وحــرَّا
تكاثرت اللصوص عليه حتــى ... ليحْفَى من يطيف به ويَعْرَى
ولم أفقــد به ثوبــاً ولكــــن ... دخلت محمداً وخرجت بِشرا[1]

٨ ــ ومن مشائخه الذين اجتمع بهم في مكة نجم الدين العجيمي .
٩ ــ والشيخ ابو عبدالله بن مطرف الأندلسي ، منهم أيضاً .

---

(١) بشر هو بشر الحافي . والياء بحساب الجمل هي (١٠) .

١٠ – وأبو محمد الهروي .

١١ – وأبو علي الأفريقي النجار .

١٢ – والشيخ حسين بن صدقة البصري وهاؤلاء الخمسة من الزهاد ، ولهذا فلم يرو عنهم شيئاً من كتب الحديث ، وإنما أورد من أخبارهم ما يدل على انقطاعهم عن الناس ، وانصرافهم إلى الزهد .

أمير مكة : وأطال الحديث عن (ملك الحرمين الشريفين) أبي نُمَيٍّ الشريف محمد بن أبي سعد ، وذكر أن العربان يحبُّونه حُبّاً شديداً ويعظمونه ، وكذلك الزيديّة ، وأنه يقيم في حصنه الجديد ، ولا يصل إلى مكة إلا في أوقات قلائل . ووصف دخوله مكة في ٢٦ رمضان سنة ٦٩٦ (فدخلها والسيوف مصقولة مسلولة أمامه ، والطبول والدبادب[1] من خلفه ، وقد اصطف الناس في المسعى سِماطَيْنِ ، وجعلوا يسلمون عليه ويدعون له ، فمرَّ وعليه السكينة والوقار ، وهو شيخ خفيف ، شديد السمرة ، ضخم الجسم ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، شديد الهيبة ، بهيُّ المنظر ، قوي النفس ، مقدام شجاع . يقال : إن جميع جسده أو معظمه لا يخلو من ضربة سيف أو طعنة رمح) وذكر طرفاً من أخبار أسلاف ذلك الشريف ، وأشار إلى أنه توفي في أول سنة ٧٠١هـ وكانت ولايته سنة ٦٦٩هـ وأوجز في ذكر ولاة مكة بعده ، وسَمّى من عرف من أبنائه . وقال : (ألفينا المجاورين يتحدثون – على جهة التعجب عن كفّ يد الشريف أبي تُمَيٍّ عن أخذ أموال الحجاج والمجاورين ، وأن الناس صاروا يأمنون على دمائهم وأموالهم ، وكذلك رأيناهم نحن بها آمنين ، ومن كانت لديه دنيا أظهرها ولبس الثياب الحسنة ، وتأنّق في المطاعم آمِناً ، بعد أن كانوا قبل ذلك لا يلبسون ثوباً حسناً فيما بلغنا ، ولا يأكلون إداماً إلا يوماً في أيام ، خوفاً منه ، لما يظهرون من التقشف . وسألناهم عن سبب كفّه عنهم فذكروا لنا أنه رآى رؤيا هالته ، مقتضاها أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وبّخه على أفعاله ونهاه عن الظلم ، فخاف من تلك الرؤيا ورجع عن كثير مما كان يفعل) .

---

(١) في المطبوعة (الربارب) .

وقد تقدمت الإشارة إلى ما كان يأخذه من الحجاج في جدة من المكوس ، وذكر الرحالة أن مملكة ذلك الشريف قائمة على ما يجيبه من تلك المكوس .

بعض المواضع التي ذكرها : ويورد التجيبي تعريفات موجزة لا تخلو من فائدة .

ومن ذلك ما ذكره عن الجديد حصن الشريف أبي نمي ، في وادي فاطمة — وقد تقدم قوله — .

مِنَى : وقال في تحديد منى : (مِنَى بكسر الميم مقصور ، وتسمى البلدة — وأورد حديثاً في ذلك — وتسمى منى أيضاً المنازل جمع منزل ، وحدود منى ما بين محسِّر إلى العقبة التي ترمي إليها جمرة العقبة ، وهو شعب طوله نحو ميلين ، وعرضه يسير ، والجبال المحيطة به ما أقبل منها عليه فهو من منى ، وما أدبر منها فليس من منى ، وهو شبه القرية ، وقد بنيت على ضفتي الوادي النازل من عرفات إلى مكة (؟) وبها آدر يسيرة ، وقد عدَّها الحافظ ابن عساكر مدينة في كتاب « الأربعين البلدانية » من تأليفه ، فقال : البلد الثالث منى ، وكانت مدينة بها آدر وسوق ، ومسجدها مسجد الخيف ، مسجد شريف انتهى .

وقال : (وثمَّ موضع آخر في بلاد بني عامر عن يسار طريق أهل البصرة ، ينظر إليه الحجاج حين يصدرون إلى إمّرة يقال له مِنَى وليس مِنَى مكة) . كذا قال والمعروف أن هذا الموضع — ويعرف الآن باسم منية جبل عظيم — يقع يسار طريق حاج البصرة إذا صدروا من إمّرة نحو طخفة وضريّة ، لا إذا أصدروا إلى إمّرة من طخفة .

مَجَنّةُ : وقال : (ومما عاينّاه من المواضع الشريفة مسجد في طريق التنعيم ، بإزائه درجة تعلوها أخرى ، ويسمون هذا الموضع المتكأ ، يذكرون أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قعد فيه مستريحاً عند مجيئه من العمرة ، فالمعتمرون الآن يقصدون الآن الجلوس في هذا الموضع المبارك ...

وبمقربة من المتكأ المذكور جبال أربعة عليها أعلام من الحجارة ، يذكرون أنها الجبال التي جعل ابراهيم (ع.س) عليها أجزاء الطير ثم دعاهن .

وبمقربة أيضاً منها – على يمين المتوجّه من مكة إلى التنعيم جبل يدعونه بالبكاء ، وتحت هذا الجبل مما يلي المغرب كانت سقاية ابن الجراح وقد دثرت ، وفي أصله مما يلي الجوف[1] كانت مياه مجنّة ، التي ذكرها بلال (رضي الله عنه) في شعره :

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بوادٍ وحولي إذخر وجليلُ
وهل أَرِدَنْ يوماً مياه مَجَنّةٍ ... وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وطفيلُ

وقد غارت تلك المياه ، واندرست تلك الآثار) .

ينبع : وقال في ترجمة الإمام الحافظ تقي الدين محمد بن الإمام مجد الدين القشيري الينبعي – المعروف بابن دقيق العيد (٦٢٥هـ/٧٠٢هـ) كان مولده – فيما كتب بخطه – ينبع (وهو منسوب إلى الينبع[2] ، بليدة مشهورة ، بينها وبين مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)تسعة برد ، وهي في طريق مكة) .

وذكر أن جماز بن حسن[3] بن قتادة أحد أمراء مكة هرب منها سنة ٦٥١هـ واستقر في ينبع ، فمات بها طريداً غريباً ذليلاً .

وأن أبا نمي فرَّ من مكة سنة ٦٦٩هـ إلى ينبع – أيضاً – فاستجار بصاحبه ادريس بن قتادة فساعده على الاستيلاء على مكة ، وسار معه حتى استردَّ ملكها سنة ٦٦٩هـ ودخلها عنوة ، ونهب العربان الكتب الموقوفة على الحرم ، وكانت علائق نفيسة) . انتهى ومعروف أن قتادة – جد أشراف مكة كان وآباؤه من سكان ينبع ، ومنها امتد حكمه حتى شمل الحرمين الشريفين وما بقربهما حتى بلغ نجداً .

آبار الزاهر : ولما ذكر طريق التنعيم قال : (وبمقربة من هذا الموضع الآبار المعروفة بآبار الزاهر[4] ، ومن جملتها بئر تعرف ببئر عُسَيْلة ، وقد وافق اسمها مسماها وماؤها عذب فُراتٌ ، كأنه العسل حلاوة وطيباً ، ورأيت كثيراً من الناس يفضلونه في الحلاوة على ماء النيل والمطر ، وليس حول مكة ماء أشد حلاوة منه) .

---

(١) لعله (الجرف) أي حرف الوادي .
(٢) في المطبوعة (حسين) .
(٣) كذا والصواب (ينبع) .
(٤) في المطبوعة (الزاهد) .

جحدر العكلي : خبره وشعره

منذ سنوات قرأت في مجلة « العربي »[1] مقالاً يتعلق بجحدر جاء فيه : كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي وكان شاعراً فحلاً ، قد (أمَرَّ) على أهل حجر . ثم أورد قصة له مع الحجاج حين ألقاه للأسد ، فصرع الأسد . وكاتب المقال هو أخونا الأستاذ عبد الستار أحمد فرّاج ومع أنني أدركت أن كلمة (أمَرَّ) هي تحريف كلمة (أَبَرَّ) وأَبَرَّ كما في كتب اللغة قهر ويقال أبرّ عليهم شراً . فالشاعر المذكور كان قد أَبَرَّ على أهل حجر بكثرة ما يحدث منه من فَساد في سرقة أموالهم[2] .

لقد أدركت ذلك التحريف ولكنني لم أرَ التنبيه على هذا لأن كثيراً من القرّاء — وخاصة في بلادنا — يدرك أن جحدراً لم يكن من أمراء حَجْرٍ ، إلا أنني قرأت لجحدر هذا مقطوعات من الشعر تجعله جديراً بأن يوصف بالفحولة فيه ، وأن يجمع شعره ، وأن تدرس حياته ، هو ومالك بن الريب المازني وعبيد بن أيوب العنبري ، وغيرهم من شعراء بلادنا الذين لا يزالون مغمورين .

أما الشاعر الذي حدثت له القصة مع الحجاج فقد وقع الاختلاف فيه فبعضهم يسميه جحدر بن مالك الحنفي كما في كتاب « المحاسن والمساويء » للجاحظ وغيره .

وفي « معجم البلدان » أنه رجل من بني جشم بن بكر وأورد القصة ، ودعاه صاحب كتاب « أدباء السجون » جحدراً العكلي وقال : إنه كان لصاً يقطع الطريق ،

---

(١) ص ٦٧ صفر ١٣٩٣ (نيسان ١٩٧٢) .

(٢) وفي «الأمالي» ٢٨١/١ : (وكان لصاً مبراً ، قال أبو علي : المبر : الغالب) .

وينهب الأموال ما بين حجر واليمامة[1] ، فبلغ ذلك الحجاج فبعث إلى عامله على اليمامة إبراهيم بن عربي يوبخه على تلاعب جحدر فاحتال إبراهيم حتى قبض عليه وأودعه سجن دوّار ، وقد التقفته الأحوال المرهقة التي اتّسم بها هذا السجن ، ثم أورد وصفه له وخبره مع الحجاج حين أدخل على الأسر ، وذكر توبته وأورد ما تخلل ذلك من أشعار له . ولكنه أعني صاحب كتاب « أدباء السجون » أورد اسم شاعر آخر دعاه جحدراً المحرزي وفرق بينه وبين جحدر العكلي ، فقال عن جحدر المحرزي : هو أحد اللصوص الفتاكين ، ومن شعراء الدولة الأموية وله شعر رائع يعبر عن حياته السادرة ، ومخاطراته الجريئة ، في عالم اللصوصية وقد كان قُبض عليه ، وزُجَّ في سجن المخيّس وهو السجن المعروف ببيضاء البصرة . ثم أورد الأبيات التي ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » وستأتي ومما يؤخذ على صاحب كتاب « أدباء السجون » أنه لم يذكر مصدره عمن ظنهما اثنين ، وما هما في الحقيقة سوى شخص واحد والظاهر أن مصدره عنهما هو كتاب « المحاسن » للجاحظ وكتاب « معجم البلدان » إذ كل ما أورد عنهما لا يخرج عما في هذين الكتابين ، والاختلاف في نسب جحدر ورد في كثير من المؤلفات القديمة ، ولعل أصح ما ورد فيه ما جاء في كتاب « منتهى الطلب » من أنه جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي من بني محرز فهو محرزي عكلي ، أما نسبته لبني حنيفة فلعل منشأ ذلك صلته بأهل حجر ، وكلمة (العجلى) تصحيف (العكلى) كما صحف في « التكملة » و « تاج العروس[2] » بـ « الكلبي » وأغرب ياقوت[3] حين عده من بني جشم بن بكر[3] ولعل الذي دعاه إلى ذلك ما جاء في الشعر المنسوب إليه :

فيا أخويَّ من جشـــم بن بكـــر أقِلاَّ اللوم إن لا تنفعـــــاني

ولكن هذا البيت ورد برواية أخرى :

فيا أخوي من كعب بن عمرو — كما في « الأمالي » للقالي . وفي « المؤتلف

---

(١) كذا قال وحجر هو قاعدة اليمامة . (٢) ففيهما (الكلبي) مادة دوار .

(٣) معجم البلدان مادة حجر .

والمختلف » للآمدي . هذا البيت والذي بعده منسوبان لرجل من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وسماه ، ورواه :

فيا أَخويَّ من جشم بن سعد .

ومهما كانت الرواية فالأَخُوَّة في البيت قد لا تعني أُخُوَّة النسب ، فقد يقصد رفيقيه في السجن ، من أي قبيلة كانا ، على أن القصيدة التي منها هذا البيت نسبت إلى غير جحدر ، ومنها أبيات نسبت لرجل من غطفان[1] ، وياقوت رحمه الله قد أخطأ حينما ذكر أن جحدراً من أهل اليمن ونص كلامه (كان رجل من بني جشم بن بكر يقال له جحدر يخيف السبل بأرض اليمن وبلغ خبره الحجاج فأرسل إلى عامله باليمن يشدد عليه في طلبه فلم يزل يجد في أمره حتى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : كَلَبُ الزمان وجراءة الجنان ، فأمر بحبسه فحبس فَحَنَّ إلى بلاده وقال :

لقد صدع الفؤاد وقد شجاني بكاء حمامتين تجاوبان

ثم أورد ستة عشر بيتاً وستأتي وقال : فبلغ شعره هذا الحجاج فأحضره بين يديه ، وقال له : أيُّما أحب إليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك للسباع ؟ ! فقال له : أعطني سيفاً وألقني للسباع . فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجَوَّع فَزأر السبع وجاءه فتلقاه ففلق هامته) .

وقد أورد ياقوت مقطوعات لجحدر فسماه جحدر بن معاوية المحرزي في (بزاخة) و (بيضاء البصرة) وسماه جحدراً اللص في عشرة مواضع منها : (تناصيف) و (ثهلان) و (الجو) و (الدخول) و (دوار) و (ديماس) و (الشيحة) .

ولا أشك أن كل ما ذكر ينطبق على جحدر المحرزي العكلي اللص ، ولا أشكُّ أن كلمة (اليمن) في « معجم البلدان » تصحيف (اليمامة) إذ اليمامة هي

---

(١) أنظر كتاب أسماء خيل العرب للأسود الغندجاني فقد نسب ستة منها لأنيف الذئب الغطفاني صاحب الصهال اسم فرسه .

(٢) «معجم البلدان» في ١٢ موضعاً .

التي كانت تابعة لولاية الحجاج في العراق بخلاف اليمن . وأخبار جحدر وأشعاره مفرقة في « المحاسن » للجاحظ ، و « الموفقيات »[1] و « الأمالي »[2] و « منتهى الطلب » و « تاريخ دمشق » لابن عساكر[3] و « ألف باء » للبلوي[4] و « خزانة الأدب » للبغدادي [5] وغيرها من الكتب .

وجحدر المحرزي شاعر يتصف شعره بصدق العاطفة ، ووضوح التعبير ، وعدم التكلف كما أنه يصور حالة السجون في عهده كسجن ابراهيم بن عربي في حجر وهو دوار ، وسجن البيضاء وسجن ديماس من سجون العراق ولكن شعره لم يصل إلينا كاملاً فقد نقل صاحب « الخزانة » أن السكري (أورد له أشعاراً كثيرة جيدة) .

ولعل في النتف التي جمعتها من شعر هذا الشاعر ما يوضح للقارىء منزلته بين الشعراء مما آمل أن يكون حافزاً لجمع شعره ، ودراسته دراسة وافية .

نسب الشاعر : قدمنا أن صاحب «منتهى الطلب» ذكر أنه من بني محرز، من عُكْل – بضم العين المهملة وإسكان الكاف وآخره لام – وعكل هاؤلاء هم – كما في كتب النسب – : بنو عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، حضنت أباهم حاضنة تسمى بهذا الاسم فغلب على اسمهم ، وهم معدودون من بني تميم بن مر بن أد ، انتسبوا إلى عمٍّ أبيهم ، والعرب تفعل ذلك حينما يكون نسب العمّ أوضح وأشهر . ولهذا نجد الخطيم المحرزي العكلي لما سجن كان يستنجد ببطون تميم قال[6] :

أبت لي سعدٌ أن أضام ومالـــك ... وحيٌّ الرباب والقبائل من عمـــرو
وإن أدع في القيسية التيم تأتـــني ... قروم تسامَى كلُّهم باذخ القدر

---

(١) ص ١٧٠ ، ١٧٥ .
(٢) ص ١٥٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ .
(٣) جـ٤ ص ٦٤ (التهذيب) .
(٤) ٢ ، ٥٠١ .
(٥) ٤ ، ٤٨٣ .
(٦) «منتهى الطلب» ١٢٢/١ مخطوطة لاله لي .

وجحدر من بني مُحْرِز – بضم الميم وإسكان الحاء المهملة بعدها زاي – وهاؤلاء بطن من عكل، وفيهم يقول الخطيم – من قصيدته التي تقدم مطلعها[1] – :

بني مُحْرِزٍ هل فيكم ابن حميّةٍ ... يقوم ولو كان القيام على الجمر
بني محرز من تجعلون خليفتي ... إذا نابكم يوماً جسيمٌ من الأمر
بني محرز إن تكنس الوحش بينكم ... وبيني ويُبعِد من قبوركم قبري
فقد كنت أنفي عنكم كل ظالم ... وأدفع عنكم باليدين وبالنحر
معنىً إذا خصم أدلّ عليكم ... بني محرز يوماً شددت له أزري
بِحَدٍّ سنان يستقد بمثله ... ورقم لسانٍ لاعَيِيٍّ ولا هَذْرِ

ومن عكل ثم من بني محرز هاؤلاء شاعر يشارك صاحبنا في مهنته – أي من اللصوص – وكثيراً ما اختلط شعر الشاعرين هو الخطيم المحرزي ، وله في « منتهى الطلب » ثلاث قصائد جياد ، منها قصيدة يستعطف بها قومه ، حينما حبس في نجران ، مطلعها :

أبت لي سعدٌ أنْ أُضام ومالك ... وحيّ الرباب والقبائل من عمرو

– في أكثر من ستين بيتاً – وأخرى في مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك وقد استجار به ، مطلعها :

وقائلة يوماً وقد جئت زائراً ... رأيت الخطيم بعدنا قد تخدّدا

– في ستين بيتاً – وله مقطوعات وقصائد مفرقة في بعض الكتب « الحماسة البصرية »[2] وغيرها .

ومن عكل – أيضاً – السمهري العكلي وهو من الشعراء اللصوص ، وشعره مفرق في المكتب ، ومنه قصيدة أودها صاحب « منتهى الطلب » ١٩ بيتاً ، مطلعها :

ألا حَيِّ ليلى قد ألمّ منامها ... وكيف مع القوم الأعادي كلامها ؟

---

(١) ج١ الورقة ١٢٢ مخطوطة (لاله لي) في اصطنبول رقم ١٩٤١ .
(٢) ٢/٣٥٩ .

ومنها أبيات في « معجم البلدان » .

ومن مشاهير شعراء عكل النمر بن تولب ، وهو من فحول الشعراء .

موطنه : تقدم قول ياقوت أن جحدراً من أهل اليمن ، مع إيضاح خطإ هذا القول . وقال في « معجم البلدان » أيضاً : الشِّيحة – بلفظ واحدة الذي قبله[1] – قال أبو عبيد السكوني : شرقي فَيْد ، بينهما مسيرة يوم وليلة ، ماءة معروفة ، تناوح القيصومة ، وهي أول الرمل . وقال نصر : الشيحة . موضع بالحزن من ديار بني يربوع . وقيل : هي شرقي فيد ، بينهما يوم وليلة ، وبينها وبين النباج أربع . وقيل : الشيحة ببطن الرُّمة – إلى أن قال – : وقال السكري : كان جحدر اللص ينزل الشيحة من أرض عمان . انتهى . وقول السكري – إن كان صحيحاً فهو غريب فأخبار جحدر التي وصلت إلينا تتصل ببلاد نجد ، ولا صلة له بعُمَان ، وقومه بنو عكل من أهل نجد ، ولهذا فإن كلمة (عمان) في عبارة السكري غير صحيحة ، وقد يكون في بلاد عمان موضع يسمى الشيحة ، إذ الاسم قد يطلق على مواضع كثيرة ، وقد يكون اسم الشيحة أطلق في الأصل على المواضع أو المياه التي ينبت الشيح فيها أو بقربها ، وهو ينبت في كثير من المواضع . ولكن الذي يغلب على الظن أن الموضع الذي كان يسكنه جحدر هو الشيحة الواقعة بقرب القيصومة ، في الرمل شرقي فيد ، وكانت من منازل بني يربوع من تميم فجحدر عكليٌّ ، وتقدمت الإشارة إلى صلة عكل ببني تميم. وجحدر لصٌّ واللصوص كانوا يختارون الأماكن البعيدة عن متناول أيدي الولاة والحكام ، فمالك ابن الريب المازني كان ينزل ماوية ، شرق الدهناء ، وعبيد بن أيوب كان ينزل بقرب ذلك الموضع حيث ديار قومه بني العنبر ، ولا شك أنَّ جحدراً لا يقيم إلا في مكان بعيد عن سطوة الولاة ، والشيحة المذكورة بهذه الصفة ، فهي متوسطة في شرق الدهناء ، بعيدة عن القرى ، ولكنها من الأمكنة المفضلة لرعي الإبل التي اعتاد الشاعر نَهْبها ، ومما يقوي هذا أن الفتية الذين ألقوا القبض على جحدر من بني يربوع ، ويستبعد أن يتمكنوا من

---

(١) يعني الشيح .

ذلك لو كان خارج بلادهم . وتقع الشيحة التي أرى أنها الواردة في كلام السكري على طريق الحج العراقي الكوفي ، درب زبيدة شرق القيصومة – قيصومة فيحان بين بركتي أم العصافير شبمالاً والحمراء جنوباً بقرب خط الطول ٣٠ ٤٣ ْ وخط العرض ٧ ٢٩ ْ وهي في أرض الحزن التي هي من أحسن مراتع الإبل ولهذا يقال : من تربع الحزن وشتّى الدهناء فقد أصاب المرعى .

وتعرف الشيحة الآن باسم (الشيحيات) توسع فيه فأطلق على الماءة القديمة وعلى ماء آخر يعرف قديماً باسم (الشقوق) والموضع وادٍ يُنْبِت الشيح ، فيه آبار وبِرَك أكثرها دارس .

ومما يؤيد كون جحدرٍ ليس من أهل اليمن ولا أهل عمان أن المواضع التي ذكرها في شعره – وسنعرض لذكرها – كلها في نجد باستثناء سجني البيضاء والديماس اللذين في العراق ، بل لا يكاد يُداخل المرء شك حينما يقرأ خبره مع إبراهيم بن عربي ومع الحجاج في أنه من أهل نجد ، من البادية فهو يذكر كثيراً من مواضعها المتباعدة ، حينما يصف المراتع الطيبة ، أو المواضع التي يمرُّ بها في رحلاته . أو السجون التي أُلقي فيها ، ومما ذكر من المواضع .

١ – بزاخة – بضم الباء وفتح الزاي بعدها ألف فخاء معجمة فهاء ، موضع لا يزال معروفاً على مقربة من مدينة حايل جنوبها بنحو خمسين كيلاً .

٢ – البيضاء سجن في البصرة ، ويدعى المخيَّس – كما في « معجم البلدان » .

٣ – تناصف – قرنه الشاعر بالسرِّ – مما يدل على تقارب الموضعين (أنظر السر) .

٤ – ثهلان : الجبل الذي لا يزال معروفاً يكتنف بلدة الشعراء في عالية بنجد ، وتبدل العامة الثاء ذالاً (ذهلان) .

٥ – جَوَّ – بفتح الجيم ثم واو مشددة – هو جوّ اليمامة عند الإطلاق ، جوّ الخضارم ، في الخرج ، وقد حدده الهمداني في « صفة الجزيرة » .

٦ – حَجْر – بفتح الحاء المهملة وإسكان الجيم وآخره راء – المدينة التي كانت قاعدة اليمامة وقد قامت على أنقاضها مدينة الرياض[١] .

٧ – الدخول – بضم الدال والخاء المعجمة بعدها واو فلام – هضاب في جنوب نجد لا تزال معروفة .

٨ – دوّار – بفتح الدال المهملة والواو مشددة بعدها ألف فراء – سجن أنشأه ابراهيم بن عربي في حجر ، و (استضاف) فيه عدداً من الشعراء في صدر العهد الأموي فسوّدوا صحيفة ابن عربي بوصف ذلك السجن ، ومنهم جحدر صاحبنا

٩ – الدِّيْمَاس : بكسر الدال المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة ، فميم مفتوحة فألف فسين مهملة – وهو سجن الحجاج في واسط في العراق ، سجن فيه الشاعر

٢٠ – الرِّجَامُ – بكسر الراء وفتح الجيم بعدها ألف فميم – من جبال حمى ضريّة ، يقع شرقها غير بعيد[٢] .

١١ – السِّرُّ – بكسر السين المهملة وتشديد الراء – هو الإقليم المعروف في نجد ، الواقع غرب الوشم وجنوب القصيم .

١٢ – سلع : – بإسكان اللام وآخره عين مهملة – ورد هذا الاسم في القصيدة النونية بعد أن ذكر الشاعر أنه رآى بذي المجازة ضوء نار ، قال :

وكيف ودونها هضبات سلع وأعلام الأبارق تعلمان

ولعل هذا البيت منحول ، إذ مفهومه أن جبل سلع يحجب عنه ضوء النار التي أوقدت بذي المجازة ، والقصيدة المذكورة قالها وهو في سجن الحجاج في العراق ، والمجازة في شرقي نجد في طرف الدهناء ، وجبل سلع عند الإطلاق يُقصد به الجبل الواقع بقرب المدينة ، وهذا لا يقع بين المكان الذي قال فيه الشاعر القصيدة وبين المجازة إلا أن يقال : لعله يعني سلْعاً آخر .

---

(١) أنظر كتاب «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) أنظر تحديده في كلامنا على شعر لبيد في مجلة «العرب» .

١٣ ــ غُبَيْر ــ بضم الغين وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ساكنة فراء ــ قرنه الشاعر ببزاخة وأضاف إليه لوى (لِوَى غبير) مما يفهم منه تقارب الموضعين .

١٤ ــ غَوْل ــ بفتح الغين وإسكان الواو وآخره لام . وقد يبدل أبناء البادية الواو هنا ألفاً فيقولون (غال) كما يقولون (ثار) في (ثور) و (سلامان) في سليمان (فاصل) في (فيصل) وغول جبل فيه واد أصبح مأهولاً ، وأحدثت فيه قرية بهذا الإسم . شرق ضرية . وهو داخل حماها القديم .

١٥ ــ قُراقِرْ ــ بضم القاف وفتح الراء بعدها ألف فقاف مكسورة فراء ــ يطلق الإسم على مواضع أشهرها موضعان شمال نجد ، أحدهما وادي السرحان . والثاني في أسفل وادي حايل . ونرى الشاعر عنى الأخير . فهو الذي بقربه تقع ألوية الرمل وهو قال (جاد اللِّوى من قُرَاقر) .

١٦ ـ كوفان ـ الكوفة (انظر حرف الراء من شعره).

١٧ ـ اللُّبَيْنَانِ ــ مُثَنّى لُبَيْن بضم اللام وفتح الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحتية وآخره نون ــ ذكر ياقوت أنه في بلاد بني العنبر ، وبلاد هاؤلاء غير بعيدة من الشيحة التي رجّحنا أن الشاعر كان يسكنها ، تقع في الجنوب الشرقي منها بقرب الحفر ــ حفر الباطن ــ .

١٨ ـ المجَازَة : وهي مجازة الطريق ، تقع بطريق المتجه من حجر إلى العراق ، وقد حددناها في أحد أجزاء مجلة « العرب » .

١٩ ـ مَنْعِجُ ــ بفتح الميم وإسكان النون وكسر العين المهملة وآخره جيم ــ هو وادي هجرة دُخنة ، يجتمع في وادي الرمة ، شرق الرّس ، ويناوح وادي عاقل من غربه .

٢٠ ـ نضاد : ــ بفتح النون والضاد المعجمة بعدها ألف فدال مهملة ــ جبل من جبال النِّير ، لا يزال معروفاً ، وهناك منهل يدعى النضادية .

٢١ ـ النِّيْرُ ــ بكسر النون وإسكان المثناة التحتية بعدها راء ــ الجبل المعروف في عالية نجد .

٢٢ ـ اليَمَامَة ــ الإقليم المعروف .

هذه أشهر المواضع الواردة في الشعر المنسوب إلى جحدر . وليس من بينها ما يدل على أنه عاش في غير بلاد نجد .

عصر الشاعر جحدر : ليس من المستطاع – من خلال المصادر التي بين يدينا الآن – تحديد زمن ذلك الشاعر تحديداً تاماً بتبيين زمن ولادته وتاريخ وفاته ، ولكن الأخبار التي نسبت إليه ، تدل على أنه عاش في صدر الدولة الأموية ، حينما كان إبراهيم بن عربي والياً لليمامة من قبل الحجاج والي العراق ، وإبراهيم تولى اليمامة في عهد عبد الملك بن مروان ، وولاية الحجاج للعراق امتدت قرابة عشرين سنة من سنة ٧٥هـ إلى سنة ٩٥هـ وقد ولي قبل ذلك (أي في سنة ٧٣) .

ولهذا فإن قصة جحدر – مع الحجاج إن صحت – قد وقعت في خلال تلك الفترة ، بل إن جحدراً عاش خلالها كما تدل أشعاره في السجون المعروفة في ذلك العهد (دوار) و (البيضاء) و (ديماس) وفي شعر جحدر ما يدل على أنه سجن في دوار في عهد أبي الوليد :

وقد دعوت – وما آلوا لأسْمِعَهُ أبا الوليد ، ودوني سجن دَوَّار

وأبو الوليد كنية الخليفة عبد الملك بن مروان الذي استقل بالخلافة من سنة ٧٣ إلى سنة ٨٦هـ وهو الذي ولى ابراهيم بن عربي اليمامة[1] فبني سجن دَوَّار . بعد سنة ٧٣هـ . وعلى ما تقدم يمكن تحديد زمن جحدر .

حياة الشاعر : لم يُعْنَ المتقدمون من المؤرخين ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم بإبراز جوانب حياة جحدر ، ولهذا فإن كل ما نعرف عنها يكاد ينحصر في ثلاثة :

١ – أنه كان من اللصوص .

٢ – وكان شجاعاً كما تصوره قصته مع الأسد .

٣ – وكان شاعراً . كما يتضح مما وصل إلينا من شعره .

---

(١) كنت ألفت عن هذا الوالي كتاباً دعوته « ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد» وقد نهب فيما نهب من كتبي في بيروت .

ويحسن الوقوف عند الجانب الأول من حياة ذلك الشاعر . قد تقسو الحياة على المرء فتلجئه إلى ارتكاب أكره الأمور وأبغضها إلى نفسه ، ولكن ينبغي ادراك تطور مدلول الألفاظ بتغير الزمان وبتغير نظرة الناس إلى الأشياء ، وتفاوت تلك النظرة .

فما قد يُرى في زمان من الأزمنة غير مكروه من الأفعال قد يصبح يوماً من الأيام في نظر الناس من أكرهها وأبغضها إلى النفوس . لا أقول هذا بمعرض تحسين ما هو قبيح – أو العكس – أو لكي أُحَبِّذ فِعْلاً لا يجوز شرعاً ولا عقلاً ، ولكن لأوضِّح أننا نحكم شططاً إذا قسنا كل الأمور بمقاييس عصرنا ، وأغفلنا ما للزمان وما للمكان من تأثير في مختلف أحوال الناس .

ولا تبلغ قسوة الحياة في كثير من بقاع الأرض ما كانت تبلغه في جزيرة العرب ، حيث كانت الحياة فيها تقوم على ما تنتجه الأنعام – من إبل وغيرها – وهذه الأنعام تعيش على ما تنبته صحاري تلك الجزيرة حين يجود الغيث ، ويهطل المطر ، وما أكثر ما يعمُّ الجدب ، وينقطع هطول الأمطار أزماناً حتى تجف أرض تلك الصحاري وتغبر ، ولا يبقى فيها عود أخضر ، فتهلك الأنعام من الهزال والجوع ، وبهلاكها يضطر أهلها إلى مصارعة الحياة ، وكثيراً ما تصرعهم ، وحينئذ تنعدم مقاييس الأخلاق بينهم – إلا من رحم ربك .

ومن ألوان مصارعة الحياة ما حفلت به كتب الأدب من أخبار اللصوص من أهل البادية ، وهاؤلاء – كما وصفهم أحد الكتاب[1] : (فئة خيل إليها أنها تحل مشكلة الغنى والفقر ، فثاروا على مجتمعهم ثورة فردية ، فقتل بعض ، وسجن بعض ، وهرب بعض إلى القفار والبسابس ، يعاشر الضباع والذئاب ، وبقي بعض طول حياته فقيراً) .

وحياة البادية في عهودها القديمة على غاية البساطة والسهولة ، فالقبيلة تعيش على

---

(١) عبد المعين الملوحي : (أشعار اللصوص وأخبارهم) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٤٩ ص ٣٦٢ .

نمط فريد من التشارك والتعاون وما يناله أحد أفرادها من رزق بأية وسيلة فإن لقومه فيه حقهم فهم في تلك الحياة يعيشون على حد قول الشاعر[1] :

وإني أمروء عافي إنائي شركةٌ ... وأنت امرؤٌ عافي إناؤك واحد
أنهزأ مني أن سمنت وأن ترى ... بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أُقسِّم لحمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

وأهل البادية الذين نشأ بينهم أولئك اللصوص من أبعد خلق الله عن التأثر بأساليب الثقافة والعلم ، لبعدهم عن المدن التي هي مراكز الإشعاع الفكري ، ولهذا فليس غريباً أن يتخيل أحد أولئك اللصوص بأن كل ما يوجد في تلك الصحراء من الأنعام مال الله ، على حد قوله :

وإني لأستحيي من الله أن أُرَى ... أجرر حبلاً ليس فيه بعير
وأن أسأل المثرين من فضل ما لهم ... وبعران ربي في البلاد كثير

أو كلاماً نحو هذا . ولكن من أطلقنا عليه تلك الصفة السيئة من هؤلاء حينما يجد ما يدفع به ضرر الحاجة ويقوم بأوده سرعان ما يترك ما ألفه من تلك الحياة الممقوتة كما حدث لمالك بن الريب ولجحدر صاحبنا ، الذي لا نتبيّن مدى ما نسب إليه في مجال التلصص ، إلا أن مجتمعه الذي عاش فيه حكم عليه بذالك ، فأذاقه مرارة السجن مرات في سجون مختلفة ، ولا نعرف عدد تلك المرّات ، ولو أخذنا بقوله لقلنا مع القائلين : (كم أُدخل السجن من مظلوم) فهو يقول عن إدخاله سجن دوّار في حجر (الرياض) :

لو يُتبع الحقُ فيما قد مُنِيتُ به ... أَوْ يُتبع العدل ،ما عَمّرتُ (دَوَّارا)

وهو يسمي السجن (مأوى الفتوّة) .

ولكن قلّ من يعترف بخطئه طائعاً مختاراً ، ومن ينظر إلى فعله نظرة صحيحة . ويروي الجاحظ في كتاب « الحيوان[2] » أو عن جحدر هذا ما يدل على حذقه

---

(١) هو عروة بن الورد العبسي كما في ديوانه .

(٢) ج ٥/٤٣٣ .

في تلك (المهنة) إن صح . قال : (كان جحدر إذا نزلت رفقة قريبة منه أخذ شَنّةً ، فجعل فيها قِرْدَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل ، فإذا وجدت الإبل مَسّها نهضت ، وشَدَّ الشنّة في ذنب بعض الإبل ، فإذا سمعت صوت الشنّة وعملت فيها القردان نفِرتْ ، ثم كان يثب في ذروة ما نَدَّ منها ويقول : أَرحَمُ الغارة الضِّعافُ ــ يعني القردان ــ قال أبو برزة : ولم تكن هِمّتُهُ تجاوز بعيراً) : انتهى .

ولا ندري على مَ اعتمد الأستاذ عبد السلام هارون ــ محقق كتاب « الحيوان » حين نسب الخبر إلى جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قائلاً : (وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية العكلي أحد نصوص العرب الشعراء) انتهى .

شجاعة جحدر : ووصف المتقدمون جحدراً بالشجاعة كما وصف نفسه بأنه جريء الجنان . ويظهر ــ من مجمل خبره ــ أنه يُقدم على أمره متى كان الإقدام مفيداً ، ويحجم حيث لا يفيد الإقدام ، ولهذا لم يستطع والي اليمامة إمساكه ، مع كثرة إيذائه لأهل حجر ، حتى احتال عليه بأناس قريبين منه نسباً وداراً ، فخدعوه حتى أمسكوه .

ولعله قال الأشعار في وصف السجون الثلاثة في حادثة واحدة ، إذ من المستبعد أن يفلت من العقوبة ، ثم يعود إلى ما عرف عنه من الفساد .

ولو ساغ الحكم على أحوال الشاعر بما نسب إليه من شعر لجاز القول بأن جحدراً تجاوز بشجاعته الحدَّ الممدوح ، فاتخذها وسيلة إضْرارٍ وتمرُّدٍ في مجتمعه :

ألم ترني خلقت فتى حروب إذا لمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جاني

والمتقدمون الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم لم يذكروا لنا من أخبار شجاعته سوى قصته مع الأسد ، وقد لاحظ صاحب « خزانة الأدب »[1] أن السكري مؤلف كتاب « اللصوص » لم يورد تلك القصة مع أنه استوعب أحوال اللصوص وأشعارهم وأورد لجحدر أشعاراً .

---

(١) ج٣ ص ٣٤٣ .

كما أن الرجز الذي أوله :

ليـــث وليث في مجـــال ضنك كلاهما ذو أنـــف ومحـــــك

نقل صاحب « الخزانة » أنه لواثلة بن الأسقع الصحابي أورده الكلاعي في « السيرة النبوية » في وقعة مرج الروم ، وكان واثلة في جيش خالد ابن الوليد فخرج بطريق من كبار بطارقة الروم فبرز له واثلة وهو يقول ذلك الرجز ، ثم حمل على البطريق فقتله . وكان ذلك بعد سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ويعقب صاحب « الخزانة » قائلاً : فلا شك أن واثلة أقدم من جحدر ، فيكون جحدر قد أخذ الشعر من واثلة وزاده . انتهى . وورود الخبر منسوباً إلى جحدر في كثير من الكتب[1] يدل على أن له أصلاً ، وإن كان التزيُّد في الأخبار الغريبة أمراً شائعاً ، ونصُّهُ : كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك ، وكان لَسِناً فاتكاً شاعراً ، وكان قد أفحش على أهل حجر ونواحيتها ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب إلى عامل اليمامة يوبخه في تلاعب جحدر به ، ثم يأمره بالتجرد في طلبه حتى يظفر به .

فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حنظلة فجعل لهم جُعْلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدر أو أتوا به أسيراً ، ووعدهم أن يوفدهم إلى الحجاج ويسني فرائضهم ، فخرج الفتية في طلبه حتى إذا كانوا قريباً منه بعثوا إليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع إليه ، فوثق بهم ، واطمأنَّ إليهم ، فبيناهم على ذلك إذ شدوه وثاقاً ، وقدموا به إلى العامل ، فبعث به معهم إلى الحجاج . فلما قدموا به على الحجاج قال له : أنت جحدر ؟ ! قال : نعم ! قال : ما حملك على ما بلغني عنك ؟ ! قال : جرأة الجنان ، وجفوة السلطان ، وكلبُ الزمان ! ! قال : وما الذي بلغ من أمرك

---

(١) أوردها ابن كثير في «البداية والنهاية» : ١٢٥/٩ . أنظر «خزانة الأدب» ٣٤١/٣-٣٤٣ فقد نقلها عن الجاحظ في كتاب «المحاسن والمساوىء» وقال : أورد ابن الشجري في «أماليه» هذه الحكاية مختصرة والسيوطي في «شرح شواهد المغني» وابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن ابن الأعرابي وعن الزبير بن بكار في «الموفقيات» .

فيجترىء جنانك ، ويصلك سلطانك ، ولا يكلب عليك زمانك ؟ ! قال : لو بلاني[1] الأمير لوجدني من صالحي الأعوان، وبُهَم[2] الفرسان، ومَنْ أوفى على أهل هذا الزمان . قال الحجاج : أنا قاذفك في قبة فيها أسد فإن قتلك كفانا مؤونتك ، وإن قتلته خليناك ووصلناك . قال : قد أعطيت – أصلحك الله – المُنْيَة ، وعظمت المنّة ، وقربت المحنة ، فأمر به فاستوثق منه بالحديد ، وأُلقي في السجن ، وكتب إلى عامله في (كسكر)[3] يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً . فلم يلبث العامل أن بعث له بأسدٍ ضارية ، قد أبرَّت على أهل تلك الناحية ، ومنعت عامّة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل واحداً منها في تابوت يجرُّ على عجلة ، فلما قدموا به أمر فأُلقي في حيزِ ، وأُجيعَ ثلاثاً ، ثم بعث إلى جحدر فأُخرج ، وأعطي سيفاً ، ودنى منه ، فمشى إليه الأسد ، فأنشأ يقول :

ليث وليث في مجـــال ضنـــك كلاهما ذو أنـــفٍ ومَحْـــك[3]

حتى إذا كان منه على قدر رمح تمطّى الأسد وزأر وحمل عليه ، فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها ، وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح ، ولم يلبث جحدر لشدة حملة الأسد عليه – مع كونه مكبّلاً – أن وقع على ظهره متلطخاً بالدّم ، وعلت أصوات الجمامة بالتكبير . وقال له الحجاج – لمّا رآى منه ما هاله – : يا جحدر إن أحببت أن ألحقك ببلادك ، وأحسن جائزتك فعلت ذلك بك ، وإن أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاسنينا فريضتك . فقال : أختار صحبة الأمير ، ففرض له ، ولجماعة أهل بيته .

شعر جحدر : أما شعر جَحْدَرٍ فإن القدر اليسير الذي ورد فيما اطلعت عليه من المصادر – مع ما فيه من منحول ومختلف في نسبه – يرفع جحدراً إلى مصاف

---

(١) بلاني : اختبرني .

(٢) جمع بهمة – بضم الباء وفتح الهاء والميم – الشجاع الذي ينبهم أمره بشجاعته فلا يعرف من أين يؤتى .

(٣) الأنف : الاستنكاف ، والمحك : اللجاج .

مجيدي الشعراء ، وخاصّة ما يتعلق بوصف السجون ، وما يقاسيه أهلها من العذاب داخلها . وما ذالك إلا لأنه يعبّر في دلك الشعر عن إحساس صادق ، ويصف أموراً قد عاناها ، وهو حينما يصف السير في القفار في ركب قد أنهكهم طوله في مواصلة السُرَى حتى غلبهم النعاس ، يبلغ في وصفه حدّ الروعة :

وركـــب تعادوا بالنعـــاس كأنما تساقوا عقاراً خالطتْ كلّ مَفْصِلِ

وسيجد القارىء في التتف التي جمعتها من شعره – على قِلّتها – ما يعرف به منزلته في الشعر ، ويغنيه عن الاسترسال في الحديث عنه من هذا الجانب .

ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيراً من الشعر المنسوب إليه قد نسب إلى غيره من الشعراء – وخاصة القصيدة النونية التي سترد آخر الشعر ، فمنها أبيات نسبها الآمدي إلى رجل من بني جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وأبيات في « الحيوان » للجاحظ و « عيون الأخبار » لابن قتيبة و « المعاني الكبير » له ، منسوبة لغير جحدر .

وقد أوردت القصيدة كما وردت في « الأمالي » وغيره من أمهات كتب الأدب ، وتركت أمر التحقق من صحة نسبة مختلف أبياتها لمن يحاول التوسع في دراسة شعر هذا الشاعر ، وما علي إلا أنني قرّبت – ما استطعت – له طرفاً من ذلك يقع في نحو ١٣٠ بيتاً ، وما هي بقليلة من شعر شاعر مغمور .

ب – وقال جحدر بن معاوية المحرزي اللص :

يا دار بين (بُزَاخة) فكثيبهـــا فلوى (غُبَيْرٍ) سَهْلهـــا أو لُوبِهَـــا
سَقَتِ المصبّا أطلالَ ربعك مُغْدِقاً ينهلُّ عارضُهـــا بلبس جيوبها[1]
أيام أرعى العين في زهـــر الصبـــا وثمار جنـــات النساء وَطِيبِهـــا[2]

(١) كذا ولعله : (بلبس جنوبها) .
(٢) « معجم البلدان » – بزاخة .

ج ــ وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي[1] :

يا جمل إنك لو شهدت كريهتي ... في يوم هول مسدف وعجاج
وتقدمي لليث أرسف موثقا ... كيما أكابره على الأحراج
جهم كأن جبينه طبق الرحا ... لما بدا متعجر الأثباج
شثن براثنه كأن نيوبه ... زرق المعاول أو شباة زجاج
وكأنما خيطت عليه عباءة ... برقاء أو خلق من الديباج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما ... لما أجالهما شعاع سراج
وله إذا وطيء المهاد تنقض ... ولثي طفطفه نقيق دجاج
أقبلت أرسف في الحديد مكبلا ... للموت نفسي عند ذاك أناجي
والناس منهم شامت وعصابة ... عبراتهم بي في الحلوق شواجي
قرنان محتضران قد محضتهما ... أم المنية غير ذات نتاج
لما نزلت بحصن أزبر مهصر ... للقرن أرواح العدى مجاج
نازلته إن النزال سجيتني ... إني لمن سلفي على منهاج
وعلمت أني لو أبيت نزاله ... إني من الحجاج لست بناج
ففلقت هامته فخر كأنه ... أطم هوى متقوض الأبراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهد ... مما جرى من شاخب الأوداج
ولبأسك ابنَ أبي عقيلٍ فوقه ... وفضلته بخلائق أزواج
ولئن قذفت بي المنية عامداً ... إني لخيرك بعد ذاك لراجي
علم النساء بأنني ذو صولة ... في ساعة الإلجام والإسراج

د ــ في « معجم البلدان » : دِيْماس ــ بكسر أوله وآخره سين مهملة ــ : سجن كان للحجاج بواسط . قال جحدرٌ اللّصُّ ــ وقد حُبِس فيه ــ :

---

(١) «الحماسة البصرية» : ٣٣٧/٢ وقال محققها الخبر والأبيات في المحاسن والأضداد ١٠٢ ، والأبيات في ابن عساكر والخزانة ٣٤٢/٣ وبعضها في الدميري ٤٣٨/٢ .

إن الليـــالي نَجَـــتْ بي فهي محسنةٌ ... لا شكَّ فيه من الديماسِ والأسَدِ
وأطلقتـــني من الأصفـــاد مخرجةً ... من هول سجْنٍ شديد البأس ذي رَصَد
كأنَّ ساكنـــه حيّـــاً حشاشتـــــه ... مَيْتٌ تَرَدَّدَ منه السُّـــمُّ في الجسد[1]

وأورد له ياقوت في « معجم البلدان »[2] :

تربّعْنَ غَوْلاً فالرجامَ فَمَنْعِجاً ... فعرفته فالمِيْث مِيْث نَضـــــادِ

ر — وقال :

يا صاحِبَيَّ—وبابُ السجن دُونكما— ... هَلْ تُؤنِسانِ بصحراء اللِّوَى نارَا
لوى الدخـــول إلى الجرعـــاء موقدها ... والنار تبدي لذي الحاجات أذْكارا
لو يُتْبَعُ الحقُّ فيما قد مُنيتُ بـــه ... أو يُتْبَعُ العَدْلُ ما عَمّرتُ دَوَّار
إذا تحرَّكَ بـــابُ السِّجْن قـــام له ... قوم يمدُّون أعناقاً وأبْصـــــارا[3]

وقال جحدر :

ذكرتُ هنـــداً وما يغني تذكُّرُهـــا ... والقوم قد جاوزوا ثُهـــلانَ والنَّمِيْرَا
عـــلى قلائص قد أفـــنى عرائِكَهَـــا ... تكليفناها عريضاتِ الفلا ، زُورا[4]

وقال جحدر أيضاً في ابراهيم بن عربي والي اليمامة[5] .

إني أَرقت لبرق شاقـــني ســـاري ... كأنَّ في العين منه مَسَّ عُـــوَّار
أو حرّ فلفلة كانت بها قُذِيـــت ... لما برى قشرها عن حرهـــا الباري
إن الهمـــوم إذا عادتـــك واردةً ... إن لم يعرج لها ورد بإصـــــدار
كانت عليك سقامـــاً تستكـــين له ... وأنصتتـــك لحاجـــات وإذكار
فصرت في السجن والحرَّاس تحرسني ... بعد التلصص في برٍّ وأمصـــار

---

(١) «معجم البلدان» — الديماس — .
(٢) رسم (عرفة منعج) .
(٣) «معجم البلدان» — الدخول .
(٤) «معجم البلدان» — ثهلان — .
(٥) «منتهى الطلب» .

وسير حرف تجوب الليـــل جافلة ... عَوم السفينة في ذي اللجة الجـــاري
يا نفس لا تجزعي إني إلى أمـــــد ... وكل نفسٍ إلى يـــوم ومقـــدار
ومـــا يقرب يومي من مَـــدى أملي ... فاقني حياءكَ ترحالي وتسيـــــاري
إني إلى أجـــلٍ إنْ كنت عالمـــة ... إليه ما منتهـــى علمي وآثـــــاري
لله أنـــت فإن يعصمك فاعتصمي ... وإن كذبت فحسبي الله من جـــار
أدعيـــه سرّاً وناديه علانيـــــة ... والله يعلم إعـــلاني وإســـراري
وما السعـــادة في الدنيا لذي أمـــدٍ ... إن السعيد الذي ينجو من النـــــار

سقياً لسجنـــك من سجن وساكنه ... بديمة من ذهـــاب الماء مـــــدرار
بكـــل جون رواياه مطبقـــــة ... واهي العزالي من الجـــوزاء جرّار
وقد دعـــوت وما آلو ، لأسمعه ... أبا الوليد ودوني سجن (دوّار)
في جوف ذي شرفاتٍ سُدَّ مخرجه ... بباب ساج أمين القفـــل صـــرار
أدعوه دعوة مظلـــوم لينصـــرني ... ثم استغثت بذي نُعَمَى وأخطـــار
أشكو إلى الخير ابراهيـــم مظلمتي ... في غير جرم وإخراجي من الـــدار
الدهر أرسف في كَبْلٍ أعالجـــه ... وحلقة قاربوا فيهـــا بمسمـــــار
أدور فيه نهـــاري ثم منقلـــبي ... بالليل أدْهَمُ مزرود بـــأزرار
كأنه بـــين إستـــارين قدهمـــا ... سراة أوْرق مطلـــيٌّ من القـــــار
يا أقرب الناس من حمـــد ومكرمة ... وأبعد الناس من ذمٍّ ومن عـــار
وأعظم الناس عفواً عنـــد مقـــدرة ... وليث غاب على أعدائه ضـــاري
وَرْدٌ هَزِيْرٌ تُميت القرنَ صولته ... وضَمَّهُ بين أنيـــاب وأظفـــار
أنعم عليَّ بنعمي منـــك سابغـــة ... من سيب أروع نفّاع وضـــرار
أَوْفَى اليمامـــة من يعلق بذمتـــه ... تأخذ يَدَاه بحبل غـــير خـــــوار

وقال جحدر المحرزي وهو حبس بها :

أقول للصحب في (البيضاء) دونكمُ ... محلـــة سودتْ بيضـــاء أقطـــاري
مأوى الفتوة، للأنذال مُذْ خُلِقَتْ ... عند الكرام محلُّ الذُّلِ والعـــارِ

كأن ساكنها من قعرها أبداً لدى الخروج كمنتاش من النار[1]

واورد البكري في «معجم مااستعجم» الكوفة لجحدر وهو مسجون

يارَبِّ أبغضُ بيتٍ أنت خالقه بيت بكوفان منه استعجلتْ سَقَرُ

وقال جحدر لعياش الضبي[2] :

أعيّاش إذ وطنت نفسك فاصطبر غداً للممّات سبا وسعيرُ[3]
وأنت قطيعُ الرجل تمشي على العصا وكفُّك من عظم اليمين جذيرُ[4]
وأحموقة وطنت نفسك خالياً بها وحماقات الرجال كثيرُ
فإن وَطّن الضبيُّ نفساً لئيمة على الذل ما نفسي لها بصبُور[5]

وأورد ياقوت في « معجم البلدان » (دَوَّار) : قال أبو أحمد العسكري : قال جَحْدرٌ — وكان إبراهيم بن عربي قد حبسه بدوّار :

إنّي دعوتُكَ — يا إلهَ محمد — دَعْوَى ، فأوّلها لِيَ استغفارُ
لتجريني من شَرٍّ ما أنا خائفٌ ربَّ البريّة ، لَيس مثلك جارُ !
تقضي ولا يُقْضَى عليك وإنّما ربّي — بعلمك تنزل الأقدارُ
كانت منازلُنَا التي كُنّا بِهَا شَتّى ، فألّفَ بيننا (دَوَّارُ)[6]
سجْنٌ يلاقي أهله من خوفه أزَلاً ، ويُمْنَعُ منهم الزُّوَّارُ
يُغْشَوْنَ مُقْطَرَةً كأنَّ عمودَهَا عُنُقٌ يُعَرِّقُ لَحْمَهَا الجَزَّار[7]

---

(١) «معجم البلدان» — البيضاء — .

(٢) كتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ ص ٢٤١ . وفي «معجم الشعراء» ص ٢٧٩ أن الأبيات لابن الطيلسان وقد دخل على عياش الضبي فوجده قد قطعت يده ورجله في الحبس .

(٣) في «معجم الشعراء» : فحظك من بعد الممات سعير .

(٤) جذير : مقطوع .

(٥) في «المعجم» : ما نفسي له بوقور . وفي البيت إقواء .

(٦) في «التكملة» للصغاني و «تاج العروس» هذا البيت قال جحدر بن معاوية الكلبي وأرى (الكلبي) تصحيف العكلي .

(٧) المقطرة : خشبة فيها خروق ، على قدر سعة الساق تدخل فيها أرجل المحبوسين مشتق من قطار الإبل ، لأن المحبوسين على قطار واحد مضموم بعضهم إلى بعض ، أرجلهم في خروق خشبة مغلوقة على قدر سعة سوقهم ، وتسمى الفلق بفتح اللام وهي الفلقة .

وقال جحدر[1] :

تعلّمْـــن يا ذود اللبيـــينِ سيرةً ... بِنا لم تكـــن أذوادكُنَّ تســـيرها

ع ــ وقال :

نظرتُ وأصحابي تعالى ركابُهُمْ ... وبـ(السّرّ) وادٍ من (تناصف) أجمعا
بعين سقاها الشوق كحـــل صبابة ... مَضيضاً ترى إنسانَهَا فيـــه مُنْقَعَا
إلى بارق جاد اللوى من قُرَاقِرٍ ... هنيئاً له إن كان جَدَّ وأمْرَعَـــا
إلى الثّمَدِ العَذْب الذي عن شماله ... وأجْرَعِهِ ، سقْياً لذلك أجْرَعَا[2]

ف ــ وقال :

وإنَّ امرأ يعدو و(حَجْرٌ) وراءه ... و (جوٌّ) ولا يغزوهمـــا لَضَعيفُ
إذا حُلّةٌ أبليتها ابتعتُ حُلّـــةً ... كسانيهَـــا طوع القياد عَلِيـــفَ
سَعَى العَبْدُ إثْرِيْ ساعةً ثم رَدَّهُ ... تذكُّرُ تَنُّورٍ له ، ورَغِيـــفُ[3]

ك ــ وقال جحدر في مبارزته للأسد[4] .

ليثٌ وليـــثٌ في مجال ضِنـــك ... كلاهمـــا ذو أنـــفٍ ومحـــك
وبطشـــة وصولـــة وفتـــك ... إن يكشف الله قنـــاع الشـــك
بظفـــرٍ في حاجـــتي ودرك ... فهو أحـــق منـــزل بـــترك
الذئب يعوي ، والغـــراب يبكـــي

ل ــ وقال جحدر العكلي[5] :

وركب تعادوا بالنعـــاس كأنمـــا ... تساقوا عقاراً خالطت كل مفصل
سريت بهم حتى مضي الليل كله ... ولاحت هوادي الصبح للمتأمـــل

---

(١) «معجم البلدان» ــ اللبين ــ قال : اللبين تثنية لبي ماءان لبني العنبر . انتهى . وبلاد بني العنبر شرق الجزيرة بقرب الحفر .
(٢) «معجم البلدان» ــ تناصف ــ .
(٣) «معجم البلدان» ــ الجو ــ .
(٤) «الحماسة البصرية» : ٣٣٨/٢ «المحاسن والأضداد» و «خزانة الأدب» مع اختلاف في بعض الأبيات .
(٥) الحماسة البصرية ج٣٥٨/٢ .

وقالوا وقد مالت طلاهم من الكرى: أنخ إنها نعمى علينا وأفضل
فطاوعتهم حتى أناخوا كلاكلا مهارى لهوا عنها ولما تعقل
وقالوا على أعطافها وتوسدوا إلى الركب اليسرى سواعد أشمل
ولاثوا بأيديهم فضول أزمة تصور البرى أزرارها لم تحلل
غشاشاً غرار العين ثم تنبهوا سراعاً إلى أكوار سُدْسٍ وبُزَّل

م — وقال جحدر أيضاً :

يا ربَّ (دَوَّار) أنقِذْ أهْلَهُ عَجِلاً وانقُضْ مرائِرَهُ منْ بَعْدِ إبْرام
ربِّ ارْمِهِ بخراب وارْمِ بانِيَهُ بصولة من أبي شبلين ضِرْغام[1]

ن — وقال جحدر ، وهو في سجن الحجاج :

رأيتُ بـ (ذي المجازة) ضوء نارٍ تلألأ وهي نازحة المكان
فشبّهه صاحباي بها سُهيلا فقلت : نبيّنا ما تنظران
أناراً أوقدتْ لتَنَوَّراها بدت لكما أم البرق اليماني
وكيف ودونها هضبات سلع وأعلام الأبارق ، تعلمان
كأنَّ الريح ترفع من سناها بنائِقَ حُلّةٍ من أرجوان[2]
تأوبني فبِت لها كنيعا همومٌ ما تفارقني حواني
هي العُوَّاد لا عواد قومي أطلن عيادتي في ذا المكان
إذا ما قلت : قد أجلين عني ثنى ريعانهن علي ثاني
وكان مقرُّ مترلهن قلبي فقد أنفهنه والهمُّ آني
أليس الله يعلم أن قلبي يحبُّك أيها البرق اليماني
وأهوى أن أرد إليك طرفي على عُدَواء من شغلي وشأني

---

(١) «معجم البلدان» — دوار .

(٢) الأبيات الخمسة في «الحماسة البصرية» ٢/٩٧ منسوبة لجحدر العكلي وأشار محقق الحماسة إلى بعض مصادر القصيدة وإلى نسبة بعض أبياتها لغير جحدر ، وأوفى مصدر لها «الأمالي» اللقالي ١/٢٨١ و « بغية الطلب » — مخطوط — ج١ الورقتان ١٢٥ و١٢٦ نسخة مكتبة (لا له لي) في اصطنبول و « معجم البلدان » — حجر — .

نظرت – وناقتاي عـلى تعـادٍ ... مطاوعة الأزمـة ترحـلان
إلى ناريهمـا وهما بعيـد ... تشوقـان المحب وتوقـدان
ومما هاجني فازددت شوقاً ... بكاء حمامتين تجاوبـان[1]
تجاوبتا بلحـن أعجمـي ... على غصنين من غـرَب وبـان[2]
فقلت لصاحبي وكنـت أحـزو ... ببعض القول مـاذا تحـزران ؟
فقالا : الدار جامعـة قريبـاً ... فقلت : وأنتمـا متمنّيـانِ
فكان البـان أن بانـت سليمـي ... وفي الغرب اغتراب غير دانـي

* * *

أليس الله يجمـع أمَّ عمـرو[3] ... وإيّانا ، فذاك لنـا تدانـي
نعم وترى الهـلال كما أراه ... ويعلوهـا النهـار كما علانـي
فمـا بين التفـرق غير سبـع ... بقـين من المحـرم أو ثمـان

* * *

فيا أخوي من كعـب بن عمرو ... أقـلاَّ اللـوم إن لم تنفعـاني
إذا جاوزتمـا شعقـات حَجْرٍ ... وأوديـة اليمامة فانعيـاني
وقـولاً جحدر أمسـى رهينـاً ... يحـاذر وقع مصقـول يمـاني
إلى قـوم إذا سمعوا بقتـلي ... بكى شبانهم،وبكى الغـواني[4]
ألم ترنـي غذيت أخـا حروب ... إذا لم أَجْنِ كنت مِجَـنَّ جاني
فإن أهلك فرُبَّ فتى سيبـكي ... عليَّ مهـذب رخص البنـان
ولم أك قد قضيـت حقوق قومـي ... ولا حقَّ المهنّـد والسنـان
كذا المغرور في الدنيـا سـيردَى ... وتهلكـه المطامـعُ والأمانـي

---

(١) جعله ياقوت «معجم البلدان» – حجر – أول القصيدة وأورده هكذا :
لقد صدع الفؤاد وقد شجاني ... بكاء حمامتين الخ ..

(٢) وأورد ياقوت بعده :
فأسبلت الدموع بلا احتشام ... ولم أك باللئيم ولا الجبان

(٣) في «المعجم» : من جشم بن بكر . وفي «المؤتلف» : من جشم بن سعد .

(٤) في «المعجم» : بعد هذا : ستبكي كل غانية عليه ... وكل مهذب رخص البنان
ستبكي كل غانيـة عليه ... وكل مهذب رخص البنان
وكل فتى له أدب وحلم ... معدي كريم غير واني

فصول من: "شمال نجد"

تأليف: ا. موزل

الفصل السادس : في منطقة قبيلة الظفير وفي صحراء الدهنا من لينة إلى حقي القصاص في الظفير : أنطلقنا الساعة ٦,٤٥ من صباح اليوم الثامن عشر من آذار سنة ١٩١٥ باتجاه الشمال الشرقي . وكانت غايتنا استكشاف منطقة قبيلة الظفير إلى الشمال الغربيّ من الباطن وأكثر تحديداً من هذا ، زيارة قلعة قصر أبو غار المهدّمة . وقد رافقنا حضري الزوج الشاب إلى مسافة قصيرة . كنا نمر ضمن منطقة الجريبا وسطَ منظر طبيعي ليس باستطاعتي مقارنته مع أي شيء في الجزيرة العربية . كانت الأرض مُنبسطاً متموّجاً من الصخور ، وطبقاتها من الأحجار الرملية الناعمة مستسلمة تدريجياً إلى التآكل . وكانت المنخفضات المستوية وأقنية جداول مسايل الأمطار الضئيلة تتخلّلُ السهل بأكمله من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . ويُطلَق البدو على مثل هذه المنخفضات أسم هذاليل (جمع هذلول) كان بعضها منفصلاً عن بعض بسبب وجود العديد من الأحواض الصغيرة ، كان كل واحدٍ منها مطوّقاً بحواجز مستديرة وعرة من الصخور المتساقطة . وقد يصل إرتفاع مثل هذه الكومات عشرين متراً تقريباً ، وهي شديدة الأنحدار لا يمكن تسلّقها : ويُطلق عليها البدو إسم خشبة (الجمع خشَبات) . وأما الحوض نفسه فكان يُعرف باسم قريّة (الجمع قريّات) . وكانت سفوح هذه الحواجز جرداء تماماً ، لا ينمو فوقها نباتاتٌ سنوية ولا موسميّة . وأما في الهذاليل والقريّات فكان يندر وجود النباتات الموسمية (شجر) ولم يكن هناك سوى الحشائش الغزيرة النمو . وإذا لم يسقط المطر خلال مدة تقارب السنة لم تجد الحيوانات الكلأ في الجريبا .

وصلنا إلى الجِلعودية عند الساعة ٨,٥٥ ، وهي طريق من العراق إلى مكة ، تسير من موقع مياه لينة إلى موقع مياه أبو غار . ويمتد هناك ثلاثة هذاليل تُسمى الغُرابيات ، تمتد إلى الشمال من هذه الطرف . وهي تبدأ قريباً من لينة وتنتهي عند أطراف الجريبا الشمالية . أسترحنا من الساعة ٩,٣٨ حتى الساعة ١٠,٠٣ . قُمنا بعدها بِنَشل الماء من الساعة ١١,٢٠ حتى الثانية عشرة من برَك (غُدُر) القريبة من خرائب العمارة . وقد رأينا هناك حوالي الخمسين كوخاً متهدمة كانت على هضبة منخفضة إلى الشمال من الطريق . وكان التجار يَشغلُون هذه الأكواخ ، في وقت من الأوقات أيام كانت الجلعودية على طريق الحجاج . وهناك وادي قصير إلى الغرب ، أسفل الأكواخ . وقد رأيت فيه أشجار السِّدر في غياضٍ كثوفة تخترقها تلاع وتجاويف صغيرة الأقنية بسيطة . وكانت هذه التجاويف ممتلئة بمياه الأمطار . وبينما كنا منهمكين في إخراج الماء ، اختفى دليلنا خزيّم من قبيلة البدور . وكنا نأمل أن يحمينا خزيّم هذا من قبيلة زياد . غير أنه يبدو أن صاحبنا استشعر عدم قدرته على القيام بواجبه ، فهم بخذلاننا . وهكذا فإن جَلّ ما كان بمقدورنا أن نتوجّه إلى قبيلة الظفير لاستخدام رفيقٍ (خويّ) منها . واصلنا رحلتنا بمحاذاة طريق الجلعودية . واستمرت جمالنا ترعى من الساعة ١,٢٥ حتى ١,٥١ ونحن ننتظر عودة نازل ، وكان قد قصد مخيماً مجاوراً لقبيلة الأسلم ليستفسر منه عن أقرب مخيّم لقبيلة الظفير . وفي الساعة الثالثة كان منخفض الأعيوج يقع إلى الشرق . كما لاحت إلى الشمال من الزَّعبية تلة منخفضة ذات قمة مسطحة . وفي الساعة ٣,٥٠ خيّمنا في طريق الجِلعودية التي تكتنفها شجرات السِّدْر على مسافة قصيرة من مخيّم الجعافرة ، قبيلة من شَمّر ، بالقرب من آبار الأعيوج .

انطلقنا في الساعة ٤,٢٠ من صباح التّاسع عشر من أذار باتجاه شرقي . وكان السير في الظّلمة متعباً جداً ، فقد كان علينا تفادي الأرض الصلبة (الحصيات) . وبعد الساعة السادسة أصبحت القريات أكثر اتّساعاً وكومات الصخور أكثر انخفاضاً . وكان بالإمكان العثور على الحصّ والملح في جميع الجهات . وفي الساعة ٧,٢٥ وصلنا إلى مخيّم عائلة بويت (؟) من قبيلة الظفير . وكان سيد العشيرة ،

هزاع بن عقاب بن سويط ، في حوالي الأربعين من عمره ، قصير القامة . قويّ البِنية ، وتبدو عليه ملامح الذكاء . كان مُبَجّلاً بسبب سخائه العظيم . وكان قد تزوّج مرّتين ، ومنحته زوجته الأولى ولدين ، قتل أكبرهما عَجَمِيُّ بن سعدون ، زعيم قبيلة المنتفق ، وقتلت شمّر الولد الآخر أمّا زوجته الثانية فكانت قد أنجبت غلاماً قبل زيارتنا بوقت قصير .

ولم يقبل أحد رجاله مرافقتنا في بادىء الأمر ، واعتذر من سألناه بكثرة الأعمال ، وبالمشكلات القائمة بينهم وبين قبيلتي المُنتفِق والعجمان . ثم إنه تقدّم شاب يبلغ العشرين من عمره ، وأبدى رغبته في مرافقتنا . وقد أكد لنا معرفته جميع القبائل المجاورة وقدرته في حمايتنا منها . وقد صرخ به هَزّاع طالباً منه عدم التبجح ، لكونه غير قادرٍ على تقديم الحماية لنا خارج قبيلة الظّفير . وأما فيما يتعلّق بالقبائل الأخرى ، لذا فعلينا البحث عن مرافقين من بين صفوفهم .

كانت قبيلة الظفير منقسمة إلى زمرتين ، إحداهما صغيرة وكانت تنشد السّلام ، والأخرى كبيرة كانت تخوض حرباً بقيادة زعيمها الأكبر حمود بن سويط ضد قبيلة البدور وقبيلة زياد ، وضد أقرباء عَجَمي بن سعدون زعيم قبيلة المنتفق . وكان الزعيم هزّاع ورعاياه من البويت أعداء لعَجَمي هذا ، ولكنهم ليسوا في حالة حرب أو سلام مع قبائل البدور وزياد (؟) . كان رجال الواحدة منها يغزون الأخرى في شراذم يتراوح عدد الواحدة منها بين رجلين أو ثلاثة رجال . ولذلك فإن البويتي غير قادرٍ على ضمانِ سلامتنا إلاّ إذا كان هو نفسه يعرف أحَداً من قبيلة زياد حتى يَطلُب حمايته . ولقد أكد لنا أنه على معرفةٍ بكثير من الرّجال الذين سيمنحونه الحماية بطيبة خاطر .

تنحدر قبيلة زياد من الكواكبة ، وزعيمها الأكبر بريد بن جندل . وكان أخوه هدهود بن جندل ، سجيناً لدى ابن رشيد أما زعيم قبيلة البدور الأكبر فهو شرشاب (؟) بن زويد وفي سنة ١٩١٠ كانت قبيلتنا زياد والبدْور خاضعتين لقبائل المنتفق والظفير . ولكن بعد وفاة الزعيم العظيم سعدون نشبت حرب أهلية بين

المنتفق ، ثم بينها وبين قبيلة الظفير . وقد هَبّت قبائل البدور وزياد فحاربتاها ، وقامت بتدمير معاقل المنتفق وحصونها . وفي الشتاء كانت تنتقل مع أنعامها إلى أي مكان كانت ترغب التوجه إليه . وبعد ذلك قاموا بهدم قصر أبو غار[1] . إذ دخلوا تلك البناية المُحَصَّنة في زيّ النساء وسمح لهم الحراس بذلك . ثم إنهم قاموا بذبح الحراس أثناء الليل ، ودمّروا المدخل الرئيسي ، وقضوا على الفلاحين الذين يعملون لدى عَجَمي ، وهدموا القصر بعد ذلك .

إن قبيلة الظفير تنقسم إلى :

البْطون (الزعيم الأعلى : حمود بن سويط) .

الصمدة (الزعيم الأعلى : لزّام أبو الذّراع) .

فأما البطون فَهُمْ : آل بويت ، وآل سَعيد ، وبنو حسين ، وبنو خالد ، وآل كثير ، والطْلوح .

وتبلغ قبيلة البطون الفين وخمسماية بيت وهي مشهورة بغَدْرها .

وأما الصمدة فهم : آل عريف ، والقواسم ، والنفيسان ، والمعاليم ، والمسامير ، والضِرعان .

وتبلغ قبيلة الصمدة ألف بيت ، وكانت شَمّر تعتبرهم أبناء عم (بني عم) .

والجماعات التالية تُخَيّم مع قبيلة الظفير :

الجِبْرَين ، العَوازِم ، الرّشايدة ، العونية ، السلّيلات ، الكْواد .

واصلنا السير الساعة ١/٤٠ نحو الشمال الشرقي ومنخفض الطيارات الذي يشبه الحوض إلى الجنوب الغربي منا ووراءه سهل الزقلة وعلى بعد خمسة أكيال تقريباً إلى الغرب أشار رفيقنا الظفيري إلى حَدَق رصاص أبو صوْر . وهو بئر ضحل تتجمع فيه المياه المتدفّقة بعض الوقت . وتدل كلمة حَدَق على ثغرة مستديرة في الطين أو في موقع ليّن من الأرض الصخريّة ، تتجمع فيها المياه . وعند الساعة الحادية عشرة بدت للنّظر خبراء المنجورة إلى الجنوب ، مع ميسة القنيني التي

---

(١) يرى موزل أن (أبو غار) هو ما يعرف قديماً باسم (ذي قار) وفي «جغرافية بطليموس» ادكار Edikarai) وأورد خبر يوم ذي قار على هذا الموضع نقلا عن تاريخ ابن جرير .

ظللنا نراها أمامنا وقتاً طويلاً . بقيت جمالنا ترعى من عشب الحمرا ، والرَّغل والحوْذان والسُّبَط والغَرَز والرّقما والسّحَم والقفعا والسّنسلة (؟) من الساعة ١١,٢٥ حتى ١١,٥٥ .

وقد أخبرني نازل أن قبيلة العمارات ظلت تضرب بيوتها في الجزء الشمالي من التيسيّة إلى وقت ليس ببعيد ، فهي حتى يومنا هذا لا تزال تُسَمّى تيسيّة عنزة نِسبَة اليهم . وتنتمي العمارات هذه إلى قبيلة عنزة التي انحدر منها ابن سعود من المصاليخ ، وابن صباح حاكم الكويت ، وأبو الخيل حاكم القصيم . كان رفيقنا الظفيري يتخوّف من عصابات بني حسين والعمارات .

وقد بدا لأنظارنا الآن جُرف حَقيّ القصاص (؟) في الساعة ١,١٥ ، وكان هذا الجُرف حاجزاً أحمر اللون يبلغ ارتفاعه عشرين متراً حجب عنا الأفق من جهة الشمال الشرقي. وفي الساعة الواحدة والنصف رأينا ميسة الحَرْما (؟) إلى الجنوب الشّرقي . وعند قاعدة هذه التلّة ، تقع حفيّ آبار أم رضْمه العذبة ، التي يتراوح عمق الواحد فيها بين عشرين وأربعين باعاً .

إن أرض الجْرَيّبا التي يُخَيّم فيها (صُليب) آل ماجد والبذاذلة الذين تكرههم قبيلة الظفير أكثر من كرهها القبائل الأخرى ، لهي مطَوّقَةٌ من الشمال الشرقي بهضاب حُقَيّ القصاص . وتمتد أرض المِرْيود من الشمال الشرقي من حُقَيّ القْصاص حتى الجزء الشمالي من هضاب الرّواق ، التي تشكّل امتداداً لهضاب جال البَطن . ويبدأ هذا الأخير إلى الشمال الغربي بالقرب من ميسات لميْما والبيضَتَين عند وادي الخِرّ وَمَنبع وادي الحِسيب . وتنحدر الجْرَيْبا إلى الشمال الشرقي ، والمريود إلى الجنوب الغربي ، ولذلك فإن مياه الأمطار تسيل منهما إلى حقيّ القْصاص، الذي يزوّد بالمياه آبار (جَوَّمايبات‌به) وخبرا المِعيْقليّة مع مواقع مياه أم رُضُمَه والعقُبَه . وأما منخفض البضّاق الذي يمتد من الجنوب ، فإنه ينتهي إلى الجنوب الغربي من المعيقليّة . ويوجد في هذا المنخفض وفي ضواحيه آبار الصريفج والمطربة والرُّغوة والصلبي والعْجيلي والحديقة . وإلى الشمال من العقبة بئر الأمنَح والمِرْيشِد إلى الشمال منه . ويُوجد إلى الشمال من (جَوّمايبات‌به) بئر (زعَبَلي) فيما بين هضاب الرُّبيْطة والحربقة الصخريّة . وإلى الشمال من الحربقة ، حيث تنتهي هضبة

جال البطن . كان بئر جَوْخا[1] في منخفض تلال الرّفيفات على طريق التُّرُمزيّة .

كانت مواقع مياه التقيق[2] وانصاب تقع إلى الشرق من الجَوْخا على طريق الحج التي تَتّجه من البصرة إلى لِينة عن طريق أبو غار . وكان انصاب معزولاً بقائمة جبل السّداوي ، ويشمل آبار العِرش والعَوْد والزوير .

إن فيضة العَجْز التي ترتفع منها بريك الغنم تلة بريك (بريق) (تش) الغنم ونصفها مغمورٌ في الرمل تمتد فيما بين انصاب والجَوْخا . ويقع إلى الجنوب الشرقي من انصاب بئر أم هشيم وعلى مسافة قريبة خلفه تبدأ الهضبة المسَمّاة فليج الشّمالي .

يقع فيما وراء هضبة الرّواق من الشمال مُنخفض فيضة المنيسفة الذي يتصل بفيضة الخريطيّة إلى الشمال . وإلى الغرب من المنيسفة تقوم تلال الرفيفات المنخفضة وقارة الغَنَمة إلى الشمال ، ومنخفض طوال الأمغر إلى الشرق . وفي طرف هذا المنخفض وبمحاذاته توجد آبار الدُّلَيْميّات والعامريّة والعمرية والجِلَيّدة والشّهانيّة والرخيميّة وعُقْل الجريبيعات وحِسيان أم العبيد وسِمّاح والعقبَة .

وظلت جمالنا ترعى من نباتات السّويقا والخاغور والشُّقّارى والحَوْذان والرُّخامَى والشّلوا (؟) والقرظي من الساعة ٢,٣٧ حتى ٣,٠٧ . ثم مررنا ببعض الصخور الرّملية وكانت تشكل قِشْرَة طَبَقَة كانت تغوص أخفاف جمالنا فيها . وكان الملح يُرى هنا وهناك ، على سفوح الهذاليل الواسعة ، وكانت الأرض رطبة في بعض الأماكن حتى لتَنهار تحت الأخفاف وكأنها أرض السبخة (مستنقع من الملح) . ونبات السَمن (؟) هو الأكثر وفرة بين حشائش هذه المنطقة . وعند الساعة الثانية عشرة رأينا الشّيح والقيصوم ينمو منتشراً هنا وهناك ، وكانت الطيور المعروفة باسم مسح الريضان (؟) ذات الأجنحة الطويلة الزرقاء عند الرأس والسوداء عند الأطراف ، تلاحق الجرذان . وعند الساعة ٥,٢٥ عبرنا كثيراً من الممرات التي تتجه إلى الجنوب الشرقي إلى مواقع مياه أم رضْمة والعَقَبة . ووصلنا في الساعة

---

(١) أورد كلام ياقوت (ج٢ ص ١٤٣ (الطبعة الأوربية) في جوخا وأنها بين عين صيد وزبالة لبني عجل .

(٢) أورد كلام ياقوت (٨٦٠/١) عن تقيد وأنه من مياه الحزن لبني تيم الله بن ثعلبة وبني قيس بن ثعلبة وبني عجل ، ويرى موزل أن تقيد تصحيف ثقيل باللام وهذه تصحيف تقيك – بالكاف – وهو المعروف الآن باسم تقيق (بضم التاء وفتح القاف بعدها ياء مثناة تحتية مكسورة مشددة) .

٥,٣٢ إلى جروف الحقي[1] وأقمنا مخيمنا في أخدود هناك . وبدأ المطر يسقط لكنه توقف بعد دقائق قليلة .

من حقيّ القصاص إلى الكريّم والعودة إلى لينة : انطلقنا عند الساعة ٣,٠٩ من صباح العشرين من آذار واتجهنا عبرَ المريود ، وهي أرض حمراء تكسوها الحَصباء الخَشِنَة هنا وهناك . فوصلنا في الساعة ٦,٠٦ إلى مُنخفض الشعيبة حيث ينمو الكثير من نباتات الرمث والروثة والعَرْفج . استمرت جمالنا ترعى من الساعة ٦١,٨ حتى ٦,٤٧ . وفي الساعة السابعة كان مرتفع الرَّحمَة يقع إلى الشرق – الجنوب الشّرقي ، وفيضة الوعدا (؟) إلى الشمال الشرقي منا ، وأما إلى الشمال – الشمال الشرقي من فيضة الوعدا (؟) فتقع بئر أم هشيم عند قاعدة مُنحَدر الرواق .

وفي الساعة ٨,٢٠ أخذت تهب ريح شمالية – شمالية غربيّة شديدة . وبعيد الساعة ٨,٤٠ عبرنا مُنخفض (الكريّم) الذي يمتد جنوباً صوب تَلّة الخرما المسطّحة . ويبلغ اتساع هذا المنخفض في بعض الأماكن خمسة أكيال ونصفاً، وكان المسيل الذي يسير فيه يختفي تماماً في الصخور والرمال في أماكن متعددة . وينمو الرمث والروثة في رُقَع صغيرة ومنعزلة فوق الأرض البيضاء . آنا صغيرة وآناً آخر كبيرة . وعند الساعة ٩,٤١ لفت الظفيري إنتباهي إلى رابية مظلِمة إلى الجنوب الشّرقي ، كان عند قاعدتها تقع آبار الأمنَح . ثم تناولنا الغذاء في الساعة ٩,٤٤ حتى ١٠,٣٢ .

وعند الساعة الحادية عشرة تسلّقنا منحدراً يحتوي على الودع (؟) من الشرق ورأيت مخيّماً صغيراً على بعد عشرة أكيال تقريباً إلى الأمام منا . وقد استنتج نازل والظفيري من وجود الخيام البيضاء الكثيرة العدد أن أصحابها هم من قبيلة زياد . لا البدو . وكانت الخيام تغطّي جانباً من تلّة خضراء منخفضة تبدو بوضوح تام ، وكان أحد فرسانهم يقوم بوظيفة حارس (طَلاّع) حول المخيم لمراقبة الأعداء فأبصرنا كما أبصرناه . وكان الرجل يقف فوق تَلّةٍ يبلغ ارتفاعها ثمانية أكيال تقع إلى الشمّال . وتبيّننا ، فأطلق رصاص بندقيته وجرى باتجاه الخيام ، وكان واضحاً أنه ينوي استثارة أهلها .

---

(١) قال موزل ما ملخصه : نجد اسم الحقى – بضم الحاء وفتح القاف بعدها ياء مصغرا – يشابه الحقو الذي ذكر ياقوت أنه ماء على بعد ١٢ ميلا من العقبة . وقال موزل والحقي بئر عمقها خمسون باعاً (١٠٠ متر) ماؤها آسن متغير ، ذو رائحة كبريتية وبقربه بركة وقلعة مهدمة .

ومن حسن حظّنا أن الفلاحين لم يكونوا يأتون بخيلهم عند خروجهم بعيدين عدداً كبيراً من أفراسهم عن حقولهم وقراهم داخل الصحراء ، وأنهم يبقون في العادة واحداً أو اثنين منهم ، وكانت جمالهم آنذاك ترعى قدامنا في مكانٍ بعيد عن المخيم . وفي هذه الظروف لم نقدّر أننا سنصطدم معهم قبل ساعتين من الزمن . وقد أنخنا جمالنا وأخذنا نتداول فيما يجب عمله . أما أنا فكنت أرغب في مواصلة السير حتى نبلغ أطراف (أبو غار) ، ولكن دليلنا الظّفيري قال : إنه لا يعرف أحداً من قبيلة زياد أو البدور ورفض مرافقتنا ثمّ فر هارباً . وقد أنذرته بإطلاق النار عليه إذا لم يَعُد في الحال ، ولكنه انطرح على الأرض وبقي ينتظر . والحق أن نازل كان على استعدادٍ للذّهاب معي ، وهذه شهامة منه ، ولكنني كنت أعلم أنه من سنجارة ، ولذلك فسيقتلونه بالتأكيد ، وسوف يذبحوننا بأجمعنا . ولهذا كان من المستحيل علينا تخطي (أبو غار (إلى الجنوب ، فَغيّرت الطريق وقررت أن أحاول التقدّم من الناحية الشمالية الغربية بمحاذاة ضفّة الفرات اليُمنى . وما أسرع ما أنهضت جملي واستدرت عائداً يتبعني الآخرون . وأخذ الظفيري يُعول بأنه لن يرى أهله مرة أخرى . وعند الساعة ١٢,٥٠ كشف لنا منظارنا رؤية فارسين إلى الشمال الشرقي . وقدّرت أنهما كانا يفتشان عنّا . . فعمدنا إلى السير في المنخفضات العميقة لتحجبنا عن النظر .

في الساعة الرابعة لمحنا تلال قارة الحربقا (؟) إلى الشمال الغربي . وكانت تلال بريك الغَنَم والسداوي تقع وراءها ، وكانت محطة مياه انْصَاب تقع عند قاعدة هذا الأخير . وفي الساعة ٤,٢٠ عبرنا الممرات التي تسير من أنْصَاب إلى أم رْضَمة . وبعد الساعة الرابعة والنصف كشف لنا المنظار عن جماعة من الفرسان ، ولذلك ، فإننا خيمنا في الساعة ٤,٥٥ داخل غارٍ يبلغ اتّساعه العشرة أمتار تقريباً ، وعمقه ثمانية أمتار ، ويزيد طوله عن الأربعين متراً ، وكان قدّامه الكثير من الكلأ لجمالنا . فأوقدنا ناراً وجلسنا نرقب الخيّالة الذين كانوا يسيرون في نفس الاتجاه الذي كنا نسير فيه ، لكنهم على بعد خمسة أكيال إلى الشمّال . وكانوا ستة عشر رجلاً : أربعة عشر يمتطون الجِمال ، واثنان على ظهور الخيل . وقد استنتج نازل والظفيري

أنهم جماعة من زياد يقومون بمطاردتنا . ومهما تكن الحال ، فقد كان مخيمنا محجوباً ، فنحن لا نتخوّف من أي هجوم يشنونه علينا . إنهم لم يكتشفوا آثارنا فوق الأرض الصخرية لمنخفض كريّم ، ولن يتسنى لهم ذلك بعد هبوط الليل . وخوفاً من أن يَدُلّ الدخان على مكاننا ، فقد أشعلنا القُصف اليابسة وحدها ، وأطفأنا النار حالما بزغت الشّمس . وقد أقمنا حارساً في الليل فوق صخرة مشرفة على مخبئنا .

واصلنا السير عند الساعة الثالثة من فجر يوم الحادي والعشرين من آذار . وكنا نرغب في اجتياز المنطقة التي نخشى أن يقابلنا مطاردونا فيها قبل طلوع الشّمس . ولم يكن هناك أدنى شكّ في أن القوم لن يواصلوا سيرهم طوال الليل ، فليس بإمكانهم أن يغامروا بالأقتراب من ديار شمّر . وقد اعتقد نازل والظّفيري أنهم سيتربصون لنا عند جرف حقّي القصاص . إذ كانوا سيدركون أننا سنقضي الليل في مكانٍ ما ثم نستأنف سيرنا في الصبـــاح . وقد اتخذنا الآن جميع الأحتياطات لنتفاداهم وقت الظلام وكان فلاّحو قبيلة زياد قليلي الحذر . وغير معتادين على النوم بدون الحفة في العراء ، لذا رأيناهم يوقدون النار في الساعة الرابعة . وكانت رؤوس الجمال وظل فرسين تُرى واضحة فوق السهل المستوي . آه . . إنها مجموعة الرجال التي رأيناها قبل حلول الظّلام . لم يكن يبدو عند النار أحد ، فلربما كانوا نياماً . واستدرنا قليلاً إلى اليمين وتوقفنا نرقب النار أكثر من نصف ساعة ، ثم إننا واصلنا السير . وبعد مضي بعض الوقت رأينا الرجال يفيقون من نومهم . وهمزنا جمالنا وأسرعنا باتجاه الغرب . وكانت الساعة قد بلغت السادسة قبل أن تظهر رواحلهم وفرساهم ثانية في الأفق صوب الجنوب . لقد رأينا الشمس المشرقة تتألق فوقهم فيما كنا لا زلنا في الأرض المنخفضة التي لم تنفذ إليها أشعة الشمس بعد . هل ستقع أنظارهم علينا ؟ هل يقبضون علينا ؟ لست أدري . إن جمالنا محمّلة بحقائب أثقل من حقائبهم . لكن أسلحتنا أفضل مما عندهم . وواصلنا السير قدُماً وبنادقنا بين أيدينا . وفجأة صرخ نازل : « لقد رأونا ! إنهم يُسرعون إلينا ! » خبب ! غير أن ذلك أنتهى . لقد شاهدنا مخيماً أمامنا على يمين الطريق . فاستدرنا إليه ونجونا !

وكان المخيم لقبيلة الظفير وزعيمها علي بن دويخي . وما إن علم بالأمر حتى جهّز نفسه على الفور للقبض على رجال زياد وهكذا ...تحوّل المطارِدون إلى مطارَدين .

بقيت جمالنا ترعى من الساعة ٦,٣٥ حتى ٦,٥١ . وكان السّهل الذي اجتزناه في هروبنا ينحدر إلى الجنوب الغربي باتجاه موقع (جَوّ ما يُبَات به) فيما بين العمارة ونْصَاب على طريق الجِلعوديّة . وحينما كان ابن رشيد حاكماً للريّاض والقصيم ، أجبرَ جميع الحجاج القادمين من فارس والعراق على المرور بمقرّه ، حايل ؛ وأما بعد أن طَرَد ابن سعود رجالَ ابن رشيد من الرياض والقصيم ، فقد جعل الحجاج يتبعون الطريق الأقصر : الكويت والقصيم . ومنذ ذلك الحين (حوالي سنة ١٩٠٦) أصبح طريق الجِلعودية مهجوراً .

وصلنا عند الساعة الثامنة إلى الطّرف الغربي لأرض المريود عند جرف حَقَيٍّ القصاص ، الذي ينخفض هنا نحو ٢٠ متراً باتجاه الجَريبا . ويجد المرء في هذه المنطقة كثيراً من الهضاب المُقبّبَة الشكل ، يتراوح ارتفاعها بين مترين وعشرة أمتار عن سطح الجريبا ، والجريبا تبدو في المقدمة تحتنا . وهي قباب فارغٌ جوفها ، وكأنها قالب من الجص برته الرمال المذروّة وقَذفت بلبِّه بعيداً فلم يبق منه إلا القشرة الخارجية . إن الآلاف من هذه القباب قد انهارت مخلّفة أكواماً من الركام كومات ارتفاع الواحدة منها يقارب نصف المتر . وهي ناعمة بحيث غاصت أرجلنا فيها . وفي أماكن قليلة جداً في ذلك الموقع رأينا قطعاً كبيرة من الصخور الصّلبة ، وكانت ملساء حتى يظن المرء أنها صخور مصقولة . والأرض هاهنا جرداء ، خالية من النبات سوى قليل تقريباً ؛ من نبات (الصمعا) والنقد في المنخفضات المستوية . وفي الساعة ٩,٤٣ هبت ريح في الشمال الشّرقي ؛ وكانت حارة ملأت الجوّ بالضباب (قتام) . تناولنا الغذاء في الساعة ١٠,١٩ حتى ١١,١٤ . وكانت المنطقة التي نجتازها كثيرة الأحواض الصغيرة المحاطة بجدران مستديرة من الحجارة . وكانت الأحجار مسطحة وممزقة وكأنها أقراص شمع العسل الفارغة . وفي الساعة ١٢,٠٠ تحولت الريح إلى شمالية وأصبح الطّقس صقيعاً . وفي الساعة ١٢/٥ رأينا مُنخفض فيضَة

الفاخري على بعد عشرة أكيال إلى الشمال – الشمال الغربي – ويقع في هذا السّهل بئر قليّب الفاخري (؟) وعمقه ثمانون باعاً . كان دليلنا الظفيري يجهل الجهات الأربع الأساسية ، وبدلاً من (إلى الغرب) كان يقول (فوق مِنُّو) ؛ ؛ وبدلاً من (إلى الشرق) يقول : (حَدَر مِنُّو) ؛ وبدلاً من (إلى الجنوب) يقول (على يِسْرَى مِنُّو) ؛ وبدلاً من (إلى الشمال) يقول : (على يِمْنَى مِنُّو) . استرحنا في طريق الجِلعودية ، التي استدرنا بمحاذاتها إلى الجنوب الغربي ، وكان ذلك من الساعة ١,٢٨ حتى ١,٥٢ . وبعد الساعة الثالثة مررنا بقطعان وأسراب من الأنعام لقبيلة الظّفير . وقد رأينا عن شمالنا خمساً من الفتيات وشابّين إثنين ، كانوا يرعون الإبل ، ويُمضون وقتهم في اللهو . وفي الساعة ٣,٥٠ ، شاهدنا إلى يسارنا كوخين متهدمين مقابل ميسة الزعبية . وفي الساعة ٥,٥٠ خيمنا إلى الجنوب من الطريق خلف أكوامٍ من الصخور (حصبات) .

كان منظر غروب الشمس في ذلك النهار رائعاً . وكانت السماء في الغرب متشحة برداء بنفسجيّ وأرجواني . ها هي الغيوم الرقيقة المنتشرة تبدو وكأنما قد قطعها (ساطور) من حديد مصهور ، في الأرض البُنيّة الداكنة والسماء الزرقاء الباهِتة . واستدرت إلى نازل قائلاً :

آه يا نازل ! هذا العالم جميل ، فلم كانت حياتنا محدودة ! ؟ »

فأجاب :

آه يا موسى لا تهتم بنهاية الحياة .. عِش ! أنا لا أتمنى شيئاً سوى العيش في هذا العالم) .

في الدّهنا بالقرب من آبار لينة : كنا فوق الرحال عند الساعة الثانية بعد منتصف ليلة الثاني والعشرين من آذار ، فبلغنا خيامنا وترّجلنا في الساعة ٥,٢٥ . وهناك وجدنا مخيمنا على أهبة الرحيل وسرعان ما انطلقنا ثانية في الساعة ٧,٣٥ ، لم أرَ حشائش في الحَجْرة ، إذ كانت الجمال قد رعتها كُلّها . وقد دُهش فهد لعودتنا السريعة ، ولكنه وافق على الخطوات التي اتخذناها عندما علم بما حدث لنا . وأرسلنا الجمال

ترعى من الساعة ٩,٢٢ حتى الساعة العاشرة . وعند الساعة ١١,٤٠ كان المخيم الذي بدأنا منه رحلتنا الأخيرة يقع إلى يسارنا . وفي الساعة ١٢,١٠ انحدرنا من جرف جال صِنّار ، الذي يطل على صحراء الدهنا . واسترحنا من الساعة ١,٠٥ حتى ١,٢٥ . وكان السهل الصخري ومحطّة مياه لينة قُبالتنا إلى الأمام . وأما إلى الشمال الغربي من السهل فقد لمحنا تلال قويدات طوق (؟) . وفي الساعة ٢,٤٨ اختار فهد موقع المخيم الجديد .

سافرنا مرة أخرى في اليوم الثالث والعشرين من آذار ، وكانت رحلتنا هذه المرّة إلى نوازي الدُّغم باتجاه جنوبي – جنوبي غربي . فوصلنا إلى الآبار الجنوبية الغربية لموقع مياه لينة عند الساعة ٧,٠٧ . ويبلغ طول السهل الصّخري الذي كانت الآبار منقورة فيه حوالي خمسة أكيال ، وعرضه يبلغ كيلين ، ويرتفع جال صنّار فوقها إلى الشمال الشرقي ، أما إلى الجنوب ، والغرب ، والشرق فإن السهل ينحدر شيئاً فشيئاً جهة الدّهنا عند منحدر جويل الطبيق وتسمى مجموعة .الآبار الجنوبية الحزم وتلك التي إلى الشرق ، الشعيبة ؛ والأخرى التي إلى الشمال الشرقي ، الرّبضَة ؛ والمجموعة الرابعة إلى الغرب هي الفُرَيرا . انطلقنا باتجاه الغرب في الساعة ٧,١٨ ودخلنا نوازي الدّغُم عند الساعة ٩,٤٠ ، فخيمنا بها عند الساعة ١٠,٠٣ . وقد هبت ريحٌ غربية بُعَيد الساعة الحادية عشرة .

في الرابع والعشرين من آذار قمت برسم خارطةٍ للمنطقة الواقعة جنوب جبال سَلْمَى وإلى الشرق من الباطن .

وقد حضر فهد بعد منتصف النهار بقليل ليُخبرَنا بأن الوزير سعوداً بعث اثنين من عبيده يطلب منه ألاّ يسمح لي بالأقامة في مخيّمه أكثر من ذلك . وقال نازل : إن سعوداً قد تَوَهّم أن تخلي زعماء قبيلة سِنجارة وقبيلة عبدة عنه كان بناء على اقتراحٍ منك يا شيخ موسى ! .

سقطت بعض الأمطار الخفيفة بعد الظهر . وعند المساء هبت عاصفة رملية من جهة الغرب . وقد قلعت خيمتي ، وغطّت الرمال كل شيء فيها .

تحركنا مرة أخرى في الخامس والعشرين من آذار . وفي الساعة ٦,١٨ انطلقنا إلى الغرب – الجنوب الغربي مجتازين سهل الدُّغُم الرملي الذي ينمو به الأرْطَى والحماط ، والعاذِرْ ، ومقدار كبير من العصنصل (العُنْصل) . وقد هبت علينا ريح غربية قوية جعلت سيرنا بطيئاً حتى أننا لم نقطع كيلين في ساعة واحدة . واستّرحنا من الساعة الثامنة حتى الثامنة والثلث . وفي الساعة ٩,٥٠ وصلنا إلى حدود نازية البطانة حيث رعت جمالنا من الساعة ١٠,١٠ حتى الساعة ١١,٣٥ . وفي الساعة الثانية عشرة نصبنا خيامنا في سهل نازية المعيزيلة جنوبي تلال قويرات طوق البيضاء المسطّحة .

حضر اثنان من العبيد السود وسلّما فهداً رسالة تدعوه أن يبدأ السير فوراً إلى الجنوب الشرقي لمساندة ابن رشيد كما أعلنا أن الأمير قد هزم ابن سعود مرة أخرى وهو يعتزم الإغارة على منطقته . وقد ابتسم نازل ساخراً من ذلك . إذ أن ابن رشيد كان مخيّماً بالقرب من جِبّة بينما ابن سعود قد نقل قوّاته إلى مربَط الفرس ! وأما الجنود الذين تركهم ابن رشيد في القرى المختلفة فإما أن يكونوا قد ذبحهم الحضر أو طردوهم . وكان الحضر الآن يلتحقون بابن سعود وفيصل ابن رشيد لا فرق بين الإثنين ، من أجل أن ينتقموا . وقد بَرّد فهد اعتزامه الأنتقال بعيداً إلى الشمال الغربي بندرة الكلإ والمجاعة التي تتهدّد جماعته . حيث كان المَطَرُ في الشمال جيداً والكلأ وفيراً . وردّاً على استفسار المبعوثين عن الوقت الذي سوف يطردني فيه ، أجاب نازل : إنه ضيف على العشيرة ، وليس بوسعي أن أطرده بدون أن أمسّ شرفها .

واصلنا السير في الساعة ٦,٤٨ من صباح اليوم السادس والعشرين من آذار باتجاه شمالي غربي . وعند الساعة ٧,١٠ كان يُمكن رؤية مرتفع الشبَح الأبيض إلى الشمال الغربي . وفي الساعة ٨,٠٦ عبرنا طريق الحج القديمة المعروفة بأسم (دَرْب زُبَيْدة) والتي تقع إلى الشمال من محطة بريكة العَشّار ويسمونها في الوقت الحاضر درب السُّلطانة ، واستدرنا إلى الشمال تقريباً في الساعة الثامنة والنصف .

أشار نازل إلى الناحية الجنوبية – الجنوبية الغربية إلى نقطة يوجد فيها جبو اللوما ، حيث توجد المياه . وفي الساعة ٩,١٥ اتضحت لنا الحدود الشمالية لصحراء الدّهنا ، حيث تَندمج داخل الحجرة ، مع بريكة حمد وتلة أخرى مسطّحة إلى الشمال ترتفع فوق منخفضٍ قليل العمق تقع ضِمنه بريكة الحمرا . وفي الساعة ٩,٢٣ كانت خبرا علي وأمّ رماح تقع إلى الغرب – الشمال الغربي . وفي الساعة ٩,٤٤ نصبنا مخيّماً جديداً .

اتفقنا مع فهد بعد الظهر على مضمون الرسائل التي تريد إرسالها إلى **الأمير** عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود . وكانت تتضمن عرضاً من قبائل سنجارة وعبدة لعقد صلحٍ معه ، وطلبِ حمايته ضد القبائل التي يمكن أن تقوم بالإغارة عليهما بتحريضٍ من الوزير سعود (بن سبهان) . وكانت هذه الرسائل ستختم بأختام الزعماء المتعددين ، ثم تُسَلّم إلى ابن سعود ، مُرفَقَةً بمعلوماتي الخاصة . وفي هذا الوقت كان ابن رشيد مُخَيّماً مع عبيده ، وجنوده ، وبقية أقرباء شَمّر بالقرب من خضرا على درب السلطانة ؛ وبهذا فإنه يكون قد تراجع مسافة تزيد عن المائتي كيل مُتخلّياً عن القصيم . ولعدم رغبتي في إثارة حرب أهلية ، طلبت من ابن سعود أن لا يؤازر فيصلاً وأقرباءه ، وأن يأمر قبائله بعدم الإغارة على شَمّر .

لم أكن أعتزم عبور منطقة ابن سعود . وكان الباعث العلمي لرحلاتي هذه هو استكشاف الضّواحي الشرقية والجنوبية لصحراء النفود ، وطريق الحج إلى الكوفة ، وهي الحدود الجنوبية والشرقية للمنطقة المبينة على الخريطة التي بدأتها في رحلاتي الأستكشافية في سنوات ١٩٠٨–١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، و١٩١٢ . وكان من المؤكد أن تزودني الرحلة عبر منطقة ابن سعود بمواد علميّة جديدة ولكن من الناحية الأخرى فإنها بذلك تكون قد حرمتني استكشاف طريق الحج ، وهذه مهمة أكثر ضرورةً لإتمام عملي . وهكذا كنت أرغب في الوصول إلى الفرات عن طريق درب زبيدة . وبعد أن بلغتني أنباء أن سنجارة وعبدة يستعدون لإرسال رجالهم في قافلة إلى النجف لإحضار الشعير ، عزَمت في الحال على مرافقتهم . لقد أتممت مهمّتي

العلميّة ، وأمّنت الصلح بين قبيلة شَمّر وبين ابن مسعود ، وكان واضحاً أن ابن سعود سيعقد صلحاً مع شَمّر ، ويضعها تحت حمايته دون تدخل منه في استقلالهم . والواقع أن شَمّر كانت غير آبهة للحرب ضد الإنكليز ، أو (الكريز) كما تُسميهم سنجارة . فالحرب قد شنّتها الدولة العثمانية ، أي التي يجب عليهم التعامل معها عندما يرغبون شراء الحبوب والملابس من المدن والقرى الواقعة على ضَفّة الفرات اليُمنى . وكانت الدولة مكروهة هناك أكثر بكثير من (الكريز) الكفار .

استعجلنا السفر باتجاه الغرب في السابع والعشرين من آذار . وفي الساعة ٨,١٠ بدا للنظر قور الخنيفس إلى الشمال . ورأينا جِلعَد الصَّلبب إلى الغرب ، وكان يتفرع منه شعيب العلوقية (العلويّة) إلى الشمال الشرقي ، لينتهي تحت اسم فيحان في بركة مَبْلَة أم الرّجام (؟) لمياه الأمطار . وكانت وديان المنشيّات إلى الشمال الشرقي من قور خنيفس قريبة من محطة زُبالة المُهدّمة على طريق الحج .

يومذاك عزم فهد ان يذبح ناقة إكراماً لي . ومن العادة حين يذبح سنجاري ناقة ، فإنه يذهب إلى الزعيم أو إلى رجل وجيه معروف ، ويسأله أن يحتفظ بما يذبح مع جلده ولحمه لنفسه . ويقرم مُتسلّم الهدية بتوزيع اللحم على أقربائه وأقرباء الواهب . وحالما يستولي الموهوب على بعض الإبل في غارة ما، فإنه يرسل واحدة منها إلى من وهبه الحيوان المذبوح . ولا يحق للمتسلم بيع الجلد أو اللّحم . فإن فعل ذلك لم يتزوّج ابنته أحد مخافة أن يكون أطفالها أكثر جَشَعاً من أبيهم .

واسترحنا من الساعة ٨,٥٥ حتى الساعة ٩,٢١ .

ومن عادات سنجارة أن تسير مجموعة من المحاربين (الشلف) على رأس الجماعات المرتحلة خلال السّولي والحولي فقط . وتعني كلمة (سولي) الهجرة داخل منطقة تَعُجّ بالأعداء ، وتعني كلمة (حولي) الارتحال أثناء الليل . وذلك عندما يلزم القبيلة أن تسير طول الليل بسبب قِلّة المياه . وفي أيام الحصب خاصة ، يبقى السلف وسط الجمال (مظاهير) .

هنا انضمّ إثنان من قبيلة الأسلم ورَوَيا لنا كيف أنهما كانا قد استمتعا بطعام

شهي في أماكن – مختلفة ، لكنهما كانا يوجهان الإنتقاد لمضيفيهم . وقد دعى نازل ربّه أن يحميه من شر مثل أولئك الأنذال ، الذين لا يخجلون من انتقاد مضيفهم . وكان يُسمي مثل أولئك الضيوف (مُتَناشدة) . وكانت خيمة نازل ممتلئة بالضيوف على الدوام ، ولم يكن هناك أي عابر سبيل إلاّ وحضر لرؤيته ولو للحظَة . وهو يقدم القهوة في أي وقتٍ من النهار ، أما الطعام ، فقد كان قليلاً على كل حال. ولما كان هذا معروفاً لدى الجميع ، فقد كان عابرو السبيل ينزلون في خيام أخرى ، ويفدون إلى خيمة نازل لشرب القهوة فقط .

إنتقى فهد عند الساعة ١٠,١٠ موقعاً جديداً للمخيّم . وقد أعلمني برغبته في التقدّم إلى مسافة أبعد جهة الغرب ، وذلك لتكون سنجارة على مسافة من الوزير سعود وعبيده . وبخاصة أن هؤلاء كانوا يحاولون إثارة المشكلات بصورة دائمة ، استعجالاً للحرب . فَمَثلاً ، منذ عهد قريب قتلت قبيلة عبدة إثنين من العبيد كما قتلت سنجارة واحداً آخر عندما حاولوا سَوْق الخراف إلى ابن رشيد . واتّخذ فهد قراراً بإيفاد رجاله لإحضار المؤن في الصباح الباكر قبل أن يبعد عن محطة مياه لينة وكانت هذه المحطة قد جُعِلَت مركزاً للتجمّع . وأما هذه الرحلة فكانت تُسمى الحدرة ، وكان علينا أن نرافقهم نحن أيضاً .

الرحيل من مخيم سنجارة : غادرنا مخيم سنجارة في الساعة ٧,٢٥ من صباح اليوم الثامن والعشرين من آذار ، ١٩١٥ ، وكان عدد من الأصدقاء والمعارف يقفون لوداعنا متمنين لنا رحلة موفّقة . وناشدتني والدة نازل مرة أخرى أن أحرص على سلامة ابنها العزيز ، كما أن ابنته الصغيرة (موضي) التمست مني أن أعيد لها والدها المحبوب في أسرع وقت . أما فهد فقد عبر لي عن امتنانه للنصيحة والمساعدة التي قدمتهما أثناء مفاوضات الصلح ، كما شاركه آخرون في تقديم شكرهم على الأدوية وغيرها الخ . ، ودعوني جميعاً لكي أعود لرؤيتهم مرة أخرى (بارك الله بهم) !

كنا نقارب الأربعين ونحن سائرون إلى موقع مياه لينة . فاسترحنا من الساعة ١٠,٠٧ إلى ١٠,٢٨ . وفي الساعة ١٠,٣٨ كنا نسير فوق طريق الحج القديمة ،

درب زبيدة . وقد توقفنا في الساعة ١١,١٠ وطوال ذلك النهار والليل في مخيم أسرة من سنجارة ، في انتظار وصول مسافرين آخرين للأنضمام إلينا هناك . وألح علينا رجلان مسنّان كثيرا اللقم والكلام ، لكي نقبلهما ليسافرا معنـــا ، وقد التمس أحدهما من الله أن يُبعد عنـــا كل مكروه (الله يكفينا شرّهم) ، ثم قال لي على انفراد : هـــذه ذُرّية بدوي من امرأة من الحضر . كان والد أحد الأثنين ، وهو بدوي شريف ، قد تزوّج إبنة حضري من جُبّة ، فولدت له أولاداً كهؤلاء . وهم يسمون الأبن الذي يكون والده بدوياً ووالدته حَضَريّة باسم (لُوقي) ويطلقون نفس هذا الأسم على كلب يولد من أبٍ سلوقي وكلبة عادية : (إنه لُوقي ، لا كلب عادي ولا سلوقي) . واللّوقي لا ينفع لشيء . فهو لا يحرس البيوت ولا قطعان الماشية كالكلب العادي ، ولا يطارد الأرانب البريّة والغزلان مثل السِّلوقي . وينطبق هذا على ابن البدوي من الحضرية أنه يتهرب من الغزو ولا يرغب في زراعة النّخيل ، أنه يواصل الثرثرة فقط فهو مثل اللوقي الذي يعوي بدل أن يعدو !

هطلت بعض الأمطار في الساعة العاشرة واستمرت حتى الساعة ٢,٠٤ من نهار التاسع والعشرين من آذار ثم من الساعة ٤,٥٢ حتى ٥,٤٢ من ذلك النهار . وكان البرق يلمع جهة الشمال والشمال الغربي . وفي الصباح كانت السماء مغطاة بالغيوم . كما هبت ريح باردة من الجنوب الشرقي . إلا أننا لم نخش ذلك ، بل واصلنا رحلتنا في الساعة ٦,٥٥ إلى مياه لينة عبر صحراء الدهنا . وكانت خيوط المطر تبدو إلى الشرق والجنوب ، والغرب . وفي الساعة ٩,٢٥ كان شعيب الفرّاج (؟) الصغير يقع إلى شمالنا في الحجرة . ويبدأ هذا الوادي بالقرب من الخشبي (؟) وينتهي في اللُّغف — أي عند تخوم الحجرة والدهنا . وهو المقطع من صحراء النفود إلى داخل الصحراء الصخرية المسماة لُغُف . وظلت جمالنا ترعى من الساعة ٩,٥٣ حتى ١٠,١٧ .

كان اسم خادمنا الجديد (بايق) والكلمة بمعنى خائن أو أفّاك ، وكان أحد أقرباء نازل ، واستوضحت عن السبب الذي جَعَلَ والدته تُطلق عليه هذا الأسم

السيء ، فأجاب نازل : (لأنه غدر بها . كانت تنتظر ولادته بعد بضعة أسابيع ، لكنه وُلِدَ فجأة ، ودون إعلان عن وصوله إلى هذا العالم . ولذلك أخذ والدته على غرّة) .

وإذا هاجمت جماعة ما جماعة أخرى دون أن تُعلن عداوتها قبل ذلك فالبدو يسمّون الجماعة المغيرة بايقة .

بقيت جمالنا ترعى من الساعة ١٢,٣٤ حتى ١٢,٥٣ . كانت ظمأى ومنهوكة القوى مثلنا . وقد أنحى نازل باللوم على الريح لإيذائها الأنفس بهبوبها من جهاتٍ مختلفة بين حين وآخر ، مثلما حدث في الصباح . وفي الساعة الثانية خيّمنا أسفل صخرة الغريزية في حوض العوافي بالقرب من بيوت قليلة لسنجارة . كان على نازل وخَلَف البقاء هنا للمحافظة على خيمتي المنصوبة مع الأحمال بينما يذهب بايق وناصر وأنا إلى موقع مياه لينة لأرواء جمالنا وتعبئة قُرَب الماء . وابتدأنا السير في الساعة ٢,٣٣ فوصلنا إلى الآبار عند اللُّغُف في الساعة ٣,٣٢ . وتدلّى بايق بحبلٍ إلى أسفل البئر الذي كان يبلغ عمقه عشرين متراً تقريباً فملأ الدلو ، الذي رفعه ناصر عندئذٍ وأفرغه في حوض (صحن) شربت منه الجمال . وتدافعت حول الماء ولم يعد بالإمكان إبعادها إلاّ بالضّرب . وحوالي الساعة الرابعة هبّت عاصفة رملية قوية من الشمال الغربي . ولم يعد بإمكاننا البقاء واقفين فوق الصخر الأملس . ولما رويت الجمال ، حاولت الإنتشار في جميع الأتجاهات . وكنت أخشى أن يسقط بعضها في الآبار ، فأضطررت إلى جمعها مرة أخرى . وكانت الريح تبدو وكأنها تود انتزاع ملابسي مني وحملها بعيداً . ولقد نفذت الرمال إلى عيني وفمي ومنخري . وكان ناصر يناديني لأحمل القربة حتى يتمكن من ملئها .

(للحديث صلة)

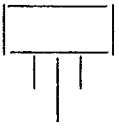

هدية الأخوان في شجرة الدخان

لمهذبها محمد مرتضى الحسيني

وقع في يدي – قبل ثلاثين سنة – مجموع ورق متناثر غير مرتب فيه مباحث منوعة لا يربط بينها رابط ، غير أنني استخلصت من تلك الأوراق رسالة كاملة من تأليف السيد مرتضى الزبيدي صاحب « تاج العروس من جواهر القاموس » سماها « هدية الأخوان ، في شجرة الدخان » ولما قرأتها أُعجبت بما ذكر مؤلفها عن أصل كلمة (تبغ) و (تنباك) وأنه عربي محض (طُبّاق) بضم الطاء المهملة وفتح الموحدة مشددة بعدها قاف . ورأيت مخطوطة تلك الرسالة جيدة وكاملة بحيث يصح اتخاذها أصْلاً للنشر .

ثم اطلعت في « فهرس مكتبة الأزهر » على ذكر نسخة من تلك الرسالة . بين كتب مكتبة (أباظة) برقم ٦٣٤٩/٧٥٥ (فهرس الفقه العام) فزرت تلك المكتبة في ١٩٧١/١٠/١٣م أنا والأخ الأستاذ عبدالله بن يوسف الغنيم المدرس في (جامعة الكويت الآن) فلم أجدها تختلف عن نسختي إلا في تعليقات يسيرة في هوامشها ، نقلتها كاملة ويظهر أن نسختي أوثق منها إذ كتب في طرتها تحت الاسم : (قوبلت على أصلها على حسب الطاقة) وليس في نسختي سوى كلمات لم تتضح للمقابل فوضع في الهامش ما يدل على أنها وقعت في الأصل بتلك الصورة .

وصف نسختي : تقع في عشر ورقات (٢٠ صفحة في الصفحة ٢٥ سطراً سوى الصفحة الأولى فليس فيها سوى الاسم وكلمة المقابلة والصفحة الأخيرة ففيها ١٥ سطراً) والخط نسخي حسنٌ ، شكلت فيه الكلمات المشكلة أو المحتملة لوجهين في القراءة ، وهوامشها يسيرة .

في الصفحة الأولى منها : (هدية الإخوان في شجرة / الدخان لمهذبها محمد / مرتضى الحسيني غفر / له بمنه وكرمه / آمين) ثم كلمة المقابلة .

وآخرها : (هذا آخر كلامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، على يد كاتبها الفقير إلى الله تعالى عيسى محمد ، عفي عنه آمين ، سنة ١٢٩٥هـ) .

النسخة الأزهرية : تقع في ١١ ورقة (المكتوب منها ٢١ صفحة في الصفحة ١٩ سطراً – سوى الأولى – وهي بخط النسخ الجميل ، والأسم يتفق مع ما في نسختي اتفاقاً تاماً مما يدل على أن الأصلى واحد ، وقد كتبت النسختان في عام واحد ، وجاء في آخر النسخة هذه : (نجز تنسيقها في عصر يوم الثلاثاء ٢١ شهر شعبان بقلم الحقير عبد الغني فكري الراجي من مولاه منح الغفران ، وعام تحبيرها مؤرخ في هذان البيتان (؟) كما يظهر من مطالعتهما للعيان :

هدية الأخـــوان في جلســـة ألّفهـــا المرتضى وهذبهـــا
فيا لهـــا تحفة مؤرخـــــــة جمعت مزايـــا للدخان بهـــا

٨ ٧١٥ ٥٩ ٥١٣

سنة ١٢٩٥) .

والكاتب – كما يظهر من اسمه وعنايته بالخط وجهله اللغة العربية – تركي .

رأيت الرسالة جديرة بالنشر لمبحثها اللغوي فنسختها وأعددتها لذلك إلا أنني رأيت الجانب اللغوي فيها على طرافته بحاجة إلى ما يدعمه ، فالزبيدي – رحمه الله – وإن شرح « القاموس » لا يصح الإعتماد على ما ينفرد به من الآراء ما لم يتضح صوابها ، فهو في مؤلفاته يعتمد على الجمع ، كما يتضح هذا من كتابه « تاج العروس » الذي عول فيه أكثر ما عول على حاشية شيخه الشيخ محمد الطيب الفاسي المسماة « إضاءة الراموس »[1] وإذ خرج عن النقل وأتى برأي ينفرد به أغرب وأعجب ، والله يغفر له .

---

(١) لها مخطوطات منها في مكتبة الأزهر برقم ٩٩ (علم اللغة العربية) في ثلاثة مجلدات .

وقد طالعت ما استطعت الإطلاع عليه مما كتب عن الدخان . لكي أجد ما يسند رأي الشيخ مرتضى الزبيدي فلم أعثر على ما أردت ، وحادثت الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق – قبل وفاته رحمه الله – بما ذكر الزبيدي فلم يقف به الأمر عند حدّ الاستغراب بل أنكره أشد الإنكار وهزيء به ، والأمير مصطفى يعتبر من علماء النبات وله مؤلف يُعدّ مرجعاً في هذا الشأن ، ولكنه في علم اللغة العربية لا يصح أن يقارن بالزبيدي وبسعة اطلاعه .

إن هذه الرسالة لطرافة ما ذكر مؤلفها عن أصل كلمة (تبغ) و (تنباك) ولما أورد عن المتقدمين من معرفتهم شجرة (الطباق) وذكر طرق استعمالها جديرة بالنشر ، فهي أثر من آثار المتقدمين من علمائنا يتعلق بعادة من العادات التي انتشرت بيننا منذ القرن الحادي عشر الهجري .

أما ما ورد في تلك الرسالة من الخواص ، واستعمالها علاجاً لبعض الأمراض فلا تتسرع بالحكم على كل ذلك بالقول بأنه من الخرافات ، ولكن لنقف منه موقف الحذر ، وندع أمره للمعنيين بدراسة النبات ولعلمائه المختصين بمعرفته ، ولا تزال شجرة الطبّاق معروفة[1] ، ومن الميسور دراستها .

بقي القول في حكم استعمال دخان تلك الشجرة ، فالزبيدي – بما سرد من خواصها وما أورد من الثناء عليها – يكاد يجزم بحل استعمال دخانها ، وآراء المحققين من العلماء في ذلك بخلاف هذا ، وعلى هذا سار علماؤنا من أعلام الدعوة الإصلاحية كالشيخ عبد الرحمن أبا بطين والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، وغيرهما ممن اعتبر الدخان من الخبائث[2] ، والقول بهذا معروف عن متقدمي العلماء ، فللشيخ عبد الملك العصامي المكي رسالة مخطوطة حكم فيها بأن الدخان من الخبائث[3] .

وقد نشر صديقنا الأستاذ محمد سعيد كمال بحثاً ممتعاً بعنوان « الدخان :

---

(١) أنظر كتاب «في سراة غامد وزهران» ص ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ .

(٢) للشيخ أبي بطين فتوى في ذلك في المجلد الأول من «مجموعة الرسائل» المطبوعة بمطبعة المنار ، وللشيخ محمد فتوى في «فتاوي علماء نجد» جمع الشيخ ابن قاسم – رحم الله الجميع

(٣) في (التيمورية) في دار الكتب المصرية برقم ١٢٢ مجاميع وفي مكتبة حسن حسني عبد الوهاب في تونس برقم ٤٧٦ مجموع نسخة منها .

آثاره ، أضراره ، الكتب المؤلفة فيه » من أوفى ما ألف في هذا الموضوع ، ننصح كل معني بمعرفة ما يتعلق به بمطالعته .

وقد يعتب بعض القراء على « العرب » لنشرها هذه الرسالة مع ما ورد فيها مما ينافي ما يراه أولئك العلماء ولكننا لا نرى مجالاً للعتب ، فلو رفضنا نشر كل كتاب يحوي من الآراء ما لا يتفق مع آرائنا لما وجدنا ما ننشره وصدق الله العظيم (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ثم إننا بحاجة إلى معرفة تلك الآراء لمناقشتها وهذا لا يتسنى بدون نشرها ، وأمر الدخان قد عمّ وطمّ فلماذا نكون (مثل الذي يجرّه السيل ويقول : هذا نَوّ دِيْمة) وهل إذا أخفينا ما لا نرتضيه من الآراء والأفكار يخفى على غيرنا ؟ !

المؤلف : هو محمد — ولقبه مرتضى — بن محمد بن محمد الواسطي نسبة إلى البلدة التي ولد فيها وهي الواسطة من قرى بلجرام من بلاد الهند ، ولد سنة ١١٤٥ ثم انتقل فأقام في بلدة زبيد في اليمن فنسب إليها ، ومنها انتقل حتى استقر في القاهرة بمصر وفيها توفي سنة ١٢٠٥هـ وقد اشتهر في عصره شهرة قلّ أن يناله عالم ، واشتهرت مؤلفاته التي تجاوزت المائة بين رسالة في بضع ورقات وكتاب في مجلدات ، وأشهرها « تاج العروس » و« شرح الإحياء » وهما مطبوعان ، وله ترجمة في مقدمة الجزء الأول من « تاج العروس » المطبوع في الكويت سنة ١٣٨٥ — بتحقيق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، وتحدث عنه ابن عبد السلام الدرعي في رحلته الكبرى فأطال . وشهرته تغني عن الإطالة بترجمته ويظهر أنه ألف هذه الرسالة بعد تأليف « التاج » إذ تاريخ تأليفها هو ١١٩٦هـ و « التاج » ألفه بين عامي ١١٧٤ و١١٩٢هـ ولهذا لم يذكرها فيه عند الكلام على (الطبّاق) .

تحقيق الرسالة : اكتفيت بتقديم النّص كما في النسختين مع إيراد الحواشي اليسيرة التي فيهما ، رامزاً لحواشي النسخة الأزهرية بحرف (ز) ولحواشي نسختي بحرف (ح) ولم أجد متسعاً من الوقت لإيضاح كثير من الكلمات الغريبة الواردة في الرسالة ، وحسب القارىء الرجوع إلى الكتب الطبية القديمة كـ « تذكرة داود الأنطاكي » و « مفردات ابن البيطار » وكتب اللغة .

وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذي الفضل والإحسان ، الكريم المنعم المنان ، الذي عمّ جوده العميم على كل قاصٍ ودان ، والصلاة والسلام على حبيبه محمد أفضل ولد عدنان ، المبعوث إلى كافة الإنس والجان ، المرشد أُمّته إلى سلوك سبيل الجنان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد : فهذه نبذة صغيرة التمس مني تأليفها بعض الإخوان ، فيما يتعلق بشجرة الدخان ، وعلى الله توكلي وهو المستعان . فاعلم أيها الأخ الصادق : زعم كثير من أهل العصر ، بل ومن قبلهم من جلة الفقهاء العارفين بالسنة والقرآن ، والحكماء الماهرين في الفن والجائلين في الأقطار والبلدان ، أن هذه الشجرة مجهولة الوصف والشأن ، وأنه لم يعرفها العرب في قديم الزمان ، ولا ذكرها أحد منهم في كتاب ، ولا أقام على معرفتها واضح البيان ، ولذا وقعوا في (حيص بيص) في تحليتها ولم يكشفوا عن العيان ، ولعمري هذا الزعم فاسد ، كيف وقد ذكرها غير واحد من الأئمة الأعيان ، كابن دريد في « الجمهرة » والأزهري في « التهذيب » وابن سيدة في « المحكم » والجوهري في « الصحاح » والمجد في « القاموس » ونقولهم هي الجواهر الحسان ، وسبقهم إمام العارفين أبو حنيفة الدينوري في كتاب « النبات » — كما سيأتي نصه مع البيان ، ولنقتصر عليه فإنه إمام هذا الفن وله التقدم في معرفة هذا الشأن . قال : الطُّبّاق بضم الطاء وتشديد الموحدة أخبرني بعض أزد السراة قال : هو شجر نحو القامة ، ينبت متجاوراً ، لا تكاد ترى واحداً منه منفرداً ، وله أوراق طوال دقاق خُضْرٌ ، تتزلّجْ[1] إذا غمزت ، يضمد بها الكسر فيجبر ، وله نَوْر أصفر مجتمع ، ولا تأكله الإبل ، ولكن الغنم ، ومنابته الصخر مع العرعر ، والنحل تجرسه[2] ، والأوعال أيضاً ترعاه . انتهى . وفي بعض كتب المتأخرين :

---

(١) أي تتزحزح (ح) .

(٢) أي تلحسه ، بضم الراء وكسرها (أز) .

يشبه ورقه ورق الخس إلا أنه أكبر منه ، وبذره أصغر من بذر الخشخاش . وهذا القول لا يخالف ما قاله الدينوري ، في تحليته ، وقد جاء ذكره في أشعار العرب ، فمن ذالك قول تأبّط شَرًّا وهو من أغربة العرب[1] من قصيدة :

كأنّما حثحثوا حُصّاً قوادمــه أو أمّ خشف بذي شَثٍّ وطُبّاق

قال يحيى بن علي التبريزي في « شرح اختيارات المفضل بن محمد الضبي » وهو فيما رأيته بخطه ما نصه :

حثحثوا : حَثُّوا . وعنى بِحُصٍّ القوادم ظليماً قد تناثر ريشه . وعنى بأم خشف ظبية رعت منبت الشث والطباق وهما نبتان يقويان الراعية ويضمّرانها . قال : ومعنى البيت : كأنما حركوا بتحريكهم إياي ظليماً رعى الربيع فانحصت كبار جناحيه[2] ، أو ظبية أم ولد ساعدها الرعي فقوي عدوها ، وخفّت قوائمها . انتهى . ولا مخالفة بين قوله : (نبتان) مع قول الدينوري السابق (شجر) فقد يطلق أحدهما على الآخر تجوُّزاً .

وقد جاء ذكر هذه الشجرة أيضاً في حديث محمد بن الحنفية — رحمه الله تعالى — وذكر رجلاً يلي الأمر بعد السفياني ، فقال : حمش الذراعين والساقين ، مصفح الرأس ، غائر العينين ، يكون بين شثٍّ[3] وطبّاق . قال ابن الأثير في

---

(١) قوله : (من أغربة العرب) : سرى إليهم السواد من أمهاتهم . واعلم أن أغربة العرب في الجاهلية : عنترة بن شداد الشهير ، أتى إليه السواد من أمه زبيبة ، وخفاف — بوزن غراب — بن ندبة بالضم أمه كانت جارية سوداء ، وأبوه عمير بن الحارث بن الشريد — سباها الحارث ووهبها لابنه عمير فولدت له خفافا . وأبو عمير بن الحباب السلمي أيضاً ، والسليك بن السلكة — كهمزة ، وهي أمه ، عداء . يقال : أعدى من السليك . وهشام بن عقبة بن أبي معيط ، إلا أنه مخضرم . وأغربة العرب من الإسلاميين : عبدالله بن خازم — بمعجمتين وعمير بن أبي عمير المتقدم ، وهمام بن مطر ، ومنتشر بن وهب الباهلي ، ومطر بن أوفى التغلبي المازني ، وتأبط شراً — المذكور هنا — وهو لقيه ، واسمه ثابت بن جابر ، والشنفري واسمه عمرو بن مالك ، من العدائين شاعر مشهور وحاجز ، غير منسوب . انتهى «قاموس» (أز) .

(٢) وفي «القاموس» : وأحص الطائر تناثر ريشه وأنشد الشعر عليه (أز) .

(٣) في «الصحاح» : الشث نبت طيب الرائحة مر الطعم ، يدبغ به ، وينبت في جبال الغور . وقال الأصمعي : إنه من شجر الجبال (أز) .

« النهاية » : هما شجران معروفان بنواحي جبال مكة ، أراد أن مقامه أو مخرجه يكون بالحجاز . انتهى . قلت : وهو قول الأصمعي ، وكأنه يعني القحطاني أو غيره ، والله أعلم .

وقد ظهر مما تقدم من سياقهم مجموعاً أنها شجرة عربية ، منابتها أرض الحجاز ، ولعل وجه التسمية به أن أوراقها في أصل نِبْتَتِها مطبوقة بعضها على بعض ، ثم استنبتوها .

وأول ما ظهر خبرها في بلاد الأفرنج في أواخر القرن العاشر ، فولعوا بها ، ونبّهوا على منافعها ، واتصل ذلك إلى ما جاورها من جزائر المغرب ، وأطراف بلاد الهند مما يلي البحر الملح ، ثم برز شعاعها إلى بلاد العرب ، وكان قد تنوسي أمرها وغفلوا عنها ، ولم يكونوا يعرفونها إلا أنها عندهم من مراعي النحل والظباء والأوعال ، وأما ما خُصَّت به من المنافع الغريبة فلم يكن يخطر لهم بالبال . ثم استزرعوها بأرض الترك والعجم ، واشتهر أمرها كنارٍ على علم ، وحرفوا في اسمها حسبما ساعدهم النطق به فقالوا : (تُنْبَاك) بضم المثناة الفوقية وسكون النون ؛ ثم موحدة وبعد الألف كاف ، وهو أقرب إلى اسمه الأصلي . وقال آخرون (تَبَغَة) بمثناة وموحدة وغين مفتوحات ، وهكذا أورده المتأخرون من الفقهاء في كتبهم ، ومنهم من ينطق به بالطاء بدل التاء ، ومنهم من سماها (طابة) وأما الآن فاشتهرت بـ (الدخان) وعليه التعبير عنها في سائر الأقطار والبلدان ، باختلاف الألسنة والأزمان ، وكأنهم نظروا إلى أقوى كيفية استعمالها فسموها كذالك ، وقد وقع لبعض طلبة المغاربة فيه تحريف قبيح ، رأى في كتاب الجزولي أن من استعمل الطباق لا تجوز شهادته ولا إمامته ، فحمله على هذه الشجرة ، ورُبّما فسر به الحديث الوارد : نهى عن الطباق . وهو غلط صوابه الطِّبَاق ـ ككتاب ـ وهو طبق الكفين إحداهما على الأخرى في الركوع ، وكانوا يفعلونه في أول الأمر ثم نُسخ ، ولم يبلغ نسخه ابنَ مسعود ، فكان يطابق في الركوع . والمعنى أن من طابق بين كفّيه في الركوع بطلت صلاته ، وتارك الصلاة لا تجوز شهادته ولا إمامته ، وقد أشار إلى المعنى المتقدم أئمة اللغة ، ونبه عليه عياض في « المشارق » .

فهذا ما يتعلق باسمها .

وأما طبعها وخواصها فلنذكر أولاً أن هذه الشجرة من أشجار الجبال ومنابتها مع العرعر الشث وجوز البر ، وغيرها من الأشجار ، ونبتتها كغيرها بقدرة الله عز وجل ، من غير معالجة كرّاب ولا حرّاث ، تسقى من مياه الأمطار ، وهذا النوع منه ما هو جبلي وهو أقوى في الطبيعة ، ثم بستاني ، وهو المزروع في سفوح الجبال وشطوط الأنهار . وهو على أنواع : فمنها ما يجلب من بلاد الترك ، واستعماله خطر كالجبلي لقوتهما ، ولا يصلح إلا لذوي الأعمال الشاقة ، ومنها ما يجلب من أرض المغرب ، وهو في الطبع قريب من التركي ، ومنها ما يجلب من أرض الأفرنج والهند ، وهو قريب من الذي قبله ، ومنها ما يجلب من أرض العجم ويعرف بـ (الكازروني) ولا يستعمل إلا في القُدُور ؛ بحيلولة الماء بين دخانه والشارب ، لما فيه من قوة الحرارة ، وكل أنواعه مخدِّر تخدير البيش والأفيون والبنج إذا جذب بدخانه في أنفاس متعددة مع حَبْسِها ، فيصعد إلى الدماغ فيفعل فعل البيش ، فالحذر من هذا فإنه يفسد الحواس الباطنة، وربما عجنوا الأخير والأفرنجي والهنديّ بشيرج القصب ليحصل به الإعتدال ، وربما اكتفوا برشّ الماء المحلول فيه القند عند فرم أوراقه .

ومنه ما يستنبت على شطوط النيل ، وهو غير مقبول .

ومنه ما يجلب من سواحل الشام وقراها القريبة من البحر ، وأشهرها جِبِلَة ، وهو أجود الأنواع على الإطلاق لاعتداله ، ولين مزاجه ، ولطف رائحته ، وطيب منبته ، وزكاء مغرسه ، والاعتناء بتيبيسه على الحبال في الظلال ، لا سيّما ما جلب منه إلى مصر على ظهور الجمال ، فلرائحة البحر خاصية مجربة في إفساد خواص النباتات ، وهذا هو الذي رغب إليه الشاربون ، وتنافس فيه الشارون ، ولطيبه لا يحتاج إلى مخالطته بشيء آخر من المطيّبات ، والاقتصار عليه أجود ، ومتى مُزِج بنحو عود أو عنبر أو زعفران انتقل طبعه إلى طبع ما مازجه .

وأما استعماله المعتبر فهو بشرب دخانه الصاعد منه ، بعد وضع جمرة خالصة من السنديان عليه ، لا من غيره من الأشجار ، ولا مما يخرج من قلوب الأشجار

القديمة المعبر عنه بـ (صوفان) فإنه يضر بالدماغ ، ويغير طبع الأصل ، ولا مما يفتل من يابس النباتات كالكتان وغيره ، فإنه لا يلائم المزاج ، وذلك بواسطة قصبات مجوفة ، من أشجار جبلية ، كالساسم والبيش[1] والعرعر والنبع والشوحط . وأجودها الياسمين لمن كان بارد المزاج ، مرطوب الدماغ . وكلما كانت القصبة أطرى كان النفع أكثر ، وبفوات تلك الشروط المتقدمة تفوت خواص هذه الشجرة لكثير من الناس ، فيتضررون منها فضلاً عن النفع ، ويسيئون الظن بالحكماء وأرباب المعرفة ، فتأمل ذلك .

ومن جملة ما يستعمل منه التبخر بورقه وبذره ، وشرب الأخير مدقوقاً ، والتنشق بمدقوق يابس الأوراق قبل التعفين وبعده ، وكذالك الضِّمَاد بورقه — كما سيأتي مفصلاً — .

وأما أكله — سواء الورق أو البذر فمضرٌّ جدّاً ، يُغَثِّي ويكرب ، وربما أحدث أمراضاً عسرة البرء . والصحيح أن تناول قليل من ورقه يابساً كان أو أخضر لقتل حب القرع ، مع شراب التفاح لا يضرُّ — كما سيأتي — .

وأما طبعه فقالوا : هو حار شديد الحرارة ، معطش مفتح هاضم ، كاسر الريح ملطف مقطع لاذع مفتت ، حريف ، جلاء .

وظهر من مجموع أقوالهم أنه حار يابس ، وقولهم : شديد الحرارة هو مثل قول صاحب « القاموس » : شديد الإسخان ، وقول غيره : مسخن جدّاً .

---

(١) البيش – بالكسر – نبت ببلاد الهند يستعمل رطباً ويابساً كالزنجبيل ، وأصلحه العربي ، وهو في غاية الحرارة واليبس والحدة ، يذهب البرص طلاء ، وينفع من الجذام مع أدوية أخر ، وأكثر ما يستعمل مع الأدوية قال : وقدره إسحاق إلى قدر دانق ، وقال صاحب المنهاج وأظن أن هذا المقدار خطر جداً وربما نبت فيه سم قتال لكل حيوان ، وأشد مضرته بالدماغ ويعرض عنه ورم الشفتين واللسان وجحوظ العينين ودوار وغشى (؟) وريحه قد يصدع إذا سقي عصيره النشاب قتل من يصيبه في الحال ، وترياقه فأرة البيش ويقال لها بيش بوس ، وهو حيوان كالفأر يسكن أصل البيش وهو ترياق منه ، يقال إنها تتغذى منه ، والسمانى تتغذى به أيضاً على ما يقال ولا تموت ، ومنه المثل : أعجب من فأرة البيش تتغذى بالسموم وتعيش ، ودواء المسك يقاربه من بين المعجونات، يؤخذ منه مع قيراط مسك ويداوى منه من سقي منه بالقيء وبسمن البقر وبذر السلجم ثم البازهر أو البازهر ثم المسك انتهى قاموس (أز) .

وأما خواصه ومنافعه فذكر صاحب « القاموس » — بعد أن قال : شجر ، ومنابته جبال مكة — ما نصه : نافع للسموم شرباً وضماداً ، ومن الجرب والحكّة والحميّات العتيقة والمغص واليرقان وسدد الكبد . انتهى . وتفصيل ذلك ما في كتب بعض المتأخرين قال : هو من الأدوية المخلصة من السموم كلها ، ولا يشرب لما فيه من حدّة وتجفيف وتخدير . وطريق استعماله أن يجفف ورقه في الظل ، ويشرب دخانه ، فحينئذ لا غائلة فيه أصلاً . قلت : وبهذا ظهر معنى قول صاحب « القاموس » : نافع للسموم شرباً . وربما ظن من لا خبرة له بطريق استعماله فشرب ورقه الأخضر أو اليابس بعد دقه واستحلابه بالماء كغيره من الأدوية ، فإنه وإن خلص من ذلك السم الذي تناوله لأجله إلا أنه يعقب أمراضاً غيره ، فالأولى في طريق استعماله ما سبق . ثم قال : وهو يقوي الروح الحيواني وينشطه ويجري معه إلى مجاريه . قلت : وكأنه يشير إلى ما فيه من التفتيح . ثم قال : ولكثرة مناسبته به ، وتقويته إياه يوافق جميع الأمزجة ، ويلطف الأخلاط الفاسدة كلها ، والمواد المحترقة من البلغم والصفرا والسودا والدم ، بخاصية فيه بشدة تقويته للروح الحيواني ، وينفع من السعال المزمن ، وضيق النفس والبواسير والصداع والشقيقة والحميّات ولسع الأفاعي والحيات والعقارب ، وهو عجيب في الهضم ودفع الامتلاء بسرعة ، ويدفع الريح ، وجميع الأمراض الباردة ، ويحلل رطوبة الرأس والمعدة والبدن ، وينفع وجع الكبد والطحال والكلى والمثانة ، ويخفف اللسان الثقيل من البلغم ، وينفع من النزلات إذا كانت من برودة ، ويسخن الأعضاء الباردة والقليلة الحسّ ، ويقوي حركتها ، وينفع من عرق النَّسا والنقرس والجرب والبلغم المالح تدخيناً وطلاءاً ، ويضمد بورقه معجوناً بالعسل والخلّ على الصدغ والمفاصل الوجعة ، ويوافق جميع الأوجاع بجذبها من أعماق البدن إلى ظاهره ، ويوضع على مقدم الدماغ المبرود فيسخنه ، ويطلى على رأس الأصلع بعد حرق ورقه وخلط رماده بالعسل القليل ، وعلى القوبا والكلف والنمش والبرش والبرص والبهق ، ويسحق ورقه طرياً ويوضع على الجراحات المتقادمة كالمرهم ، ثم يوضع ورق آخر صحيح طريٌّ فإنه يبرئها — بإذن الله تعالى — وقد يدق بذره غير ناعم ويشرب أياماً نحو

الأسبوع ، وزن درهم بالعسل وماء الورد والصندل فإنه يفتت الحصاة ، ويحلل الرياح ، وإذا وضع على الأذن الثقيل مخلوطاً بالتين أزال ثقل السمع والدَّويّ ، ورماد ورقه لضعف البصر وخشونة الأجفان اكتحالاً ، مُجَرَّبٌ ، ويزيل داء الثعلب ضماداً مع العسل ، وينقي الوجه ، ويقوي الباه تقوية عجيبة انتهى ما نقلته من كلام ذلك البعض .

ورأيت في فتيا الإمام العلامة أحمد بن محمد البوسعيدي قاضي دَرْعَة ما نصه : ودخانها – أي تلك الشجرة – فيه منافع ظاهرة ، منها أنه يهضم الطعام ، وهو من أعظم المنافع . ومنها : إطفاء السموم ، شاهدنا أكثر من أربعين إنساناً لسعتهم العقارب فشربوه فشفاهم الله في الحين ، وشاهدت عربياً نزل في جوارنا وقد لدغت الحيّة العمياء ولده وأشرف على الهلاك ، فأمرناه بشربه فشرب حتى تقيّأ وشفاه الله تعالى . ومنها ما شاهدته في نفسي ، كانت الترويحة تضرني كثيراً وأنا في سن الشباب حتى تلزمني الفراش وحين شربتها عوفيت منها – والحمد لله . ومنها : أنّا شاهدنا كثيراً ممن شربها فأخرجت من بطونهم الأحناش . ومنها : أن الرجل الصالح الحاج عبدالله من أصحاب سيدنا الشيخ علي بن محمد التمجروني كان يلازمه وجع الرأس فأمروه بشربها فشرب أياماً فخرج من أنفه دودة فاستراح بعد ذلك ولم يعاوده الوجع إلى مات ، أخبرني بذلك ثقة . ومنها : تسهيل خروج البلغم ، ولا سيما لمن شربه بأنفه ، أفادنيه بعض أصحابنا فاستعملته فوجدته صحيحاً . انتهى كلام قاضي دَرْعة . وقوله : ولاسيما لمن شربه بأنفه ؛ طريقه أن يشرب دخانها من فمه فيحبس نفسه ثم يرسله من أنفه ، وأما أن يشربه من أنفه فلا يتصور لضعف جاذبية الشامّة ، ويحتمل أنه أراد بذلك شمّ مدقوق يابس فهو أيضاً مفيد لما قاله ، ويحتمل أن يكون المراد بالبلغم الرطوبات الدماغية والله أعلم .

ورأيت في رسالة للعلامة أحمد بابا السوداني ما نصه : فإن قيل : هل لهذه الشجرة منفعة ؟ قيل : نعم ، شرب دخانها يسخن الرأس والجسد وينزل البلغم والطعام للمعدة ويسهل خروج الفضلة الناضجة بسرعة ، ويخفف الزكام ، ويقوي البصر ، ويحرك الباه ، ويقوي الهمة ، ويذهب العيا ، ثم قال : زاد بعضهم أنه ينفع من ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرهما إلى غيرها من منافعه المشاهدة

انتهى . قلت : وقوله يسهل خروج الفضلة إلى آخره هو مشاهد عن تجربة لا سيما إذا استعمله في حالة البراز .

وقوله : ويخفف الزكام ، هو بالخاء المعجمة ، ويحتمل أن يكون بالجيم ، وكلاهما صحيح ففيه التخفيف والتجفيف . وأما تقوية البصر فلما فيه من إذهاب رطوبات العين الموجبة لأمراضها ، ومن هنا كان شيخ مشايخنا الشيخ عبد الغني النابلسي — رحمه الله — يشربها ويعتذر للمنكرين عليه بأنه ما يشربها إلا لأجل التداوي ، وكان قد أصابته رطوبة في عينيه حتى أن الدمعة تسقط من آماقه دائماً من غير اختيار ، فلما شربه تقلصت وشفي منه .

وأما قوله : ويقوي الباه فهذا لا يكون إلا بالنظر إلى أنه يقوي الروح الحيواني وينشطه ، أو إلى تلطيفه الأخلاط المانعة من نشاط النفس . وقد أخبرني من أثق به من أهل بندر (سورة) عن نفسه أنه تزوج شابة جميلة الصورة فلما اختلى بها لم يقدر على افتضاضها مع كمال قوته وعدم الموانع ، فقام عنها وأمر بإحضار دخان هذه الشجرة فشربه ساعة زمانية فانبعثت همته فواقعها فافتض عذرتها أسرع ما يكون ، ولكن يختلف ذلك باختلاف الأمزجة فمن غلبت عليه الرطوبة وتمكنت منه لا يفيده إلا بعد أزمان واستعمال كثير .

وقوله : ويقوي الهمة ويذهب العياء . هذا مشاهد لا يستريب فيه أحد ، فإنه إذا قصد الرجل أمراً بعيد المنال ، أو وقع في حيرة وتشتت بال ، فشربه فتجتمع حواسه في الحال ، ويهتدي إلى ما قصده ، ويزول عنه ما عرض له ، وكذا إن قدم من مشي ، أو هبَّ من نومةٍ وشربه أذهب عنه عياه ، وأزاح عنه عناه ، حتى أن ذوي الرياضات والأعمال الشاقة يستعينون بشربه على أعمالهم . وقال بعض المهرة من الأطباء ممن كان بالمغرب مفرداً في معرفة الأعشاب وخواصها وطبائعها ، ومات في أواسط العاشر ما نصه : ومن منافع الحشيشة المسماة (طبقة) أنها تسخن وتحلل وتجلو ، وفيها قبض يسير ، إذا سحق ورقها وضمد به نفع من الشقيقة من ريح أو أسباب باردة ، ويجب أن تستعمله مراراً وتسكن وجع الأسنان إذا جعلت عليها ، وعصارتها تمنع تعفن الأسنان ، وتمنع من أمراض الصدر كسعال قديم

والربو وضيق النفس ، إذا طبخ ورقها وصُنِع منه لعوق، وتخرج الأخلاط المتعفنة من الصدر إذا اتخذ من عصارتها شراب مع سكر ولعق منه قليلاً ، وتمنع من أمراض الرحم من سبب بارد إذا سخن ورقها برماد سخْنٍ وجعل على السرة ، وتنفع من جراح السهم المسموم إذا جعلت عليه بعد دهنه بعصارتها، ويضمد بها فوق القروح المسمومة العسرة البرء فينفعها ، ومن نهش الهوامّ مطلقاً ، ومن القولنج الريحي إذا شرب من بذرها مدقوقاً ، أخبرني به من وقف على صحته ، وإذا دقّتْ وشمّتْ جذبت البلغم ورطوبة الرأس ، صحيح ذلك انتهى كلامه رحمه الله من طبيب حاذق ، وحكيم ماهر صادق ، قد بين من خواصها ما كانت مدى الزمان مكتومة ، ونبه على منافعها مما لم تكن للأذهان معلومة .

وقوله : وفيها قبض يسير . أشار بذالك إلى غلبة حرارتها على يبوستها . وما ذكره في دفع الشقيقة فطريق استعماله وضع ورقها الطري عليها مع الضماد بمدقوقه ، وكلما ينشف يعيده مراراً حتى تخفّ ، فإن كانت من أسباب حارة فلا تنفعها ، وكذا في تسكين وجع الأسنان ، وضع ورقه الطريّ المدقوق عليها أو حشوها بمدقوق يابسه على هيئة السفوف ، فإن كان نهاراً فليخفض رأسه إلى تحت ويدع الريق يسيل ، وإن كان ليلاً فليتخذ حِفَاظاً من خرق يضعه على اللسان لئلا يبتلع الريق فيضر بالمعدة . ومن المجربات لتسكين وجعها إن كان من دود أن يتبخر ببذرها على حديدة محمّاة فوق ماء فإنه يسقط الدود في الحال مجرب .

واللعوق الذي ذكره عظيم النفع لأمراض الصدر واللحميات المتعفنة ، وذالك أنه يؤخذ من أوراقها فتوضع في الماء يوماً وليلة حتى تخرج خاصيتها فيه ، ثم يضاف إليه ثلاثة أمثاله من عسل منزوع الرغوة ، ويطبخ على نار لينة، حتى يتهيأ لِقِوَامِهِ ، فيرفعه في إناء صيني ، ويدفن في الشعير أياماً ، ثم يستعمل على الريق أياماً فإنه ينفع للأمراض المذكورة ، وإن أضاف إليه شيئاً من النعناع الطري أو مائه أعان في الربو وضيق النفس .

وقوله : ومن نهش الهوام مطلقاً . أي سواء كان حية أو عقرباً أو عنكبوتاً أو سَام أبْرَصَ ، مما يطلق عليه اسم الهوام، وطريق استعمالها في النهش إما بشرب

دخانها أو السّفّ بيسير من مدقوق يابسها مع لبن البقر فإنه يتقيّأ ، يفعل ذالك مراراً حتى يخلص ، وإمّا بوضع ورقها الطري المدقوق على موضع النهش فإنه يجذب السم إلى الظاهر بسرعة، يفعل مراراً ، ومن المجرب إذا وضع ما اجتمع من وسخ دخانها الخارج من القصبة على نهشة نفع في الحال ، وهو بنفسه سمٌّ قتّال إذا شربه الإنسان أشرف على الهلاك ، ويداوى بشرب اللبن البقري والتّقيُّء مراراً .

ومما جرب أن شارب دخانها لا تقربه حية ، وإذا تفل في فمها داخت في الحال ، بل ريقه ينفع القوابي والجرب والحكّة طلاء مراراً ، وإذا تفل على موضع لسعة العقرب نفع .

وقوله : ومن القولنج الريحي . قلت : هو المعروف بالمحنجن ، وهو داء صعب ، والتخلص منه عسر ، وما ذكر من شرب بذره مدقوقاً ينبغي أن يكون الدق غير جيد ، وأن يكون مع ماء التفاح ، فإن شرب بذرها وحده خطر .

وقوله : وإذا دقّت وشمّت إلى آخره . يعني به ورقها لا بذرها ، وذالك بعد أن ينشف في الظل ثم يدق ناعماً ويشمُّ ، وما ذكره من جذبه البلغم ورطوبة الرأس صحيح مشاهد ، ولهم في ذلك أنحاء مختلفة وتفنُّنات من تربية وتعفين وإخراج روح ، والحق أنه وحده بنفسه نافع ، وإذا مزج به شيء من الأملاح كنوشادر أو نطرون أو غيرهما ، أو من النباتات ككندس أو شمر أو غيرهما ، أو من الأطياب كدهن صندل أو ليمون أو غيرهما أو من الأرواح كروح الأفستنين أو روح الأسطوخودس أو غيرهما تغير مزاجه ، وانجذب إلى قوة ما خالطه ، ويتأخر نفعه المعلوم .

ولقد أخبرني من أثق به من أهل دمشق وكان فاضلاً حين سألته ما الذي ألجأه إلى شمّ هذه الشجرة ؟ فقال : بُليت بالمدينة العظمى من الروم بنازلة نفخت عيني ووجهي فعدمت القرار ، وداويت بكل ما وصفوا فلم ينجح وازداد الحال ، فبينما أنا كذالك إذ أتاني رجل فأخرج من جيبه حُقّةً وناولني منها شيئاً يسيراً وقال : شُمَّ هذا . فشممته فعطست في الحال ، ثم ناولني كذالك فبعد مرتين أو ثلاثاً فتحت عينيّ وأحسست بالشفاء ، وسألته عنه فقال : هذا من ورق شجرة الدخان ، فمن ذالك العهد لم أتركه ، ولم يعاودني ذلك المرض — بحمد الله تعالى — .

ولشيخ مشايخنا الشيخ عبد الغني النابلسي في مدح هذه الشجرة مقاطيع عدة مشهورة على ألسنة الناس ، وكان – رحمه الله – مغرماً بشرب دخانها ، قد امتزج به امتزاج الماء بالراح ، وكان يشربه معجوناً بماء الورد والعود والعنبر . وكان يقول للمنكرين عليه : دخاننا طِيب . ورأيت لبعض الفضلاء ممن تقدم في عصره أبياتاً في مدحها وذكر خواصها من جملة قصيدة طويلة سماها « نزهة الرامق » فلما قصدت إثباتها هنا خطر بالبال تصديرها وتعجيزها ، وها هي :

حروف اسمها مفتوحة دلّ فتحها ... وسرُّ معانيهـا معـاني الحقائـق
نواطـق تبدي نفثهـا بدلالـة ... على فتح أبواب الشفـاء لناشـق
فتاء وباء ثم غـين هجاؤهـا ... على نسق ، رمزاً لأهـل الدقائق
زكا غرسهـا بين الرياض نفاسة ... فدونكمـا نفاعةً للخلائـق
وأقسم أن الله لطـف بينهـا ... وضـمّ معانيهـا بسرّ التطابـق
لها نسبة تهديك يا صاح بينهـا ... وبين مجاري الروح من كل ناطق
فكـل مزاج وافقتـه بطبعهـا ... شفتـه وأعرته أليـم المضايـق
وأعطتـه كيفـاً لا يكيّف سرُّه ... بحسن اعتدال بامتزاج موافـق
لها قوة تنفي بها خلـط بلغـم ... وَهَبّاً سريعاً ، من يجربْ يصـادق
ويذهب بالسـوداء شرب دخانها ... وتذهب بالضرّاء في لمـح بـارق
وما مثلهـا شيء للسعـة عقرب ... كذاك الأفاعي والصِّلال الرواشـق
وقد جربوا منهـا دفاعـاً لهيضة ... وفيها سكون للقلوب الخوافـق
تفتـح أخلاطـاً تفتّـح سـدّةً ... تسخّن أعضاء بحسـن التوافق
تخفف عن صـمّ المسامع سرعـة ... تحلل تحليـلاً دواء الخوانـق
وتنفـع للحمى دواء مبـارك ... لأنواعهـا فاسمع مقالـة صادق
كأن بهـا الإكسير حَلّ فشربها ... شفاء صداع نافـع للشقـائق
وفيهـا شفاء للسمـوم جميعهـا ... ودفع القوابي النامشـات البواهق
وإن ثقل الإنسان بالأكـل بادرت ... منافعها في الهضم مثل الخوارق
وفيهـا شفاء للزكـام إذا بـدا ... وفيها نجاة من سعـال مضايـق

وفيهـا دواء للبواسـير قاطـع ... وفيهـا أمان للرياح الطـوارق
وفيها خصال لست أحصر نفعهـا ... على مرِّ أزمان بكشف المهـارق
فكم من خواصٍّ بينوهـا وأثبتوا ... وكم حكمة فيها وكم من معارق
ولكن على قانـون شرب دخانها ... ولا تَعْدُوَنْ عنه على وجه لائق
ودوام بها شرباً ونشقاً بحكمـة ... وعن أكلها فاحذر بعيداً وفـارق

وأما حكم استعمالها شرعاً فإنها طاهرة جائز استعمال دخانها ، وشمّ مدقوق يابسها ، وحكم دخانها كدخان العود ونحوه ، وهو من المطعوم على الأصح ، ولذا يوجب الفطر ، لا أكلها فإنه مضرٌّ مؤذٍ ، ويحرم استعمال ما يؤذي الأبدان ، ويفسد الحواس ، فحكمها كحكم الحرمل إذا أُكل بذرها مدقوقاً سُمٌّ منهي عن تناوله ، والتبخر بها شفاء ، مأمور به ، وقد اختلفت فتاوي القائلين بحلّيتها فمن قائل : إنّ دخانها حلال مطلقاً للكل ، ولا عبرة بالنادر الذي ترقده ، إنْ قُدِّر ، لا في نفسه ولا غيره ، ومنهم من قيّد الجواز بمن لا تعدو على عقله بإرقاد ونحوه ، وإن نادراً فيحرم عليه وحده القدر المغيب عقله أو المؤذي بحاسته ، فمن لا تعدو على عقله ولا تؤذي من حدة حاسة أو غيرها فتحل له بلا توقف .

وقد رأيت في « عذراء الوسائل » للعلامة أحمد بن عبدالله السجلماسي أبياتاً نسبها للفاضل السنوسي في بيان حكمها الشرعي في استعمالها على رويّ الأبيات السابقة فغلب على ظني أنّ الكلّ من قصيدة واحدة وها هي هذه قال :

ومن يعتقد تحريمهـا فهو قائـل ... بوهْمٍ ، ولا يجدْ له من موافق
فعنـدي ميزان يفـرق بينهـا ... وبين ذوات السكر عنـد الحقائق
فما غيَّب العقـل المنير بسكـره ... ونشوتـه فهو الحـرام لذائـق
فيحرم منه القِلُّ والكثر فاعتقـد ... نجاستـه والحـدّ فيـه لفاسـق
وما غيّب الإحساس من دون نشوة ... وغيَّب عقلا فهـو شين الخلائق
فتحريمـه أيضاً روينـا مشهّـراً ... لما حلّ بالجنان عنـد المفـارق
على العقل دار الحكم في غير مسكر ... تفطـن لما في فقهنـا من طرائق
وزنت بميزان الشريعة حكمهـا ... فألفيت من قد عابها مثل واشـق

وكل الذي قلنا خلت منه إنمـــا تُخَدِّر جسماً هل لذا من مشاقق ؟
ولله قـــوم سلمـــوا وتوقفـــوا ولم يذكـــروا عيباً لنزهـــة رامق

وحاصل ما ذكره في نظمه هذا أن فيها نوعاً من التخدير ، فحكمها كحكم جوزة الطيب وغيرها ، وأن المخدِّر ما لم يغيب عقلاً أو يفسد حاسةً فاستعماله حلال .

وأما الذي أفتى بتحريم استعمالها فإما أنه نظر إلى أن الأصل في الأشياء الحظر ، لا الإباحة ، أو ذهاباً منه إلى أنها تورث الفتور في الأطراف لقوم ، وتورث الكسل والثقل لآخرين ، وقد ورد النهي في حديث أم سلمة عن كل مسكر ومفتِّر ، وقائل هذا جعل المخدر والمفتّر واحداً ، أو حَمْلاً لها منه على الخبائث والمستقذرات الطبيعية ، بطريق القياس ، أو نظراً منه إلى ما يلحقها من العوارض القادحة ، الخارجة عن ذاتها ، كاستعمالها في مباسم فضة وذهب ، وتحلية قصباتها بهما ، وتعاطيها العامة في الأسواق الموجب ذالك لسقوط المروءة ، واجتماع شَرَبَتِها على منكر مع أحداث ونسوة لغناء أو لهو محرم أو مكروه ، والتنافس في شرائها ، المترتب عليه تبذير الأموال ، والتضييق على معيشة العيال ، وما أشبهه ، أو حملاً منه على الورع والتقوى ، وأخذاً بالأحوط والأقوى ، وكل هذه الوجوه المذكورة محلُّ بحث لا تحتمل هذه النبذة بيانه على التفصيل ، وإيراد كل دليل ، وردّ كل قيل .

وخالفهم آخرون رأوا تعارض الأدلة ، فتوقفوا فيه ، ولم يتجاسروا على التحريم ، ولم يصمموا على التحليل ، وكأنه الأحوط في المقام ، وعلى الله قصد السبيل .

قال مؤلفها : وقد فرغت من تسويدها في مجلس واحد ، من ليلة السبت ١٧ رجب الأصم من شهور سنة ١١٩٦ ، مهذبها الفقير إلى عفو ربه وإحسانه ، والراجي جزيل كرمه وامتنانه ، أحقر عباده أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد الحسيني الحنفي الواسطي الزبيدي ، نزيل مصر ، وخادم علم الحديث بها ، غفر الله ذنوبه ، وستر عيوبه ، حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً . هذا آخر كلامه .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

جُهَيْنَة وفروعها قديماً وحديثاً

. . . نشرتم في أجزاء مجلة « العرب » في سنيها الأولى[1] بحثاً عن جهينة ، ذكرتم أصول نسبها وفروعها القديمة ، وتطلع القراء إلى تتمة ذالك البحث وإيفائه عن ذكر فروع جهينة في العصر الحاضر ، وطال تطلعهم .

أرجو أن تواصلوا ذالك البحث لفائدة القراء .

ينبع النخل — محمد عايد الحبيشي الجهني .

العرب : جهينة من أعرق القبائل أصْلاً ، ومن أقدمها ومن أكثرها ثبوتاً في مواطنها القديمة وهذا يدلُّ على قوتها ومقدرتها في الدفاع عن نفسها ، وهي وقبيلة بليٍّ من فروع قبيلة قضاعة التي استوطنت شمال الحجاز قبل ظهور الإسلام ، وقد ذابت فروع أخرى من فروع قضاعة منها كلب وعذرة وغيرهما .

وكانت بلاد جهينة تمتد من غرب المدينة بمحاذاة البحر وما حوله إلى مفيض وادٍ الحمض في البحر ، وتصل إلى قرب العلا ، غرباً ، فتشمل أودية السلسلة الجبلية والجبال الواقعة غرب المدينة وشمالها كجبل رضوى وجبل الأشعر (الفقرة) وجبل الأجرد ، وأودية بواط وينبع النخل والعيص وما غرب من الأودية نحو البحر .

ومن أشهر مدنها القديمة الحوراء وهي من أشهر الموانىء قبل الإسلام . وقام على انقاضها ميناء (أم لجٍّ) في طرفها الجنوبي ومدينة ذي المروة (أم زرب) ولها ذكر في خبر مسير النبي صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى .

---

(١) السنة الأولى ، والسنة الثانية .

وقد تحضرت فروع من جهينة فاستقرت في بلادها حيث وجدت من خصب الأرض وكثرة مياهها ما هيأ لها كل وسائل الاستقرار فعاشت في كنفها فروع أخرى غير متحضرة حيث وجدت في مناعة الجبال والأودية ، وفي وفرة المراعي فيها ما مكنها من البقاء في بلادها منذ العهد القديم إلى زماننا هذا . مع أن هذه البلاد كانت قديماً مطمحاً للغزاة والطامعين لوفرة معادنها . ومنها :

١ — معادن الذهب والفضة في (ذي المروة (وما حولها ، ولا تزال آثار تلك المعادن التي استثمرت قبل الإسلام وفي صدره ظاهرة ومعروفة الآن .

٢ — معدن الشّبِّ ، في شعب من شعاب وادي (حورة) الوادي المنحدر من جبل الأشعر (الفقرة) الذي لا يزال معروفاً . ووهم ياقوت فظن أن هذا الموضع الذي لا يزال يستخرج منه الشب في اليمن[1] ، ولكن أبا عبيد البكري في « معجم ما استعجم » في كلامه على الأشعر حدد موقعه تحديداً دقيقاً ، وقبله الهجري الذي نقل البكري كلامه ولم يشر إلى ذلك .

٣ — معدن البرام في الحوراء ، وهو نوع من الصخر تعمل منه الأواني .

٤ — حجر المِسَنّ ، يقطع من جبل رضوي ويحمل إلى الدنيا كلها — على ما ذكر ياقوت في « معجم البلدان » وذكر غيره .

ولما ظهر الإسلام كانت جهينة من أولى القبائل التي دخلت فيه ، وهاجر أناس منها كانت لهم خطة في المدينة فيها مسجد من مساجدها ، حدد موقعها السيد السمهودي في « وفاء الوفاء من أخبار دار المصطفى[2] » .

وقد عرف منها عدد من المشاهير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تراجمهم في المؤلفات المتضمنة لتراجم الصحابة مثل « الإصابة » و « أسد الغابة » و « الاستيعاب » وغيرها .

شعراء من جهينة : وعرف من قبيلة جهينة شعراء ، وهم على قلّة من عرف

---

(١) «معجم البلدان» : رسم (ذو الشب) .

(٢) ص ٨٥٥ الطبعة الثانية .

منهم ممن أمَدَّ اللغة بطائفة من المفردات بحيث عني علماؤها بالاعتماد على شعر أولئك والاستدلال به ، كما وجد علماء الأدب فيه من جودة المعنى ما دفعهم إلى الاستشهاد به . ومن أولئك الشعراء :

١ ــ الحنَّان ــ بالحاء المهملة بعدها نون مفتوحة مشددة فألف فنون ــ ذكره الحافظ ابن حجر في كتاب « تبصير المنتبه في تحرير المشتبه »[١] لضبط اسمه ، وذكره غيره .

٢ ــ دُليْم ــ بضم الدال وفتح اللام بعدها ياء مثناة تحتية وآخره ميم ــ قال البحتري في « الحماسة »[٢] : (الباب الحادي عشر والمائة فيما قيل في اتهام أهل النصح ومباعدتهم ، وائتمان أهل الغش وتقريبهم . قال دُليم بن مرة الجهني في تاجر أخذ منه مالاً ، وكان اسم التاجر عُرابة :

اللهُ لقّى من عرابــة بيعــــة	على حين كاد النقد يعسر عاجِلُهْ
ولوَّى بنان الكفِّ يحسُبُ ربحه	ولم يحسب المطل الذي أنــا ماطِلُهْ
سيرضى من الربح الذي كان يرتجى	ببعض الذي أُعطي وما هو نائِلُه

٣ ــ سُعْدَى الجهنية ــ بضم السين وإسكان العين المهملة بعدها دال مفتوحة فألف مقصورة وهذه شاعرة ذكرها الصاغاني في « التكملة » وصاحب « لسان العرب » وعنهما نقل صاحب « تاج العروس » واستشهاد علماء اللغة بشعرها يدل على أصالته .

وهناك شاعرة جهنية أخرى تدعى سلمى بنت مجدعة الجهنية ذكرها صاحب « التاج » .

---

(١) ص ٢٩٤ .
(٢) صفحة ٢٦١ .
(٣) ج٢ ص ٤٧٥ .
(٤) رسم (تبع) .
(٥) رسم (حضر) .

٤ – سلمة بن الحجاج الجهني : أورد له البحتري[١] :

رُدَينة ، لو علمت غداة جينا ... على أضمامنا وقد اجتوَيْنا
فقالوا : يال بُهْتَة إذْ لقونا ... فقلنا : أحسنوا قَوْلاً جُهَيْنا
فلما أن تلاقينا وَثَبْنَا ... جنحنا للكلاكل ، وارْتَمَيْنا
فلما لَمْ نَدَعْ قَوْساً وسَهْماً ... مشينا نحوهم ، ومشوا إلينا
تَلألُؤَ مُزْنَة زافَتْ لأخرى ... إذا حَجَلُوا بإضياف رَدَيْنَا
شددنَا شَدَّةً ، فقتلت منهم ... ثلاثة فتية ، ورمَيْتُ (قَيْنَا)
وشدُّوا مثلها أخرى علينا ... فجرُّوا مثلهم ورَمَوا (جُوينَا)
فآبوا بالرماح محطَّمات ... وأُبنا بالسيوف قد انحنينا
وباتوا ليلَهُمْ ، ولَهُمْ أحَاحٌ ... ولو خَفَتْ لَنَا الجَرْحَى ، سَرَيْنا

٥ – سنان بن جابر الجهني ، وهو من شعراء صدر الإسلام ، أدرك عهد عبدالله بن الزبير رضي الله عنه ، وله قصيدة في الحرب التي كانت بين قيس وكلب في ذالك العهد ، أورد منها صاحب « الأغاني »[٢] ثمانية أبيات منها قوله :

لقد طار في الآفاق أن ابنَ بحدل ... حُميداً شفى (كلباً) فقرَّت عيونها

وقبيلة كلب من قضاعة جذم قبيلة جهينة .

٦ – شدَّاد بن عقبة الجهني من شعرائهم ذكره صاحب « الأغاني »[٣] وغيره .

٧ – عبد الشارق بن عبد القوي الجهني : ذكره المتقدمون من شعراء جهينة ، ويوردون له القصيدة التي وردت منسوبة لسلمة بن الحجاج الذي تقدم ذكره ، ويظهر أنهما شاعران تداخل شعرهما ، والقصيدة المذكورة من (المنصفات) .

٨ – العلاء بن موسى الجهني : شاعر أورد له الهجري في « النوادر »[٤] قصيدة في ٣٢ بيتاً مطلعها :

---

(١) كتاب «الحماسة» ص ٤٧ طبع بيروت .
(٢) ج ١٧ ص ١١٣ وما بعدها وانظر ج٢ ص ١٠٢ وج ٧ ص ١٧ .
(٣) ج ٥ ص ١١٤ و « البصائر » ١/٥٠٥ .
(٤) ص ٦٠ المخطوطة الهندية .

أتعرف داراً بين رضـم وأمهـد لمَيٍّ تعفت غير نُؤْي وموقـد

وأورد له قطعة في خمسة أبيات ، مطلعها :

ماذا تذكر من دلفـاء يا رجـل ؟ وقد بدا لك منها البخـل والعِلل

ويظهر أنه معاصر للهجري ، من أهل القرن الثالث أو الرابع .

٩ ــ عمرو بن المكعبر الجهني : ذكره البحتري في « الحماسة »[١] وأورد له شعراً .

١٠ ــ عمرو بن مُرَّة الجهني : أورد له البحتري[٢] من شعره :

فإنْ هـي أفضت إليك الحديـث فإنَّ الأمين هـو المؤتَمَـنْ

فَسِرُّكَ سِـرُّك لاتُفْشِـه فليس بِسِرٍّ إذا مـا علـنْ

١١ ــ قيس بن الحنان الجهني : شاعر أورد له بعض اللغويين في رسم (رذام) شعراً .

١٢ ــ النّعيْتُ ــ بفتح النون وكسر العين المهملة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة وآخره تاء مثناة فوقية، وقد ورد في « معجم البلدان[٣] » مصحفاً (البعيث) ولكن الآمدي ضبط الاسم في « المؤتلف والمختلف » ومن شعره :

ونحـن وقعنـا في مزينـة وقعةً غداة التقينـا بين غيـق وعيهمـا

ونحن جلبنـا يوم قُدْسٍ وآرةٍ قنابل خيل تـترك الجـوَّ أقتمـا

١٣ ــ هلال بن سدوس الجهني : شاعر ذكره البحتري في « الحماسة »[٤] وأورد له شعراً .

وقد ألف أحد أبنائنا من أهل ينبع هو الأستاذ عبد الكريم الخطيب مؤلفاً تعرض فيه لذكر بعض شعراء هذه القبيلة كنت أود أنه بين يدي الآن لعلي أجد فيه ما أضيفه إلى هذا الموضوع .

---

(١) ص ٢٤٥ .
(٢) ص ١٤٦ .
(٣) رسم (قدس) .
(٤) ص ١٣٠ طبع بيروت .

ولقد شاركت جهينة في الفتوحات الإسلامية ، وانتشرت في الأقطار التي امتدّت إليها تلك الفتوحات .

كما امتزجت قبل ذلك في بعض القبائل المجاورة لها ، والبعيدة عنها ، ودخل فيها بطون أصبحت معدودة منها ، ولقربها من المدينة تملك بعض أثريائها في بلاد جهينة ثم خالطوا هذه القبيلة ودخلوا فيها . منذ صدر الإسلام حتى عهد الدولة العباسية حيث قامت جهينة بمؤازرة آل علي أثناء قيام عبدالله بن حسن ومؤازريه من العلويين ضد الخليفة المنصور ، وقد وجد العلويون في قبيلة جهينة وفي بلادها أقوى ملجأ يحميهم منذ أن اتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بلاد ينبع وطناً يلوذ به أثناء الاضطراب عند مقتل عثمان – رضي الله عنه – فأصبح مقرّاً لأبنائه من بعده ، فاختلطوا بجهينة وصاهروها وحالفوها ، وامتزجوا بها في النسب منذ ذلك العهد .

وكان حكام مكة من العلويين – وموطنهم القديم بلاد ينبع – يجدون من قبيلة جهينة أقوى سند لهم في حروبهم ، وعندما قام جد أولئك الحكام الشريف قتادة لبسط نفوذه حتى يشمل مكة والمدينة ، ويمتد إلى بلاد نجد كان بنو ابراهيم المعدودون من جهينة عماد جيشه وأساس قوته[1] ، ثم كان خلفاؤه في إمارة مكة من بعده إذا حز بهم أمر ، أو همّ بهم عدو يلجأون إلى ينبع من بلاد جهينة فيجدون النصرة ، ويفوزون بالعون .

وعندما امتد طريق الحج البري من مصر وما حولها قويت صلة قبيلة جهينة بملوك تلك البلاد ، لقيامها بالإشراف على حماية قسم من ذلك الطريق ، وكان من أثر ذلك اتصالهم بتلك البلاد ، بل ازدياد ذلك الاتصال الذي كان قائماً قبل ذلك بزمن طويل ، وقد استوطنت بطون من جهينة البلاد المصرية فتحضر بعضها وذاب في أهل تلك البلاد ، وبقيت بطون محافظة على أصلها .

---

(١) قال العصامي (٤/٢٠٨) : عن بني ابراهيم (ساروا مع قتادة إلى مكة ، فانتزعها من الهواشم وخطب للناصر العباسي سنة ٥٩٩) .

إلا أن سيطرتهم على طريق الحج من أكرا – مفيض وادي الحمض – إلى ما قرب بَدْر[1] كان مصدر إقلاق للحجاج ولحكام ذلك العصر ، فقد تقسو الحياة في تلك البلاد من أثر انقطاع الأمطار وانتشار الجدب فتمتد أيدي السكان إلى الحجاج ، أو قد يحدث أمر بين أحد السكان وبين أحد الحجاج أو بين أحد أمراء العشائر التي تقيم في هذه الجهة وبين أمير الحج أو غيره من رؤساء القافلة فتكون أحد تلك الأمور سبباً لحدوث نزاع يجر إلى حرب ، وخاصة عندما يحدث خلاف بين والي مكة وبين أحد حكام مصر ، حيث يتخذ هذا الوالي من أعمال البادية وسيلة للضغط على ذلك الحاكم ، فيوعز إلى أبناء البادية للقيام بأعمال الشغب ، ويغريهم على التعرض للحجاج .

ويجد القارىء أمثلة كثيرة لما حدث بين فروع من جهينة وبين أمراء الحج وأمراء مكة في مؤلفات القرن العاشر الهجري وما بعده ككتاب « بدائع الزهور » لابن إياس و « درر الفوائد المنظمة » للجزيري ، و « سمط النجوم العوالي » للعصامي ،

ففي هذه المؤلفات أنباء كثير من الحوادث التي جرت بين الحجاج وبين تلك القبيلة ، وكان أبرز بطونها بني ابراهيم ، وهؤلاء في الأصل فرع من العلويين (الأشراف) دخلوا جهينة ، منذ صدر الإسلام ، فاختلطوا ببطونها ، ولم تقف حوادثهم حتى تدخل حكام مصر بإرسال جيش لغزوهم ، والتوسع في أخبار تلك الحوادث في القرن العاشر وما بعده يتطلب كتابة مؤلف منفرد .

أما ما طلبه السائل الكريم من إيفاء البحث المتعلق بتلك القبيلة فلا أعتقد أن مجال الصحيفة يتسع لأكثر مما سبق نشره ، ويحسن أن يضاف إليه ما يتعلق ببيان فروع قبيلة جهينة وهذا يتطلب معرفة تامة بهذه القبيلة ، ولا تتسنّى المعرفة التامة إلا لمن عاش معها ، وامتزج بأفرادها ، ولا يتم هذا إلا لأحد أبناء القبيلة نفسها .

أما الباحث ففي استطاعته الرجوع إلى المصادر التي ألفت عن الأنساب وكتب

---

(١) أنظر لتحديد درك قبائل طريق الحج كتاب «درر الفوائد» فقد أوفى الكلام في هذا الموضوع .

الرحلات وغيرها ، وما أقل المصادر التي يصح الاعتماد عليها في هذا الموضوع ، بل ما أقل المؤلفات التي عنيت بدراسة مختلف أحوال القبائل منذ أقدم عصور التأليف إلى عهدنا هذا ، باستثناء كتب النسب المؤلفة قديماً ، وهي ما سنرجع إليه في ذكر بعض فروع جهينة القديمة ، كما سنخلص طرفاً مما كتبه المتأخرون عن فروعها في العصر الحاضر .

ولن تفوت الإشارة إلى أن البحث في أنساب القبائل المعاصرة — بوجه عامّ — من الموضوعات التي يجب أن تطرق بحذر شديد ، بسبب اختلاط الأنساب ، ووقوع الاختلاف فيها ، وكثرة الإدّعاء ، وغير ذلك من الأمور التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة التي يرضى بها كل أحد .

وما علي الباحث إلا أن يقدم ماتطمئن إليه نفسه مما يستطيع تقديمه ،وهذا مافعلت.

من فروع جهينة القديمة :

ورد في كثير من كتب النسب وغيرها ذكر بعض أفخاذ قبيلة جهينة ، وسنورد هنا ما عرفناه منها ، مرتبة على حروف المعجم :

١ — بنو ابراهيم: ذكرهم صاحب « درر الفوائد » وغيره ولا يزالون معروفين .

٢ — بديل : ورد ذكر هذا الفخذ في كتاب « درر الفوائد المنظمة في أخبار طريق الحاج ومكة المعظمة » لعبد القادر الجزيري المصري الحنبلي من أهل القرن العاشر الهجري ، إلا أن مطبوعة هذا الكتاب كثيرة التحريف .

٣ — الحارث : ذكر البكري في « معجم ما استعجم » رسم الأشعر أن بني الحارث بطن من مرة بن الربعة — من جهينة .

٤ — الحُرَقَةُ : بضم الحاء المهملة — بطن من جهينة ، ذكره أبو عبيد القاسم بن سلاّم في كتاب « النسب » وغيره (وانظر حميس) .

٥ — حسّان : قال الجزيري في « درر الفوائد » : ومغارة نبط حدّ جهينة ، وأصحاب درك سقايتها بنو حسان ، منهم محمد بن حميدي وتريم ورفقتهم ،

---

(١) ص ٥٣١ .

وعربان جهينة في تلك الأودية كثير ، منهم الطوائف المذكورة في باب الحمل ، ومنهم جماعات غيرهم .

٦ ــ حسل : بنو حسل بن نصر بن مالك بطن من جهينة ذكرهم أبو عبيد في كتاب « النسب » .

٧ ــ حُمَيْس ــ بضم الحاء المهملة وفتح الميم بعدها مثناة تحتية فسين مهملة ــ وهم بنو حميس بن عامر بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة ، ويقال لهم الحرقة ، لأنهم أحرقوا بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بالنبل ، أي قتلوهم ذكرهم أبو عبيد في كتاب « النسب » وصاحب « الأغاني » وغيرهما .

٨ ــ الحواتكة : من جهينة ، ذكر البكري في « معجم ما استعجم » أن لهم بئراً في الأجرد ، بزقب الشطان .

٩ ــ الخارجيون : من عدوان وهم حلفاء لجيهنة ، يسكنون معهم الأشعر على ما ذكر البكري .

١٠ ــ خميس : كذا ورد في مطبوعة « درر الفوائد » ولا أشك في أنه تصحيف (حميس) بالحاء المهملة .

١١ ــ دينار : قال البكري[1] : بنو دينار إخوة الربعة وهم أصحاب وادي الرشاد الذي تزعم جهينة أن اسمه غوى ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (رشاد) كذا ولا أستبعد أن (دينار) تصحيف (ذبيان) بالذال المعجمة والباء الموحدة بعدها مثناة تحتية فنون ،

١٢ ــ ذُبْيَان هو ابن رشدان بن قيس بن جهينة ، من أكبر بطون جهينة ، على ما في كتب النسب .

١٣ ــ الرَّبَعَةُ ــ بفتح الراء والموحدة التحتية والعين المهملة وآخره هاء : هو ابن رشدان أخو ذبيان بطن ذكره علماء النسب ، وهو من سكان الأشعر على ما ذكر البكري .

---

(١) رسم الأجرد «معجم ما استعجم» .

١٤ – رستم – كذا ورد الأسم في « درر الفوائد » المطبوع وأراه مصحفاً ، ولم أهتد إلى صوابه .

١٥ – رشدان : انظر (غيان) .

١٦ – رِفَاعَةُ – بكسر الراء وفتح الفاء بعدها ألف فعين مهملة فهاء – : هو ابن نصر بن مالك بن غطفان بن جهينة ، وهناك رفاعة بن نصر بن ذبيان ، والبطنان مشهوران وقد يكون الأسم لبطن واحد اختلف في نسبه ، ولا شك أنه من صريح أفخاذ جهينة .

١٧ – زهرة : هم بنو سعد بن عدي بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان من جهينة ذكرهم أبو عبيد في كتاب « النسب » .

١٨ – سبّاع : بطن من جهينة ذكر البكري أن لهم بئراً في الأجرد تدعى ذات الحرى .

١٩ – سلمة بن نصر بن مالك بن غطفان عدّ أبو عبيد بني سلمة هذا من بطون جهينة .

٢٠ – ضرام بن مالك بن شهاب بن جمرة من الحرقة ، ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام أن بنيه بطن من بطون جهينة وكذا ذكر غيره .

٢١ – عبد الجبار : ذكر البكري أن بني عبد الجبار فخذ من كلب من جهينة ، من سكان الأشعر .

٢٢ – عَبْس بن مالك بن الحارث بن مازن بن سعد بن مالك بن رفاعة بن نصر بن ذبيان بن رشدان ، من بطون جهينة الكبار .

٢٣ – عتيل : من أسماء بطون جهينة على ما في مطبوعة كتاب « درر الفوائد » ولا أرى الأسم صحيحاً .

٢٤ – عَثْم – بالعين المهملة والثاء المثلثة وآخره ميم – ورد في « معجم ما استعجم » للبكري ، وأنهم بطن من بني مالك من جهينة ، من سكان الأجرد ، وورد في إحدى مخطوطات « المعجم » : (جشم) ولا أستبعد أن الأسمين محرفان ، وأن الصواب (عَنَمَة) الآتي ذكره .

٢٥ ــ عرك ــ بالعين والراء وآخره كاف ــ عدهم ياقوت في « معجم البلدان » من بطون جهينة[1] .

٢٦ ــ العقب : من الأسماء الواردة في كتاب « درر الفوائد » ولا أدري ما صحته .

٢٧ ــ عَنَمَةُ ــ بفتح العين المهملة والنون والميم وآخره هاء ــ هو ابن عدي بن عبد مناف بن كنانة بن رشدان ، من بطون جهينة الكبيرة .

٢٨ ــ العوامرة : عدهم صاحب « درر الفوائد » من بطون جهينة .

٢٩ ــ عوف بن ذهل من بطون جهينة ذكرهم البكري من سكان الأشعر .

٣٠ ــ العيايشَة : عدهم الجزيري من بني ابراهيم وأنهم أصحاب درك الدهنا ومنهم محمد بن دواس وان دركهم من الدهنا إلى مكة .

٣١ ــ غطفان ــ عل اسم القبيلة ــ المشهورة ــ من بطون جهينة منسوب إلى غطفان بن قيس بن جهينة ، ذكره أو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

٣٢ ــ غيّان ــ بفتح الغين المعجمة والمثناة التحتية المشددة بعدها ألف فنون ، هو ابن قيس بن جهينة ، بطن غيَّر الرسول صلى الله عليه وسلم اسمهم إلى رشدان ، بطن مشهور في جهينة .

٣٣ ــ الفوايدة : كذا جاء في « درر الفوائد » وأرى صوابه « الفوايدة » وصحفت الواو راء ، بطن من بطون جهينة المعروفة .

٣٤ ــ القوادِحة : عدهم الجزيري من بني ابراهيم من أصحاب درك الدهنا

٣٥ ــ قُوْفَة ــ بضم القاف وإسكان الواو وفتح الفاء وآخره هاء ــ بسطن ذكره الجزيري في كتاب « درر الفوائد » ولا يزال معروفاً .

٣٦ ــ كلب ــ بالكاف المفتوحة واللام الساكنة وآخره باء موحدة ــ هو ابن كثير أخو الربعة ، من بطون جهينة ، ذكره البكري في سكان الأشعر .

---

(١) رسم الحث والقبلية .

٣٧ – مالك : بطنان من جهينة بنو مالك بن رفاعة ، بن نصر ، وبنو مالك بن غطفان بن جهينة .

٣٨ – مُرَّة بن الرَّبَعة : من بطون جهينة من سكان الأشعر ، على ما ذكر البكري في « معجم ما استعجم » .

٣٩ – المقابلة : عدهم الجزيري في « درر الفوائد » من بطون جهينة ، وهذا الكتاب كثير التحريف .

٤٠ – مليح : عدهم البكري من بطون الربعة من سكان الأشعر .

٤١ – مَوْدُوْعَةُ هو ابن جهينة ، وبنوه من بطون هذه القبيلة على ما ذكر أبو عبيد في كتاب « النسب » .

٤٢ – مُنادِحُ : – بضم الميم في « تاج العروس »[1] : بنو مُنادح بطن صغير من جهينة .

فروع جهينة وأفخاذها في هذا العهد :

جهينة – كغيرها من القبائل الكثيرة الفروع – يصعب على الباحث ، إذا لم يختلط بها مدة طويلة – ١ – معرفة جميع فروعها – ٢ – التمييز بين الفروع ، وإلحاق كل فرْع بأصله . ولهذا فليس من المستطاع الجزم باستكمال ذكر جميع فروع هذه القبيلة ، ولا بأن كل فرع ألحق بأصله ، أو بأقرب الفروع منه .

وبين يدي الآن مراجع ثلاثة ، استخلصت منها بيان هذه الفروع ، ورتبتها حسب ما ظهرنا منها .

أولها – ما كتبه الأستاذ فؤاد حمزة رحمه الله في كتاب « قلب جزيرة العرب » فقد حاول أن يذكر جميع أفخاذ القبائل التي تحدث عنها في كتابه ، ولهذا يعتبر ما ذكره من أوسع ما كتب في الموضوع .

ثانيها – ما جاء في كتاب « علم الأنساب » تأليف الأستاذ عبدالله سلامة الجهني ، وميزة هذا أن كاتبه جهنيٌّ من القبيلة نفسها .

---

(١) رسم (ندح) .

ثالثها – بيان أمدني به أحد الأخوان منقول من سجل عمال الزكاة في عام ١٣٦٣هـ – ويعتبر هذا البيان من الوثائق « الرسمية » الصحيحة ، ولهذا اعتمدته أصْلاً ، وأضفت إليه بعض الإيضاحات أو الزيادات ، وصححت على أساس ما جاء فيه – ما وقع في كلام الأستاذ فؤاد من تصحيف أو تحريف في الأسماء ، وأوردت ما ذكره الأستاذ الجهني .

وقد حرصت على إيراد جميع ما ورد في ذلك البيان ، ومنه ذكر شيوخ فروع القبيلة ، وكان ذلك سنة ١٣٦٣ – أي قبل ثلاث وثلاثين سنة ، ومن أولئك من توفي ، ومنهم من استبدل بغيره . وقد يكون في ذكر بعض أولئك ما لا يقبله بعض القراء غير أنني اعتمدت مصدراً قوياً ، ينبغي أن يوجه إليه اللوم لا إليَّ ، إذا جاز توجيه شيء من ذلك ، وما أراه جائزاً .

جهينة تنقسم إلى جذمين كبيرين :

بني مالك وبني موسى (انظَر ص٤٧٤).

١ – مالك (بني ابراهيم) .

– الصّرَاصِرة ، رئيسهم العام : محمد بن جبارة (توفي سنة ١٣٦٣) ثم من بعده ابن أخيه عيد بن صالح .

وأفخاذ الصراصرة :

١ – الصراصرة : معتق بن عتقا ، ثم محمد بن معتق .

٢ – المسافرة : سالم بن حمدان ، وسلمان بن حميد .

٣ – الشّطَارِيَة : محمد بن سليمان ، سعد بن سلام .

٤ – الشّهَابين : سالم بن صالح .

٥ – الفقهاء : محمد بن صالح بن شحاد ، سليمان ن حبيب .

٦ – الصيادلة : سلامة بن سعيد ، سعيد أبو دعيج ، حمد بن حامد ، عبد الحميد بن عميرة ، سليم بن عوض .

٧ – المِسَاوِيَة : رجا الله بن فارس ، عطية بن عواد ، خليل بن ابراهيم .

٨ – الصَّيَايِدَة : محمد بن سليم .

وذكر فؤاد حمزة : ذوي سعد ، ذوي سليم ، ذوي زيد ، ذوي حمود ، الموالي ، الجرسة ، الحلاتيت ، الدسابكة ، الشناورة ، المتادقة ، العلاونة ، الصفارين ، انتهى ولست مما ذكر على يقين بل أرى أن بعض الأسماء محرف .

الزوايدة ، وأفخاذهم :

١ — الحُضَرة : رئيسهم الحميدي بن حميد .
٢ — العقاب : رئيسهم مصلح بن غانم .
٣ — المسايرة : فهد الحنشل .
٤ — المعاقلة : غانم بن عتيق .
٥ — العامري : سعد بن مبارك ، ضيف الله بن حميد .

قُوفَة : رئيسهم : مسعد بن عودة القاضي ، وأفخاذهم :

١ — القضاة : محمد بن دخيل الله القاضي ، محمد بن عبدالله .
٢ — العرفاء : سعد بن حسين ، صالح بن حميد .
٣ — الدَّبَسَة : مليحان بن محمد .
٤ — العُنَيْنات : مسلم بن جاسر ، مسعد بن بخيت الصحيفي .
٥ — الحُصَيْنات : داخل بن دخيل‌الله بن طلال ، عبدالله ببن صالح .
٦ — الكُشُوش : مَتروك بن محمد .
٧ — الحَشَاكِلَةُ : جازي بن جُرَيْبِيع .
٨ — المرارات : حُمَيّد الحميّد ، حسن بن حامد .
٩ — الموالية : سليمان بن عابد ، جريّد بن عياد .
١٠ — المشَاعِلة : سليمان بن مبارك .
١١ — الرُّبَيّات : مسلّم بن معتق ، عودة بن عيد .
١٢ — الكُتَنَةُ : دخيل بن عبد الجبار .
١٣ — الشُّظَفَةُ : عفنان بن فريح .
١٤ — الهِدْبان : سلامة بن سليمان .

عِرْوَةَ : أفخاذهم .

١ ــ القُرُون : عيسى بن حايل .
٢ ــ الشلاهبة : هندي بن وديان ، سليمان بن ضفيدع ، عبدالله بن صويلم .
٣ ــ الفُهُود : عفنان الصلاح .
٤ ــ الجماملَة : ابن حميدان .
٥ ــ المَسْعد : محمد بن بُنَيّة .
٦ ــ البوينات : سليمان بن محمد .
٧ ــ المهادِيَة : عيد بن عياد .
٨ ــ اللبدان : سليم بن عياش .
٩ ــ الأخاضِرة : مقبل الأخيضري .

زاد الأستاذ فؤاد : الجعادنة .

بنو كلب ، أفخاذهم :

١ ــ الزْهيرات : عيد بن سلامة .
٢ ــ العَرَافين : جليدان بن عواد .
٣ ــ الحفزة : فايز بن صالح .
٤ ــ السُكّان : عتيق بن حسن الأسيك .
٥ ــ الزيود : بدر بن سعيد .

رفاعة ، أفخاذهم :

١ ــ المشاهير : شاهر ابو العسل ، بركي بن مبارك ، مفرج بن فرّاج .
٢ ــ الحساونة : حمود بن محمد بن عويد .
٣ ــ العتايقة : فرج بن فرج .
٤ ــ الوهْبَان : سليمان بن علي بن عْدَيْوان .
٥ ــ المدارجة : عبدالله بن متعب بن رشدان ، عواد بن رشدان .
٦ ــ البناتين : رجا بن عطية الله .
٧ ــ النّوايْهَة : عواد بن عويض .

٨ — البراطمة : ابن جريد ، ابن زويد .
٩ — العيايشة — وهم أشراف — حمد بن جابر .
١٠ — ذوي قطيل — وهم أشراف — صالح بن قطيل ، أحمد بن هِيْلُول .
١١ — الثقفاء : عامر البطي ، صالح بن عوده ، عبيد الله الفقيه .
١٢ — الفداعين : عطية بن فرج .
١٣ — الحريبات : محمد بن عبدالله .
١٤ — النقران : حسن بن سليمان .
١٥ — القبسان : مازن بن عمران .
١٦ — ذوي جودة : عبد الرحيم .
وعدّ فؤاد من أفخاذهم : الثرود .

الأشراف وأفخاذهم :

١ — ذوي هجار
٢ — ذوي هزاع .
٣ — المحاميد

ورؤساء الأشراف : غالب بن بديوي — جاسر بن عبدالله ، عبدالله بن زريعة ، أحمد عبد المنعم ، محمود بن حسين ، حمد بن ناهض ، محمد أحمد بن سليم ، حمدان بن سعد .

موسى : الرئيس العام : سعد بن غنيم المرواني .
الغُنيم : أفخاذهم .
١ — الغنيم : صيّاح بن سعد بن غنيم .
٢ — الزرقان : محمد الذويب ، سعد بن فاهد .
٣ — الحمدان : علي بن عطية الله ، عواد بن عوبضة .
وعَدّ فؤاد : المحاسنة .
٤ — النمسة : محمد بن أحمد ، حمد بن محمد .
٥ — المقبل : عواد العيْهَري .

٦ ــ المِلْحان : حمدان بن عيد .
٧ ــ العَلاّفين : عويضة بن سِلِمي .
٨ ــ الفحّامين : عواد بن سعيد .
٩ ــ النطايطية : عواد بن عايد .

الحجور ، أفخاذهم :

محمد بن حامد ، مبارك بن عبيد ، زارع بن عواد ، مسلم بن عاتق .

نَزّة : رئيسهم العام : محمد بن حامد بن جبر ، أفخاذهم :

١ ــ السّماليل : حمدان بن صالح .
٢ ــ الملافية : سليمان بن براك ، عيد بن عابد .
٣ ــ الوثارية : عبيد بن عبدالله .
٤ ــ الموانعة : سليم بن عواد .
٥ ــ الغزوز : غُنيم بن زيدان .
٦ ــ الرويشدي : عبد الرحمن بن جبر ، سليمان بن عثمان

ذبيان ، أفخاذهم :

١ ــ المصلح : عيد بن عواد .
٢ ــ الهميمات : سمير بن عويضة .
٣ ــ السواحيت : صلاح بن حويدر .
٤ ــ المداجنة : مسلم بن فهد .
٥ ــ الغربان : مفرج بن بخيت .
٦ ــ العطيفات : شتيان بن سليمان .
٧ ــ الخيطة : سالم بن معتق .

العلاوين :

راشد بن حامد ، حسن بن ضيف الله ، سلمان بن عتيق ، راشد بن حريب ، مساعد بن سعيد ، ضفيدع ، مضاي بن حسن .

الموال : رئيسهم : عليثة بن عبد الرحمن أبو رقيبة .

١ — الحلاتيت : حمدان بن عواد .

٢ — الفقهاء : عايد أبو دشيشة .

٣ — الصقطان : حامد بن حميد .

٤ — الشنادرة : سعيد بن يوسف .

السمرة :

١ — المرادسة : راشد بن مسعود .

٢ — المضاعين : ابن قباص .

٣ — المضحي : مساعد بن نايف .

٤ — العَطِيّة : مسعد بن عبدالله ، حماد العطوي .

وسمى فؤاد أحد أفخاذهم : الطبسة .

العقب : سليمان النحالة ، عبدالله بن علي المطوع .

الفوايدة ، أفخاذهم :

١ — الحوافظة : عواد بن بركي ، مصلح بن صويلح .

٢ — الشوايطة : سعود بن مسعد ، معوض بن مساعد .

٣ — العرور : ضيف الله بن رُهَيْدِن ، سالم بن عابد .

٤ — الرفايقة : فرج بن راشد .

حَبَيْش ، أفخاذهم :

١ — المساحير : عيد بن بخيت ، عبدان بن عبد ربه .

٢ — الضواحكة : محمد بن مسعود .

٣ — التولات : محمد بن عبدالله .

٤ — القنينات : محمد بن فرج .

٥ — التيَسة : أحمد بن جزا ، مصلح بن ثويت .

٦ — الحمر : مطلق بن بريك .

٧ — الصبيحات : معتق بن عياد .

المشاوقة : رئيسهم صالح بن شعيب . وأفخاذهم :

١ ــ المشاهرة : عيد بن رجا .
٢ ــ العلاونة : راجح بن ناجم .
٣ ــ الصفارين : محمد صالح بن جبران .

المحايا : وأفخاذهم :
١ ــ الجلادين : عايد بن جلدة .
٢ ــ العسالين : سعد بن مرزوق .
٣ ــ المعازلة : عايد بن سليم ، سعيد بن عياد .

سنان ، وأفخاذهم :
١ ــ البعران : منور بن فارع ، بادي بن حسن .
٢ ــ الحميد : مقيس بن مطلق ، محمد بن عودة .
٣ ــ الفواحجة : عبيد بن معتاد .
٤ ــ الحددة : عيد بن عايش .
٥ ــ الدحالين : صالح بن راشد .
٦ ــ الشمسة : سالم بن جاسر .
٧ ــ الشوارية : غاتم بن سعيد .
٨ ــ النشاة : عبيسان بن بخيت الناشي .
٩ ــ الشواهرة : سالم بن سويلم .
١٠ ــ الأزايد : عايد بن عويّد .

الحمدة : راشد بن سلامة ، محمد بن سليم .

عَنَمة ، أفخاذهم :
١ ــ الحوافظة : علي بن مهنا ، مساعد بن مبارك .
٢ ــ المسكة : عايد بن راجح المسيك .
٣ ــ المساهرة : مبروك بن عايد .
٤ ــ الدحالين : عبدالله بن فريج .
٥ ــ العنايقة : سليم بن مسلم الحمري .

وذكر فؤاد من عشائرهم : روس البعير ، الحميد .

أما الأستاذ عبدالله سلامة الجهني ، فقد سرد أسماء ٤٢ بطناً من بطون قبيلة جهينة ، قائلاً : إن القبيلة تنقسم إلى قسمين كبيرين مالك وموسى واليك أشهر بطون القبيلة للقسمين في المملكة السعودية — ثم سردها ، بدون أن يضيف كل بطن إلى القسم الذي ينتسب إليه .

فمما ذكر :

١ — القضاة — رفاعة — العوامرة — الزوايدة — بني كلب — عروة — الحصينات الربيات — المشاعلة — الموالبة — العنينات — الجرسة — الثقافا — الدبسة — العرف — العقب — القرون — الرجبان — العياشة — الشظفة — الكشوش — الهدبان — الحشاكلة — الكثنة — بني ابراهيم .

٢ — وذكر أيضاً :

الفوايدة — السمرة — سنان — عنمة — ذبيان — الغزوز — نَزّة — المشارقة — العلاوين — الحمدة — حبيش .

٣ — وذكر أيضاً :

النتافين — الحجوز — القصايرة — القندة .

وممن تحدث عن جهينة وفروعها الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي المتوفي سنة ١٣٨٤هـ في « الرحـــلة الحجازية » ومع أنني لا أطمئن إلى ما ذكر لسببين : أحدهما ما وقع في رحلته من التحريف الكثير في كثير من الأسماء . والثاني : أنه — والله يغفر له — إذا رأى اسم قبيلة في العهد الحاضر له مشابه في كتب النسب القديمة ربط نسب تلك القبيلة بذالك الأسم بدون تثبت أو تحقيق ، فوقع في كتابه من هذا القبيل أخطاء شنعة .

ومع ما تقدم نورد ما ذكره قال[1] :

بنو مالك : الصيحة ، عروة ، الحصينات ، الأساورة ، المساوي ، رفاعة ، كلب ، الحمدة ، المواليد .

وأشراف قبيلة بني مالك العيايشة :

---

(١) ص ١٣٩ الطبعة الثانية .

بنو موسى : البراهمة ، الموالي ، المراوين ، العلاوين ، ذبيان ، العوامر ة ، السمايحة ، السمرة .

ومنهم فروع بمصر ، بقرية لهم تابعة لشبين القناطر ، يقال لهم بيت أبو ثابت وأشراف قبيلة بني موسى : ذوي هِجَار . انتهى .

وعَدَّ الأستاذ علي حسن العبادي[1] من (العياشة) من مالك : عشيرة (العبسان) وقال : العبسان هاؤلاء وذبيان من موسى اسمان يوافقان اسمي عبس وذبيان من غطفان العدنانية ، ولهذا التوافق قال الشيخ حمد الجاسر ما نصه : كانت قبيلتا عبس وذبيان من غطفان العدنانية تجاوران قبيلة جهينة القضاعية القحطانية ، وقد دخلت هاتان القبيلتان في جهينة بعد الإسلام ، فصارتا تعدان منها في عهدنا الحاضر ، لوجود قبيلتين تسميان بهذين الأسمين (أنظر اليمامة ع ٢٦٧ و٢٦٨) .

ثم قال الأستاذ العبادي : وقد جاء في تعقيبي على أستاذنا الجاسر ما نصه : لم لا تكون فخذ ذبيان من بني موسى من جهينة القضاعية الذي فصائله : المداجنة ، والمصلح ، والهميمات والعطيفات ، ينتمي إلى ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال لهم : « أنتم بنو رشدان » بدلاً من عيان ، لا ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان كما ذهب إليه استاذنا الجاسر ما دام الدليل توافق الأسم فقط (أنظر جريدة الندوة ، ع ٦٩٢) .

وأقول : لقد قلت في الكلمة التي عقب عليها الأخ الكريم الأستاذ العبادي بأن في جهينة قبيلتين تسميان بعبس وذبيان ، وجهينة كانت أقوى من غطفان التي منها بطنان يسميان بهذين الأسمين ، وهي تجاور جهينة في الموطن ، والهمداني قد نَصَّ في « صفة جزيرة العرب » (ص ٩٠ طبعة الشيخ ابن بليهد رحمه الله) في الكلام على نسب جعدة قائلاً : (وكذلك سبيل كل قبيلة من البادية يضاهي اسمها اسم قبيلة أشهر منها ، فانها تكاد تتحصل نحوها ، وتنتسب اليها ، رأينا ذلك كثيراً) وقد ذكر مثالاً لهذا القول .

---

(١) جريدة الندوة (تاريخ ١٣٨١/٣/٢٦) .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

الجفافُ في الجزيرة

- ١ -

(تجتاح معظم أنحاء العالم موجة من الجفاف ، ويبالغ بعض الكتاب في الحديث عن مدى انتشارها ، وعمق أثرها والذي يعني القارىء في بلادنا – بصفة خاصّة – معرفة صلة هذا الجفاف بهذه البلاد – ونعني بها الجزيرة العربية من الناحية التاريخية ، إذا كان هذا ممكناً فالمرجو إيضاح ما يمكن إيضاحه منه .

الرياض : أحمد بن علي الغويري

العرب : من أوفى الكتابات – في موضوع الجفاف في هذه الجزيرة – ما كتبه المستشرق التشيكوسلوفاكي الويس موزل في كتابه « شمال نجد » الذي نشرت مباحثه المهمة معرَّبة عن الإنجليزية في هذه المجلة . وقد ألحق بذلك الكتاب بحثاً بعنوان (الجفاف المزعوم للجزيرة العربية والحركة الإسلامية[1]) .

وهو – فيما كتب – يرد على المستشرق الإيطالي (كايتاني) الذي حاول أن يعلّل أبرز الحوادث والفتوحات الإسلامية تعليلاً اقتصادياً ، فيرجعها إلى أسباب حدوث الجفاف في الجزيرة . التي أرغمت السكان – بزعمه الخاطىء – إلى الانسياح خارج تلك الجزيرة ، أثناء تلك الفتوحات ، واتبع رأيه بعض المستشرقين ، وقد أثبت موزل خطأ هذا الرأي – إن صح هذا التعبير .

وليس يصح في الأذهـــان شيء إذا احتـــاج النهار إلى دليـــــل

وها نحن نقدم للسائل الكريم ما كتبه موزل في الموضوع ، وسنعقب عليه بما نراه .

يؤكد ليوني كيتاني مؤلف كتاب « حوليّات الإسلام » Annali Dil islam ،

---

(١) هو الملحق العاشر في الكتاب .

في هذا الكتاب أن الجزيرة العربية ازدادت جفافاً خلال العصور التاريخية ، وهو يحاول إثبات ذلك من خلال دراستين ، الأولى : الجزيرة العربية قبل التاريخ وجفاف الأرض . والجزيرة العربية وسكانها العرب في العصور التاريخية ، المنظمة في الفصل الثاني (صفحات ٥١–٢٨٨) والفصل الثالث (صفحات ٢٨٩–٤٠٠) من كتابه « دراسة تاريخ المشرق» المجلد الأول (١٩٠٠) . ومع أنني في كتابي Die Hypothese Von der Austrocknung Arabians (1914) قد وضحت أن نظرة كيتاني ليست مدعمة بالحقائق التاريخية ، والنظرية ومع ذلك فإن العلمـــاء الشرقيين كانوا قد اقتنعوا بها ، مثال على ذلك ، إشارة السير توماس أرنولد (Thomas w Arnold) في كتابه « الخلفاء » (١٩٢٤) ، بملاحظته إلى دراسة كيتاني (المجلّد الأول ، صفحات ٢٨١–٢٨٢) قائلاً : (إن أحد الاكتشافات الباهرة التي قام بها مؤرخون محدثون فيما يتعلق بتاريخ الإسلام هو الاعتراف بحقيقة أن انتشار الإسلام العظيم . . كان امتداداً للقبائل العربية ... إذ أن هذا الانتشار للشعب العربي كان بالأحرى هجرة شعبٍ ذي عزم ونشاط ، أجبر – بسبب الجوع والحاجة – على مغادرة الصحراء القاحلة التي أصبحت مُجدبة من خلال الجفاف المتزايد) .

لذلك ، وبالنّظر للأهميّة الجوهريّة لهذا الموضوع وقبول آراء كيتاني الواسعة على أنها جازمة ، فقد وجدتني مجبراً على توضيح الأسباب التي أقنعتني برفض آرائه بتفصيل أكبر .

في مقدمة دراسته (صفحة ١٣) يعد كيتاني لا إثبات الجفاف المتزايد للجزيرة العربيّة خلال العصور الجليديّة فقط بل يبرهن على أن هجرة الشعب العربي إلى خارج شبه الجزيرة العربية بالإضافة إلى التغييرات (الطوبوغرافية) التي حدثت في الجزيرة العربية في العصور التاريخية كانت بسبب هذا الجفاف ، وكانت براهينه (جيولوجية) وتاريخية معاً . وحيث أنه لم يكن معلوماً سوى القليل عن علم طبقات الأرض للجزيرة العربية سوف لا نحاول أن نتأثر خطى كيتاني من خلال البرهان (الجيولوجي) المحيّر الذي أورده . بل نبحث فقط الشواهد التاريخيـــة التي يستشهد بها .

مناخ الجزيرة العربية وفجر التاريخ : يؤكد كيتاني (صفحة ١٧٦) أن الجزيرة العربية ولآلاف من السنين منذ فجر التاريخ كانت تسيطر هنا على قَدَرِ آسيا التاريخي ، وأكثر من هذا ، أن (صفحة ٢٠٦) العالم القديم كان يعرف الجزيرة العربيّة بلداً كان سكانه يضطرون إلى الهجرة خوفاً من أن يجوعوا ، وأرضاً كان رؤساء البابليين ينقلون منها الأحجار ، والمعادن ، والأخشاب ، ومنطقة تجتازها طرق التجارة العالمية . وبما أن الوضع الحالي للجزيرة العربية يجعل من غير الممكن لهذه البلاد أن تتولى أية قيادة سياسية مشابهة لتلك التي كانت لها في فجر التاريخ ، وقد أشير على كيتاني (ص ٥٥) أن يبحث فيما إذا كانت شبه الجزيرة العربية قاحلة دائماً مثلما هي اليوم وللإجابة على ذلك فإنه منذ عهد ليس ببعيد ، حسب التاريخ (الجيولوجي) كانت الجزيرة العربية بلداً مبتسماً ، ومخصباً ويختلف تماماً عن الجزيرة العربية في العصور الوسطى وفي هذا العصر . إنه يفترض الجزيرة العربية فيما قبل العصر الجليدي (صفحة ٦٦) كانت أمطاراً متدفقة وغياضاً ، وأنهاراً (صفحة ١٢٠) مع سكان عديدين أثرياء (صفحة ١٧٧) ، وأما الأنهار الكبيرة في العصر الجليدي وما قبله في الجزيرة العربية فإنه يعتقد أنها كانت (صفحات ٦٤— ٦٦ . والخارطة صفحة ٨٠) وادي حوران ، ووادي السرحان ، ووادي الرُّمة ، ووادي الدواسر ، وجميعها كانت تصب إما إلى الفرات أو إلى الخليج الفارسي . وقد قدّر ارتفاع وادي حوران بستمئة متر عند الطّرف الشرقي لجبال حوران الواقعة إلى الجنوب الشرقي من دمشق . ولكي يصل هذا الوادي إلى الفرات فإنه يجب أن يسير بشكل تصاعدي إلى خطٍ يقع على ارتفاع ما يقارب ألف متر فيما بين مجتمع مياه ذلك النهر وبين أرض الرّحبة المنخفضة . وعلى ما في (خريطة كيتاني) فإن واحة الجوف كانت تقع في وادي حوران ، ولكن حسب إفادة النصّ (صفحة ٢٤٣) كانت تقع في وادي السرحان ، وكلاهما مخالف للواقع . فوادي السرحان ينتهي على بُعد خمسين كيلاً تقريباً شمال شرق الجوف ، ومن غير الممكن أن يكون قد وصل إلى الفرات في جنوب الكوفة في العصر الذي قبل العصر الجليدي ، كما بيّنه كيتاني ، إذ أنه يجب أن يخترق مساحة عظيمة من الأرض كانت تبدأ

عند درجة ٣٠° ، ٣٣° تقريباً من خط العرض و٣٩° من خط الطول ويسير باتجاه الجنوب الشرقي ، مشكّلاً الطّرف الغربي لمجتمع مياه الفرات . ويمكن القول هذا عن وادي الرُّمة . إن وادي الرُّمّة الحالي مُقَسَّمٌ إلى قسمين يفصلهما حزامٌ رمليٌّ يبلغ عمقه أكثر من سبعين متراً وعرضه حول ستين كيلاً . وليس من الممكن أن تكون هذه الرمال قد تجمّعت كلها — كما يفترض كيتاني — خلال فترة ازدياد الجفاف التاريخية ؛ وواضح أن نهر كيتاني المزعوم ، وادي الرّمة أثناء فترة ازدياد الجفاف التاريخية لا يمكن أن يكون قد حمل هذه المياه الغزيرة من وسط الجزيرة العربيّة إلى الخليج الفارسي عند (القويت) كما كان كيتاني (أوب ، سيت . ، المجلد الثاني ، صفحات ٥٣ ، ٦٥) قد تهجّى اسم الكُويت أو ألِكْويت .

كانت هذه الأنهر الخيالية قاعدة افتراضات كيتاني (صفحات ١٢٨—١٣١) من أن جنّة عدن التي ورد ذكرها في التّوراة كانت تقع داخل الجزيرة العربية وأن الجزيرة العربية لذلك كانت بلداً جميلاً في وقتٍ من الأوقات (صفحة ١٣٥) وكان يُصوّر جنّة عدن على أنها قطعة أرضٍ مأهولة ولكن ازدياد الجفاف بها قد سبّب رحيل السكّان عنها ، كما كان يفترض أن بعضهم قد التمس مسكناً جديداً له في جبال الحجاز وبعضهم في بابل وفي منطقة ما بين النهرين ، حيث تكون أنهر الجزيرة العربية العظيمة قد قادتهم بكل تأكيد . (صفحة ١٤٨) .

إن أسانيد هذه الأحداث التاريخية المفترضة ضعيفة للغاية . وأما وجود جنة عدن في داخل الجزيرة العربية فإن كيتاني لا يقدم دليلاً واحداً من الدلائل التاريخية . وفي تأييده لرأيه المتعلق بالأنهر الكبيرة في الجزيرة العربية فإنه يدمج (صفحة ٦٤) غدير مصر المنوه عنه في التوراة مع نهر مُسران في نقوش السبأيين ، ومطابقتهما إما لوادي الحمض أو لوادي العريش ويؤكد أنهما كانا من الغدران العظيمة في العصور التاريخية (صفحة ٦٤) وإن كنا لا نعلم شيئاً عن وادي الحمض

وأما مطابقة غدير مصر Nahal Misrajim المنوّه عنه في التّوراة ، الذي يشكّل الحدود بين فلسطين ومصر ، لوادي العريش الذي وُجِدَ منذ القِدَم . فلقد أوضحت في كتابي « العربية الصخرية البتراء » — ص ٥٣ — ١ مطابقته مع

النهر الواقع على مسافة سبعة أكيال تقريباً إلى الجنوب من غزّة باعتبار أن مدينة رفح التي تقع إلى الجنوب من النهر ، لم تكن معدودة من المدن التابعة لفلسطين في أيّ مكان ، وأن مجمع مياه النّهر الجنوبي (أو وادي الصّيني؟) كان يشكّل الحدود الطبيعيّة بين مناطق فلسطين المفلوحة والصحراء إلى الجنوب منها (أنظُر شمال الحجاز » صفحات ٢٥٥–٢٥٩) ، كما كان للنهر على الأقل جدول بقرب منبعه الذي كان يجري باستمرار مما يبرّر الاسم الحالي بالإضافة إلى الأسم القديم نهل (؟) (غدير ، نهر) . وكان الأشوريون أيضاً على علمٍ بهذا « النّهر » ؛ لأن النقوش المتعلقة بالملك إسَرحدُّون Esar haddon ، تشير إلى أنه كان قد عبره في سنة ٦٧٠ ، (المتحف البريطاني ك ٣٠٨٢ ، ٣٠٨٦ ، س ٢٠٢٧) رولنسون نقوش كونيفورم Cuniform (١٨٦١–١٨٨٤) ، المجلد الثالث ، PL ٣٥ ، رقم ٤ ، 1 — ١٢٠ ؛ روجرز نصوص إسَرحدّون . ولوحات ١ ، 1 — ١٧٠ أنه ورد في تلك النقوش ملاحظة ذات مغزى وهي : (أنه سار إلى جانب غدير مصر نَحَل (؟) Nahal (ماتو Mato مُصُر Musor ، وهـو موقع لا يوجد به أيّ نهر .) وهذه الملاحظة أقوى دليل لدحض تأكيد كيتاني من أن كِلا وادي الحمض ووادي العريش كانا من الأنهر العظيمة في العصور التاريخية .

كان كيتاني يؤكد (صفحات ١٩٠ ، ٢٢٨) أن مُصري الأشورية هي مَدَين على اعتبار أنه في عهد (تغلاث بليصر Tiglat Peleser) يوجد حيوان الفيل في مَديَن ، ولكن النص على ما ورد في النقوش) حيوان ضخم نهري وحيوان ضخم بحري من ملك أرض مصري و (مصري) ، ينبغي أن تكون مصرايم التوراة ، أو مصر ولكنها بالتأكيد لم تكن مَدين .

ويميل كيتاني في مكانٍ آخر (صفحة ١٥٤) إلى مطابقة بلاد مجن البابلية الأشورية مَدْيَن ، مع أنه لم يكن واثقاً من موقع الأولى ، التي راح يبحث عنها في عبارات أخرى في شمال الجزيرة العربية (صفحة ٦١) ، أو في اليمامة (صفحات ١٧٩ ، ٢١٧) ، وعلى الشاطىء العربي من الخليج الفارسي (صفحة ١٥٤) وكان واضحاً أن حيوانات الدِّبَبَة والكركدن تعيش هناك في مستنقعات مغطّاة بأشجار القصب ، بينما يؤكد كيتاني أنه لا يمكن لشجرة واحدة أن تنمو هناك . وحتى نحدد

موقع مَجَن (؟) ومِلُخّه (؟) اللتين يرد اسمهما مقرونين وهذا ليس بالأمر السهل ، لأننا نجهل ما إذا كان هذان الأسمين في الألف الثالث قبل المسيح ينطبقان على نفس المناطق التي ينطبقان عليها في الألف الأول . وفي نقوش عصر الألف الثالث كانت مجن ومُلِخّة تبدو وكأنها تحدد الشاطيء العربي من الخليج الفارسي وربما المحيط الهندي أيضاً . وعندما نعلم (على ما في لوحة المتحف البريطاني ٢٦،٤٧٢ و٢١٣٠) أن نَرَم سِن ، ملك بابل حوالي سنة ٢٧٠٠ قبل المسيح غزا مَجَن وقهرها ، يزداد انطباعنا أن مجن بلد يقع على حدود بابل . ويمكن استنتاج الفكرة من نقوش تنص على أن (جُوديا ؟ Gudea) ، سيّد لجاش (؟) في بابل السُفلى قد أحضر قطعة من جبل مَجَن مع خشب اليوشو (؟) وغبار الذهب من الجبال الواقعة في أرض مِلُخّة . وعندما نطالع لوحة كانت محفوظة في نقوش أور (المقيّر الحالية في بابل السفلى) نجد أن القوافل كانت تنطلق من هذه المدينة إلى سوسه (؟) ومَجَن وحينئذ لا بُدَّ لنا من التفكير في ضفاف الخليج الفارسي . مع أن اسمي مَجَن ومِلُخّه الواردين في نقوش الألف الثالث يُعيد إلى الذاكرة ذكر البلاد التي تسكنها قبائل تنطق اللغة الفصحى . ويحتمل أن سكان هذه البلاد كانوا يتعاطون التجارة لا مع الشاطىء العربي من الخليج الهندي فقط بل مع الشاطىء الإفريقي أيضاً ، وأن اسم مُلِخّه Meluh:a يمكن أن يكون قد اشتمل على كوش المذكورة في التوراة وإثيوبيا أخيراً . وكوش المذكورة في التوراة تقع في إفريقيا بالأضافة إلى الجنوب الغربي للجزيرة العربية .

إن امتداد مَجَن Magan في الألف الأول في الخليج الفارسي حتى تشمل بلاد مصر السفلى ويمكن أن تطابق امتداد حويلة الواقعة إلى الغرب من بابل على الشاطىء الشرقي من خليج العقبة ؛ وأما النقوش الأشوريّة في العصر الألف الأوّل فتتحدث عن مَجَن على أنها واقعة في شبه صحراء سيناء وفي مصر السّفلى ، وتحدد موقع مِلُخّة في مصر العليا وأثيوبيا . ومن المحتمل وجود الدِّبة والكركدن في مستنقعات مغطاة بنبات القصب في مصر العليا كما في مصر السُّفلى .

وكان كيتاني يفترض في تطبيقه مَجَن على مَديَن (١٥٤) أن الجزيرة العربية كانت مغطّاة بالغابات سنة ٥٠٠٠ قبل المسيح ، ومنها تتخذ الأخشاب اللازمة

لبناء السُّفُن (صفحة ٢٣٨) ومن أن البابليين كانوا قد حملوا الذهب والنحاس ، والأخشاب لبناء السُّفن من مَديَن التي أصبحت اليوم من الصحاري . ومن غير المعقول أن يكون البابليون قد حصلوا خشب السفن من مَديَن ومن حدود الجزيرة العربية المحاذية لخليج العقبة ، عندما يكون بإمكانهم الحصول عليها بسهولة من الجبال الواقعة بين النهرين وفي جبال فارس ، حيث يمكن تعويمها عن طريق الأنهار أثناء فصول الأمطار . ويمكنهم أيضاً الحصول عليها من الشاطىء العربي للخليج الفارسي ، حيث يمكن تعبئتها على السُّفن . ولا يمكن لأحدٍ ما أن يتصور أن الأخشاب الضرورية لبناء السّفن يمكن أن تكون قد نقلت بطريق البر على ظهور الإبل عبر الصحراء من مدين . وأما أولئك الذين يجادلون في أنها كانت قد نُقلت من مدين عن طريق المياه فلا بدّ من أن يضطروا للاعتراف بأن البابليين كانوا قد واجهوا أخطار المرور في خلال البحر الأحمر وبوغاز باب المندب ، وهي أمور لم يرد أي ذكرٍ لها في التواريخ البابليّة .

الجفاف في العصر الأشُوري : في نهاية عصر الألف الثاني قبل المسيح — على وجه التقريب — كان الجفاف المتزايد الذي نوه عنه كايتاني قد اضطر الكلدانيين على مغادرة وطنهم في وسط الجزيرة العربية وأن يبحثوا عن مكانٍ آخر لسكناهم ، أولاً في اليمامة والبحرين ، وثانياً في الأرض الخصبة المعروفة باسم الطّفّ وفي بابل ، وهي مناطق كانت غنيّة جداً في ذلك الوقت ولكنها قاحلة الآن (٩٣) . وفي سنة ٧٠٢ كان سنحاريب قد أخضع العديد من البلاد والقرى الكلدانية الواقعة في منطقة أصبحت جرداء الآن . (صفحة ١٩٩) . — ومع ذلك ، فإن من غير الممكن إثبات متى ومن أين أتى الكلدانيون . لأن المناطق التي تقع فيها المدن والقرى فنهبها سنحاريب في نهاية سنة ٧٠٢ ، كانت معروفة لدى المؤلفين القدماء (أنظر كتابي « الفرات الوسط » ، ١٩٢٧ ، صفحات ٢٧٩—٢٨٢) بأنها مملوءة بالمدن والقرى ، وأنها غنيّة جداً ، والتي كان سيزداد رخاؤها وعددها ، حينما توطد الطائرات البريطانية الأمن والنّظام ؛ كما أن تربتها خصبة جداً ومياهها وافرة ، ولا يوجد هناك ما يُسَمّى بالصحراء العاصفة Spua plido deserto » (كيتاني ، صفحة ١٩٩) وليس هناك دلائل على حصول جفافٍ في هذه الأراضي .

ويُسَجّل كيتاني (صفحات ٦٠ ف و٨٧) أن ملوك الأشوريين قد اصطادوا الأفيال في لبنان ، وفيما بين نهري الفرات والخابور ، ويضيف أنه لا ينمو ولا شجرة واحدة في هذه الأماكن في الوقت الحاضر وبأنها صحراء بأكملها . — ليس من الثابت ، مع ذلك ، أن تغلات بليسر الأول قد اصطاد الأفيال في لبنان « النقوش الأسطوانية » Cylinder inscriptions (رولنسون المجلّد الأول ، ص ١٤) وتغلات بليسر يتباهى بأنه ذبح عشر أفيالٍ ضخمة في منطقة خرّان (؟) ونهر الخابور ، وبأنه أمسك أربعة أفيالٍ أحياء . وقد ورد هذا النص ، ولكن دون ذكر عدد الفيلة في الضّلع المكسور (رولنسون ، المجلد ١ ، ص ٢٨) ، وهو يشير كما يبدو من سياق الكلام ، إلى مناطق خرّان والخابور وليس إلى لبنان ، وإذا كان الحديث عن قيام الملوك الأشوريين بصيد الأفيال في منطقة لبنان صحيحاً ، فيمكننا أن نضيف أنه كان هناك في نفس المنطقة تقريباً عدد من الأفيال يبلغ الخمسمئة كان قد ربّاها ملوك (السليوسيد Saleucid) كما في « جغرافية سترابو » . ولو كان وجودها ضرورياً لكانت الحكومة السورية قد أبقت عليها بسهولة . فالماء وفير ، والآجام الكبيرة موجودة هناك وهي تنمو بسرعة إذ منعت الحكومة الرعاة من ترك أنعامهم ترعى فيها ومنعت حرق الحشائش ، والأشجار الصغيرة لتحصل على المراعي الخصبة . ويمكن قول هذا أيضاً عن ضاحية خرّان والجزء الأعلى من نهر الخابور . والفِيلةُ مثل الأرخص (ثور بري) الأوربي والبيسون (الثور الأميركي) ، كان الإنسان هو الذي قضى عليها في لبنان ، وشرقي سوريا ، ووادي الخابور ، ولم تنقرض بسبب الجفاف .

ولقد استشهد كيناني بوصف سترابو لمدينة مَدِيَن (صفحات ٨٧ و١٢٠) ليُثَبِّتَ وجود مزارع خصبة كانت الإبل البريّة ، وبقر الوحش والأسود ، والحيوانات الأخرى تقتات منها ، وجميعها قد انقرضت الآن ، بسبب ازدياد الجفاف الذي بَدّل المنطقة إلى صحراء خاوية « Spuallido deserto » في عصرنا هذا ، حسب رأي كيتاني .

وقد ذكر سترابو وديودورس وجود قطعان من الحيوانات المختلفة الأشكال

في مَديَن . ولكن من المستحيل أن نتبين إلى أية درجةٍ يمكن الوثوق بصحة ما ذكرا . وأما الجمال « البرية » فهي مشكوك في وجودها في قطعة ضيقة من الأرض تَحدُّها وتجتازها طرق تجارية مُهمّة ويمكن وصول البحارة اليها بسهولة ، وأصحاب القوافل بحاجة إلى اللّحوم ويتمنون اصطياد حيوانات ضخمة تمدّهم بكميّات وافرة من اللحم الجيّد . والبدو المقيمون في الضواحي يعيشون أكثر ما يعيشون على الجمال كانوا قد هيأوا مختلف الوسائل لصيد الإبل البرية ، وترويضها ، ومن ثم تأجيرها إلى التجّار الأثرياء لاستعمالها في نقل بضائعهم . ولا يوجد هناك نصٌ واحد يشير إلى وجود جمال بريّة في الجزيرة العربية في أي وقتٍ من الأوقات ؛ ولو كان الأمر كذلك لكانت قد انقرضت في وقتٍ مُبكر جِدّاً ، لأن من من السهولة بمكان إمساكها بواسطة المصايد عند مواقع المياه التي تضطر لورودها . ربما كانت الإبل (البريّة) ، تتكون من أذواد قليلة يربيها أصحاب الإبل الذين اعتادوا تأجير الحيـــوانات المذللة تُجّاراً يسلكون الطرق التجارية (أنظر كتابي شمال الحجاز صفحات ٣٠٢–٣٠٥) . وربما كانت مثل هذه الأذواد ، من الإبل « البرية » محفوظة من قِبَلِ رُعاتها من الحيوانات المفترسة كما ذكر (ديودوروس)

ويذكر كايتاني (صفحات ٣٤٤–٣٤٦) أن الخيل كانت غير معروفة في الجزيرة العربية قبل مطلع عصرنا هذا . وليس سهلاً تماماً أن ندرك لماذا لم يقم العرب بتربية الخيول في عصر الألف الثالث أو الثاني قبل المسيح ، حين نريد تصديق كيتاني ، بوجود أنهار ومروج خصبة في الجزيرة العربيـــة في ذلك العصر وعندما كان للعرب مخالطة متواصلة مع البلاد المجاورة حيث كانت الخيول معروفة ومُرَبّاة هناك . ومن الصّعب أن نتصور أن الكتيبة التي كانت الملكة (باتي Jatie) قد أرسلتها في سنة ٧٠٢ قبل المسيح لمساعدة ملك البابليين (سنحاريب) كانت قد ركبت الجمال . وفي أيامنا هذه لا يجرأ أي زعيم في داخل الجزيرة العربية على المخاطرة بقيادة راكبي الإبل إلى داخل بابل والبقاء هناك فترة طويلة من الوقت . لأنه يخاف من انطماس آثار رواحله . وآثار الأقدام التي كانت مِطياته قد أحدثتها بسرعة ومن الذباب في القضاء على مطياته .

(للحديث صلة)

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٢٠ ريالاً للأفراد و ٥٠ ريالاً للمؤسسات
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

ج ٣ و ٤ – س ١١ رمضان وشوال ١٣٩٦ هـ (أيلول ت ١) سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٦

الرَّبَذَةُ أيضاً

(تناول الأستاذ الكبير الشيخ حمد الجاسر «الربذة» بالذكر في افتتاحية الجزء الأول من السنة العاشرة من مجلة العرب . وكنت قد قيدت شيئاً من البحث عن موضعها فرأيت نشره مشاركة في هذا الموضوع المفيد) .

هنالك موضع يقال له البركة بركة أبو سليم كما في (الخارطة) التي أصدرتها وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، المديرية العامة لشؤون الزيت والمعادن[1] .

هذه بركة مربعة واسعة قطرها ٢٢٠ قدماً لها مصفاة تقع إلى الغرب منها طولها ٢٠٥ قدماً وعرضها ٦٠ قدماً وارتفاع البركة أربعة أمتار .

والمصفاة بركة أعلى من البركة الكبيرة وضعت كما توضع غرف التفتيش في مجاري المياه في البيوت لكي يبقى فيها الرمل والحصا الذي يحمله السيل ولا يذهب إلى البركة ولكي يمكن تنظيفه بعد ، وهو أسهل من تنظيف البركة نفسها .

وهذه البركة واقعة في الرَّبَذَة بلا شك .

وهي في ناحيتها الشرقية تكاد تكون ملاصقة لها ، وتملأ من مياه وادٍ صغير يأتي إليها من جهة الشمال ، وتحيط بها من جميع الجهات أكمات من الأرض الغليظة التي تعلوها الحصباء مما جعلها تتماسك ولا تنهدُّ في البركة .

(١) أبحاث جيولوجية مختلفة (خريطة رقم B : ٤٠٥ – I)

وقد زرناها يوم الخميس ٩٥/٣/١٥هـ بصحبة الأستاذ الكبير الشيخ حمد الجاسر والشيخ سعد بن جنيدل فألفيناها كأنما تركها الصانع أمس ، وهي مدوّرة كاملة التدوير ، مضبوطة ، بحيث يجزم المرء بأن الذي عملها مهندس قدير ، يشرف على عمال مهرة ، مجلوبين من خارج المنطقة ، لذلك نجزم أنها من برك زُبيدة ، وليست من البرك الأخرى التي استحدثها أهل الخير من بعد زبيدة أو قبلها .

وبناؤها من الحجارة المطوية الملصقة بالملاط ، والتي طُلِي بعض جوانبها بملاط من الصاروج . وليس كلها مغطّى بذلك .

والبركة هذه هي التي ذكرها الحربيُّ بقوله : (وبها – أي الربذة – بركتان يسرة ، إحداهما مدوَّرة ، ولها مصفاة ، والأخرى من المنزل على أقلّ من ميل مربعة)[1] .

أقول : هذه البركة هي المدورة بجميع الأوصاف تنطبق عليها .

وهذه المنطقة هي مدينة الربذة ، وذلك للنصوص التالية :

ذكر الإمام الحربي الربذة فقال : حدثني عبدالله بن عمرو قال حدثني ركاض بن عبدالله بن قيس الكلابي : قال سميت الربذة بربذ ، جبل أحمر ، صخرة حمراء على ميل من الربذة ، مما يلي المغرب فارع أحمر ، وقال : اسمه ربذة[2] .

أقول الجبل المذكور – معروف الآن وهو هضبة حمراء هرمية الشكل يسميها الأعرا ب من أهل تلك الناحية (مصيعيكه) وهي تصغير (مصعكة) مؤنث (مصعك) التي أصلها في الفصحى مصعلك ، بمعنى المجتمع بعضه إلى بعض مع ارتفاعه .

وهو قريب جداً من الربذة يقع إلى الغرب منها على بعد يقرب من كيلين وهو بالفعل يشبه الربذة وهي كلمة تستعملها العامة في نجد بلفظ : (ربثة) بإبدال الذال ثاء ، وهذا ليس بغريب إذ الثاء والذال تتعاقبان .

---

(١) المناسك ص ٣٢٧ .

(٢) المناسك ص ٣٢٨ (لعل الصواب : ربذ) .

وقد فسر الحربي لفظة الربذة بعد ذلك فروى عن أبي حاتم ــ ولعله السجستاني أنه قال : الربذة صوفة من عهن تعلق في أعناق الإبل .

أقول : وقد أدركت العامة في نجد يصنعونها من خيوط الصوف أو خيوط القطن ويضعونها في أعالي طرابيش الأطفال وأغطية رؤوسهم التي يسمونها القُبُوع جمع قُبْعٍ بضم القاف وإسكان الباء ثم عين .

والجبل الذي يسمى الآن (مصيعيكة) ويقع إلى الغرب من بركة أبو سليم يشبه الربثة عند العامة التي هي الربذة في الفصحى بلا شك .

وذكر الإمام لغدة الأصبهاني رحمه الله : جبل سنام بعد أن أنشد قول الشاعر :

شربْن من مَـــاوانَ مَاء مُرَّاً ومن سنامٍ مثلـــه أو شَـــرَّا

وقال : سنام هذا : جبيل قريب من الربذة[1] .

وأقول : سنام هذا هو أقرب الجبال إلى الربذة ، ويقع إلى الشمال منها يُرَى منها رؤية واضحة أي إلى هذا المكان الذي يسمى الآن « بركة أبو سليم » .

وآثار مدينة الربذة ولا أقول : قرية الربذة لأنها من واقع آثارها تستحق أن تسمى مدينة أقول : آثارها باقية ظاهرة للعيان ، من حجارة مهذبة ، وآثار حيطان مهدمة ، وقواعد بناء واضحة قد رصفتها وأحكمتها أيدٍ مدربة ، من ذلك بقايا المسجد ، وهو المسجد الذي بقربه توفي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، ومن ذلك مقبرة عظيمة باقية صوى القبور ، وعلامات المقبرة واضحة المعالم ، وهي مقبرة واسعة هذا غير ما قد يكون درس منها .

والمسجد والمقبرة واقعان في الجهة الغربية من المدينة على الشفير الشرقي لوادٍ يقع في غربي البلدة ، وتنحدر مياهه إلى وادي بْقار الذي كان يسمى قديماً (ذا بقر) والذي يذهب سيله إلى وادي مِخْيَط ، ومخيط ينحدر إلى وادي الشُّعبة الذي ينحدر إلى المدينة المنورة فيحجزه سَدُّ العاقول في الوقت الحاضر إلى الشرق منها .

---

(١) بلاد العرب ص ١٧٧ .

وفي هذه المدينة رأينا مقادير كبيرة من الفخّار الملون الفاخر ، الذي طُلي بطنه وقفاه بطلاء ملون جميل ، إلى جانب كِسَر من الفخار غير الملون ، إلى قطع من الزجاج القديم الغريب الشكل بالنسبة إلى الزجاج المعروف في الوقت الحاضر وبخاصة منه ما هو غير صافي اللون .

هذا إلى جانب كسر من الأرحاء السُّود .

وهذا كله مما هو ظاهر على وجه الأرض دون حفر ، ومما بقي بعد ألف عام ، أما باطن الأرض فهو أغنى بالآثار ، مما يجعلني أجزم جزماً قاطعاً بأنها هي مدينة الربذة فمخلفاتها وآثارها تدل على ذلك .

أما الآبار فإنه لايوجد فيها الآن إلا بئر واحدة ، يردها بعض الأعراب وماؤها غير عذْبٍ إلا أنه ليس شديد المرارة بالنسبة إلى غيره من الأمواه الموجودة في تلك المنطقة والتي يغلب عليها الطعم المرُّ ، وهي بعيدة القعر نوعاً يبلغ عمق البئر فيها حوالي ٢٢ متراً .

ويبلغ مدى عمران المدينة من البركة في جنوبيها الشرقي إلى المقبرة في شماليها الغربي حوالي ٩٠٠ متر .

وتكثر آثار المنازل التي نجزم بأنها هي منازل العامة من الناس . أما منازل الخاصة فهي الجهة الجنوبية الشرقية قريبة من البركة .

وطريق الحاج نفترض أنه يمر بين منازل العامة هذه وبين البركة لأن الحربيَّ نص على أن البركة هذه التي هي مدورة يُسْرَةً أي على يسار الذاهب إلى مكة .

متى خربت الربذة ؟ !

لا يمكن الجزم بعمر مخلفات الربذة إلا للمختصين ، على أنه يوجد لدينا نص صريح يحدد تاريخ خرابها ولكن ذلك لا ينفي أن تكون قد عمرت بعد ذلك ، ثم عاودها الخراب ثانية وهذا هو النص .

قال ياقوت رحمه الله : (قرأت في تاريخ أبي محمد عبدالله بن عبد المجيد بن سيران الأهوازي قال : وفي سنة ٣١٩ خربت الربذة باتصال الحروب بين أهلها

وبين ضرية ، ثم استأمن أهل ضرية إلى القرامطة ، فاستنجدوهم عليهم فارتحل عن (الربذة) أهلها فخربت ، وكانت من أحسن منزل في طريق مكة) وهذا نص صريح في خراب كان للربذة فهل عاودتها العمارة ثم اعتورها الخراب . ! ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب فنجزم بالجواب ، ولكن الظاهر من استقراء مخلفات مدينة الربذة أن ذلك الخراب كان الخراب الأخير ، لأن مخلفاتها لا تدل على أنها حديثة عهد بعمران ، اللهم إلا ما يتعلق بالبركة فربما كان بعض المحسنين من القادرين قد أصلحها ، وجاء بعده من تعهدها بالإصلاح .

وقال الهجريّ : وأول أجبل حمى الربذة في غربيها – رَحْرَحان ، وهو جبل كثير القنان وقنانه سود ، بينها فرج .

أقول : لا يزال جبل رحرحان محتفظاً باسمه القديم ، وهو واقع في غربي هذا المكان الذي يسمى الآن (بركة أبو سليم) مما يضيف دليلا على أنه هو الربذة ، ويدل على ذلك أنه ذكر أن بين رحرحان والربذة بريدين . وهذه هي المسافة الفعلية بين الموضعين ، ودليل آخر وهو قوله : ثم يلي جبل يقال له الجواء . . . ثم يلي الجواء أجبل يقال لها القهب ، وهي ببلد سهل حر ، وهي من خيار مواضع أحماء الربذة وهي عن يسار المصعد إلى المدينة . وعن يمين المصعد من العراق إلى مكة . وبين القهب والربذة نحو من بريد[1] .

أقول : لا تزال جبال القهب محتفظة باسمها القديم وتنطق العامة هناك « القهب » بكسر القاف وإسكان الهاء على لفظ جمع أقهب عندهم ، وتقع على يسار من يريد المدينة المنورة من هذا المكان الذي يسمى الآن البركة (بركة أبو سليم) كما تقع على يمين من يسير مع طريق الحاج إلى مكة المكرمة . مما يقطع بأن هذا المكان هو الربذة .

ثم قال الهجري : ثم الجبال التي تلي القهب عن يمين المصعد إلى مكة : جبل أسود يدعى أسود البرم بينه وبين الربذة عشرون ميلاً .

أقول : هذا الجبل يسمى الآن (العبد) ولا شك في أن تسمية العبد هي بعينها

---

(١) « أبو علي الهجري وأبحاثه » ص ٢٤١–٢٤٣ .

التي تعني كلمة (أسود) في العصر العباسي إلا أن إضافة هذا الجبل إلى البرم قد ماتت ربما كان ذلك بسبب ذهاب العمران من الربذة وما حولها ، وعدم عناية أهل البَدْو بالبرم التي تستخرج منه ، علماً بأن البرم جمع بُرْمة وهي القدر التي تصنع من الفخار ونحوه ، ويدع السائر مع طريق الحاج من (بركة أبو سليم) هذه إلى السّليلة وهي المنهل الذي بعدها على طريق الحاج إلى مكة على يمينه ، وقد سرنا معه مما يدل على أن بركة (أبو سليم) هذه هي الربذة .

ثم قال الهجري : وأقرب المياه من أسود البرم حفائر حفرها المهديُّ على ميلين منه تدعى (ذا بقر) ذكرها مؤرج السلمي فقال :

قدرٌ أحلّك ذا النُّخيل وقد أرى ... وأبيك ، مالك ذو النخيل بـــدار
إلا كداركم بذي بقر الحِمـــى ... هيهـــات ذُو بقر من الـــــزوار

أقول : ذو بقر أصبح الآن يسمى « بقار » وهو معروف في تلك المنطقة ورد في شعر عاميَ لشاعر يمدح قومه من قبيلة حرب الذين كانوا يسكنون تحت المنطقة في القرن الماضي ، ولا يزال جماعة منهم في « النفازي » وماوان وبلغة ، والهمج ، والنقرة التي تقع إلى الشرق من الربذة غير بعيدة عنها قال يذكر مطرا :

يمطر على اللِّيْ وسْمهم يقدح النار ... حلابة للجار خِلْـــفٍ متـــالى[1]
يمطر على الدَّيِّر ويمطر على (بْقار) ... ويمطر على النقرهْ وياخذ ليـــالي

ثم ذكر الهجري أماكن عدة بعضها باقٍ على اسمه القـــديم ، وبعضها نعرفه من وصفه وكلها تدل على موقع الربذة وأنه هو هذا الذي يسمى الآن (بركة أبو سليم)

هذا إلى جانب كون النصوص التي ذكرها الإمام أبو اسحاق الحربي في كتاب « المناسك » عن الربذة تدل على ذلك ، وقد قست المسافات التي ذكرها ما بين الربذة وما قبلها وما بعدها فإذا بها كلها تؤيد أنَّ بركة أبو سليم هي كانت مدينة الربذة .

ومن قوله في ذلك بعد أن ذكر النقرة التي لا تزال تحتفظ باسمها القديم وذكر

---

(١) الوسم : يريد به الوسم الذي يكون على إبلهم وخلف : جمع خلفة عندهم وهي الناقة اللبون .

أن الحاج يمرون بالقرب من جبل ماوان الذي يعرف الآن باسمه هذا أيضاً ، وذكر أنهم يمرون بجبال الشمط ولا تزال تسمى الشمط .

ذكر مغيثة الماوان وتسمى الآن « العَمِيرة » لوجود بقايا من العمارة فيها ، وقد تتبعنا أعلام طريق الحاج وأمياله التي لا يزال أكثرها باقياً إلا أنه قد تهدم فقادتنا من النقرة ، إلى مغيثة الماوان المذكورة دون أن نفقد من آثار تلك الأميال إلا القليل مما يقطع بصحة هذا الطريق .

ثم قال الحربي : ومن مغيثة الماوان إلى الربذة عشرون ميلاً .

أقول : المسافة بين العَمِيرة التي هي المغيثة وبين بركة أبو سليم التي هي كانت تسمى الربذة تساوي ما ذكره الحربي .

ثم قال – بعد كلام له – ، وقبال المتعشى : جبل يقال له سنام . وسنام يحتفظ باسمه القديم كما ذكرت . ثم قال : وراء ذلك أحساء بموضع يقال له : الأمْغَر وقبل الربذة بميل بركة ، ناحية عن الطريق . ثم ذكر الربذة بعد ذلك[1] .

أقول : الأمْغر : معروف الآن بهذا الأسم وفيه منهل يسمى (أُبو مُغَيْر) في الوقت الحاضر وهو في طريق المتوجه من النقرة إلى هذه البركة إذا كان قاصداً مكة المكرمة سائراً إلى جهة القبلة ، وهو قبل البركة بحوالي خمسة أكيال وبينه وبين الربذة آثار بركة قديمة فهو والربذة هذه واقعان في طريق الحاج الكوفي إلى مكة المكرمة .

فدل ذلك كله على أن الربذة هي التي تسمى الآن : بركة أبو سليم ، والله أعلم .»

الرياض — محمد بن ناصر العبودي

(١) «المناسك» ٣٢٥-٣٢٦ .

في رحاب الحرمين

مع ابن عبد السلام الدرعي في رحلتيه

— ٨ —

في المدينة المنورة : وفي ضحى يوم السبت الثامن من المحرم (سنة ١١٩٨هـ) وصل رحالتنا إلى المدينة المنورة ، وكان دخوله من باب المصري الموالي للسوق مارّاً به إلى المسجد حيث دخله من باب السلام ، وبعد الزيارة خرج لتهيئة المنزل بالمناخ — ويقصد ما عرف أخيراً بالمناخة — فلما هيأه وكُفِي مؤونة الدابة وغيرها — كما عبّر هو — علم للحرم الشريف وتحدث عن كثرة الزائرين من الحجاج والمدنيين ، وذكر أنه زار بقيع الغرقد ثلاث مرات ، مرة في كل يوم وهي أيام إقامته في المدينة ، وزار ما في داخل المدينة من المشاهد ، وأما ما كان خارجها كأحُد فلم يزره لضيق أيام الزيارة . وأخذ أهبته لزيارة مسجد قبا مع جماعة فذهبوا حتى لاحت كالصومعة في سواد النخيل ، وبينه وبين المدينة ثلاثة أميال أو أقل ، فآذن الركب المصري بالرحيل فرجعوا قبل الوصول إليه .

وقال بأنه سيقتصر على أخبار ما شاهد ، وبعض أبعاض ما لا بُدَّ منه لما لم يشاهد لداعية الحاجة لذكره ، وما عسى أن يدرك من ذالك مع قلة الإقامة .

وصف المدينة : ثم بدأ بوصف المدينة قائلاً :

المدينة اليوم — على ساكنها الصلاة والسلام — مدينة أصغر من مكة ، مليحة ، ظاهرة الأنوار ، موضوعة في منبسط (؟) من الأرض وعلى واد به حدائق (؟) كثيرة من نخل وشجر وأرضها سبخة ، والبقيع شرقيها ، وأحد شمالها وقباء إلى الجنوب أقرب خلافاً لقول العبدري أنها في جهة الشرق ، والمدينة)[1] وعليها سور يحيط بها وله أبواب ثلاثة باب البقيع ، وباب المصري ، وباب الشامي وكل منها

(١) البياض كلمات لم تتضح من التصوير .

في الغاية من التزخرف ومتانة البناء عكس باب البقيع وفي داخلها سوق طويل ، دارت به حوانيت البيع والشراء من كل جهاته ، ومن خارج المدينة بقربها يليها المناخة ، وقد زيد فيها بنيان كثير من دور مشيدة ، وأزقة نظيفة متسعة ، وفيها جامع تصلى فيه الجمعة ، وقد كثر في هذه الأزمنة سكنى العجم من ترك وغيرهم الحرمين فخرج[1] (..) عما كانوا عليه في العهد القديم من التنافس الآن في المآكل والمشارب وارتفاع البناء وتزخرفه،خصوصاً أهل مكة وفي داخل المدينة المنورة اليوم بعض بيوت وحوانيت شاهدنا بنيانها قصيراً من محض (؟) التراب واللبن والسقف من جذوع النخل وغير ذلك ، كما كانت عليه في العهد القديم ، وفي داخلها في وسطها المسجد النبوي على صاحبه أزكى الصلاة والسلام .

في المسجد النبوي :

ثم ذكر إنشاء المسجد في العهد النبوي وما طرأ بعده فيه من تغيير توسعةً وبناء وكتب في ذالك أكثر من ثلاث صفحات قال بعد ذالك: إنه شاهده على بناء قايتباي سنة ٨٣٦ هـ ووصفه بقوله : (إنه غير مربع عرضه نحو ثلثي طوله ، وأما المسجد القديم النبوي فمعلوم عند الكافة برايج (؟) في أسطوانات ، وقد ذكر السمهودي لذالك علامتين ( ) وأخرى وصحنه اليوم ليس بذالك في الوسع ، وهو فيما زيد في مؤخره فيه حوش ( ) الذي به ثلاث نخلات يجنى ثمرها على ما قيل ويذهب بها للأمير العثماني في القسطنطينية ، وبقرب النخلات بيت القناديل .

وطول المسجد مائة وأربعة (؟) وتسعون خطوة – بتقديم المثناة – وعرضه مائة وستة وعشرون خطوة ، وطوله من الجنوب إلى الشمال وعرضه من الشرق إلى الغرب ، وعدد اسطواناته مئتان وتسعون ، وعلى رأس ( ) حجر مربع قدر شبر في مثله فويق ( ) يقال إنه كان مرآة كسرى ، وفي أعلا داخله ( ) لايعرف من أين هو ، ويزعمون أنه كأس كسرى ، والمسجد مفروش كله ، ثم يذكر أبوابه ولا يفوته أن يسجل : (وعلى كل من بابي الفتح – ويقال له باب عاتكة – والسلام من يحرس للناس نعالهم بأجرة ، فلا أرى أحداً يدخل بها . ويقول عن

(١) البياض كلمات لم تتضح من التصوير .

سقف المسجد أنه مرتفع جداً (وسطحه لا يخلص له أحد إلا المؤذنون ، حاشا أيام الموسم الرجبي فإنه مباح لكل أحد ، ولقد — والله — راودت بعض المؤذنين وبعض أغوات بأجرة على أن يتركوني أصعد تبركاً ووقوفاً على حقيقة الأمر ، فامتنعوا واعتلُّوا بأنه سوء أدب مع النبي صلى الله عليه وسلم) ويقول عن المآذن الخمس : (أفضلها التي في الركن الشرقي الجنوبي ، وهي أقرب للنبي صلى الله عليه وسلم وكلها من عمل قايتباي إلا السليمانية وهي الشرقية الشمالية فقد بناها السلطان سليمان التركي وقال : (والمسجد الآن على ما شاهدت قد دارت به أزِقّةٌ متسعة نظيفة ، ولم يغرز لأحد خشبة في بعض جدرانه ، بل لم تتصل به دار ، ولا فتحت إليه طاقة ولا شبّاك يشرف منه إليه عكس المسجد الحرام بمكة ، ثم ذكر أن في المسجد محاريب ومنبراً ، وذكر أنه (ليس للمالكي ولا للحنبلي إقامة في سائر الصلوات الخمس إلا في الجمعة ، فيصلي صاحب النوبة على أي مذهب كان ، جرياً على عادتهم بالحرمين ، حرصاً على أكل الوقف ، فيتوارثون ذالك عن آبائهم حتى أفضى بهم ذالك إلى إمامة من ليس بذاك في العلم والدين ، بل ربما تولاها حدثاء الأسنان .

إذا التحـــق الأسافـــل بالأعالي فقد وجبت منادمـــة المنايـــا

وما يحكى عن التقي السبكي أنه كان يرى تولية الأطفال مع عدم صلاحيتهم إذا قام بالوظائف صالحون . . . ليس على إطلاقه وإنما معناه أن الولد له تولية الاختصاص ، والصالح تولية المباشرة — ثم أحال على ترجمة ابن عساكر من الطبقات للتاج — وقال : وفي « الرحلة الناصرية » : وأول من يصلي من الأئمة الشافعي ثم الحنفي إلا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي لضيق الوقت عنه كالمالكي ، ولا يقدم بالمدينة سواهما من الأئمة ، أما في الجمعة فيصلي صاحب النوبة على أيّ مذهب كان فيتناوب الإمامان الصلاة في المحراب النبوي ، فإن صلى أحدهما فيه صلى الآخر في المحراب الذي على يمين المنبر الشريف وأما المحراب العثماني الذي في الصف الأول فلا يصلى فيه إلا في بعض أيام الموسم إن كثر الناس . وتكلم على الحجرة الشريفة وأنها جددت في عام ٨٤١ على يد قايتباي وقيل عام ٨٨٦ — على ما في « شرح دلائل الخيرات » ثم نقل أن القبور الشريفة ليس عليها علامة سوى ارتفاع الأرض ، ثم

بنيت عليها قبة صغيرة كقباب صلحائنا في هذا الزمان[1] ، ليست بمثلثة ولا مربعة ولا مخمسة أسطوانية البناء من أسفل ومن فوق، ولم يبق لها عدا طاقة من أعلاها يخرج ( ) النور ، ثم على القبة المذكورة قبة أخرى أعظم منها لكنها إلى التخميس أقرب ، وهي على ثلاث طبقات ، فالطبقة الأولى التي تلي الأساس ، والأساس منشأ بحجارة سود ، ملبس بالرخام الأبيض غير الرخامة التي فيها المسمار الفضيّ فإنها حمراء جداً ، والطبقة الثانية من الآجر ، والطبقة الثالثة من ( ) وفيها تربط الكسوة ، وليست بمطموسة كما هي الأولى ، ثم على القبتين قبة شامخة تعلو الـ ( ) أو تقرب منها . وهي مربعة على أركان أربعة وسوارٍ عشر غير الروضة الصغيرة (؟) وأرضها مفروشة بالرخام غير الموضع الذي يذكر أنه يدفن فيه عيسى عليه السلام في السهوة كما هو معروف عند الخدام ومن شاهد ذالك ، ولها أربعة أبواب باب التوبة وهو في قبلة المسجد في شباك كان يفتح عند الشدائد[2] ليس إلا ، وباب الوقود يفتح كل ليلة لوقود المصابيح ، وباب فاطمة كذالك يوقد فيه بالشمع ، وبالمحراب كل ليلة ، وفي ليلة الجمعة لكشف الصندوق المواجه لرأسه عليه الصلاة والسلام ، ورشّه بماء الورد وغيره من الطيب ، وفي صبيحتها تكنس الحجرة ، وباب التهجد تارة وتارة ، وفي يوم الجمعة تجلل الأبواب كلها بجلل الحرير . هـ .

قلت : وقد دخلتها ولربي الحمد ، في جوف الليل من باب فاطمة وهو الذي يقال له اليوم باب الوقود ولم أرهم يدخلون إلا منه ، وهو الموالي للجهة الشرقية ، وبينه وبين الجدار الشرقي مَمَرٌّ ضيق مقدار خط (؟) والباب المقابل لباب التوبة وهو في الجنوب يُدْعَى الآن باب لغوات (؟) لجلوسهم بدكاته ، وهم خدمة الحجرة ،

---

(١) بناء القباب على القبور من الأمور المحرمة شرعاً ، بنص الحديث الشريف عن علي (ض) أنه قال لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص) أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

(٢) يقصد أنه إذا وقعت شدة من قحط أو مرض أو غيرهما فإن هذا الباب يفتح للاستغاثة . وهذا العمل محرم ، إذ الله هو وحده الذي يكشف الشدائد ، ومنه يطلب الغوث .

ويقال له باب حمزة وباب أحد، لأن الواقف به وهو مستدبر القبلة يستقبل أحُداً ، وفي شباك الكسوة لجهة القبلة قبالة وجه النبي (ص) باب صغير مُرونق، فيه الكوكب الدُّرِّي يضيء كالمصباح ، يشاهده من كان خارج الحجرة في المواجهة قيل: وهذا هوالباب لايدخله أحد إلا شيخ الحرم مرَّة في السنة،يضمّخ القبة المطموسة بأنواع الطيب ، وقد جعل في الكسوة علم بأزاء رأس النبي (ص) ثم آخر بإزاء رأس أبي بكر ، ثم آخر بإزاء رأس عمر رضي الله عنهما .

يقف الزائر قبالة الأول ثم يرجع شيئاً ما يميناً قبالة الثاني، ثم كذالك في الثالث، وقد وضع نحو تلك العلامة بالنقش في البنيان خارج الشباك الذي فيه باب التوبة في المواجهة فيقف الزائر مثل ذالك خارجه على نحو ما ذكر ، ومن وراء الشباك من صوبه الذي عليه الكسوة قبة صغيرة بداخل الحجرة تنسب لفاطمة (ض) وبذالك سُمِّي الباب الموالي لهَا باب فاطمة ، ولا يصح شيء من ذالك فالصحيح أنها بالبقيع . وإلى جانب هذه القُبَيْبة محراب مستقبل القبلة يَسيح (؟) به من دخل الحجرة ، ومعي في حال دخولي شيخ الحرم وحده هو الذي أراني ذالك ، فأوقعت التحية هناك ، والقبور أمامي في قبلتي ، والكسوة المسدولة على الشباك هي اليوم في الغاية من الإتقان ، بلون الخضرة والبياض ، وبها من خيوط الذهب والفضة العجب فلا ترى كسوة تضاهيها ، وهي انسدلت عليها إلى الأرض ، خلافاً لقول العبدري : إلى قريباً (؟) من القامة ، ولعل ذالك كان في زمانه ، وتغير بعد ، كقوله تكساها كل عام ، ففي « تاريخ السمهودي الكبير » : أنها كان يؤتى بها من مصر كل عشر سنين مرة ، أو في كل ست سنين وفي « الحاوي في الفتاوي » للسيوطي مانصه : أول من كسى الحجرة الشريفة ابن أبي الهيجا (؟) وزير ملك مصر ، بعد أن استأذن من الخليفة المستضيء فكساها ديباجاً أبيض ، ثم بعد سنين أرسل الخليفة (؟) كسوة ديباج أبيض بنفسجياً ، ثم أرسل الخليفة الناصر لما ولي الكسوة من الديباج الأسود ، ثم لما حجت أم الخليفة وعادت أرسلت كسوة كذالك، ثم صارت ترسل الكسوة من جهة كل سبع سنين من الديباج الأسود ، ذكر ذالك الأقفهسي . هـ .

قلت : وأما اليوم فقد حدَّثني الثقات من المجاورين وغيرهم أنها يأتي بها

الشامي ، يبعث بها من تأمر بالقسطنطينية وتبقى في مدة إيالته حتى يموت أو يعزل ، ثم إذا ولي من بعده جدّدها ، وهكذا فليست ككسوة الكعبة ومقام إبراهيم التي يؤتى بها كل سنة من مصر . وكسوة الحجرة عليها الكتابة غالباً نظماً ونثراً — ثم ذكر طرفاً مما كتب عليها نقلاً عن رحلة العبدري وغيره وفيه من الغلو والمبالغة ما يحول دون نقله .

ثم تحدث عن المنبر منذ إنشائه في العهد النبوي إلى العهد الذي يتحدث عنه ، ثم قال : وفي حائط المحراب أمام المصلي نحو القامتين أو أقل شَكْلٌ ناتيء أكحل بَرّاق أملَس ، كأنه رأس خشبة أبنوس مخروطاً ، ذكر المؤرخون أنه عمود كان في جدار القبلة وكان رسول الله (ص) يتمسك به إذا أقيمت الصلاة ثم يلتفت يميناً وشمالاً ويقول : « سَوُّوا صفوفكم » فإذا استوت كبّر ، فلما توفي فُقِد فلم يجده أبو بكر ووجده عمر عند رجل بقبا ، وقد دفنه حتى أكلته الأرضة ، فأخذ له عمر عوداً فشقّه وأدخله فيه ثم شعبه وردّه في موضعه فلما زاد عمر بن عبد العزيز في القبلة جعله في المحراب ، ثم ذكر ما يفعل الناس به من الأمور المحرمة بدعوى التبرك[1] ، مع أنهم لا يعرفون ما هو .

البقيع والآثار :

ولما تحدث عن البقيع قال : وقد ذكر السمهودي وغيره أن به أكثر من ١٠ ٠٠٠ صحابي مدفوناً مع أنه ليس بذالك في الوسع ، ومحمل ذالك على الطبقات من الموتى بعضها فوق بعض ، لأن الأرض سبخة فلا تمر سنة أو سنتان حتى لا يبقى للقبر أثر ، وما فيه من المباني إلا نحو عشرة مشهورة ، خلافاً لقول العبدري على أكثر ، قبور وقباب متقنة ، ثم ذكر أن المشهور فيه (١) ابراهيم بن النبي (ص) وسَمّى آخرين سعد بن أبي وقاص ، أسعد بن زرارة ، خنيس بن حذافة ، عثمان بن مظعون (٢) العباس ، ومعه الحسين بن علي عدا الرأس فبمصر ، وزين العابدين وجعفر بن محمد الصادق وأبوه محمد الباقر (٣) عثمان (٤) النقشبندي (٥) حليمة

(١) والتبرك بهذا محرم ، كغيره من الآثار .

مرضعة النبي (ص) (٦) عقيل بن أبي طالب ومعه عبدالله بن جعفر (٧) زوجات النبي (ص) خديجة وميمونة (٨) أم كلثوم (٩) مالك بن أنس (١٠) نافع مولى ابن عمر (١١) فاطمة بنت أسد والدة علي بن أبي طالب (١٢) صفية بنت عبد المطلب عن يسارك وانت خارج من المدينة من باب البقيع .

وذكر من القبور التي خارج البقيع (١) قبر اسماعيل بن جعفر الصادق بقرب باب البقيع على سور المدينة (٢) مشهد مالك والد أبي سعيد الخدري وهو من شهداء أحد داخل المدينة غربيها بلصق السور من داخله وفيه ماء مُعَدٌّ للشرب والوضوء ، ومحله هذا هو سوق المدينة القديم (٣) مشهد النفس الزكية وهو محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقال : وهو أخو إدريس الأكبر أول أهل البيت قدوماً إلى المغرب ، وعامّة الشرفاء المغاربة من نسله إلا شرفاء سجلماسة فهم من نسل النفس الزكية محمد المذكور ، استوطن أسلافهم الينبع (؟) فقدم جدّهم منه إلى المغرب في السابعة (؟) والمشهد خارج المدينة (٤) شهداء أحد ، وقد فصل القول عنهم .

وقال عن جبل عَيْر : ويقابل العوالي ناحية مكة عن يسار ذي الحليفة وأنت خارج من المدينة جبل عَيْر ، وهو جبل يقال له الجبل الملعون لقول النبي (ص) : « جبل يبغضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار » .

ثم أحال على تأليف السمهودي لمعرفة المآثر والمشاهد والأماكن وغيرها .

وانتقل بعد ذالك إلى الحديث عن الحالة العلمية في المدينة حينما زارها واستغرق كلامه من ص ٣٠٥ إلى ٣٠٧ من مخطوطته ، وها هو نصه بعد حذف النقول من الكتب المعروفة . قال :

العلم والعلماء :

والبلد الطيب اليوم كادت (؟) أن تعرو من متعاطي العلم سيما مذهب مالك وأحمد وأمثل من رأينا بها المُسِنّ البركة الشيخ محمد بن عبدالله المالكي به شهرة ، ذهبت إلى باب ( ) فزرته وأخذت عنه، وأجازني ، ونص ما أجازني به وكتبه بخطه بعد البسملة والصلاة على النبي (ص) وبعث به إلي بعد أن سافرت من المدينة بأشهر :

الحمـــد لله الذي خص هذه الأمة المحمدية بأعلى المزايا وأرفع سنة (؟) ومنَّ عليهم ببعثة هـــذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه شموس الهـــدى ونجوم الرشد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً (ص) عبده ورسوله المخصوص من حسن الأخلاق بالنَّصِّ المعتمد ، ما أمَّ طالبٌ سوح هذا النبي الكريم وتضلع من بئار علمه بعدما ورد ، وبعد فقد أجزت الأخ في الله ، والمحبوب من أجل الله مولانا الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري بجميع ما أرويه من الكتب العلمية والأحاديث النبوية ، حسبما أجازني به مشايخي رحمهم الله تعالى ، الذين من جملتهم والدي رحمه الله تعالى الشيخ محمد بن عبدالله المغربي المذكور (؟) المدرس بالحرمين الشريفين على حسب ما أجازه به مشائخه الذين من جملتهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر الفاسي وسنداته مشهورة في كتابه الذي سماه « المنح البادية ، في الأسانيد العالية » ومن جملتهم أيضاً المرحوم بكرم الله تعالى الشيخ عبدالله بن سالم البصري المكي ، عن شيخه البابي (؟) عن أبي النجا (؟) سالم بن محمد السنهوري عن محمد بن أحمد بن علي عن شيخه شيخ الإسلام زكريا عن أبي الفضل ابن حجر عن شيخه ابراهيم بن أحمد التنوخي عن شيخه أبي العبـــاس أحمد بن أبي طالب الحجازي عن الحسين بن المبارك الزبيدي (؟) عن أبي الوقت عبد الأول السجزي الهروي عن أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد الوردي (؟) عن أبي محمد عبدالله بن أحمد السرخسي عن محمد بن يوسف الغربري عن أمير المؤمنين في الحديث محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله تعالى . قد أجزت الشيخ المذكور على طريقة ما أوصاني به مشايخي رحمهم الله بلزوم تقوى الله في سائر الخلوات والجلوات ، وعلى أن لا ينساني من الدعاء الصالح عندما يذكرني في الأوقات ، قاله بفمه ، وكتبه بقلمه أحقر العباد إلى الله تعالى تراب أقدام العلماء محمد بن محمد بن بن عبدالله المغربي المدرس بالحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلاة وأزكى السلام في ١٤ من شوال سنة ثمانية وتسعين — بالمثناة — ومائة وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ومنهم المُسِنُّ البركة الشيخ علي بن محمد بن علي الشّرْواني ، نسبة إلى شروان – بفتح الشين وسكون الراء – بلدة ببلاد العجم ، حسبما أخبرني بذالك ، قال في « الروض المعطار » : وشروان إحدى مدن أرمينية . قالوا : والصخرة في قول الله تعالى : (إذ أوينا إلى الصخرة) هي صخرة شروان ، والبحر من بحر فارس والروم . وقال قتادة وغيره : بحر إفريقية ، وهو حنفي المذهب ، قد كان أخذ العهد الناصري من عمنا (؟) الشيخ أبي يعقوب رحمه الله ، وكان هذا الشيخ هو الذي سأل عني ، إذ له كبنيه الشيخ عبد الرحمن وأخوه الشيخ أبو السعود كمال المحبة لدارنا ولأسلافنا ، جالسته مراراً قرب المحراب النبوي القديم ، وكان مما سئل عنه بمحضري في المسجد : ما تقول في رجل دفع مالاً لآخر وقفاً يبلغه إلى رجل معين من أئمة المسجد النبوي وظيفة السنة الماضية وهذه ، فلما بلغ المبعوث معه المال وجد الإمام المذكور قد توفي ، وترك ابنة وإخوة عصبة ماذا يفعل بالمال ؟ فأجابه الشيخ بأن المال يكون كله من ابنته (؟) فقلت : أما حظ السنة الأولى فقد استحقه فللبنت نصفه ، وما بقي لإخوته العصبة ، وأما حظ السنة الثانية فإن هو توفي في أولها فإن جميع ما ينوبها من المال لمن استخلف للإمامة في موضعه ، وإلا كان للأول بحسبه ولمن بعده بحسبه ، فاعترضني الشيخ وقال : تعيين فلان في الرسالة دليل على إرادة الجميع عنه . فقلت : لا والله لم يعينه إلا مما اعتاده الكاتب من حياة من عين ، إذ لو علم موته لبعثه لمن تولى بعده فلم يرد إليّ شيئاً (؟) على عادة المشارقة اليوم في النوازل الفقهية مالكية وغيرهم وإنما يعتمدون تقريرات وظواهر ، ولا يفتون بمطالعة كتب الأحكام الفقهية على أنه لو عارضني بما يخالف مذهبي في النازلة ، لما أمكنني إلا إلقاء السلاح لعدم معرفتي به ، فما يظهر منه إلا أنه قال ذالك تفهماً لا فِقْهاً منصوصاً .

ومرَّة أخرى كنت جالساً معه قرب المحراب فأقام الصلاة صبيٌّ شافعي فقلت له : سبحان الله (؟) الأولى على مذهب الشافعي والحنفي في المؤذن والمقيم أن يكون بالغاً ، ومالك رحمه الله يجعل البلوغ شرطاً في صحة الأذان والإقامة ، وهذا مسجد رسول الله (ص) فينبغي الاحتياط فيه ، فلم يجِبْ بشيء ، وكأنه رضي مني مقالتي .

ولم أستجزه لأني اختبرته فلم أجِدْ له كبير رواية .

ومنهم سيدي علي بن محمد الدقاق المغربي من رباط الفتح بسَلاء أخذ العهد الناصري ، وله محبة في دارنا ، وكانت له مماسة بالعلم ، اجتمعت به في المسجد النبوي مراراً ولم أستجزه .

ومنهم الشيخ محمد بن خالد بن أبي بكر الجعفري مفتي المالكية وخطيبهم بمكة ثم انتقل إلى المدينة مجاوراً ، وكان أيضاً ممن أخذ العهد الناصري وله كمال في المحبة .

وممن اجتمعت به من المجاورين المعروفين السيد عبد الرشيد الشنكيطي (؟) المغربي ، وله فينا محبة تامة ، أدخلنا بيته بقرب باب النساء من المسجد ، وأحسن ضيافتنا جزي خيراً ووقي ضيراً .

ومنهم مولانا ابراهيم المغربي الرباطي ، أدخلنا بيته برواق سيدنا عثمان بقرب المسجد وأحسن ضيافتنا بعسل مصفّى ، وخبز حُوَّاري ، تجاه القبّة النبوية ونحن بسطح الرواق ، تتمتع بها الأحداق ، والحمام عليها في الكثرة كضوضاء الجراد ، خاشع خاضع لا يتحرك .

ومنهم الأستاذ النجيب سيدي محمد المهدي المغربي الحمزي ، وقام في خدمتنا والخروج معنا للزيارة ، بلغه الله تعالى ما أمله .

ومن سكان طيبة الشيخ عبد الكريم بن محمد السمان[1] (؟) دخلنا داره وهي في القديم فيما اشتهر عندهم دار أبي بكر الصديق قبالة باب النساء من جهة الشرق ، وسألته عن سبب انتقال دار أبي بكر إليكم فقال : قد ورثها جدّي من زوجته . فقلت : في تاريخ السمهودي ثم نقل كلاماً طويلاً عن « وفاء الوفاء حول الدار المذكورة ، ختمه بقوله : وهذا الرجل — أعني الشيخ عبد الكريم فيما يظهر لنا — يقتفي آثار والده في الصلاح ، وقد كان والده (ح) صالحاً ، نفعنا الله به ، وقد كنت اجتمعت بولده هذا بمنى ، في ضيافة بعض الأحبّة بها ، ثم تلاقيت به بمكة أيضاً ، ثم لما قفلنا راجعين من حجنا سأل عنّا فكان ذالك سَبَبَ دخولنا بيته المبارك ،

---

(١) في الهامش : (الشيخ السمان) .

وله (...[1]) بحفظ كلام القوم ، وكان فيما أنشدني لابن الفارض ببيته هذا قوله:

ما بين باب المُنْحَنَى وظِلاله ضَلَّ المتيّـــمُ واهتدى بضلالتي

وفي « الرحلة الصغرى » (سنة ١٢١٢هـ) ذكر ممن اجتمع به من العلماء : عثمان الشامي والشيخ أحمد جمال الليل الشافعي .

من المدينة إلى مصر :

السفر من المدينة : لم يستطع الركب المصري – ورحّالتنا معه – الرجوع من المدينة من الطريق الذي اعتاد سلوكه في تلك الأعوام وهو يمر بذي الحليفة ، فالفرش ، فالروحاء فالمنصرف ، حيث يعدل يميناً إلى أول الصفراء ثم ينحرف نحو الشمال متجهاً صوب ينبع ، تاركاً طريق بَدْرٍ يساره ، والسبب ما وقع بين أمير الركب وبين قبيلة حَرْب سكان ذالك الطريق من الخلاف الذي تقدم ذكره عند الكلام على رابغ في العودة من مكة ، وسيعيد المؤلف الكلام حوله . وها هو يصف الطريق الذي سلكه الركب : ذكر أن خروجه من المدينة يوم الثلاثاء (١١ المحرم سنة ١١٩٨ هـ) بعد أن كان قد انعقد عزمه على الجوار ، ثم صار يقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى ، وبينما هو عند باب فاطمة بقرب الحجرة النبوية قابله – فيما يقول ، إنسان مدّ يديه وعانقه على عادة المشارقة في من فرحوا به ، وسالت دموعه وقال بلسان فصيح : أستودعك الله ، والرجل أبيض إلى الحمرة ، حسن الخلق جدّاً ، ثم وصفه وقال: إنه سأل عنه أناساً كانوا معه فلم يعرفوه : (والله أعلم بحقيقة الحال) وأورد خبراً خرافياً عن رجل رغب المجاورة ، فسمع صوتاً من القبر يأمره بالرجوع إلى بلده وأن عمر بن الخطاب (ض) كان إذا فرغ الحاج من الحج وتوابعه يقوم فيهم خطيباً يقول : يا أهل اليمن يَمَنَكُمْ ، ويا أهل الشام شامَكُمُ ، ويا أهل العراق عِرَاقَكُم وقال : بعد ذالك سكن ما بي وودعت وخرجت أتأهب ثم جمع أثاثه وركب دابته ، ووجد رفقاءه قد برزوا قال :

---

(١) كلمة غير واضحة .

في الجُرُف :

وخرجت – من المدينة – فما تلاحقت مع الرفقاء وجُلّ الركب إلا بالجُرُف – بضمتين – على نحو فرسخ ونصف من المدينة ، بلدة ذات نخيل ومياه جارية عذبة قريبة من أحد .

قال في « الروض المعطار » : الجُرُفُ على ثلاثة أميال من المدينة ، مَرَّ به تُبّعُ في مسيره فقال : هـذا جُرُف الأرض ، فَلَزِمَهُ . وقال الزبير : الجرف على ميل من المدينة ، وقيل على فرسخ من المدينة ، وبهذا كان المسلمون يعسكرون إذا أرادوا الغزو . وفي حديث أنس مرفوعاً : « يأتي الدجال إلى المدينة فيجد على كل نقب من نقابها صفوفاً من الملائكة ، فيأتي سبخة الجرف فيضرب خباءه (؟) وقال أنس : خرجت مع عمر بن الخطاب (ض) إلى الجرف ، فرآى في ثوبه احتلاماً فقال : بُلينا بالاحتلام منذ ولينا أمر المسلمين فاغتسل وغسل ما بثوبه من الاحتلام ، ثم صلى بعد أن طلعت الشمس .

وبالجرف مات المقداد بن الأسود (ض) وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان (ض) .

ثم يتحدث عن اجتماع أناس من حرب بأمير الركب ، وما جرى بينهم ولما في هذا الحديث من معلومات تتعلق بقبائل العرب النازلين في طرق الحج يحسن إيراده كاملاً قال :

خلاف مع العرب : وفي هذه الليلة اجتمعت اعراب حرب ومن كان في حلفهم على محاربة الركب إن لم يطلق لهم أمير الركب المصري عامر بن جويسر أميرهم وقد كان على ما تقدم ، أخذه بقرب آبار علي ، فامتنع المصري من إطلاقه وبعث إليهم عشرة آلاف ريال راتب سنة ، فامتنعوا من قبوله وردوها بعد أن عُدّت لهم عدّاً ، وقالوا : لا نقبل شيئاً إلا إن دفعت لنا مرتب أربع سنين السالفة ، وقد كنتم تزيدونا دية من قتلتم هذه السنين الماضية وإلا فإنا أصحاب حرب ، فعند ذلك أجابهم : إن كانت بأيديكم طاقة فافعلوا ما بدا لكم ، فنحن ذاهبون على الدرب السلطاني إلى ينبع النخل وهي وسط بلادكم فاجمعوا أمركم ، وكل ذالك منه مكر (؟) وحيلة

نظير ما فعل معهم برابغ ، فبعث منادياً ينادي بذالك ، فلما طلع الفجر آذن بالرحيل ، بعد ترتيب الجيوش وأخذ الدرب الشامي .

وهذا الدرب أوسع من الدرب المصري إلا أن معه (؟) صعوبة من كثرة الغبار وشدة البرد ، وقلة الماء والساكن الذي ينتفع معه الحاج ببيع أو شراء ولا يجتمع مع المصري إلا بالأزلم[1] وسبب ما تقرر من العطاء بين المصري والأعراب الذين في طريق الحجاز أن بعض ملوك مصر بعث ابنة له حاجة ، فذهبتها الأعراب وقالوا لها : إن رجعتِ فقولي لأبيك يأتي لقتالنا على الخيل البُلْق . فلما وصلت امتنعت عن رؤية أبيها . فتقدم إليها في ذالك فقالت : لا ألقاك حتى تأخذ لي بالثأر من أعراب الحجاز ، فقد عيروني وقالوا : قولي لأبيك : يأتي لقتالنا على الخيل البلق ، فعند ذالك تأهب والدها بجمع ما في إبالته من الخيل البلق وغيرها وذهب لقتالهم من مصر إلى مكة إلى المدينة حتى أفناهم وأجلاهم ، فرجع إلى مصر فاجتمع إليه العلماء والرؤساء وقالوا له : نخشى علينا وعلى من وراءنا من قطع الحج بسبب ما فعلت مع أعراب الحجاز ، وذالك أنهم إن تقوّوا منعونا فتكون أنت قد سننت سنةً يكون عليك وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . فقال الملك : ما الرأي ؟ أشيروا عليَّ في ذالك . فأشاروا عليه بحل هذه العقبة (؟) بالدينار والدرهم ، فعند ذالك رتب لكل قبيلة عدداً معلوماً لكل سنة ، إذا مرَّ الركب يذهب به إليهم ، وكتب ذالك في ديوان ، فعند ذالك اصطلحوا مع الأعراب ، ثم إن السنين تطاولت وكثر الجور والطمع ، فنرى الأعراب يقولون : إن لنا من الدفتر القديم كذا ويقول المصريون : إنه أقل من ذالك ، وبالعكس ترى الرجل من الأعراب يأتي إلى كاتب من أصحاب (؟) الأمير فيعطيه شيئاً ويكتب : كان له أو لأبيه أو جده كذا على (...) فيكثر اللغط والخصومات حتى أفضى بهم ذالك إلى القتال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وأخشى إن طال هذا الأمر أن يتعطل الحج ، وللركب الشامي مع أعراب دربه اليوم بعض ذالك أيضاً .

ذو خشب ووادي القُرى : ثم قال : وسرنا – من الجرف – في حفظ الله فما

---

(١) في الأصل : (الألزم) .

تعرض لنا سارق ، ولا قام حول ساحتنا طارق ، فمررنا بثنية الوداع (؟) وبوادي القُرى ، وفيه يقول الصلاح الصفدي :

مررنا بوادي القــرى ضحوةً ودُسْنا به المهمــه الأغــبرا
فأمطرنــا الله ذاك النهــــار وكان قِرانا بــوادي القُرَى

قال (؟) وتعجبنا لما به من آثار القرون الماضية ، وما نالوا في أوطان أوطارهم من العيشة الراضية ، وكان ذالك عبرةً لمن تفكر ، وآية لمن تذكر [1]

قال في « الروض المعطار » : وادي القرى من عمل المدينة ، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل والبساتين ، وبها ناس من آل جعفر بن أبي طالب وهم الغالبون عليها ، ولما فرغ رسول الله (ص) من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . قال أبو هريرة (ض) : نزلنا مع غروب الشمس فبينما غلام رسول الله (ص) يَضَعُ رحله إذا أتاه سَهْمٌ غرب فقتله ، فقال الناس هنيئاً له الجنة . فقال رسول الله (ص) : « والذي نفس محمد بيده إنّ الشملة الآن لتحترق عليه في النار ، كان غَلّها من فيء خيبر — الحديث — .

آبار نصيف : ثم قال محمد بن عبد السلام : وسرنا حتى نزلنا — وقد مضى من الليل ساعات — آبار نصيف ذات المياه العذبة ، وفيها المالح ، وتعذب بماء الأمطار إن نزلت بها وليس بها عمارة ولا سوق (؟) وبها سمعت أعرابياً يقول لحاجّ : ابغني بَرْدعة بعير اشترها . من بغا الشيء يبغو : نظر إليه ، أو من بغيته أبغيه بغاء طلبته . وإبغاء الشيء طلبه له كبغاه إياه أعانه على طلبه والمعنى على الأول أنظر لي بردعة أشترها ، وعلى الثاني : اطلبها لي — كما في « القاموس » — .

---

(١) كذا قال وهنا خطأان اثنان أولهما أن ثنية الوداع أقرب إلى المدينة من ذي خشب — على اختلاف في موقعها ، وقد ذكره السمهودي في « وفاء الوفا » .

والخطأ الثاني : أن الوادي الواقع بعد الجرف هو وادي ذي خشب ، واطلاق اسم وادي القرى عليه خطأ وقع فيه كثير من الرحالة من القرن العاشر الهجري فما بعده كما في رحلة القطبي والخياري والنابلسي وغيرهم . أما الصفدي وصاحب « الروض المعطار » : فيقصدان وادي القرى الذي تقع فيه العلا لا هذا الوادي الموالي للجرف ، فهو الذي فيه الآثار القديمة .

الفحلتان : وقال : ثم منها – يعني آبار نصيف – وقد مضى من النهار أربع ساعات ، ونزلنا الفحلتين وقد مضى من الليل خمس ساعات ، وبها قلعة صغيرة حصينة يسكنها الحرس وآبار عذبة ، يخزن بها الشامي علي عادة بنادر درب المصري، وقد حدثت البنادر بالدرب الشامي في هذه الأزمان ، وقبل ذلك لم تكن فيه ، إلا أن عادة من يحرس هذه البنادر الشامية لا يتركون من مرَّ بهم من حجاج المصريين ولا غيرهم أن يدخلها ، وإنما يُسَوّقونَ خارجها .

هدية : قال محمد بن عبد السلام : ثم منها – الفحلتين – وقد مضى من النهار بعده أربع ساعات ونزلنا هدية مع طلوع الشمس ، قلعة ذات آبار وفسقية ، وماؤها ليس بذاك إلا بقرب الحفر أو المطر ، وقامت بها سوق مع أعراب عنزة .

الجديد ، الزمرد ، حفائر الغنم : وقال : ثم منها – هدية – وقد مضى من نهارنا ثمان ساعات ، ونزلنا بئر الجديد ، العذب الماء ، العديم النظير ، وبه قلعة ، وقد مضى من النهار بعده أربع ساعات ، ونزل علينا به مطر غزير وبرد شديد .

ثم منه وقد مضى من نهارنا تسع ساعات ومررنا ليلاً ببئر الزمرد ، وهي عذبة وفي موضعها قلعة وفسقية ولا زال البناؤون بها .

وسرنا حتى نزلنا حفائر الغنم بعد انتصاف النهار ، وبه قلعة في سبخة كبيرة ذات آبار كثيرة متنوعة بالعذب وغيره .

وما قطُّ رأينا مثل هذه الرحلة في درب الحجاز طولاً وبرداً حتى مات بها خلق كثير من الجوع والبرد ، وقد غلت الأسعار حتى وصل علف الدابة المثقال من الذهب .

ومن هنا افترقنا مع الدرب الشامي ، تركناه يُمْنتنا ورجعنا ذات اليسار في درب يقال له درب القزاز ، وهو فرق ما بين دربي المصري والشامي اليوم ، وأما في سالف الدهور فإن الشامي يأتي على غَزَّة ثم منها إلى عقبة أيلة على الدرب المصري ، ثم تُرِكَ هذا الطريق لأجل طولها (؟) وكثرة دورانها .

بَدَا : قال : ثم ارتحلنا من حفائر الغنم وقد مضى من النهار بعده ساعة (؟)

ونزلنا البلاطة (؟(وهي فضاء بين جبال في صخور لا ماء به ولا كلا ، بعد مضي ست ساعات من النهار ، ثم منها وقد مضى من نهارنا عشر ساعات ونزلنا بَدَا ، موضع كثير شجر الدوم والغيلان (؟(وبه بئر قليلة الماء لم تغن شيئاً ، وآثار عبمارة قديمة من بنيان وآبار متهدمة ، وقد مضى من النهار بعده ست ساعات ، وهذه المرحلة واللتان قبلها أيضاً هلك بها من الآدميين والدواب الكثير .

القزاز : قال : ثم منه — بدا — في الساعة الأولى من الليل بعده ، ونزلنا القَزَاز في الثامنة من ليلنا ، وهو تقطن به جماعة من الرحل ، وبه كثرة الدوم الطويل ، وآباره عذبة إلا أن ماءها ضنين ، حتى وقعت عليه المقاتلة ثم لم يغن شيئاً ، ومن لطف الله تعالى أن ضرب الناسُ يميناً وشمالاً حتى وقعوا على غدير من المطر في جبل قريب من منزل الركب أروى الركب بأجمعهِ ، وحملوا منه ما فيه الكفاية .

وقال في الرحلة الصغرى : ثم ارتحلنا — من آبار الغنم — راجعين ذات اليسار لدرب القزاز الصغير ، ثم منه الكبير ، ثم منه للأزلم .

الأزْلم : وقال في الكبرى : ثم منه — القزاز — وقد مضى من النهار ثمان ساعات في رَمْلٍ مديد ، ولم ننزل الألزم[1] مجتمع هذا الدرب والدرب السلطاني — الذي تركناه — إلا في الساعة السادسة من النهار بعده .

ووقع الغلاء في الركب مع أن أعراب الاحْوِيطات[1] وبعض أعراب نواحي ينبوع سوقونا ، ولم يغنوا شيئاً .

وقد وقع بنو سعد على طائفة تأخرت عن الركب ، فأخذوا منهم الإبل وما عليها وقتلوهم وجرحوهم (؟) .

وقال في الرحلة الصغرى : ثم من درب القزاز الكبير للأزلم ، وبه نلتقي بالدرب السلطاني .

---

(١) ويلاحظ هنا أنه يسمى الأزلم : الألزم ، والحويطات : الأحويطات ، وينبع ينبوع وكل هذا خطأ ، كما يطلق على العرب الذين قتلوا الحجاج اسم بني سعد ، كما أطلق هذا الاسم في مواضع أخرى .

(٢) ص ٣١٢ .

سَلْمَى ، المويلح : وقال في الكبرى : ثم منه – يقصد الأزلم – لسلمى ثم للمويلح . وبالقرب منه قطع أمير الحاج المصري رؤوس محاربين تعرضوا للركب ورفعهم على رماح على قارعة الطريق وأقمنا به يومين . وقد غلت الأسعار حتى صار صاعا النبي (ص) بريال كبير .

ثم لما رآى الأمير أيوب – أعني أمير الركب المصري – ذالك نادى في الناس : ألا إن من أراد الفول والشعير فهذه هي خمسة آصع نبوية بريال حتى أنفد جُلَّ ما عنده ، لعلمه أن الملاقاة تصله بمغارة شعيب حسبما جاءه الخبر بذالك ، فنفّس إذ ذاك عن الناس ما نزل بهم ، فرخصت الأسعار بعض الرخص وكان والله حليماً شفيقاً مدبراً عاقلاً .

وقال في الرحلة الصغرى : وقد كان تقدم أمامنا ونحن بآبار الغنم الركب الجزيري ومن انضاف إليه من المغاربة الجوّانية ، ووقعت عليهم الأعراب فيما بين آبار السلطان والمويلح ، ووقعت بينهم ثائرة عظيمة هلك بها الكثير ، ونهبت بها أموال . وكان ممن تقدم معهم زوجة شيخنا الإمام التاودي بن سودة الفاسي ، فوقع بها ما وقع حتى لم يبق لها دانق .

في مغاير شعيب : ثم منه – المويلح – لعيون القصب ، ثم للمغاير . وأقمنا بها يومين حتى وصلت الملاقاة من مصر مع صاحبها جيش سلطاني ، ففرح الناس غاية ، وأخلوا البنادق والمدافع .

الشرفة : وقال في الكبرى : ثم منها – المغاير – للشرافة[1] وبها استهل (؟) لنا هلال صفر ، وفيه توفي على ظهر جمله الفقيه سيدي عبد الكريم بن قَرِيش التطواني ، ودفن بها – رحمه الله تعالى – .

إلى العقبة : وقال : ثم منها – الشرفة – لظهر الحمار ، ثم لبندر العقبة .

وأصابتنا في هذه الأيام الثلاثة سموم باردة سيما في وادي القَرِّ أضرت الناطق والصامت .

---

(١) كذا سمى الشرفة خطأ . وقد تقدم كلامه عليها وعلى المواضع التي بعد الأزلم ، وذلك في وصفه للطريق من مصر إلى مكة .

وسوقنا بهذا البندر على العلاوة[1] الأعراب ، وأهل غزّة من أرض الشام ، فوقع في الركب رخاء كثير .

وقال في الرحلة الصغرى : فوصلنا بندر العقبة وبه هلك مولانا أحمد بن مولانا أمير المؤمنين سليمان بن محمد — نصره الله — بالبطن شهيداً ، وكان صغيراً دون بلوغ (؟) رحمه الله . ودفناه بعد (؟) البندر حيث ضريح الشيخ ابراهيم اللقاني ... وأقمنا بالبندر ثلاثة أيام ، يقبض أمير الركب المصري قاسم بَايْ أبو سيف ، به شهر ، المكسَ من الحجاج المغاربة وغيرهم ، وقد كان قبض من أهل فاس بالخصوص . سبعمائة ريال ، وبالمدينة المنورة أحد عشر ريالاً بطاقة ، ظلماً وعدواناً ومكساً في مدينة الرسول ، لا أربح الله تجارته ، ولا أعاد على المسلمين سنته .

في النُّخَيْل : وقال في الكبرى : ثم منه — بندر العقبة — بير الصعايد ، ويقال لهذا المكان العلاء ثم منه للنخيل ، وسوقنا به أهل غزة من أهل الشام أيضاً على عادتهم ، وبه مات أناس وبهائم بالبرد ، وآخرون بالمرض .

التيه ، عجرود : وقال : ثم منه للتيه ، ثم لعجرود وبه تلقى أهل مصر الركب بكل المحتاج ، فحصل رخاء عظيم ، لم نَرَ مثله في الحجاز ذهاباً وإياباً .

ومن هنا يأتي المكّاسُون من مصر لعدّ أحمال الحجاج فيكتبون في دفتر ما لكل واحد من الأحمال ، ثم إذا وصلوا إلى مصر أدّوا الخراج . وقد رأيت في سنتنا هذه نصرانياً من الإفرنج يحسن العربية والكتابة بها والحساب ، وهو الذي تولى عدّ ذالك على المسلمين قطع الله تعالى دابر هاؤلاء الظلمة والفجرة وحسم مادّة هذه العادة المذمومة ، ولقد كابد الناس معهم على هذا العطا (؟) مشقة عظيمة ، حتى فتّشوا الأحمال ، والمحيط من ورائهم الكبير المتعال .

وقال في الرحلة الصغرى : ثم ارتحلنا من السطح لبئر الصعاليك ، ثم منه للنخيل ، وأقمنا به يوماً ثم منه لتيه (؟) ثم منه لعجرود ، وأقمنا به يومين ، ووقعنا كسائر

---

(١) سماهم هنا العلاوة — والكلمة غير واضحة — ولكنه سماهم عند ذكر العقبة في المجيء من مصر الأعلاوين ، وهو يقصد بالإسمين العلاوين .

الركاب في عطش شديد ، أفضى بنا لشرب ماء عجرود وسانية سويس ، والكل نتجرَّعه ولا نكاد نسيغه ، فييس الشرب يخرج كما دخل .

والقصد بالإقامة قبض المكوس الموقفة على الحجاج ، والمتولي لقبض ذالك من المسلمين بعض الإفرنج من النصارى ، بتقديم فراعنة مصر من ولاة الغزّ ، أخزى الله منهم هذه البلاد ، وأراح منهم العباد .

الدار الحمراء : وقال في الكبرى : ثم منه للدار الحمراء ، ويقول لها أهل مصر في الرجعة الدار الخضراء لاخضرارها بما يصلهم إليها من أهاليهم بمصر من أنواع الأطعمة والبطيخ والفواكه والحلويات والأشربة من سكر ونحوه ، ولعل البوصيري في الهمزية رآى ذالك فعبّر عنها بالخضراء — والله أعلم — .

في البركة : وقال في الكبرى : ثم منها ضحوة الخميس الثاني عشر من صفر (سنة ١١٩٨هـ) بلغنا مصر — حرسها الله تعالى — وتلقى أهلها الركب بقضِّهم وقضيضهم مشاة وركباناً ، كهولاً وشيوخاً وصبياناً ، فلو رأيت الفلاحين (؟) بالبركة وفيما بينها وبين مصر ، منهم الباكي لموت قريبه ، والمستبشر بقدومه ، لقضيت العجب ، فهم على كثرتهم في سفرهم إلى الحج لا يعبأون ببعث الرسائل إلى مصر ، ولا أهاليهم ببعثها إليهم ، ومن لم يظهر يوم دخول الحاج عُلِمَ أنه قد مات ، لأن منهم من يذهب بإبله حاجّاً ، ومنهم من يذهب صعلوكاً يستخدم نفسه ، ومنهم من يذهب عالة على الناس ، حتى يموت جوعاً أو عطشاً لا يدري في أيّ وادٍ ، فسبحان خالقهم ورازقهم . وكان ممن قدم لملاقاتنا الكثير ممن خلفنا وراءنا من حجاجنا المغاربة أهل السفن ، وكانوا زهاء ألفين ، إذْ لم يحصل (؟) غالبهم مصر إلا بعد ذهاب الركاب بأيام فاستحال الحج . . . في حقّهم فخرجوا لملاقاتنا وكان ممن خرج لملاقاتنا أخونا الفقيه سيدي أحمد الهلالي الشريمي (؟) وأدخلنا على باب الفتوح وقال تفاؤلاً لأنك خرجت للحرمين من باب النصر ، وتدخل من باب الفتوح[1] .

---

(١) ص ٣١٣ .

صاحة وعماية "الحصاة"

(ويتابع الأستاذ الباحث المحقق سعد بن عبد الله بن جنيدل للقراء تحقيقاته الجغرافية ، فيقدم من كتاب (عالية نجد) أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » يقدم هذا البحث الممتع عن جبلين لهما شهرة عظيمة في العهود القديمة لدى الشعراء ، فأصبحا في عهدنا الحاضر يدعيان باسمين غير اسميهما القديمين ، وانتشر العمران في أوديتهما ، فأصبح الحديث عنهما ممتعاً شائقاً) .

الحَصَاة : بحاء وصاد مهملتين مفتوحتين ثم ألف بعدها هاء ، على وزن الحصاة ، واحدة الحصا : ويقال تارة : الحصِيّ ، جمع حصاة ، وقد يقال الحصاتين : مثنى حصاة ، فهي تذكر بكلّ هذه الصيّغ ، وللتمييز تذكر مضافة فيقال حصاة قحطان أو حصيٌّ قحطان ، وعندما يراد التمييز بينهما يقال : حصاة آل حُويل ، وحصاة آل عليّان ، وهما جبلان كبيران أحمران يميل لونهما إلى الكمتة (اللون البني) ، متجاوران ، أحدهما شمالي ويسمّى حصاة ابن حويل نسبة إلى ابن حويل أمير القبيلة التي تسكنها من آل روق قحطان ، والآخر جنوبي ويقال له الحصاة العليا ، أو حصاة آل عليان نسبة إلى آل عليان أمراء القبيلة التي تسكنها من آل الجمل من قحطان ، والحصاتان ليستا على شبه سلاسل جبليّة لها طول متجه ، مثل ثهلان أو ذقان وغيرهما ، ولكنّهما قنن ومتون متصل بعضهما ببعض بشكل واسع ، فيها أودية ومياه ، مسالكها وعرة ، وفي بطن كل منهما أودية ذات بطون واسعة لا يوصل إليها إلاّ من طريق ضيقة ، وقد يقف في مداخل بعضها رصفات طبيعية تعمّي الطريق على من لم يعرفه ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّه يغطّي سفوح هذه الجبال وبطون أوديتها غطاء كثيف من غابات الشجر البري ، كالطّلح والسّلَم وغيرهما ، وهما واقعتان في أيمن وادي السُّرَّة ، ويحفّ بهما من الجنوب الغربي وادي الرَّكَاء

وهضبة صَبْحَا – يذبل قديماً – تقع منهما شمالاً شرقياً يفصل بينها وبينهما بطن وادي السّرّة ، وهذه الأعلام الثلاثة ، صبحا والحصاتان هي أشهر جبال تلك الناحية وأكبرها ، ولها شهرة في كتب المعاجم القديمة وفي الشعر العربي .

ومن الملاحظ أن كثيراً من مياه هذه الجبال ، المنعزلة في بطن الصحراء بعيداً عن مراكز التحضّر والعمران قد تحوّلت إلى هجر ومواطن استقرار ، ووصلت إليها وسائل التطور الإجتماعي والعمراني ، والخدمات الاجتماعية ، وقد تحدّثت عن كل موضع منها بما فيه كفاية في موضعه .

وقد ورد ذكرهما في الشعر الشّعبي مقرونتين معاً ، تارة بصيغة المفرد وتارة بصيغة المثنى ، ويقصد بذلك مجموعهما ، وقد تذكر إحداهما مفردة في شعر خاص ، ولا سيما حصاة آل حويل فإنّ لها ذكراً خاصّاً يميزها عن الأخرى ، قال الشاعر ، ناصر بن عمر بن قرملة القحطاني :

يا صَاحبي بينْ الحَصَاتينْ وخْيَمْ يَشْرَبْ شعيْب حرَيْملا مِنْ شمَال

وشعيب خيم معروف بهذا الإسم قديماً وهو موصوف في موضعه ، وكذلك حريملا وهما قريبان من الحَصاتين . وقال شاعر من الضّياغم وهو يرسم طريق هجرتهم .

ليل في القِمْرى وليل في الرّكا وليل في حَزْم الحَصَاة شدَادْ
وليلة وَرَدْنا ماسل ومُوَيْسِلْ وجيه المَغارفْ كنّهنْ جْدادْ
ولَيلة في السّرداحْ لا علّه الحَيَا هَشيمهْ وقّافْ وَحمْضِهْ بَادْ
ووطّيْتها وادي القَويْع تَعَمّدْ تمنّيتها لوْلا الهِيَامْ بْلادْ
وليل في الحَدْبا لا عِمِرْ جالْهَا شَدّوا وخَلّوْا في المراحْ سُوادْ

قلت : ذكر في المرحلة الثانية أنه في الركاء ، وهو واد يحف بالحصاتين من الغرب الجنوبي ، ووادي القِمْرَى يقع جنوباً منه ، ثم ذكر أنهم شربوا ماسلاً ومُويْسلاً ، وهما ماآن معروفان في غربيّ الحصاة العليا ، ثم في المرحلة الثالثة ذكر أنهم كانوا في السرداح ، وهو واد يحفّ بهضبة صبحا من الشرق ، ثم يلتقي بوادي السّرّة عند جبل التيس قريباً من الحصاتين .

وقال فيحان الرّقّاص :

واهلْ أَرْبَع يَمّ الحَرِيْق إحْدَرَوْا يَا ... وَادٍ عذُوْقِهْ شَرَّعَنْ في رَكَايَاهْ
يَنْشدُوْنْ وبالحِلاوِيْ عَطَوْايَا ... وطوَيْقْ كِلّهْ سَيّرُوْا في قَرَايَاهْ
وأهْل أَربَع يَمّ الحَصَاةْ اصْبَحُوا يَا ... والدِحْي مَمْسَاهِنْ عَلَىَ الله وباللهْ

هنا ذكر الحريق والدحي ، وهذه البلاد غير بعيدة من الحصاتين .

والحَصَاتان كانتا قديماً تسمّيان عمايتين ، ويستدّل على أنّهما عمايتان بما ورد في كتب المعاجم القديمة وفي الشعر العربي من تحديدهما ووصفهما ، وذلك ينطبق تمام الانطباق على موقع ووصف الحصاتين . ويبدو لي أن تسميتهما بعَمايتين مشتقّة من العمى ، والموضع الأعمى – فيما تعارف عليه العرب – هو الذي خفيت طرقُه وجهلت مسالكه ، والعرب في نجد – في هذا العهد يقولون للصحراء الّتي لا أعلام فيها ولا معالم يهتدى بها ، حَرْمٍ عَمى ، أي أعمى ، وكذلك يقولون للجبل المجهول المسالك ، ومنه قول الشاعر الشعبي عبدالله بن سبّيل :

هَوَايْ في مَا قلّته دُوْنَها صَوْحْ ... عَمْيا الصّنُوْع وَدرْبَها خَابْرِينه

والصّوح في اصطلاح أهل نجد جانب الجبل العالي الذي لا مسالك فيه ، والصّنوع جمع صنع ، وهي الطرق ومسالك المياه .

وقال ياقوت : قال أبو زياد الكلابي : عماية جبل بنجد ، في بلاد بني كعب للحريش وحق (؟) والعجلان وقشير وعقيل ، وقال : وإنما سمّي عماية لأنه لا يدخل فيه شيء إلا عمي ذكره وأثره ، وهو مستدير ، وأقل ما يكون العرض والطّول عشرة فراسخ ، وهي هضاب مجتمعة متقاودة حمر ، ومعنى متقاودة متتابعة ، فيها الأوشال ، وفيها الآوى وفيها النمر ، وأكثر شجرها البان ومعه شجر كثير ، وفيه قلال لا تؤتى ، أي لا تقطع .

وقال عن نصر : عمايتان جبلان ، عماية العليا إختلط فيها الحريش وقشير والعجلان ، وعماية القصيا وهي لنهْمٍ شرقيها كله ولباهلة جنوبيّها وللعجلان غربيّها ، وقيل : هي جبال حمر وسود ، سميت به لأن الناس يضلون فيها يسيرون فيها مرحلتين .

ونقل عن السكري : عماية جبل معروف بالبحرين ، قاله في شرح قول جرير يخاطب الحجّاج :

وخفتك حتى استنزلتني مخافتي ... وقد حال دوني من عماية نِيْقُ
يُسِرُّ لك البغضاء كلُّ منافق ... كما كلّ ذي دِيْنٍ عليك شفيق[1]

قلت : وليس في شعر جرير ما يدّل على أن عماية في البحرين .

وقال الأصفهاني : ولبني قشير وغيرهم من الجبال : عمايتان ، إحداهما للحريش ، والأخرى لنهم وهم بنو عبدالله بن كعب إخوة العجلان ، وعلق الشيخ حمد الجاسر على هذه العبارة فقال : تعرف الآن باسم الحصاتين جنوب عرض شمام (القوبعية) الجنوبية تدعى حصاة آل عليان ، والشمالية : حصاة بن حويل[2]

وقال أبو علي الهجري : عماية جبل ضخم ، أعظم جبال نجد ، أعظم من ثهلان ، ومن قطنين ، وعماية برمل السرة ، بين سواد باهلة وبيشة ، وأنشد لقعنب أحد بني حبيب ، يقولها لعبيدالله المعروف بالطّريد ، واعتقل بعماية ، بعد القتال الكلابي وقتل قعنب أخا عبيد الله ، واسمه ربيعة :

تمنّى عبيدالله قتلي وليته ... منَى بعبيدالله كان لقائياً
فحاح بمعْزَى الباهلية واحتلب ... مكان تمنّيك الرّجال الدّواهيا

أمه من باهلة .

حاحا بالمعزى والغنم كلّها قال : حِيّ ، حِيّ ، مجرورة الياء ، فلم يزل عبيدالله هذا وهو من بني المشنّج وجميعهما من بني لبينى حتى قتله ، ثم طار فقفز في عماية وقال :

أبلغ ربيعة حيث أمسى قبره ... أني ثأرت عظامه من قعنب
أني دببت له بنعف عُرَيقة ... بعد الديّات ، بذي حسام مقضّب

---

(١) «معجم البلدان» ٤/١٥٢ .
(٢) «بلاد العرب» ٢٣٤ .

وقال : أنشدني شيخ بضربة غنوي ، لعبادة بن مجيب بن المضرحي بن الهصّار بن كعب بن عبد ابن أبي بكر بن كلاب ، وهو القتّال ، المعتنز بعماية ، أي المختبىء :

وأرسل مروان إليَّ رسالة ... لآتيَه ، إني إذاً لمضلّلُ
وما بي عصيانٌ ولا بُعد مزحلٍ ... ولكنّني عن سجن مروان أرحل
وفي صاحة العنقاء أو في عمايةٍ ... أوِ الأدَمى من رهبة الموت موئل
ولي صاحب في الغار هدّك صاحب ... أبو الحوز ، إلاّ أنّه لم يُعلّل
إذا ما التقينا كان انس حديثنا ... صُماتٌ وطرق كالمعابل أطحَلُ
كلانا عدوٌّ ، لو يرى في عدوّه ... مَهزّاً ، وكلٌّ بالعداوة مُجملُ
تضَمّنت الأروَى لنا بشوائنا ... كلانا له منها سديف مُرَعبَلُ
ومَشرُبنا قَلْتٌ بأرض مَضَلّة ... شريعتها لأيِّنَا جاء أوّلُ
فأغلِبه في صنعة الزّاد إنّني ... أُميط الأذى عنه وما إن يُهلّلُ

أراد أنني أسمّي على الذبيحة ، وهو لا يسمّي .

قلت : ذكر القتال في شعره عماية مقرونة بذكر صاحة ، وصاحة هضبة قريبة منها ، لا تزال معروفة بهذا الإسم ، كثيراً ما تذكر في الشعر مع عماية ، قال لبيد بن ربيعة :

فحَدّر العُصمَ من عماية للسّهْـ ... ـل وقَضّى بصاحةَ الأرَبَا
فالماء يجلو متونهنّ كمَا ... يجلو التلاميْذ لؤلوءاً قشبَا

وقال امرؤ القيس بن حجر :

لمن الدّبار غشيتها بسحام ... فعمايتين فهضب ذي إقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فغاضر ... تمشي النعاج بها مع الآرام

وقال البكري : عماية : بفتح أوله ، وبالياء أخت الواو ، على لفظ فعالة من العمى : جبل بالبحرين ضخم ، ولذلك قيل في المثل : أثقل من عماية . وقد تقدم ذكره في رسم الركاء ، ورسم صاحة ، قال سلامة بن جندل :

له فخمة ذفراء تَنفي عدوَّه كمنكبِ ضاح من عماية مُشرِق

فأما قول جرير :

لو أن عصم عمايتين ويذبل سمعا بذكرك أنزلا الأوعالا

فإنه أراد عماية وصاحة ، وهما جبلان فسمّاهما عمايتين[1] .

قلت : فيما ذكره البكري تناقض ينبغي أن يتنبّه له بنفسه رحمه الله ، فبينما نجد أنه يقول : عماية جبل بالبحرين ، نجده يقول بعد ذلك ، وقد تقدم ذكره في رسم الركاء ورسم صاحة ، فكيف يكون في البحرين وهو مقترن بصاحة والركاء ويذبل ، وهو يقرّر ذلك ، وهذه المواضع كلها معروفة ومشهورة في عالية نجد نجد الجنوبية .

وقال في رسم الركاء : واد بسرّة نجد ، قال لبيد :

لاقى البديُّ الكلاب فاعتلجا سيل أتيّيْهِمَا لمن غلبا

فدعدعا سرّة الركاء كمَا دعدع ساقي الأعاجم الغَربا

البديّ والكلاب : واديان يصبّان في الركاء ، وقالت ليلى الأخيليّة :

نظرت ودوني من عماية منكبٌ ببطن الركاء أيّ نظرة ناظرِ

وهي كلها في ديار بني عقيل[2] .

قلت : ما ذكره في رسم الركاء على جانب كبير من الصّواب ، ولكنّه يخالف ما ذكره أنّ عماية جبل بالبحرين .

أما الشيخ محمد بن بليهد : فقد ذكر عماية فقال : وعماية وحدها جبل ذو هضاب متقاربة ، كان ذؤبان العرب في الزمن القديم يأوون اليها ، فإذا دخل أحدهم عماية عمي خبره ، ومسالكها منيعة ، إذا دخلتها لم تهتد إلى طرقها كأنك أعمى ، فمن هنا سميت عماية ، وقد زال اسمها اليوم ، فلم يبق منه شيء ، وهي تثنّى وتفرد ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، وكذلك أهل الأخبار ، وهي جبل في عارض اليمامة

---

(١) «معجم ما استعجم» ٩٦٦/٣ .

(٢) «معجم ما استعجم» ٦٦٨/٢-٦٦٩ .

الواقعة عن وادي بُريك جنوباً ، يقسمها وادي برك قسمين : مَا كَان بين بريك وبرك يقال له عماية ، وكذلك الذي بين برك والأفلاج يقال له : عماية ، فسميت عمايتين ، أخذت هذا الخبر عن الشاعر الكبير الشيخ محمد بن عثيمين الساكن في بلد الحوطة ، الواقعة في وادي برك[1] .

قلت : ذكر — رحمه الله — أن الشعراء وكذلك أهل الأخبار قد أكثروا من ذكر عماية ، وهذا واقع معروف ، غير أنه لا يعرف أحد من أهل الأخبار قال إنّ عماية تقع في عارض اليمامة ، بل إنهم وصفوا عمايتين وصفاً جغرافياً واضحاً و حدّدوهما تحديداً دقيقاً مدعماً بالشواهد التي لا تدع مجالاً للشك فيهما ، ولكنه اعتمد على ما قاله له محمد بن عثيمين ، ولو أنعم النظر في كتب المعاجم وشواهد الشعر العربي لتبين له ما هو أدنى إلى الصّواب ، رحم الله المحمدين الشاعرين الأديبين محمد بن عبدالله الناقل ومحمد بن عبدالله المنقول عنه وأثابهما على ما خلفاه من تراث خير ثواب . أما الهمداني فإنه ذكر الحصاتين باسم عمايتين ، وذكر أنها على طريق الحجّاج من الأفلاج ، والواقع أن حجّاج الأفلاج يمرون بهما إذا تيامنوا ، ويمرون بمياه السّوادة إذا تياسروا وقد ذكر الهمداني كلا الطريقين ، قال الهمداني : ومن قبلة الفلج فرع وادي أكمة ، وبه بنو عبدالله بن جعدة ، فأول جزع منها الروقية والثاني الباحة ، ثم جزع الظاهرة ثم الفرعة ، ثم كور عن يمين الثنية ، ثم تنحدر من الثنيّة ، ففي أصلها ماء يقال له النبجة من يمينك وأنت قاصد المغرب ، ثم أسفل من ذلك في الجوف جوف الثنية ماء يقال له وحاة ، ثم في بطانة العارض من عن يمينه ماءان متدانيان يقال لهما ماوان والخيّانيّة بين العارض وبين الدبيل ، والدبيل رملة وعثة بظهرِها مياه ، قد ذكرناها وفي وسطه مياه منها الحذيفة وماءان آخران ، الرائغة وطَرف ، وبطرف مُويه آخر ، ثم تقصد كأنك تريد مكة ، فقصد وجهك ماء ملح ، يقال له : الضّاحية ثم على بطن طريق مكة النّضْرّية ، ماء عذب ، ثم الأخرابة وهي في أجواف عماية ثم تخرج في صَحْراء حمّة ، بعد أن قطعت عماية اليسرى واليمنى عن يمينك[2] .

---

(١) «صحيح الأخبار» ١/٣٧ .

(٢) صفة جزيرة العرب : ١٥٠-١٥١ .

قلت : هذا هو الطريق الأيمن وهو لمن يأتون من طريق وادي الأحمر وينزلون من الثنية ، وتسمّى في هذا العهد : رِيْع الجنيفا ، وبعض المياه والمواضع التي ذكرها ما زالت معروفة باسمها ، أما ترتيبه للطّريق فهو ترتيب دقيق وملائم للواقع — أما نفود الدبيل ، الذي ذكره باسم رملة الدّبيل فإنه يسمّى نفود الدّحى ، والمياه التي شماله تسمّى الدّبول : تحريف دبيل . أما الطريق الثاني فإنه لمن يأتون عن طريق وادي الهدّار ، وقد ذكرته في رسم السوادة .

حصاة ابن حويل : سبق ضبطها في ذكر الحصاة ، وحصاة ابن حويل هي الحصاة الشمالية من حصاتي قحطان ، ويقال لها أيضاً الحصاة السفلى — وقديماً كانت تسمّى : عماية الشمالية أو القُصيا . وسبق تحديدها في ذكر الحصاة ، أما وصفها الطبيعي : فهي جبل أحمر واسع ، مستدير ، تشكله قنن ومتون يتّصل بعضها ببعض ، فيه مياه وأوشال ، وأودية داخلية ، مسالكه وعرة ، وأشجاره كثيرة ، وفي بطنه واد طوله من الغرب إلى الشرق خمسة عشر كيلاً ، وعرضه أربعة أكيال ، مُقْفَلٌ من أعلاه ومن جوانبه لا يدخل إليه إلاّ من أسفله من طريق واحد ، وسيله يفيض شرقاً لوادي السرة ، يسمّى العيبة ، لأنه يختزن ما فيه من مراعي وأشجار ، وقد تأسّست فيه ثمان قرى متفرقة ، وفي فيضته شرقاً تقع هجرة ابن حويل أمير الحصاة وتسمى « الحفيرة » وهي من الهجر الأولى ، فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومشروع ماء عذب ، موزع بواسطة شبكة على البيوت ، ولها بريد منتظم ، وفي الإشراف الزراعي تابعة لوحدة الوّين .

أميرها الحالي : عايض بن فنيس بن منير بن ذعار بن منير بن حمد بن سالم ، وسالم يلقب حُوَيْلا ، وإليه تنسب أسرة آل حويل ، وهم من آل روق من قحطان ، وقبيلته تسكن في هذه الحصاة وما حولها ، بعضهم مستقرون في قرى ، والبعض الآخر بدَ متجوّلون ، ولهم فيها قرى وموارد يقيمون فيها . وأميرهم عايض مستقر في هجرته ، وترتبط هذه البلاد إداريًّا بإمارة الرياض عن طريق مركز القويعية ، ويستفيد أهلها من إعانات الدولة الاجتماعية . والأمير عايض بن فنيس رجل وقور قد شمطه الشيب ، أسمر البشرة فارع القوام ، هادىء الشخصيّة ، طيب المعشر ،

عذب الحديث ، يحفظ كثيراً من أخبار الرجال والوقائع ، عارف بتاريخ أسرته وقبيلته ، وله ثلاثة بنين كلهم منضمون إلى خدمة الدّولة .

ولحصاة آل حويل شهرة في الشعر الشّعبي ، قال شاعر من قحطان :

تكْفُونْ شبّوْا ضَوّكُم يا رَجَاجِيْل ... هَاتوْا حطبْ وانا ابا جيب حْرجيّه[1]
برّيةَ يا سْهيلْ وبْهَارْهَا هَيْل ... واللّي مْسَوِّيْها يَمنيه عَذِيّهْ[2]
مَاهَا قَرَاح من بَيار شَهَالِيْل ... من هَضْبة ابن حويلْ وألاّ الوجّيه[3]

وقال دخيل الله بن زامل من الحرقان من عبيدة من قحطان ، وقد أتى زائراً منير بن حمد بن سالم وبنيه ، وكانوا لا يعرفونه قبل هذه الزّيارة فأكرموه :

سَبّرْت أنا لِذْعَارْ ومنيرْ وفَنيْس ... ومن قَبْل ذَا ماجيتهم في حَيَاتي[4]
ومَحرقينْ البنّ وَسْط المَحَاميْسْ ... رَبْع حَمَوْا حِدّانْ ضِلْع الحَصَاة[5]
كَمْ كسّبَوْا بالفَيْد رَبْعٍ مَفَالِيْس ... حِيْوانْ شُوَّانْ وعِرْبٍ مِشَاتي[6]

وكان فنيس غائباً عند الإبل ، وفي القنص ، فلما عاد وسمع أبيات دخيل الله وعلم بزيارته قال هذه الأبيات وبعث بها إليه :

يا رَاكبٍ منْ فوقْ ستٍّ عَرَاميسْ ... تَنْصى دخيلْ الله حِمى الجَاذيات[7]
قلْ لَهْ تراني لاهْي في المَقانيص ... عِنْدَ الدَّبَشْ واطَرِّدْ الجازْيات[8]

---

(١) تكفون : كلمة ندب . شبوا : أوقدوا . ضوكم : ناركم . رجاجيل : رجال . هاتوا : أحضروا . أباجيب : أبغي أن أحضر . حرجية : بن بري يمني منسوب للحرجة .

(٢) برية : بن يمنى . واللي مسويها : والذي عملها . يمينه عذية : يده اليمنى نظيفة .

(٣) قراح : عذب جدا . من بيار : من آبار جمع بئر . شهاليل : عذبة الماء نقيته .

(٤) سبرت : مشيت إليه . فنيس : أخو منير الجد الثالث للأمير الحالي ، عايض بن فنيس .

(٥) محرقين البن : إشارة إلى كثرة تقديمهم القهوة للضيوف ، ربع : اخوة ، أو فئة . حدان : حدود .

(٦) كم كسبوا بالفيد : كم أمدوا بالغنائم . ربع مفاليس : جماعة أو فئة مفلسة . حيوان شوان : أكسبوهم غنم الشوان ، والشوان رعاة الغنم ، وعرب مشاتي : إبل عرب .

(٧) عراميس : العرمس الراحلة النجيبة . تنصى : تقصد إلى . حمى الجاذيات : حامي الخيل المتخلفة .

(٨) تراني : إني . في المقانيص : في القنص . عند الدبش : عند الإبل . وأطرد الجازيات : أقنص الجازيات ، واحدتها جازي ، ويقصد بها الظباء .

وإنْ كانْ يَبغي شِرْبً بنٌ بلا قَيْس ومعهْ خَرُوفٍ من غَنمنا فياتي[1]

وقال شاعر من قحطان :

هَضْبة ابْن حَومِلْ ربّي عَلّها عَلّها رَبّي بَوشّالْ الدمي[2]

خَلّها ياللّي تَبِيْها خَلّهَا هَضْبةٍ في سَدّ سَبْعمايَةْ صبي[3]

وقد تحول كثير من موارد مياه هذه الحصاة إلى قرى ، ومواطن استقرار ، بعضها في داخل الحصاة وأوديتها الدّاخلية ، وبعضها في المياه والأودية التي حولها ، وقد استوفيت الحديث عن كلّ منها في موضعين.

حصاة آل عليان : سبق ضبطها وتحديدها في ذكر الحصاة ، وتسمّى أيضاً الحَصَاة العُليَا ، لأنها في موقع علوي بالنسبة لحصاة ابن حويل ، وقديماً كانت تسمّى : عماية العُليا ، ونسبت إلى آل عليان الذين سيطروا عليها ولازموا البقاء فيها وفيما حولها من الأودية والمياه ، وآل عليان أسرة من آل جلبان ثم من آل الجمل من قحطان ، وأمير الحصاة في هذا الوقت : محماس بن جلبان آل عليان ، وهو مستقر في هجرته ، وتسمّى : حلقة ابن حلبان ، واقعة في وسط الحصاة ، تقام فيها صلاة الجمعة وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ولها بريد منتظم ، والحصاة العليا وقراها تابعة إدارياً لإمارة الرياض .

أما الإشراف الزراعي فإنها مرتبطة بوحدة الرَّيْن ، وتستفيد قرى الحصاة من الخدمات والإعانات الزراعية التي تقدمها الدولة ، وكذلك من إعانات الضمان الاجتماعي .

أمّا الوصف الجغرافي لحصاة آل عليان فإنه يختلف عن وصف حصاة ابن

---

(١) يبغي : ويريد . بلا قيس : بلا تقدير محدد . فياتي : فيأتي .

(٢) علها : سقاها مرة بعد أخرى . بوشال الدمي : صباب الدماء ، وفيه إشارة إلى كثرة الدماء التي أريقت حول هذه الهضبة من أجل حمايتها ، وصد الطامعين فنها .

(٣) خلها ياللي نبيها : دعها وابتعد عنها يا من يبتغي له حقاً فيها . أو يطمع في السيطرة عليها . في سد سبعمائة صبي : إنه يحول بينك وبينها كسد منيع سبعمائة شاب كلهم يدافعون عنها ، وهي شامخة القمم ، شماء المناكب ، تستهوي حماتها وتبعث فيهم الحمية .

بلاد اليمامة

- ٥ -

الأحْوَرُ : بفتح الهمزة ، وإسكان الحاء ، وفتح الواو ، فراء . . على الصفةفي حور العين . وادٍ ينطلق من صفراء الشمس ، ومن تلقاء سحق البِرَّة . مجنِّباً بميل إلى الشرق ، ويصب في روضة النقيعة ، وله من الروافد : قريّ الوُدَيّ ، ووادي العقاير ، وغدير الحصان ، وهو أشهر الغُدُر في تلك الجهة . ومنتهى رأس الأحور في (المنصّى) من صفراء الشمس .

الأبَيْطِحُ : بضم الهمزة ، وفتح الباء ، وإسكان الياء ، وكسر الطاء ، فحاء تصغير أبطح : وادٍ ينحدر من قمة جبل طُوَيق ويسيل مشرِّقاً حتى يصب في وادي حنيفة ، تحت بلدة الجبيلة ، جنوبها ، ويحدّه من روافد وادي حنيفة الغربية : وادي العمّاريَة ، من الجنوب ، ووادي الأحيرش من الشمال .

حويل ، فهي قنن متون وهضاب متصلة ببعضها بشكل دائري ، بلاد واسعة ، مشتملة على أودية ومياه بطون واسعة محاطة بالجبال ، ولونها أحمر يميل إلى الكمتة ، (اللون البني) أيْ ليس بلامع ، والشجر فيها كثيف . وقد تحول كثير من موارد مياهها إلى قرى ، بعضها في بطن الجبال ، وبعضها فيما حولها من الأودية ، وكلها لقبيلة قحطان ، وقد استوفيت بحث كلّ موضع أو قرية منها في موضعه .

وسيولها تدفع في بطن الركا ، ومن الهجر المأهولة فيها هجرة دَرَاويش ، واقعة في ناحيتها الشمالية الغربية ، لبادي بن الضّعيف وجماعته آل ذيبة من قحطان .

وهجرة مويسل في ناحيتها الغربية ، وهجرة النّخيل ، في ناحيتها الجنوبية ، وحلقة الفرّاط في ناحيتها الشرقية ، بينها وبين حلقة ابن جلبان ستة أكيال تقريباً .

الرياض — سعد بن عبد الله بن جنيدل

الأحَيْرِشُ : بضم الهمزة وفتح الحاء ، وإسكان الياء ، وكسر الراء ، فسين تصغير أحرش ، من الحرشة وهي الحثاثية والخشونة : رافد من روافد وادي حنيفة يسيل من قمة جبل طويق مشرّقاً حتى يصب في وادي حنيفة بين بلدتي العُيينة ، والجُبيلة ، يحده من الجنوب وادي الأبيطح ، ومن الشمال الغربي : وادي أم كثير .

أُمُّ أَثْلَةَ : — ذات الأثلة — واحدة الأثل : مزرعة في خنقة القويعيّة قرب نُنَيْلان ، شرق عَرْوَى ، لبني زيد بمنطقة القويعية تبعد عن بلدة القويعية حوالي خمسة وأربعين كيلاً .

الأرْمَضُ : — بفتح الهمزة ، وإسكان الراء ، وفتح الميم ، فضاد معجمة — صفة من الرمض وهو الحرارة تلهب الرمل فيصير رمضاء ، ويصير الوادي أرمض : منهل لآل عُلَيّان من قحطان في وادٍ يسيل شرقاً منحدراً من جبل السّوادَة ، ويدفع في وادي الرِّكاء ، وهو تابع لمنطقة الركاء القويعية ، يبعد عنها حوالي ثلاثمائة كيل غربها .

أطِيْطُ : بالفتح ، ثم الكسر ، ويبدو من شعر امرىء القيس أنَّ صفَا الأطيط قريب من وادي الركاء ، ومن السوادة ، قال :

لمن الديار عرفتها بسحام ... فعمايتين فهضب ذي إقدام
فصفا الأطيط فصاحتين فعاشم ... تمشي النّعام به مع الآرام
دار لهنْدٍ والرباب وَفَرْتَنَا ... ولميس قبل حوادث الأيام

الأخْرَجَانِ : ضبطه ياقوت فقال : تثنية الأخرج ، من الخرج ، وهو لونان أبيض ، وأسود ، يقال : كبش أخرج ، وظليم أخرج ، . . وهما جبلان في بلاد بني عامر ؛ قال حميد بن ثور :

عفا الربع بين الأخرجين وأوزعتْ ... به حرجفٌ تُدني الحصا وتسوق

وقال أبو بكر : ومما يذكر في بلاد أبي بكر مما فيه جبالٌ ومياه :

المَرْدَمَة : وهي بلاد واسعة ، وفيها جبلان يسمّيان الأخْرجين قال فيها ابن شبل :

لقد أحميتُ بين جبال حَوْضَى ... وبين الأخرجين حِمىً عريضاً

لحيّ الجعفريّ فمـــا جـــــزاني ولكنَ ظَلَّ يأتل أوْ مريضـــــا

والآتِلُ : الخانس . وقال حميد بن ثور :

على طللي جُمْل وقفت ابن عامر وقد كنت تعلي والمـــزار قريبُ
بعليـــاء من روض الغضار كأنما لها الرّيم من طول الخـــلاء نسيبُ
أَرَبّتْ رياح الأخرجينِ عليهمـــا ومستجلب من غيرهـــن غريب

وجاء في كتابنا « المجاز ، بين اليمامة والحجاز » : أما الجبل القائم جنوبه – عفيف – فيمتدُّ ، وتتكون منه جبال الخرج ، بفتح الخاء وإسكان الراء ، وخرج عفيف هذا : جبال متقاودة ، متداخلة تمتد حتى تحاذي جبال الأطولة جنوباً ، وبها منهل ماء يسمى : خَرْجاً بفتح الخاء وإسكان الراء كحبلى مؤنث خَرَج ، وقد أورد ياقوت (الخرج) مثنّى بلفظ أخرج . وسقنا كلام ياقوت الآنف الذكر . وأوردنا كلام ابن بليهد ، قال : ولا أعلم موضعاً غير جبال الخرج التي تقع عن منهل عفيف جنوباً ، وهي التي تنعقد جبالها بجبال عفيف ، وهي تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد ، وربما أن العرب تسميها هي والمردمة فيقال لهما الأخرجانِ ، من باب التغليب . اهـ .

قلتُ : ولا يبعد ما ذكره ابن بليهد عن الحقيقة ، لا سيّما والموضعان متقاربان ، وفي بلاد قبيلة واحدة هم بنو عامر .

والأخارج جبال مقابلة لجبل (العَاَم) الجنوبي لا تبعد عنه أكثر من مسافة يوم للإبل قريبة من جبل دَمْخ ، وهي التي عناها موهوب بن رشيد بقوله :

مُقِيمٌ ما أقـــام ذُرَى سُوَاجٍ ومـــا بقى الأخـــارج والبتِيْـــلُ

الأخْرَابُ ، وَالخَرِب ، والأخْرُب : ضبطه ياقوت بأنه جمع خُرْب بالضم ، وهو منقطع الرمل . وقال : قال ابن حبيب : الأخراب : أُقيرنٌ حمر بين السّجا والثُّعْل وحولهما ، وهي لبني الأضبط وبني قوالة ، فما يلي الثعل لبني قوالة بن أبي ربيعة ، وما يلي السجا لبني الأضبط بن كلاب ، وهما من أكرم مياه نجدٍ ، وأجمعه لبني كلاب . . قال طهمان بن عمرو الكلابي :

ولن تجد الأخراب أيمن من سجا إلى الثعل إلاّ ألام الناس عامره

والخرب قال ياقوت: هو خرب العقاب: أبرق بين السجا والثعل في ديار بني كلاب.

وقال في « بلاد العرب » : وجبل خرب العقاب ضلع ليس بضخم ، وهو متقاود ، وبينه وبين أجَلَى نحو من خمسة فراسخ أو ستة .

أما أخرب فقال ياقوت : بفتح الراء ويروى بضمها ، فيكون أيضاً جمعاً للخرب المذكور قبل ، وهو موضع في أرض بني عامر بن صعصعة ، وفيه كانت وقعة بني نَهْدٍ وبني عامر ، قال امرؤ القيس :

خرجنا نريغ الوحش بين ثعالة وبين رُحَيّاتٍ إلى فَجِّ أخرب
إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا : تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

ويبدو من تحديد العلماء للأخراب ، أنها جبال متقاربة حوالي السجا والثعل وأجَلَى ، وما حولها من ديار بني كلاب من بني عامر بن صعصعة ، ويتعيّن كل واحد منها بالإضافة كخرب العقاب مثلاً ، وخرب الزباء . .

وقد جاء في كتابنا « المجاز » ما يلي : وينتصب قبالة الثُّعْل المشَفُّ جبيل أحمر ليس بالطويل ، ولكن لوقوعه في أرض مرتفعة منْداحة وانفراده يبدو في رأي العين كبيراً . . هذا الجبل هو ما يسمى الآن بضليع الصّياح وهو اسم مستحدث . ويظهر من تحديد العلماء القدامى لجبل الخرب أنه هذا ، وأن هذا الاسم يطلق على عدة جبال ، يتعين كل منها بالإضافة ، وهذا يقال له : خرب العقاب .

وفي خرب العقاب يقول ابن مُرْخية :

أَرِقْتُ وصحبتي بجبال صُبْحٍ لخافقة بعردة فالعناب
تصوب على الأخارم من جرين وأدناها على خرب العقاب

أما خرب ، واللساسة . اللذان ذكرهما ابن بليهد منقطع كشُب شرقيه ، فهما غير هذا .

أَجَلَى : بفتح الأول ، والثاني ، والثالث ، بوزن : بَرَدَى . ثلاث هضاب حمر ، غرب بلدة عفيف يشاهدها سالك طريق الحجاز ، تسمى حالياً : أجلة ،

قلت عنها في كتابي « المجاز » تتربع على منبسط من الأرض ، وتنداح حولها كبد الحمى ، من أخصب المراعي وأمرئها وأجملها ، وآنسها . . ينطلق من سهولها وأحضانها وادي الجريب ، ويصاقبه من ناحية الشرق وادي الشبرم وتنتشر أعلام نجد المحبّبة هنالك . . تتجه ببصرك شمالاً فترى هضاب العَسِيْبيّات ، ومُثَلّثة ، والجثوم ، وربما المضيّح وما حولها . . جبال تنادي على نفسها بسموقها ، ومنظرها البديع الأخّاذ . . وتنظر تلقاء الغرب فتشاهد الذنائب وسُمْرَ الحضارة ، وربما حِبر والغُرابة . . وتشاهد الدُّريعوّات . . وتنظر جنوباً فترى الثُّعْل ، والمشَفّ ، وضُلِيع الصِّياح ، وأُمّ السّباع ، وسجا ، وما حولها .. وتولي وجهك شطر الشرق فترى الأطْوَلة ، والحَرَج ، وجبال عَفِيف ، وتمعِنُ في نبات الأرض تحتك فترى النّصِيّ ، والحماط ، والصِّلِّيَان ، والحَلَمَ ، وكلّ نبت طيبٍ نافع . . وتنتشر هنا وهناك شجيرات السّمر ، والسّلَم ، والطلح ، وخمائل الحمض . . هذه الأرض اتخذّها عزيز العرب وزعيمها كُليب وائلٍ حِمىً له ، اختارها دون مرابع الجزيرة ومراتعها العذِيّة النّقيّة . .

قال البكري : أَجَلى هُضيبَات حمر ، بين فلجة ومطلع الشمس ، وماؤهنّ الثعل ، اجتمع فيه النّصي ، والصليان ، والرمث . . بجهراء من نجد طيبة — والجهراء الصحراء — ولذلك قالت بنتُ الخُسِّ ، وقد سئلت أيُّ البلاد أمرَأُ ؟ قالت : خياشيم الحزْن أوْ جِواء الصّمّانِ ، قيل : ثم أيٌّ ؟ قالت : أرِها أَجَلى أنّى شئتَ . انتهى . وقال في « بلاد العرب » نقلاً عن ابن السكّيت : وأجلى هضبة في فلاة ماء يقال له الثعل لبني قوالة . وقال في موضع آخر : هي هضبات ثلاثاً حمر ، وهي في مغبّة الثعل ، والثعل ماء لبني قوالة . وأَجلى بلاد طيبة مريئة ، تنبت الحليّ والصِّلِّيان ، وأنشد :

حلّتْ سُليمى جانبَ الجريب بأجَلى محلّة الغريب
محلّ لاناء ولا قريب

وأورد بيتين من الشعر لجامع بن عمرو بن مرخية هما :

تربّعت الدارات دارات عسعس إلى أجلَى أقصى مداهـا فنيرهـا
إلى عاقر الأكوام فالأيم فاللوى إلى ذي حُسَا روض مجود يصورها

وقال ياقوت نقلاً عن الأصمعي : أجلى بلاد طيبة مريئة تنبت الحلي والصليان وأنشد :

حلت سليمى الشعر المتقدم

وقال السكري في شرح قول القتّال الكلابي :

عفتْ أجلَى من أهلهـا فقليبُها إلى الدوم فالرنقـاء قفر كثيبها

قال : أجلى هضبة بأعلى نجد .

وقال الشيخ ابن بليهد : . . ثم تخرج منه – وادي الخضارة – وأنت قاصدٌ الشرق ثم تلتفت شمالك فترى أجلى ، وهو جبل ذو ثلاث قطع حمر ، هضبات متصل بعضها ببعض ، ولها ذكر في أشعار العرب الجاهلية ، وهذا اسمها الجاهلي ، وأورد الرجز المتقدم ، وقول النمر بن تولب :

خرجن من الخوار وعُدْن فيـه وقد وازنَّ من أجلَى بَرَعْـنِ

وقال في موضع آخر معلقاً على هذا الشعر :

وريت جريراً يوم أذْرعة الهـوى وبُصْرَى وقادتْكَ الرياح الجنائب
سقى الله نجْداً من ربيع وصَيِّفٍ وخَصَّ بها أشرافَها فالجوانـب
إلى أجلى فالمطليَيْنِ فراهـص هناك الهـوى لو أنَّ شَيْئاً يقارب

قال : أما أجلى فهي معروفة . . إذا قطعت وادي الخضَارة متّجهاً إلى عَفيف ، ثم أتَيْت وادي الثعل فانظر شمالك تجدْها ، ويقال لها في هذا العهد : أجلة .

أبْرَقيّةُ : بفتح الهمزة ، وإسكان الياء ، وفتح الراء ، وكسر القاف ، فياء مشددة مفتوحة ، فهاء : تقع في وادي المياه غرب شعر ، وشمالاً عن عفيف ، بحوالي ثلاثين كيلاً . . وهي التي عناها الشاعر الشعبي الشويب الجذع حينما قال :

ألا لا عِدْت يا يَوْمٍ علينا بَأيْمَنَ البرقانْ
نهار البيرق الجايرْ عَن الحِلّهْ يعَدِّيْنَـا

حَدَوْنا في لهيب القيظ لا مِزْهب ولا صُمْلانْ
عَسَى رَبٌّ كتب هذا علينا ما يُخَلِّيْنَـــا

وقد أصبحت الآن هجرة للمغايرة من الروقة من عتيبة ، أميرهم ابن عميرة ، وأبرقية هذه هي التي عناها الشاعر الشعبي ابن جعيثن بقوله :

ممشاه من شَقْرَا إلى بانْ فَجْرانْ يَوْمٍ ويومٍ لا بْرِقِيّهْ مْـــراحِ

الأبْلاء : — بفتح الهمزة ، وإسكان الباء ، فلام مفتوحة ، فألف فهمزة . . ذكرها الأعشي في شعره قال :

قالوا : نمارٌ فبطن الحال جادَهُمَا فالعسجديّةُ فالأبْـــلاء فالرِّجَلُ

وهذه غير أُبْلى بضم الهمزة التي في عالية نجد ، بديار بني سُليم فالشهرة لتلك ، أما هذه التي ذكرها الأعشي فغير معروفة الآن . .

أبْقَارُ : — كأنه جمع بقرة . وادٍ يَقع بين القاعيّة وبين عفيف يمر به طريق (الحجاز) إذا اجتاز المارُّ وادي المعلق مُغَرِّباً ، استقبل وادي أبقار ، يقبل من الشمال إلى الجنوب ، وتحفُّ به حزون وآكام ، وفيه شجر السرح والسلم . .

قال ابن بليهد على قول النابغة :

باتَ بحقْفٍ من الأبقار يحفـــزه إذا استكفّ قليلاً تُربُه انْهزمـــا
مُوَلِيَ الرّيح رَوْقيهِ وجَبْهتـــــه كالهِبْرِقيِّ تنحّى ينفـــخ الفَحَمَا

قال : المواضع التي أعرفها بما يقرب من هذا الاسم في هذا العهد منها أبقار وهي أودية وسنْقَان بين منهل عفيف ومنهل القاعية ، على الطريق السالك من (مكة) إلى (الرياض) وموضع أبقار بين المنهلين ، وهي التي قال فيها صاحب « المعجم » : هي من الحمى ، واستدل بقول الشاعر :

إلاّ كدارِكُم بذِي بَقَرَ الحمى هيهات ذُو بَقَرٍ من المـــــزدارِ

إلا أن الأستاذ حمد الجاسر علق على هذا فقال : هذا ينطبق على ذي بقر في حمى الربذة غرب ضرية ، ويبعد عن الربذة غرباً بجنوب (٢٢) ميلاً . انتهى .

وقال القحيف العقيلي ، وهو يقصد أبقاراً المشار إليه لأنه من أهل تلك الناحية :

فيا عجبـاً مني ومن طارق الحمى إذا منع العـين الرقاد وسهّـدا
ومن عبرة جاءت شآبيـب إن بدا بذي بقر آيات رَبْعٍ تأبّـدَا

ووادي بقر مرَّ ذكره وادٍ أيضاً يصب من جبل مُجَزَّل شمال الأرطاوية .

الأرْأسَةُ : بالفتح ، فالسكون ، فهمزة مفتوحة ، فسين مفتوحة أيضاً ، فهاء . قال ياقوت : من مياه أبي بكر بن كلاب . اهـ

وجاء في « بلاد العرب » : ثم الأرأسة : ماء لبني أبي بكر ، لكعب بن عبدالله ، وفوق هذا : رمل عبدالله بن كلاب ، وبلادها . انتهى .

وقال ابن بليهد : الأرأسة : هي بئر في عالية نجد الجنوبية تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد ، إلا أن المتأخرين أبدلوا الهمزة واواً ، فيقال لها : الأروسة . تملكها قبيلة المقطة ، وهم من بقايا قبيلة بني كلاب ، وهم الذين قال فيهم دريد بن الصمة يوم حنين ، حين قال من المتخلف من هوازن ؟ قالوا : كعب وكلاب ، قال : غاب الجدُّ والحدُّ . والأرأسة منهل ترغبه الأعراب ، لأنه متوسط في الأرض المنبات ، ترعى عازبته من الإبل جفرة الصاقب وما والاها إلى ذقانين انتهى . قلت : وهي تابعة للخاصرة جنوبيها تبعد عن عفيف حوالي مائة وتسعة وخمسين كيلاً . وأنا أعرف هذا المنهل . وقد كنت في جباة زكاة الماشية حوالي عام ١٣٦٢هـ وكان يشربها وما حولها من المناهل مثل أُمُّ الجواعر ، ومحضب ، والكبدي . . قطعان كبيرة من الماشية . . جُلها لقبيلة المقطة من برقاء عتيبة .

الأشَيّيْنِ : كأنها تصغير أُشَيّ . بالضم فالفتح : جبيلان متجاوران بمنطقة السّرّ شمال بلد ساجر يتركها طريق القصيم لمن يقصده يساره ويراهما سالك الطريق . وحولهما روضة تضاف إليهما روضة الوُشَيّيْنِ — ذكرهما الشاعر الشعبي (جري) فقال :

ألا يا حمامات (الوُشَيّيْن) ما حلا غناكن ميرانَّ الضمير مْصـابْ
مصابٍ من خدٍّ وعيْنٍ ومَبْسَمْ وجيدٍ ومجدولٍ زهاه شْغَابُ

والنّهد مثلَ البيض غاشِيْه حُمره سليمٍ الاذَايَا مَعْ زْهُور شبابْ

الأيْسَرُ : بالفتح ، وفتح السين أيضاً ، فراء . قال ياقوت : الأيسر موضع في قول ذي الرمة :

بحيث ناحَى الأجْرَعيْنِ الأيْسَرُ

وقال ابن بليهد : يقال لهذا المنهل في هذا العهد الأيسري ، وهو في عالية نجد الجنوبية ، شرق عِرْق سُبيع . واختصم فيه قبيلتان عند جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، وهم سُبيع ، وقبيلة المِقطة من عتيبة ، كلٌ يدّعي أن المنهل ملك له . فرآى جلالة الملك أن يدفن ويعمّى خبره . . وهو باقٍ على دفنه إلى هذا العهد . . انتهى . قلتُ : ولقد مررنا حذاءه فأشير لنا إليه مدفوناً . .

أَبْرَقُ الشّيْخ : يضاف هذا الأبرق للشيخ محمد بن هنديّ بن حُمَيْد شيخ قبيلة عتيبة والفارس الشهير . . خاض غمار الحروب ، وعارك الفرسان ، وأبدى ضروباً من الشجاعة ، والفروسية هي مضرب المثل . . وأخيراً سقط من على جمله عند هذا الأبرق فمات ، فأُضيف إليه ، يقال : أبرق الشيخ ، وأبرق الأمير ، وهو يقع في عالية نجد الجنوبية ، شمال الهضب ، وغرباً عن منهل مُحَضَّب . توفي ابن هندي عام ١٣٣٤هـ .

الأحَاسِنُ : — والأحْسَنُ : بفتح أوله ، وكسر السين ، وآخره نون ، كأنه جمع أحسن ، جبال في عالية نجد ، قال ياقوت : هي جبال قرب الأحسن ، بين ضرية واليمامة ، وقال أبو زياد : الأحاسن من جبال بني عمرو بن كلاب ، قال السريُّ بن حاتم :

كأن لم يكن من أهل علياء باللِّوَى حلولٌ ولم يصبح سوامٌ مبرَّح
لدى برقة الخرجاء ثم تيامنت بهم نِيّةٌ عنّا ، تشبّ فتنزحُ
تبصّرتهم حتى إذا حال دونهم يحاميم من سود الأحاسن جُنّحُ
يسوق بهم رأدَ الضُّحَى متبذّلٌ بعيد المدى عاري الذراعين شحشح
سَبَتْك بمصقُولٍ ترِفٌ غُرُوبُهُ وأسحمَ زانَتْه ترائب وُضَّحُ
من الخفرات البيض لا يستفيدها دنيٌّ ولا ذاكَ الهجين المطرَّح

تاريخ الدولة السعودية

(نشرت مجلة « العرب » كتاب المستشرق التشيكوسلوفاكي (الويس موزل) في فصول متتابعة ، ما عدا ملاحقه فقد نشرت بعضها قبل البدء بنشر تلك الفصول . وها هي توالي نشر الملاحق فتقدم للقراء ما كتبه عن تاريخ (الدولة السعودية) الميمونة منذ قيامها حتى قيام الإمام عبد العزيز – رحمه الله – لتوحيد أجزاء المملكة ولم شعث أبنائها ، نقدم ما كتبه ذلك المستشرق لكونه خلاصة ذلك التاريخ ، وكان – ولا يزال – مرجعاً لكثير من الكتاب الغربيين وغيرهم . ومع أن هذا المستشرق كان على جانب عظيم من الإنصاف وعدم التحيّز فيما كتب ، مع ذلك

والأحسَنُ بوزن أفعل ، قال ياقوت : اسم قرية بين اليمامة وحمى ضريّة ، يقال لها معدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب ، بها حصن ومعدن ذهب ، وهي طريق أيمن اليمامة .

قال النوفلي : يكتنف ضرِية جبلان يقال لأحدهما وسط وللآخر الأحسن وبه معدن فضة .

وجاء في « بلاد العرب » : وهما في قبلة معدن الأحسن ، ومعدن الأحسن لبني أبي بكر بن كلاب . . وهو من عمل المدينة . . وهو معدن ذهب ، وبينه وبين ضرية ليلتان ، وهي من عمل المدينة ، أدنى عملها إلى اليمامة ، تخالط لعمل اليمامة .. انتهى .

وقال الشيخ حمد الجاسر : ويفهم من كلام المتقدمين أن هذا المعدن يقع في عالية نجد على مقربة من منهل عفيف الذي أصبح الآن قرية . انتهى .

(للبحث صلة) عبد الله بن خميس

---

(١) وهو الملحق التاسع (من ص ٢٥٦/٢٧١) ، وهذا الفصل بعنوان (تاريخ بيت ابن سعود) .

وقعت هفوات في كلامه يمكن لكل دارس لتاريخ تلك الدولة الكريمة دراسة عمق واستقصاء إدراكها . وحسبنا أننا قدمنا لكثير من القراء مرجعاً من مراجع تاريخ بلادنا لم يسبق نشره باللغة العربية ، انتفع به الكتاب الغربيون الذين تصدوا لدراسة تاريخ بلادنا ، أو كتابة ذلك التاريخ .

وينبغي – ونحن نقرأ ما كتبه هذا المؤرخ الغربي – أن ندرك أموراً :

أولها – أن الكاتب غريب عن بلادنا ، وعن التعمق في معرفة أحوالها كما يعرفها أبناؤها ، ولهذا نكلفه شططاً حينما نروم منه ومن أمثاله تلاؤم أفكارهم واتفاقها مع أفكارنا وآرائنا .

ثانيها – أنه قد ينقل بعض الحوادث الواقعة في عهده عمن سمعها منه فيسجلها كما سمعها ، ومع أننا لا نتهمه بعدم التثبت في كل ما يكتب إلا أن من المعروف أن الرواة يختلفون فيما يروون ، بل قد يختلقون ذلك ، وليس في مستطاع كل مؤرخ أو كاتب السلامة من الوقوع في الخطأ ، مهما حرص على ذلك .

ثالثها – التاريخ لا يرحم ، ومتى دخله التزويق أو التزييف أصبح عديم الجدوى ، والإنسان جبلت طبيعته على مختلف الصفات ، ونطلب مستحيلاً حينما نروم من إنسان البروز بمظهر الكمال منزّهاً عن كل خطأ . ولهذا يجب أن تتسع صدورنا لتقبل تاريخنا على علاّته ، لنتخذ من مواقع الصواب فيه القدوة ، ولنحذر من الوقوع في مزالق الخطإ منه ، ونتخذ منه العبرة والعظة .

رابعها – أن بعض الآراء التي سجلها موزل في بحثه هذا استنتجها من مشاهداته أو مما سمع ، وكلا الأمرين محل اجتهاد قد يكون حقّاً ، وقد يكون باطلاً ، ولا يضير القارىء أو الباحث أمور أصبحت في حكم التاريخ ، إلا أنهما بحاجة إلى الاستفادة من كل مصدر يرجعان إليه ، مع أن كثيراً من النتائج التي توقعها موزل لم يجانف الصواب فيها ، كتوقعه بأن (الاخوان) سيسببون للملك عبد العزيز – رحم الله الجميع – كثيراً من المشكلات .

خامسها – هذا النص الذي نقدمه للقراء حرصنا على أن يكون مطابقاً كل المطابقة لما عبر به كاتبه ، ولم نضف إليه شيئاً ، ولكننا حذفنا كلمات يسيرة قد يكون

عدم حذفها حائلاً دون كثير من القراء من الاستفادة من هذا البحث ، وما على من يريد معرفتها إلا الرجوع إلى الأصل الإنجليزي ، إذ الكتاب مطبوع ومنتشر ، وإن حرم منه قراء العربية ما يقرب من نصف قرن .

سادسها – كنا نود أننا علقنا على بعض ما نخالف المؤلف فيه ، أو أننا أضفنا إلى بعض عباراته ما يزيدها إيضاحاً ولكننا أرجأنا هذا إلى حين نشر الكتاب « شمال نجد » كاملاً ، إذ ما ننشره هنا أحد مباحثه .

وجل المتفرد بالكمال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

قال موزل : الوصف الجغرافي لبلدان نجد :

في كثيرٍ من التحقيقات الجغرافية عن الجزيرة العربية تفصيلات عن جبالٍ ضخمة يقال لها طويق تخترق من وسط الجزيرة ما يسمى نجداً من شمالها الشرقي إلى جنوبه الغربي . وفي الحقيقة أن طويقاً ليس سلسلة من الجبال ولكنه جُرفٌ سهل واسع مرتفع ، وقد حدث عن طريق التعرية . ويبدأ هذا الجُرف عند خط العرض ٠٠ ° ٢٩ شمالاً ويحدد عند طرفه الشمالي الحدود الشرقيّة لصحراء النّفود الرَّملية . وهنا ، من ناحية ثانية ، فإنه يَتّجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي . وإلى الجنوب من خط العرض ٠٠ ° ٢٧ شمالاً يقع جُرفٌ آخر مماثل ينطلق بمحاذاة طويق على مسافة ستين كيلا تقريباً باتجاه الغرب ، وهو أيضاً يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي .

وعلى طول هذين الجُرفين كانت الرياح الشمالية الغربية قد خلفت كثباناً رملية ضَيّقة كانت قد نَتَجت عن أحجارٍ رملية محطّمة ، وكانت السهول الواسعة المرتفعة البعيدة التي قد قاومت أعمال التعرية ترتفع إلى غرب الجروف بشكل تلالٍ ذات قِمَمٍ مسطحة ، ويوجد بينها – كما يوجد بين الكثبان – أحواض رحبة كانت مياه الأمطار تتجمع فيها من مناطق واسعة وكانت تقاوم التّبَخُّر سنوات عديدة أسفل غطاء واقٍ من الحصباء أو الرّمل .

وعقب هطول أمطار غزيرة تظهر النباتات النضرة التي تنمو بخصب على الكثبان والسهول الواسعة المرتفعة ، وفي الأحواض ، ولكن في أواخر شهر حزيران تكون النباتات السنوية قد جَفّت ، مع أن النباتات الموسميّة تبقى مزدهرة . وإذا لم تهطل

أمطار وفيرة مدة ثلاث أو أربع سنوات ، لا يبقى عائشاً من النباتات السنويّة سوى البذور ، ومن النباتات الموسمية سوى الجذور ، وكان المنظر الطّبيعي يبرزها صحراء قاحلة توزّع الموت .

وأما في الأحواض وحدها ، فالفضل للمياه الجوفية ، التي هي سبب الحياة فإذا كان سمك الغطاء الواقي للماء يبلغ المتر تقريباً. فإن أشجار النخيل تزدهر بدون أن تحتاج إلى اهتمام الإنسان ؛ ولكن إذا كان سمك من ذلك ، فإنها تكون بحاجة إلى رَيٍّ منتظم في وقت الصيف الجاف من نيسان إلى تشرين الأول .

وكانت مياه الأمطار تجلب معها الرمل الناعم المنقّى من الأحجار الرملية بسبب تقلّبات الطّقس والتعرية ، وتخلفه في الأحواض ، حيث يتغير بالرطوبة وبهذه الطريقة تتكون تربة تزدهر فيها الكروم وأشجار الرُّمّان ، هذا إلى جانب الحنطة والشعير ، وبعض الخضر . وزراعة الحبوبْ تتطلّب سقاية متواصلة ، وإذا كانت الحرارة في أواخر نيسان ومستهل أيار قوية فإن الحبوب تجف ولا يجود الزَّرع بإنتاج يوازي العناء الذي صرف فيه . لذلك فإن الحبوب كانت تُعتبر من وسائل التّرف ، وكان الغذاء الرئيسي يتألف من التمور ، وكانت هذه وافرة بحيث تكفي السكان طول السنة .

إن جميع القرى محاطة بجدران عالية تكون في أغلبها مزدوجة . ، داخلَ الجدار الداخلي منها تقع البيوت مع بعض بساتين أشجار النخيل الصغيرة يحتضن بعضها بعضاً ، بينما تملأ الحقول وبساتين النخيل الكبيرة تملأ الفراغ الواقع فيما بين الجدار الأول والجدار الخارجي . وكان للحائط الداخلي ، الذي يكون عالياً جداً ، وجهان متقابلان يبعد الواحد منهما عن الآخر من ثلاثة أمتار إلى ثمانية وهو مُشَيّد من اللبن ، وكان الفراغ فيما بينهما مملوءاً بالطين .

وكانت كل قرية تشكّل طبقة اجتماعية بنفسها ، وكلما كانت القرية كبيرة كان سكانها أكثر إقداماً ، وسادتها أكثر طموحاً ، ونفوذها أعظم . كانت القرى الصغيرة تنضم باختيارها إلى سيد القرية الكبيرة ، وتساعده في صد سكان الواحات الكبيرة .

وكانت القبائل المختلفة من رعاة الإبل والغنم تتجوّل في المناطق الجرداء التي تمتد فيما بين الواحات المختلفة ، وتحاول فرض ضرائب ثابتة على القرى المختلفة . وهكذا ، يبدو واضحاً أن السلام الكامل لا يمكن أن يسود في هذه الأراضي . وعندما كان ينجح أحد سادة القرى القوية في فرض سلطانه فإنه يشمل البدو أيضاً ، فتوقف الحزازات ، وترحل عصابات اللصوص أو تتفكّك ، وعندها يمكن للإنسان أن يتجـــوّل في منطقته تحت حماية سيّدٍ قوي بكل أمان كأنه يتجوّل في مدينةٍ أوروبية .

ليس حبُّ الأمن هو الذي يسبب الأمن . بل الخوف من العقاب .

وكان تعكير صفو الأمن في أكثر الأوقات من قبل البدو . إذ كانت الحقول ، والبساتين ، ومخازن القمح الخاصة بأهل القرى الذين كانوا يتعلقون بالأرض . تثير رغبة البدو في الحصول على ما فيها ، ومن الصعب عليهم مقاومة تلك الرغبة طويلاً ، والحضر يدركون هذا ، لذالك يدفعون ضرائب منتظمة لبعض القبائل ، وبذلك يضعون أنفسهم تحت حمايتها . وبهذه الطريقة كان الحضر عالة على البدو وكانت هذه العلاقة بين البدو والحضر تقوم على أساس من التعامل الديني — أيضاً — .

إن جميع سكان الجزيرة العربية ، حضراً كانوا أو بدواً ، يؤمنون بإله واحدٍ ، وإن كان البدوي يجهل الأماكن المقدسة ، وأماكن العبادة ، فلا وسطاء بين الإنسان وبين الله ، يمارسون شيئاً من أنواع العبادة فهم من المسلمين ولكن بالاسم فقط ؛ وفي الحقيقة لا يبدون أي اهتمامٍ بتعاليم الإسلام ، بخلاف الحضر . فإلى جانب عبادة الله يقدسون بعض الأولياء والأشجار والصخور ، وغيرها ، ويتخذون أماكن ثابتة للعبادة ، ونتيجة لذلك ، فإن الدين الإسلامي ينتشر في الواحات ، لا بنقائه القديم ، بل متغيراً في أغلب الأحوال .

ولقد كان الاختلاف السياسي والديني الحاد بين الحضر والبدو ، وكون الأوّلين يعيشون عالة تقريباً على الآخرين ، قد أيقظ كثيراً من الحضر الإعتقاد بأن الله وحده الذي يعبده البدو أقوى من الآلهة المتعددة لدى الحضر من قديسين وغيرهم ، وتبعاً لذلك يجب أن تكون ديانة البدو هي الصحيحة . وقد تسببت هذه الأفكار في مدى

قرونٍ عن قيام حركات إصلاح دينية مختلفة ، برز أثرها من بعض معتنقي المذهب الحنبلي ، الذي هو مذهب كثيرين من سكان شرقي الجزيرة العربية . وكان القائمون بتلك الحركات يحاولون إرشاد قومهم بآرائهم الدينية المطابقة لذالك المذهب ، وكانوا يستغلون قوة الحاكم ، وبتلك الوسيلة يُقَوّون نفوذه السياسي . وقد حدثت أمثال هذه المحاولات ولا زالت تحدث في كل قرن تقريباً . ومن المحاولات الحديثة ما قام به مؤسس (طائفة الوهابيين)[1] حيث قامت مملكة ابن سعود .

محمد بن عبد الوهاب ومحمد ابن سعود (١٧٤٠– ١٧٦٥) : وُلد محمد ، فأسس هذه الطائفة ، في سنة ١٧٠٣ في مدينة العُيَيْنَة ، وهو ابن القاضي سليمان من أسرة حنبلية المذهب[2] . ذهب محمد الشاب إلى مكة والمدينة لتأأدية فريضة الحج وواصل سيره مع الحجاج إلى سورية[3] والعراق ، حيث أقام وقتاً في المدن المختلفة ، وعلى الأخص في البصرة .

ثم عاد إلى الجزيرة العربيّة عن طريق الزّبير والحسا إلى حُرَيْملا حيث كان والده (عبد الوهاب بن سليمان) قاضياً فيها . وبعد وفاة والده في سنة ١٧٤٠ بدأ محمد بنشر دعوته ضد سوء التصرفات الدينية ونتيجة لذلك فقد أبعد إلى حُرَيْملا .

التجأ إلى العُيَيْنَة ، بين عائلته ، من قبيلة بني تميم ، حيث وجد الحماية وأتباعاً لتعاليمه أيضاً . وخلال وقت قصير تمّ تدمير القبور وقطعت الأشجار المقدّسة ، وأبعد الأعداء . فوجد هؤلاء الخصوم الحماية من سيّد الحسا ، سليمان بن محمد من سلالة الحاكم بن عُريعر ، واضطر محمد أن يفر إلى واحة الدِّرعية المحصنة ، وكان سيد هذه الواحة محمد بن سعود بن مقرن من فخذ المِصاليخ من قبيلة ولد علي

---

(١) تكررت كلمة (الوهابيين) و (الوهابية) في كلام موزل ، كما تكررت في كلام كل من كتب عن الدعوة الإصلاحية من أعدائها ومن الغربيين على السواء ، حتى أصبحت علماً لهذه الدعوة المباركة وإن كان أصل وضع كلمة (الوهابية) من دعاة السوء . ولكن كما قال الشيخ ملا عمران :

إن كان تابـع أحمد متوهبـاً فأنـا المقر بأنـني (وهـابي)

(٢) أخطأ موزل حين زعم أن والد الشيخ هو سليمان والواقع أنه عبد الوهاب بن سليمان .

(٣) لم يعرف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سافر إلى سورية .

إحدى قبائل عنزة . وكان محمد بن سعود بن مقرن النشيط قد حصّن الدّرعيّة ، وأجبر جميع الواحات الصغيرة على الأعتراف بسيادته ، وبذلك أرسى قواعد سلطة أسرته ، التي سمّيت باسمه منذ ذلك الحين . وعندما توفي في سنة ١٧٢٤ ترك أربعة من الأبناء وهم : ثنيّان ومحمد وفرحان ومشاري ، وإليهم ترجع فروع بيت ابن سعود .

حاول أبناءه بسط ما ورثاه من ملك والداهما ، وكان الابن الأكبر ، ثنيّان ، حاكماً بالوراثة ، أو كما يقول البدو ، « أمير شْدَاد » ، بينما كان شقيقه محمد يدير الشؤون السياسيّة . وقد تبينا أهمّيّة أهداف دعوة الشيخ محمد ، الذي كان قد التجأ اليهما ، وطلب من سيد الدِّرعيّة أن يصبح إماماً لمعتنقي الدعوة وأن ينشر تعاليم الله الواحد ، وأنه سيحصل من أولئك خُمس المغانم بالإضافة إلى الزّكاة . ووافق محمد على ذلك ، ولكن بعد وفاة أخيه ثنيّان (الذي أصبح ضريراً) فاعترف به في سنة ١٧٤٧ أنه الزعيم الرّوحي والدنيوي الأعلى الموحّدين . وبعد فترٌ قصيرة انقادت له قرى العيينة ، وحريملاء ، والعمّارية ومنفوحة بحيث تمكن من مهاجمة واحات الزّلفي والرّياض .

قاوم سيّد الرياض ، دهام بن دوّاس ، مقاومة عنيدة وفي سنة ١٧٥٨ تحالف مع دُجين بن عريعر سيد الحسا . فقام هذا مع قبائله بني خالد والعمارات قبيلة ابن هَذّال ، بمحاصرة قرى ابن سعود ، ولكن في سنة ١٧٥٩ أُجبر على الأنسحاب بدون أن يدرك شيئاً . وبعد ثلاث سنوات أُجبر دهام على تَقَبُّل التعاليم الجديدة في الرياض وسيادة ابن سعود معها أيضاً . وفي أواخر سنة ١٧٦٤ كان ابن سعود في خطرٍ حقيقي أمام مقاتلي العجمان والقبائل التابعة لسيد نجران ، حسن بن هبة الله ، فغزوا عبد العزيز بن محمد بن سعود وهزموه ، في لحاير (قرب الرياض) وأخذوا يتقدمون إلى العاصمة الدِّرعيّة . وأما سيد الرياض ، دهام بن دوّاس الذي كان قد اندَحَرَ قبل مدة قصيرة ، فقد اعتقد أن اللحظة المناسبة قد حانت ، لكي يتخلّص من حكم ابن سعود وليجعل من نفسه سيِّداً على نجد ، فتحالف مع الظفير وبنى خالد ، وتهدَّد الدرعيّة من الشمال . ولكن محمداً الحكيم توصل بسرعة إلى عقد

صلح مُذِل بعض الشيء مع سيد نجران الذي كان يعيش على مسافة بعيدة ، ورمى بكل قوته على سيد الرياض المجاور ، وأوقع به هزيمة حاسمة .

عبد العزيز ابن سعود : (١٧٦٥–١٨٠٣م) : إبتداء سلطة الوهابيين :

توفي الأمير محمد بن سعود في أول آذار ، سنة ١٧٦٥ ، واعترفَ بابنه عبدالعزيز خليفة له ، فحاول أن يبسط إلى الشمال الدعوة الجديدة مع سلطانه . فانتصر على حمود الدّريبي ، حاكم بُريدة في القصيم ، وحاصر قاعة عنيزة المحصَّنة ولكنه لم ينجح في الأستيلاء عليها . ومع ذلك فقد بقيت قرى بريدة ، والرسّ والتنُّومة في حوزته ، وواصل الدعاة في المدن الأخرى نشر الدعوة ، وكانوا يُسَمُّون أنفسهم (مُوحدين) الخاضعين للإله « الواحد » ، بينما كان يُسميهم معارضوهم باسم مؤسس الديانة ، (وهابيين) أو (وهّابية) . وفي سنة ١٧٧٢ ، تآمر سكان قرى القصيم ، باستثناء القرى المتقدم ذكرها ، على اغتيال (المطاوعة من) الوهابيّة ونَفّذوا مأربهم . ولكي يكونوا قوة ضد القرى الثلاث تحالفوا مع عريعر بن عريعر زعيم بني خالد الأعلى ، ومع قبيلة الظّفير وأفخاذ من قبيلة عنزة وشَمّر فاستولوا على بريدة ؛ ولكنهم اضطرّوا للانهزام عندما توفّي عريعر في الخوابي (جمع خابية موضع) في ربيع سنة ١٧٧٣ .

وفي تلك السنة (١٧٧٣) نجح عبد العزيز بن سعود في إيقاع الهزيمة بعدوه القريب والعنيد ، دهام بن دوّاس ، سيد الرياض ، وفي احتلال هذه الواحة العظيمة . وابتدأ بعد ذلك بمضايقة الحسا . وقد سنحت له فرصة التدخل عندما انتشرت الاضطرابات في سنة ١٧٧٣ عقب وفاة عريعر بن دجين بن عريعر سيد الحسا . ثم استولى بُطين بن عريعر الأكبر ، على الحكم ولكنه جوبه بمعارضة أخيه سعدون ، وقُتل في سنة ١٧٧٧ وقد لاحظ سعدون بحسد نمو نفوذ بن سعود فاستغلّ كل مناسبة لإيقافه . وعندما انتشرت ثورة جديدة في القصيم ضد بن سعود في سنة ١٧٨٠ ، سارع سعدون مع قبائله لمساعدة المتمرّدين وحاصروا بريدة ولكنهم اضطرّوا إلى التراجع عندما وردت أخبار الهجوم على مقاطعته الخاصة . إذ أن أتباع بطين المقتول قد وجدوا المساعدة من ثويني بن سعدون زعيم قبيلة المنتفق الأعلى ، الذي كان إذ ذاك

يهاجم من الشمال المناطق التي تخص سعدون بن عريعر ، فيحتل القرى الواحدة تلوَ الأخرى .

وعندما احتاج سعدون ابن عريعر المساعدة اتجه إلى ابن سعود . ولكن هذا ، لم يكن ميّالاً لتثبيت دعائم قوة سيد الحسا ، حيث كان يطمح في ممرّ حُرٍّ إلى البحر ، وكان ذلك سهلاً جداً من طريق الحسا . ولم يكن ابن عريعر قادراً على على الاحتفاظ بالحسا وفي سنة ١٧٨٤ هرب إلى ابن سعود في الدِّرعيّة ، حيث توفي هناك . وقد احتل ابن‌سعود المنطقة الجنوبية لمقاطعته، بينما تَمَسّك زعيم المنتفَق الأعلى بالجزء الشمالي باسم الحكومة التركية . ونتيجة إحتكاكٍ صغير ، نشبت الحرب بين ابن سعود وبين الحكومة التركية . وفي أواخر سنة ١٧٨٤ تقدمت القوات التركية ومعها المدفعيّة تحت قيادة ثويني بن سعدون من البصرة إلى مقاطعة ابن سعود . وقد اتبعت طريق الحج القديمة إلى وادي الباطن وتوقفت قبل التنُّومة في جوار النِّباج القديمة ، التي ظلت مخلصة لابن سعود وقد انضم إلى الغزاة هنا فيالق مختلفة من شَمّر ومن الحضر من أماكن متعددة في القصيم . وبعد مقاومة طويلة فتحت التنّومة أبوابها بمحض اختيارها ولكنها نُهبت ودُمرت . ثم هاجمت القوات المتحالفة مدينة بريدة العظيمة ، التي كان يمكن الاستيلاء عليها إلا أن أعداء ثويني الذين كانوا قد حُرّضوا من قبل حاكم بغداد ، الذي لم يكن يثق بهم ، قاموا بثورة ضده في منطقة البصرة أثناء غيابه ، فاضطر ثويني لرفع الحصار وأن يُسرع بالعودة إلى الزُّبير . فاخمد الثورة واستولى على البصرة ولكنه مُني بهزيمه عند سوق الشيوح وسَفَوان على يدي حاكم بغداد ، وهرب عن طريق الجهرا قرب الكويت إلى داخل سهل الصَّمّان (؟) ، حيث وجد الملجأ مع فرعٍ من بني خالد .

وتغلّب سيد الدِّرعية ، ابن سعود ، على قرى كثيرة في منطقة الحسا ، واحتل قصر عنيزة الحصين في القصيم . وقد امتد نفوذه الآن من جبال سلمى إلى العُقير على الخليج .

وقد قام مقاتلو ابن سعود ، بقيادة ابنه سعود ، بغارات داخل مقاطعات القبائل المختلفة التي رفضت قبول التعاليم الجديدة وسيادة ابن سعود معها . وكان بين القبائل

المسلوبة بعض من كانوا يؤدون الزكاة لشريف مكة . فتقدموا باحتجاجات ضد ابن سعود ، فأعلن الشريف أنه سوف لا يسمح للحجاج الذين يجتازون منطقة ابن سعود من الدخول إلى مكّة . وقد عانى ابن سعود خسارة كبيرة نتيجة هذا المنع ، حيث أنه منذ سنة ١٧٦٩ كانت جميع قوافل الحجاج القادمة من الخليج الفارسي والعراق قد مَرَّت من خلال منطقته وجلبت بضائع كثيرة لرعاياه . وقد زَعم الشريف أن سبب هذا المنع أن رعايا ابن سعود لم يكونوا مسلمين ويجب حماية الحجاج من الأختلاط بهم . فأرسل إبن سعود بعالم قوي إلى مكّة ، يحمل مؤلفاً مفصّلاً عن التعاليم الجديدة تأليف المؤسس ، محمد بن عبد الوهاب ، وكان هذا العالم سيقوم بإيضاح تلك العقيدة الجديدة علانية في مكة . ولكنه عندما وصل مكة ، منع من الظّهور علناً ، بينما أعلن شريف مكة أن الوهّابية عدو للدين والشريف . ونادى إلى شنّ حرب دينية ضدّهم .

انطلقت قوات الشريف العظيم بقيادة أخيه عبد المعين لمحاربة ابن سعود في أواخر سنة ١٧٩٠ . وقد انضم إليها قبائل مختلفة ، مثل هتيم والعوازم ومطير ، وشَمر ، ممن كانوا قد ضويقوا من قِبلِ ابن سعود ، وكانوا يأملون في الأستيلاء على العاصمة الدرعيّة في أقرب وقت ، وبتلك الوسيلة ، يسحقون سلطان ابن سعود تماماً . ولكن قرى الوهابيين الأولى ، التي كانت تقع في مُنخفض السّرِّ ، أبدت مقاومة عنيدة حتى أن جيش الشريف العظيم اضطرّ أن يبعث إلى مكة بطلب تعزيزات وأسلحة أفضل . فحضر الشريف العظيم غالب بنفسه على رأس قوة جديدة ، ولكنه نفسه لم يتمكّن من التقدم في مُنخفض السّرِّ واضطر إلى العودة بسرعة عندما حاول ابن سعود إغلاق طريق عودته . وقد قام سعود إبن سيد الدرعية ، وهو مولع بالحرب بمعاقبة جميع القبائل التي كانت تَبعت الشريف . وهكذا قام في مُستهل سنة ١٧٩١ بمهاجمة مطير ، وشَمّر في قرية العدْوة ، وفرقهم ، وطرد شمر باتجاه الشمال إلى جبال أجا وصحراء النّفود . وقد لاحق مطير في أواخر سنة ١٧٩١ ، ودحرهم في الحناكية والشقرة على مسافة تزيد عن ٦٠٠ كيل إلى الغرب من الدِّرعيّة . ولم يجدوا ملجأ أميناً سوى منطقة السُّوارقية في الحرَّة البركانية التي كانت غير صالحة للعبور .

رأى مؤسس الديانة الوهابية ، محمد بن سليمان بن عبد الوهاب[1] ، قبول تعاليمه في كامل شبه الجزيرة تقريباً ، قبل وفاته في حزيران سنة ١٧٩١ ، وذلك بفضل غزوات قوات الإمام ابن سعود المحاربة . ولقد حضر تلامذة عديدون إلى الدِّرعية حتى من الأماكن النائية في الجزيرة العربية لتلقي التعاليم الجديدة ، وطالما كان محمد حياً فإنه كان يستمتع باحترام خاص فوق احترام الأمير ، ولكن بعد وفاته تحوّل النفوذ الديني والجلال الروحي إلى الأمير نفسه ، الذي كان يُعتبر بشكل عام الزعيم الروحي والزّمني للوهابيين . وأما أبناء (الشيخ) محمد : حسين وعبدالله وعلي وابراهيم فإنهم قد قاموا بوظيفة القضاء في الدِّرعية والمدن الأخرى ولكن بدون ممارسة نفوذٍ غير عادي .

وقد هَزَم سعود ، بن الأمير عبد العزيز ، في سنة ١٧٩٢ سيد الحسا وبني خالد عند آبار اللِّصافة على الطريق المتجهة من الكويت إلى القصيم وتقدم باتجاه الهفوف . وكان بانتظاره عند قرية عين نجم الصغيرة ممثلون من الهفوف والمدن الأخرى حيث سَلّموه جميع قراهم . فأقام عند ذلك الحاميات ، وأمر ببناء قلعة الكوت في الهفوف . وبعد أن احتل منطقة الحسا بأكملها في سنة ١٧٩٣ أرسل قُوات من القصيم ومن مقاطعة شمر بقيادة محمد بن معيقل إلى قرى الجوف على الحدود الشمالية لصحراء النفود ، فقاوم السكان هناك مقاومة عنيدة ولكنهم استسلموا في النهاية واعترفوا بسيادة إبن سعود . وهاجم سعود ، إبن الأمير عبد العزيز ، قرى الخرج ، والفَرع ، ووادي الدّواسر ، إلى الجنوب من الدّرعيّة ، ووصل في غاراته إلى عُمان وعسير وغنم مغانم كثيرة .

وقد قامت سرايا عديدة لابن سعود وذهبت بعيداً لتسرق بعض القرى في العراق ، فقام السكان بتقديم الاحتجاج إلى حاكم بغداد ، وقد احتجّ أيضاً الزعماء الذين كان قد نفاهم ابن سعود وأثاروا شكوك الحاكم عندما أعلنوا أن ابن سعود قد صمم على احتلال البصرة وحتى بغداد . فاستخدم الحاكم ، سليمان باشا ، مرّة أخرى زعيم المنتفق الأعلى ، ثويني بن عبدالله بن سعدون ، الذي كان قد

---

(١) الصواب : (محمد بن عبد الوهاب بن سليمان) .

أبعده قبل وقت قصير . فأرسله برفقة الجنود الأتراك بالإضافة إلى المتطوعين من البصرة والزبير ، ومع قبائل بني خالد والظفير والمنتفق تقدم ثويني باتجاه الحسا في أواخر سنة ١٧٩٦ ، فأقام مخيماً في الجهرا ، وأحضرت المدافع إلى القطيف عن طريق البحر . ولم يكن ابن سعود مستعداً ، على كل حال ، بأن يُسلِّمَ الحسا وموانئها العديدة بدون قتال. فأمر قبائل مطير وسُبيع والعُجمان وقحطان والسُّهُول أن تختار منازلها الشتوية في منطقة بني خالد ، وذلك في الحسا ، وبهذه الطريقة يؤمنون له مواقع المياه المختلفة وتزويده بالمؤن المخزونة . واتجهت سرية قوية من قواته بقيادة محمد ابن معيقل على الطريق من النّباج باتجاه الجهرا ، بينما تقدمت قواته بقيادة ابنه سعود باتجاه الشمال عبر روضة التّنهات إلى الدهنا ، فوصلت حَفَرَ العتك ، وانضمت إلى ابن معيقل عند أُمّ رُبيعة . وكان هدف سعود قطع خط الرجعة على ثويني ، الذي كان يتقدّم إلى الجنوب من خلال منطقة الشاطىء المفلوحة . ومع ذلك ، لم يحدث أي قتال ، إذ أن ثويني قد اغتيل على يدي أحد العبيد في مستهل سنة ١٧٩٧ ، وتفرقت القوات المتجمعة التي لم تكن تثق بأخيه وخليفته ، ناصر تفرقت بسرعة ، وقد انضم بعضها إلى ابن سعود فلاحق الهاربين حتى ضواحي البصرة ، وبعدئذ واصل سيره على ضفة الفرات اليمنى ، ينهب ويدمّر القرى المختلفة . وعاد من جوار السّماوة ، مِحضِراً معه الغنائم الوفيرة آمناً ، وخَيّم مع قسمٍ من قواته في الوَقْبى ، لأنه قيل له بأن القبائل المنهوبة كانت تلاحقه . وعندما لم يحدث شيء ، هاجم مرة أخرى منازل البدو في صويه (؟) على مقربة من الفرات وسلبهم الواحد بعد الآخر حتى وصل طريق الحج المتجهة من العراق . ومن ثم عاد .

لم يتنازل سليمان باشا عن هدفه من تهديد سلطة ابن سعود في الحسا ، للقضاء عليها . لذلك قام بتجهيز جيش جديد وبعث به في سنة ١٧٩٨ بقيادة القائد علي التركي بطريق الحسا البّري . فانضم إليه سكان المدن الساحلية ، كما انضم سكان المبرّز والهفوف ، إلى الجيش التركي ، ولكن حامية ابن سعود ، التي كانت قد حضرت من منطقة الخرج ، دافعت عن القلاع القوية في المُبَرَّز والهفوف معاً ، وفَشِلَ علي

في الاستيلاء عليهما . وعندما بدأت قواته تقاسي من قلّة الذخائر والمؤن وتسلّم هو نفسه الهدايا الثمينة من وسطاء ابن سعوب ، وغادر الحسا دون أن يحقق شيئاً .

تزايد سلطان ابن سعود الآن أكثر فأكثر . وعند ورود أنباء هذا الانتصار ، تقدم غالب ، شريف مكة بعرض للصلح على ابن سعود ، وسمح في دخول القوافل التي كانت تمرّ عبر أراضيه إلى مكة ، وكان مستعدّاً أيضاً أن يعترف بالوهابيين بأنهم مؤمنون حقّاً . لقد اضطر الشريف العظيم أن يفعل ذلك ، لأن ابن سعود كان قد سيطر على جميع طرق الحج (باستثناء طريق جدّة إلى مكة) ولذلك كان ازدهار المدينة متوقفاً عليه .

رافق سعود ابن أمير الدّرعيّة ، أوّل قافلة حجاج كبيرة إلى مكة والمدينة ، وأخرى في سنة ١٨٠٠ .

وكانت أول قافلة كبيرة من الحجاج الفارسيين تسير تحت حماية مقاتلي ابن سعود ، وقد هوجمت ونهبت من قِبل رعايا حاكم بغداد وهي في طريق العودة . وعلى هذا تولّى سعود مع الوهابيين القيام بغارات ضد القرى الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات السفلي ، واستولى على (كربلاء) المدينة الشيعية المقدسة ، في العشرين من نيسان سنة ١٨٠١ ، ونهب الكنوز التي كانت قد تجمّعت على مر العصور عند مقام الحسين ، وقسم مغانمه العظيمة عند قلعة القرامطة (الأخيضر) وبعد أن قام بنهب القرى الواقعة بين النّجف والزُّبير ، عاد إلى الدِّرعيّة بطريق الحج المتجهة من البصرة . وفي نهاية فصل الخريف من السنّة نفسها أجبرت قواته المدن الساحلية الواقعة بين العُقَيْر ورأس الخيمة بالإضافة إلى مناطق عُمان وعسير النائية على دفع الزكاة .

سعود بن عبدالعزيز بن سعود[1]، ١٨٠٣-١٨١٤ : **ارتفاع سلطان الوهابيّة** : قتل الأمير عبدالعزيز، في نفس الوقت، في جامع الطُّريف في الدرّعيّة على يدي أحد الشيعيين، في ٤ تشرين الثاني، سنة ١٨٠٣ ، وتولّى ابنه سعود، الذي كان قد قاد الجيوش سنواتٍ عديدة، تولّى الحُكم ووكل قيادة السرايا إلى أكبر أبنائه عبدالله الذي أخضع

(١) الصواب : سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود .

القبائل إلى الشمال من مكة خلال فترة قصيرة، بالإضافة إلى واحة خيبر، وقام بمضايقة حدود عُمان.

وفي خريف سنة ١٨٠٤ ، سافر السيد سلطان سيد مسقط وعمان ، إلى البصرة ليتحالف مع الحكومة التركيّة ضد مُضطهده ، ابن سعود ، وقد جرت المفاوضات بينه وبين ممثّلي حاكم بغداد في قرية (كتّابدة) الصغيرة . فاعترف إمام سلطان بسيادة الحكومة التركية ، فوعدته بتقديم مساعدة حيوية له مقابل ذلك . وبهذا الإتفاق كان النفوذ التركي سيمتد إلى جميع ممتلكات الإمام في الجزيرة العربية وبلاد الفرس وشرقي أفريقيا . لم يكن ذلك بالتأكيد يخدم مصالح بريطانيا العُظمى ، التي كانت تعمل بقوة في الخليج . وأثناء عودته إلى الوطن هوجم من قِبل القراصنة وقُتِل . وأصبح خليفته ، بدر ، على وئامٍ مع الأمير ابن سعود بعد ذلك .

وطبقاً للإتفاق المعقود مع سيد مسقط ، جهزت الحكومة التركية في أواخر سنة ١٨٠٤ قوة من العراق موجهة ضد ابن سعود . فقامت إحدى الكتائب بمحاصرة قصر السّيّد (الرحبة القديمة) الذي كان يحتله الوهابيون ، ولكن عند انتشار نبإ مقتل سلطان وتقدم قوة وهابية كبيرة ، عاد الأتراك إلى بغداد ، ثم وصل الوهابيون إلى البصرة بطريق الحج ، وهاجموا منازل زعيم المنتفق الأعلى ، حمود ابن ثامر ابن سعدون ، فدمّروا قرية (الدّريهميّة) بالقرب من الزُّبير ، ونهبوا سكان ضفة نهر الفرات اليمنى حتى وصلوا (هيت) ثم عادوا مع ذالك الطريق .

ظهرت في نفس السنة سرايا الوهابيين على حدود سورية ، فنهبت المناطق المجاورة لمدينة حَلَب ، وأجبرت أولاً جميع قبائل البدو في شمالي الجزيرة العربية ، وفي ربيع سنة ١٨٠٨ أخضعت جميع القرى الواقعة بمحاذاة طريق الحج السورية من معان إلى حلب ، لدفع ضريبة الزكاة .

وفي شهر نيسان ، سنة ١٨٠٦ ، ظهر فجأة عبدالله ابن الأمير ، أمام النّجف ، ثاني مدينة مقدسة لدى الشيعيين ؛ وتسلق بعض مقاتليه الجدران العالية ولكنهم صُدّو . فقاموا بمهاجمة السّماوة والزبير ثم عادوا إلى وطنهم عن طريق الحج المتجهة من البصرة .

حتى القرى الواقعة في وسط الفرات قاست من آثار تلك الغارات ، وفي شهر تموز ، سنة ١٨٠٧ ، هوجمت هيت وعانة وأماكن أخرى ونُهبت ، وبعد عبور نهر الفرات نهبت بيوت البدو (الشواية) رعاة الغنم الواقعة عند نهر الخابور .

وفي ربيع سنة ١٨٠٨ ظهر الوهابيون بقرب البصرة ، فحاصروا الهندية ، وعين السيد ، وأجبروا واحة (شفاثة) أو (شِثاثا) الكبيرة على الإستسلام ، وعينوا واحداً منهم زعيماً . ولكن بُعَيد رجوعهم استولت القوات تراكية المرابطة في كربلاء على قرية (شِفاثة) وأمرت بقطع رؤوس كثيرين من أتباع ابن سعود .

وفي نهاية سنة ١٨٠٨ تقدّم ابن سعود مرة أخرى غازياً العراق . وقد اتّبع هذه المرّة طريق الحج المتجهة إلى الكوفة ، حيث كان قد صمم على معاقبة القبائل التي كانت تخيم في ضواحي محطّة (زبالة) و (الجُميمة) التي خضعت لحاكم بغداد . فقام بتشريدهم ، ثم ترك طريق الحج ، وظهر عند كربلاء ، ونهب (شفاثة) والسّماوة ، والمناطق المجاورة لسوق الشيوخ والبصرة . وفي مستهل شهر تموز سنة ١٨١٠ ، ظهر الوهابيون الذين كانوا قد عبروا الجوف ووادي السِّرْحان أمام (المزيريب) ونهبوا حوران والبلقاء (أرض مؤاب في التوراة) .

كانت الأهداف الرئيسية لابن سعود خلال هذا الوقت موجهة باتجاه الجنوب الغربي للجزيرة العربية . وكانت التعاليم الجديدة قد وجدت أنصاراً كثيرين في اليمن وعسير حتى في المدن الرئيسية للشاطىء الجنوبي ، مثل المُكلاّ ، الذين كانوا يُجهزون في كل مكان الزكاة إلى زعيمهم الروحي والزمني ، الإمام ابن سعود . وقد استغل هو كل مناسبة لكي يُخضِعَ مناطق أخرى ، وأن يُجبرها على الإعتراف بسيادته . وفي سنة ١٨١٠ سيطر على منطقة عسير ، الجزء الشمالي من اليمن ، والنصف الغربي لعمان بأكمله تقريباً ، وبعد فترة قليلة أُجْبر غالبٌ شريف مكة العظيم على الإعتراف بسيادته بشكل رسمي .

إخضاع الحجاز : الوهابيون في أوج قوتهم : لم تكن الأسباب الأولى التي أغرت الشريف غالباً على بدء صراعه الحاسم مع الوهابيين دينيّة بل كانت سياسية . وعلى

قول علماء الدين ، الذي كانوا ، إلى درجة ما ، يمثلون الرأي العام في المجتمعات المحمديّة ، فإن المسلم لم يكن مؤهلاً بنفسه لتفسير القرآن والمعتقدات الدينيّة برأيه ، بل كان يجب عليه أن يتّبع الأصول والقواعد التي وضعها أحد علماء المذاهب الأربعة . كان أصحاب كل مذهب يقلدون إمامهم ، ولكنهم أيضاً كانوا بين وقت وآخر قد يأخذون في فهم بعض النصوص الدينية بعض الأفكار الجديدة المختلفة، التي تصبح فيما بعد عميقة الجذور في تقاليد الأسلام . وبحكم مرْكزهم قد يتجه بعضهم في البدء إلى معارضة إدخال أية أفكار جديدة ؛ ولكن عندما يزداد عدد أتباعها فقد يجبر الرأي العام المتدينين على الاعتراف بقبول هذه التغييرات ، وأن يعلنوا صحتها ، وأن يؤيدوها بمقدار ما يفهمون من نصوص القرآن أو الآثار الدينية ، ولهذا فلا القرآن ولا النصوص الدينية تجيز إشراك الأنبياء ، في العبادة ، ولا تتيح الأنغماس في الترف ، وبالرغم من ذلك ، كانت تلك الأمور قد وَلَجَت داخل العالم الأسلامي . ولقد عارض العلماء هذا زمناً طويلاً ، ولكن في النهاية وجد من بينهم من يجيزها ، ويخضع النصوص الدينية لجعل تلك الأمور مقبولة شرعاً ، وكان أقوى وأطول اعتراض على ما أدخل في الإسلام من بدع جاء عن طريق مدرسة الفقه الرابعة، وهي مدرسة ابن حنبل، التي كان لها أتباعها حتى في مكة . بعض الآراء في سذاجة الإسلام القديمة المتمسّكة بأهداب الفضيلة وكان ابن تيمية (١٢٦٣ـ ١٣٢٨) وهو حنبلي المذهب ، اكتسب شهرة بمعارضة إدخال أية بدعة في العبادة ، وكانت آراؤه تجد القبول في العالم الأسلامي الواسع . وقد تأثر محمد بن عبد الوهاب بابن تيمية ، فكان حلقة الوصل بينه وبين ابن حنبل ، ولهذا قرر علماء الحنابلة بأن مذهب الوهابيين من المذاهب الإسلامية التي ينبغي قبولها ، وهذا ماحدث أخيراً في مكة .

كان الشريف غالب على معرفة بصلة العقيدة الوهابية بتعاليم ابن تيمية ولذلك فضَّل أن لا يُبدي اهتماماً كبيراً بالناحية الدينية ، بل فَضَّل أن يقوي الضغط ، على آثارها السياسية وكان ابن سعود يتصرّف بصفته مدافعاً عن العقيدة الوهابيّة ، التي كان أتباعها يرغبون في تَوَلّي المدينتين المقدستين وتطهيرهما . كان الشريف العظيم

يعتبر نفسه حامي المُدُن المقدسة مع كامل منطقة الحجاز ولا يوجد لديه أي تفكيرٍ في التنازل لابن سعود . وكان المسلمون يقومون بالحج وبزيارة المدينة ، ومن بينهم من يقدس القبور ، ولهذا كان الوهابيون يحولون دون تقديسها وهدم ما بني فوقها ، وهذا يقلل عدد زوار المدينة ويوقع خسارة لسكانها ، بالإضافة إلى سدنة تلك القبور المقدسة ، وأسباب معيشتهم وكانت تأتي من الحجاج ومن الهدايا الثمينة التي كانوا يأتون بها معهم ، وهي مما مكن سكان مكّة والمدينة من العيش في بحبوحة . وقد اعتاد بعض هؤلاء السُّكان لبس الملابس الجميلة والحلى الكثيرة ، وإقامة الحفلات البهيجة وعلى تدخين (التبغ) وهم يشربون لا القهوة فقط بل المشروبات المُسكِرة . وقد صمم الوهابيون على تطهير المدن المُقدَّسة من كل هذا وترويض سكانها على حياة العِفّة والبساطة . وبقبول سكان مكّة والمدينة إرشاد الوهابيين سيخسرون دخلهم ومركزهم بين الحجاج ، وهذا ما حملهم على الاستعداد للحرب .

ولم تكن الحرب مع الوهابية سهلة . ولم يكن الحضر والبدو الذين في الحجاز خارج المدن المقدّسة ينالون أيّة فائدة من سادة مكّة والمدينة ولم يكن في إمكانهم أن يفهموا لماذا ينتظر منهم أن يسفكوا دماؤهم وأن يضحّوا بأموالهم لأجلهم . وطالما أنهم يعتبرون سيدهم ، شريف مكة غالباً ، أقوى من ابن سعود ، فهم موافقون على الاشتراك في حملات عسكرية ضد الوهابيين ؛ ولكن بعد أن أصبحوا متيقنين من عدم مقدرة الشريف على الصمود بدأوا في اعتناق العقيدة الوهابيّة وأن يعترفوا بسيادة ابن سعود . خسر غالب الواحات واحة بعد أخرى ، وتبعت القبيلة خطوات القبيلة أخرى في التخلّي عنه . وعند رؤية تقهقهر نفوذه ، طلب الشريف العظيم المساعدة من وراء الحجاز ولكنه لم يجدها لا في سورية ولا العراق ، ولا في القسطنطينية عاصمة سلطان الأتراك ، الذي حمل لقب شَرَف (حامي الحرمين الشريفين) فعرف غالب على الفور أنه يجب أن يعتمد على نفسه وتصرف تبعاً لذلك . وعندما ذهب صهره ، عثمان المضايفي ، الذي كانت وظيفته الدفاع عن بلدة الطايف . إلى (الوهابيين) وعُين في شباط ، ١٨٠٣ ، من قِبَلِ ابن سعود حاكماً لهذه المدينة ، أدرك غالب دنوَّ موعد اتخاذ القرار ، فتوجّه إلى ميناء جدّة ووكل مهمة

المفاوضات مع الوهابيين لأخيه عبد المعين . وقد عرض ممثلوه تسليم مكّة لابن سعود ، وعندما دخلت طليعة جيشه المدينة ، في نهاية شهر نيسان ، ١٨٠٣ ، قام السكان بمساعدة الوهابيين في تدمير القبور المقدسة وتقبلوا على الفور العقائد التي كانوا قد سخروا بها سنوات كثيرة . ولكن لم تدم النية الحسنة فيما بين سكان مكة وسادتهم الجديدين طويلاً . فقام سعود ، ابن الأمير عبد العزيز ، الذي كان قائداً غزوات الجيش في الحجاز بعددٍ من الغارات على جدَّة . وبعد أن صُدَّ ووقع لديه كثير من الإصابات ، عين ممثلاً في الحجاز وعاد إلى والده في الدّرعيّة . وأثناء غيابه توصل غالب الشريف العظيم إلى عقد اتفاق مع بعض الأصدقاء في مكة ، وظهر عند المدينة ، بمساعدة السكان تمكّن من طرد الحامية الوهابيّة في مُستَهل تموز ، وأغار على صهره ، عُثمان المضايفي في الطايف وحامية الوهابيين في عسير معاً ، وعلى الأخص في موانىء القُنفذة وحلي وكانت معظم الغارات ناجحة ، وعندما اغتيل الملك عبد العزيز في مستهل فصل شتاء ، ١٨٠٣ ، ابتهج غالب بانتهاء خطر الوهابيين . ولكنه كان على خطأ .

بَقِيَ عُثمان المضايفي ، صهر غالب ، أميناً في إخلاصه لابن سعود ، وحاول كسب أتباع جددين له ، ليس من بين سلالة الشّريف ، أو المُتحدِّرين من الحسن بن علي فقط — إنما أيضاً من بين زعماء قبيلة حرب ذات القوّة الكبيرة . وبمساعدتهما نَشَر تعاليم الوهابيين بطريقة جعلت منه في سنة ١٨٠٤ سيد ينبع ، التي كانت تعتمد المدينة عليها .

حافظ غالب على جدَّة ولكنه لم يكن قادراً من هناك على تزويد سكان المدينة البعيدين عنه بما يحتاجون إليه . ولكي يحول دون ذهابها من نفوذه بعث بِرُسُلٍ كثيرين إلى حاكم دمشق يطلب منه مهاجمة الوهابيين من الشمال وتأمين المدينة ، ولكن الحاكم ماطل ، حتى نهاية سنة ١٨٠٤ حيث اضطرّت المدينة لفتح أبوابها لممثل الأمير سعود ، إمام الوهابيين .

وفي مستهل آب ، ١٨٠٥ ، حاصَرَ وهّابيُّو الحجاز ، بعد أن عززّهم بعض القوات من نجد حاصروا غالباً في مكّة وقطعوا اتصالاته بجدَّة ، فحاول الوصول

إلى اتفاق مع ابن سعود ولكنه لم يكن موضع ثقة لقد تذكّر الوهابيون خيانة سنة ١٨٠٣ وهددوا المدينة المحاصرة بالانتقام ، فقاوم غالب العدو بكل ما يملك من قوة ، ولكن المقاومة أصبحت تزداد صعوبة ، إذ أن أتباع غالب بدأوا في التّخلي عنه ، وعلى الأخص عندما انتشر الجوع والأمراض المعدية ، وفي شباط ، ١٨٠٦ ، استسلمت مكة للوهابيين ، الذين ظلّوا بضعة أيامٍ ينهبون المدينة ، التي حاولت أن تتمرّد . وفيما بعد أعاد الأمير سعود النّظام وعَهِدَ بالحكومة إلى غالب ، الذي سلّمه جدّة واعترف بسيادته .

وفي الحجاز كانت تعاليم الوهابيين قد فُرِضَت على السكان والحجّاج معاً . وكانت الأضرحة المقدسة قد دُمِّرَت أو أغلقت ، وأُوقف الحج إليها ، ومُنِعَ ارتداء الحلي الذهبية ، والفضّية ، والملابس الحريرية ، وأُسكِتت الموسيقى ، وحُرِّم تعاطي التبغ والقهوة[1] معاً . وقد مُنِعَت المحامل ، التي كانت تصل من مصر وسورية كل سنة برفقة جماعة من الموسيقيين ، من الدخول خوفاً من تعريض الحجّاج للوثنيّة وتذكير السكّان بسيادة السّلطان في القسطنطينية . لم يعد سلطان القسطنطينية بعد اليوم سَيّداً لمكة والمدينة ولكنه ابن سعود ، الذي استحق أن يلقّب بخادم (أو حامِي) المدينتين المقدّستين مكة والمدينة ، (خادم الحرمين) ، وبالإمكان ، تبعاً لذلك أن يُعتبر زعيماً للمسلمين ، وبما أن الاستيلاء الشرعي على هذه المدن والقدرة على حمايتها كان من أولى الشروط التي يجب أن تُبنى عليها المطالبة بلَقَب الخليفة ، أو خليفة محمد (صلى الله عليه وسلم) حقيقة أنه لا الأمير سعود ولا والده ولا جدّه كانوا يتطلعون إلى هذه المنزلة ، ولكن معارضيهم أتّهموهم بالرغبة بها وأكّدوا أن ابن سعود ، إمام الوهابيين ، كان يرغب في أن يصبح خليفة العالم الإسلامي بأسره لكي ينشر العقيدة الوهابيّة ، وكانت هذه الاتّهامات مع غارات الوهابيين داخل العراق وسورية وانتشار تعاليمهم ضد جميع الأفكار الجديدة في الأسلام ، كل هذه أدخلت الخوف في قلوب السنيين والشيعة سواء . فألح ممثلو

---

(١) لم تمنع القهوة ولم يقل أحد من علماء الدعوة الإصلاحية بحرمتها .

الطوائف على السلطان ليُخلّص المدن المقدسة من (الكفرة) وأن يجعل الطُّرق المؤدية إلى الحجاز مأمونة . لم يكن السلطان يفكّر في بدء حرب ضد ابن سعود ، آخذاً في الإعتبار تجارب حكّام العراق وسورية المحزنة في حملاتهم ضد الوهابيين مع خوفه من نفقاتها الباهظة . وكان محمد علي حاكمه في مصر مع ذلك ، يرغب في طرد الوهابيين خارجاً من الحجاز والقضاء على قوّتهم ؛ ولكن السلطان لم يكن يثق به ثقة تامة ، ومضى وقت طويل قبل أن يبدي موافقته على حملة محمد علي المقترحة .

وكان أمير الدرعية يقف الآن في أوج قوّته . وما لم يصل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أو أي واحدٍ من خلفـــائه إلى تحقيقه ، وهو السيطرة على كامل شبه الجزيرة العربية ليس بالاسم فقط بل حقيقة واقعة ، حققه أمين الدّرعية النشيط . فكان يبلغ طول (امبراطوريته) أكثر من ألفين وخمسماية كيل من الشمال إلى الجنوب وأكثر من ألف وخمسماية في العرض (أمبراطورية) أقيمت بمجهود عظيم ولا يصونها غير مجهودٍ أعظم . كان مؤيّدو البيت الحاكم المنهزم يتلهفون على استعادة قوّتهم السابقة ، وكان البدو من القبائل العظيمة على استعدادٍ للتّخلي عن عَلَم ابن سعود في اللحظة التي يعد فيها صاحب عَلَمٌ آخر بمغانم أفضل ، وكان من المستحيل على ابن سعود السّيطرة على مناطق الجزيرة العربيّة المتعددة بهذا الأسلوب فلم تكن لديه قوات كافية يعتمد عليها للحماية ، ولذلك اضطر أن يمنح الحكم الذاتي للواحات الكبيرة المختلفة ، وهو الوضع الذي ألهب شوق العرب الفطري لأجل الإستقلال . ولكن طعنة من الخارج ، سُدِّدت بقوة كافية ، وعُزِّزَت بأقوالٍ مُقتَصدة وهدايا ثمينة ، كانت المُتَسَبِّبَة في سقوط (امبراطورية) ابن سعود الجبّارة بعد حين .

إن هذه الطّعنة كان قد سددها حاكم مصر محمد علي . إنذ أنه في خريف سنة ١٨١١ انطلق ثمانمئة من الفرسان الأتراك ، يساندهم المتطوعون من قبيلة الحويطات ، من السويس بطريق البر عن طريق العَقَبَة وعلى محاذاة الشاطىء الشرقي للبحر الأحمر حتى وصلوا ينبع . استولوا على هذا الميناء في منتصف تشرين الأول

بمساعدة جنود المشاة الذين كانوا قد أرسلوا بطريق البحر تحت قيادة طوسون بن محمد علي ، ثم واصلوا سيرهم . وكانت الإمدادات المتواصلة تأتي من مصر وهكذا تم طرد الوهابيين خطوة فخطوة خارج المدينة (تشرين الثاني ، ١٨١٢) ومكة (كانون الثاني ، ١٨١٣) والأماكن الأخرى في المنطقة الساحلية ، وتم احتلال جميع الطّرق الهامة داخل الجزيرة العربية .

عبدالله بن سعود (١٨١٤–١٨١٨) : الإحتلال المصري : توفي الأمير سعود في اليوم الأول من أيار ، ١٨١٤ ، وكان لدى ابنه وخليفته ، عبدالله مهمة صعبة . كان المصريون يطردون أتباعه من الشاطىء الغربي بأكمله ، وكانت القوات السورية تحتل جميع الأماكن التي كان يسيطر عليها عند الحدود السوريّة ، وكان حاكم بغداد يؤازر جميع القبائل التي كانت تضايق الوهابيين إلى الشرق . وقد تَخَوَّف عبدالله من قيام أعدائه بمهاجمته في قلب مملكته . وليتفادى هذا الخطر أرسل أخاه (فيصلاً) على رأس قوات كبيرة قوية ضد أكثر أعدائه خطراً ، وهم المصريون ، فنجح فيصل في البدء في كسب بعض الانتصارات ولكنه مُني بهزيمة تامة في مستهل سنة ١٨١٥ في (بِسِل) على مقربة من واحة تربة ، وتشتتت قوّاته ، وقد استعدّ طوسون ، القائد التركي المصري في المدينة لبدء حملة داخل قلب الجزيرة العربية .

ولقد عمل عملاؤه بنجاح لأجله وبمساعدة الذهب المصري في قرى القصيم المختلفة حتى أنه تَمَكّن خلال فترة قصيرة من الإستيلاء على مدينة الرّسّ القوية ، كان حضر بعض الأماكن الأخرى قد انضموا إليه أيضاً ، وفي شهر نيسان ، ١٨١٥ بدا وكأن طوسون سوف يُخضِعُ القصيم . ولكن الأمير عبدالله استدعى أتباعه المخلصين من الحسا ، وعُمان ، ووادي الدّواسر ، فوحّدهم مع قواته الخاصة ، وعاقب الكتائب المختلفة التي كانت ترغب الذهّاب إلى المصريين ، واحتل مُخَيّماً يقع فيما بين قرى المذنب وعنيزة ، وكان طوسون صمم على مهاجمته . ولما لم يصل إلى طوسون أيّة إمدادات ، ولا مؤن ، ولا ذخائر اضطرَّ إلى التراجع إلى الرّسّ فقام عبدالله في تَعقُّبه ومضايقة قوّته المُنسَحِبَة من الحِجْناوي .

وبعد بضعة أسابيع أدرك طوسون ضرورة عرض صُلحٍ على عبدالله ، وكان

هذا كريماً إلى درجة عدم فرض شروط قاسية . وكان على طوسون وقواته مغادرة داخل الجزيرة العربية ، والسماح لرعايا ابن سعود في المرور بحرية خلال الأراضي التي تحتلها القوات المصريّة . وفي منتصف سنة ١٨١٥ عاد طوسون حَيّاً من الدّاخل إلى المدينة ، لم يكن قد حدث هذا لو أن الأمير عبدالله كان قد استعد للقضاء عليه . ولكنه بعد أن عاقب جميع القرى التي أثبتت عدم إخلاصها له ، وثق أنه قد أنقذ استقلاله .

رَفَضَ محمد علي في نفس الوقت قبول الصلح المعقود من قِبَل ابنه، طوسون، وَجَهّزَ حملة جديدة إلى داخل الجزيرة العربية، وأسند إلى ابنه الآخر إبراهيم باشا قيادتها. وفي مستهل كانون الأول سنة ١٨١٦ . احتل إبراهيم موقع آبار الحناكية المهم وأجبر قبائل عتيبة وبعض عنزة عن طريق التهديد والرّشوة على أن تتبعه . كما وعد الزعيم فيصل ابن وطبان الدويش من قبيلة مطير القوية بتعيينه خليفة لابن سعود، وقد حَثّ فيصل قبيلة مطير على إعلان العصيان ضد ابن سعود. كما أن قبيلة شمَرّ أيضاً مع أكثر قبيلة حرب التي كانت تنزل في جبال (أبانين) وكانت قد نهبت فانضمت إلى القوات التركية المصرية.

واجه عبدالله بن سعود الجيش التركي – المصري عند آبار (الماويّة) ولكن مقاتليه من البدو لم يتمكّنوا من الصّمود في وجه مدافع الأعداء ؛ كما أن الحضر تضعضعوا أيضاً واضطروا إلى التراجع إلى عنيزة ، فتبعه ابراهيم وحاول احتلال الرّسّ ولكنه خسر أفضل مقاتليه في محاولات غير مهيأة لاحتلال المكان بهجوم كاسح فاضطر أن يشرع في حصارٍ طويل الأمد . وقد قام الوهابيون ، بقيادة فيصل ، شقيق الأمير عبدالله ، بمضايقة قواته وتشويش خطوط اتصالاته مع مصر بين وقت وآخر ، ومع ذلك فلم يجرؤوا على مساندة المدينة المحاصرة عن طريق هجوم مكشوف. حاصر ابراهيم باشا الرّسّ قرابة أربعة أشهرٍ حتى استسلم السكان في أواخر تشرين الأول ، ١٨١٧ .

تراجع الأمير ابن سعود إلى بريدة ، بينما اضطرّت عنيزة لفتح أبوابها امام ابراهيم باشا بعد ستة أيام ، نتيجة لتفجّر مستودعات الذخيرة هناك . صرف ابن سعود الآن معظم قوّاته من الخدمة وأسرع إلى الدّرعية . وأما بريدة فقد سقطت بعد

ثلاثة أيام ، فأصبحت منطقة القصيم تابعة لابراهيم . وحتى لا يضعف قوّاته فإنه لم يترك أية حاميات في القرى بل أخذ معه من كل واحدة منها بعض مشاهير السكان رهائن . وتقدم من بريدة إلى المذنب ثم إلى بلدة شقراء العظيمة ، التي أُجبرتْ على الاستسلام بعد حوالي الشهر ، في منتصف كانون الثاني ، ١٨١٨ . كما اقتدت بها الواحات الأخرى ، وأصبح سلطان ابن سعود على طريق الزّوال . استعدّت قلعة ضَرُمَا القوية ، القريبة من العاصمة ، الدّرعيّة للمقاومة ، ولكن هذا الموقع قد حوصر ، وسقط بعد قتالٍ عنيف في أواخر شباط ، وتم تدميره .

وفي نهاية شهر آذار ضاعفت القوات المصرية وحليفاتها من إمداداتها ، وتقدمت من الدّرعية ، وكانت محميّة بعددٍ من القلاع والتحصينات المتقدّمة ، بالأضافة إلى الجدران القوية المحيطة بها . فاضطرّ ابراهيم لمحاصرة القلاع المتفرّقة في البدء قبل أن يتمكن من توجيه مدفعيّته ضد الجدار الخارجي . وقد قام الأمير عبدالله وأخوه فيصل بإدارة أعمال الدفاع ، بينما أشرف بقية أفراد البيت الحاكم الراشدين على المواقع الأخرى المختلفة المُهِمّة . وكان وضع المُحاصرين صعباً للغاية بضعة أيام خصوصاً في ٢١ حزيران ، عندما تفجر جميع المخزون من الذخيرة ، وضغط الوهابيون عليهم من جميع الجهات . ولكن ، إدارة ابراهيم الحديدية وعبقريته التنظيمية اللامعة ، حملتاه على استمرار قواته في المقاومة حتى وصلته ذخائر وقوّات جديدة . وعندما تمكنت قواته من إحداث فجوة في الحائط الخارجي في منتصف شهر آب ، هرب كثير من مؤيّدي الأمير ، واستسلم بعض سكّان الدّرعيّة لابراهيم . ومع ذلك فإن الأمير عبدالله واصل المقاومة مع أتباعه المخلصين ولم يكن يسيطر في النهاية إلاّ على مسجد الطّريف ، ولم يستسلم إلا عندما لم يعد لديه شيء من الذخيرة .

وفي التاسع من أيلول ، سنة ١٨١٨ ، تمكّن ابراهيم من الدخول إلى الدّرعية دخول المُنتصر ، بعد أن فقد الآلاف من أفضل قواته قبل دخول هذه المدينة ، ولكن كان مركز تحركات الوهابيين في أيدي القوات التركية ـ المصرية ، وأما عبدالله ، ابن الأمير سعود ، الذي حاول تجريد السلطان من الخلافة ، فسيذهب

أسيراً الآن إلى السلطان التركيّ وأن يعلم مصيره من بين شفتي هذا السلطان . كان مصيره الموت فقد قُطع رأسه في القسطنطينية في منتصف شهر كانون الأول ، سنة ١٨١٨ .

الحكم التركي– المصري ، ١٨١٨–١٨٤٠ : إجتازت كتائب متعددة من القوات التركية المناطق المجاورة بدون أن تقابل أية مقاومة تُذكر . وكان أفراد أسرة بيت ابن سعود الحاكم الذين نجوا بأنفسهم عن طريق الهرب قد التجأوا إلى القبائل المختلفة في البادية ، وقاموا بمضايقة المنتصرين عند قيامهم برحلاتهم الإستطلاعية ، ولكنهم لم يجرؤوا على مهاجمة أية بلدة . كان الأتراك يحتلون منطقة الحسا بأكملها الآن وقد وضعوا الحاميات في القطيف والهفوف ، وقد أثاروا بذلك شكوك البريطانيين .

بَقيَ إبراهيم نفسه في الدّرعيّة . وقد وطن نفسه في البدء على اعتدال كبير ، ولكن بعد مُضيّ بعض الوقت أمر باعتقال جميع أفراد البيت الحاكم اللذين كانوا قد بقوا في القرى المحتلّة أو عادوا إليها وأرسلهم مسجونين إلى مصر ، بينما استولى على جميع ممتلكاتهم لنفسه . وفي أواخر شهر أيار ، سنة ١٨١٩ ، وبناء على أوامره هُدمت تحصينات الدّرعية وقُطعَت أشجار النّخيل ، وأُحْرِقَت جميع المساكن . وفي أواخر تموز رَحَل إلى القصيم ومن هناك ذهب في نهاية شهر آب إلى المدينة .

وبعد وقتٍ قصير ، وفي الثالث عشر من آب ، سنة ١٨١٩ ، وصل الضابط ج. ف. سدلير (G. F. Sadlier) إلى الدرعيّة للأطلاع على نيات الحكومة التركية ولكيّ يقنعهم بعدم التقدم أبعد من ذلك في اتجاه الخليج .

بعد رحيل إبراهيم آزرت الحامية التركية محمد بن مشاري بن معمر ، أحد سلالة بيت ابن مُعَمّر الحاكم ، الذي كان قد أُبعد فيما مضى عن الحكم من قِبَلِ بيت ابن سعود . وكان محمد هذا قد تزوج ابنة الأمير عبد العزيز بن سعود وكان رجلاً ذا شخصية قوية ، وقد وجد أتباعاً كثيرين بسرعة ، وعلى الأخص فيما بين السكان الهاربين من الدّرعينة ، الذين وعدهم بإعادة بناء بيوتهم . وقد عادوا ، وفي نهاية سنة ١٨١٩ كان قد تم ترميم بعض أجزاء من الدرعيّة . ومع ذلك لم يكن

محمد بن مشاري قادراً على الاحتفاظ بمنصبه طويلاً . لقد هوجِمَ في البدء من قبلِ زعيم بني خالد الأعلى ، واسمه ماجد بن عريعر . فأجبرَ على الاعتراف بسيادته . وقد ثار مؤيدون مختلفون لبيت ابن سعود ضدّ ابن معمر فيما بين الواحد تِلوَ الآخر ، وعند نهاية شهر آذار ، ١٨٢٠ ، طُرِد من الدّرعيّة من قبل مشاري بن سعود الذي كان قد عاد من مصر . ومع ذلك فقد نجح في أخذ مشاري سجيناً وسَجَنَهُ في سَدُوس وفي العُيَيْنَة فيما بعد . وفي تشرين الثاني ، من سنة ١٨٢٠ ، كان مؤيّدي محمد بن معمر قد حصلوا إمدادات من القوات التركيّة ولكن لذلك السّبب نفسه ، هجره كثير من الوطنيين والتحقوا إلى تركي بن سعود الباسل ، الذي قطع رأس محمد بن معمر في الدّرعيّة في مُستهَلّ سنة ١٨٢١ . ولم يتمكن الأتراك من إنقاذه ، إذ أن قواتهم كانت صغيرة جداً ومُشَتّتة .

في أواخر سنة ١٨٢١ ، أتى التركي القاسي ، حسين بك أبو ظاهر إلى داخل الجزيرة العربية مع التّصميم على فرض النّظام . وكقاعدة لهذه المهمّة انتقى بلدة ثرمدا الذي حصّنها بقوة . وفي هذه القلعة سَجَن كثيراً من الرهائن من مختلف القرى التي كان قد استولى عليها ، ونَهَبها ، ثم قام بتدميرها . وكانت نتيجة أعماله أن بقايا السكان الحضر انضمّوا إلى البدو وشاركوهم في مضايقة الأتراك والمصريين والحضر الذين كانوا قد شايعوهم . وأما حالة السِّلم التي كانت قد فُرِضَت في داخل الجزيرة العربيّة على مدى سنوات كثيرة فقد قُضِيَ عليها الآن ، فقطعت أشجار النخيل، وطُمرت الآبار ، والأرض التي كانت قبل فترة وجيزة مزدهرة أصبحت الآن جرداء . وفي سنة ١٨٢٢ هوجِمت قوات حسين بك عند موقع مياه حاير سُبَيْع وأبيدت بأكملها تقريباً . ولم يصمد سوى الحاميات في المدن الكبيرة .

حرب التحرير، فيصل بن تركي يُعيد سلطان آل سعود: (١٨٢١-١٨٦٥): بدأت حروب التحرير منذ الآن تحت قيادة تُركي وابنه فيصل ضد التحالف التركي-المصري . وكانت المراكز الأساسية التي يسيطر عليها الأتراك هي الرّسّ ، وعنيزة وشقرا وثرمدا والهفوف . وكانوا يضطرّون على التّخلي عن هذا الموقع الأخير بين وقتٍ وآخر بسبب صعوبة المواصلات ، وكانت الإمدادات تصل بانتظام من المدينة

على طريق الحج أثناء فصل الشتاء ، كما تُجبى الضرائب من القرى المختلفة . وأما القوات الباقية فقد حاولت تزويد نفسها بالمؤن سنة كاملة ، والقوات العائدة ، من ناحية ثانية ، تحاول إغناء نفسها بأكثر ما يمكن . وكان جمع الضّرائب مهنة الضبّاط الإداريين ولا عجب فإن السكان كانوا يتلهّفون لأجل عودة أسرة آل سعود .

تجمّع الناقمون حول تركي وابنه فيصل ، الذي أتمّ احتلال جميع الواحات النائية في وقت قصير ودافع عنهم ضد جميع محاولات الأتراك لاستعادتها . وفي أواخر سنة ١٨٢٤ نجح فيصل الباسل في طرد الأتراك وأصدقائهم من معقل الرياض .

كان الأتراك مؤيّدين لقبيلة مطير ، التي كان زعيمها الأعلى فيصل الدويش فواصلوا مضايقة القبائل والقرى التابعة لابن سعود . وكان خصمه الأول مشعان ابن مغيليث بن هذّال زعيم قبيلة العمارات من عَنَزَة . وفي ربيع سنة ١٨٢٤ ، هاجَمَ مشعان قافلة كبيرة كانت مُحملة بالملابس والذخيرة إلى قبيلة مطير من العراق ، عند موقع مياه الأجرب (؟) (لعله جراب) ونهبها بأكملها . وعندما سَمِعَ فيصل الدويش بذلك أسرع خلفَه مع قوّات مصريّة وفاجأه عند الشّماسية . فانتصرت العمارات ، ولكن الزعيم الأعلى مشعان فقد حياته .

في صيف سنة ١٨٢٥ هرب مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود من مصر وطَلَب حماية تركي خاله ، الذي قام بتعيينه حاكماً على منفوحة . وكانت قُوَّة تركي تتضاعف باستمرار . وفي مستهل سنة ١٨٢٧ وضع يده على القصيم ، وقد اضطرَّ صالح بن علي ، زعيم شمّر الأعلى ، لتقديم خدماته أثناء حملة ضِدّ بني خالد ، انتهت في سنة ١٨٣٠ بهزيمة هذا الأخير هزيمة تامة واحتلال الحسا . وأثناء هذه الحملة هرب مشاري بن عبد الرحمن من منفوحة وجدَّ بطلب حلفاء لإقامة ثورة ضد تُركي من المناطق المجاورة كلها حتى من مكّة . وعندما تبيّن فَشلَ مساعيه عاد في سنة ١٨٣٢ إلى تركي وسُجِنَ في الريّاض ، وكان تركي في ذلك الوقت يدافع عن نفسه دفاعاً رهيباً ضدَّ قوّات إسماعيل باك المصرية المُعَزَّزَة بقبيلة مطير بقيادة فيصل الدّويش ، الذي كان مُواجهاً من عَنَزة ،

عشيرة تركي . وفي معارك ربيع سنة ١٨٣٣ الكثيرة اكتسب صحن بن دريعي بن شعلان ، الزعيم الأعلى لقبيلة الرولة شهرة خاصة لنفسه .

في نفس الوقت كان إسماعيل بك يحاول أن يُوقع الخلاف فيما بين أفراد أسرة البيت الحاكم . إنتصر على مشاري بن عبد الرحمن ، الذي تَسَبَّب في مقتل الأمير تركي في مُستَهَلّ شهر أيار ، سنة ١٨٣٤ ، قرب مسجد الريّاض . وكان الأتراك قد اعترفوا بمشاري أميراً ، ولكن حُكمه لم يكن ليثبت طويلاً .

كان فيصل ، الإبن المحارب للأمير القتيل تركي في القطيف في ذلك الوقت مع جيشٍ قوي ، وعند سماعه بأنباء الثورة في الرياض ، أسرع إلى الحسا للإستعداد للإنتقام . وكان بين أكثر أتباعه إخلاصاً عبدالله بن رشيد . الذي اقترح خُطّة جريئة ، وتنفيذاً لاقتراحه ظهر فيصل في جوار الرياض في أواخر أيّار . وعاد الكثير من مقاتليه من سكان الرياض ، إلى أُسرهم بدون أن يتحرّش بهم أحد . ونجحوا في كسب مؤيدين فيصل ، وفي منتصف حزيران أدخلوا عبدالله بن رشيد مع أربعين من أتباعه داخل القلعة . وقد قام بذبح مشاري وبذلك أنقذ لفيصل ميراث والده .

وافق الجميع على قبول فيصل أميراً ، وهدد القبائل التي كانت منضمة إلى المصريين وأجبرهم ليتحالفوا ضد المصريين . وفي صيف سنة ١٨٣٦ نشبت ثورة عامّة فاضطرّت القوات المصريّة بقيادة إسماعيل بك على الإنسحاب . ولكن حاكم الجزيرة العربيّة خورشيد باشا ، قام بإرسال قوات جديدة ومعهم خالد بن سعود ، وهو شابٌ من أفراد العائلة الحاكمة ، الذي استقرّ في عنيزة في ربيع سنة ١٨٣٧ . وجَد حضر نجد أن خورشيد باشا قد عزم أن يقتدي بابراهيم باشا وأن يقضي على المقاومة بدون رحمة ؛ ولهذا السبب فقد استقبلوا مبعوثي خالد بكل سرور ، وأقسموا يمين الطاعة له . ثم طرد عبدالله بن رشيد وتم تعيين عيسى بن علي في مكانه أميراً في حايل . كما أن منطقة القصيم بأكملها قدمت الطاعة لخالد ، وفتحت أبواب الرياض طوعاً أمامه . ولم يقم سوى سكّان واحة الحوطة الذين أوقعوا هزيمة قاسية بخالد وجنوده الأتراك والمصريين . عند ذاك عاد فيصل، الذي كان قد نَشد الحماية في

الحسا ، وحاصر الرياض ، منذ مطلع شهر أيلول حتى منتصف شهر تشرين الثاني ، ومع ذلك ، فقد فشل في احتلالها ، بسبب خوف أتباعه من انتقام خورشيد وبقيامهم بالاتفاق مع خالد إزداد عدد مؤيّديه عندما حضر خورشيد باشا بنفسهِ في مَطلع سنة ١٨٣٨ إلى نجد مع قوات جديدة واتخذ عنيزة قاعدة له وقد انتصر على محمد الدويش ، خليفة فيصل الدويش ، وعلى عبدالله بن رشيد ، وكانت خطّتُه بسط النّفوذ المصري ، كما فعل ابراهيم باشا . قام فيصل بإرسال شقيقه جلوي اليه مُحَمّلاً بالهدايا الثمينة . فتقبّلَ خورشيد الهدايا ، ولكنه رفض الاعتراف بفيصل ، الذي كان يخاف من نشاطه ، ووضع (جلوي) تحت المراقبة في عنيزة . وجد جُلوي وسيلة للهرب إلى أخيه فيصل ، الذي عثر عليه في واحة الدّلم . وفي نهاية شهر تشرين الأول . سنة ١٨٣٨ ، غادر خورشيد باشا عنيزة ، وانضمّ إلى مؤيدي خالد وجميع الحلفاء الآخرين ، وقام بمحاصرة الدّلم في مطلع شهر كانون الأول ، سنة ١٨٣٨ . وكان المحاصرون غير مزودين بالمؤن بشكل واف مما اضطرّ فيصل إلى الانسحاب . وكان خورشيد على استعدادٍ بأن يكون متسامحاً ولكن تحت شرطٍ واحد وهو أن على فيصل مع أخيه جَلوي وبعض أقربائهم الرحيل إلى مصر . وافق فيصل على هذه الشروط وغادر الدّلم في السابع عشر من كانون الأول ، سنة ١٨٣٨ . عند ذلك اعْتُرِفَ بخالد أميراً ؛ ولكن حيث أن اعتماده الكلّي على خورشيد باشا قد أقصى آراء كثيرة عنه ، فبدأ الوطنيون في البحث عن أمير من الأسرة الحاكمة وقاموا بالتفاوض مع عبدالله بن ثنيّان بن سعود .

إحتل خورشيد باشا الهفوف ، وتقدم من القطيف ، وهدّدت سفنه الحربية جزر البحرين . وأمام احتجاج البريطانيين اضطرّ إلى التخلّي عن التّقدم أبعد من ذلك ، ولكنه احتفظ بالقرى التي كان قد احتلّها وصمم على إرساء الأمن والنظام في داخل الجزيرة العربية .

وفي نفس الوقت ، كانت الحاميات التركية—المصرية قد انسحبت من داخل الجزيرة العربية ، في صيف سنة ١٨٤٠ ، وبَقِيت القرى خالية . فحاولت الأسرات الحاكمة السابقة من القبائل المختلفة الآن استعادة سلطانها ، مما أدّى إلى حربٍ أهلية جديدة .

إحتل عبدالله بن ثنيان الرياض في خريف سنة ١٨٤١ . وقام عندئذٍ بجهود كبيرة وناجحة لبناء تحصينات مدينته وطرد الباقين من الجنود المصريين . ومعهم خسر خالد آخر مؤيديه وقام بالهرب عن طريق الحسا والكويت إلى القصيم ومن هناك إلى جدّة ، التي وصلها في مطلع سنة ١٨٤٢ .

ومع ذلك ، لم يتمكّن عبدالله بن ثنيّان ، من استمالة أتباع الأمير فيصل المسجون ، وعندما عاد فيصل في سنة ١٨٤٣ مع أخيه جلوي وأقربائه من مصر إلى نجد ووجد الحماية والمساعدة لدى صديقه عبدالله بن رشيد وأُعلن به أميراً في كل مكان . فسار برفقة عبدالله بن رشيد مع مقاتليه بقيادة عبيد بن رشيد ، وظهر أمام الرياض في أواخر شهر أيار لسنة ١٨٤٣ ، وفي نهاية شهر حزيران أجبر عبدالله بن ثنيّان على الاستسلام . وبعد فترة قصيرة توفي عبدالله بن ثنيان بصورة مفاجئة ؛ وقد أشيع بأنه كان قد سُمّم . وحالما أعاد فيصل فرض النظّام في الرياض والمناطق المجاورة لها ، انطلق لغزو بني خالد واحتل بصورة تدريجيّة كامل منطقة الحسا مع بلدتي الهفوف والقطيف ، والعُقَيْر . واضطرت قبائل العجمان وبني هاجر ، إلى تقديم خدماتهم له . وحتى يقضي على مقاومة سكان القصيم فقد عزَل الحكام القدماء واعتمد على مؤازرة عُقيْل ، التي كان زعيمها الأعلى ، ناصر بن عبد الرّحمن السحيمي ، قد عين بمنصب الحاكم . طلب الحكّام المعزولون المساعدة في مكة من الشريف ، محمد بن عون ، فأرسل بعض القبائل إلى القصيم . ولكن فيصلاً عرض على الشريف دفع إتاوة سنوية قدرها عشرة آلاف ريال ماريا تريزا (٤٥٠٠ دولار) فقام محمد بن عون بسحب قوّاته ، مُستبقياً لنفسه حماية بعض جماعات مطير العلويين وقبائل عتيبة الذين كانوا قد انضمّوا إليه لكونهم لم يكونوا قادرين على الصمود أمام عبدالله بن فيصل . هزم هذا الأخير الدهامشة من عَنزة قرب الطّرفية وقبيلة عتيبة الشرقية قرب موقع مياه جراب في سنة ١٨٥٠ ، وبالاشتراك مع والده فيصل تَقدَّم عن طريق أبا الدّود إلى داخل المنطقة المجاورة لواحة بريدة ، الذي كان سيّدها عبد العزيز قد اعترف بسيادة ابن سعود في سنة ١٨٥١ وكان مكرهاً على تنفيذ أوامره . وكان نفوذ فيصل قد امتدّ الآن إلى الشمال الشرقي ، الشرق ، والجنوب

إلى المدى الذي امتد به ملك ابن سعود في زمن أسلافه ، ولكنه لم يكن متوطّد الأركان بقوّة في الغرب والشّمال ، وعندما قام فيصل أو أبناؤه بحملة إلى الغرب أو الشمـــال ، كان الشريف يرفض السماح للحجّاج والقوافل التي هي من منطقة ابن سعود في الدخول إلى مكّة . وحتى يتفادى مثل هذه الضربة لرعاياه ، اضطر فيصل في أواخر سنة ١٨٥٥ إلى التّخلي عن بعض الواحات في الجزء الشرقي من منطقة القصيم وأن يعترف بزامل آل سليم سيّداً مستقلاً لمدينة عنيزة . وأصبحت بريدة مستقلة أيضاً ، ولكن مهنّا ، سيّد هذه الواحة ، كان يخاف أسرة آل عليّان المُبعدة وبقي مخلصاً لفيصل ، كما فَعَلَ طلال بن رشيد ، سيد حايل . تجدد القتال في أواخر سنة ١٨٦٢ في القصيم ، عندما أغرى الشريف زاملاً ، سيد عنيزة ، على نهب بعض قرى ابن سعود . فبعث فيصل ابنه محمداً لملاقاته ، فقام بالاشتراك مع مهنا ، سيد بريدة ، بوضع زامل في طريق الهرب وأجبروه على دفع ضريبة سنويّة .

وبما أن الأمير فيصلاً كان قد أصبح أعمى تقريباً اضطر إلى التّخلي عن الحكم الفعلي لأبنائه وكان أكبرهم ، عبدالله رجلاً شجاعاً ولكنه صارم ، وكان مرهوباً بدلاً من أن يكون محبوباً . وقد أقام في الرياض ، أو الحسا . وكان شقيقه الأصغر سعود ، مُفضّلاً لدى الشعب بسبب كَرَمِه ؛ وقد أقام في معظم الأوقات في المقاطعات الجنوبية الغربيّة ، بينما الأخ الثالث ، محمد ، حَكَمَ المقاطعات الشماليّة. وأما أصغرهم جميعاً ، عبد الرحمن ، الذي ولدَ في سنة ١٨٥٠ ، فإنه بقي إلى جانب والده .

الحرب الأهلية فيما بين أبناء فيصل (١٨٦٥ – ١٨٧٤) : عندما توفي الأمير فيصل المريض في أواخر سنة ١٨٦٥ ، اعترف بعبدالله الذي كان قد أشرف على الحكم خلال سنوات ، أميراً على وجه العموم ولكنه لم يَجد الطاعة من المناطق التي كان يحكمها شقيقه سعود . وبالتدريج نشَبَت حرب أهلية نتج عنها وقوع المناطق الشمالية في سنة ١٨٦٧ تحت سيطرة ابن رشيد .

وفي النهاية وضع سكان مناطق الرياض والخرج أنفسهم إلى جانب عبدالله بن فيصل

خوفاً من تدمير الأراضي التي كانت مزدهرة. فاضطر سعود بن فيصل إلى مغادرة منطقته وطلب الحماية والمساعدة بين قبائل العجمان، الذين كانوا في وقت من الأوقات من رعايا أسلافه، وقد اتفق راكان بن حثلين، الزعيم الأعلى للعجمان، مع ابن خليفة، سيد البحرين، ومع زعماء آل مُرَّة وانطلق نحو الهفوف، حيث كان أحمد السّديري يقيم في ذلك الوقت ممثّلاً للأمير عبدالله. وبمساعدة أخيه الأصغر محمد جَمّع الأمير المقاتلين في بلاده الواسعة، ولكن لم يحضر سوى القليل مما اضطرّه إلى الأسراع إلى الهفوف مع قوات ضغيفة فقط. صمد الحاكم الممثّل له في القلعة بضعة أسابيع ولكنه اضطرّ إلى الاستسلام عندما هدد الأعداء بتخريب البساتين.

علم عبدالله عن سقوط المدينة عندما كان في منتصف الطريق بين الرياض وبين الهفوف، وصمم على الإنتقام، فقسم مقاتليه إلى عدد من السرايا وأمرهم بالإسراع إلى موقع مياه جُوْدَة، حيث كانت ترابط قوات الأعداء الكبيرة، على أن يصلوا إلى المكان المحدّد في ليلة معينة، وأن ينضمّوا إليه مرة أخرى، ويقوموا بمهاجمة الأعداء عند الفجر. ولكن معارضيه الذين كانوا يحتلّون جميع مواقع المياه في هذه المنطقة الواسعة، شتتوا تلك السرايا، وقتلوا ما يزيد عن الألفين وثلاثمئة من أتباع عبدالله المخلصين، وأجبروه على الهرب بسرعة. وتقدم سعود، مؤيّداً من بريطانيا العظمى، مع أتباعه نحو عاصمة أسرته، الرياض، فدخلها سيّداً في أواخر سنة ١٨٧٠. ظلّت بعض القرى المختلفة تقاوم مع ذلك — وعلى الأخص البَرَّة، التي حاول عبدالله مساعدتها، وقد مُنِيَ بالهزيمة مرة أخرى.

لم يعد بإمكان عبدالله الآن البقاء طويلاً فوق أرض والده. فقام بتحميل كنوزه فوق مئة من الجِمال وهرب برفقة ثلاثين من الخيالة من قبيلة إلى أخرى. فاتجه في البدء إلى زامل آل سليم، سيد عُنَيْزة، الذي كان يخاف انتقام الأمير سعود، ولذلك طلب منه بعد بضعة أيام مواصلة رحلته. ثم قام بزيارة الأمير محمد بن رشيد في حايل، ولكنه مُنِع من البقاء هناك أيضاً. فالتجأ في النّهاية إلى سلطان الدَّويش وعساف أبو اثنين زعيمي قبيلتي مطير وسُبَيْع. وكانا يغاران من سلطان سيد الرّياض

ويأملان في إضعافه عن طريق الحرب الأهلية . فحاول عبدالله أن يستميلهما لمصلحته ليقوما عن طريق التدخل المُسلّح ضد سعود .

عندما وجد عبدالله أنه ليس بامكانه الحصول على تأييدٍ في الجزيرة العربية ، أرسل في نهاية سنة ١٨٧٠ تابعه المخلص عبد العزيز أبا بُطين ليطلب المساعدة من مدحة باشا ، حاكم بغداد التركي الطموح ، وقد تولى الحكم في مطلع عام ١٨٦٩ .

كان هدف مدْحة استرجاع جميع المقاطعات التي كانت تتبع بغداد في وقت من الأوقات ، وقد استغل هذه الفرصة الآن لإعادة احتلال الحسا مرة أخرى ، هذه المنطقة ، التي كانت تابعة للعراق منذ أقدم العصور ، والتي كان الأتراك قد قاموا باحتلالها وحكمها في كثير من المرّات ؛ ولكن عندما بدأ نجم الأمبراطورية العثمانية في الأفول تخلّت السلطات التركية عن القرى بينما واصل زعماء بني خالد الحكم هناك . وكان كثير من الأسر التركية لها ممتلكاتٍ في الحسا ولا يزالون موجودين فيها . وكان الزعيم الأعلى يوالي التعبير عن إخلاصه لسلطان القسطنطينية . وعندما يتهدّده أعداء من الخارج ، يقوم بطلب الحماية من الحاكم التركي في بغداد مؤازراً قوات محمد علي التركية–المصرية التي كانت تحتل الحسا . باستثناء فترات متقطّعة من سنة ١٨١٨ حتى ١٨٤٧ . وعندما انسحبت تلك القوّات وأصبح حاكم بغداد التركي غير ذي قدرة أصبحت الحسا مرة أخرى تحت حكم الأمير فيصل . وعندما رأى ابن فيصل وخليفته ، الآن مهدداً حتى في الحسا وطلب مساعدة الأتراك ، تحول الزّعيم الأعلى لبني خالد إلى الأتراك ، إذ أنه كان يأمل في أن يمنحه الأتراك استقلالاً أكثر بكثير مما منحه إياه الأمير سعود .

تقدم مدحت باشا بحذر كبير ، فانتصر على ناصر (السعدون) زعيم قبيلة المنتفق ، أولاً ثم على عبدالله بن صبّاح ، سيد ميناء القُرين (أو الكويت) إلى الجنوب من البصرة ؛ وحيث أن هذا الموقع هو أفضل طريق إلى الحسا ومنه أيضاً سيجد بعض الحلفاء فقد أمر هؤلاء الحلفاء بقيادة نافذ باشا في السّير نحو الحسا في حزيران ، سنة ١٨٧١ . وقاد مبارك بن صباح الشاب الجيش بطريق البر ، بينما

تولى عبدالله بن صبّاح قيادة القوات التي كانت قد احضرت في الباخرة إلى العُقير وبعد أن تَعزّزوا بقواتٍ من بني خالد ومن أتباع عبدالله بن سعود ، قاموا باحتلال جميع القرى بسرعة ، وتحوّلت الحسا إلى منطقة إدارية تركية تُعرف باسم نجد (متصرفية نجد) .

أما الأمير عبدالله الذي كان قد حقد على أخيه بسبب الحسا فقد تبيّن له الآن أنه هو نفسه قد فقدها . ولو أن مدحت باشا قد استقام أمره في بغداد لحاول بالتأكيد دمج داخل الجزيرة العربية في الأمبراطورية التركية ؛ ولكنه كان قد عُزل من هناك . وأما خليفته رؤوف باشا ، فكان كل همّه موجهٌ إلى رفاهيته الشخصيّة ولم ينل أية فائدة من الحروب الأهلية داخل الجزيرة العربيّة . حاول أن يضع عبدالله تحت سيطرته ، ولكن هذا لم يكن يثق به وأرسل أخاه عبد الرحمن إلى الحسا ليتحالف مع الحكومة التركية ، ولكن عبد الرحمن أُحضر إلى بغداد وأُبقيَ هناك حتّى مطلع سنة ١٨٧٤ .

أما سعود ، الذي كان مسؤولاً عن التدخّل التركي ، فقد توالت هزائم مؤيّديه . وعندما اعتمد على أصهاره من قبيلة العجمان ، نَفّر الحضر الذين قاموا بقيادة عمه عبدالله بن تركي في إبعاده من الرياض في سنة ١٨٧١ . وبمجهودات عظيمة نجح سعود في السنة التالية في استعادة الرياض ، ولكنّه لم يتمكن من البقاء هناك إلاّ بطريق القوة . وأما الحسا فقد فشل في استعادتها ، بسبب تخلي العجمان وآل مُرَّة عنه ، وبسبب ملاحقة عُتيبة القوية له وقد قام مُسْلَط بن رُبيعان ، زعيم هذه القبيلة بنهب قرى أمير الريّاض الغربيّة ، وعندما قام الأمير في النهاية بغارة في داخل مناطق عتيبة ، حوصر في منخفض عميق ، وذبح معظم أتباعه ، كما جُرح جراحاتٍ خطيرة . فقام عبيده بإحضاره إلى الرياض ، وبقي مريضاً مدة طويلة في قصره ، ثم توفي في مطلع فصل الصيف لسنة ١٨٧٤ . وأثناء مرضه اتفق عبدالله ، الذي كان قد لجأ إلى الكويت ، مع أبنائه ومؤيديه ، واصطلح معهم ، وعاد إلى الرياض أميراً ، ولما كان لا يثق بسكان هذه المدينة ، عيّن شقيقه محمداً ممثّلاً له وأقامه في الضاحية .

عبدالله بن سعود ، (١٨٧٤–١٨٨٧) : ارتفاع ابن رشيد إلى السّلطة : كان أبناء

سعود مُحَمّد وسعد وعبدالله وعبد العزيز . وأكثرهم مقدرة هو محمد ، الذي لُقّب (غزالان) كانوا رحلوا إلى منطقة الخرج ، التي كان والدهم قد حكمها في وقت من الأوقات ، فآزروا عبدالله في أعماله في البدء ، حتى نجح في إخضاع أكثر المناطق . وحالما تمّ ذلك واستعد لاستعادة الحسا مرة أخرى ، ومعها ، الطريق المباشرة إلى البحر .

وكان مؤيدوه قد بدأوا في إثارة الاضطرابات ، في سنة ١٨٧٣ ، في مدن مختلفة ، وكان عبدالله يأمل بأن يقوم الحضر بطرد الحاميات التركية ليحل محل الأتراك .

ولم تكن الحسا في ذلك الوقت تحت سيطرة رؤوف باشا ، حاكم بغداد ، بل تحت سيطرة ناصر باشا (السعدون) زعيم قبيلة المنتفق الأعلى وأول من أطلق عليه إسم الوالي (الحاكم العام) لمنطقة البصرة ، التي كانت قد فُصِلَت عن بغداد . قام ناصر مع إبنه فالح وبزيع (؟) بن عريعر الشاب في نهاية سنة ١٨٧٣ بشن غارة على الحسا ، وعاقب المتمرّدين ، وعيّن بزيعاً (؟) على رأس الحكومة ، وكان بزيع ، وهو من آل عريعر ، الذين ملكوا الحسا خلال قرون كان يحلم في الاستقلال وكان يبحث عن الأصدقاء والحلفاء في كل مكان ، لكي يتمكّن بمساعدتهم من إزاحة النير الأجنبي . وكان الحضر الذين مثل البدو يعارضونه ويخافون منه وتمنوا عودة ممثلي ابن سعود . ولذلك ، عندما دخل عبد الرحمن بن سعود الحسا في ربيع سنة ١٨٧٤ ، انضم إليه جميع أعداء بزيع والأتراك ، وقتلوا عدداً كثيراً من جنودهم ، وسجنوا (بزيع) في قلعة الهفوف ، وكان يمكن لعبد الرحمن أن يقتصر على أعدائه ، لو أن أصدقاءه وحلفاءه ظلّوا على إخلاصهم له ، ولكنهم وخوفاً من حضور ناصر باشا القاسي ، تخلّوا عن محاصرة الهفوف ، فاضطر عبد الرحمن للهرب . وأما ناصر الذي لم يكن يسمح بالقضاء على سلطته ، فإنه قام في نهاية سنة ١٨٧٤ بمهاجمة ممثّله (بزيع) الذي لم يكن محلاً للثقة ، وأبعده وقضى على جميع أصدقائه بدون رحمة ، ثم عين ابنه (مزيد) على رأس الحكومة . وعاد في سنة ١٨٧٥ إلى البصرة بغنائم كثيرة ثمينة . ولكن الفظائع التي ارتكبت في الحسا، مكنت من في البصرة ،

ممن كانوا يحسدون سلطانه ، من الاحتجاج على أعماله في القسطنطينية ، فعزل واستدعي إلى القسطنطينية ، حيث توفيّ هناك .

إن حقيقة عدم فقدان (منطقة نجد الإدارية) التي تشكّلت أثناء الاضطرابات وارتباطها مع عزل ناصر كانت نتيجة لظرف كان مزيد مؤيداً فيه من قِبَلِ أبناء قبيلته المنتفق ، كما أن الأمير عبدالله كان مُشتبكاً في حرب أهلية جديدة .

وبعد المحاولة السيّئة الحظ في الحسا . اتجه اهتمام عبدالله إلى الشمال ، إلى منطقة القصيم ، التي لم تكن مستقرة بعد . فأعلن أمراء القرى المختلفة — وعلى الأخص زامل بن سليم من عنيزة — أنهم سوف يعترفون بسيادته ، وذلك عندما قدّمت قوّات عبدالله ، ولكن حسن بن مهنا ، أمير بريدة ، واصل المقاومة واستعان بالأمير محمد بن رشيد . وخلال فترة قصيرة ظَهَرَ ابن رشيد مع جنوده في القصيم ، فاستولى على بريدة ، وواصل تقدمه نحو عنيزة ، وعندئذ أرسل ابن سعود التّاجر عبدالله بن عبد الرحمن بن بسّام ، وهو أحد أهل عنيزة إلى ابن رشيد ليعرض عليه الصلح ؛ فتمم عقد الصلح عندما تخلّى ابن سعود عن سيادته للقصيم (١٨٧٩) .

لم يكن أقرباء عبدالله وزعماء القبائل المختلفة راضين عن هذا الصُّلح فهدّدوا بالانضمام إلى ابن سعود ، إذا لم تسترد القصيم . وكان معلوماً لدى الجميع أن رغبات ابن رشيد كانت قوية في القصيم ، وكان الجميع يخافون من اتخاذه خطوات ضد ممتلكات ابن سعود الحقيقيّة ، وبالإضافة إلى ذلك ، كان سادة بريدة وعنيزة قد وافقوا أيضاً على سلطة ابن رشيد ضد رغباتهم وكانوا مستعدّين لمؤازرة الأضعف ، وبالتّالي كان سيد الريّاض أقل خطراً بالنّسبة إليهم .

نجح محمد ، شقيق عبدالله ، في كسب قبيلة عتيبة إلى جانبه . وفي سنتي ١٨٨١ و١٨٨٢ قامت هذه القبيلة بنهب بيوت كثيرة لقبيلة حرب وهاؤلاء كانوا قد خضعوا لابن رشيد ، وقد قامت عتيبة بمهاجمة بعض الواحات الواقعة إلى الجنوب الغربي من جبال سَلْمى . وفي صيف سنة ١٨٨٣ قامت بغزوات ضد ابن رشيد ؛ ولكنها فوجئت بغزوة قام بها فهزمها في (عَرْوَى) . فتحدّى زعماء عتيبة الأمير عبدالله لكي يسير على رأس قواته ويعوض عن الهزيمة التي قد لحقت بهم .

دعى عبدالله جميع أتباعه وخلفائه وفي نهاية سنة ١٨٨٤ سار لمواجهة ابن رشيد . وقد أرسل من مخيّمه في (الحمادة خمسة وثلاثين من الهجّانة بقيادة فيحان ابن خضر (؟) من قبيلة عتيبة ليستطلع مخيم ابن رشيد . ولكن ابن رشيد قد علم بهم ، فقام بتطويقهم ، وقتلهم جميعاً ، ثم انقضّ على الأعداء الغافلين بكل قوّاته وأوقع بهم هزيمة ساحقة) .

دلّت هذه الهزيمة على نهاية سلطان ابن سعود في الوقت الحاضر . وعادت القبائل المختلفة تطالب باستقلالها ، وبدأ أفراد الأسرة الحاكمة يقاتل الواحد الآخر . وقد ظهر أبناء الأمير سعود وعلى رأسهم محمد بن سعود بن فيصل ، في الرياض في ربيع سنة ١٨٨٧ ، فحاصروا الأمير عبدالله في قصره ، وأخذوه سجيناً . ولكي يُنقِذَ نفسه طلب مساعدة ابن رشيد . فوَصل ابن رشيد الرياض في أواخر سنة ١٨٨٧ ، فأطلق عبدالله فحرَّره ، وأبعد أولاد سعود إلى الخَرج ، ثم اصطحب الأمير المعزول عبدالله – الذي كان يُسمّى الإمام – إلى حايل ، وعيّن أبناء فيصل الاثنين ، عبد الرحمن أميراً ومحمد قائداً للجيوش في الرياض .

عبدالرحمن بن فيصل بن سعود (١٨٨٧-١٨٩١) : حُكم بن رشيد : ومع ذلك ، وبما أن سيد حايل لم يكن على ثِقَةٍ مُطلَقة من ناحية عبد الرحمن وأخيه محمد معاً ، فانه قام بوضع حاميةٍ من رجاله المخلصين تحت قيادة سالم بن سُبهان المقدام في الرياض . فتصرف سالم في البدء في كل مكان حسب مصلحة سادة الرياض وقاوم جميع أعدائهم . وكان أخطر المنافسين أبناء سعود ، الذين سبّبوا القلق المتواصل في الرياض من منطقة الخرج المستقلّة تقريباً ، بدون الذهاب إلى حرب مكشوفة ، ومع ذلك . وبما أنهم يمكن أن يصبحوا خطرين مع مرور الوقت حتى تجاه ابن رشيد ، فقد صمم سالم على التخلص منهم بمكر. وفي منتصف سنة ١٨٨٨ ، ذهب إلي الخرج لزيارتهم ، ودخل الخَرج ومعه حاشية صغيرة ، ولكنه أمر بضع مئآت من الرجال لكي يتبعوه وينتظروا في مخبإٍ قربَ مَسكن أبناء سعود ، الذين هوجموا حينئذٍ عند الفجر وقد قُتلَ محمد وسعد وعبدالله ، وأحضرت أسرهم مع آخر شقيقٍ

لهم وهو عبد العزيز ، إلى حايل حيث سُجِنوا هناك . وبهذه الضربة بدا وكأن سلطان الأمير عبد الرحمن قد تضاعف ، ولكنه في الحقيقة أصبح أكثر اعتماداً على سالم وابن رشيد .

كان عبد الرحمن وأخوه محمد يُبديان القليل من الاهتمام في السياسة ، ولكنهما عملا كل شيء لزيادة رخاء الحضر وكسب ثقتهم . وقد تم بالتدريج إزالة الحزازات الداخلية بين سكان القرى وبين القبائل ، وأعيد فرض النّظام ، وانتعشت التجارة ، كما نجحا في كسب مؤازرة كثيرين من الأسرة الحاكمة إلى جانب عبد الرحمن . وقد سمح ابن رشيد ، في خريف سنة ١٨٨٩ ، بعودة الإمام عبدالله وابن أخيه عبد العزيز السجينين إلى الريّاض . ولكن عبدالله الذي كان ولده الوحيد تركي قد توفي في نفس الوقت ، لم يجد مؤيدين ، وعاش في كنف أخيه حتى توفّي في مطلع سنة ١٨٩٠ .

وبعد تزايد نفوذ عبد الرحمن إلى درجة كبيرة ، ارتفعت الأصوات تُطالب بالاستقلال كالسّابق ، وكان شقيقه محمد ، الذي لم يكن له أبناء متجهاً للفلاحة ، يجد السرور في إقامة البساتين وزرعها ، وفي القيام بغارات صغيرة على القبائل ، ولم يكن يرغب في لقب الأمير . وكان عبد الرحمن نفسه أكثر محبة للسّلام ولولا أنه لم يُضطرَّ إلى معارضة ابن رشيد من قِبَل ابنه عبد العزيز (ولد حوالي ١٨٦٧) لكان راضياً بمنصبه أيضاً.

كان إحساس عبد العزيز الشاب أكثر من والده ، عبد الرحمن بالعار الذي كان قد لحق أسرته وبحث عن حلفاء بين مُعاصريه ، لا في الرياض وحدها ولكن في عنيزة وبريدة ، والقرى الأخرى . وبعد أن سمع الشبان من الأسرة ، عن الأعمال البطوليّة التي قام بها أجدادهم تحت قيادة أمراء بيت ابن سعود النشيطين ، أصبحوا يتلهّفون على فرصة للقيام بأعمال مماثلة فانضموا متحمسين إلى سليل هذا البيت . وقد حاول آباؤهم وعلى الأخص عبد الرحمن نفسه ، تسكين حيويّتهم الثائرة ، لأنهم لم يكونوا يأملون في كسرِ سلطان ابن رشيد القوي ، وكان سالم بن سُبهان

مُمثّل ابن رشيد ، مُطّلعاً على خطوات عبد العزيز ولكنه لم يتدخّل ، إذ أنه كان يثق ثقة تامّة بعبد الرحمن .

لكن جماح يافع الرياض لم يُكبَح ، وفي خريف سنة ١٨٩٠ هوجمت حامية ابن رشيد في قصر الرياض وحوصرت بشكل لم يتمكن أحد من الفرار سوى سالم ، الذي كان يتخذ احتياطات متواصلة ويُغَيِّر أماكن نومه ، وقد قضى ليلته في بيت داخل بستان ، ثمّ هرب من الرياض وأوصل أنباء الثورة إلى سيد حايل . فَجَمَعَ محمد عبيده على الفور ، واستدعى مئآت من الحضر في حايل ، وأسرع إلى الريّاض لكي يطلق أتباعه من الأسر ، وكان المقاتلون الشبان من عنيزة وبريدة يريدون الوقوف في طريقه ولكن الرجال المُسنّين كبحوا جماحهم ، وظهرت قوة النّجدة أمام الرياض بشكل مفاجيء حتى أن أتباع عبد العزيز أسرعوا في الهرب وطلب المُسنّون الرحمة . ونظراً لإحساس محمد بن رشيد ، بضعفٍ شديد في هذه اللحظة ، سمح لعاطفة الرحمة أن تنتصر ، ولم يعاقب أحداً ، ثم عاد إلى حايل بمثل السرعة التي حضر بها . ومع ذلك ، فإنه لم يكن ميالاً إلى اتخاذ موقفٍ عدائي بسبب هذه الضربة بدون إثارة ضجةٍ أخرى ، وخصوصاً عندما عَلِمَ بأن عبد العزيز عاد مَرَّةً ثانية ضِدَّه ، وحتى أن رجال الرياض وعنيزة وبريدة المسنين أيضاً كانوا ينضمون إلى عبد العزيز ، لأنهم اعتبروا تسامح ابن رشيد دليلاً على ضُعفِه وخوفه أيضاً . جمع عبد الرحمن وابنه عبد العزيز الحضر والقبائل المختلفة واتّحدوا معهم ؛ وفي مطلع سنة ١٨٩١ تحرّكت القوات باتجاه الشّمال ونهبوا جميع القرى والقبائل التي ظلّت على ولائها لابن رشيد . وقد انتظر حسن بن مهنّا ، سيّد بريدة وزامل آل سليم ، سيّد عنيزة ، ورجال آخرون من زعماء القصيم الحلفاء حتى يتعاونوا للقضاء على امبراطوريّة ابن رشيد .

وقد تبيّن الأمير محمد بن رشيد خطورة وضعه فأرسل أربعين رسولاً على أربعين ناقة مغطاة بأقمشة خيامٍ سوداء إلى قبائل شَمّر الذين كانوا يحلون في ذلك الوقت على الضّفّة اليُمنى لنهر الفرات فيما بين كربلاء والبصرة ، وكانت الأغطية السوداء تُعبّر لجميع رعايا الأمير محمد بأن ذكرهُم وشرفهم سوف يُغطّيان بعارٍ

أسود إذا لم يسرعوا على الفور لمساعدة سَيِّدهم . إن الشرف في الجزيرة العربية هو أغلى ما يملكه الأنسان هناك ، وهكذا أسرع جميع الرجال القادرين على حمل السلاح إلى حايل . فتقدم محمد على رأسهم لملاقاة العدو ، واصطدم معه في شهر شباط ، لسنة ١٨٩١ في المُلَيْداء ، فيما بين عُنيزة وبريدة .

تبع ذلك قتال دموي وطويل ، ولو لم يتمكّن عبدالله الفريخ المولى الفتيّ من شق طريقه بين الأعداء والوصول إلى أبيه مبارك ، حاملاً العلم . لكان هذا العَلَم المُخَضَّب بالدماء علم الأمير ابن رشيد قد سقط في يد الأعداء في هذا القتال . سقط مبارك قتيلاً ، ولكن ابنه استولى على العلم ، فأنقذه ، وظَلَّ حامِلاً له حتى سنة ١٩١٥ .

وأخيراً وفي شهر آذار ، سنة ١٨٩١ ، نجح محمد بوسيلة ماكرة من شقّ طريقه من خلال وَسَطِ مواقع الأعداء ؛ فطوّق ثلاثة آلاف بعير ، ثم جعل صفوفها الخلفية تجفَل عن طريق إشعاله النار في أحمال الحطب التي كانت محملة بها ، ووجّهها جميعاً ضد قلب الأعداء ، ثم تبعها مع جنوده من المشاة وقام بتطويق الجناحين . وقد قُضيَ على أولئك الذين استمروا في المقاومة ، وأما الذين طلبوا الرحمة فقد أُخِذوا أسرى . وقد قُتِلَ في هذه المعركة سيد عنيزة مع ابنه ، وخمسة من أقربائه ؛ وأما سيد بريدة فإنّه فَقَدَ يده اليُسرى ، وأُخِذَ عبد الرحمن مع أخيه محمد أسيرين . وأما عبد العزيز فإنه نجى عن طريق الهرب .

أطلق عبد الرحمن بعد وقت قصير ، وأقام في الرياض تحت حماية سالم بن سبهان الحذِر . ولكنه لم يتمكن ولم يرض أن يكون الفرع الذليل لأجداده وهكذا فإنه هرب بعد وقت قليل إلى الهفوف . وأرسل قريبه عبدالله بن ثنيّان إلى القسطنطينية لكي يتصل بالسلطان ليساعد أسرته . وعاد عبدالله إلى عبد الرحمن مُحَمّلا بالهدايا والوعود الكثيرة ؛ ولكن عندما رأى عبد الرحمن أن السلطات التركية لا تفي بوعودها ، اتّخذ مقره عند قاسم بن ثاني ، سيد شبه جزيرة قطر وفي النهاية في أواخر سنة ١٨٩٤ لدى محمد بن صباح ، سيد الكويت .

محمد بن سعود ، ١٨٩٤–١٩٠٢ (؟) : ارتقاء عبد العزيز : بَعد هَرَب عبد

الرحمن جعل ابن رشيد أخاه محمداً أميراً على الرياض . وقام بهدم القصر، مع سور الرياض ، ليقيم صعوبات أمام أي تَمَرُّدٍ في المُستقبل ، كما ترك ابن رشيد حاميات في كل مكان تابعٍ للأمير محمّد . وكان سالم ، في البدء ، آمر هذه الحاميات ، ولكن من ١٨٩٦ وصاعداً ، وكلت هذه المهمة إلى عجلان المولى ، وهكذا فإن محمد إبن سعود كان أميراً بالاسم فقط ، أو المظهر الخارجي ، للبيت الحاكم ، بينما استقرت السلطة الحقيقية في يَدَي ابن رشيد . وقد حاول ابن رشيد رعاية المناطق السابقة لمملكة ابن سعود فكان يتولى الحملات ضد أفراد هذا البيت الذين رفضوا دفع الضريبة له . وأما من كان أكثر اقتداراً ، وأشد ، خطراً ، فإما أن يتسبّب في ذبحه أو إلقائه داخل السجن في حايل ، وبهذه الطريقة تمكن من فرض الأمن ، وإن يكن سلماً مفروضاً .

وحالما توفي محمد بن رشيد ، في سنة ١٨٩٧ ، قامت الثورات في جميع أجزاء أراضيه ، مُجبرَة خليفتـــه عبد العزيز ، على شَنِّ حروبٍ متواصلة . فازدادت صعوبات عبد العزيز أكثر من ذلك عن طريق أفراد أسرة ابن سعود ممن عادوا إلى بيوتهم بعد إطلاقهم وهم يتلهّفون على السلطة ، وفي البدء رغبوا بطرد سادة الواحات بمساعدة ابن رشيد ؛ ولكن عندما وجدوا أن مساعدته لم تكن كافية انضموا إلى أعدائه وأثاروا القلاقل في جميع الجهات . ورَحَلَ بعض هؤلاء إلى مكة وتولّوا بمساعدة الشريف العظيم عون الرَفيق[1] وقبائل حَرْب وعُتَيبة غزو نجد ، . وكان عبد العزيز بن رشيد ، نتيجةً لحروبه مع سيّد الكويت والقبائل الأخرى ، كان غير قادر على الإهتمام كثيراً بشؤون بلاد ابن سعود السابقة ، ولذلك احتدمت الحرب الأهلية ، وتلهّف الحضر على يدٍ قويّة لتحمي أرواحهم وأملاكهم وكانت عيون الرجال البلرزين موجّهة إلى الكويت حيث كان يعيش عبد العزيز بن سعود الإبن الطموح لعبد الرحمن وهو يستعد لإعادة ملك آبائه وله فُرَصٌ وافرة لاكتساب الأصدقاء من بين سكان الرياض والمدن الأخرى ، إذ أن الكويت منذ نهاية القرن

---

(١) كذا ولعل الصواب (حسين بن علي) .

التاسع عشر كانت نقطة الإنطلاق المُفَضَّلة كثيراً وهدف قوافل التجارة من الرياض . وحيث أن سيد الكويت ، مبارك بن صباح ، بالإضافة إلى المُعتَمَد البريطاني هناك كانوا يُشجّعون خطط عبد العزيز ، فتمكن من الحصول لأبناء وَطَنه على تسهيلات تجارية مختلفة في الكويت ، وأن يزود مؤيديه بالأسلحة والذخائر ، وبهذه الطريقة كان يهيء المكان الملائم لتدخُّله بكل دقة .

وفي نهاية سنة ١٩٠١ ، وبينما كان ابن رشيد يَتَهيّأ لتسديد ضربة حاسمة ضد الكويت ، واضطرَّ أن يُضعف حامياته في منطقة الريّاض ونتيجة لذلك نشبت الثورة في جميع قرى مملكة ابن سعود السابقة . فغادر عبد العزيز مع ابن عمه عبدالله بن جلوي ومن معهم الكويت غير ملفتين للنظر ، فوصلوا الرياض دون حادث في منتصف شهرشباط سنة ١٩٠٢ ، ففاجأوا الحاكم، عجلان وقتلوه مع جميع أتباعه، وعند ربيع ١٩٠٢ اعترف الجميع به أميراً .

عبد العزيز بن سعود يستولي على القصيم ، (١٩٠٢ – ١٩٠٩) :

كانت الحكومة التركية ترغب في استغلال الحرب الناشبة بين بيتي ابن رشيد وابن سعود لكي تتمكن من تثبيت قدمها في القصيم . وقد وجهت لهذا الإتجاه من قِبَلِ سكان القصيم ، الذين قاسوا كثيراً من سنوات القتال الطويلة من ناحية ، ومن الأمير ابن رشيد ، الذي كان يأمل في الإنتفاع بالحاميات التركية الموجودة في القصيم لمصلحته من الناحية الأخرى .

وفي شهر كانون الثاني ، سنة ١٩٠٤ ، تَجَمّعت قُوّة تركية تُقَدَّر بنحوِ الفين من المشاة ومعهم ستة من المدافع الخفيفة في السّماوة في العراق ، حيث سارت إلى القصيم ، التي كانت قد أُخضعت تحت نفوذ ابن سعود . وفي الخامس عشر من تموز قام الأمير عبد العزيز وحلفائه من أهل القصيم بمهاجمة الأتراك وشَمّر في البُكيريّة فقُتل القائد التركي ، وزعيم شمر ، ماجد بن حمود ، وكثير من الضبّاط ، كما فُقِدَ أحد المدافع ، واستُرجعَ ثلاثة غير صالحة للأستعمال ، وتَقَدَّمت القوات التركية الناجيَة مع شمّر إلى الرّسّ حيث بقي الجمع هناك حتى أواخر أيلول ، عندما

قاموا بهجمةٍ ولكن مقاتلي ابن سعود قاموا بمهاجمتهم واستولوا على مدفع آخر وكثيراً من المغانم ، واحتل الأتراك موقعاً عند الكهفة في منتصف الطريق بين بريدة وحايل .

وقام ابن سعود بالكتابة إلى فخري باشا ، الحاكم العام للبصرة ، ليبرىء نفسه بصدد معاملته للقوة التركية ولكي يقدّم طاعته ، وطلب في كتابه مخصّصات من الحكومة التركيّة . وبعد مراجعة الباب العالي ، عُقِدت اجتماعات في الثامن والسابع عشر ، من شباط ، سنة ١٩٠٥ ، على الحدود العراقية التركيّة بين فخري باشا وبين عبد الرحمن بن سعود والد عبد العزيز وكان يرافقه مبارك بن صباح ، في دور المضيف . وكانت النتائج ، أن عُيِّنَ عبد العزيز بمركز (القائم مقام) الحاكم التركي وقد ضُمن له عدم السماح لابن رشيد بالتدخّل في مقاطعته ؛ ومقابل ذلك وافق هو على عدم الاعتراض عن تعيين موظّف رسمي من الأتراك مع حامية في القصيم .

وفي نفس الوقت كان الأتراك يُجَمِّعون قُوَةً للقيام بحملة ثانية في النجف ، بدأت في أواخر كانون الثاني ، سنة ١٩٠٥ ، بقيادة القائد أحمد فوزي باشا بالسّير إلى القصيم وكان يرافقها فهد بن هَذّال ، الزعيم الأعلى لقبيلة العمارات من عنزة وانتظر ابن رشيد فوزي باشا عند آبار الشيحيّة على طريق الحج وطلب منه المشاركة في الهجوم على الأمير ابن سعود لطرده من الرياض . ولكن التركي كان قد أدرك الوضع ورآى أنه سوف يستفيد أكثر إذا هو عمل مع (القائم مقام) القوي ، ابن سعود ، حسب الاتفاق الجديد ، وعلى الأخص أن هذا الأخير كان على استعداد كبير لدفع الضرائب المطلوبة منه . وقبل وصول فوزي باشا بوقتٍ طويل كان ابن سعود قد جبى من كل صاحب خيمة أو بيت ليرة أو نصف ليرة تركية ليقدم ذلك هدية للقائد التركي ، الذي سُرَّ جداً عندما قُدِّم له جزء من المبالغ التي جُمعت في أثال ، حيث كان مُخَيِّماً . وهناك صَرَف ابن رشيد المسكين ، الذي لم يكن قد قدّم له هدايا وأبدى عدم رضاه ، وأنذره بنهب جميع قراه ، إذا لم يقم بواجبهِ في مناسبة ثانية .

تقدم فوزي باشا من أثال إلى عنيزة ، حيث استُقبِلَ هناك باحتفالاتٍ أقامها

له عبد العزيز بن سليم وأكرم وفادته مدة ثلاثة أسابيع ثم واصل سيره إلى صالح ابن مهنّا في بريدة . وكان أثناء هذا الوقت يقيم الحاميات في داخل قرى القصيم المختلفة ، خمسين رجلاً في كلٍ من عنيزة وبريدة ، وثلاثين رجلاً في داخل كلٍ من المدن الأخرى . ومع ذلك ، كان على هؤلاء الرّجال أن لا يُقيموا في الدّاخل ، بل في ثكناتٍ بُنيت لهم خارج أسوار المدينة .

خيّم الأمير ابن رشيد ، الذي كان يتخوّف من هجومٍ من جانب أحمد فيضي باشا مع مقاتليه في قرية القوارة وراح يراقب تحركات القوات التركية وكان من حُسنِ حظّهِ أن بَدَأ أهل اليمن بثورة جديدة في هذا الوقت مما استدعى تعيين أحمد فوزي باشا قائداً عاماً للقوات التركيّة هناك . ونتيجة لذلك فقد اضطرّ إلى أن يبدأ رحلته إلى المدينة ومنها إلى أقرب ميناء مع عدد قليل من الأتباع على ظهور الجمال؛ وأما قواته فقد أُمِرَت بالعودة إلى العراق على أن تبقى الحاميات وحدها في القصيم . ولكن كانت العودة صعبة على القوات التركية . وكان فهد بن هذّال الزعيم الأعلى للعمارات ، الذي كان قد وضع الجمال تحت تصرفهم حين التوجه إلى القصيم ، قد رَحَل ؛ وأصبح الأمير بن رشيد ، الذي كان قد أيّدهم بصفتهم حلفاء له في أول الأمر ، فإنه أصبح يعاملهم الآن كما يعامل الأعداء وأما ابن سعود فلم يعمل شيئاً مصلحتهم ، وأما أهل القصيم فقد ضغطوا عليهم لكي يرحلوا . فَتَجَمّع الجنود عند واحة الشيحيّة على حدود القصيم الشمالية الشرقيّة ، فتمكّن بعضهم من الوصول إلى موقع مياه الشّيحيّة ومن ثَمّ النّجف بطريق واقصة ، ملتمسين طريقهم بين منازل البدو من منزل إلى آخر .

وبعد رحيل أحمد فيضي باشا ، تَسَلّم سامي باشا الأمر بالذهاب إلى القصيم . فذهب بطريق خط سكة حديد الحجاز ووصل إلى المدينة ولكنه لم يتمكن من الذهاب إلى أبعد من ذلك ، إذ أنه لم يكن مزوداً بالمؤن أو الذخائر . وبعد نحو ستة أشهر غادر المدينة تحت أوامر مشدّدة من القسطنطينيّة ، بدون استعدادٍ كافٍ ، تقدم مع قواتٍ جديدة عن طريق الحناكيّة والفوّارة إلى القصيم . وبما أن جنوده ، بسبب ما قاسوه من الجوع والعطش ، قد فرّوا في جماعاتٍ ، فإنه عندما وصل إلى القصيم

في مطلع شهر آب ، سنة ١٩٠٦ ، كان الرجال الذين وصلوا معه لا يكادون يتجاوزون ٥٠٠ رجل . ولكن أمير الرياض ، الذي كان قد نجح في دحر عبد العزيز بن رشيد وقتله في الثاني عشر من نيسان ، سنة ١٩٠٦ ، وفي احتلال بعض قرى القصيم ، عمل على إغراق سامي باشا بالهدايا أيضاً — ورحب به أجمل ترحيب ، إذ أنه كان مع قواته في حاجةٍ إلى كل شيء . وأما بقيّة الحاميات ، التي قد طُردت من القرى المختلفة فقد تجمعت في الشيحيّة ، وكانت تنتظر الخلاص . وعندما دخل سامي باشا هذه الواحة وجد فيها نحو ألف جندي مريض بدون سلاح أو ذخيرة ، لأنهم اضطروا إلى مقايضة هذه بالمؤن ، ولم يكن بوسعه اتخاذ أي شيء مع مثل هذه القوات ضد ابن سعود أو ابن رشيد ، أو مدينة القصيم القوية ؛ حقيقة ، يجب أن يكون سامي باشا قد شعر بأنه سوف يكون سعيداً إذا تمكن من النجاة حيّاً من داخل الجزيرة العربية .

ولقد زوّد الأمير ابن سعود ، سامي باشا عندما زاره في الشيحيّة ، بالأشياء الضرورية وأوصله إلى المستجدة ، أبعد قرية في الجنوب وأقربها إلى الأمير متعب بن رشيد ، الذي تَحوَّلت إليه مهمة الإهتمام به وبجنوده . ومع أن سامي باشا بعث كثيراً من الرُّسل إلى المدينة لطلب المساعدة من القسطنطينيّة ، إلا أن أحداً هناك لم يستمع له . وفي نهاية سنة ١٩٠٦ عاد إلى المدينة . تَتَبّع الجنود خطواته ، وعند نهاية سنة ١٩٠٧ أصبحت القصيم مرة أخرى بين يدي ابن سعود . وأما قوات ابن رشيد فقد مُنيت بالهزائم المتكرّرة ، وأجبر بنفسه في نهاية سنة ١٩٠٩ على عقدِ صلحٍ والاعتراف بسيادة الريّاض .

عهد عبد العزيز (من ١٩٠٨ إلى ١٩١٤)

إحياء العقيدة الوهابيّة من قِبَل الأخوان والاستيلاء على الحسا

أنشأ عبد العزيز هِجْرَة الأرطاوية في سنة ١٩٠٨ ، لكي يحول دون أي هجومٍ من ناحية العراق أو من مقاطعة شَمّر . وكان على سكانها منذ البدء أن يحموا أنفسهم ضد هجمات القبائل المختلفة التي هي على عداوةٍ مع ابن سعود ، وكانوا يعتقدون أنهم يجاهدون في سبيل الله ونصرة دينة الصحيح ، وكانوا يُطلقون على أنفسهم اسم

(الاخوان) ، وقد اتجهوا إلى التقيد بالواجبات الدينية وإلى كفاحٍ لا يعرف الكلل ضد جميع أعداء الموّحدين ، أي المؤمنين حقّاً وكان القرآن وكتب الحديث الستة أســـاس عقيدتهم . وكانوا يفضّلون « صحيح البخاري » (؟) ومؤلفات ابن تيميّة الحنبلي المذهب وتابعة محمد بن عبد الوهاب ، مؤسس هذه الطائفة . درس (الأخوان) القرآن ، وأدوا الصلوات المفروضة ، وامتنعوا عن التدخين ، وعن شرب المسكرات ، ولبس الملابس الحريرية ، والحلي الذهبيّة ؛ وكانوا يحترمون الزواج ، ولا يحلقون لحاهم ويبتعدون عن أي اختلاطٍ مع الأوروبيين وجميع الكفرة ، ولا يسمح لهم بشراء منتجاتهم . وافق عبد العزيز بن سعود على خطواتهم هذه ، وجعل منهم مثالاً وبالإختصار : فقد زرع هُجَر (الأخوان) في وَسَطِ القبائل القوية ، وعلى الأخص في الجنوب الغربي ، حيث تمكن بمساعدتهم من إخضاع الحكام المحليين . وقد بسط نفوذه فامتد إلى الأجزاء الغربية من عُمان ، حيث قام بتأييد بعض أهل تلك الجهات وبذلك أعد صعوبات عظيمة لسيّد مسقط ، فيصل ، وخليفته تيمور .

طلب محمد بن علي الأدريسي ، مؤسس دولة عسير (تهامة) المستقلة ، صداقة ابن سعود ومساعدته في وقت مبكرٍ لسنة ١٩١٠ ، فأرسل له بعض (الأخوان) الذين احتلّوا بعض القرى في شمال عسير ، وكسبوا أتباعاً كثيرين ، ودافعوا عن ميناء القُنفُذة ضد الشريف حسين وجنوده الأتراك . كانت بعض القبائل تُخَيِّم في شمال عسير بالإضافة إلى فروعٍ مختلفة من قبائل عُتيبة وحرب التي كانت مُخَيّمة في جنوب الحجاز تدفع الزّكاة إلى الشريف وتتطلع إليـــه لأجل مساعدتها . وفي سنة ١٩١٠ ، جهّزَ حسين ، بمساعدة الحكومة التركية حملاتٍ متعدّدة لغزو قبائل ابن سعود وتحويل مؤيديه في القصيم عنه . وكان هذا أكثر سهولة ، إذ أن عبد العزيز كان يعاقب كل تمردٍ بدون رحمة ولا يتساهل مع أي فردٍ من أفراد الأسرة الحاكمة ، وخلال الفوضى الداخلية التي انتشرت عَقِبَ وفاة (فيصل) كان عددٌ من أفراد أسرة ابن سعود قد حاولوا القيام بحركات فاضطُرّوا عن طريق القوة للخضوع لعبد العزيز ابن سعود . كانت أشد معارضة هي تلك التي أبداها

سعود بن عبد العزيز ابن سعود ، الذي واصل مع شقيقيه إثارة قبيلة سبيع ضد أمير الرياض . وعندما تم قهرها في سنة ١٩١٦ ، هرب سعود مع أخيه إلى الشريف حسين ، الذي قَدَّم لهما الحماية . فطلب عبد العزيز الآن تسليمهما ، ولكن قام الشريف بتزويد سعود وأتباعه بالمال والسلاح وبعث بهم إلى فروع قبائل حرب ومطير ممن يسكن أعلى نجد (العلويين) بزعامة ابن جبرين ، فاشتركوا بغاراتٍ للسلب في داخل مناطق ابن سعود .

وفي سنة ١٩١١ مُنِعَت جميع قوافل الحجاج والتجار الآتية من مملكة ابن سعود من الدّخول إلى مكة من قِبَلِ الشريف حسين . وقد تسبب ذلك لا في خسارة مادية لابن سعود فحسب بل في ضرر معنوي أيضاً ، كما أن رعاياه قد حُرِّضوا على الثّورة ، وعلى الأخص في القصيم ، حيث كان السكان يتعاطون التجارة بوجه عام تقريباً . وكان عملاء الشريف في القصيم ، يوزعون الهدايا أيضاً سرّاً بدون حساب وكانوا يأملون بمساعدة القوات لهم . ولكن ابن سعود لم يكن ليؤخذ على حين غِرّة ، وفي مطلع سنة ١٩١٢ ، كان حاكمه في القصيم ، محمد بن جلوي قد قطع رؤوس جميع أكثر أتباع الشريف تحمساً .

وكلما عظمت واتسعت سلطات ابن سعود رغب في إقامة علاقات تجارية غير مقيدة مع العالم الخارجي . إذ كانت رعيته في حاجة إلى الأسواق لتصريف تجارتهم ومنتجات بلادهم مثل الصوف والجلود والدّهن ، وأغطية الرجال والعُبي والكبريت والإبل والغنم ليحصلوا مقابلها على الأسلحة ، والذخيرة ، والملابس . وعندما كانت أسواق الحجاز مُغلقة في وجوههم لم يبق سوى أسواق العراق والخليج . ولكن في العراق وعلى طول شاطىء الخليج كان يحكم رجال من الأتراك ، الذين كانوا ينظرون إلى امتداد سلطان ابن سعود باستياء وكانوا ينصبون العراقيل في طريقه . وعندما خَيّمت القبائل المُرَبّيَة للخراف والماعز (الشُّوَايا) على الضّفّة اليمنى لنهر الفرات وجدوا أن الحكومة لم تكن مؤيّدة لابن سعود ، فاستغلّوا كل مناسبةٍ لِسَلَبِ قوافل التجارة الضعيفة القادمة من بلاده ، مع إساءة معاملة حراسها .

في نهاية سنة ١٩١٢ قام (البدور ؟) بسلبِ خمسة من أهل الرياض البارزين

في منطقة تركيّة ، وقد قُيدت أرجلهم وغلت أيديهم ودفنوا حتى رؤوسهم ، ثم مُوِّغت رؤوسهم بالدّهن ، وتُركوا ليموتوا من العَطَشِ والحرارة ، ولسعات الحشرات . فاحتجّ الأمير ابن سعود لدى الحاكم العام في البصرة وطالب بالتّرضية ، ولكنه لم يتسلّم أي رد على ذلك . فقور أن يحصل على التّرضية بنفسه ، فقامت كتائبه بنهب منطقة نجد الادارية (منطقة الحسا) القديمة ، التي كانت تحت إشراف سلطة الحاكم العام ، وكانت الأحوال في هذه المنطقة سيئة إلى أبعد حد . بينما كانت الحكومة التركية على صلات جيدة مع قبيلة المنتفق وكان نفوذها كبيراً ، إذ أن هذه القبيلة كانت تقضي على كل ثورةٍ على الفَوْر . وكان زعماؤها من أسرة آل سعدون مناوئين لسادة البصرة منذ القِدم ؛ وكانت المنافسة قائمة فيما بينهم ، وحاول هاؤلاء وهاؤلاء تثبيت نفوذهم في القسطنطينية . وفي سنة ١٩٠٢ نجح السّيد رجب النقيب (نقيب السادة) في البصرة ، في كَسبِ عطف السلطان ونيل الموافقة على تسميةِ أحد النقباء واسمه طالب متصرفاً في الحسا . فأصبحت هذه المنطقة نوعاً من الإقطاع لسادة البصرة . وأما الآن فقد أصبح النقباء (آل النقيب) ، وعلى الأخص المتصرّف طالب (النقيب) ، خاضعين تماماً للنفوذ البريطاني ولقد منحهم البريطانيون فرصة كبيرة لنيل الأرباح الطائلة من تجارة الاستيراد والتصدير ، ولذلك عَمِدوا بكل ما لديهم من قوة على تقوية مصالح بريطانيا العظمى السياسيّة والتجارية ، وبقيَ طالب في الحسا حتى نهاية سنة ١٩٠٨ ، حيث كثر السلب والنهب ، ولم يعد بالإمكان إجراء أيّة معاملة تجارية إلاّ بواسطة طالب أو شركائه . ومن الممكن أن يُفهم أنه بهذه الطريقة زال كل عطف كان يكنّه السكان للأتراك .

وفي نهاية سنة ١٩٠٨ عاد طالب إلى البصرة ، وأصبح نقيباً للعلويين ، ومفوضاً ، وخلال وقتٍ قصير كان السيد الحقيقي لهـذه البلدة المهمة الواقعة على حدود الأمبراطوريّة العثمانية . وبناء على إرادته ، قُبِضَ على سعدون الأشقر ، الزعيم الأعلى لقبيلة المنتفق ، الذي كان مُخلصاً للحكومة ، في صيف سنة ١٩١١ ، وأحضِرَ إلى حلب ، وسُجِن ، ثم سُمّم في مطلع شهر كانون الأول ، سنة ١٩١١ . وأما ابنه وخليفته عَجَمي فقد اعتبر عدوّاً للأمبراطورية العثمانية . وبهذه الطّرق

حصل طالب باشا مع نبلاء البصرة على نفوذٍ غير مُقَيَّد ، وأصبحت البصرة مركز حركة مستقلة ، صديقة للبريطانيين .

قام طالب بأكبر الجهود لنيل صداقة مبارك بن صباح ، سيّد الكويت ، والأمير ابن سعود ، ولكن بدون جدوى . إذ كانا يشتبهان بأن طالباً راغب في السيطرة ، لا على البصرة وحدها بل على الشاطيء العربي من الخليج أيضاً ، ولا يمكن أن يسمحا بذلك . وقد دام عدم ثقتهما بسبب تلميحات العملاء السريين الأجانب الذين كان بمقدورهم استعمال طالب كآلة وليس كقائد . وكان ابن سعود غاضباً أكثر بسبب كون الرسميين الذين عيّنهم طالب في الحسا يضايقون قوافل تجارة ابن سعود ، ويؤيدون أعداءه من (...) .

في نهاية سنة ١٩١٢ أرسل ابن سعود قافلة تجارية كبيرة إلى الكويت بقيادة إبنه تركي . وقد ضمن والي البصرة ومتصرف الهفوف معاً (الحسا) حرية مرورها ، ولكن بالرّغم من ذلك ، هوجمت وسُلِبت في ضاحية قلعة صاهود معسكر الحامية في الهفوف . وعند ذلك ظهر الأمير عبد العزيز بن سعود أمام الهفوف على رأس مقاتليه في النّصف الثاني من نيسان ، سنة ١٩١٣ . وقد انضمّ إليه بنو خالد مع سكان القرى المختلفة ، وأجبروا الحاميات التركية على الاستسلام . وقد اقتيدوا إلى مدينة العُقَير الساحلية ومن هناك إلى البصرة في مركب من مراكب السواحل . وهذا ما حدث للحامية التركيّة في القطيف ، وركّز ابن سعود جنوده في قرى الحسا الكبيرة وعيّن (عبدالله (ابن جلوي حاكماً لها .

كانت هذه الطريقة التي تمكن بها ابن سعود بدون صعوبة كبيرة من احتلال الساحل على مسافة تزيد على ٤٠٠ كيل . وكان الزعيم الأعلى لشبه جزيرة قَطَر عبدالله بن قاسم بن ثاني ، الوحيد الذي أبدى مقاومة وحمى الحامية التركيّة هناك . وأما سادة الموانىء الكبيرة إلى الشرق من قطر فقد قدّموا الزكاة لابن سعود بمحض إرادتهم ، حيث قد سيطر الآن على جميع طرق التجارة لداخل الجزيرة العربيّة ؛ وفي نهاية سنة ١٩١٣ وصل سلطانه إلى ميناء رأس الخيمة .

عبد العزيز والحماية البريطانية (١٩١٤–١٩١٥) :

لم تكن لدى عبد العزيز الرغبة في قطع علاقاته مع الأتراك ، على كل حال . وفي نهاية سنة ١٩١٣ أرسل قريبه ، عبدالله بن جلوي ، إلى بغداد ليشرح للحكومة التركية أسباب أعماله في الحسا وليطلب الصلاحية ليدير ويحكم داخل الجزيرة العربية باسم الخليفة والحكومة العثمانية ، فلم يؤخذ طلبه هذا بعين الاعتبار في البدء ، وفي الخامس عشر من أيار ، سنة ١٩١٤ ، ولكن عندما تَقَدّم المبعوثون الأجانب المطلقو الصلاحية بعرض تأييد له إذا وضع نفسه تحت حمايتهم ، لَبّت الحكومة العثمانية رغبته ، وعينته والياً وحاكماً على نجد (داخل الجزيرة العربية) ، ومنحته لقب شرف ، صاحب الدولة (الحاكم) .

وفي نفس الوقت ، أُعلنت الحرب ضد عبد العزيز من قِبَلِ ابن رشيد تابعه السابق والمحمي من الأتراك . وعن طريق الأسلحة التي كانت وُضِعَت تحت تصرّف ابن رشيد من قِبَلِ الحكومة التركيّة قام هو بمهاجمة القرى الشمالية النائية التابعة لأول والٍ تركي في داخل الجزيرة العربية . وأما شريف مكة فقد حال دون دخول ابن سعود إلى الحجاز ، كما قام ابن رشيد بمهاجمة جميع قوافله التي حاولت الوصول إلى طريق الحج المتجهة من بغداد إلى الكوفة ، وقامت قبائل الظفير والبدور المتّحدة مع ابن رشيد بمضايقته في جميع حركاته التجارية في منطقة العراق السفلى . وفي صيف سنة ١٩١٤ قدّم ابن سعود احتجاجاً عن هذه الأعمال التي قامت بها القبائل الخاضعة للأتراك والمؤيّدة منهم ضد رعاياه ، وطلب من بغداد ومن القسطنطينية معاً ، بواسطة برقية ، أن تمتنع الحكومة العثمانية عن السماح لسلطات الوالي والقائد بأن يُنتقص منها ؛ ولكن كانت جميع جهوده عقيمة .

وبما أنه الآن معزولٌ من الجنوب الغربي ومن الغرب ومن الشمال ، ومن الشمال الشرقي عن جميع علاقاته التجاريّة مع الامبراطورية العثمانية لم يبق له سوى طريق واحد مفتوح وكان إلى الشّرق . ولكن هذا الطريق كان يَتّجه إلى البحر ؛ وكان البحر والخليج يخضعان للبريطانيين.

وكان في أثناء إقامته في الكويت سنحت له فرصة كافية لدراسة شخصيّة البريطانيين عن كثب ، وقد تبيّن – كما اعترف هو – أنهم كانوا يؤيدون الوطنيين طالما كان ذلك في مصلحتهم . ولم يكن ابن سعود يرغب في أن يصبح آلة بين أيديهم . وكان قد أعلن أنه ليس بإمكانه أن يضع ثقته في البريطانيين ولذلك لا يمكنه أن يحبّهم . وبما أنه قد دُفِعَ به إليهم وإلى التعامل تجاريّاً معهم فقد حاول أن يُبقي علاقاته حَسَنَةً معهم ، وكان يعامل ممثّليهم معاملة الصّداقة ، يتقبّل الهدايا منهم ، ولكنه لم يسمح لهم في التدخُّلِ في الشؤون الداخليّة في بلاده .

وعندما انضمّت الأمبراطوريّة العثمانيّة إلى القوى الرئيسية في الحرب العالمية في أواخر خريف سنة ١٩١٤ ، أُرْسِلَ الكابتين شكسبير W. H. I. Shakespear المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ، على الفور إلى ابن سعود وحاول إقناعه للقيام بعمل ضد تركيّا . كما فعل ذلك مبعوثو نقباء البصرة ، وأتباع سيد المُحَمّرة وعبد الله ابن شريف مكة أيضاً . فأرجأ عبد العزيز المفاوضات ، وأشار إلى اضطراب محتمل في أراضيه إذا هو تخلى عنهم ، وبحث في الوضع الحقيقي للأتراك وحلفائهم . ولكونه مسلماً مؤمناً وعربياً عريقاً في تعشّقِه للحريّة ، فقد حزِن لسلوك طالب النقيب في البصرة ، ولأفعال سيّد المُحمَرة . وأما شريف مكة الذي كان قد وصم رعايا أمير الرياض كما وَصَم الأمير نفسه بالكفر قبل وقتٍ قصير ، فقد اعتُبر مكروهاً من الجميع ، حين وضع نفسه وأماكن الأسلام المقدسة أيضاً تحت حماية الكفرة .

وبما أن ابن سعود لم يكن لديه سوى موارده الخاصة ، وكان محاطاً بالأعداء من جميع الجهات الذين كان قِسماً منهم لا يزال مؤيّداً من الحكومة التركيّة ، فإنه لم يتمكن من عمل شيء ضد البريطانيين . وفي السادس والعشرين من كانون الأول ، سنة ١٩١٥ ، وقّع معاهدة معهم كانت تتضمّن المواد التالية : (إن حكومة صاحب الجلالة تعترف وتُقر أن نجد والحسا والجُبيل ، وملحقاتهما ومقاطعاتهما ، التي سيجري البحث وتقرير ما يلزم فيما يتعلق بهما في وقتٍ لاحق ، هي جميعها

لابن سعود ، الذي هو حاكم مستقل لهذه البلاد وزعيم لجميع القبائل ، وله الحق في اختيار خليفته الذي سوف تعترف بريطانيا به ، بشرط أن لا يكون عدوًّا لها .

يتعهد ابن سعود بالامتناع عن القيام بأي عدوانٍ أو تدخلٍ في أراضي الكويت والبحرين وقَطَر وعُمان الخ ؛ وسوف تُقرّر حدود هذه الأراضي فيما بعد .

سوف تقدم بريطانيا العظمى بمساعدة ابن سعود وخليفته ضد جميع الأعداء الخارجيين والداخليين ، على أن يمتنع ابن سعود عن التوقيع على أيّ اتفاقية مع قُوَّة أخرى بدون موافقة بريطانيا العظمى) .

ومع أن ابن سعود قد تقبّل الكثير من الهدايا من البريطانيين ، إلا أنه قد أكد حياده . وقامت قبائله بشنّ غارات السلب على حلفاء بريطانيا العظمى وكانت تؤيّد عجمي ، الزعيم الأعلى لقبيلة المنتفق . وعجمي هذا ، الذي كان قد أُعلن خروجه على القانون من قِبَلِ الحكومة العثمانية قبل وقتٍ قصير ، كان على رأس جميع القبائل التي بَقيَت مخلصةً للسّلطان وكانت تقوم بمضايقة أصدقاء البريطانيين وحلفائهم . وكان أكبر عَدُوٍّ له بين البدو هو حمود بن سويط ، الزعيم الأعلى لقبيلة الظفير وأحد حلفاء ابن رشيد ؛ وكان أعظم أصدقائه الأمير عبد العزيز بن سعود وجابر بن صباح ، ابن سيّد الكويت .

عهد عبد العزيز ، ١٩١٦–١٩١٨ :

كان لسالم ابن مبارك بن صباح شقيقان ، جابر وناصر . فاستغَلّ جابر ، أفضل صديقٍ لابن سعود ، مركزه المرموق لدى سكان الكويت ، بينما نجح سالم (بمساعدة ناصر) في كسب القبائل المخيمة في أراضي الكويت . وبمساعدتها قام بمهاجمة أخيه جابر ، وأتباعه ليتمكّن من خلافة والده المُسِنّ مبارك سيد الكويت . وعندما أرسل ابن سعود العون لصديقه جابر بن صباح ، حرَّض سالم ، ضِيْدَان بن حثلين وابن منيخر زعيمي قبيلة العجمان المخيّمة في شمال الحسا ، ضد ابن سعود ، وكان ذلك سهلاً جداً ، لأن العجمان كانت تؤيد أبناء سعود بن فيصل بن سعود ، الذي كانت زوجته من نساء قبيلة العجمان ، ولهذا كانوا يرغبون في

القضـــاء على الأمير عبد العزيز بن سعود ، لأنه رفض أن يتوجّه ضد القوات العثمانية والقبائل الموالية لها وكانت أراضيه ستهاجم من ناحيتين ، من قِبَل قوم مبارك بن صباح بقيادة ابنه سالم من الشّرق ، ومن قِبَل قبائل العجمان وآل مُرَّة ، ومن الغرب من قبل قبائل حرب وعتيبة . والقبيلتان الأخيرتان مجهزتان من قِبَل الشريف حسين ، الذي يكاد يتميز غيظاً ضد سيّد الرياض . الذي رفض تأييد خُطَطِه . وقد فَكّر حسين أن أبناء سعود بن فيصل ، أو ، كما كانون يُسَمُّون (...) سوف يضعون أنفسهم على رأس قبائله ، التي تحاول غزو الرياض . ولكن بعضهم عاد إلى الأمير عبد العزيز ، وقدم له الطاعة .

صُدَّت قبائل حرب وعتيبة بسرعة ، ولكن العجمان وحلفاءهم أوصلوا الأمير إلى خطرٍ عظيم . وفي حزيران ، سنة ١٩١٥ ، كان عبد العزيز يقيم مع أخيه سَعد وكثير من أقربائهما في منطقة الحسا ، حتى يُجبروا قبائل العجمان المختلفة على الطاعة وكانت قبيلة العجمان مخيّمة على مقربةٍ من مدينة الهفوف ، وكانت قطعان ماشيتهم تحت النّظر ، فأغار سعد شقيق الأمير على قطعان منها فأخذها ، وقتل بعض الرجال . فاستغل الزّعماء ضيدان بن حثلين وابن منيخر الهياج بين رجال قبيلتهم فذبحوا كثيراً من مقاتلي ابن سعود ، وعزلوه في الهفوف . وقد انضم إليهم كثير من بني خالد والحضر على أن الأمير تمكن من الصمود في قلعته القوية (الكوت) ولكن بجهود عظيمة . وبعد أن أصبح عبد العزيز ورجاله يعانون مَشَقّة الجوع ، أنجد بقوات هاجمت العجمان مع حلفائها فأوقعت بهم الهزيمة ؛ وبعد أيلول ، سنة ١٩١٥ ، عادت الهفوف وجميع منطقة الحسا مرة أخرى إلى حكم أمير الريّاض . ولكن بعد أن فَقَد سعدٌ ، شقيق الأمير ، وثمانية من رجال أسرة البيت الحاكم أرواحهم في الحسا .

وتوفّي مبارك بن صباح في الثالث من كانون الثاني ، سنة ١٩١٦ ، كما توفي ابنه وخليفته جابر في نهاية شهر تموز ، سنة ١٩١٧ ونودي بأخيه سالم حاكماً على الكويت ، ولكن أعداءه تآمروا ضده وحاولوا كسب تأييد (الاخوان) غير أن سالماً وجد حلفاء له فأراد أن يوقف تقدم ابن سعود .

وبعد نشوب الحرب بين شريف مكة وبين القوات التركية (حزيران ١٩١٦) ، قامت سرايا ابن سعود بهجمات عديدة داخل أراضي (شريف) مكة ، وأوقعت خسائر كبيرة في أتباعه ، وأبعدت عنه قبائل مختلفة . ومن خلال التقدم المشترك للقوات التركية ولرعايا ابن سعود في المناطق المجاورة إلى خيبر في مطلع صيف ١٩١٦ تَمّ اتصال مباشر بين ابن سعود ، الوالي والحاكم في الجزيرة العربيـــة ، وبين القوات التركية التي كانت تعمل في ضواحي المدينة . وبهذا تزوّد الأتراك بالجمال . وفي نهاية شهر أيلول ، سنة ١٩١٦ ، ذهب مبعوث من قِبَلِ ابن سعود إلى دمشق للبحث في مسائل مختلفة مع السلطات العثمانيّة ، مع أن الأمير بنفسه قام بزيارة البريطانيين في البصرة في أواخر شهر تشرين الثاني من تلك السنة .

في ربيع سنة ١٩١٥ كانت عشائر من قبيلة شمر في الجنوب قد انضمّت إلى ابن سعود ، بينما تبعت عشائر من تلك القبيلة في الشمال تبعت نواف بن شعلان سيد الجوف ، وحيث أن أمير الرياض وسيّد الجوف كانا من الأصدقاء . وحافظا على النظام التّام ، فإن الأمن عاد يسيطر مرة أخرى داخل الجزيرة العربيّة وبدأت التجارة في الأزدهار ثانية . وكانت القوافل ، التي كان يزيد عددها عن خمسمئة جملٍ في أغلب الأحيان وجميعها محملة ، تأتي بالبضائع من العُقير والكويت مخترقة قلب الجزيرة العربية إلى دمشق لتزوّد السكان هناك بالمؤن والملابس .

الأخوان :

كان نمو نفوذ ابن سعود شوكة في جسم سالم بن صباح ، سيد الكويت ، وكان محاصراً بقبيلة العجمان ، التي أبعدت من الحسا من قِبَلِ ابن سعود فاستقرّت في ضواحي الكويت . وكان العجمان يعتمدون على حُسنِ نيّة سالم ، فانضموا إليه جميعاً وساعدوه لا على إسكان أعدائه في الداخل فحسب بل في إجبار القبائل المتمرّدة المختلفة على دفع الضريبة . فطلبت تلك القبائل الحماية من ابن سعود ، وكانت تدفع له الزكاة ، وقد وقعت بعض الحركات الأستفزازية ، فكان في مطلع سنة ١٩١٨ ، حدث قتال بين رعايا ابن سعود وبين أتباع سالم بن صباح . فكان

حافزاً جديداً لابن سعود لاحتلال ميناء الكويت وزيادة دخله الجمركي . ولكن هذا العمل يجعله يصطدم بالحكومة البريطانية ، إذ المعاهدة التي أبرمت في نهاية سنة ١٩١٥ كان قد تَعَهد فيها أن لا يهدد الكويت بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فتمكن من تفادي هذا الأصطدام بالتماس الصفح عن (الأخوان) . وكان طلب الصفح له أساس صحيح .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى وصلت كميات من الأسلحة والذخائر داخل الجزيرة العربيّة من جميع الجهات حتى أصبح أفقر بدوي قادراً على تزويد نفسه ببندقية جيدة وكمية وفيرة من الرصاص . ولكن الحرب عمّقت من الحياة الدينية في الجزيرة العربيّة ، كما انتشرت تعاليم (الوهابيين) شفهياً وبطريق الكتابة ، وعلى الأخص من الأنصار الذين ازدادوا للأخوان وكانوا يعظون أن واجب كل فرد أن يعرف الله ، ونبيّه ، والديانة التي أنزلها ، حتى يستوعبوا أصول الدين مقروناً بالعمل ، وأن يظلّوا مخلصين له في كل محنة . ومن كانت هذه صفته فله الحق بأن يُسمّى مسلماً ، ومن مهمته أن يُعَلّم الآخرين ، لا بالقول فقط ولكن بالأعمال أيضاً ، وأن يقطع علائقه مع كل وثني أو عابد للأنبياء والصالحين ، وأن يعتقد بأن آخر رسول أرسل إلى البشريّة من الله هو محمد (صلى الله عليه وسلم) لا نبيَّ بعده .

وكان من حظ ابن سعود الكبير أنه في إمكانه إقامة هدف جديد وأكثر تقوى أمام رغبات رعاياه الحربيّة ، وأكبر من هذا أن فيصلاً الدّويش الزعيم الأعلى لقبيلة مطير قد وضع نفسه على رأس تحركات الجيش المتدين ، إذ قبيلة مطير من بين القبائل المهمّة جدًّا في داخل نجد ، وقد اضطرّت القوات التركية—المصرية التابعة لمحمد علي إلى تقديم الشّكر لها لمساعدتها في كسر سلطان (الوهابيين) واحتلال عاصمتهم . مدة بقاء الحاميات التركية—المصرية في داخل نجد ، وكانت هذه القبيلة من ألد أعداء ابن سعود . وبعد انسحاب المصريين ، كانت تضطرّ للأعتراف بسيادة ابن سعود ، بين وقت وآخر ؛ ولكنهما كانت تستغل كل فرصة لوضع الصعوبات في طريقـــه وتؤيد تقدم ابن رشيد . وكان على ابن سعود أن يشكر حماسة

زعيمهم الأعلى ، فيصل الدّويش الدينيّة ، إذ أن الحقيقة أن قبيلة مطير لم تتحالف مع ابن رشيد أو الأتراك أثناء الحرب العالمية وأنها بعد الحرب عارضت مقترحات مبعوثي الملك حسين ، مع أنه ذكّر رؤساءهم أنهم قد وجدوا الأصدقاء والمساعدين ضد الوهابيين وشريف مكة دائماً . وكان حسين وأتباعه في نظر فيصل و (الإخوان) الآخرين من المنحرفين ، بل من الخونة ، الذين استعملوا الإسلام آلة لأجل مصالحهم الخاصة وأنهم قد باعوا مصالح المؤمنين الحقيقيين ، كما اعتبر الحسين الأخوان أنفسهم ، وجميع البدو والحضر في نجد يشاركونهم نظرتهم هذه لهذا تبعوا (الإخوان) وزعيمهم فيصل الدّويش ، بمحض اختيارهم ، عندما دعاهم لشن حرب دينيّة ، وكان فيصل يقوم بمضايقة قبائل الملك حسين في الغرب ، وواحات ابن رشيد في الشمّال ، وقبائل ابن صباح وقراه في الشمال الشرقي . وكان بإمكان الأمير عبد العزيز بن سعود أن يصرف الغارات المختلفة ، ولكنه لم يكن قادراً على منعها ، لأن فيصل الدويش و (الأخوان) أقوى منه هو نفسه كان يرغب في كسر الطّوق الذي حاول أتباع شريف مكة من أعداء عقيدته ونفوذه السياسي يقيمونه حوله .

عهد عبد العزيز من ١٩١٨ إلى ١٩٢١ :

الاستيلاء على حايل : مع نهاية الحرب العالميّة كان وضع الأمير عبد العزيز بن سعود أكثر صعوبة عما قبله . كان قد وجد أصدقاء كرماء في البريطانيين قبل الحرب ، الذين حَموه من الحكومة التركيّة ومكّنوه من الصمود أمام أعدائه في داخل الجزيرة العربية والقضاء عليهم . وبعد الحرب اختفى نفوذ الأتراك الضعيف ، وحل مكانه قوة بريطانيا العظمى العسكرية والاقتصاديّة ، التي ظهر تحت حمايتها دول كبيرة وصغيرة مستقلة عن حدود نجد ، مُجبرين نفوذ ابن سعود على التراجع ومحوّلين القبائل واحدة بعد الأخرى عنه . ولم يكن ابن سعود يتوقع أن تكون نتيجة الحرب بمثل ذلك ، ويُمكن أن يُفهم من ذلك أنه اضطر لحماية نفسه من مثل هذه السياسة المحاصرة لكل إمكاناته ، حتى ولو جازف بانتهاك معاهدة سنة ١٩١٥ مما يُسبّب توقّف إعانة البريطانيين وتشجيع إقامة الحصار لموانئه على الخليج .

لقد أدركت الحكومة البريطانية صعوبات ابن سعود وحاولت تلبية طلباته ، مع أن البريطانيين استفزوا بذلك حلفاءهم الآخرين في الوقت الحاضر . وبدعوة منهم ، توجه فيصل بن عبد العزيز ابن سعود ومعـــه قريبه أحمد بن عبدالله بن ثنيّان ، الذي قد تربّى في القسطنطينية ، إلى لندن ، حيث استقبلهم الملك جورج الخامس في الثلاثين من تشرين الأول ، سنة ١٩١٩ ، مع أحمد بن جابر ممثّل سيد الكويت . في نفس الوقت حاول السّير برسي كوكس إحياء الصداقة القديمة بين سادة الرياض والكويت . وأثناء مفاوضاته مع عبد العزيز في مدينة العقير (في نهاية أيلول ، سنة ١٩١٩) أشار إلى المعاهدة الموقّعة في الثالث والعشرين من أيار ، سنة ١٩١٣ بين بريطانيا العظمى وتركيا ، بموجبها تكون أراضي سيد الكويت المستقلة ممتدّة إلى مسافة تعادل سبعين ميلاً على جميع نواحي الكويت ، وأن القبائل التي تُخيم في هذه المنطقة تعتبر تابعة للكويت . ولكن عبد العزيز لم يقبل امتيازات للأتراك وأصر على حقه في جباية الزكاة من جميع القبائل والقرى حتى حدود الكويت وقد واصل عبدالله بن ثنيّان — قريب ابن سعود — المفاوضات في بغداد ، حيث كان قد وصلها في مطلع شباط ، وبقي حتى نهاية أيلول ، سنة ١٩٢٠ ، ولكن لم يحصل على نتيجة مُشَجعة ، وتقدم خزعل سيد المحمرة إلى السير (برسي كوكس) وسيطاً ، وأرسل ابنه ، برفقة أحمد بن جابر ، ممثل سيد الكويت إلى الرياض لكي يحاول إقناع ابن سعود في التراجع عن مطالبه . وفي نفس الوقت كان فيصل الدّويش مع (الأخوان) يقومان بغارات لا على المناطق المجاورة للكويت فحسب بل على القرى الواقعة على حدود العراق أيضاً فأوقعوا ذعراً هناك لدى أهل الكويت فلاحظوا مدينتهم بسور عال ، وحرسوا جميع المداخل في الليل والنهار ، ومن حظهم ، أنه في السابع والعشرين من شباط ، سنة ١٩٢١ ، توفي سيدهم ، سالم بن صباح وكان ابن أخيه وخليفته أحمد بن جابر صديقاً لابن سعود وللدويش معاً ومعجبٌ بنشاطهما ، فقبل بهدوء سيادة ابن سعود وهكذا خلّص أراضيه من خطر متوقّع .

وفي سنة ١٩٢٠ ، ألزم (الأخوان) بقيادة فيصل مناطق عسير الجبَلية ، مع

أبها العاصمة ، على الخضوع ، ومنذ مطلع سنة ١٩٢١ كانت أكثر هجماتهم موجهة ضد الملك حسين وحليفه ابن رشيد . وقد ظهروا مرّات في ضواحي الطّايف والمدينة ، وأخضعوا كثيراً من المدن الساحليّة على البحر الأحمر ، وكانوا ينوون مهاجمة مكة لو لم يتخوّف زعماؤهم من قوّة بريطانيا .

وفي ربيع سنة ١٩٢١ أوضحت الحكومة البريطانية مرة أخرى لابن سعود أنها على استعداد لدفع منحة شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه استرليني ، ولكن بشرط تنفيذه للمعاهدة المعقودة في السادس والعشرين من كانون الأول ، ستة ١٩١٥ ، وأن لا يقوم بمهاجمة الملك حسين أو أحد أبنائه . وحيث أن ابن سعود كان في حاجة ماسة للنقود لأجل (الأخوان) الذين كانوا يشكلون في الواقع جناحاً مستقلاً فقد جدد موافقته ولكنه أوضح استحالة منع جميع الأعمال العدائية التي تقوم بها قبائله .

وفي حزيران ، سنة ١٩٢١ ، أخبر ابن سعود السير برسي كوكس ، الذي كان مندوباً سامياً في العراق في ذلك الوقت ، أن ممثلي قبائله مع ممثّلي الواحات قد طلبوا منه في أيار ، سنة ١٩٢١ ، أن يحمل لقب (سلطان) وطلب من الحكومة البريطانية الموافقة على رغبات زعمائه وأن يعترف بمركزه كسلطان . وقد ووفق على ذلك ، ولكن بعد أن يعلن عدم ممانعته في تعيين فيصل ابن ملك الحجاز ، ملكاً على العراق فقط ، وكان توقيع هذا الإعلان يتطلّب ضبط نفسٍ من ابن سعود ، إذ بذلك سيكون محاصراً بقيدٍ مُشَكّلٍ من أسرة شريف مكّة ، ومقطوعاً عن أية علاقات حرّة مع المقاطعات المتمدّنة القائمة على حدوده . وربما كان يأمل في عدم قدرة حسين وأبنائه على الأحتفاظ بمملكتهما طويلاً ، أو أن (الأخوان) سيتمكنون من كسر الطّوق المضروب حوله .

ومن حظ حكومة العراق أن يكون السكان على ضفّة الفرات اليمنى وأيضاً البدو من الشيعة ، من أعداء ابن سعود ، الذي ليس بمقدورهم نسيان قيام أسلافه بسلب الأماكن المقدسة التابعة لهم ، وكانوا يتخوفون من قيامه بالضّغط على جماعته من (الأخوان) للقيام بأعمالٍ مماثلة . ولو أن هذا الكَرَه الديني العميق لم يكن

يفرّق بين الشيعيين و (الوهابيين) ولو أنه كان بإمكان الشيعة الانضمام إلى ابن سعود ، لكان وضع الملك فيصل ، الذي كان يعارضه رجال الدين من الشيعة بانتظام ، قد أصبح خلال وقت قصير ، بدون حماية أو تأييد .

ولقد نتج عن القتال مع ابن رشيد ، الذي كان مؤيّداً من مكة وبغداد معاً ، إجبار عشائر كثيرة من قبيلة شَمّر على الارتحال إلى حدود العراق ليضعوا أنفسهم هناك تحت حماية فهد بن هذّال ، زعيم قبيلة العمارات الأعلى ، وكان فهد من أعداء ابن شعلان وابن سعود الأقدمين ، مع أنه كان قريباً لهم . وبما أن النوري بن شعلان كان متحالفاً مع ابن سعود ، وكان فهد يتخوّف من إمكان القضاء عليه ، فقد طلب حماية الحكومة في بغداد ، وأصبح مؤيّداً متحمساً للملك فيصل ، مع أنه لم يكن يحترم فيصلاً ولا عائلته وقد قام أتباع فهد بن هَذّال مع شمر النازلين معه بإغارات على قبائل من رعايا ابن سعود واستفزّوهم للقيام بأعمال انتقاميّة . وطالما أن ابن رشيد لم يكن قد هُزِمَ هزيمة تامة فإن ابن سعود لم يقم بحملات مهمة ضد حدود العراق . ولكنه عندما دخل حايل في مطلع شهر كانون الأول ، سنة ١٩٢١ ، وعين حاكماً له هناك ، أصبح الأخوان طليقين وتمكن فيصل الدويش من قيادتهم ضد ولايات الملك حسين وأبنائه .

علاقات عبد العزيز مع البريطانيين ، ١٩٢١–١٩٢٣ :

ربح الأخوان أتباعاً في واحات شَمّر بين قبائل عنزة الغربية والشمالية معاً ، ممن اعترفوا جميعاً بسيادة ابن سعود ، ابن قبيلتهم . وفي تموز ، سنة ١٩٢٢ ، احتلّ الأخوان واحه الجوف ، حيث عُيّنَ سلطان بن نوّاف ، حفيد الأمير النوري بن شعلان ، حاكماً ، تحت إمرة ابن سعود . وبعد وقت قصير أجبرت واحتا تيما وتبوك على قبول سيادة ابن سعود ودفع الزكاة لممثّليه .

هنّأ السير برسي كوكس ، الذي كان يحاول مُخلصاً إقامة علاقة صداقة بين ابن سعود وبين الحكومة البريطانية ، هنأه على انتصاره على ابن رشيد ورجاه أن يتوصّل إلى اتفاق مع الملك فيصل ، وعرض خدماته لهذا الغرض . وكان يبدو أن

توقيع مثل هذ الأتفاق ، بعد هزيمة ابن رشيد أكثر صعوبة من ذي قبل ، إذ أن ابن سعود كان يعتبر جميع القبائل التي كانت تدفع الزكاة لابن رشيد قد أصبحت من رعاياه ، ولذلك فقد امتدت دائرة نفوذه إلى الضفّة اليُمنى للفرات فيما بين الفلوجة والبصرة . ولكي يثبت ذلك ظهر فيصل الدّويش في مطلع شهر آذار ، سنة ١٩٢٢ ، مع (الأخوان) ونهب جميع بيوت البدو والقرى الواقعة في جوار (أبو غار) والشقرة (؟) التي كان سكانها يرفضون دفع الزكاة . وأما القوات التي يُفترض منها أن تدافع عن هذه القرى فقد ذُبح قسمٌ منها ، والقسم الآخر طرد خارجاً ، ولم يتمكن سوى الطائرات البريطانية من إجبار (الأخوان) على التراجع . وعندما لفت السير برسي كوكس انتباه ابن سعود إلى هذه الأعمال ، فقام ابن سعود في تبرئة نفسه منها على اعتبار أن فيصل الدويش قام بها بدون معرفته وبأنه غير قادر على معاقبته على كل حال . ولكي يعبر عن حُسنِ نيّته للسير برسي كوكس أرسل أحمد بن عمد الله بن ثنيّان إلى الفيليّة (؟) ، محل إقامة سيد المُحَمّرة ، حيث قام بتخطيط الحدود بين العراق والكويت ، ونجد . وقد انتهت المفاوضات في الرابع من أيار ، وحُدِّدت الحدود ، ولكن ابن سعود لم يقبلها في الظاهر على اعتبار أن ممثليه قد تجاوزوا صلاحياتهم وفي الواقع بسبب رفض قبيلة الظفير بقيادة حمود بن سويط الأنتماء إلى العراق وطلبها حماية فيصل الدّويش . ونتيجة لذلك قام (الأخوان) مع قبيلة الظفير بمضايقة حدود العراق بإلحاح ولكن بدون مساعدة فيصل الدّويش ، الذي كان مُشتبكاً على مسافة أبعد إلى الشمال الغربي والجنوب الغربي . هوجمت كل الجماعات القاطنة بين المدينة وحوران ، والتي كانت موالية إلى الملك حسين وابنه عبدالله ، ونُهِبَت الواحدة بعد الأخرى ، وأما بين تربة وأبها فقد امتد نفوذ ابن سعود ، وانتشرت هُجَر الأخوان فيها .

في نيسان ، سنة ١٩٢٢ ، حضر ممثلون لابن سعود إلى دمشق ، فدخلوا في مفاوضات هامة مع ممثلي الحكومة الإفرنسية . وقد أعلن رئيسهم لمراسل جريدة « ألف باء » العربية أن ابن سعود لم يوقع أية معاهدة مع الملك حسين ولا مع ابنيه عبدالله في شرقي الأردن وفيصل في العراق ، وأنه سوف لا يخضع لأية حكومة

أجنبية . وكان هو مستعدّاً للوصول إلى شروطٍ مع الملك حسين إنما بشرط عدم تدخل أية قوى أجنبية في مفاوضاتهما . وفي نهاية شهر تشرين الثاني ، سنة ١٩٢٢ ، عين ابن سعود تلجر الجمال الحاج فوزان السابق قنصلاً له في دمشق ، وقد اعترف بفوزان لا من الإفرنسيين فحسب بل من قبل الحكومة البريطانية أيضاً . فكان هو أول مُمَثّلٍ لابن سعود في بلدٍ أجنبي . ولم يوافق البريطانيون على هذا التعيين إلا بعد أن أكد لهم ابن سعود بأنه سوف يوقّع ويحترم اتفاق الحدود العراقية التي أبرمت في المحمرة . وقد وُقِّعَ الإتفاق في العقير في الثاني من كانون الأول ، سنة ١٩٢٢ . وقد اعتبرت مواقع مياه طوال الأمغر الهامة الواقعة إلى الغرب من الباطن منطقة محايدة ، وأما أراضي قبائل المنتفق والظفير والعمارات فقد ضُمّت إلى العراق . وفي الشمال وصلت الحدود العراقية إلى جبل عنزة (؟) مع أن هذا الجبل لم يكن يَخُص القبائل العراقية .

وفي نفس اليوم الثاني من كانون الأول ، سنة ١٩٢٢ ، وقع اتفاق آخر أيضاً ، لتحديد الحدود بين نجد والكويت . وكان هذا الحد يبدأ من طرف الباطن الشرقي ، في نقطة تقع في مواجهة نقطة بدء الحدود بين نجد والعراق ، وأن تسير قايلاً جنوباً بشرق حتى تصل إلى موازاة خط العرض ٢٩ عند نقطة تقع على حوالي خمسة وأربعين ميلاً إلى الغرب من شاطىء الخليج وأكثر من أربعين ميلاً جنوب غرب الكويت . ومن ثم ، تتصل بشاطىء الخليج إلى الجنوب من رأس القليعة تقريباً . وكان هذا الخط لأجل تنظيم الحدود الجنوبية المُسَلّم بها لدولة الكويت ، وكان هناك منطقة أخرى إلى الجنوب من هذه الحدود قد حُدِّدت بشكل يجعل حكومتي نجد والكويت تشتركان في إدارتها بحقوق متساوية حتى توقيع اتفاق آخر . وكانت حدود هذه المنطقة ستبدأ عند النقطة التي يصل بها الخط الأول في موازاة خط العرض ٢٩ وأن تتجه أولاً إلى الجنوب — الجنوب الشرقي وبعدئذٍ باتجاه الشرق حتى تصل إلى الشاطىء على بعد ما يزيد عن أربعين ميلاً إلى الجنوب من رأس القليعة .

ولم تحترم هذه الاتفاقيات لأن (الأخوان) كانوا قد كسبوا كثيراً من المؤيدين بين القبائل ، ممن لم يكونوا راغبين في الاعتراف بسادتهم الجدد . وقد رفض كثير

من عشيرة الدّهامشة وقبيلة الظفير بتأييد من (الأخوان) رفضوا طاعة الملك فيصل . وأوجدوا له ولأتباعه صعوبات حتى التمست الحكومة العراقية من السير برسي كوكس ، في ربيع سنة ١٩٢٣ ، إيقاف دفع المنحة المقررة لابن سعود . فأوقفت في تشرين الأول ، سنة ١٩٢٣ ، وبما أن (الأخوان) واصلوا مضايقة الحدود العراقية ، فقد هُدِّد ابن سعود بإقامة حصارٍ على جميع موانئه على البحر ولكي يتفادى ذلك قام بتوجيه اهتمام (الأخوان) إلى الغرب ، حيث كانت القبائل المختلفة التي لم تكن راضية عن الملك فيصل قد وجهت دعوة إلى ابن سعود .

علاقات عبد العزيز مع حسين وفيصل ، ١٩٢٣ :

وجد الملك حسين أن الضرائب المرتفعة التي تُحصَّل من الحجّاج غير كافية ، فحاول زيادة ضرائب الزكاة وتحصيل هذه الضرائب بدون رحمة . فاستخدم قوّاته لهذه الغاية . وقد تخلّصت القبائل والحضر من هذا الخطر بارتحالهم إلى أراضي ابن سعود أو باستقبال ممثّليه في واحاتهم . وبهذه الطريقة جَرَّ تحصيل الضرائب من قبلِ الملك حسين إلى حربٍ مع ابن سعود ، وكان الشريف راجح على رأس قوات الملك حسين العاملة في المنطقة الجنوبية للحجاز وعسير . وقد احتلّ قرية محايل ، التي كان سكانها قد ذُبِحوا ، وتقدّم بعد ذلك ضد واحة بني شِهْر . وفي طريقه أوقع الهزيمة بكتيبةٍ كان ابن سعود قد أرسلها من أبْها لمساعدة أهل محايل. وفي السابع والعشرين من نيسان ، سنة ١٩٢٣ ، وصل أبها نفسها ، وقام بمحاصرة هذه البلدة العظيمة . ولكن نجدات ابن سعود وصلت بعد وقتٍ قصير ، فهوجم راجح ، وهُزِم ، وأما قواته فقد قُضيَ على معظمها تقريباً أثناء فرارها . وأثناء هذا القتال نُهبت قافلة من الحجاج كانت آتية من جنوب غرب الجزيرة العربية وكان يرافقها جنود الملك حسين . عندما سَمِعَ ابن سعود بذلك أرسل عملاءه على الفور لمعرفة الأموال المسروقة من الحجّاج وإعادتها إليهم أو إلى ورثتهم . وقد أجبر (الأخوان) على التخلّي عن حملة كانت موجهة ضد الملك حسين ، خوفاً من مضايقة الحجاج أثناء قيامهم بواجباتهم الدينيّة . أطاع الأخوان ، ولكن بتردّدٍ

كبير. لأن إخوانهم ، لامن في الجنوب الغربي ، فحسب بل ومن في الشمال الغربي أيضاً ، قد شكوا من فظائع جباة الضرائب من جماعة الملك حسين .

وفي الشمال الغربي كانت قوات الملك حسين تحت قيادة الشريف هزّاع واسماعيل أفندي . وقد أجبرت سكان واحة العِلا على دفع الزكاة المطلوبة منهم . ومن هناك سارت بطريق الحِجر العريرية (؟) ، حيث هاجمت مخيّم جماعة الأيْدا بقيادة فرحان الزعيم الأعلى . أسرع مقاتلو قبيلة بلي بقيادة راشد بن مَنْقَرة ممن اعترف بسيادة ابن سعود ، إلى مساعدة جماعة الأيْدا المحاصرة ولكن الزعيم فرحان سقط قتيلاً مع زعماء كثيرين من ولد علي ، فاضطرّت قوات الملك حسين إلى التسليم في النهاية ، فقتل قائدها اسماعيل أفندي ، ومعه أيضاً ابراهيم بن رفاده سيّد ميناء الوجه ، والقزاز ، مثمل حسين في العلا . وأما محمد بن فرحان القتيل ، فقد اتّجه إلى الرياض ، فوصلها في السادس والعشرين من أيار وهناك اعترف به ابن سعود زعيماً أعلى وأكّد حمايته ضد حسين ، لم يلقب ابن سعود ، في تقاريره الرسمية عن هذه الأحداث التي كان يرسلها إلى قنصله في دمشق حسيناً بالملك ، بل الشريف فقط ، وقد أكّد أنه لم يعد بمقدوره بعد الآن منع نشوب حربٍ عامة معه .

وفي خريف سنة ١٩٢٣ ظهرت فرقة صغيرة من الأخوان قرب الضَّفّة اليمنى لنهر الفرات لكي تجبي الزكاة مرة أخرى . وقد سبب ذلك ، قيام السير هنري دوبز (Dobbs) المندوب السامي في العراق ، بضغطٍ لأجل عقد اتفاق دائم ، وقام بإرسال ضابطٍ سياسي بريطاني إلى الرياض ليلحّ بإصرار ليرسل ابن سعود ممثّله إلى الكويت ، حتى تجري المفاوضات لتعيين الحدود للولايات المختلفة واستقلال القبائل المختلفة حسب المعاهدات الموقّعة في سنتي ١٩١٥ و١٩٢٢ . فاستجاب ابن سعود للطلب البريطاني ، لأنه لم يكن يرغب في قطع علاقاته مع بريطانيا ، وعند المفاوضات كان يأمل أن أحمد ابن جابر ، سيد الكويت ، والنوري ابن شعلان ، الزعيم الأعلى لقبيلة الرولة ، سوف يؤيدان مطالبه معاً ، وحتى إذا لم يَتِمّ ذلك ، كان لديه مساندة (الأخوان) الذين بمقدورهم إبقاء المراقبة حتى ضفاف الفرات .

افتُتحت المناقشات في الكويت في السابع عشر من كانون الأول ، سنة ١٩٢٣ . وقد تأجّلت المفاوضات مرتين ، وفي الثاني عشر من نيسان ، سنة ١٩٢٤ ، انتهت بدون الوصول إلى أية نتيجة ، إذ أن حكومة العراق لم تكن راغبة في إبعاد القبائل العنيدة التابعة لابن سعود من أراضي العراق كما أن ابن سعود كان غير قادر على منع غارات فيصل الدويش ضد هذه القبائل لأجل تحصيل الزكاة ، وقد طالب ممثلو الأمير عبدالله أمير شرق الأردن والملك حسين بإعادة سلطة ابن رشيد ، ودمج منخفض السرحان بأكمله ، وحوض الجوف ، والمنطقة المحاذية لهما حتى العراق في أراضي شرق الأردن ، ولكن هذا الطلب قوبل بالسّخرية من مفوّضي ابن سعود ، بينما لم يتمكن ممثلو الملك فيصل من تأييد هذا المطلب ، إذ أن بريطانيا قد هنأت ابن سعود على انتصاره على ابن رشيد ، حليف الملك حسين . وقد بدى أنه لا يمكن تفادي حرب مع هذا .

كان الملك حسين ، وهو رجل عمل وداهية ، قد حاول بيع صداقته بأغلى ثمنٍ ممكن ، عند ابتداء الحرب . بينما أكّد ابنه فيصل في سنة ١٩١٥ وعند مطلع سنة ١٩١٦ للسلطان العثماني عن إخلاص والده ، بشرط أن يعترف السلطان به أميراً للحجاز مستقلاً كما عرض حلفاؤه الآخرون مساعدته على بريطانيا العظمى . تشبّث اللورد (كرزون Korzon) بهذه الفرصة وأمر السير هنري مكماهون ، الذي كان مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر في ذلك الوقت ، أن يتصل بشريف مكة وقد بدت رسالة السير هنري مكماهون المؤرخة في ٣٠ آب ، سنة ١٩١٥ ، إلى حسين وكأنها تقدم أساساً قويّاً للاعتراف بأحلامه بإقامة دولة عربية واسعة يكون هو الخليفة والملك فيها وأرسلت مسودة هذه المعاهدة إليه في ٢٤ تشرين الأول ، سنة ١٩١٥ ، ولكنها كانت أكثر حذراً ، وجرّدت دولته العربية المستقبلة من بعض المقاطعات التي كان يأمل في أن تكون منها ، وعلى الأخص المنطقة الساحلية الواقعة إلى الغرب من دمشق وحمص وحماه وحلب ؛ ومع ذلك فقد أكّدت لحسين إمكان إرضاء رغباته بعد الإنتصار ، ولقد فوجيء حسين بهذا العرض السّخي ، وهو يعلم أنه ليس بمقدوره الحصول على مثله من سلطان الأتراك وخليفتهم ، وبعد

بعض التردّد وافق على المقترحات البريطانية ووقّع المعاهدة في أم القُرى في الأول من كانون الثاني ، سنة ١٩١٦ . وفي الخامس من حزيران ، سنة ١٩١٦ ، أعلن استقلال الحجاز . ومع أن فعلته هذه قد سبّبت لبريطانيا العظمى كثيراً من القلاقل بين رعاياها المسلمين ، ومع أن مساعدة حسين وابنه كلفت مبالغ أكثر مما تستحق ، فإن حسيناً أصرّ على تنفيذ جميع التعهدات المنصوص عنها في اتفاق أم القرى ، بعد أن انتهت الحرب ، فحاولت بريطانيا تلبية طلباته حسب الوضع المتغيّر ، ففصلت شرقي الأردن عن فلسطين ، وعينت عبدالله بن الحسين حاكماً له ، ونادت بابنه الآخر ، فيصل ملكاً على العراق وكانت على استعدادٍ لتأييد حسين ليصبح الخليفة . ولم تكن جميع هذه الأعمال الدالة على حسن نية بريطانيا لتكبح جماح حسين . ولكي يحصل على موافقة مبكرة على جميع مطالبه من الحكومة البريطانية قام وكلاؤه في بث العراقيل في المناطق التي تحت الإنتداب ، فأصبحت الحكومتان الافرنسية والبريطانية تفكّران تفكيراً جادّاً في إزاحته وكانت الوسيلة جاهزة لهذا العمل ، كان عبد العزيز بن سعود يطلب موافقة بريطانيا فقط ليقضي على سليل أخطر عدوٍ لأسرته .

حرب عبد العزيز مع حسين ، ١٩٢٤ :

قام عبد العزيز بالتحضير للحرب . بحذرٍ كبير ، وأمضى ربيع سنة ١٩٢٤ في القصيم ، ليضمن تأييد السكان هناك بالإضافة إلى تأييد عشائر شَمّر ، وكان لسكان القصيم ولشمّر كثير من الأصدقاء في مكة والمدينة ولم يكن عبد العويز واثقاً ثقة تامة من إخلاصهم ، وخاصة منذ أن كانوا قد حرّضوا ضده من قبل العراق ، كما وعدهم الملك حسين بمنحهم الاستقلال إذا هم ثاروا ضد ابن سعود . ولكي يتفادى أو على الأقل ليخفف ، الخطر من هذه الناحية ، استعمل عداءهم القديم للقبائل النازلة بمحاذاة خط سكة حديد الحجاز بين العلا وعَمّان . وكانت هذه القبائل قد وثقت بحماية الحكومة التركية وثوقاً تاماً وكانت تعتمد على الأمير عبدالله وحراسه من البريطانيين . معتادة على القيام بغارات داخل مقاطعة شَمّر وعلى سَرِقَة الجمال والقوافل التجارية لسكان القصيم . ولم يكن ابن رشيد راغباً في الانتقام من رعاياه ، خوفاً من قطع الإعانة الممنوحة له من الأتراك وفيما بعد من الحسين . وبما أن الحكومة

التركية قد تلاشت ولم يبذل الملك حسين أية مساعدة لشمّر ولأهل القصيم ، فقد تجاهل هاؤلاء ارتباطات صداقتهم القديمة مع بيته ، وقاموا بتنفيذ جميع أوامر ابن سعود مُغمضي الأعين ، يحدوهم شرههم إلى الغنائم والانتقام ، وبقيادة (الأخوان) قاموا بمضايقة القبائل النازلة على محاذاة خط سكة حديد الحجاز وتعرضوا لسير القطار بين عَمّان والمدينة .

وبعد وفاة سلطان بن نوّاف بن شعلان (في مطلع نيسان ، ١٩٢٤) كانت واحة الجوف مندمجةً كليّاً في مملكة ابن سعود فأصبحت حصناً منيعاً للاخوان . وأما منخفض السرحان ، الطريق الطبيعي الذي يصل نجداً بسورية فقد كان يحتله (الأخوان) الذين أقاموا في كاف . وقد أقيمت قرى للأخوان في واحة تيما وخيبر والحايط والحُويّط وتُرَبَة لكي يمنعوا الأمير عبدالله مع قبائله وجنوده من مساعدة الملك حسين .

ولم يكن الحسين ينتظر أية مساعدة له من الجنوب ، فقد كان علي بن محمد الأدريسي ، سيد عسير ، يعتمد على حُسنِ نيّة ابن سعود ، وإلى جانب ذلك ، فقد رآى في الملك حسين عدوّاً لبيته ، وأما الإمام يحيى بن حميد الدين ، أمير اليمن ، فقد كان مرتبطاً بمعاهدة صداقة مع ابن سعود وكان أكثر اهتماماً في إعادة احتلال شاطيء البحر الأحمر من اهتمامه بسيد الحجاز ، الذي لم ينل منه ولا من أسلافه أي تأييدٍ في وقت من الأوقات .

بدأت التحركات الحربية ضد الملك حسين في وقت مبكرٍ من شهر آب ، سنة ١٩٢٤ . وفي الرابع عشر من آب هاجمت كتيبة من قوات ابن سعود مخيمات قبيلة بني صخر في ضواحي عمّان . وقد صُدَّت هذه الكتيبة بواسطة طائرات بريطانية وبقيت في وادي السرحان ، حيث قامت بهجمات ضد بعض القبائل المختلفة . وفي الوقت نفسه قامت مجموعة أخرى من الوهابيين بمضايقة القبائل على الضفّة اليمنى من أسفل نهر الفرات في العراق ، بينما سارت قوة ابن سعود باتجاه مكة .

كان الملك حسين مدركاً الخطر ، ومع ذلك فإنه كان واثقاً بوصول المساعدة

من بريطانيا العظمى التي تعهّدت بحمايته ضد أي أميرٍ عربي بالإضافة إلى حمايته من رعاياه ، وكان يأمل أن يقوم أهل الحجاز بالدفاع عن أنفسهم ضد الوهابيين ، لئلا يُنهبوا ويُذبحوا كما حدث لأسلافهم قبل مئآت من السنين ، ولكن ثبت عُقم آمال حسين . فلم تتدخل بريطانيا . وأما سكان الحجاز فقد وثقوا في ممثلي ابن سعود كما وثقوا في أفراد أسر مكة ذوي النفوذ الذين ، بعد أن أبعدهم حسين ، وجدوا الملجأ لدى ابن سعود ، فأكّدوا الآن لأهل الحجاز أن السلطان عبد العزيز سوف يشنّ حرباً ضد حسين وأسرته فقط وأنه سوف يمنح سكان الحجاز حكماً ذاتياً تاماً . وبما أن الحجاز كان قد قاسى تحت حكم حسين أكثر بكثير مما حدث له تحت حكم الأتراك فلم يكن لديه أية نيّةٍ في التضحية بأرواحه وممتلكاته ولأجل ذلك فإن الحجازيين قد تصرفوا بانفعال إلى حدٍ ما عندما دخل الوهابيون بقيادة الشريف خالد ابن لوي ، سيد تُرَبَة بلدهم وهددوا بذلك مدينة الطّايف .

أُرسل علي ، أكبر إخوة حسين ، من قِبَلِهِ مع أفضل قواته لحماية مصيف سكان مكة الأثرياء ، ولكن قوات الحجاز كانت سيئة التجهيز مع قلة رواتب موظفيها فاضطر علي للأنسحاب ليتفادى هزيمة كاملة .

وفي العاشر من أيلول دخل الوهابيون الطايف ، وارتكب الاخوان هناك أفعالاً تدل على القسوة . ولكن الزعماء المعتدلين أنقذوا المدينة من الدمّار ، وقام بعض الشرفاء من آل زيد المنفيين بتنظيم إدارتها .

ازداد وضع الملك حسين سوءاً . وكانت جميع برقياته المرسلة إلى الحكومة البريطانية لطلب المساعدة غير ذات فائدة ، وقد حاول ذوو النفوذ من أهل مكة عدم المقاومة ، لعدم ثقتهم بمقدرة قوات الحجاز على المقاومة ، ولعدم رغبتهم بتحريض الوهابيين على الحرب ، ولهذا طلب زعماء المجلس الوطني الذي أسِّس في جدة في نهاية الصيف طلب من حسين أن يتنازل عن العرش ويغادر الحجاز ، وكانوا قد صمموا في البدء على إبعاد جميع أفراد أسرة حسين ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق على تصميمهم فاقترحت أن يصبح علي أكبر أبناء حسين ملكاً . وفي الثالث من تشرين الأول ،

سنة ١٩٢٤ ، أُجبِرَ حسين على التنازل وغادر البلاد بعد وقتٍ قصير . فذهب مع كنوزه إلى العقبة ، وهو يحتجّ بمرارة من أن قرار التنازل كان بتأثيرٍ من الحكومة البريطانية ، التي كانت قد تعهّدت بحمايته وحماية ملكه .

احتلال عبد العزيز للحجاز – ١٩٢٤ – ١٩٢٥ :

ما كان السلطان عبد العزيز ينتظر أن ينال النصر بهذه السهولة والسرعة . فلما بلغته أنباء احتلال الطايف ، وأنباء الثورة البيضاء ، ضد الملك حسين ، مع أنباء سقوط مكة من ممثله في البحرين في الثالث عشر من كانون الأول ، أسرع إلى الحجاز . وبعد وصوله مكة عَمِلَ كل ما بوسعه لإرضاء السكان ومساعدتهم . قام بأداء الشعائر الدينية ، متأثراً خطى مدرسة ابن حنبل المعترف بها ، وحاول إقناع علماء مكة بأن العقيدة الوهابية تتوافق مع تعاليمهم . أُعيدت جميع الحقوق إلى السكان المنفيين ، وطُلِبَ منهم إرساء قواعد حكومة محليّة في وطنهم . أما الأمور الأقتصادية فكانت أكثر صعوبة . كانت موانىء البحر الأحمر تحت نفوذ حكومة علي الذي كان يقيم في جدة ، أو كانت محاصرة منه ، وكان مؤيداً بالجنودِ والأسلحة والبضائع المختلفة من قبلِ حسين ، الذي كان يبعث ذالك بواسطة وسائل النقل البحرية من العقبة . وقد اضطر السلطان عبد العويز في شراء مؤنة من العقير على الخليج وإحضارها عبر الجزيرة العربية إلى مكة ومدن الحجاز الأخرى . وكانت هذه مهمة صعبة جداً ، وتنفيذ السلطان لها يدل دلالة واضحة على نشاطه ومثابرته .

وفي نهاية سنة ١٩٢٤ قَسم السلطان عبد العزيز قواته . فألّف قسماً منها ، وكان من الأخوان بقيادة فيصل الدَويش ، فتوجّه إلى المدينة ، ليتولى أمر هذه المدينة بينما سارت القوة الكبرى بقيادة السلطان نفسه نحو جدّة . وفي منتصف كانون الثاني ، سنة ١٩٢٥ ، كان بالإمكان رؤية علم ابن سعود الأخضر الذي كُتبت عليه هذه الكلمات (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) فوق أسوار آخر ملجإ لأسرة حسين . ولقد اعتقد الوهابيون في البدء وبوجه خاص (الاخوان) من أنهم سوف يستولون على هذا المعقل المحصّن بسهولة . وقاموا بهجمات متعدّدة ، ولكن بدون

جدوى . فلم يكن الجنود المدافعون من قوات الحجاز المتمردة بل كانوا جنوداً مدرّبين كانوا قد خدموا مع الجيش التركي وكانوا يأملون باستعادة احتلال مدينة مكة المقدسة ومعاقبة الوهابيين الذين طردوا الخليفة حسين من بلاده . كان أكثر الجنود قد قدموا من فلسطين ، ومنهم من قدم من سورية ، إذ في هذين القطرين مؤيدون كثيرون لحسين الذين كان قد وعدهم بتأييدهم من الناحية السياسية ، في فلسطين ضد الصهيونية ، وفي سورية ضد الإفرنسيين .

وقد توصل ابن سعود بعد وقت قصير إلى الاقتناع بأنه من المستحيل عليه احتلال جدّة والمدينة طالما حسين واصل تزويد ابنه علي بالمؤن الضرورية . ومن ناحية أخرى أدرك ابن سعود الخطر الذي سيتعرض له إذا تخلّى عن محاصرة جدّة والمدينة . إذ سيتبع ذلك انسحاب قوّاته من مكّة أيضاً ، وكانت جميع دلائل ضعفه قد تُسبّب رَدّ فعلٍ عنيف من قِبَلِ (الأخوان) ضده وضد أسرته ، ومن ناحية أخرى كان على بريطانيا العظمى أن تضع العوائق في وجه حسين ، ولم يكن السلطان عبد العزيز يرغب في التقرّب للحكومة البريطانية ، ولقد كان يحاول أن يثبت أن في إمكانه الأستغناء عن معونتها ويثبت أنه حاكم مستقل وليس محمياً من بريطانيا ، كما سمّاه الملك حسين ، الذي كان قد كشف عن مضمون معاهدة ٢٦ كانون الأول ، سنة ١٩١٥ ، بين ابن سعود وبين بريطانيا العظمى . وفي النهاية لم يعد في إمكان ابن سعود إلاّ أن يعد بأنه سيعترف بالحدود مع العراق وأن لا يسمح لقبائله في انتهاكها (كما حدث في مطلع سنة ١٩٢٥) وأن يعبر عن استعداده للقبول بحدودٍ فيما بين مملكته وبين دولة شرق الأردن ، بشرط أن لا يسمح لحسين السابق باستعمال معان والعقبة لجمع القوات التي ستستخدم ضد ابن سعود . وبما أن حسيناً استمرّ في إزعاجه للحكومة البريطانية ، فقد طلبت منه مغادرة العَقَبة ، وعندما لم يخضع لذلك ، أُحضر إلى ظهر باخرة حربية ونقل إلى قبرص في اليوم الثامن عشر من حزيران . وحالما بلغت هذه الأنباء ابن سعود ضاعف الحصار على جدّة في ليلة التاسع عشر — العشرين من حزيران ، وجلس بهدوء ينتظر استسلام هذا الميناء .

وفي الخريف أرسلت الحكومة البريطانية أحد ممثليها إلى ابن سعود الذي توصّل

معه على اتفاقين ، اتفاق بَحْرَةَ الذي وقع في أول تشرين الثاني ، سنة ١٩٢٥ ، يتضمن الإشراف على الحدود العراقية والسّماح بإنشاء محكمة خاصة للتحقيق في انتهاكات الحدود . واما اتفاق حَدّا الموقع في الثاني من تشرين الثاني ، ١٩٢٥ ، فإنه يحدد الحدود بين نجد وبين إمارة شرق الأردن بحيث أصبح كامل منخفض وادي السِرحان ، وواحات كاف والجوف وتيما تابعة لنجد ، وكان على قوافل التجارة المتجهة من نجد إلى سورية أن تمر من أراضي شرقي الأردن ولهذا نص الاتفاق على أن تخضع هذه القوافل للتفتيش الجمركي عندما تدعو الضرورة لذالك ، وأما جميع البضائع التي برسم التصدير والتي تمر عبر الأراضي المنتدبة ، متجهة من سورية إلى نجد وبالعكس فقد استثنيت من دفع رسوم الجمارك والضرائب الأخرى ، بشرط أن يحمل تجار هذه القوافل وثائق رسميّة من حكومتهم تثبت كونهم من التجار . وفي توقيع ابن سعود لهذين الاتفاقين تَخَلّى عن أمله في ربط أراضيه بسورية ، ووجدت حكومتان يحكمهما اثنان من أبناء الحسين تحجزانه في الصحراء وتمنع عنه فرصة الحصول على المواد الضروريّة إلاّ من الموانىء التي تسيطر بريطانيا العظمى عليها . وأما الممرُّ الواقع بين نجد وسورية والذي يربط بين الأردن والعراق فليس من الممكن بدون موافقة البريطانيين سلوكه ، كما لا يمكن لأي بضائع أو أسلحة أن تُنقَلَ إلى نجد لا في طريق البحر ولا طريق البر .

كانت نتائج هذه الإتفاقات مع بريطانيا قد بدأت تظهر بعد وقت قليل . استسلمت المدينة في السادس من كانون الأول ، وتنازل الملك علي عن العرش بعد عشرة أيام . ولم يكن راغباً في القيام بذلك ، ولكن الحكومة البريطانية أفهمته بأنه سيُجبر على الخضوع لمشورتها . وأما عرش الحجاز الذي حصل عليه الملك حسين وأسرته في الحادي عشر من حزيران ، سنة ١٩١٦ ، فقد فُقِدَ في التاسع عشر من كانون الأول ، سنة ١٩٢٥ . وقام جميع السكان تقريباً ممن كان حسين قد تفاخر بولائهم له في الثامن من كانون الثاني ، سنة ١٩٢٦ ، فبايعوا عبد العزيز بن سعود ملكاً على الحجاز . وفي البدء لم يكن ابن سعود يطمح في عرش الحجاز . وقد وعد في رسائله المختلفة إلى العالم الإسلامي بأن يحوّل الحجاز إلى دولة يدير شؤونها ممثلون

من العالم الإسلامي ، ولكنه وجد بعد وقتٍ قليل أن تحقيق هذا الوعد سوف يكون صعباً للغاية وأن من الأفضل أن يُضم الحجاز إلى نجد ، ولكن على أن تُدار شؤون الحجاز منفردة . ولم يكن بإمكان ابن سعود أن يتحمل خسارة موانىء البحر الأحمر التي تخص الحجاز ، مع أنه كان بحاجة للمال لأجل قوّاته ؛ وكانت الرسوم الجمركية التي تجبى في موانىء البحر الأحمر ، تأتيه بدخلٍ أعلى من تلك التي تأتيه من موانىء الخليج ؛ وبالإضافة إلى ذلك يمكن استغلال الحجّاج ليس كمصدر دخل فقط بل كأداة للدعاية أيضاً . ومنذ مطلع سنة ١٩٢٥ كان ابن سعود قد اتّخذ خطوات قويّة لكي يجعل الحجّاج آمنين أمناً تامّاً ، وحماهم مما كان يلحق بهم من استغلال كان قد تفشى في عهد حسين .

ولكي يضاعف سمعته الحميدة في العالم الإسلامي دعا الدول الإسلامية لإرسال ممثلين عنهم إلى مكة لبحث الطّرق والسبل لتطوير ازدهار الحجاز والمحافظة على سلامة الحجاج . وقد وجدت هذه الدعوة العطف والترحيب وبصورة خاصة في الهند ، وانعقد أول مؤتمر إسلامي في مكة في حزيران وتموز ، سنة ١٩٢٦ ، وقد حاول مندوبو الهند مماثلة المجلس الأسلامي للمجلس الوطني الهندي . وكانت مقترحاتهم تجد بعض المعارضين كما أن ابن سعود ، خوفاً من الصعوبات السياسية ، لم يدع المؤتمر إلى الإجتماع مرة أخرى ولم تكن إدارة الحجاز مرتبطة بالمؤتمر بل بلجنة عينها ابن سعود وأعلن عنها في الواحد والثلاثين من آب ، سنة ١٩٢٦ . وعلى هذا فإن مملكة الحجاز اعتبرت مستقلّة ، خاضعة لملك يتوارثه آل سعود . ويحكمها ابنه باسمه . وأما الملك فإنه يسير سياسة الدولة الخارجية ويحافظ على السّلم والأمن في الحجاز ضد جميع الأعداء .

عاد الملك عبد العزيز إلى الرياض في مطلع سنة ١٩٢٧ حيث زاره هناك ممثلون لسكان نجد . وفي الثامن والعشرين من كانون الثاني ، قرر هؤلاء الممثلون تحت رئاسة الإمام عبد الرحمن ، والد عبد العزيز ، تحويل (السلطنة) إلى (مملكة) ويُنصَّب عبد العزيز بن سعود ملكاً على نجد وتوابعها . وقد قرر الملك الجديد أن

يكون لقبه ، (ملك الحجاز ونجـد وملحقاتهما) ويعني بـ (الملحقات) بلاد عسير ، التي اعترفت بحماية ابن سعود ، في الواحد والعشرين من تشرين الأوّل ، سنة ١٩٢٦ .

وبعد أن كان ابن سعود ملكاً للحجاز فإنه أصبح أحد أعضاء عصبة الأمم ، وكان له الحق في التعامل مع جميع الدول الخارجية ، بينما كان يضطر إلى الطلب من الحكومة البريطانية القيام بذلك لكونه ملكاً على نجد . ولكي يُصحِّحَ هذا الشّذوذ كانت الحكومة البريطانية والملك ابن سعود على السواء على استعداد للتوقيع على معاهدة جديدة ، ولكن الطريق إلى ذلك كان صعباً . كان ابن سعود يطلب إلغاء معاهدة الحماية بالإضافة إلى دمج مناطق معان والعقبة بالحجاز ، بينما كانت بريطانيا العظمى مصممة على إبقاء هاتين المنطقتين الهامتين وبوجه خاص ميناء العقبة لفلسطين وأن لا تقضي على كرامتها في الجزيرة العربية بالتخلّي عن الحماية . وبعد مباحثات طويلة وافق البريطانيون على التّخلّي عن الحماية السابقة على نجد وأن تقبل تسوية لنزاعها حول معان والعقبة ، لأنها سوف تكون قادرة على فرض إرادتها في مناطق ابن سعود عن طريق استعمال قوتها البحرية أو الجوية عند حدوث أي حادث .

في العشرين من أيار ، سنة ١٩٢٧ ، وُقِّعت معاهدة جديدة بين بريطانيا العظمى وبين الحجاز في مكة . وألغي مفعول المعاهدة التي كانت قد وُقِّعَت في السادس والعشرين من كانون الأول ، سنة ١٩١٥ ، واعتُرف باستقلال أراضي صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما إعترافاً كاملاً مؤكداً ، وتولّى الملك مهمة إقامة علاقات صداقة وسلام مع دول الكويت والبحرين ومع شيوخ قطر وشاطىء عُمان الذين كانوا على علاقات صداقة خاصة مع بريطانيا العظمى .

كانت أولى المذكّرات الملحقة بهذه المعاهدة تعالج مسألة الحدود بين الحجاز والأردن ، وكانت تُعَيّن الحدود بين نجد والأردن بأنها تصل إلى نقطة على طريق خط سكة الحجاز على بُعد ميلين إلى الجنوب من المدوّرة . وتتجه من هذه النقطة في خطٍ مستقيم إلى موقع على خليج العقبة على بعد ميلين إلى الجنوب من مدينة العَقَبَة ،

وأما وضع منطقة معان والعقبة فسيظلّ كما هو حتى تحدث ظروفٌ مشجعة تساعد على إيجاد تسوية دائمة .

شخصيّة عبد العزيز بن سعود :

وُلد الملك عبد العزيز بن سعود الذي كان يحكُم باسم والده الإمام عبد الرحمن (الذي لا يزال حيّاً والذي ولد سنة ١٨٥٠ [1]) في سنة ١٨٦٧ ، وهو ذو ثقافة جيـــدة نسبياً ، يطالع كثيراً ، شريفاً ، نشيطاً ، ورعاً ، يتعشّق الحريّة . وكان خجولاً ، متواضعاً ، يَسهُلَ القرب منـــه ، سخياً في تصرفاته ، وهو أقوى شخصيّة اليوم في شبه الجزيرة العربية العظيمة . وفي مطلع سنة ١٩٠٢ ، قبل ست وعشرين سنة ، عاد من المنفى إلى الرياض مع حفنة من الأتباع ، تمكن من أن يوجِدَ ، إذا جاز هذا التعبير ، من لا شيء جحافل المقاتلين ، ليُخضع امبراطورية اليوم التي يبلغ طولها أكثر من الفيّ كيل وبعرض ألف وأربعمائة كيل ، ويوجد فيها حوالي مليونين ونصف من السكّان ، وليقيم السلم والنظام ويربح بهذه الطريقة لائقة السكانفحسب ، بل حبهم أيضاً . (سعداء هم أصدقاؤه ، ولكن الويلُ لأعدائه !) هذا ما كان يقوله العرب عنه .

وإلى جانب سكان القرى الكثيرة المزدهرة ، هناك قبائل مختلفة ، يبلغ عددها أكثر من مئتي ألف بيت كانت تؤدي الخدمة العسكريّة له ، حتى أنه كان بإمكانه وضع أكثر من مئتي ألف بدوي في الميدان وما يقارب هذا العدد من الحضر .

كان يوجد في عاصمته ، الرياض ، ما يقارب ألفاً وخمسمئة منزل مع بساتين النخيل الكبيرة . ولقد اهتم لا بعمران الرياض وحدها بل بجميع القرى الأخرى التي أنشئت وحُصِّنت تحصيناً قويّاً أيضاً ، ولقد أعيد إصلاح الحقول والبساتين القديمة ، وزرعت مزارع أخرى جديدة ، ودُعي الكثير من أصحاب الحرف والتجّار إلى إلى البلاد ، ونُظِّفت الطرق من اللصوص ، كما ازداد الرّخاء العام . كان يقوم بالأنفاق على حامياته في القرى المختلفة بنفسه ، ويمنع جباية أي شيء من السُّكان ، كما كانت حامياته مسؤولة عن أي إقلاقٍ للراحة العامّة .

---

(١) كان هذا الكلام وقت تأليف الكتاب سنة ١٩١٥ م .

إن سلالة محمد (بن عبد الوهاب) بن سليمان من أقرباء البيت المالك ، لأن آل سعود كثيراً مايتزوّجون من بنات آل الشيخ . وكان أفراد من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعيشون في الريّاض وفي القصيم، وفي الحسا ويقيمون العدالة وكان علماء الدين (أو المطاوعة) الذين يعظون ويدربون الأساتذة يرجعون إلى آل الشيخ ، ويعتمدون على آرائهم . والأطفال في جميع القرى يجب عليهم تلقي أصول العلم ، ويشرف الأمير على ذلك وهو يحرص على أن يرى أبناء القرى يستطيعون القراءة والكتابة .

ولئن كان الأمير ذا غيرة دينية فيما يتعلّق بتأدية الفروض الدينية ، فإن تعصب الأوائل من (الوهابيين) غريب عن طبيعته ، ولهذا لم يكن علماء الدين المتعصبون راضين عنه .

هيكل (امبراطورية) ابن سعود ومستقبلها :

كان لعبد العزيز بن سعود لقب رسمي هو : (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) . وكانت الحجاز مقسّمة إلى ثلاث مناطق إداريّة مع مراكز في مكة ، وجدة ، والمدينة . وأما نجد وتوابعها فإنها تتألف من أربع مقاطعات هي : القصيم والحسا وأبها والعارض. وكانت مدن حايل والجوف بالإضافة إلى وادي السرحان تتبع مقاطعة القصيم . وأما مناطق القطيف ، والجُبيل والعُقير فكان مندمجة بمنطقة الحسا . وكانت أبها تضم المناطق الواسعة بين أراضي الحجاز وأراضي الإمام يحيى بن حميد الدّين ، وأما الأجزاء الباقية من ولاية عسير ، التي كانت مستقلة قبل سنوات قليلة ، حسب معاهدة الواحد والعشرين من تشرين الثاني ، سنة ١٩٢٦ ، فقد اعترفت بحماية ابن سعود وكان يرأسها حاكم من أبها . وكانت منطقة العارض تشكل قلب مملكة ابن سعود . وكان شمال نجد تابعاً لها . وكان الملك ابن سعود يدير شؤون العارض بنفسه ، بينما كانت المقاطعات الأخرى يحكمها حكام معينون من قِبَلِه . وكان هؤلاء الحكام مزودين بسلطاتٍ مطلقة ومُلزمين بتأمين أنفسهم عن طريق الزكاة التي يجبون على أن يبعثوا بما بقي منها إلى الرياض .

وكان سكان امبراطورية ابن سعود الواسعة يتألف من الحضر والبدو . وكلاهما منظّم حسب الأصل الذي ينتمون إليه ، مفترضاً كان أو صحيحاً ، كانت وحدة

الأهل ، أو القرابة ، هي الأثبت والأقوى ، وهي التي تتضمّن الأقرباء من الرجّال الذين هم من دمٍ واحد ضمن درجة قرابة محددة على نحوٍ صارم ، كما سيأتي في كتابي القادم « أساليب وعادات بدو الرولة » . إن جميع الأفراد المنتمين إل أصل (قبيلة) مرتبطون بصورة مجهولة ببعضهم ، ويرون من واجبهم المحافظة على حياة وشرف كل واحد منهم وأمواله وصيانة شرفه . وكان الأقرباء من أصل واحد يشكلون جماعة ، والجماعات تشكل قبيلة . وكان من النادر أن تعترف القبائل نفسها بأنها قد انحدرت من أصل مشترك واحد وتؤسّس جماعات من القبائل ذات الأصل الواحد ، وكانت بعض الجماعات مُشَتّتة في طول الجزيرة العربية وعرضها . ولكن الأصل الواحد ، مع ذالك ، لا يمنع الحروب والحزازات بين الجماعات والقبائل ولا بين الجماعات والأقرباء . وليس نادراً أن ينقسم أفراد القبيلة الواحدة إلى فريقين متعاديين ، وهكذا فإن صِلَة الدّم ليست صلة ثابتة ولا يمكن اعتبارها قاعدةً لمُجتمَعٍ أو دولة لا بين الحضر ولا بين البدو .

وكان الحضر يشكلون أكثر رعايا ابن سعود . وكانت كل واحة أو قرية مُقَسّمة إلى مناطق مأهولة بأفراد من نفس القبيلة أو الجماعة . ولكل منطقة زعيمها الخاص ، ويُعتبر أقواهم الزعيم الأعلى للقرية أو الواحة بأكملها . وقد يوجد لبعض الواحات زعيمان أو أكثر من الزعماء ، وكثيراً ما تحدث المنافسة بينهم على السيادة . وأما الزعيم الأعلى القوي ، الذي يتمكن من فرض إرادته على جميع الزعماء في الواحة ، فإنه يحاول أن يَمُدّ سلطانه على الواحات المجاورة ، فتنشأ حروبٌ طويلة ودامية تجلب الشقاء للسكان وتقضي على كل وسائل الحياة السياسيّة المستقرّة .

وحياة البدو تقوم على هذا الأساس من البناء الاجتماعي مثل الحضر وكان زعماؤهم الكبار يتوقون لإخضاع أكثر ما يمكن إخضاعه من القبائل والقرى ولن يكون ذالك إلا بالغارات والحروب ، فهي التي تمكنهم من كسب الغنائم ، وتجمعهم متضامنين متآلفين ومتى تهيأت لهم غزوات تمكنهم من نيل مغانم . مهما كانت تلك الغزوات صالحة أو سيئة ، فإن زعماءهم يرونها عملاً سهلاً .

ولكن المشكلات تبدأ حالما يحاول الزعيم فرض القانون والنظام . حيث يصبح

الرجال عندئذ غير راضين ، فيسعون لمخالفته وعصيانه ويبدأون بأعمال العنف ليؤمنوا لأنفسهم أعمالاً أكثر ملاءمة من القيام على تربية أنعامهم . لأنهم يعتبرون الغارات والحرب رياضةً ولا يمكن إقناعهم بسهولة للإمتناع عنها .

كان الحضر والبدو أعداء منذ القدَم . وقصة التوراة عن (قايين) و (هابيل) تثبت ذلك . وحالما يتمكن الزعيم الأعلى للحضر من إخضاع بعض الواحات الأخرى ، يحاول إقناع البدو الذين ربما كانوا من أفضل أصدقائه خلال الحرب ضد تلك الواحات – بالإمتناع عن سلب أموال الحضر ، ويتمكّن من فرض إرادته هذه بمساعدة الحضر أنفسهم وحينئذ يزداد البغض بين رعاياه من البدو والحضر ، فتصبح ولايته مهددة ، ولكي يؤمن ولايته وحياته يضطر إلى إقامة حرس قوي له ، من الجنود المرتزقة ، فيختار هذا الحرس غالباً من العبيد الذين لا أقرباء لهم بين الحضر والبدو ، فيكونون قادرين على تنفيذ جميع أمور سيدهم ، وحمايته من كل أعدائه . وهم يدركون أن مصيرهم مرتبط بمصيره ، وأنهم مكروهون من الشعب . ويخشون غضبه وسطوته على سيدهم ، وكثيراً ما يحدث من ذلك ما يكون سبباً في سقوط ولايته .

وليس بإمكان الحضر والبدو معاً العثور على كل ما يبتغونه من متطلبات الحياة في داخل الجزيرة العربية . ولهذا فهم يسافرون إلى ما يجاورهم من الأقطار وما يقربهم من الموانىء للحصول على ما يحتاجون إليه ، ولهذا تسنح لسادة تلك الأقطار أفضل الفرص لفرض إرادتهم على كبار الأمراء والزعماء في الجزيرة العربية ، ما دام في استطاعتهم الحيلولة دون حصول رعاياهم على ما يحتاجون إليه ، وكثيراً ما استطاعوا بهذا العمل إسقاط أقوى الأمراء . ومن هنا يبرز أحد العوامل بل أكثرها أهميّة في حياة سكان الجزيرة العربية الاقتصادية والسياسية . فذو الشخصية القوية التي تعتمد بحذر علي مؤازرة سادة الموانى والبلاد الغنية المجاورة لبلاده يستطيع الحفاظ على ولايته ، ولكن هذه الولاية تتضعضع حالما يفقد صاحبها صداقة أولئك السادة أو عطفهم ، وتتجزأ تلك الولاية حينما يخلف ذا الشخصية القوية في

ولايته رجل ضعيف ، فيؤيد أولئك السادة معارضيه ممن هو أقوى نفوذاً منه وما أكثر المعارضين داخل الجزيرة .

إن امبراطورية ابن سعود الآن تشبه بناية قد شُيدت بسرعة مذهلة على أساسٍ رملي من الأسلاب عن طريق شخصية مشيّدها وحاكمها المهيبة ، عبد العزيز بن سعود ، الذي كان قد استفاد من المساعدة التي قدمتها بريطانيا العظمى[1] ، سيّدة البحار والبلاد المخصبة المجاورة معاً . وبدون المساعدة البريطانيّة لم يكن قادراً على إقامة هذه الأمبراطورية ، حيث تعوزه الوسائل الضرورية لذلك ، وبدون مساعدة البريطانيين لم يكن قادراً على الاحتفاظ بها . وبالرغم من المؤازرة البريطانية فإن واجبه في حُكمٍ هذه المنطقة الكبيرة الشديدة الحاجة سوف يزداد صعوبة كلما تقدم الوقت . إذ يجب وقف جميع أنواع الاعتداء على الحدود ، مع إيقاف كل الوسائل التي تدفع إلى الغزو للحصول على الغنائم . و (الأخوان) الذين كان قد استخدمهم ضد جيرانه من الأعداء سوف يصبحون مصدر قلاقل داخلية له .

إن (الأخوان) يؤلفون جماعة دينيّة ، أساس مبدئها الاعتراف بالدعوة التي قام بها محمد بن عبد الوهّاب ، مؤسس الدعوة الوهابيّة النقية . وكان إنعاش الزراعة لتزويد أسرهم بالغذاء هدفاً ثانياً بالنسبة لهم . وكانت (هجرهم) أو قراهم التي تشكل وحدة غريبة بين البدو والحضر ، تعتبر معسكرات جيش لابن سعود (والأخوان) مثل المرتزقة الآخرين ، كانوا مبغضين ومهّابين . وهم يكادون أن يشكّلوا قاعدة لامبراطورية ابن سعود ، ولكنهم ، مع قائدهم ، سوف يكونون أول من يرفض ابن سعود إذا فَشِلَ في اتباع تعاليم عقيدتهم . وهم يتهمونه الآن لكونه معتدلاً جداً تجاه المسلمين الآخرين وخاضعاً كثيراً للأوروبيين ، وعدم رضاهم عن هذا الموقف في ازدياد بسبب إدخاله إصلاحات مختلفة وإرسال أبنائه إلى أووربا أو مصر . وكانت كل حركة إصلاحية تعتبر ثورية في اتجاهها وسوف يحارب الأخوان أي إصلاحٍ يجدونه معارضاً لآرائهم .

---

(١) وقت تأليف الكتاب – أي قبل نصف قرن تقريباً وكلامه عن بريطانيا يصور نظرته الخاصة .

الجفافُ في الجزيـرة

- ٢ -

ومن الممكن القول بأن الإبل ذكرها (ستر ابو) يمكن أن تكون بقر الوحش .

وأكثر الحيوانات المذكورة تعيش الآن في أماكنها التي حددها ديودوروس وارتيمودوروس ، (أنظر شمال الحجاز ، صفحات ١٠٧ – ١٢٥ ، ١٣٠) . وإن كان عددها كان قد تقلص بفعل الأنسان ، وليس بسبب الجفاف ، أما الأسود فقد قُضِي عليها بالأسلحة الناريّة . وقد وجد أحدها – ولعله آخرها قبل ١٥٠ سنة في ضواحي قصر الأزرق (أنظر كتابي الصحراء العربية سنة ١٩٢٧ ، صفحة ٣٣٧) .

دلائل الجفاف كما يزعم كيتاني : يرى كيتاني (صفحة ٢٦٧) أن تهدُّم سدّ مأرب العظيم سند قوي على إزدياد الجفاف . وهو يشدّد (صفحة ٢٩٦) على أن الجفاف هو الذي تسبّب في إهمال السدّ ، الذي آل إلى الخراب ، فسبّبَ اختفاء الثراء ، وهجرة القبائل ، وتحوّل المنطقة إلى صحراء . – وكان للسدود في الجزيرة العربية – من بينها سدّ مأرب – هياكل بناء قويّة ولا يمكن لتقليل الاهتمام بها الذي يسببه ازدياد الجفاف من إيقاع الضّرر بها ، ولكن يمكن للفيضان أو أثر الأنسان هدمها . لأن جميع السّدود وأعمال الرّي بُنِيَت من قِبَلِ حكّام أقوياء ، وقد آلت إلى الخراب إما عن طريق الأعداء الذين يحاولون إزالة أسس الرخاء والازدهار في المنطقة أو المدينة أو عن طريق قطع الأشجار المثمرة ، وطمر الآبار ، وتحطيم السدود . أما الطبيعة فليست قاسية كالإنسان وعلى هذا فيمكن القول بأن خراب سد مأرب وهجرة القبائل من تلك الجهات كان نتيجة للحروب المتعاقبة ، وليس عن إزدياد الجفاف . والنقوش ٣٨٤ ، ٥٤٠ و ٥٤١ من الجنوب الغربي للجزيرة العربيّة الواردة في كتاب (Corpus Inseriptionvm Semitiea rum)

١٩١١ ، (الجزء الرابع ، المجلّد الثاني) تشير إلى الفوضى الداخليـــة والحروب في النصف الثاني من القرن السادس لذلك العصر ، وتشير النقوش ٥٤٠ ، ١١ . ٥٤—٦٤ ، إلى أن سد مأرب كان قد تحطم بسبب الفيضانات ، وليس هناك أية دلائل تثبت أن ازدياد الجفاف أو هجرة للقبائل كانت سبب خراب السد ، وذكر الفيضانات لا يسنِد أن سببه الجفاف ، بينما توضح الحروب الداخلية خراب السد تماماً . وكان لهذا الخراب نتائج خطيرة بالنسبة لسكان مدينةِ مأرب فقط ولم يؤثر على القبائل التي كانت تعيش في الجهات المجاورة وهناك من السدود الكثيرة المخرّبة في آسيا الهند وفي جنوبي الجزيرة العربية ، ولكن من الصعب اعتبار خرابها كان بسبب تقلبات الطقس .

ويؤكد كيتـــاني (ص ٨٦) أن زيارةً لفلسطين ولشرقي الأردن تبيّن أثار السكان الأقدمين الذين كانوا قد أرغموا على الهجرة بسبب قِلّة الأمطار . إذ كان عدد سكان هذه المناطق قبل ألف سنة يتجاوز بعشرات المرّات ما هو عليه في وقتنا هذا . — ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ، لم تكن المدن الجديدة ، والقرى ، والمزارع قد أنشئت في خرائب فلسطين وشرقي الأردن وحدها ، بل في سورية ، العراق ، وآسيا الصُغرى أيضاً ؛ وكان عددها في ازدياد ، وبعد مرور خمسين سنة من الأمن تحت ظل الانتداب البريطاني — إذا أعتُبر ذلك نجاحاً — كان من الممكن لجميع أراضي فلسطين وشرقي الأردن أن تكون مزروعة . ولقد تسبّب عدم وجود الأمن في تَلَف هذه البلاد . وإذا ما فُشِلَت البلدان والمدن بعد مئات السنين من الوصول إلى الاستنارة بالعلم ، يكون سبب الخراب تغيير طرق التجارة العالمية أقوى من ازدياد جفاف الجو .

ويشدّد كيتاني (صفحة ٢٣٤) كثيراً على مكان تَجَمُّع القوافل التجاريّة ، وأماكن المياه الواقعة في ضواحي مَعان ، حيث لا توجد مياه في الوقت الحاضر ؛ وهو يؤكد أن هذا من أسباب الجفاف ، ولكن هذا المكان المطابق لموقع (أم تراب ؟) (أنظر كتابي شمال الحجاز) ، لم يكن قد اتخذ مركز تَجَمُّع لقوافل التجارة

وما هو في الواقع سوى أحد البساتين التي تسهل إقامتها حيث تروى بالمياه التي كانت وفيرة في تلك المنطقة وما بقربها .

ويؤكد كيتاني إثبات أن الجفاف قد غيّر وجه الجزيرة العربية إلى درجة أنه (صفحة ٣٧٨) أنه الإنسان ولا الحيوان في بعض أجزاء الجزيرة استطاع مغالبته ، ولكنه قد عجز عن تقديم دليلٍ يثبت هذا التأكيد .

ويمثل كيتاني بصحراء النفود ، التي يحدد مكانها في وسط نجد . ويصفها بأنها صحراء مخيفة ، خاصة أثناء عواصف السموم (ص ٣٠٤) . وللمحافظة على الحياة فيها في هذه المناسبات كانت الحيوانات تضطر أن تمتد فوق الأرض مخفية خياشيمها أسفل بطونها ، بينما يضطر البدو من سكانها إلى لفّ أنفسهم داخل عباءآتهم والانبطاح على الرّمل .

والحقيقة أن النفود ليست في وسط نجد بل على الطرف الشمالي منها ؛ وهي أكثر المناطق إمتلاء داخل الجزيرة العربية ، وأبهج جزء فيها على العموم . وأما العواصف الرملية فهي مخيفة في كل مكان من الجزيرة العربيّة وفي النفود بشكلٍ خاص ، ولكن لا الإبل ولا البدو كما ذكر من محاولة إنقاذ الحياة بالطريقة التي أشار إليها لقد كان البدو يسرعون للوصول إلى أحد التجاويف (القعر والحبة ، أو الحُفَر) التي توجد بكثرة في الرمال ، وأن يستريحوا هناك بينما تكون العاصفة ثائرة فوقهم. ولكنهم في انبطاحهم على الأرض، يسببون الاختناق لأنفسهم،لأن الرمل سوف يتراكم حولهم . وما من جملٍ يبرك أثناء العاصفة الرملية وهو يعلم أنه كلما اقترب من سطح الأرض إزدادت كثافة الرمال التي تذروها الرياح . لذلك فإن الحيوان ، يبقى واقفاً ، موجهاً رقبته باتجاه الرياح وبأعلى ما يمكن (أنظر كتاب « الصحراء العربية » ، صفحات ١٩ ، ١٥٩) .

أما المنطقة الساحلية للحجاز فليست أكثر الأجزاء جدباً وعزلة في الجزيرة العربية كما يدعي كيتاني (صفحة ٢٩٤) . وأن من النادر أن يسكنها الأنسان أو الحيوان ، ولكن الواقع هو عكس ذلك تماماً إذ هي من أفضل الأجزاء المزروعة والمزدحمة بالسكان في النصف الشمالي لشبه الجزيرة العربية . ومع أنها حارة ، فإن

سكانها قد اعتادوا المناخ وإذا كانت الحياة والأملاك آمنة فإن في استطاعتهم زيادة حجم الواحات المزروعة بالقطن والفواكه المخصّصة للمناطق الاستوائية ، وتحويل المنطقة الساحلية إلى أحد البساتين العظيمة (أنظر شمال الحجاز ص ١٣٠) .

الجفاف وهجرة القبائل العربية : يقسم كيتاني الجزيرة العربية إلى قسمين غير متساويين : القسم الغربي والقسم الشرقي ، وقد شاء للقسم الغربي (ص ٢١٠) أن يمتد فيما بين البحر الأحمر وبين سلسلة الجبال المتفرعة من (حرمون ؟) المتجهة إلى الجنوب الغربي .

وأما شرقي الجزيرة فيمتد من قمة هذه الجبال إلى الفرات وإلى الخليج . . .

وهذه التجزئة غير موجودة (فيزيوغرافياً) وكانت مجهولة لدى العلماء والجغرافيين العرب .

في نهاية الألف الثاني قبل المسيح كان سكان المنطقة الغربية للجزيرة العربيّة أثرياء جداً (صفحة ٢٠٩) وكانوا على درجة عالية من الحضارة وكان لهم نفوذهم السياسي (صفحة ٢١٢) على سكان المنطقة الشرقية للجزيرة العربيّة ، والذين كانوا من البدو الفقراء جداً ، ونظراً للجفاف الذي تصوّره كيتاني قد انتشر بسرعة في الجزء الشرقي . من شبه الجزيرة العربية عن الجزء الغربي منها (صفحة ٢١٣) . حدوث الجفاف هذا ، من ناحية ثانية جعل الحياة تزداد صعوبة شيئاً فشيئاً — حتى في الغرب — فسبب الهجرة إلى بلاد أكثر حضارة في الشرق الأدنى (صفحة ٢٧٧) . ولم يقدم كيتاني أي دليلٍ على هذه الآراء .

ولقد كانت هجرة العرب بين سنة ٢٥٠٠ و١٥٠٠ قبل المسيح غير طبيعية ومفاجئة جداً ، على رأي كيتاني ، كانت القبائل تعاني من الجوع وكانت مضطرّة لإيجاد موطن جديد لكي تنقذ حياتها (صفحات ١٨٥ ، ١٨٨) . وقد أدّى ذلك إلى احتلال مصر (صفحة ١٨٦) عن طريق المهاجرين الساميين الذين يُدعون الهيكسوس والذين قدموا ، حسب خريطة كيتاني (صفحة ١٩٢) من غربي الجزيرة العربية — وبسبب دخول العبرانيين إلى فلسطين ، الذين كانوا يقطنون أصلاً في ضاحية وادي

السرحان (خريطة ، صفحة ١٩٢) ولكننا نجهل المنطقتين كما نجهل موطن هذه الشعوب أو القبائل التي تُسمى الهيكسوس ، وأنه من المشكوك فيه كثيراً التمكّن من العثور على الوطن الأصلي لهؤلاء العبرانيين .

ويؤكد كيتاني (صفحة ١٧٥) أن بابل والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين ، وسورية لم تكن لتزدهر إلاّ عندما تكون مُتّحدة وتحت سيطرة حاكمٍ واحد ولكن التاريخ يبيّن أنه منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعده كانت هذه البلاد خاضعة لحكّام مختلفين وبالرغم من ذلك ، فقد وصلت إلى حضارة وازدهار لا يقل عما بلغته الآن . ومن الناحية الأخرى فإن مقاطعات أخرى قد فقدت رخاءها عندما اتّحدت تحت حكم العباسيين .

ويحاول كيتاني أن يجد في كل هجرةٍ من الجزيرة العربية إثباتاً لازدياد الجفاف ، ولهذا فمنذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد حتى مطلع القرن السابع بعده لم تبعث الجزيرة العربية ، حسب قول كيتاني ، (صفحة ١٩٨) بالمهاجرين إلى البلاد المجاورة لها وهو يعتبر قلة الهجرة هذه نتيجة البؤس المتزايد (صفحة ٢٠٠) بسبب ذَوَبان القبائل بسبب الجفاف . وهو يؤمن بأن هذه البقايا الفقيرة التي كانت قبائل قوية ذات يوم ، غير قادرةٍ على مهاجمة جيوش (البيزنطيين) والفُرس ، التي أبقت أبواب الجزيرة العربية مُغلقة (صفحة ٢٧٣) . وكان يبدو أن المجاعة جعلت الكثير من القبائل تغادر أوطانها في جنوب الجزيرة العربيّة وأن تسير باتجاه الشمال ، حيث وجدت بلاداً واسعة غير مأهولة فأقامت دولة الغسانيين ودولة اللخميين (صفحة ٢٦٨) . وعلى هذا فإن تأسيس هاتين الدولتين ، يجب أن نعزُوه إلى الجفاف .

غير أن كثيراً من النصوص التاريخية لم تشر إلى ذكر البلاد الخالية من السُّكان في ضواحي الحدود الفارسية والبيزنطيّة . بل بالعكس ، ففي هذه الحقبة كان ازدهار شمال الجزيرة قد وصل إلى درجة أعلى مما وصلت إليه من قبل وكانت طرق التجارة العالمية في ذلك الوقت تجتاز شمالي الجزيرة العربية ، وقد نتج عن ازدياد الازدهار لسكانها إقامة دولٍ عربية مختلفة ، (أنظر كتابي « قُصَيّ عمرة » صفحات ١٣١–١٤٧) .

ويسهب كيتاني (صفحات ٢٦٨–٢٧٢) في الحديث عن هجرة القبائل وذكر أنسابها وبوجه خاص من سكان جنوب الجزيرة العربيّة ، وهو يعتقد بأن انتقال العادة العربيّة المتعلقة بهذه الهجرات مصادر يُعتمد عليها في إثبات رأيه عن الجفاف .

ولكن من السهل توضيح أسباب ما يسمى بالهجرات من جنوبي الجزيرة العربية بدون ارجاعها إلى تقلبات الجو . طالما أن سادة المنطقة الجنوبية الغربية للجزيرة العربيّة يمكون السيطرة على الطرق الدولية التي تخترق الجزيرة العربيّة ، وكانوا يقيمون المخافر من أبناء وطنهم على هذه الطرق لحماية القوافل ولمراقبة البدو في المناطق التي تجاورهم . ومن المحتمل جداً أن يكون كثير من حراس هذه المخافر اختلطوا بأهل البلاد واستقروا بصورة دائمة فكان هذا سبب انتسابهم إلى تلك القبائل الجنوبية في الجزيرة . ثم انتسبت إليهم عشائر وبطون من القبائل الأخرى حتى أصبحوا جماعات تسيطر على الواحات المختلفة الواقعة بمحاذاة الطرق التجارية . وعندما اتخذت قوافل التجارة العالمية طرقاً أخرى وتركت تلك القوافل الجزيرة العربية ، لم يعد لدى حكام الجزء الجنوبي الغربي للجزيرة العربية أي سبب لإبقاء سيطرتهم مفروضة على المحطات الواقعة بمحاذاة الطرق المهجورة ، فأصبح المتحدّرون من رجال حامياتهم السابقة مستقلين وحاولوا بسط نفوذهم إلى أبعد حد ممكن . ولقد كان الانتساب إلى سادة جنوبي الجزيرة العربية ، من مفاخر سكان الجزيرة ، ومن المحتمل جداً أن الكثيرين قد تفاخروا به بدون أي مُبَرّر ، وعلى وجه التحديد نجد كثيراً من سكان أفريقية وآسيا من المسلمين يدعون أنهم منحدرين من سلالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، مع أنه لا توجد نقطة دم عربي واحدة تجري في عروقهم .

إن تاريخ القبائل العربية لم يُكتب بعد . والمؤرخ الذي يحاول القيام بهذا الواجب الصعب سوف يجد على الفور أنه لا يمكنه وضع اعتماده على علم الأنساب . لأن الحقائق التاريخية والعادات القبلية تتعارض مع الأنساب الزائفة ، التي كانت جميعها قد لُفّقت في المدينة والكوفة في القرن السابع والثامن .

لا تشير الكتابات الأثرية التي عرفت عن جنوبي الجزيرة العربية إلى أن هجرة

القبائل من الجنوب كانت بسبب الجفاف. بل وبالعكس تشير إلى فيضان كان السبب في تدمير سدّ مأرب . وبما أن هذا السدّ كان قد أصلح في حوالي القرن السادس بعد الميلاد فمن غير الممكن أن تكون القبائل قد هاجرت في وقت سبَق مطلع القرن السابع بكثير ، والمؤلفون العرب ، مع ذلك ، الذين تحدثوا عن قيام الإسلام لا يأتون على ذكر أية عادات تاريخيّة تشير إلى هجرة أية قبيلة في القرن السابع ، وعندما يحددون زمن الهجرات قبل ٤٠٠ أو ٥٠٠ سنة لا يكشفون عن ضعف الأسباب التاريخية فحسب فلو كانت القبائل كلها قد غادرت أوطانها في جنوبي الجزيرة العربية لكانت قد أحضرت معها اللغة والحضارة ولكانت قد احتفظت باللغة والحضارة في الأجزاء المحرومة من السكان في شمال الجزيرة العربيّة ، التي يؤكد كيتاني أنها مأهولة ، ومع ذلك فإننا لا نجد أية قبيلة متأثرة بحضارة جنوب الجزيرة العربية وباللغة في شمالها . إن النقوش والآثار التي عثر عليها بقرب الطرق التجارية مما صنع الرّعاة والحُرّاس الذين كانوا يحرسون الجمال الراتعة لا تماثل تلك التي عرفت عن عرب الشمال وسادتهم الغسانيين أو اللخميين .

الجفاف والإسلام : إن من الجدير بالملاحظة أن كيتاني جعل الإسلام ونموّه على اتصال وثيق بالجفاف ، وهو بعمله هذا قد اضطر مراراً لمناقضة نفسه . فهو يؤكّد أن في عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) كانت وسط الجزيرة العربية والبحرين من البـــلاد الغنيّة المزدحمة بالسكان (صفحة ٣٠٧) ، وأن نجداً كانت مأهولة بالفلاّحين ، وأن الحجاز كان يحكمها الحضر الذين كان البدو خاضعين لهم (صفحة ٢٩٣) . وتحديد كيتاني للحجاز غير واضح . فهو يدخل (صفحة ٢٣٤) معان في الحجاز ، ويكتب (صفحة ٢٩٣) أن القسم الأكبر في الحجاز يعد من أرض الصحراء العربية التقليدية (البتراء) مع أن الحقيقة أن هذه الصحراء تنتهي حيث بدأت الأولى (أنظر كتابي « شمال الحجاز » صفحات ٢٥٥–٢٥٩ ، ٣٠٩–٣١٣) . ويحدد كيتاني في مكان آخر (صفحة ٣٢١) موقع الحجاز في الجزيرة العربية مناقضاً لما ورد عن الجغرافيين العرب . (أنظر كتابي « الصحراء العربية » صفحات ٤٩٨–٥٠٠) . ويؤكد كيتاني أن الجزيرة العربية كانت مزدهرة جداً في

عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) وكانت غايتـــه توضيح عدد المهاجرين من أصحابه ولكي يجد دليلاً للجفاف في مقارنة الرّخاء الذي يدافع عنه مع وضع البلد في الوقت الحاضر . مؤكّداً (صفحة ٣١٦) أن عدد سكان الحجاز في الوقت الحاضر يتراوح بين ١,٥٠٠,٠٠٠ و٢,٠٠٠,٠٠٠ ، وهو يفترض عدداً يزيد مرتين على عدد السكان في عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) إذ أن مدوني سيرة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن المؤرخين الأقدمين لم يوردوا أي دليل يؤيّد القول بأن الحجاز كانت تضم ٤,٥٠٠,٠٠٠ إلى ٦,٠٠٠,٠٠٠ من السكان في الأيام الأولى للأسلام ، وبالرغم من ذلك ، فإن كيتاني يحدد هذه الأرقام ويحيل (صفحات ٣١٣ ، ٣١٦) القارىء إلى وادي القُرى ، وهو الوادي الذي يجزم بأنه كان ممتلئاً بالقرى في عهد محمد ، بينما هو اليوم مهجور . وإن وجدت فيه مياه كثيرة فإن القرى الموجودة من الممكن تكبيرها بسرعة وتحويل الوادي بأكمله إلى واحة واحدة ، حيث تكون الحياة والأملاك مؤمنة (أنظر كتاب « شمالي الحجاز » ص ١٢٣ و١٢٥).

ويعتقد كيتاني أنه في عصر محمد (صلى الله عليه وسلم) كان الحضر في صراحة النسب كالبدو ، وأما اليوم ، فقد اختلطت دماؤهم بالدم الزنجي بسبب الهجرة .

كيف يكون ممكناً أن يتمكن الزنوج من الهجرة إلى الجزيرة العربية حيث لا يوجد فيها سوى توقع المجاعة ، ولماذا يلزمنا أن نحدد تسرب الدم الزنجي إلى عهد ما بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما نعلم أن في زمنه كان الميل إلى تسري الجواري السود معروفاً إن هذه المشكلات ليس من السهل حلها .

ويؤكد كيتاني (صفحة ٣١٣) أن في القرآن أن محمداً كان يدعو الحضر ، ويعتبر البدو أعداء . وهو بهذا يتغافل عن الحقيقة في أن القرآن يتضمن كثيراً من الآيات الموجهة ضد أهل مكة من الحضر وليس ضد البدو الذين كان محمد على علاقة صداقة مع كثير منهم ، ويؤكد كيتاني (صفحة ٣١٤) أن الإسلام فُرِضَ على البدو فرضاً . إن تاريخ نشوء الإسلام يبين أن الحضر أول من قام بنشر الإسلام وأنهم من غير العرب قد نشروه بين الفرس . طالما أن بدو الجزيرة العربية كانت لهم

علاقة مع الدولة الإسلاميّة فإن الديانة لم تكن قد فُرِضت فرضاً . حقيقة أن الخليفة عمر الثاني كان قلقاً من ازدياد عدد المسيحيين المعتنقين للأسلام ، لأن الوضع المالي للدولة كان مؤسّساً على جباية ضريبة (الجزية من غير المسلمين ؟) فقد تأثر ذلك الوضع عندما اعتنق المسيحيون الديانة الأسلامية . وكان البدو الذي حاربوا مع المسلمين الأوائل جيوش البيزنطيين أو الفرس مهتمين بالغنائم ولم يكونوا يبدون سوى القليل من الاهتمام بما عداها (أنظر كتابي « الفرات الأوسط » ، صفحات ٢٨٣–٣١٥) .

وعلى الزعم من أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عامل البدو كما يعامل الأعداء وكان مُجبراً على فرض الإسلام عليهم كما يتذرع كيتاني فإنه كان قدّ وحّد القبائل العربية وحوّل الجزيرة العربيّة إلى معسكر واحدٍ للجيش (صفحة ٢٧٤) . وكيتاني مع ذلك ، قد أشار إلى أن ازدياد الجفاف هو السبب في تمزّق القبائل العربية . من المرجح أن التأثير قد انتهى عند هذا الحد بينما استمر السبب المباشر في العمل بدون تغيير ؟ ويفيد بعض المؤرخين من العرب أن أكثر القبائل الكبيرة أجبرت على الخضوع وأنها كانت ثائرة في أواخر حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد اضطر خليفته لإخضاعها ، ولم يكن هناك وحدة في الجزيرة العربية في ذلك الوقت بالتأكيد (أنظر كتاب « الصحراء العربية » ، صفحات ٥٤٦–٥٥٢) .

ويذكر كيتاني في أحد المقاطع أن في عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) تكوّن جيش حربي من المحاربين (صفحة ٣٩٠) ، ولكنه يؤكد في مكانٍ آخر أنه لم يكن لدى العرب في ذلك العهد معرفة للتدريب العسكري (صفحة ٣٥٥) وأنهم كانوا يكرهون شن الحروب وكانو مدفوعين بسبب المجاعة لشنّ الغارات (صفحة ٣٨٣) مع أن النصوص الأشوريّة واليونانية واللاتينية ، والسريانية تفيد أن العرب كانو يواصلون شنّ الحروب باستمرار تقريباً على حكام المناطق المجاورة لبلادهم أو يساعدونهم ضد أعداءهم (أنظر كتاب « الصحراء العربية » صفحات ٤٧٩–٤٨٩ ، و « أوسط الفرات » Middle Euphrates ، صفحات ٢٣٢ ، ٣٣٦ ، و « بلميرينا » Palmyrena صفحات ٢٤٧ ، ٢٧٤ ف) .

لقد درّب الرومان العرب واستخدموهم في جيوشهم ، وقد تبع البيزنطيون والفرس خطواتهم ، ولقد كان العرب – وخاصة البدو – يستمتعون بالحرب وشن الغارات في عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كما في يومنا هذا ، ويعتبرون ذلك بمثابة رياضة لهم . وكان الخطر والصعوبة في الحصول على الغنائم مما يرغبهم في شنّ الغارات لا الحصول على الغنائم ، وليس الأسلاب التي كانوا يقتسمونها وقد يتخلى بعضهم عنها ، بعد أن يستولوا عليها وما من بدوي يوافق على أن غاراته التي كان يقوم بها كان مصدرها الفاقة .

إن كيتاني كان مطّلعاً على الحقيقة من أنه لا توجد أية إشارة إلى الجفاف في الجزيرة العربية أو إلى مجاعة سكانها في الروايات المتعددة عن الحروب الإسلامية المُبكرة . وهو لذلك يستنتج (صفحة ٣٧٩) أن العرب في عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) كانوا ضحايا لازدياد الجفاف في الجو ، الذي تسبب مجاعتهم ، وهو يصر على أن المجاعة هي التي أجبرتهم على مهاجمة الفرس والبيزنطيين (صفحة ٣٦٨) وبأنهم قد أخضعوا هذين الشعبين ، رغم عدم تدريب عسكري لديهم ، وكانوا مضطرين بسبب الجوع للقيام في غاراتهم . وأنّ سِرّ قوتهم يكمن في شبابهم . لأن عرب الصحراء كانوا أمّة فتيّة (صفحة ٣٧٤) ممتلئة بالقوّة ، أتت بحياة جديدة للسُّكان الضعفاء من البيزنطيين والفرس . ويوضح كيتاني كيف كان ممكناً لعرب الصحراء ، والذين يقاسون الجوع آلافاً من السنين ، المحافظة على فُتُوّتهم ورجولتهم . حتى أخضعوا الفرس والروم ، و لكن السكان الجائعين في أستراليا أو صحراء كلاهاريا (؟) يمكن وصفهم بكل صفة ما عدى الشباب والقوة . وكيتاني نفسه على معرفةٍ بهذا التناقض (صفحة ٣٨٤) ومع ذلك فهو غير قادرٍ على إيضاح أسبابه .

ويؤكد كيتاني (صفحات ٢٧٤ ف ، ٢٧٧) أن البيزنطيين والفرس لم يكن لديهم من الرجال أو المال ما يكفي لإبقاء حدودهما مغلقة ، وأن حرّاس الحدود كانوا يهربون حالما ظهرت جيوش المسلمين المدرّبة أمامهم ، وأن مظهر ازدياد الانتصارات التي أحرزها المسلمون يمكن ارجاعها إلى أسباب الجفاف . وكيتاني

يتجاهل الحقيقة في أن السكان الخاضعين للحكم البيزنطي أو الفارسي فقدوا إخلاصهم للدّولة واعتبروا الدولة عبئاً عليهم بدلاً عن كونها ذات فائدة لهم . ولو كانوا قد أبدوا أي إهتمام بدولتهم لكان بإمكانهم صد الجيوش الأسلامية بسهولة . ولكنهم بقوا مستكينين ، وبوجه خاص في أول الأمر على فرض أن الغزاة العرب سوف يتخلون حالاً عن الأراضي المفلوحة . ففقدان الإخـــلاص قد جلب الدمار للأمبراطوريتين البيزنطية والفارسية مثلما تسببت في انحلال المملكة النمساوية — الهنغارية (أنظر كتابي « قصير عمرة » صفحات ١٤٠—١٤٤ ، و « أواسط الفرات »، صفحات ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣) ولا حاجة إذن إلى التذرع بتغيّر المناخ لتوضيح أسباب سقوط هاتين الأمبراطوريتين .

ومن السهل على كيتاني (ص ٣٩٨) التأكيد بأن كثيراً من السوريين كانوا يعملون بصفة جواسيس وكشّافين للعرب المسلمين ومن أن الحضر من العرب في سورية وبلاد ما بين النّهرين انضمّوا إلى الجيوش الإسلامية وحاربوا لنيل حريتهم (صفحة ٣٧٣) ، ولكن من الصعب إثبات ذلك ، لأن جميع المصادر اليونانية والسريانية ، والعربية لم تأت بشيء في هذا الموضوع . ونواجه نفس الصعوبة فيما يتعلق بالأدعاء (صفحة ٢٨١) بأن العرب المسلمين قد قتلوا وسلبوا في البدء لإرواء غليلهم من الدم ، ولكنهم فيما بعد استقرّوا في البلاد المحتلّة . وقد تشير بعض المصادر إلي حوادث القتل والسّلب ولكنها تذكر كثيراً من معاهدات السلام من سكّان العراق وسورية (أنظر كتابي « أواسط الفرات » صفحات ٢٨٣—٣١٤) .

ويصرُ كايتاني على القول بأن البدو طالما كانوا مستقرين في الصحراء ، فسيبقون من المتوحشّين ، ولكنهم حالما يُغادرونها يصبحون قوماً مهذّبين ، قد هيأوا أنفسهم لتقبل حضارة الشعوب المستعبدة . ويذهب إلى التأكيد (ص ٣٧٥—٣٩٣) بأن بدو الجزيرة العربيـــة المبتلون بالجوع قد قضوا على ديانتين ومدنيتين فاسدتين ، وتمكنوا من إحلال ديانة ومدنية قويّة محلهما ، وأن البدو العرب ، الذين كانوا يجهلون كل شيء عن الإدارة ، قد أقاموا حكومة نموذجية حالما استقرّوا في المناطق المُحتَلّة ، وأقاموا عهداً جديداً من الثراء والأمن لم يكن معروفاً في آسيا منذ عصورٍ عديدة .

وتفيد المصادر التاريخيّة أن الضباط الفرس قد واصلوا إدارة المقاطعات في سورية وأفريقية واليونان والعراق وبلاد الفرس ، ومن أن الأدارة العربية قد بدأت في عهد الخليفة عبد الملك وكان ذلك بمثابة تسوية فيما بين النظام البيزنطي والنظام الفارسي مع وضع مظهر عربي مموّه فوقه . وحيثما تدخّل البدو العرب مع حضارة ما فإنهم يخرّبونها ، هذا ما يؤكده ابن خلدون (أنظر تاريخه « العبر » ج١ ص ١٢٥) وهو أكثر المؤرخين العرب اعتدالاً ، ويمكننا أن نتحدّث عن الحضارة العربيّة ، من حيث أن بناتها من اليونان والسوريين والفرس والمصريين والبربر ، الذين تقبّلوا الإسلام وكتبوا العربية ولكنهم لم تتطبعوا بطبيعة البدو والحضر من العرب إذ لا يمكن لشعب جائع أن يضع الأساس لإقامة حضارة جديدة .

العلاقات فيما بين الصحراء وبين البلد المفلوح :

تكاد جميع النصوص التاريخية البابليّة والمصريّة والأشوريّة والسريانيّة والعربيّة تجمع على أن الجزيرة العربية بلد صحراوي قاحل . وتقسم سكانها إلى حضر وبدو . وأن هاؤلاء السكان يقومون بزيارة البلاد المفلوحة المجاورة لبلادهم لشراء المأكولات الضرورية لهم في الصحراء . كما أن تلك النصوص تبين أنهم أثناء وجودهم في تلك البلاد كانوا يحاولون كسب النقود عن طريق القيام ببعض الأعمال قبل عودتهم إلى الجزيرة العربية . وقد يتزوج بعضهم فيستقر هناك . وكلّما تمكنت حكومة قوية في المحافظة على أرواح رعاياها وأملاكهم قام البدو بزراعة الحقول ، وإنشاء المخازن لحفظ حاصلات تلك الحقول ثم يتحولون إلى حضر . ومن النادر أن يغادر البدوي الأصلي ، الذي يبدّل اقتناء الإبل بتربية الغنم حدود المناطق الزراعيّة إلى الصّحراء بل قد يتحول من بداوته إلى الاشتغال بالزراعة ، ولهذا فإن المنطقة المتحضرة تؤثر بصورة متدرجة بالصحراء . كما يحدث العكس عندما تكون حكومات البلاد التي تتاخم الجزيرة العربية فاسدة وعندما يدوم الفساد عصوراً ، إذ يقوم البدو من أصحاب الأبل بالإغارة على أهل الغنم ، فيقوم هاؤلاء بنهب الحقول والقرى الخاصة بالحضر ، ويقوم الحضر بسرقة سكان المدن فيحاول هاؤلاء السكان الهجرة إلى مناطق بعيدة عن الصحراء . ويقوم الحضر بإبدال مساكنهم الثابتة من البيوت المبنية ، ببيوت الشعر

المتنقلة ، ويتحوّلون إلى تربية الغنم ، وبالاختصار فإن الصحراء تنقلب على القطر المفلوح . ونفس العملية كانت ستحدث في ضاحية كل واحة كبيرة .

وحيث أن تسرُّب سكان الصحراء بصورة متقطعة إلى داخل الأراضي الزراعيّة قد استمر منذ أن وطئت قَدمَ الأنسان صحاري الجزيرة العربية وواحاتها وكلما كان المهاجرون من الصحراء كثيرين ازدادت قوتهم لقلب الحكومة . وتحت هذه الظروف فقد بقيت المدن الكبيرة ملكاً للسكان الأقدمين ، وقد استولى الحضر في البدء على المناطق الريفية ، ثم عادوا وتغلبوا على المدن أيضاً ، مشكلين دولاً وحضارات جديدة . وهكذا فإن النبطيين ، وهم أكثر سكان البتراء ، كانوا من العرب . وكان العنصر العربي في سورية وفي جنوب بلاد ما بين النهرين ، وبابل قوياً تحت حكم (أذينـــة) و (زنوبيا) إلى درجة أنه فاز بالسيادة . وقد أرغمت قوة السكان العرب الفرس والبيزنطيين على الاعتراف بدولتي اللخميين والغساسنة ، وكان من أثر الخوف والحسد محاولة الامبراطوريتين تدمير الولايات الصحراوية إذ كان واضحاً أن الملوك العرب يتّبعون سياساتهم الخاصة ويزدادون قوة ، لافي الصحراء بل بين الحضر المسيحيين في بلاد مابين النهرين وسورية أيضاً . وعلى ماتقدم فهل من الضروري أن تثير فكرة الجفاف لنشرح هذه الأوضاع أو نتحدث عن نشوء الدولة الأسلامية بعد ذلك ؟ لم تكن الهجرة بأعدادٍ كبيرة عاملاً قوياً للإطاحة بالحكومتين الفارسيّة والبيزنطيّة ، بل إن صدمة خفيفة كانت كافية ، وقد وجدت مثل هذه الصدمة في عهد محمّد (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه . فإن سورية وبلاد ما بين النّهرين ، ومصر قد امتنعت من طاعة حكام تلك الدولتين وتحوّلت إلى المدينة . ولم يكن بدو الجزيرة العربيـــة ، الذين تحولوا إلى الإسلام وكونوا جيوشاً عربية ، هم الذين نشروا الديانة الأسلامية في شمال أفريقيا وجنوب غربي آسيا ، بل هم سكّان هذه الجهات ، ولو أن سكان العراق وسورية لم يكن الذعر يملأ قلوبهم من المعتقدات الدينية ومن قساوة (الوهابيين) ولو أن الطائرات البريطانية لم تتمكن من إيقاف مقاتلي (الأخوان) لأمكن بسهولة أن نرى في هذه البلاد في الوقت الحاضر

إعادة أحداث القرن السابع (الميلادي) . ولسنا مضطريّن لأن نتحوّل إلى فكرة الجفاف حتى نُوضّحَ هذا .

إن الجزيرة العربية ليست البلد الميت والذي يتعاطى صناعة الموت كما يرسم هذا كيتاني . إنها منطقة مُجدبة تسقط بها أمطار قليلة وغير منتظمة ، ولكن بعد أن تهطل الأمطار الغزيرة تشابه البستان ويمكن استيطانها وزراعة أماكن كثيرة منها .

حقاً أن الجزيرة العربية اليوم ليست غنيّة ولا مزدحمة بالسكان مثلما كانت في العصور القديمة ، وذلك يرجع في الدرجة الأولى إلى التغيرات في طرق التجارة العالمية ، وإلى انعدام الأمن العام .

إن طبيعة الأرض لم تتغير ، وجميع الأماكن التي كانت مأهولة قبل آلاف السنين بقيت صالحة لاستيطان الإنسان في وقتنا هذا . وسلسلة الجبال التي تفصل أرض الجزيرة العربيّة من منخفض وادي العَرَبة والمنطقة الساحلية المحاذية للبحر الأحمر يمكن إعادة غرسها بالأشجار ، لتصبح أحراجاً وقد عثرت على إحدى الغابات الكثيفة إلى الجنوب الشرقي للبحر الميت (أنظر كتابي « بتراء العربية » المُجلّد الثاني ، الجزء الأول ، صفحات ٢٩٩ ، ٣٢٩) ، وكانت قد استخدمت أثناء الحرب العالمية لتزويد خط سكة حديد الحجاز بالوقود . وهناك إلى الجنوب الشرقي من هذه الغابات قطع كبيرة من الأراضي الحرجيّة وفي شمال الحجاز الكثير من الأشجار النامية في الجبال . وكانت هذه الأشجار ستغطّي المنحدرات ، لو لم يَقْضِ عليها الحضر ، للبحث عن الصموغ العطريّة والفحم النباتي . ويوجد مناطق تصلح للغابات بين سلسلة الجبال الغربيّة والفرات . وهناك آثار غابة قديمة تُعرَف باسم الأشوريين (أنظر كتابي « الصحراء العربية » ص ٤٨٧) وفي ضواحي القسطل (أنظر كتابي « بلميرا » ، صفحة ٤٩) وفي الأبيِّض (صفحة ١٤٧) ، وفي أبو رجمين وفي البُطمي . ويقال هذا عن ضاحية وادي السرحان ، حيث تَزدهر أشجار الحور (والتربينث ؟) (أنظر كتابي « قصير عمرة » صفحات ٦٢ ، ٨٧ ، ٩٣) وكتابي « الصحراء العربية » (صفحات ٣٢٨–٣٣٠ ، ٣٤٣–٣٤٥) . وأما

إلى الجنوب من صحراء النفود فكانت سلسلة جبال المِسْمَى وأجا وسَلْمى تغطى بالكثير من الأشجار والأدغال .

وإلى جانب تلك الغابات ، هناك كثير من الأراضي الواسعة المغطاة بالأدغال في شمال الجزيرة العربية ، كشجر الغضا الذي يكون آجاماً في الجزيرة العربيّة (أنظر كتاب « شمال الحجاز » صفحة ٦٦) وكان يغطّي صحراء النفود بأكملها (أنظر كتاب « الصحراء العربية » صفحات ١٤٩–١٥١) . وفي كثير من الوديان الغربية كانت أشجار السّنط (الأقاقيا) تنمو في الوقت الحاضر أيضاً (أنظر كتاب « شمال الحجاز » ، صفحة ٢٠٧) . وأما في الطرف الشمال الشرقي من الجزيرة العربيّة فهناك تقل الأشجار والأدغال ، مع أن شجر السِدر والرمث كان يزدهر في أماكن كثيرة هناك . (أنظر كتاب « الصّحراء العربيّة » ، صفحات ٤٨ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٣٦٣) ولسوف يُشكّل أدغالاً كثيفة إذا حوفظ عليه من حرائق الفلاحين والرُّعاة ، الذين يقضون على النباتات الموسمية لأجل الحصول على مراعي أفضل .

والصحراء العربية في عهد المؤلفين القدماء (الكلاسيكيين) تستمد اسمها من ندرة مياه الينابيع ، لا من ندرة النباتات في الواقع . لأنها تجود بأفضل أنواع الكلإ أثناء الشتاء بحيث تفي بحاجة سكانها من رعاة الأنعام خلال الأيام الأولى من الربيع والصّيف ، إذا كانت المياه موجودة فقط . ولكي يُسَدَّ هذا النقص أنشئت البرك في وقتٍ ما في هذا الجزء من الجزيرة العربية . والحكومة الواعية هي التي تقوم بإعادة إصلاح هذه البرك وببناء برك أخرى جديدة لتجعل من السّهلِ تربية كثير من المواشي ، ولتنقذ حقول الفلاحين من الدّمار الذي يسببه البدو في الصحراء (أنظر كتاب « الصحراء العربية » ، صفحات ٢٦٣ ، ٤١١) .

والآبار كثيرة جداً في شمال الجزيرة العربية . وأكثرها عميق جدّاً تدل على المهارة العظيمة لأولئك الذين قاموا بحفرها . وإذا أعيد تنظيف جميع الأبار المهدّمة وحفرت آبار جديدة أخرى فإن رخاء البدو والحضر سوف يتضاعف . وهناك المئات من البرك والآبار على طول طرق خط سير القوافل ، فإذا أعيد ترميمها فإنها سوف

تزود لا القوافل التجارية وحدها بل قبائل البدو أيضاً . وبدلاً من سجن المجرمين وتغريمهم قيام حكومة واعية بتنظيف الآبار والبرك المتهدّمة وحفر آبار جديدة في أمكنة قبائلهم إذ من الصعب أن يعتبروا مثل هذه الأعمال عقاباً لهم ، بل إنها ستدفعهم إلى مساعدة أنفسهم مع مساعدتهم للحكومة .

والمناطق الملائمة للزراعة والاستيطان واسعة إن أربعة أخماس شرق الأردن تقريباً كانت أماكن استقرار في السابق ويمكن أن تكون الآن . عندما تتضافر الجهود، فتكثر القرى هنـــاك حينما يُفرض الأمن (أنظر كتابي Palmyrena ، صفحات ٤٦ ، ٥٩ ، ٨٥ ف) .

أما المنطقة الواقعة بين سلسلة جبال الشراة وبين خط سكة حديد الحجاز فإنها ملائمة للزراعة الحديثة (أنظر كتاب « شمال الحجاز » ، صفحات ٣ ، ٤٨ ، ٥١) .

ووادي السرحان يمكن تحويله إلى واحة واحدة يبلغ طولها حوالي ٢٨٠ كيلاً ويبلغ عرضها نحو عشرة أكيال ،

وكان حوض (الجوف) في وقت من الأوقات مملوءاً بالقرى الصغيرة ، لأن المياه وافرة هناك ، ويمكن إعادة رخائه القديم (أنظر كتاب « الصحراء العربية » ، صفحات ١٩٧ ، ٢٨١) مشكّلاً واحة متواصلة يبلغ طولها ثمانين كيلاً وعرضها خمسة أكيال وفي صحراء النفود المحاذية له كما في المنطقة الواقعة إلى الجنوب يوجد كثير من الآبار ، وكانت المياه وفيرة في أكثرها ويمكنها إرواء الواحات في الضاحية الواقعة داخلها . وليس هناك شيء يقف في طريق إحياء القرية وازدهارها سوى فقدان الأمن ، وكانت ضاحية عين التمر مشهورة بتمورها قروناً عديدة . وفي الوقت الحاضر يوجد الألوف من أشجار النخيل نامية هناك ؛ ويمكن زراعة مئات ألوف أخرى ، ويتمكن الحضر بسهولة تحصيل ما يزيد على حاجتهم (أنظر كتابي « الصحراء العربيّة » ، صفحات ٣٦١–٣٦٧) .

وفي المنطقة الساحلية للبحر الأحمر بالإضافة إلى الحسا على الخليج . . . وأرض الحدود بين أراضي العراق المزروعة وصحاري الجزيرة العربية توجد تربة خصبة ومخزون وافر من المياه . مما يكفي لتزويد مئات الألوف من الحضر العاملين النشطين .

وهناك كثير من المُدن والقرى الواقعة على طول طرق الحجاج والتجارة ، يمكن إعادة بناء بعضها . إذ لم يكن كلها حالما تزداد اليد العاملة وينتهي توسيع الواحات ويتمكن سكانها من تصدير منتجات بلادهم المختلفة من داخل الجزيرة العربية إلى البلاد المجاورة واستيراد الحاجات لاستعمال الحضر والبدو .

إن التاريخ يبيّن أن الجزيرة العربية لم تكن قد عانت الجفاف بل عانت من قِلّة وجود حكومة بعيدة النظر وقويّة . ومثل هذه الحكومة يلزمها مؤازرة الدول المجاورة فإذا ما تعاونت هذه الدّول مع حكومة داخل الجزيرة العربية ، فإن سكان الجزيرة العربيّة ، الحضر منهم وجزء من البدو يكفّون من أن يكونوا على جيرانهم من الحضر . ولقد عبرت بكلمة (جزء) عن قصد ، إذ من المشكوك فيه أن يتخلّى العرب عن حُبِّهم للغارات التي يعتبرونها نوعاً من الرياضة[1] .

العرب : لم يكن غرض موزل — فيما تقدم — سوى الرد على (كيتاني) ومن يرى رأيه من محاولة التقليل من أثر الدين الإسلامي في نفوس المسلمين الذين قاموا بنشره في أنحاء المعمورة عند ظهوره ، فهو ومن شايعه من متعصبي المستشرقين يحاولون إخضاع القضايا التاريخية الثابتة لأهوائهم الباطلة ، ومع أن موزل — على وجه الإجمال كان منصفاً في دحض مزاعم كيتاني من أن جفاف الجزيرة كان أهم العوامل التي دفعت العرب — في صدر الإسلام إلى اكتساح مملكتي فارس والروم والاستيلاء على بلاد هاتين المملكتين العظيمتين ، وأن هذا الغزو لم يكن بدافع نشر الإسلام ، وما زعمه كيتاني ومن على رأيه أضعف من أن تقام الأدلة وتورد الحجج لإبطاله ، غير أن في كلام موزل المتعلق بالعرب ما لا يتفق مع الواقع ، ومنشأ هذا عدم تعمقه في دراسة التاريخ الإسلامي ، وعدم معرفته ، بمختلف أحوال العرب . لا من الناحية الإقتصادية وحدها بل من الناحية النفسية ، وما جبلوا عليه من كريم الأخلاق من وفاء ونبل وشهامة مما زاده الإسلام قوة ورسوخاً وجعلهم أشدّ تمسكاً به .

---

(١) انتهى ما لخصناه من كلام « موزل » مما ألحق بكتابه «شمال نجد» .

ولا نرى ما يدعو لمناقشة بعض ما وقع فيه موزل من أخطاء إذ المجال لا يتسع لهذا فلنعد إلى موضوع السؤال .

لا مراء في أن الجزيرة كانت في عهودها الماضية على درجة من الخصب ووفرة المياه أرفع مما هي عليه الآن . وبصرف النظر عما قيل من أن أوديتها العظيمة كوادي الرُّمَة ووادي السرحان ، ووادي الرِّشاء ، ووادي الدَّوَاسر (عقيق بني عقيل قديماً) ووادي حنيفة وغيرها كانت أنهاراً ، مما محلّ التعمق في البحث فيه خارج على علم التاريخ ، إلاّ أن من المشاهد في عصرنا أن قاة المياه تسير بطريقة واضحة ، فنحن نعرف عيوناً وآباراً غاضت مياهها ، فجفت تربتها ، وماتت مزروعاتها . ونعرف آباراً كان الماء فيها طامياً فأصبح الآن غائراً ، ويحدثنا التاريخ أن مدينة (حجر) التي قامت الرياض على أنقاضها — كانت ذات عيون ، كما تذكر كتب الجغرافية كثيراً من القرى والأودية المخصبة الكثيرة المياه ، وقد درست الآن ، وغارت مياهها . وهذا مما لا يحتاج إلى الاسترسال في الحديث عنه فهو معروف لكل أحد .

ولكن هل يتوقع العلماء ازدياد الجفاف وشموله الجوانب المخصبة في أنحاء العالم ؟

وهل يتوقعون لتلك الجوانب المجدبة من العالم أن يعود لها الخصب والنماء ؟

يقولون — والعلم عند الله سبحانه — أن للفلك دورة يقدرونها بآلاف السنين ، ولا يعلم مداها سوى مدبر الكون جلّ وعلا ، وأن هذه الدورة تكون من الأسباب التي أوجدها الله لتغيير الأجواء ، وبتغيرها يحدث — بإذن الله — من أسباب الخصب كنزول الأمطار بغزارة — ما يعيد للجوانب المجدبة خصبها ونماءها ، كما يحدث في الجوانب المخصبة ما قد يسبب لها الجدب من اشتداد الحرارة وشمول القحط .

ويبالغ بعضهم بالقول بأن المناطق المعتدلة في القارات المعروفة قد بدأت أجواؤها تتغير ، وبدأت تفقد كثيراً من مظاهر الخصب ، وقلت مساحات الأراضي الصالحة للزراعة ، وارتفعت في كثير منها درجات الحرارة في هذه الأزمنة بشكل غير مألوف . وما ذلك كله إلا من بوادر ما يُخْشى منه ، ويُتوَقّع حدوثه من الجفاف ولكن الله لطيف بعباده ، (وهو بكل شيء عليم) .

عردة وعريدة والهضب

كتب الأخ فيحان بن محمد العنزي – معقباً على ما جاء في مقال المستشرق موزل المنشور في جزء رجب سنة ١٣٩٥هـ ، ماهذا ملخصه :

١ – ذكر موزل في الفصل الذي نشرتموه من كتابه « شمال نجد » أن منطقة الهضب من بلاد : الفقراء وَوِلْد علي . والصحيح أن المنطقة من بلاد الفقراء والخماعلة والجمعات ، ولا صلة لولد علي بها .

٢ – أمّا عردة وعريدة المنهلان اللذان أشار المؤلف إلى أنهما للأيْدا . فالواقع أن عردة من مياه الفقراء ، وعريدة من مياه ابن جبل وعشيرته الجمعات .

وبما أن مجلة « العرب » تعتبر مصدراً ، وخاصة للباحثين من الشبان الذين يجهلون مثل تلك الأمور التي لا يعرفها سوى أهل البلاد الذين يعيشون فيها ، فإنني آمل التنبيه إلى ما ذكرت . .

الطائف : رئاسة مجلس الوزراء – فيحان بن محمد العنزي .

والعرب : تشكر الأخ الكاتب ، وترجو من كل قارىء يدرك في كلام موزل أي خطأ أن يرشد إلى وجه الصواب ، ليمكن تداركه عند نشر الكتاب « شمال نجد » كاملاً . والكمال لله وحده ، والعصمة لأنبيائه ، والمستشرق المذكور غريب عن بلادنا ، جاهلٌ بها ، ومع ذلك فكتابه يعدّ من المراجع الهامة .

حول شهران والعواسج

من الكتب التي أعجبت بها كتابكم « في سراة غامد وزهران » والذي لفت انتباهي كثيراً إسهابكم في معظم فصول ذلك الكتاب عن قبيلة شهران – وقد جاء في شرحكم عنها أن هناك العديد من رجال هذه القبيلة برزوا في صدر الإسلام وشهدوا غزوات مع الرسول (ص) وروى بعضهم الحديث . وقد جاء في شرحكم أن هذه القبيلة تنسب إلى خثعم من الأزد – وذكرتم في موضع آخر من الكتاب المشار

إليه أن قبيلة العواسج « العواشز » هاجروا من مدينتهم جرش واستوطنوا في وادي ابن هشبل . ولم يأت في نفس الشرح أن العواشز هؤلاء من قبيلة شهران . . .

فأرجو الإجابة عن هذه الأسئلة :

السؤال الأول :

١ – نسمع في وقتنا الحاضر أن اسم خثعم لا ينطبق إلا على قبيلة شمران والقبائل الصغيرة التي تجاورها – بينما جاء في كتابكم المذكور أن خثعم هم شهران القبيلة – فهل يعني هذا أن اسم شمران هذا محرف من قبيلة شهران أم لا .

٢ – هل قبيلة العواسج وقحافة بطنان من شهران وما مدى مكانة كل منهما من حيث الجاه والشرف .

٣ – هل كان عبدالله بن صرد الذي قدم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من العواشز المذكورين أهل مدينة جرش المذكورة أم لا .

الرياض – سعد بن جلبان البحاوي .

العرب : للأخ الكريم الشكر لحسن ظنه ولثنائه ، وهذا جواب ما سأل عنه – بعد الإعتذار عن عدم التفصيل لأسباب تتعلق بالمجيب .

١ – (خثعم) اسم يشمل فروعاً كثيرة أوضحها علماء النسب المتقدمون في كتبهم ، وتضمن كتاب « في سراة غامد وزهران » ذكر أكثر تلك الفروع ، وأشهرها (شهران) وكانت تسمى (شهران العريضة) لكثرة فروعها .

وفي الكتاب المذكور ما يوضح نسب قبيلة شمران – أيضاً – وليس اسمها محرفاً عن شهران ، بل هما اسمان لقبيلتين معروفتين قديماً وحديثاً .

٢ – العواسج فرع من قبيلة حمير التي يجمعها مع الأزد الذين منهم شهران قحطان والجوار في الدار ، وقد دخل العواسج في الأزد منذ عهد بعيد ، وقد أوضح نسبهم علامة اليمن الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب « الإكليل » في القسم المطبوع .

أما قُحَافَة : ففرع من شهران من قبيلة خثعم .

ومكانة العواسج وقحافة من حيث الشرف والجاه لا يماري فيها أحد .

٣ – الصحابي الجليل عبدالله بن صُرَد من قبيلة الأزد ، أزد السراة وليس من العواسج إلا باعتبار أن هاؤلاء بعد أن دخلوا في الأزد صاروا أزديين ، ومن الممكن الرجوع إلى الكتب المؤلفة في تراجم الصحابة مثل « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » لابن عبد البر و « الإصابة في معرفة الصحابة » لابن حجر و « أُسْدُ الغابة » في معرفة الصحابة لابن الأثير ، للإطلاع على ترجمة مفصلة لعبدالله بن صرد – رضي الله عنه – .

وللأخ السائل أطيب تحية .

* * *

العَرْضة النجدية ما هو أصلها

. . . هل للعرضة النجدية أصل في عادات العرب القديمة ؟ ! أرجو إيضاح ذلك على صفحات مجلتنا الكريمة .

الرياض : سعد بن محمد الغانم

كنت سئلت عن العرضة هذه قبل ثلاثة أعوام – بعد عودة رئيس جمهورية لبنان من زيارة بلادنا ، وعَرْض مشاهد من تلك الزيارة بواسطة (المرناة) – التلفزيون – في لبنان ، مع شرح بعضها ، فكان مما كتبت في الموضوع :

العرضة نوع من الرقصات العربية الشعبية : للعرب رقصات متنوعة بحسب تنوع أحوالها ، فمنها ما يتعلق بأحوال الفرح كالزواج والأعياد والانتصار ، ومنها ما يقصد به إظهار القوة والشجاعة أمام الأعداء ، وإيجاد الحماسة في النفوس لكي تصمد وقت اللقاء ، ومن ذلك ما يسمى بالعرضة المعروفة في المملكة العربية السعودية ، وهي رقصة حربية تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ القديمة ، وأصل التسمية مشتقة من كلمة العرض وهو الجيش الضخم قال الراجز :

إنّا إذا قُدْنا لجيشٍ عرضـــــا لم نُبقِ من بغي الأعادي عضّـــا

وكانت العادة القديمة عند العرب وغيرهم أن قائد الجيش ورئيس الجند يعرضان جيشهما وجندهما أمامهما للنظر في أحوالهم ، وكان الجيش يمرُّ أمام القائد مبدياً كلُّ واحد من أفراده قوته وشجاعته ، لئلا يوصف بالضعف أو الجبن ، وذلك في حركات قوية وفي مشية تتلاءم مع إيقاع شعري قد يتمثل به أحد الجيش ، والتاريخ العربي يروي الكثير من أخبار عرض الجيش بهذه الصفة ، فمحمد (صلى الله عليه وسلم) كان يعرض جيشه عند كل ملاقاة ، ولما مر به أحد أفراد جيشه وكان يتبختر في مشيته وينشد شعراً يناسب حركته ويقول فيه :

أنا الذي عاهدنـــي خليـــلي ونحن بالسّفْحِ لدى النخيـــل

أضْربْ بسيـــف الله والرسول

قال عليه الصلاة والسلام : « إن هذه لمشية يكرهها الله إلا في مثل هذا الموضع » .

وبينما كان الحجاج يعرض جنده مر به فتى وهو يقول : (أنا من قوم لم يكن فيهم جبان) فأعجب به الحجاج واستدعاه وسأله عن قبيلته فأخبره أنه من قبيلة (يام) التي لا تزال معروفة في جنوب المملكة .

وقد وصف ابن فضل الله العمري في كتابه « مسالك الأبصار » إحدى العرضات التي وقعت في زمانه ، فقد ذكر عن قبيلة زُبَيْد ، التي لا يزال القسم الأكبر منها مستوطناً في غرب المملكة بين مكة والمدينة أن فرسانها – في القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) عندما طلب ملك الشام منهم النصرة على التّتار أقبل منهم زهاء أربعة آلاف فارس على الخيل المسومة ، والجياد من الإبل متقلدين بالسيوف ، بأيديهم الرماح كأنهم صقور على صقور ، وهم يرقصون بتراقص النجائب ، وكانت مغنيّتهم – وتعرف بالحضرمية ولها سمعة طائرة في زمانها – سافرةً من هودجها وهي تغني :

وكنا حسبنَا كلَّ بيضاء شحمـــةً ليالِيَ لاقينا جُذَامَ وحِمْيَـــرَا

ولما لقينـــا عصبةً تغلبيّـــــــة يقودون جُرْداً للمنيـــة ضُمّـــرا

فلما قرعنـا النبع بالنبع بعضـه ببعض أبت عيدانـه أن تكسـرا[1]
سقيناهـم كأسـاً سقونا بمثلهـا ولكنهم كانوا على المـوت أصبرا

فأثاروا الحماسة في النفوس وتم الأنتصار على التتار .

ويصف الأخطل قبيلة قيس عيلان التي كانت خارجة عن الخليفة الأمويّ في عهده أنهم انقادوا فوفدوا على الخليفة فعرضوا أمامه ليظهروا له الطاعة وأنهم شجعان أقوياء ، فقال :

وقيس عيلان حتى أقبلـوا رَقَصاً فبايعـوك جهاراً بعدمـا كفروا

وقد تطور عرض الجيش حتى كان في عهد دولة المماليك إذ أُحدثت وظيفة خاصة تسمى (عارض الجيش) .

ولقد كانت الفتاة العربية تشارك الجيش في رقصاته الحربية لتثير حماسته وتبعث نخوته ، فنساء قريش في وقعة أُحُدٍ كُنَّ يضربن بدفوفهن خلف الرجال المحاربين ويقلن في أهازيجهن :

إنْ تُقبلـوا نعانـق ونفرش النّمـارِقْ
أَوْ تُدْبِروا نُفَـارق فراق غيرِ وَامـقْ

وقد بقيت هذه العادة عند العرب إلى عهد قريب ، فقد ذكر الأستاذ أمين الريحاني في وصفه لإحدى الوقائع في نجد أن النساء كنا يتغنين خلف صفوف الجيش ويقلن :

يَا للِّيْ تَمَنّى حَرْبِنَـا غَوِيْت يا غاوي الدّلِيـلْ
كَمْ واحـدٍ منْ ضَرْبِنَـا دَمّهْ عَلى الشّلْفَا يسِيْل[2]

---

(١) النبع : الرماح .
(٢) الشلفا : الرمح .

والعرضة كانت إلى عهد قريب على ثلاثة أقسام :

١ ــ عَرْضة الجَيْش (الإبل النجائب المذللة للركوب) ، حيث يقوم المحاربون أو الجند باختيار نجائب الإبل في اليوم المخصص للعرضة فيركبونها من مسافة يتمكنون بها من الوصول إلى مكان العرضة ، وهي في غاية ما تستطيع من قوة الإغارة (الجري السريع) فإذا مَرَّ العارضون على المكان الذي اجتمع فيه الناس صار كل واحد منهم يُلَوِّح بسلاحه ، ويصرخ بأعلى صوته بنخوته التي يعتزى بها كأن يقول (أنا أخو فلان) أو (أنا ابن فلان) فيجيبه الناس بكلمة (وَنِعْمَ ونِعم ! !) تشجيعاً له .

٢ ــ عرضة الخيل يمتطي الفرسان خيولهم في الوقت المحدد للعرضة ، ثم يأتون إلى مكانها متسابقين على خيولهم مُلَوِّحين بسيوفهم وهم يعتزون وينتخون .

٣ ــ العرضة العامة وهي التي يقوم بها الرجال بعد أن يتهيأوا بأسلحتهم من سيوف أو بنادق ثم يصطفون صفوفاً ويقومون برقصات تلائم إيقاع ما يلقى على مسامعهم من أهازيج شعرية مثيرة للحماس مثل :

حِنّا هَلَ (العَوْجا) مْرَوِّية السِّنِيْن وإذَا كسرنا العَظْمِ ما حدٍ جَبَّره[1]

أي إن العرضة تقوم حركاتها على إيقاعات موسيقية .

وللشعر الشعبي في الجزيرة اهتمام بالعرضة بحيث قل أن يخلو ديوان شاعر مشهور من قصائد عرضية أي تختص بالعرضة هذه الرقصة الشعبية التي أوشكت كل الرقصات القديمة أن تزول من الجزيرة ما عداها .

الرياض : حمد الجـــاسر

◆◆◆◆

(١) حنا : نحن ــ هل : أهل ــ العوجا : عزوة أهل مدينة الرياض .
مروية السنين : نروى السيف المسنون الحاد من دم الأعداء .

تاج العروس

من جواهر القاموس

- ١٦ -

تحدثت قبل عامين عن الجزء الثاني عشر من هذا الكتاب[١] ، وقد كتبت مقالات لأجزاء المجلة الثمانية من عامها العاشر ، طبع بعضها ودفع بعضها للطبع ، وكلها فقدت – فيما فقد – وقد يكون من بينها ما يتعلق بما صدر من (التاج) من أجزاء بعد الثاني عشر . فقد قيل لي : إنه صدر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء ، ولكن لا علم لي إلا بالجزء الخامس عشر ، بعث الي في الرياض بعد عودتي من رحلتي إلى الولايات المتحدة للعلاج . وهو يبدأ بباب الزاي وينتهي بـ (حيس) باب السين فصل الحاء .

ويقع في ٥٧١ صفحة . وقد طبع في سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥) بمطبعة حكومة الكويت وهو الحلقة السادسة عشرة من (سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الأعلام) وقد تولى تحقيقه الأساتذة (الترزي وحجازي والطحاوي والعزباوي) وراجعه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج (باشراف لجنة فنية بوزارة الإعلام) والاساتذة الذين قاموا بتحقيقه من العاملين في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، وممن لهم جهود معروفة ومشكورة في تحقيق كثير من كتب التراث ، بل لا مبالغة في القول بأنهم من خيرة من تصدى لهذا العمل ، من حيث سعة الاطلاع ، وطول المعاناة ، وتوفر المراجع والاتجاه التام له ، مع قلة المعنيين به في هذا الوقت.

والمرء حينما يتحدث عن كتاب – أي كتاب كان – يجعل نصب عينيه أموراً : منها أن يكون الكتاب مما يضيف للقارىء معلومات صحيحة ، وهذا هو غاية مؤلفي

---

(١) : « العرب » ص ٧٦٧ س ٨ جزء الربيعين سنة ١٣٩٤ ، ١٩٧٤ م .

الكتب في جميع العلوم ، فضلا عن كون الوقت أثمن من أن يضاع في قراءة كتب لا تنمي معرفتنا .

ومنها أن كل كتاب لا يخلو من الخطأ باستثناء كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ــ وهذه الثروة العظيمة التى خلفها لنا سلفنا الصالح فيها الخير كل الخير متى عرفنا طريقة الاستفادة منها ، ولا طريقة سوى حسن الاختيار ثم غربلة ما نختار لنفي الزيف عنه عندما نريد تقديمه للقراء ما اســتطعنا الى ذلك سبيلا . ولا يضيرنا متى كان هذا هدفنا أن يقع منا قصور ، فطاقة كل انسان محدودة والكمال لله وحده

ومنها أن من حق القاريء أن يشارك المؤلفَ أو المحققَ الرأيَ فيما يعرض له في مباحث الكتاب ، ولا غضاضة أن يكون الحقُّ في جانب واحد منهم دون الآخر .

وعلى ما تقدم قامت مطالعتى لما صدر من أجزاء هذا الكتاب ، وفي ايضاح ما عن لي أثناء المطالعة من ملاحظات من اهمها :ـ :ــ

١ ــ ص ٧٢ : (وجَمْزُ : ماء بين اليمامة واليمن ، نقله الصاغاني ، قلت : وهو عند حَبَوْتَنَ ، اسم ناحية من نواحي اليمامة . قاله نصر) . وفي (معجم البلدان) جمز ــ آخره زاء ــ ماء عند حبوتن بين اليمامه واليمن ، وهو ناحية من نواحي اليمن قال ابن مقبل :

ظلّت على الشوذر الاعلى وأمكنها أطواء جمز على الإرواء والعطن

وأضيف : وقع في (التاج) خطأ في كلمة (حبوتن) والصواب : حَبَوْنَنُ ــ بالحاء المهملة مفتوحه بعدها موحدة مفتوحة فواو ساكنة فنونان أولاهما مفتوحة ، وهو من أشهر أودية جنوب الجزيرة بقرب نجران يمرُ به المتجه من اليمامة الى اليمن . وليس حبوتن ــ كما في مطبوعتى « التاج » و «معجم البلدان» ولا يزال الوادي معروفا وبعضهم يسميه حبونا وورد في الشعر القديم .

ووقع في « التاج » خطأ اخر هو قوله عن حبونن : (اسم ناحية من نواحي اليمامة) والصواب كما في « معجم البلدان » : من نواحي اليمن ، فهو من نواحي نجران يفصل بينه وبين اليمامة بلاد واسعة .

٢ – ص ٨٣ – : (وذو المجاز : موضع قال أبو ذؤيب :

وراح بها من ذي المجاز عشية يبادر أولى السابقات إلى الحَبْلِ

وقال الجوهري : موضع بمنى ، كانت به سوق في الجاهلية ، وقال الحارث بن حِلِّزَةَ :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قُدِّ مَ فيه العهـودُ والكفلاءُ

وقال غيره : ذو المجاز سوق كانت لهم على فرسخ من عرفة بناحية كبكب ، سمي به لأن اجازة الحاج كانت فيه) .

وأضيف : قول الجوهري أن ذي المجاز موضع بمنى . خطأ لا يتابع عليـه . فذوالمجاز واد لا يزال معروفاً يحفُّ بجبل كبكب الواقع في الجنوب الشرقي من موقف الحجاج بعرفة ، وسيلهُ يفضي إلى وادي عرفة ، والمسافة بينة وبين الموقف تقارب : فرسخا (ثلاثة أميال نحو ستة أكيال تقريباً) ، والقول بأن اجازة الحجاج كانت فيـه غير صحيح فالحجاج لا يمرون به عند إجازتهم من عرفة إلى مزدلفة ، ولا من مزدلفة الى منى ولا يمرُّ به إلا من قدم إلى عرفات من جهةجنوبها أو انصرف منها إلى تلكالجهة

٣ – ص ٨٨ – من زيادات صاحب « التاج » : (وذو المجاز منزل في طريق مكة ، بين ماوية والينسوعة) .

المنزل المذكرر يدعى المجازة – لا المجاز – على ما ورد في كتب المتقدمين ، وسَمَّاه الهمداني في « صفة جزيرة العرب [1] » مجازة الطريق ، وفرَّق بينها وبين مجازة اليمامة التي بقرب الحوطة حوطة بني تميم في شرقي جبل العارض .

ولكي نبيِّن ان ما انفرد به مؤلف التاج لا يعول عليـه يحسن أن نورد بعض نصوص العلماء المتقدمين في تحديد هذ الموضع : –

قال في كتاب « بلاد العرب » [2] – في وصف الطريق من حَجْرٍ إلى الكوفة : (ثم تجوز الدهناء فتعلو قُفًّا غليظا فتمرُّ بخبراء وسط ذلك القف خَفِيَّةَ لبني العنبر. ثم تجوز ذلك فترد المجازة ، وهي من طريق مكة الذي يأخذ عليه البصريون

---

(١) ص ٣٠٠ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) ص ٣٣١

عليه المنار من بطن فلج ، وهي منهل من مناهل السوق ، يكون بها ناس تجار في أيام الحج ، وعليها آبار للسلطان وليست هذه بالمجازة التي كانت فيها وقعة المجازة .
ثم تجوز المجازة فتقع في اللوى ، وعن يمينه قفٌّ غليظ يفضي إلى حزن بني يربوع وعن يساره رملة عظيمة تسمى الشيحة فاذا جزت اللوى وهو مسيرة ستة أيام فيما بين المجازة ولينة صرت إلى لِيْنَةَ) إنتهى .

وفلج ــ باسكان اللام ــ هو وادي الباطن الذي يقع فيه الحفر .

والمجازة التي حدثت فيها الوقعة تقع أسفل أودية الحوطة والحريق شرقي عارض اليمامة .

واللوى هنا يقصد به جانب من رمال الدهناء في شرقها .

ولينة لا تزال معروفة .

وفي « معجم البلدان » ذو المجازة منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينسوعة على طريق البصرة ــ ثم ذكر مجازة اليمامة ــ وقال قال السكري : المجازة موضع بين ذات العشيرة [1] والسُّمينة في طريق البصرة ، وهو أول الرمل . قال جرير :

فمن راقب الجوزاء أو بات ليله ... طويلا فليلي بالمجازة أطول

وأنشد ابن الاعرابي في نوادره :

فان بأعلى ذي المجازة سَرْحَةً ... طويلا على أهل المجازة عارها
ولو ضربوها بالفؤوس وحرقوا ... على أصلها حتي تأرّثُ نارُها

ويوم المجازة من أيام العرب) انتهى

السمينة : كانت قرية تقع شرق النباج (الاسياح) فدرست وقد حدد موقعها الأستاذ الشيخ محمد العبودي في كتاب « بلاد القصيم [2] » والينسوعة يعرف موقعها الان باسم (بُرَيْكة الأجري) على ما حققته في كتاب « شمال المملكة [2] » .

---

(١) يقصد ذات العشر .

(٢) أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

ويقصد بالرمل رمل الدهناء وفي كتاب « المناسك » : فمن العُشَر الى الينسوعة ٢٣ ميلا. وفي الطريق آبار كثيرة ، ويقال للمتعشى المجازة) انتهى.

العُشَر لا يزال معروفا منهل على حد رمل الدهناء في شرقه أعلى وادي الباطن (فلج قديما) وفي أرجوزة وهب بن جرير الجهضمي يصف طريق الحج من البصرة .

حتي إذا مرت على ذات العشر ... معتمة والليل ساج معتكر
ما كان الا وردها ثم الصدر ... ثم مضت أمامها المجازه
كأنهـا إذ نتجت جمـازه ... تطلب مـاء دونه مفـازه
فأعنقت مصعدة في الرمـل ... كأنهـا مطلوبة بذحـل

وقول السكري : إنها بين ذات العشر والسمينة من طريق البصرة ، وهو أول رمل الدهناء ينطبق على المنهل المعروف الان باسم الثمامي ، ولعله سمي بهذا لوجوده في مكان ينبت الثمام ــ النبات المعروف ــ وكذا قول الحربي في « المناسك » [1] إن المتعشى بين العشر والينسوعة غير أن هذا يعترضه القول بقرب هذا المتعشي ، فالمسافة بين ذات العشر وبين الثمامي قصيرة ، ويزول هذا الاعتراض بأن المجازة في حد الرمل (الدهناء) والسير في الرمل يتطلب نشاطاً واستجماماً واستراحة ، أو أن ذات العشر لم تكن منزلة قبلها ويدل علي هذا ما في أرجوزة الجهضمي .

ويقع منهل الثمامي غرب ذات العشر على مسافة تقارب ١٥ كيلا ، وفي الجنوب الشرقي من بريكة الأجردي ، ويحف بالثمامي غرباً نفود الجرع ، وهو من أطراف الدهناء يتصل بالدهناء التي تغلظ غرب الثمامي فتفصل بينه وبين الاودية التي تنحدر من التيسية ، ومنها وادي الاجردي (ذي طلوح) الذي تقع بريكه الأجردي أسفله .

٤ ــ ص ٤٩٧ (والحجاز الجبال) ومنه قول الشاعر :

ونحن أناس لا حجاز بأرضنا) .

---

(١) ص ٥٨٢ من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .
(٢) : « المناسك » ص ٦٢٧ .

والتعليق هو : « اللسان » أي أن هذا القول ورد في « لسان العرب » . وهي طريقة سار عليها محققو الأجزاء التي صدرت من هذا الكتاب أعني الا كتفاء بذكر أن هذا البيت ورد في « اللسان » ولا أرى معنى لهذا ولا فائدة ، إذ من المعلوم أن صاحب « التا ج » أضاف ما في « لسان العرب » إلى كتابه و « اللسان » كتـــاب مطبوع لا يضيف ذكر ما فيه من مواد هذا الكتاب جديداً .

وبيت :

ونحن أناس لا حجاز بأرضنـــا
من الغيث ما نُلْفَى ومن هو غالب

من قصيدة مشهورة أوردها صاحب « المفضليات[1] » والهمداني في صفة جزيرة العرب[2] :

والبكري في « معجم ما استعجم »[3] . وياقوت في « معجم البلدان »[4] . وهي للأخنس بن شهاب التغلبي ، ومطلعها :

لكل أناس من معـــد عمـــارة
عروض إليهـــا يلجأون وجانب

ـ ذكر فيها منازل بعض قبائل العرب في جزيرتهم .

٥ ـ ص ١٠٥ : قال أعشى باهلة :

تـــكفيه حُزَّةُ فِلْذٍ إن ألمَّ بهـــا
من الشواء ويروي شربه الغُمَرُ

وفي تخريج هذا في الهامش : (الصبح المنير ، ص ٢٦٨ واللسان والصحاح والعباب) وأغفل المحققون مصدراً أقدم ممـــا ذكروا وهو « جمهرة أشعار العرب » فقد وردت فيه قصيدة أعشى باهلة في رثاء المنتشر كاملة .

---

(١) انظر شرح ابن الأنباري ص ٤١٤ .
(٢) ص ٣٦٧ نشر (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .
(٣) ص ٤٦ تحقيق مصطفى السقا .
(٤) رسم (قضة) .

٦ – ص ١٠٧ : (وحزاز بن كاهل بن عذرة .. إسم جد لخالد بن عرفطة .. حليف بني زهرة . كذا في أنساب البكري .. واسم جد لجمرة بن النعمان العذري واسمه عدي بن حزاز بن كاهل . قال أبو عبيد البكري : هو أول عذري قدم على النبي (ص) بالصدقة وزاد بن فهد : أقطعه النبي (ص) وادي القرى) .

وجه الإشكال هنا أن المؤلف نسب إلى أبي عبيد البكري كتاباً في الأنساب ، والمعروف أن صاحب كتاب « النسب » هو أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، وكتابه توجد مخطوطته الوحيدة في إحدى مكتبات (تركيا) . وقد كانت اللجنة المشرفة على نشر كتب التراث في الكويت قد طلبت مني أن أوضح لها بعض ما أرى نشره من تلك الكتب مما أريد القيام بتحقيقه فذكرت – مما ذكرت – كتاب « النسب » هذا وكتاب « بلاد العرب » وبعثت لتلك اللجنة صورتي الكتابين على شريط (ميكروفيلم) وانتهى علمي بهما منذ بعثتهما في عام ١٣٨٥ هـ .

وأرى أن ما ورد في « التاج » قد ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في ذلك الكتاب وأن نسبته إلى البكري من أخطاء الزبيدي ولقد تصدى أحد العلماء الباحثين من أهل الكويت لدراسة حياة أبي عبيد البكري ، وقدم في ذلك رسالة نال بها إجازة علمية ، ثم طبعها ، هذا الباحث هو الدكتور عبد الله الغنيم الأستاذ في جامعة الكويت ، فهل ذكر بأن للبكري كتاباً في الأنساب ؟! .

٧ – ص ١٠٩ – الحزيز ، عد من الأحزة المعروفة .

١ – الحزيز ماء عن يسار سميراء لقاصد مكة .
٢ – الحزيز موضع بديار كلب يقال له حزيز الكلب .
٣ – الحزيز موضع بديار ضبة .
٤ – الحزيز موضع بالبصرة .
٥ – الحزيز موضع بديار كلب بن وبرة بالبصرة يقال له حزيز الحوأب وهو غير حزيز الكلب .

٦ ــ الحزيز موضع بطريق البصرة .
٧ ــ الحزيز موضع لمحارب .
٨ ــ الحزيز موضع لغني .
٩ ــ الحزير موضع لعكل .
١٠ ــ الحزيز ماء لبني أسد يقال له حزيز صُفَيَّةَ .
١١ ــ حزيز تلعة .
١٢ ــ حزيز رامة .
١٣ ــ حزيز غول .

عَد ثلاثة عشر موضعاً ، وقال الشارح : وفاته حزيز قرية باليمن .
ويؤخذ على هذا :

١ ــ القول بأن حزيز كلب يقال له حزيز الكلب . لم أر فيما اطلعت عليه من الكتب المؤلفة في تحديد المواضع أن حزيز كلب يدعى (حزيز الكلب) وأرى الخطأ وقع بإدخال (ال) مع تكرار (حزيز كلب) .

٢ ــ حزيز الحوأب ليس في ديار كلب بل في ديار بني كلاب ، وبلادها هؤلاء في عالية نجد .

٣ ــ حزيز كلب يقع في بلادهم ــ كما ذكر ياقوت في «معجم البلدان»[1] والبصرة ليست من بلادهم .

وها هي بعض النصوص التي تحدد حزيز الحوأب . فقد جاء في معجم البلدان » حزيز الحوأب : قال نصر : الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة . والحوأب والعناب والحزيز جبال سود . أظنها في ديار عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب . وقال ياقوت : خَنْثَلُ : بَرْثٌ من الأرض في ديار بني كلاب ، أبيض مستو بإزاء حزيز الحوأب . ونقل عن نصر : صراد : هضبة بحزيز الحوأب ، في ديار كلاب[2] .

---

(١) الحزيز .
(٢) « معجم البلدان » ــ حزيز ــ الحوأب ــ خنثل ــ صراد .

وفي كتاب « بلاد العرب » : الحزيز عن يســـار ضرية ، وهو من جوانب الحوأب والحوأب ماء لبني أبي بكر) .

وفيه : (والبقرة ماءة لبني عبد بن كعب وهو على يمين الحوأب) .

وفيه ــ في ذكر بلاد بني أبي بكر بن كلاب : (والعُنَاب ، والحوأب ، والحزيز جبال سود) انتهى [٣] .

وأقول : خنثل والبقرة من المواضع التي لا تزال معروفة بقرب نتجا في عالية نجد .

٤ ــ حزيز بني أسد ليس ماء ، وإنما الماء صفية التي يضاف إليها الحزيز . فقد جاء في كتاب « بلاد العرب » [١] . وفوق الدَّاءَّات مما يلي المغرب : حزيز صفية ، وصفية ماء لبني أسد) . ومثله في « معجم البلدان » [٢] والدَّاءَّات ــ تسهل همزته الآن . فيقال الداث ــ واد لا يزال معروفاً . جنوب جبلي أبان .

ثم إن الحزيز [٣] على ماعرفه علماء اللغة : المكان الغليظ المنقاد .

٥ ــ وهناك أَحزَّةٌ أخرى لم تذكر وحصره الأحزة في ثلاثة عشر غير صحيح . فهو لم يذكر أحزة الثَّلَبُوث ، الواردة في شعر لبيد ، ولا حزيز أضاخ الوارد في نقل ياقوت في « معجم البلدان » : عاقل واد بنجد [٤] . من حزيز أضاخ ، ثم يسهل ، فأعلاه لغني وأسفله لبني أسد . وذكره صاحب كتاب « بلاد العرب » [٥] .

وهناك حزيز يقع بين الـــكويت وبين سفوان ، منه يهبط إلى سفوان ، قال صاحب كتاب « بلاد العرب » ــ في وصف الطريق من كاظمة إلى سفـــوان : (ثم تمضي من أيرمى الركبان فتعلو مغراً يقال له الحزيز . وفيه يقول الراجز :

---

(١) ص ١٦٢ و ١٥٤ و ١٣٣ .
(٢) ص ٦٧ .
(٣) حزيز صفية .
(٤) أرى الصواب (ينحدر) .
(٥) ص ١٠٩ .

لمـــا بدالي بالحزير أينقي كبرت تـكبير الأسير المطلق

فتمضي في الحزيز حتى تهبط ماء يقال له سفوان فيه بيوت مبنية كثيرة) انتهى .

وهذا غير حزيز البصرة القريب منها كما يتضح من كلام المتقدمين قال ياقوت :

والحزيز – غير مضاف – : موضع بالبصرة[1] . وقال البكري : وأعلى المِرْبَد حجارة رخوة ، وهو الموضع الذي يسمي الحزيز ونقل عن أبي بكر[2] : الحزيز هو الموضع الذي بين العقيق وأعلى المربد بالبصرة ، وحجارته رخوة ، وبه سميت البصرة[3] .

٨ – ص ١٢٣ – : (وحوزة : واد بالحجاز كانت عنده وقعة لعمرو بن معد يكرب مع بني سليم ، قال صخر بن عمرو :

قتلت الخالدين بهـــا وعمرا وبشراً يوم حوزة وابن بشر

حوزة – هنا – صوابه حَوْرة – بالراء لابالزاي – وادٍ من أودية تهامة لا يزال معروفا من أودية بني سُلَيم ، بين مكة والمدينة .

٩ – ص ١٣٢ : والخَبِيزاتُ : موضع وهي خبزاوات بصلعاء ماوية وهو ماء لبني العنبر ، حكاه ابن الأعرابي وأنشد : ولا الخبيزات مع الشاء مع المُغِبّ

قال : وإنما سُمِّين خبيزات لأنهن انخبزن في الأرض ، أي انخفضن) .

في الهامش عن « معجم البلدان » : هي خبراوات بالصلعاء صلعاء ماوية ، وفيه (الخبيرات) لأنهن خبرن في الأرض أي انخفضن . . ولكن المحشي استدرك بأنه ليس في مادة (خبر) ما يدل على هذا المعنى ، ولكنه مقيد في مادة خبز – أي في اللسان ، واقول : أري الصواب – في كل المواضع هنـــا بالراء (الخبيرات)

---

(١) ص ٣٢٣ .

(٢) معجم البلدان – الحزيز – « معجم ما أستعجم » – ٤٢٥/٢٥٤ .

(٣) لعله ابن دريد .

و (خبيرات) و (انخبرن) كما في « معجم البلدان » ولا عبرة باستدراك المحشي ، ولا في تقييد « اللسان » لها في (خبز) فصاحب « اللسان » كثيرا ما يخطئ في النقل . وما أكثر الخبراوات بقرب ماوية شرق الدهناء في أطراف الصَّمَّان .

١٠ ــ ١٣٨ : (وخزازى ــ كحبَالَى أو كسحاب ــ مقصور عنه وبهما روي قول عمرو بن كلثوم الآتي ذكره جبل بين منعج وحاقل ، بإزاء حمى ضرية كانوا يوقدون عليه غداة الغارة ، ويوم خزازى أحد أيام العرب قال ابن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خزازى رفدنا فوق رفد الرافدينـــا

وفي الهامش: في (مطبوع التاج : حافل والصواب من ياقوت) انتهى وأضيف : خزاز الذي بين واديي منعج وعاقل لا يزال معروفاً بدون ألف ، أي أنه كسحاب ، أما الذي فيه ألف مقصورة فموضع آخر في جهات الشام ورد في شعر عدي بن الرقاع مع أن كثيراً من المتقدمين خلط بين الموضعين وكلمة (حافل) في مطبوع « التاج » صوابها (عاقل) وهي تطبيع ــ أي خطأ مطبعي .

١١ ــ ص ١٩٨ : (وما يستدرك عليه : ذات طازٍ : واد بين الحرمين ، وهو المعروف بوادي الغزالة) .

طاز رجل تولى إمارة الحج في القرن العاشر الهجري سنواتٍ ، وله آثار في طريق الحج من مصر إلي مكة المارّ بالعقبة براً وفي الطريق بين مكة والمدينة ، فقد عمّر بعض البرَك والآبار ، وكان مما عَمّرَ بركة تقع في وادي الرَّوحاء ، عرفت عنـــد الرحالين ببركة طاز ، لا (ذات طاز) كما ذكر المؤلف ، وليست وادياً .

(للبحث صلة)

---

(١) قال :

وجيجان جيجان الملـــوك وآلس وحزم خزازي والشعوب القواسر

□ **مجلة الدارة :**

صدر العدد الثاني من السنة الثانية من مجلة الدارة في شهر رجب ١٣٩٦هـ (يوليو ١٩٧٦) في أكثر من ٣٤٠ صفحة منها ٣٠ باللغة الإنجليزية وأبحاث هذه المجلة كما عهدها القراء من حيث العمق وتقصي ما تطرقه من موضوعات ، وطباعتها جميلة على ورق فاخر (كوشيه) وأكثر موضوعاتها تتصل بما أنشئت دارة الملك عبد العزيز من أجله من حيث العناية بتاريخ بلادنا وأمتنا وكما قال معالي وزير الإعلام : (على كل مواطن أن يثني على الجهود التي تبذل لإخراج المجلة شكلاً ومضموناً) .

ولا أدري هل من حقنا لفت نظر كاتب مقال « لمع الشهاب » الأستاذ عبد الواحد راغب بأن ترجيحه بأن حسن بن جمال بن أحمد الريكي هو مؤلف الكتاب قد سبقه إلى هذا الترجيح رئيس تحرير هذه المجلة الذي نقل الكاتب له رأياً عن اسم (ريك) ولا شك أنه اطلع على رأيه في الموضوع والأمانة العلمية تقضي بنسبة كل رأي لمن قال به أوّلاً .

□ **مدينة الرياض**

وهذا هو المؤلف الثاني للدكتور عبد الرحمن الشريف (الأستاذ المساعد في جامعة الرياض) وهو كتاب ضخم يقع في ٤٥٠ صفحة يتبعها ٤٨ صفحة تحوي صوراً ورسوماً بيانية وقد تقدم الدكتور بكتابه هذا إلى (جامعة عين شمس) لنيل درجة (الدكتوراه) في صيف ١٩٧٣م وهو — كما ذكر مؤلفه — : (تطبيق لدراسة جغرافية المدن) التي قال عنها المؤلف أيضاً : إنها بحاجة لدراسات شاملة متزايدة .

وقد أوضح المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب مصادره ومنهجه ، ثم موضوعات أبواب الكتاب الستة : الأول دراسة الظروف التي أثرت في وجود مدينة الرياض .

الثاني : التطور التاريخي لعمران المدينة . والثالث والرابع : يتعلقان بتركيب المدينة ، أي الإستقرار البشري الذي يعتبره ذروة دراسة جغرافية المدينة . والباب الخامس : دراسة إقليم مدينة الرياض . والباب السادس : — وهو الخاتمة — ففيه نتيجة البحث والخطة الحالية والتخطيط المقترح على ما قال المؤلف الفاضل .

ولا يتسع المجال للإسترسال في الحديث عن هذا المؤلف الجديد عن مدينة الرياض ، إلا أن مما لا شك فيه أن المؤلف الكريم بذل جهداً جديراً بالتقدير حتى جاءت دراسته للموضوعات التي طرقها من أوفى الدراسات في موضوعها .

وقد أسهمت (دارة الملك عبد العزيز) بطباعة هذا الكتاب . وطبع في (مطبعة المدينة) في الرياض وقد نعود للحديث عن هذا الكتاب بعد إتمام مطالعته .

أما المؤلف الأوّل فهو عن « منطقة عنيزة » وهو دراسة أعدت لنيل درجة (الماجستير) من قسم الجغرافيا في كلية الآداب بجامعة عين شمس عام ١٩٦٦م وقد طبع هذا المؤلف أيضاً ، وتحدثت عنه مجلة العرب بمقال نشرته للأستاذ حمد العبيدي — رحمه الله .

□ من أمهات الكتب العربية :

كانت الحلقة السابعة عشرة من سلسلة الكتب التي يقوم الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي بنشرها بعنوان (المكتبة الصغيرة) عن أمهات الكتب العربية في بحث ممتع للأستاذ العوضي الوكيل الذي وصفه الأستاذ الرفاعي بقوله : (يجمع مجد الأدب من أطرافه ، فهو شاعر ، ناثر ، تراثيٌّ ، عصري ، محدث ، لبق ، خطيب) .

أما الكتب التي تحدث عنها فهي تعتبر « من أمهات الكتب العربية » في التفسير والحديث والأدب والتراجم واللغة والعرض مشوّقٌ والأسلوب فصيح رفيع ، والكتاب يقع في ١٣٢ صفحة من القطع الصغير .

□ شاعرات من البادية :

وصدر الجزء الثاني من كتاب « شاعرات من البادية » للأستاذ عبدالله بن محمد

بن رداس في ٢٤٧ صفحة على نمط الجزء الأول والأستاذ ابن ردّاس بتصدّيه لجمع الشعر المنسوب إلى نساء البادية يقوم بجهد يشكره كل معنيٍّ بدراسة أدبنا الشعبي ويرجو أن يجد من كل قاريء من المؤازرة ما يمكنه من مواصلة عمله هذا .

□ **العالم يبدأ من هنا :**

عنوان مجموعة من القصص للأستاذ مالك عزام من أدباء دمشق تحوي تسع قصص افتتحها بكلمة جاء فيها : (لم أخطّ قصتي من أجل التسلية والترفيه . لم أكتب لأنتظر ثمناً أو ثناء . لست محترف كلمة ولا بائع حرف . أحبُّ أن أغير كل ما أراه غير صحيح) .

وتقع هذه المجموعة في ٩٣ صفحة مطبوعة بمطبعة الرازي بدمشق هذا العام العام (١٩٧٦م) وهي تعالج بعض المشكلات الاجتماعية .

□ **شمال الحجاز :**

النقيب حمود بن ضاوي القثامي (الجشمي) من كبار موظفي الأمن في بلادنا وقد تولى – فيما تولى من الأعمال – إدارة الشرطة في حقل ، وعرف شمال الحجاز وما يتصل به من البلاد معرفة مشاهدة وبحث ، فألّف كتاباً في جزءين أحدهما « الآثار في شمال الحجاز » – وتحدث فيه عن آثار البتراء والبلقاء والعقبة باعتبارها من الحجاز من الناحية الجغرافية ، وإن انفصلت عنه من الناحية الإدارية ، كما تحدث عن آثار جرش – إكمالاً للبحث – وجاء هذا الجزء في ٣٥٠ صفحة . والجزء الثاني « شمال الحجاز – معجم المواضع والقبائل والحكومات » تحدث فيه عن مواضع في حقل وتبوك والبدع وما حولها ، وعن بعض القبائل التي تعيش في هذه الجهات أو عاشت فيها وعن الحكومات القديمة التي تعاقبت على حكمها .

ويقع هذا الجزء في ٣٠٠ صفحة ، وقد ألحق المؤلف به فصلاً بعنوان (منبت العروبة ومهد الإسلام) جعله مدخلاً للحديث عن الملك فيصل بن عبد العزيز – رحمه الله – وأورد في آخره بياناً موجزاً لأهم الحوادث التاريخية منذ نشوب الحرب الأولى التي شملت العالم كله حتى سنة ١٣٩١ .

ويحوي الكتاب – في جزءيه – صوراً وخرائط توضح كثيراً مما تحدث عنه المؤلف الفاضل (وقد نتحدث عن هذا الكتاب بعد الانتهاء من مطالعته) .

تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي :

كانت الحياة الإقتصادية في شرق الجزيرة منذ عهد بعيد إلى ما يقرب من منتصف هذا القرن تقوم على حرفة الغوص التي توشك أن تنقرض الآن ، وممن عاصرها وشارك فيها الأستاذ سيف بن مرزوق الشملان مؤلف كتاب « تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي » الذي صدر الجزء الأول منه عن « تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت » مطبوعاً بمطبعة حكومة الكويت في ٤٨٤ صفحة ، مزداناً بالصور والرسوم المتقنة الملونة ، مقدماً بكلمة للدكتور أحمد زكي – رحمه الله – جاء فيها : (هو كتاب مثلت فيه شخصية الكاتب من حيث النشأة والمكان ، فهو في المجهود الذي بذله عانى معاناة المؤلفين القدماء وعانى صبرهم ، وأولع بموائدهم تلك التي كثرت فيها الألوان ، ولم تفته مع ذلك حداثة هذا العصر فترك للعلم الحديث يتمول في قديم المعرفة ما شاء ويصحح الأوضاع) .

أما الجزء الثاني فقد ذكر المؤلف أن أوله (هجرة تجار اللؤلؤ من الكويت إلى الأحساء والبحرين سنة ١٩١٠م) .

ومن يطالع هذا الجزء ، ويقرأ ثبت المصادر التي رجع إليها المؤلف الفاضل ، ويستعرض أسماء العلماء والباحثين الذين اتصل بهم ، للإستفادة من علمهم يدرك مدى الجهد الذي بذل ، ومدى الحرص على أن يخرج هذا الكتاب وافياً في موضوعه ، محققاً للغاية التي ألف من أجلها من حيث إمداد الخزانة العربية بمؤلف يعوزها وجوده .

وعسى أن أستفيد بمطالعة الجزء الثاني من الكتاب لكي أستطيع الاستجابة لرغبة مؤلفه الكريم : (آملاً إبداء وجهة النظر والنقد ، علماً بأن الجزء الثالث منه عن تاريخ الغوص في الأحساء والبحرين وقطر) مع الاعتذار بأن الكتاب الذي أشار إليه المؤلف المفضال (ص ٧١) لم يصل إليّ .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل ـ هاتف ٢٢٩١٥
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
مؤسسها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٣٠ ريالاً للأفراد و٥٠ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

ج ٥ و ٦ – س ١١ ذو القعدة والحجة ١٣٩٦ هـ (ت ٢ ك ١) نوفمبر وديسمبر ١٩٧٦

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

(منذ أنشئت هذه المجلة وهي تعنى بنشر ما يتعلق بتحديد الأمكنة والمواضع الواقعة في بلادنا ، وتبين الحاجة إلى وجود معجم يحوي تحديد جميع ما تحتوي عليه هذه البلاد من مدن وقرى وأودية مأهولة ، ومناهل موروده ، وإيضاح مواقعها ، فكان أن تصدى لهذا الأمر نخبة من رجال العلم . قام كل واحد منهم يعمل جاهداً في تحديد أسماء مواضع المنطقة التي عرف عنها أكثر مما عرف غيره ، فاجتمع من ذلك قدر غير قليل من مواد المعجم المراد تأليفه ، مما نشر بعضه في جزء مفرد أو من ضمن أبحاث هذه المجلة .

وهناك أجزاء كل جمعها وأصبحت مهيأة للطبع ، ككتاب «بلاد القصيم» وكتاب «عالية نجد» للأستاذين الجليلين محمد بن ناصر العبودي وسعد بن عبدالله بن جنيدل وكتاب «شمال المملكة» لكاتب هذه الكلمة و «مقدمة المعجم»[1] وأجزاء أخرى يوشك أن يتم تأليفها ككتاب «بلاد اليمامة» للأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن خميس وغيره من الأجزاء .

وها نحن نقدم للقارىء الكريم ما صدرنا به «مقدمة المعجم» لتتضح له معالم السير في تأليفه) .

قالوا عن مقدمة الكتاب : إنها آخر ما يكتب ، وأول ما يقرأ منه . ولكن هذه المقدمة ينبغي أن تكون أول ما يقرأ من أجزاء « المعجم الجغرافي » لكي توضح للقارىء الطريقة التي سيتم تأليف هذا المعجم على أساسها .

(١) هو جزء مفرد من المعجم .

أما الغاية منه فهي واضحة ، وشدّة الحاجة إليه مما لا يجهله أحد .

وكان من الأولى – والأجدى نفعاً – أن تتولّى القيام به مجموعة من ذوي الاختصاص من العلماء والباحثين ، بطريقة مرسومة قبل البدء بالعمل ، ولكن كما قيل : (ما لا يدرك كله لا يترك كله) .

وهذه النخبة الطيبة من الإخوة الذين تصدّوا للقيام بما يستطيعون القيام به في هذا السبيل لا يجوز أن يغمطوا حقّاً ، أو ينتقصوا قَدْراً ، ولو لم يكن لهم إلاّ فضل السبق إلى هذا العمل لكفى ، مع أنهم وضعوا الأسس ، ورسموا الطريق فأوضحوا معالمه لمن أراد سلوكه من بعدهم ، بل ليس من المغالاة القول بأنهم أوفوا على الغاية إن لم يكونوا بلغوها ، ولم يبق لغيرهم سوى جوانب يسيرة ، يحدث الإخلال بمثلها في كل عمل من الأعمال التي لا تقوم على أساس قوي من الدراسة والتنسيق والتعاون الوثيق .

لم تكن الطريقة التي سار عليها الإخوة المشتركون في تأليف هذا المعجم – أو التي سيسيرون عليها – مرسومة موضّحة ، ولكن الغاية من التأليف هي التي توضحها ، وهي تحديد جميع الأماكن المسكونة من مدن وقرى ، والمواضع التاريخية ، تحديداً يُيَسِّر للقارىء معرفة موقعها في هذه البلاد ، مرتّباً ترتيباً واضحاً ، ضُبِطَتْ فيه الأسماء ضبطاً تامّاً حتى لا تلتبس بغيرها .

ولتعذُّر الاجتماع بين أولئك الإخوة بصفة منتظمة فقد اختص كل واحد منهم بمنطقة – أو مناطق – من البلاد ، ليتولّى الكتابة عنها في مؤلف خاصٍ يُنشر للقراء حتى يستفاد مما يبدونه من ملاحظات أو آراء حوله حينما يجري تنسيق هذا الجزء في مواد المعجم التامّ . إذ هذه المرحلة من التأليف تعتبر تمهيداً لمرحلة أخرى هي دَمْجُ جميع المواد التي تتضمنها الأجزاء التي أُلِّفَتْ ، في كتاب واحد هو « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ينسب تأليفه لكل الإخوة المشاركين في التأليف وتُذَيّل كل مادّةٍ من مواده باسم كاتبها ، على نمط مواد دوائر المعارف التي أُلفت من قبل جماعة من العلماء .

ليس الطريق إلى العمل في هذا المعجم سَهْلاً ، ولا الوصول إلى الغاية فيه مُمْكِناً ، فلا المؤلفات القديمة تمكن المرء من الحصول على بغيته منها لقلة ما ورد فيها عن هذه البلاد ، ولا المؤلفات الحديثة أوْلت هذا الجانب عناية تتيح للباحث الاستفادة ، وتغنيه عن البحث والاستقصاء . بل ليس هناك مؤلفات حديثة عُنِيت بهذا الجانب من الدراسات الجغرافية ، ولهذا فالسير في هذا الطريق يشبه السير في صحراء المتنبي :

يَتَلَوَّنُ الخِرِّيت من خوف التّوَى فيهـا كمـا تتلـوَّنُ الحِرْبـاءُ

ومن هنا يدرك القارىء جانباً مما عاناه أولئك الإخوة من المشقة ، وما بذلوه من الجهد ، فقد سلكوا طريقاً غير ممهّد ، حين قاموا بجمع مواد مؤلفاتهم معتمدين على مشاهداتهم الخاصة أثناء رحلات مكررة في المناطق التي تحدثوا عنها ، ويضاف إلى هذا ما لاقوه من عناء البحث والتنقيب في المؤلفات القديمة عما يتعلق بالمواضع التي حددوها . إذ العمل — في جوهره — لا يقتصر على تحديد الموضع المعروف ، بل يمتدُّ إلى دراسة المواضع الأثرية التي ورد ذكرها في الأخبار أو الأشعار ، أو في مؤلفات العلماء المتقدمين . وهذا جانب مُهِمٌّ في الموضوع لا يصحُّ إغفاله ، فالأمة العربية أحوج ما تكون إلى ربط حاضرها بماضيها ، وكثير من النصوص القديمة في الأدب أو الشعر أو التاريخ لا يمكن فهمها فهماً تامّاً بدون معرفة ما تتصل به من بيئة . وكيف نفهم كثيراً من الوقائع التاريخية كالغزوات النبوية ، ووقعات حروب الرِّدَّة إذا لم نعرف المواضع التي حدثت تلك الغزوات والوقعات فيها ؟ !

وكيف نتصوَّر حياة أي شاعر من الشعراء المتقدمين تَصَوُّراً تامّاً بدون معرفة مرابع صباه ومراتع هواه ؟ !

وهل ندرك حقيقة ما أورده المؤرخون من خبر خوض العلاء بن الحضرمي وجيشه البحر إلى دَارِيْنَ من القطيف بدون أن نعرف حالة البحر الواقع بينهما مع ما أحاط المؤرخون به هذا الخبر من المبالغة والتهويل حتى صار مزالق أقدام ومَزَلّة أفهام لكثير من الباحثين المتأخرين[1] ؟ !

(١) أنظر مثلا لذلك ما جاء في كتاب «حياة محمد» للدكتور حسين هيكل باشا — هذه الحادثة — خوض العلاء البحر — .

ثمّ ما هي الوشائج التي تربطنا بهذه البلاد إذا لم نتخذ من تراثنا أقوى وشيجة ؟ !

لقد عُني الإخوة بهذا الجانب عنايةً كان من أثرها الكشف عن كثير من المواضع التاريخية . وتحديدها تحديداً صائباً ربط بين ماضيها وحاضرها ، وأراح الباحث من عناء ما زخرت به المؤلفات القديمة من تضارب الأقوال ، وتناقضها في تحديد كثير من تلك المواضع ، وهو عناء يستسهله كل من لم يكن قاساه : و (وَيْل الشّجِيِّ من الخليِّ) ! !

وهذه المقدمة التي نفردها في جزء سأقدم للقارىء فيها وصفاً موجزاً للتقسيمات الإدارية في المملكة (الإمارات) على ما هي عليه الآن ، وهو وضع سوف يتغيّر بعد صدور (نظام المقاطعات) .

كما أورد بياناً يتضمن ما هو معروف من أسماء المدن والقرى والهجر ، وأهم موارد البادية . مع ضبط ما استطعت ضبطه من تلك الأسماء ، إذ هناك من القراء من لا يعنيه التوسع في معرفة ما يتعلق بتلك المواضع بل يكتفي بمعرفة النطق الصحيح للاسم ، وموقع المكان الذي يسمى به . أما أولئك الذين يرغبون التوسع في المعرفة فإنهم برجوعهم إلى « المعجم » بعد إكماله ونشره أو إلى أحد الأجزاء المنشورة عن بعض المناطق[1] — سيجدون ما يتوقون إلى معرفته عن ذلك الموضع .

أما ما لم يضبط من الأسماء في هذا الجزء ، أو ورد بصورة غير صحيحة ، أو لم يُذكر فإن الأمل في أن تتظافر جهود القراء على تقويم المعوَج وعلى إكمال النقص ، هو أقوى دافع لنشره على هذه الصورة التي هي خير ما أمكن إخراجه بها .

المصادر : لقد حرصت على أن يحوي هذا القسم من المعجم جميع أسماء مدن المملكة وقراها وأهم مياه البادية فيها . فرجعت — في جميع ذلك — إلى ما استطعت الحصول عليه من بيانات رسمية ومن كتب وصحف ، وقمت برحلات في غرب البلاد وشرقها وشمالها ، جمعت خلالها قدراً كبيراً من أسماء تلك المواضع .

---

(١) ومنها مؤلف الأستاذ العقيلي عن «المخلاف السليماني – منطقة جازان» و «بلاد غامد وزهران» للأستاذ علي بن صالح الزهراني وهما مطبوعان .

ومع هذا فقد فات هذا القسم الكثير من أسماء المواضع ، وخاصّةً في جنوب المملكة في إمارة بلاد عسير ، وفي إمارة نجران ، وفي جهات أخرى مما أرجو تداركه عند إعادة الطبع – إن شاءالله وها هو بيان ما رجعت إليه من المصادر المكتوبة :

أ – بيانات رسمية

١ – حصر المباني والسكان – وضع مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني – المملكة العربية السعودية – البيانات الأولية ، سنة ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

٢ – دليل مسميات المدن والقرى والهجر في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٠ – مصلحة الإحصاءات العامة – وزارة المالية والأقتصاد الوطني .

٣ – دليل القرى والقبائل في المملكة – وزارة الداخلية سنة ١٣٩٤هـ .

٤ – أسماء البلدان والقرى والمشايخ ورؤساء كبار البادية ، التابعين لمنطقة الطائف – مطبعة الجيش سنة ١٣٨٨ .

٥ – بيان أسماء القرى والهجر بالمسافات وعدد السكان في منطقة حايل ، أُعِدَّ من قبل الإمارة في سنة ١٣٩٥ .

٦ – بيان من إمارة حايل قدم لوزارة الداخلية برقم ١/١٨٤٩ في ١٣٩٥/٥/٩ .

٧ – بحث مفصل عن منطقة حايل يحوي أسماء ما فيها من قرى وهُجَر كتبه أحد المدرسين فيها ، وكرم الأستاذ عبد الرحمن الملق بإمدادي بنسخة منه .

٨ – بيان مقدم لإدارة المقاطعات من إمارة عفيف برقم ١٩٥٠/ع في ١٣٩٥/٤/١٩ يحوي أسماء القرى والهجر والمياه وأسماء القبائل في تلك الإمارة .

٩ – بيان مقدم لإدارة المقاطعات من إمارة رنية برقم ١٦٤٥ في ١٣٩٥/٥/١٣ يتضمن أسماء القرى والهجر والمياه وذكر القبائل التي تسكن هناك .

ب – كتب وصحف

١ – كتاب « القصيم » تأليف الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العُبُوْدِي .

٢ – كتاب « بلاد اليمامة » تأليف الأستاذ الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس .

٣ – كتاب « عالية نجد » تأليف الأستاذ الشيخ سعد بن عبدالله بن جُنيدِل .

٤ – كتاب « شمال المملكة » تأليف حمد الجاسر .

والكتب الأربعة لا تزال مخطوطة .

٥ – كتاب « المخلاف السليماني – منطقة جازان ، تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي وهو الجزء الأول من هذا المعجم – وقد طبع .

٦ – كتاب « بلاد غامد وزهران » تأليف الأستاذ علي بن صالح الزهراني وهو الجزء الثاني من هذا المعجم وقد طبع أيضاً .

٧ – مجلة « العرب » :

١ – مقالات للأستاذ عاتق بن غيث البلادي عن « أودية الحجاز » .

٢ – مقالات للأستاذ عبدالله بن خميس عن « بلاد اليمامة » .

٣ – مقالات للأستاذ الشيخ جابر الطيب علي عن « بيشة ووادي ترج » .

وقد رجعت إلى كتب وصحف أخرى ولكن الإستفادة منها قليلة .

هذا ويحسن إيضاح كلمات يتكرر ذكرها ، قد يكون القارىء من غير أهل هذه البلاد بحاجة إلى إيضاح معانيها :

١ – الإمـارَةُ : منطقة أومناطق ذات قُرى وآبار للبادية ، يُدير شؤونها عدد من الموظفين يرأسهم رجل يدعى أميراً ، وترتبط بوزارة الداخلية .

وقد تتكون الإمارة من عدد من الإمارات تتصل بها مباشرة ، على رأس كل إمارة منها أمير وتنقسم الإمارة بحسب تكوينها الطبيعي (الجغرافي) إلى أقسام يقوم بالإشراف على كل قسم موظفون بقدر الحاجة ، وموقعهم يدعى مركزاً ، ورئيسهم يدعى مأمور المركز .

وقد يسند أحد الأمراء إلى أحد سكان القرى مهمة الإشراف على بعض شؤون قريته بما يحدث فيها ، فيدعى (طارِفَةً) .

٢ – المِنْطَقَة : ويقصد بها عدد من القرى وموارد البادية ، يشملها إسم واحد ، أو إمارة واحدة أو ذات مركز واحد .

وإضافة الموضع إلى المنطقة أو البلدة لا يقصد منه دائماً أنه واقع فيها، بل لكونه تابعاً لها من الناحية الإدارية ، فيها أو في منطقة أخرى .

٣ ــ القرية : يقصد بها الموضع الذي يستقر فيه أهله دائماً ، ولا عبرة بعدد سكانه متى كان يشمله اسم خاصٌ به .

٤ ــ القصر الزِّرَاعي : مكان ذو بناء صالح للسكن في أرض زراعية ، تزرع في بعض فصول السنة .

٥ ــ الهجرة : قرية يستوطنها أبناء البادية خاصَّة ، وقد يغادرونها حيناً من الزمن ثم يعودون إليها وقد يهجرونها .

٦ ــ المورد أو المنهل أو الماء : البئر أو الآبار أو العين التي تردها البادية لسقي أنعامها ، وقد تختصُّ بها ومما ينبغي التنبيه عليه أن القارىء قد تعترضه أسماء فروع بعض القبائل ، أطلقت على مواضع ، ومثل هذا يحدث كثيراً وخاصة في غرب المملكة وجنوبها بحيث يطلق اسم الفخذ من القبيلة على القرية التي يسكنها ذلك الفخذ فيقال (آل سعد) ويقصد به قرية آل سعد ، ويحدث هذا لأن الوادي الواحد تسكنه أفخاذ كثيرة فيسمى الموضع باسم سكّانه .

وقد يُبْدأ الأسم الذي من هذا النوع بـ(آل[1]) أو (بَا) أو (بنو) أو (بني) أو (ذو) أو (ذي) و (ذوو) و (ذوي) .

وعند البحث عن الأسم الذي من هذا القبيل ينبغي تجريده من كل ذلك .

فـ(آل بُو حريق) يبحث عنه في حرف الحاء (حريق) .

و(آل أم شيبان) يبحث عنه في حرف الشين (شيبان) .

و(بالأحمر) يبحث عنه في حرف الألف (الأحمر) .

ويستثنى من ذلك الأسماء المبدوءة بـ (أم) فقد تأتي هذه الكلمة مقصود بها الأمومة ، وقد تكون أداة تعريف مثل (ال) وخاصة في جنوب المملكة . ولعدم

---

(١) وكذا (إيل) مثل (إيل نعمة) و (إيل جحاف) في بلاد زهران .

التمييز بين الكلمتين في كثير من أسماء القرى أوردنا كل اسم مبدوء بـ (أم) في حرف الألف .

هذا ولا تفوت الإشارة إلى أمرين وقعا في هذا الكتاب ، وليس في الإمكان تفاديهما :

١ — التكرار : قد يتكرر اسم موضع مضافاً إلى منطقتين ، مختلفتين ، ومنشأ هذا أن بعض المناطق متداخلة ، فيصعب حينئذ التمييز بين الأمكنة الواقعة فيها ، وقد يضيف أمير المنطقة مواضع في منطقة أخرى إلى منطقته لعدم وضوح حدودها كما في أسماء بلاد (رجال المع) و (قنا والبحر) و (المجاردة) و (ميسان) و (بني مالك) .

٢ — الأخطاء : قد يكتب الاسم بصورة غير صحيحة ، لأن كثيراً من كتاب الإمارات لا يجيدون قواعد اللغة ، فينقلون الأسم عن عوام ، فيكتبونه كما ينطق به أولئك . فقد يملي العاميُّ اسم (الغبشة) و (الغشامرة) : القبشة والقشامرة — بالقاف بدل الغين — وقد يزيد الألف في أول الأسم فيقول (انْطاع) و (اصوير) و (انبوان) والصواب حذفها فيها كلها . ولا يفرق بين الضاد والظاء . ومن هنا يجعل الغلط ، فقد يكتب الأسم بأحدهما خطأ .

بل إن كثيراً ممن نقلوا تلك الأسماء لا يهتمُّون بكتابتها كتابة صحية ، فقد يكتبون الاسم الواحد بعدة صُور مثل (مثعان — متعان — مشعان) من سكان وادي إضم ، بمنطقة الليث ومثل (الثورة — الشورة — الشوار) من سكان المنطقة نفسها . ولهذا يحير القارىء حين يريد معرفة الاسم الصحيح ما لم يكن من أهل البلاد نفسها .

الإمارات (التقسيم الإداري)

تنقسم المملكة — في العصر الحاضر — إلى ١٤ قسماً ، كل قسم يطلق عليه (إمارة) وكل إمارة تتولى إدارة عدد من القرى يكثر أو يقل بحسب مساحة تلك الإمارة ، ـَ يتبع تلك القرى مناهل للبادية في أكثر تلك الإمارات ، ويتولى الإشراف

على الأمور الإدارية في كل قرية أو منهل (مورد) مندوب من الإمارة التي ترتبط القرية أو المنهل بها يطلق عليه اسم (أمير) أو (مأمور مركز) أو (طارفة)[1] وفي إمارتي مكة وجدة وظيفتان باسم (قائم مقام) من العهد التركي إلى هذا العهد .

والتقسيم الإداري الآن لا يخضع لأسباب جغرافية أو اقتصادية كسهولة مواصلات وغيرها ، ولكنه غالباً ما يكون متوارثاً ، منذ قيام موحد أجزاء المملكة الإمام عبد العزيز — رحمه الله — فقد أسند إدارة كل جزء منها إلى أحد من يتوسم فيه الإخلاص والكفاءة ، وكثيراً ما يتوسع ذالك الجزء أو يتقلص بحسب منزلة من يتولى تصريف أموره ومقدرته .

وبعد استقرار وضع المملكة والشروع في أعمال الإصلاح كنشر التعليم وفتح دور العلاج بقيت تلك التراتيب الإدارية على ما هي عليه ، غير أنها لما كان كثير منها غير ملائم فإن تلك الأعمال الإصلاحية اتخذت في بعض تلك الإمارات من التراتيب ما لا يتفق مع الوضع الإداري ، ولهذا فقد تتبع مستشفيات إمارة أو مدارسها إدارة تقع في غير تلك الإمارة ، وكذا الحال في المواصلات وغيرها من المرافق العامة .

ولقد أدرك رجال الدولة المسؤولون عن ترتيب شؤونها ما في هذا الاختلاف من التأثير على عدم سير الاصلاح في كل إمارة على طريقة تكفل التماثل والشمول ، فكان أن وضع (نظام المقاطعات) منذ أكثر من عشر سنوات ، ولا يزال قيد الدرس ، تبعاً لسرعة نمو المملكة وتغير أحوالها بتغير حالتها الاقتصادية تغيراً ما كان متوقعاً ، وقل أن حدث مثله في أية مملكة .

وقد جرت وسائل كثيرة لإصلاح الوضع الإداري في المملكة ، فبعد أن كانت مقسمة في ذلك إلى أربعة أقسام كبيرة يتولّي إدارة كل قسم أمير ، مهما بلغ من المقدرة يعجز عن القيام بأعباء إمارته على خير الوجوه ، فقد جرى تقسيم تلك

---

(١) كلمة (طارفة) أي (ذو صلة) بمعنى أنه يتولى إبلاغ الإمارة وتلقي أوامرها المتعلقة بالقرية أو المورد .

الإمارات الكبيرة ، ومراعاة انطباق ذالك التقسيم على متطلبات الإصلاح ما أمكن ، ثم ربطت تلك الإمارات بوزارة الداخلية ، بعد أن كان كل أمير يتصل بالملك – أو بنائبه – في كل الأمور صغيرها وكبيرها .

والإمارات[1] في المملكة (الأقسام الإدارية) الآن هي[2] :

١ – إمارة الرياض
٢ – إمارة مكة المكرمة
٣ – إمارة المدينة المنورة
٤ – إمارة المنطقة الشرقية .
٥ – إمارة جازان
٦ – إمارة القصيم
٧ – إمارة بلاد عسير
٨ – إمارة حايل
٩ – إمارة الحدود الشمالية (عرعر)
١٠ – إمارة تبوك (المنطقة الشمالية)
١١ – إمارة نجران
١٢ – إمارة الجوف
١٣ – إمارة القُرَيّات
١٤ – إمارة الباحة (غامد وزهران)

ويتبع كل إمارة مراكز إدارية ها هو بيان أهمها في تلك الإمارات :

إمارة منطقة الرياض

والإمارات المرتبطة بها هي :

١ – إمارة الدرعية

---

(١) بكسر الألف (إمارة) وفتحها خطأ .

(٢) هذا الترتيب لأسماء الإمارات عفوي ، ليس قائماً على أي اعتبار .

٢ — إمارة عرقة
٣ — إمارة العُيَيْنة
٤ — إمارة الحائر
٥ — إمارة الخرج
٦ — إمارة الأفلاج
٧ — إمارة الحوطة
٨ — إمارة الحريق
٩ — إمارة السُّلَيِّل
١٠ — إمارة وادي الدواسر
١١ — إمارة ضرما
١٢ — إمارة المزاحمية
١٣ — إمارة مراة (الوشم)
١٤ — إمارة شقراء
١٥ — إمارة ثادق
١٦ — إمارة بنبان
١٧ — إمارة رماح
١٨ — إمارة حريملا
١٩ — إمارة سدير
٢٠ — إمارة الغاط
٢١ — إمارة الزلفي
٢٢ — إمارة القويعية
٢٣ — إمارة الدوادمي
٢٤ — إمارة عفيف
٢٥ — إمارة الخاصرة

وفي إمارة عفيف من المراكز (على حروف الهجاء) :

١ — مركز أبرقية

٢ — مركز الأشعرية
٣ — مركز أم أرْطى
٤ — مركز البدايع
٥ — مركز البديعة
٦ — مركز تنضبة
٧ — مركز الجمانية
٨ — مركز الحمادة
٩ — مركز الخضارة

إمارة مكة المكرمة (ومراكزها)

الإمارات والمراكز المرتبطة بها :

١ — إمارة الجموم : عين شمس ، هدى الشام ، عسفان ، الريان — بني مسعود .
٢ — إمارة الخرمة : الغريف ، أبو مروة والحرة .
٣ — إمارة رابغ : مستورة ، تُول ، القضيمة ، حجر ، الأبواء ، النويبع .
٤ — إمارة الظُّبَيّة : ستارة ، ملح ، والبريكة .
٥ — إمارة القنفذة : المضيلف ، حرب وبني عبس ، دوقه ، القوز ، العرضية الشمالية ، العرضية الجنوبية ، حلي ، أحد بني زيد .
٦ — إمارة البرك : ذهبان ، عمق .
٧ — إمارة المويه : رضوان ، البجرة ، دُغَيبجة .
٨ — قائمقام جدة : ذهبانَ .
٩ — إمارة الليث : الشواق ، إضم ، غميقة ، مجمع الطرق ، الجائزة ، لملم ، بني يزيد ، جذم ، سوق العين .
١٠ — خليص : البرزة ، أم الجرم .
١١ — إمارة تربة : الحشرج .
١٢ — إمارة المضيق .

١٣ — إمارة الزيماء[١] .
١٤ — إمارة حدّاء .
١٥ — إمارة مدركة : رهاط ، القفيف .
١٦ — إمارة الشرائع : جعرانة .
١٧ — إمارة ظلم : الحفيرة .
١٨ — إمارة رنْيَة : وادي المياه ، طارفة الأملح .
١٩ — إمارة الطائف : بني مالك ، بني سعد ، ميسان ، أبو راكة ، الشفاء ، ثقيف ، القريع ، الهداء[٢] ، عشيرة ، قيا ، السيل .
٢٠ — إمارة المحاني : الفريع .
٢١ — إمارة الدفينة .
٢٢ — إمارة الكامل : الحرة ، الغريف .
٢٣ — قائم مقام العاصمة : بحرة ، السعدية ، البيضاء ، أمّ الراكة ، دُفَاق ، سعيا شداد ، البجيدي .

إمارة المدينة المنورة

ومن مراكز الإمارة :

١ — إمارة المدينة المنورة
٢ — إمارة ينبع البحر
٣ — إمارة المهد
٤ — إمارة العلا
٥ — طارفة وادي الفرع
٦ — إمارة أبيار الماشي
٧ — إمارة الحناكية

---

(١) صواب هذا الاسم (الزيمة) كما في «معجم البلدان» .
(٢) صواب هذا الاسم (الهدة) والهدأة كما في «معجم البلدان» .

٨ — إمارة بدر
٩ — طارفة الحسو (الحسي)
١٠ — إمارة خيبر
١١ — طارفة العيص
١٢ — ينبع النخل (الجابرية ، السويق ، شجوى نبط) .

إمارة المنطقة الشرقية :

ومن مراكز الإمارة :

١ — إمارة الدمام
٢ — إمارة الخبر
٣ — إمارة الظهران
٤ — إمارة الثقبة
٥ — إمارة رحيمة (رأس تنورة)
٦ — إمارة الأحساء
٧ — إمار القطيف
٨ — إمارة الحفر
٩ — إمارة قَرْية
١٠ — إمارة الجبيل
١١ — إمارة نطاع
١٢ — إمارة النعيرية
١٣ — إمارة القيصومة
١٤ — إمارة معلقة
١٥ — إمارة السفّانيّة
١٦ — إمارة المنطقة المحايدة
١٧ — مركز سلوى
١٨ — مركز حرض

إمارة جازان :

ومن مراكز الإمارة فيها :

١ – إمارة جازان
٢ – إمارة فيفا
٣ – إمارة صبيا
٤ – إمارة هروب
٥ – إمارة العالية
٦ – إمارة بني مالك
٧ – إمارة بلغازي (بني الغازي)
٨ – إمارة الدرب
٩ – إمارة الريث
١٠ – إمارة مسلية
١١ – إمارة الحقو
١٢ – إمارة الحشر
١٣ – إمار الربوعة
١٤ – إمارة عتْود
١٥ – إمارة القحمة
١٦ – إمارة الشقيق
١٧ – إمارة الحكامية
١٨ – إمارة سامطة
١٩ – إمارة فرسان
٢٠ – إمارة الموسّم
٢١ – إمارة المسارحة
٢٢ – إمارة أبي عريش
٢٣ – إمارة العارضة
٢٤ – إمارة وادي جازان

٢٥ — إمارة الطول
٢٦ — إمارة الحَرَّث (الحوبة)
٢٧ — إمارة بني قيس
٢٨ — إمارة وادي ضمد

إمارة القصيم

١ — إمارة بريدة
٢ — إمارة عنيزة
٣ — إمارة الرس
٥ — إمارة دخنة
٦ — إمارة المذنب

إمارة بلاد عسير :

١ — إمارة أبها
٢ — إمارة خميس مشيط
٣ — إمارة بالأسمر وبالأجمر
٤ — إمارة سراة عبيدة
٥ — إمارة ظهران الجنوب
٦ — إمارة تثليث
٧ — إمارة أحد رفيدة
٨ — إمارة تنومة
٩ — إمارة المضَّة
١٠ — إمارة بني عمرو
١١ — إمارة الأمواه
١٢ — إمارة الجوة
١٣ — إمارة القطيفة
١٤ — إمارة العين

١٥ – إمارة النماص
١٦ – إمارة قنا والبحر
١٧ – إمارة بارق
١٨ – إمارة محايل
١٩ – إمارة رجال المع
٢٠ – إمارة المجاردة
٢١ – إمارة طريب[1]
٢٢ – إمارة بيشة :

وفيها : مركز العلاية – مركز باشوت – مركز الحازمي – مركز صمخ – مركز تبالة – مركر خيبر .

إمارة حايل

١ – مركز أم القُلْبان
٢ – مركز جُبّة
٣ – مركز موقق
٤ – مركز بقعاء
٥ – مركز تربة
٦ – مركز الزّبيرة
٧ – مركز قُبَة
٨ – مركز الكهفة
٩ – مركز العُظَيْم
١٠ – مركز طابة
١١ – مركز سَمِيراء

---

(١) يلاحظ أن كثيراً من مراكز الإمارة تتغير ولهذا يرجى التثبت مما هنا .

١٢ — مركز الروضة
١٣ — مركز المستجدة
١٤ — مركز الغزالة
١٥ — مركز السُّليمي
١٦ — مركز الشملي
١٧ — مركز الحائط
١٨ — مركز الحليفة السفلى
١٩ — مركز الرقب
٢٠ — مركز النّحيتية

إمارة الحدود الشمالية

١ — إمارة عرعر
٢ — إمارة الجديدة
٣ — إمارة الدويد
٤ — إمارة العويقلية
٥ — إمارة المعانية
٦ — إمارة أم رضمة
٧ — إمارة أم خنصر
٨ — إمارة حزم الجلاميد
٩ — إمارة رفحا
١٠ — إمارة سامودة
١١ — إمارة طريف
١٢ — إمارة لوقة
١٣ — إمارة لينة
١٤ — إمارة شعبة انصاب
١٥ — إمارة المنطقة المحايدة (السعودية — العراق)
١٦ — إمارة محطة شركة خط الأنابيب

إمارة تبوك :

١ — إمارة تبوك
٢ — إمارة أملج
٣ — إمارة ظبا
٤ — إمارة الوجه
٥ — إمارة تيماء
٦ — إمارة القليبة

ومراكز في بعض القرى والموارد .

إمارة نجران :

١ — إمارة نجران
٢ — إمارة بدر
٣ — إمارة ادمه (ايدمة)
٤ — إمارة حبونا (حبونه)
٦ — إمارة الموفجة
٧ — مركز نهوقه
٨ — مركز الخضراء
٩ — مركز خباش
١٠ — مركز شرورى
١١ — مركز المنخلي
١٢ — مركز حما

إمارة الجوف

١ — إمارة دومة الجندل
٢ — مراكز في أهم القرى وأشهر المناهل

إمارة القريات

ومن مراكزها :

١ — إمارة حقل
٢ — مركز خبراء عسيلة
٣ — مركز حاج (ذات حاج)[١]
٤ — مركز حالة عمّار
٥ — مركز العيسوية

إمارة الباحة

١ — إمارة الباحة
٢ — إمارة القَرَا
٣ — إمارة المخواة
٤ — إمارة بلجرشي
٥ — إمارة قلوة
٦ — إمارة المَنْدَق
٧ — إمارة الحجرة
٨ — مركز بيدة
٩ — إمارة العقيق

أسماء المدن والقرى والهُجَر والمياه مرتبة على حروف المعجم[٢]

حرف الألف

آبار : (أنظر أبيار) .

آثب (؟) : من قرى شهران ، في منطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

آجِل : مورد للعلاوين من جهينة ، بقرب نبط ، في بلاد ينبع ، في منطقة إمارة المدينة .

---

(١) هجر هذا الموضع وانتقلت الدوائر الرسمية إلى حالة عمار .

(٢) يرجى من القارىء الكريم الكتابة إلى المجلة بما يلي :
١ – تصحيح الخطأ الواقع في أحد الأسماء . ٢ – ضبط ما لم يضبط منها .
٣ – ذكر ما لم يرد ذكره من أسماء القرى والموارد المعروفة مع ذكر اسم القبيلة التي تسكن القرية أو ترد الماء .

أَبَا الأَكْوَان : من موارد الدواسر في وادي الحمل .

أبا البارد : من قرى صَبْيا ، في منطقة جازان .

أَبَا البَازَان ــ اسم ما يجمع فيه الماء ــ : من قرى الجموم ، في إمارة منطقة مكة .

أَبَا الجِرْفَان[1] ــ بكسر الجيم وإسكان الراء بعدها فاء مفتوحة فألف ــ هجرة تابعة لمركز ثادق في منطقة الرياض .

أَبَا الحِنْشَان ــ بكسر الحاء المهملة وإسكان النون بعدها شين معجمة مفتوحة فألف فنون ــ جمع حَنَشٍ ــ قرية في حِسْمَى فيها إمارة من إمارات القُرَيّات .

أبا الحَيّاص ــ بفتح الحاء المهملة والمثناة التحتية مشددة مفتوحة بعدها ألف فصاد مهملة : هجرة في أبان الأحمر للمضابرة من بني رشيد بمنطقة القصيم .

أَبَا الحِيْرَان[2] ــ بكسر الحاء المهملة بعدها ياء مثناة تحتية فراء مهملة مفتوحة فألف فنون ــ : من قرى حايل .

أَبَا الدُّوْد ــ بضم الدال المهملة بعدها واو فدال أيضاً ــ من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم .

أبا الربع : من قرى إضم بمنطقة الليث من إمارة مكة .

أَبَا الرُّحِي ــ بضم الراء المشدَّدة بعدها حاء مكسورة فياء ، جَمْع رَحَا الآلة التي يطحن بها ــ من قرى القويعية ، في إمارة منطقة الرياض .

أبَا الرَّخَم ــ بفتح الراء والخاء المعجمة وآخره ميم ــ من قرى إدَمَة ، في نجران ، سكانها من أيام فخذ الشيخ أبو ساق وهي هجرة .

أبا الرنقة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة .

أبا السّدادة : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أَبَا السِّلْعة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة .

---

(١) الجرفان : جمع جرف .

(٢) جمع حوار ــ ولد الناقة ــ .

أَبَا السَّلَم : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة .

أبا سُلَيمان : من موارد الجعافرة من عنزة ، في منطقة إمارة حايل .

أبا الشَّوْك : من قرى الرمثين من شهران في بيشة ، من إمارة بلاد عسير .

أبا الشيخ علي : من قرى يام ، في نجران .

أَبَا الصُّبَّان – بضم الصاد المهملة بعدها ياء موحدة مشددة فألف ، وآخره نون – : وادٍ فيه قرية بهذا الاسم ، في منطقة حايل ، سكانها العوامرة من بني رشيد .

أَبَا العَبَل : – وتنطق بَالْعَبَل – : هجرة لآل مرة ، بمنطقة حرض ، في المنطقة الشرقية .

أبا العرق : من قرى الشاقّة اليمانية في إمارة منطقة مكة .

أبا الفُقَا : بضم الفاء وفتح القاف بعدها ألف مقصورة : من مياه الدواسر في الهضب .

أبا القُفَيْف : من قرى غُميقة ، في إمارة منطقة مكة .

أَبَا القِيعَ : من قرى خيبر [1] بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

أَبَا الكِبَاش – بكسر الكاف وتخفيف الباء المفتوحة جمع كَبْش – قرية من قرى الدِّرعيّة ، في إمارة منطقة الرياض .

أَبَا الكرش : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أبا الكروش – جمع كرش – من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة .

أَبا اللُّصَاف : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة .

أبا النقبة : (أنظر جبل أبا النقبة) .

أبا الوصلة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة .

أُبَام – وينطق بتسهيل الهمزة وبحذفها أحياناً (بام) من قرى الزَّيْمة ، في إمارة مكة المكرمة .

إبشيّة : (أنظر بُشَيّة) .

---

(١) وهي غير خيبر المشهورة .

إبحار : (أنظر بحَار) .

ابحيل : (أنظر بُحيل) .

الأبْرَاقُ : من قرى يام ، في إمارة نجران .

إبراهيم : من موارد الفراعنة من سبيع ، في إمارة رنية من إمارة مكة المكرمة .

الإبْرَاهِيْمِيّةُ – بالنسبة إلى إبراهيم – : من قرى مكة المكرمة .

الأبْرَقُ – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة . فراء مفتوحة ، فقاف – : من قرى العلا ، في إمارة المدينة .

أَبْرَقُ الكِبْرِيت – بإضافة الأبرق إلى الكبريت المعدن المعروف – : قرية تابعة لـ (قَرْية) في المنطقة الشرقية ، وسكانها العوازم .

أَبْرَقُ : من قرى غميقة بمنطقة إمارة مكة .

أَبْرَقِيّةُ : – بفتح الهمزة وإسكان الباء الموحدة ثم راء مفتوحة فقاف مكسورة فياء مثناة تحتية مفتوحة مشدّدة ، فهاء – : من قرى إمارة عفيف ، وهي من هجر المغايرة من الروقة ، وعفيف من إمارة منطقة الرياض .

أَبْرَقِيّةُ – أيضاً – من مياه الأعِزَّة من سبيع شرق الرياض في العارض ، بمنطقة الرياض .

أبرهي (؟) : من قري العرضية الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأبساط : من قرى بني سهم ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُبْضَةُ – بضم الهمزة بعدها باء ساكنة فضاد معجمة مفتوحة فهاء – : من قرى منطقة حايل ، سكانها الغرير من الأسلم من شمّر .

الأبْطَنُ – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة فطاء مهملة مفتوحة فنون – : وادٍ بقرب المهد ، فيه قرية بهذا الأسم – في منطقة إمارة المدينة .

الإبْطِيّةُ – منسوبة إلى الأبط – : قصر زراعي بناحية المذنب في القصيم .

أَبْقِرَة الشاطيء[1] : من قرى بني سهم بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) قد يكون الصواب (بقرة الشاطي) والعامة كثيراً ما يسكنون الحرف المبدوء به فيقولون (اسليمان) في (سليمان) .

أَبْلَقُ – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة وفتح اللام وآخره قاف – : من قرى بريدة في منطقة القصيم .

أَبْلَةُ – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة وفتح اللام وآخره هاء – : وادٍ فيه قرية بهذا الاسم ، في منطقة إمارة حايل ، سكانها العوامرة من بني رشيد .

أبلى : مورد البادية السرحة ، تابع لمركز السويق في ينبع ، في منطقة إمارة المدينة .

ابن فلان : – أنظر الاسم المضاف إليه ، مثل صالح في (ابن صالح) حرف الصاد .

ابن الأزرق : من قرى عَبِيدة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأبْنَاء : – على لفظ جمع ابن – : من قرى غامد في منطقة الباحة .

ابناته (؟) : من قرى المضيق (وادي نخلة الشامية) في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو أَثْلَة – على اسم الشجرة المعروفة – : هجرة لبني سفيان ، بمنطقة جازان .

أَبُو أُثَيْل – تصغير أثل وتنطق الهمزة واواً (وْثيل) من مياه الشيابين بمنطقة الخاصرة ، من إمارة منطقة الرياض .

أَبُو أَرْطَى – الأرطى النبت المعروف الذي يكثر في الرمال – وهذا اسم إحدى قرى الزلفي ، في إمارة منطقة الرياض .

أَبُو إسْلام : من قرى الخبراية ، للمسارحة ، في منطقة جازان .

أَبُو الأفَاعِي – جمع أَفْعى – : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو البال : من قرى إضم ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو برنكاء : من قرى إمارة منطقة المدينة المنورة .

أبو بَقَر : – بالباء الموحدة والقاف والراء – : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو البِسّ[1] – بكسر الباء وتشديد السين – : قرية بقرب قرية الشاخر ، في منطقة جازان .

---

(١) البس : الجعر .

أَبُو بَطْحَاء – باسم البطْحاء المعروفة – من قرى بُريدة ، في القصيم ، في أحد أودية أبان الأسمر سكانه الجُرَيبات ، من بني علي من حرب .

أَبُو ثَامر : قرية من قرى نجران ، وفيها مركز من مراكز الإمارة .

أبو بكر : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أبو جبارة (؟) : من قرى الطائف .

أبو جبال : من قرى النِّمَاص ، بمنطقة أبها في إمارة بلاد عسير .

أبو جرار : من قرى القوز ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو جرايس : من قرى وادي مَدْركة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو الجِرْفَان – جمع جُرُف – : من قرى الغالّة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو جَرِيْد – على اسم جريد النخل – : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الجِزَعَة : من قرى حَلي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو جِصٍّ – بكسر الجيم بعدها صاد مهملة مشددة – : هجرة من هجر المضابرة من بني رشيد في أبان الأحمر ، بمنطقة القصيم .

أَبُو جِصَّة – بكسر الجيم فصاد مهملة مفتوحة مشددة فهاء – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم ، في وادٍ بهذا الاسم بقرب المذنب .

أبو جعل : من قرى قناو البحر ، من إمارة بلاد عسير .

أَبُو جِفَان – بكسر الجيم وفتح الفاء مخففة بعدها ألف فنون كأنه جمع جَفْنَة[1] – : من مناهل طرف العَرَمَة الجنوبي في إقليم الخَرْج ، من إمارة منطقة الرياض .

أَبو جِلال – بكسر الجيم وفتح اللام بعدها ألف فلام – : من قرى الروقة للدماسين منهم من قرى الدوادمي ، في إمارة منطقة الرياض .

---

(١) أصل الاسم (جيفان) جمع جيف ، ولكن العامة سكنوا الجيم وحذفوا الياء تخفيفاً .

أبو الجُوع : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو جومة (؟) : من قرى عِتْوَد ، في منطقة جازان .

أبو الجوَّة : من قرى إضم من أودية الليث ، سكانها بنو ذبيان ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الجيارة (؟) : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو الحالات : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو حثان : (انظر حصن أبو حثان) .

أبو حِجَارَة – بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم بعدها ألف فراء فهاء – : قرية سكانها بنو ذبيان ، في إضم من أودية الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الحجر : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أبو حَجَر – بفتح الحاء والجيم ثم راء – : قريتان في سامطة ، في منطقة جازان ، أحدهما أبو حجر الأعلى ، والآخر أبو حجر الأسفل .

أبو حجرة : قرية من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو حِدَبَة – بكسر الحاء المهملة وفتح الدال المهملة بعدها ألف فباء موحدة مفتوحة فهاء – : قرية من قرى ضَمَد ، في منطقة جازان .

أَبُو حَدْرِيّةَ – بفتح الحاء وإسكان الدال وكسر الراء وتشديد الياء المثناة التحتية ، وآخره هاء – من قرى النُّعيرية ، في المنطقة الشرقية .

أبو حدقة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو حَدِيْد – بفتح الحاء – : من قرى يام في نجران .

أبو حرف : قرية لقبيلة العبادل ، بمنطقة جازان .

أَبُو حَصَاني – بفتح الحاء والصاد المهملة بعدها ألف ، ثم نون مكسورة بعدها ياء ويقصدون بها جمع حِصْني وهو الثعلب – : من قرى الجموم وادي فاطمة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة ، سكانه من حرب .

أَبُو حَصَاة – بالحاء والصاد المهملتين – : من موارد العِجمان بقرب نطاع ، في المنطقة الشرقية .

أَبُو حَصِيّ[1] ـ بكسر الحاء والصاد وآخره ياء مشددة وهم يسكنون الحاء ـ : من قرى مكة المكرمة .

أَبُو حُفْرة ـ بضم الحاء وإسكان الفاء والراء المهملة وآخره هاء ـ : من قرى الشواق . (الشاقّتين) في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الحلو : في منطقة شَجْوى من بلاد ينبع ، من إمارة المدينة المنورة .

أبو حُلَيْفَاء ـ بضم الحاء تصغير حلفاء النبات المعروف ـ : قرية من قرى خُليص ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو حميدة : من قرى الخُرْمة ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو الحُمَيْر ـ باسم الحيوانات المعروفة ـ : من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم .

أَبُو حُمَيْض ـ بضم الحاء تصغير حمض ـ : واد فيه آبار زراعية في القويعية من إمارة منطقة الرياض .

أبو حَمْضَةَ ـ واحدة الحَمْض النبت المعروف ـ : من مياه آل عُليّان من قحطان في حصاتهم ـ بمنطقة القويعية ـ .

أبو حِنّايَة[2] ـ بكسر الحاء المهملة وتشديد النون بعدها ألف فياء تحتية فهاء ـ : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أَبُو حُوَيْرِك ـ تصغير حارِك ـ : من قرى غميقة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة.

أَبُو حَيّات ـ جمع حَيّة ـ : من مياه بلدة الشعراء شرقي ثهلان ، من إمارة الدوادمي ، إحدى إمارات منطقة الرياض .

أَبو حيّات ـ أيضاً ـ رِسٌّ في جبل دمخ ، للشيابين بمنطقة الخاصرة ، من إمارة الرياض .

أَبُو الحَيّاص ـ بفتح الحاء المهملة بعدها ياء مثناة تحتية مشددة فصاد مهملة ـ : من قرى بريدة ، بمنطقة القصيم .

---

(١) جمع حصاة .

(٢) أي حناءة شجرة الحنا المعروف .

أبو الخَبَّارة : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو خُرْجَيْن – مثنّى خُرْج – : من مياه الهجّال من بني عبدالله من مطير بمنطقة المهد ، في إمارة المدينة المنورة .

أَبُو خَشَب – بفتح الخاء والشين وآخره باء – : من قرى الزَّيْمَة من إمارة مكة المكرمة .

أَبُو خَشَبَة – واحدة الخشب المعروف – : من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم ، شمال المذنب .

أَبُو خَشَبَة – أيضاً – : من قرى عُنيزة ، في منطقة القصيم .

أَبو الخَوْشَع : من قرى غُميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو خَيَالَة – بفتح الخاء المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة مخففة ، فألف فلام مفتوحة فهاء – : من موارد النفعة بمنطقة الدَّوادمي ، من إمارة منطقة الرياض .

أبو خَيَالَة – أيضاً – مورد في حزم الدواسر للدواسر ، في إمارة منطقة الرياض .

أبو دبة : من قرى غميقة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو دَوْمَة – واحدة الدوم الشجر المعروف – : من قرى منطقة إمارة حايل ، سكانها المهيمزات من بني رشيد .

أبو ذَخِيْرَة – بفتح الذال المعجمة وكسر الخاء المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، فراء فهاء – : قرية من قرى عبس في جهة صبيا في منطقة جازان .

أَبُو ذِيْل – يكسرون الذال والصواب فتحها – : قرية من أعمال سامطة في منطقة جاوان .

أَبُو راكة[1] : هو وادي ضَرَاء (انظر هذا الاسم) وفيه قرية لبلحارث .

أَبُو رُجُوْم – بضم الراء والجيم بعدها واو وآخره ميم جَمْع رِجْم – : من قرى القويعية ، في إمارة منطقة الرياض .

---

(١) راكة : أراكة – واحدة الأراك – الشجر المعروف والعامة يحذفون الهمزة من كثير من الكلمات .

أَبُو الرَّدِيْف[1] – بفتح الراء فدال مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة ، ففاء – : قرية من أعمال سامطة ، في منطقة جازان .

أَبُو الرَّضم : من قرى القوز ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو الرضم : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو رضم : ظن قرى قناو البحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَبُو الرُّقْع – بضم الراء وإسكان القاف بعدها عين مهملة – : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

أَبُو الرَّقم : من قرى ذبيان في وادي إضم ، بقرب الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو رقة (؟) : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أبو الرُّكب : من قرى ذبيان ، في إضم بقرب الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو رُكَب : – بضم الراء وفتح الكاف وآخره باء – : من هجر الدماسين من الروقة ، بمنطقة الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض .

أبو الركية : من قرى مسلية ، في منطقة جازان .

أَبُو رَمَاد : من قرى بني جابر في إضم ، بقرب الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو رمادة : من قرى إضم بقرب الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الرِّيش : من قرى الشاقّة اليمانية في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو الرَّيْد : من قرى حَلي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو رَيْدة – وتنطق (بُو ريدة) كعادة العامة في حذف الهمزة – : من قرى القنفذة ، في بلاد حرب وعبس ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو زَيْد : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أبو الرشاش : جبل فيه مياه جارية ، في نجران .

---

(١) الرديف في هذه الجهة الشجرة من شجر الأراك والعامة هناك يحذفون الهمزة من (أبو) فيقولون (بو الرديف) .

أَبُو الرِّيش : من قرى الشاقّتَين بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو زُبْدَة : من قرى يام ، في نجران .

أَبُو الزَّنْقَة : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو سُبَيْلَة – بضم السين المهملة وفتح الباء بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فلام مفتوحة فهاء – : قرية من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أَبُو سُبَيْلَة – تصغير سَبَلَة – : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبو سَحْبَل : من قرى شَجْوَى ، بمنطقة ينبع ، في إمارة المدينة المنورة .

أبو السُّدَاد – بضم السين المعجمة وفتح الدال بعدها ألف فدال أخرى – : قرية من قرى الدَّرب ، في منطقة جازان .

أَبو السُّدَاد – أيضاً – : قرية من أعمال سامطة ، في منطقة جازان .

أَبو سَرْحة : مركز في عِتْوَد ، بمنطقة جازان من مراكز الإمارة .

أَبو سَرْحَة : من قرى أبي عَريش ، في منطقة جازان .

أبو سرحة : (أنظر ظهرة أبو سرحة) حرف الظاء .

أبو سرقة (؟) : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أبو السريع : من قرى ذبيان في وادي إضم بقرب الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو السُّعُود : يطلق على مدينة نجران القديمة .

أبو سِقَاء : من مياه العصمة في الأسودة ، بمنطقة إمارة الدوادمي .

أبو سلام : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو سلامة : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أَبُو السَّلَع – بفتح السين المهملة واللام وآخره عين مهملة – : قرية من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أَبُو السَّلَم – على اسم الشجر المعروف – : من قرى حَلي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

(للحديث صلة)

البَدِيُّ (أو - وادي جهام)

(وادي البدي تردد ذكره في الشعر القديم ، وتضاربت آراء المتقدمين في تحديد موقعه ، ومن المتأخرين من ظنه الموضع المعروف الآن باسم اللبيد ، في شمال البلاد ، وهذا الظن لا يؤيده دليل، وهاهو الأستاذ سعد بن جنيدل يمد قراء «العرب» ببحث ممتع عن واد من أودية بلادنا ، يرجح أن يكون هو البدي ، وهذا البحث من كتاب «عالية نجد» أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي ألفه الأستاذ سعد) .

جهام : بجيم معجمة مفتوحة ثم هاء بعدها ألف وميم : واد يقع في ناحية الجِمْش الجنوبية الغربية ، شمالاً من بلدة البجادية ، وغرباً شمالياً من بلد الدوادمي ، وهو أحد روافد وادي الرشا (التسرير) قديماً الشمالية ، يبدأ سيله من شمالى شرق كبشات ويتجه جنوباً شرقياً ، وبدايته تفترق مع بداية سيل وادي هرمول (الرّيان) قديماً ، من ناحية هضبة عطوة ، الشمالية انشرقية من كبشات ، فما كان يسيل منها شمالاً فإنه يدفع في وادي هرمول مكوّناً بدايته وينحدر شمالاً ، ويلتقي بوادى الداث ثم يفيض في وادي الرمة . أما ما يسيل منها جنوباً فإنه ينحدر مع وادي جهام، ثم بعد انحداره تلتقي به روافد متعدّدة وقصيرة أهمها وادي « أبو عشر » الموازي له من الشرق ويلتقى به عند هجرة العازمية .

ورغم قصر مجري هذا الوادي ، وقرب روافده من بعضها فإن له شهرة عند البادية وفي الشعر الشعبي وليس مصدر هذه الشهرة سعة حوض هذا الوادي ، فهو كما ذكرت قصير المجرى ، ليس له حوض واسع ، ولكن موقعه وطيب مرعاه وكثرة أشجاره وقربه من وادي الرشا ، كل ذلك له أثر في شهرته .

وفي الآونة الأخيرة أصبح هذا الوادي معموراً بالقرى ومواطن الاستقرار ، في

أعلاه وفي أسفله ، وهذه القرى للعوازم والحزمان والغبيّات ، وكلهم من الروقة ، من عتيبة .

يقول عبد الله بن عبد الهادي بن عويويد :

يا راكب حرٍّ رَعَى في مِشَاهِيْه ومربّع ما بيْن مِسْكَهْ وَرامَهْ[1]
ومقيِّظٌ ما بين عَرْجه وَوادِيْه وماحَدَّرتْ جَلْوَى إلى أقصى جَهَامِهْ[2]
لحيثْ رِعْي القَفْر بانتْ مُواريْه والكَوْرْ دُوْنِكْ نابٍ من سَنَامِهْ[3]

ويقول سعد بن محمد بن يحيي من أهل الشعراء .

أوشط عَفرَا قد تملّت منْ الحالْ مَرْباعْها ما بين كبشات وجهام[4]
ـ مَاربَّعَتْ في وادي مابَعَدْ سَالْ ـ تَقْطِفْ زماليقْ الزَّهْرَ والنَّوامِي[5]

ويقول محمد بن سعد الحمقي من أهل الشعراء :

قلبي مْهاوٍ نجْد ، لَو قال منْ قالْ الله يديم العِزّ لَلِّي نزَلْهَا[6]
عَسَاه يسْقيها من الْوَبلْ هَمّال من غَيْمةٍ عَمّتْ حقوق هَلَلْهَا[7]

---

(١) رعى في مشاهيه : رعى نبات البلاد التي يحبها ويشتهي رعيها ، وكان ربيعه فيما بين مسكة ورامة .

(٢) ومقيظ ما بين عرجه ووادية الخ : مرتعه في القيظ ، فيما بين عرجه ووادي الرشا إلى أسفل جهام .

(٣) رعي القفر بانت مواريه : ظهر علاماته في سمنته . الكور : الرحل . نابي : مرتفع . من سنامه : نبا كوره وارتفع لارتفاع سنامه ، فهو أثر رعيه في هذه البلاد .

(٤) أوشط عفرا : الشط سنام الناقة السمينة ، والعفرا : البيضاء من الإبل ، تملت من الحال : امتلأ جسمها سمنة ، من رعيها فيما بين كبشات ووادي جهام خلال فصل الربيع .

(٥) ما ربعت في وادي ما بعد سال : لم تكن ترعى وقت الربيع في واد لم يصبه الغيث بعد ، فتبقى هزيلة ، ولكنها في بلاد ترعى الزماليق والأزهار وذوائب الأعشاب النامية .

(٦) قلبي مهاو نجد : محب له ويهواه ، لو قال قائل أني رغبت عنه ورحلت إلى غيره .

(٧) عساه : دعاء لها بالسقيا . همال : كثير المطر ، من غيمة : الغيمة : استمرار الغيم والمطر ، أكثر من يوم ، عمت حقوق مطرها : عامة للبلاد ، غزيرة المطر .

سَقْوَى إلى قِيلْ إن وادي الرّشا سَالْ ومثناة نجدْ ، رْياضَيهَا مع عبْلها[1]
وجَهَامْ سَيله يَلطِمْ الجالْ بالجَالْ وسَالَتْ خفوقَهْ من علاويْ رَجلْها[2]

وهذا الوادي ، أعني وادي جهام واقع في بلاد الضّباب (قديماً) وهو داخل ضمن نطاق حمى ضَرِيّة ، أما في هذا العهد فإنه واقع في بلاد قبيلة الروقة من من عتيبة ، ومن أشهر أعلامه هضبة جلوى ، فهي واقعة في أعلاه . وذكر ياقوت أنها واقعة في بلاد الضّباب ، وأنها بالحمى ، حمى ضرية[3] . ويتبع من الناحية الإدارية في هذا العهد لأمارة الدّوادمي .

ويتضح لى من استقراء شواهد الشعر العربي أن هذا الوادي كان قديماً يسمّي (البَدِيّ) بفتح الباء وكسر الدال المهملة بعدها مثناة تحتية ولم أر فيما بين يدي من كتب المعاجم ذكراً لهذا لوادى . أو مايدل على تحديده . وكذلك فإنّ ماذكروه عن البديّ لا يتضمن تحديداً واضحاً لموضع معين متميز في جهته معروف فيها .

أمّا ماذكروه من الشواهد على ذكر البدي فإنه يفهم منها أن هنـاك ثلاثة مواضع تعرف بهـذا الاسم ، غير أنهم لم يفرّقوا بينها ، ولا أيًّا منها يعنى كل شاعر منهم .

ومما يعين على التمييز بين هذه المواضع . ومعرفة مواقعها في البلاد ، وصلة الشواهد بكلّ منها أن الشعراء الذين ذكروها في شعرهم ذكر كل منهم مع ذكرها مواضع تعين على تحديدها ، سواء ذكر هذه المواضع في بيت الشاهد أو في أبيات

---

(١) سقوى : دعاء بالسقيا ، ودلالة على الفرح والسرور . إلى قيل : إذا قيل . مثناة نجد : المثناة الوسط ، ووادي الرشا واقع في وسط نجد .

(٢) يلطم الجال بالجال : دلالة على كثرة المياه ، وذلك حين يضيق بها المجرى ، فتدفع الماء ، حافات الوادي ، وترده الحافات بعضها إلى بعض فيلتطم بها أثناء جريانه ، والجال حافة مجرى الوادي .

(٣) معجم البلدان ١٥٧/٢ .

بعده أو قبله ، وسآتي على ما ذكره البكري وياقوت في ذلك ، ثم أتبعه بالإيضاح ، وأضيف من الشعر ما يزيد ذلك وضوحاً .

وسأحاول التمييز بين هذه المواضع ، وبيان مواقعها .

قال البكري : البدي والكلاب : واديان لبنى عامر ، يصبّان في الركاء ، قال لبيد :

لا قي البديّ الكلاب فاعتلَجا ... سيل أتيّيهما لِمنْ غلَبَا
فدعدعا سُرّة الرّكاء كَمَا ... دعدع ساقي الأعاجم الغَرَبا

وقال أيضاً :

جعلن حراج القرنتين وعَالجاً ... يميناً ونكّبنَ البديَّ شَمَائلا

وقال أبوحاتم الأصمعي: البدي واد لبنى سعد ، قال الراعي :

يُطِفْنَ بجون ذي عثانين لم تدع ... أشاقيص فيه والبدّيان مَصْنَعَا

ضم إلى البدىّ وادياً آخر فثناه ،

قال : وأشاقيص ماء لبنى سعد أيضاً .

وقال امرؤ القيس :

أسال قطيّات فَسَال له اللّوى ... فوادي البدي فانتحى لليريض
قعدت له وصحبتي بين ضارج ... وبين تلاع يثلث فالعَرِيض

وقال الأعشي :

أتَنسيْنَ أياماً لنا بدُحَيْضَةٍ ... وأيامنا بين البديّ فَثَهْمَد

انتهي ما ذكره البكري .

قلت : البدي المذكور في شعر امريء القيس ، هو الموضع الذي ورد في شعر الأعشى ، لاقتران الأول بذكر قطيّات ويثلث واليريض ، واقتران الثاني بثهمد وهذه المواضع قريب بعضها من بعض ، وكلها قريبة من وادي جهام .

وقال ياقوت : البدى : واد لبني عامر بنجد ، والبدى أيضاً : قرية من قرى هجر بين الزرائب والحوضى ، قال لبيد :

غلبَ تَشَذّر بالدخول كأنها جنّ البِدىّ رَواسيا أقدامها

وقيل : البدي في هذا البيت البادية ، وقد ذكر لبيد البديّ في شعر آخر له فقال:

جعلن حراج القرنتين وعالجا يمينا ونكبن البديّ شمائلا

فهذا موضع بعينه ، ويقويه قول امرىء القيس :

أصاب قطاتين فسال لواهما فوادي البديّ فانتحي لأريض

انتهى ما ذكره ياقوت[1] .

قلت : البدىّ : على ما يتضح لى من هذه الشواهد ، اسم لثلاثة مواضع ورد في شعر لبيد منها ذكر موضعين أحدهما البدي الذي ذكر أنه يلتقي بوادى الكلاب ثم يدفعان في سرة الركاء ، وهذا الوادي قد تغير اسمه ، ولم أر له ذكراً إلا في شعر لبيد .

والموضع الثاني ، ذكره مع عدة مواضع وهو الذي يبدو لي أنه هو وادي جهام .

وهناك موضع ثالث ، ذكر البكري أنه في بلاد بني سعد ، وهو المذكور في شعر الراعي ، فالبدى اسم الموضعين في وسط نجد ، ولموضع ثالث في أسفل البلاد .

البدي : هو أحد روافد وادي السّرة ، ووادي السرة يقع في عالية نجد الجنوبية غرب بلاد العرض ولايزال معروفا بهذا الاسم وسيله يتجه شرقا جنوبيا ثم ينعدل جنوبا ويصّب في الركاء ، وهو محدّد في موضعه ، يقول لبيد :

فجاد رهواً إلى مداخل فالصُّحْـ ـرَة أمست نعـاجه عَصَبَا[2]

فحدّر العُصَم من عماية لِلسّهْـ ـلِ وقَضَّى بصاحـة الأربا

فالمـاء يجلو متونهنّ كَمَا يجـلو التلاميذ لؤلؤاً قِشبا

---

(١) «معجم البلدان» رسم البدي .

(٢) مداخل : قال في الشرح ، قال أبو الحسن : روى أبو عبدالله إلى مناجل . قلت: ومناجل أدنى إلى الصواب ، إذ لا يعرف في هذه البلاد موضع باسم مداخل .

لاقى البديّ الكلاب فاعتلجا ... موج أتيّيْهما لمن غلبا[1]
فدعدعا سرة الركاء كما ... دعدع ساقي الاعاجم الغربا
فكلّ واد هدّتْ حوَا لبه ... يقذف خضر الدبّاء فالحشبا
مالت به نحوها الجنوب معاً ... ثم ازدهته الشمال فانقلبا
فقلت صاب الأعراض ريّقُهُ ... يسقي بلادا قد أمحلت حقبا

وبالنظر إلى سياق هذه الأبيات وما اشتملت عليه من أسماء المواضع مثل : عماية وصاحة ، مداخل ، نجد أن هذه المواضع بعضها قريب من بعض ، وكلها قريبة من السرة ومن وادي الركاء ، وكذلك الأعراض فإنها تقع جنوبا من هذه المواضع ، وهذا الموضع قد اندرس اسمه ، فليس في هذه الناحية موضع يعرف في هذا العهد باسم البدي .

أما أيّ روافد السّرة هو : فالسرة واد يخترق بلاداً واسعة وتلتقي به أودية عديدة وليس هناك ما يدّل على أيّ من هذه الأودية يكون هذا الوادي ، إذ كل راد من هذه الأودية أصبح له اسم جديد يعرف به واندرست أسماؤها القديمة إلاّ ما

---

(١) العرب : (أ) ألا يحس القارىء انفصالا بين هذا البيت : (لاقى الكلاب البدي) وبين ما قبله . ولعل الشاعر أراد أن يصف سعة هذا الغيث، فذكر أن جنوبه صاب عماية وما حولها، وشماله أسال الكلاب والبدي .

(ب) قد أثبت الباحث المحقق الأستاذ سعد أن الكلاب والبدي وهو جهام على ما يرى – من روافد وادي الرشاء ، وعلى هذا فلم لا تكون كلمة الركاء الواردة في بيتي لبيد : (فدعدعا سرة الركاء) مصحفة عن الرشاء ، ظن الكاتب أن نقط الشين عرقوة كاف فكتب الشين كافاً ، وهذا يحدث كثيراً ؟! .

(ج) قد يقال : الاسم القديم لوادي الرشاء هو التسرير فيجاب : كثيراً ما يطلق على الوادي الواحد اسمين أو أكثر ، وليس من المستبعد أن يكون اسم الرشاء أطلق على قسم من الوادي في العهد القديم ، وهناك بيت من الشعر القديم – إذا صح إنشاده – يدل على هذا ، وهو :

نقود الجياد بأرسانها ... يضعن ببطن الرشاء المهارا

(د) تنسب الجن ، في عصرنا إلى مواضع في وادي الرشاء وبقربه ، مثل جن خنوقة .

أفلا يكون قول لبيد : (جن البدي) ينطبق على أحد روافد وادي الرشاء ، ويكون الاعتقاد بوجود الجن في هذا الوادي وبقربه متوارثاً منذ العصور القديمة ، وانظر ما ذكر الهجري عن الجن في كلامه على التسرير – وادي الرشاء – .

قلّ منها فإنّه باق على اسمه القديم ، وهذا الموضع الذي ذكره لبيد واقع في بلاد بني عامر ولابد أن يكون قريبا من عماية وصاحة ورافد الركاء .

ويحتمل أن يكون المقصود بسرة الركاء في شعر لبيد، سرة بطن الركاء أى أوسطه، وليس المقصود به وادي السرة الذي هو من روافد الركاء ، فيكون البدي من روافد الركاء نفسه ، التي تدفع فيه مباشرة ، وتصب سيولها في سرّته ، وهو فيما أرى أقرب إلى الصواب ، قال في التاج : سرارة الوادي بالفتح أفضل مواقعه وأكرمها وأطيبها كسرّته بالضّم ، وسرار كسحاب قال الأصمعيّ : سرار الأرض أوسطه واكرمه ، البديّ أيضاً : قال لبيد بن ربيعة العامري:

تخيّرنَ من غَوْل عذاباً رويّةً ... ومِن منْعج بيضَ الحِمام عَدَامِلا
وقد زوّدت منّا على النأي حَاجة ... وشوقاً لو أنّ الشّوقَ أصبحَ عادلا
كَحاجة يَوْم قبل ذلك مِنْهُمُ ... عَشيّة ردّوا بالكِلاب الجَمَائلا
فَرُحن كأنّ النادِيات من الصّفا ... مَذَارِعها والكارعاتِ الحوامِلا
بذي شَطَب احداجها إذ تحمّلوا ... وحثّ الحداة النّاعجات الذّوامِلا
بذي الرّمث والطّرفاء لمّا تحمّلوْا ... أصيلاً وعالينَ الحمولَ الجوافِلا
كأن نعاجاً من هَجائِن عازِفٍ ... علبها وآرامَ السّليّ الخَواذلا
جعلن حراج القرنتين وناعتاً ... يميناً ونكّبن البَدى شمائلا

وفي رواية : جعلن جبال القرنتين وناعتا .

وبدراسة هذه القطعة الشعرية نتبين صورة جغرافية لهذه المواضع التي تحملوا منها ، والنهج الذي سلكوه ، والأعلام التي تحف بهم ، ومن اطار هذه الصورة الجغرافية الناصعة يمكن أن يتبين لنا موقع وادي البدي ، ففيها الكلاب – وهو غير وادي الكلاب الذي ذكره في قصيدته البائية – وفيها ، ذو شطب ، وفيها ذوالرمث والأرطى ، ومنه تحملوا ، وفيها القرنتان ، وناعت ، والبدي ، وسأتحدث عن هذه المواضع واحداً واحد لنرى قرب بعضها من بعض ، ثم قربها من غول ومنعج الذين

ذكرهما مع هذه المواضع ، وأوضح الفرق بين وادي الكلاب الذي ذكره في قصيدته البائية وبين الكلاب الذي جاء في هذه القصيدة. الكلاب: جاء في قصيدة ليبدالبائية قوله:

لاَفَيَ البديُّ الكلاب فاعتلجا مـــوج أتيتّهما لمن غَلَـــبا
فدعـــدعا سرة الركاء كَمَا دعْدعَ ساقي الاعاجم الغربا

وقد سبق بحث هذا الموضع وبينت أنه واقع في عالية نجد الجنوبية ، غرب العرض ، لأنه من راوفد الركاء والركا لايزال معروفا باسمه وكذلك السرة ، ثم إنه ذكره مع ذكر صاحة وعماية ، وهذه الاعلام كلها في تلك الناحية ، وهذا الوادي قد تغير اسمه ، ولم يحدد في كتب المعاجم التي بين يديّ .

الكلاب : أما الموضع الآخر الذي ذكره في قصيدته اللّامية . فإنه موصوف ومحدّد في كتب المعاجم وله ذكر في غير شعر لبيد ، وهو وادي الشعراء الذي يحفّ يجبل ثهلان ويجبل شطب من الشرق ، وقد اندرس اسمه واصبح يدعى وادي الشعراء بعد أن عمرت بلدة . وبقي من روافده الشرقية واد يسمي وادي الكلبة ، فيحتمل أن اسمه بعد أن عمرت الشعراء وتغلبت عليه بقي علماً لهذا الوادي وحدث فيه هذا التحريف .

قال ياقوت : الكلاب اسم واد بثهلان لبني العرجاء من بني نمـــير ، وفيه نخل ومياه[1] .

وقال أبو علي الهجري : تيمن بلد من شقّ الكلاب ، وقال سألت الباهلي عن تيمن فقال : هضبة برأس الذّرو ذرو الشريف ، مغرب الشمس من حصن بن عصام بيوم ، وسيل تيمن يصّب على الكلاب ، والكلاب واد به نخل رسدر وطلح ، وبجانب الكلاب ثهلان جبل عظيم ، علم أسود به الوحوش ، عرضه يوم ، به فلجى ، وذويقن والرّيان ، والرّيا ، والأطياء ، واليريض ، وكلّ ما أسمينا الشريف .

وحُذُنّة : هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب[2] .

---

(١) «معجم البلدان» رسم الكلاب .
(٢) أبحاث الهجري ٢١٦ .

قلت : تَيْمَن التي ذكرها الهجري ، هضبة حسراء كبيرة ، تقع في أعلا وادي الشعراء جنوباً ، من بلدة الشعراء ، تسمّى في هذا العهد تيما ؛ أبدلت النون ألفاً .

وحذّنة : هضبة سوداء مشهورة قديماً وحديثاً ، تقع صوب مطلع الشمس من بلدة الشعراء ، وتسمّى في العهد الحَذني ، وسيلها يدفع في وادي الشعراء ، وهذه المواضع وما حولها لا تزال تسمي الشريفة بالتصغير ، والبعض يكبرونها ويقولون لها الشرفة .

وقال الهمداني : ومما يصالي الحمى ، بطن الرشاء وهو بظهر ثهلان ، إلى ذات النطاق ، ومن مياه ثهلان ذويقن وذوقلحى والريان والكلاب والشعراء ، وأسفل من ذلك ذرو الشريف وغلاّنه[1] .

وقال مالك بن الرّيب :

عَليّ دماء البدن إن لم تفارقي ... أبا حردب يوماً وأصحاب حردب
سرت في دجى ليل فأصبح دونها ... مفاوز جمران الشّريفَ فغرّب
تطالع من وادي الكلاب كأنها ... وقد أنجدت منه فريدة ربرب

قلت : كلّ هذه المواضع المذكورة في عبارة الهجري وما ذكره الهمداني وما في شعر مالك بن الريب ، كلها واقعة في منطقة الشريف داخلة في مسماه قديماً . وكلها قريبة من وادي الشعراء (الكلاب) قديماً . وبهذا يتبين لنا أن هذا الوادى غير وادى الكلاب الذي ذكره لبيد مع ذكر السرة والركاء ومن هنا يتبين الفرق بينهما فهذا سيله يتجه شمالا ويلتقي بوادي الرشاء ، وذلك يفيض في الركاء والركاء يتجه شرقاً ويقطع جبل طويق ويفيض في وادي بِرك جنوب حوطة بنى تميم .

ومن هنا نعرف أيضاً أن البدي كذلك اسم لواد من روافد الركاء ، واسم لواد قريب من وادي الشعراء ، وكلاهما مذكوران في شعر لبيد .

وحيث أن كلا منهما ورد في شعر لبيد مقروناً بذكر واد آخر اسمه الكلاب

---

(١) صفة جزيرة العرب ١٤٧ .

ظنّ أصحاب المعاجم أنهما واد واحد ، فقالوا : البديّ واد في بلاد بني عامر ، واستشهدوا بشعر لبيد .

شطب : جبل أسود كبير محاذ لجبل ثهلان من الشمال ، يمر من خيشومه الشرقي وادي الشعراء . (الكلاب) قديماً ، وله ذكر في كتب المعاجم بهذا الاسم ، وقد استوفيت بحثه في موضعه .

ذو الرمْثِ والطّرفاء : قال لبيد : عشيّة ردّوا بالكلاب الجمائلا .

ثم قال : بذي شطب ، أحداجهم إذ تحمّلوا .

ثم قال : بذي الرمث والطرفاء لمّا تحملوا .

والواقع أنه يعنى بذلك موضعاً واحداً ، فيه ردّوا جمالهم وفيه تحملوا ، وفيه حث الحداة الناعجات الذّوامل . وهذا الموضع ، هو أسفل وادي الشعراء ، فهو بطن الكلاب ، وهو ذو شطب ، لأنه واقع بجانب جبل شطب ، وهو ذو الرمث والطرفاء ، لأنه مزدحم بغابات كثيرة كثيفة من الطرفاء والرمث ، فمن هذا الموضع تحملوا .

بعد أن عرفنا المكان الذي ردوا فيه جمالهم ومنه تحملوا ، نعود إلى سياق القصيدة لنَعْرف اتجاه سيرهم ، قال لبيد :

جعَلن حراج القرنتين وناعتاً يميناً ونكّبنَ البِديَّ شمائلا

وفي رواية : جبال القرنتين .

هنا متى عرفنا موقع القرنتين من شطب ومن أسْفَل وادي الشعراء (الكلاب قديماً) عرفنا الجهة التي قصَدوها لأن نصّ البيت أفادنا أن القرنتين كانتا على يمينهم حين ساروا ، والقرنتان هضبتان سوداوان ، واقعتان شرقاً من شطب ومن أسفل وادي الشعراء ، تسميان في هذا العهد القرنتين بالتصغير وَيُحتمل أنه ذكر بصيغة المكبر تسهيلا للوزن الشعري ، وهما معروفتان بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، قال ياقوت : القرنتان : هما هضبتان طويلتان في بلاد بني نمير ، عن أبي زياد[1] .

---

(١) معجم البلدان – القرنتان – .

أما ناعت الذي ورد ذكره مع القرنتين ، فإنه غير معروف بهذا الاسم في هذا العهد ، وقد قال ياقوت : هو موضع في بلاد بني عامر بن صعصعة ، ثم ديار بني نمير منهم ، فهو قريب من القرنتين ، قلت : منطقة الشريف ، ومنها جميع المواضع التي تحدثت عنها ، ثهلان ، شطب ، القرنتان ، الشعراء ، تيما ، وكذلك جمران وغُرَّب الوارد ذكرهما في شعر مالك بن الريب ، كلها واقعة في بلاد بني نمير . وما دمنا عرفنا أن القرنتين واقعة شرقاً من وادى الكلاب ، وهي على يمين الحي حين تحملوا ، فإن مسيرهم متجه صوب الشمال ، فلا بد من أن يكون البدي غرباً من هذه المواقع .

البديّ : يمكننا أن نتعرف موقع وادى البدي من خلال قصيدة لامرىء القيس ابن حجر ، قال :

أعِنِّي على برق أراه وميض ... يضيء حبيًّا في شماريخ بيض
ويهدأ تارات سناه وتارة ... ينوءُ كتعتاب الكسير المهيض
وتخرج منه لامعات كأنها ... أكفّ تلقّى الفوز عند المفيض
قعدت له وصحبتي بين ضارج ... وبين تلاع يثلث فالعريض
أصاب قطيّات فسال لواهما ... فوادي البدي فانتحى للأريض[1]
بميث دماث في رياض أثيثة ... تحيل سواقيها بماء فضيض
بلاد عريضة وأرض أريضة ... مدافع غيث في فضاء عريض

ذكر امرؤ القيس أن الغيث الذي كان يراه أصاب قطبات فأسال لواهما ، ثم صاب وادى البدي بعدها ثم انتحى سحابه ممطراً إلى الأريض ، وفي بعض الروايات اليريض .

والمعروف أن سير المطر في هذه البلاد يتجه من الغرب إلى الشّرق . وقد يتأثر

---

(١) في رواية :
أصاب قطيات فسال اللوى لها ... فوادي البدي فانتحى لليريض
وفي أبحاث الهجري : اليريض .

حينا باتجاه حركة الرياح فينحرف صوب الشرق الجنوبي ، وهذا هو الوضع الطبيعي في هذه البلاد لاتجاه سير المطر ، وما دام أنّ المطر قد أصاب قطيات أولا ووادي البدي ثانيا ثم انتحى صوب اليريض ، فلا بدّ أن يكون وادي البدي شرقا عن قطيّات وغرباً من اليريض ، وغربا من وادي الشعراء .

وليس هناك واد يقع عليه هذا التحديد إلاّ وادي جهام ، فهو وادي البديّ الذي ورد في شعر لبيد في قصيدته اللامية مع ذكر شطب والكلاب ، لأن المواضع الأخرى القريبة منه كلها باقية على أسمائها القديمة .

وقد تحدثت عن قطيّات بما فيه كفاية في ذكر (أم المشاعيب) ، وعن العريض في ذكر (أثلث) .

ومما يؤيد القول أن وادي جهام كان اسمه البدي قول الأعشى وقد قرنه بثهمد وبدحيضة .

قال الأعشى :

أترحـــل من ليلى ولمّـــا تزوّد ... وكنت كمن قضّى اللّبانة من دد ؟
أرى ســـفها بالمرء تعليق قلبـــه ... بغانيـــة خود متى يدن تبعـــد
أتنسين أيامـــا لنـــا بدحيضة ... وأيامنـــا بين البديّ وثهمـــد

ذكر الأعشى أن له أياماً مع محبوبته في موضعين ، أحدهما دحيضة والثاني بين البدي وثهمد ، وثهمد كما يتضح من شواهد الشعر العربي ومن تحديد أصحاب المعاجم هضبة حمراء فريدة ، تحف بها برقة واسعة ، تسمى في هذا العهد : شرثة ، واقعة في بلاد غني قديما ، داخلة ضمن حدود حمى ضرية ، وقريبة جداً من وادي جهام الذي قلت إنه هو وادي البدي ، واقعة غرباً جنوبياً منه ، وقد استوفيت بحث ثهمد في ذكر شرثة .

أما دحيضة ، فانها هضبة حمراء من هضاب المخامر ــ الأشيق قديماً ، وهي من أعلام حمى ضرية ، وفيها ماء عذب ، يسمى في هذا العهد : جحيضة ، قلبت داله جيما . وكل هذه المواضع التي تحدثت عنها في تحديد البدي وإثبات أنه هو وادي

جهام بعضها قريب من بعض ، فوادي الشعراء ــ الكلاب قديما ــ يفيض في وادي الرشا ــ التسرير قديما ــ من ناحية الجنوب ، ووادي جهام ــ البدي قديما ــ يفيض فيه من ناحية الشمال وليس بين فيضتيهما إلا مسافة غير بعيدة ، ويمكنك أن تشاهد ببصرك أعلام الواديين في آن واحد ، وقد شاهدت هذه البلاد وأعلامها للبحث أكثر من مرة .

ومما يزيد الأمر وضوحا ما ذكره الهمداني ، حيث ذكر أن البدي من أمواه الضباب[1] ، ووادي جهام للضباب وفيه إمواه لهم . ويمكن أن يطلق الاسم على الماء وعلى الوادي الذي هو واقع فيه ، كما هو معروف من عادة العرب قديما وحديثا .

أما منعج وغول اللذان ذكرهما لبيد في شعره مع البدي فإنهما واقعان شمال وادي جهام ومعروفان الى هذا العهد باسميهما ، وهما من أعلام حمى ضرية ، ومحددان في كتب المعاجم .

جَهَام أيضا ، كالذي قبله : واد يقع من بلدة الدوادمي ، على بعد ثلاثة وعشرين كيلاً جنوباً ، تبدأ سيوله من شمال هضاب مجيرة ، ومن الجمش الذى يقع غرب قرية صفّاقة وهجرة عريدة ، وتفيض فيه روافد كثيرة ، ويتجه مجراه شرقا ، تاركا حمرورا وحمّيان يسارا منه ، وأطراف العرض الغربية الشمالية يمينا منه ، ويمرّ بالحفيّرة هجرة الدّعاجين ، وبعد أن يتجاوز هجر الحفيّرة يفيض في وادي العِبَسة ، ثم يدفع سيلهما في وادي الضّحوي .

ولهذا الوادي ذكر في الشعر الشعبي ، قال محمد بن سلمان ، وقد زرع في قرية صفافة الواقعة في أعلا الوادي :

يآبن طَهْيفْ إن كان جْيتوا زنَيْتانْ قُلْ : بَاقَلَيْب في جَهَام لِقَاهَا[2]

---

(١) صنعة جزيرة العرب ١٥٤ .

(٢) ابن طهيف رجل من أهالي الرويضة ، كان يعمل أجيراً عند الشاعر في زرعه ، وزنيتان : رجل من أهل الرويضة أيضاً . يا قليب : يستعمل هذا التعبير للمدح ، بمعنى قليب أي قليب . لقاها ، وجدها .

مواضع في شمال المملكة

(وتوالي «العرب» نشر مقتطفات من كتاب «شمال المملكة» – أحد أجزاء «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» المعد للطبع ، لعل أحد القراء يبدي من ملاحظته ما يصحح خطأ ، أو يعرف موضعاً ، أو يضيف جديداً) .

آبار الأعرب : قال ياقوت في « معجم البلدان » ، موضع بين الأجْفر وفيد ، على خمسة أميال من الأجْفرِ . انتهى . وأقول : يظهر أن التسمية نشأتْ عند ما كان طريق الحج الكوفي يمرُّ بالأجفر ، فكان الحجاج يمرُّون بموضع فيه آبار عليها عرب من البادية ولا يعرفون اسم ذلك الموضع ، فأطلقوا عليه هذا الاسم .

آبار بَنِي مُرّ[1] : موضع يقع بين تبوك وبين حقل على بعد ٩٤ كيلا من تبوك ، كذا كتب الاسم في الخريطة ، ولكنني حينما مررت به لم أشاهد فيه آباراً ، وسألت من معي في السيارة فقالوا : إنهم لا يعرفون آباراً في هذا الموضع الآن ، غير

خَلّيتْ زَعّابهْ وهَضْبَةَ قهيْدانْ وبِلادي الّي رَخص عِندْي غَلاَها[2]
وزَرَعتْ صَفّاقَه قليْب ابن هَمْلانْ وَرَاكْ يابن طْهيف ما اظهَرتْ ماها[3]

وقد تحدثت عن قرى هذا الوادي كلّ منها في موضعه بما فيه كفاية .

وهو تابع لأمارة الدوادمي . **سعد بن عبد الله بن جنيدل**

---

(١) أنظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٤٥١ .

(٢) خليت : تركت . زعابة وهضبة قهيدان : هضبتان في بلدة الرويضة ، رويضة العرض بلدة الشاعر . وبلادي : بلدته الرويضة رخصت في نفسه بعد انتقاله منها .

(٣) صفاقة : قرية زراعية لأسرة آل هملان من أهالي الدوادمي . وراك : مالك ؟ ما أظهرت ماها : لم تواصل السقي حتى ينزف ما في البئر ، ليروي الزرع .

أنهم كانوا يسمعون بأن فيه آباراً في الماضي منها بئرٌ كان فوقها سَبْعُ مقامات – أي انها تتسع لإدلاء سبع من الدّلاَء – وكانت من أعظم مناهل البادية في هذه الجهة ، جهة حسْمَى .

آذِنَةُ : قال ياقوت[1] – بكسر الذال المعجمة – : خيال من أخيلة حمَى فيد ، بينه وبين فيد نحو عشرين ميلاً قاله نصر . ويقال لتلك الأخيلة الآذنات والأخيلة علامات يضعونها على حدود الحمي يعرف بها حَدُّه . والذي في كتاب نصر[2] . باب أُدَيّات وآذِنات . أما بضم الهمزة ثم دال مفتوحة غير معجمة ثم ياء مشدّدة تحتها نقطتان : أرض بين ديار فزارة وكلب . وأما بمدّ الهمزة وكسر الذال المعجمة وبعدها نون : جاء في الشعر وأريد بها جمع أذنة وهي خيال الخ . فيفهم منه أن المدّ ضرورة شعرية وانظر (أذنة) .

الأباتِرُ : يرى المستشرق موزل أنّ عرق الأُبَيْتر الواقع شمال الأجفر غرب رُحَيّة اللويبدة ، أنه هو الأباتر الذي قال عنه البكري[3] : الأباتر موضع من ديار بني أسد قبَلَ فَلْج . قال أبو محمد الفقعسي :

رعَتْ بذِي السّبْتَــاءِ والأباترِ حيث عَلاَ صَوْبُ السحاب الماطر

وأرى أنه لا صلة لعرق الأبيتر بفلج ، وهناك موضع يدعي البتْر[4] مطل على زبالة ، وهي من رمل الشقيق هو أقرب إلي ما عناه الشاعر ، على أن عرق الأبيتر من رمل الشقيق أيضاً ، كما أن ياقوتا[5] ذكر أنّ البتْر أكثر من سبعة فراسخ عرضاً وطولاً أكثر من عشرين فرسخاً وهذا يشمل أغلب النفود (الدهناء) .

أبَا الْجرفَان : واد من أوْدية التيسيّة في شمالها ، تبتدئ فروعه من شعيب الحسيكي ، ومن قرب أخثال ويتجه صوب الشرق حتي يقف عند حافة الدهناء الجنوبية ويقصدون بالجرفان جمع جرُفٍ ، ولعله سمي بذلك لكثرتها .

---

(١) «معجم البلدان» .
(٢) الورقة ٩ .
(٣) «معجم ما استعجم» .
(٤) «معجم البلدان» .
(٥) «معجم البلدان» .

أبا الخنشان : اسم حديث لمنْهل من أشهر مناهل حسْمَى ، وقد أصبح الآن قرية سكانها يزيدون على ألف نسمة والموقع غرب عـلَقان ، حيث سيل وادي علقان يفيض فيه ، ثم يتجه إلى وادي حقل . (يقع هذا المنهل يقرب الدرجة : ١٥ ــ ٣٥° طولاً شرقياً والدرجة ١٥ ــ ٢٩° عرضاً شمالياً) . والخِنْشَانُ جمع حَنَشٍ ، نوع من الحيّات.

أبَا الحِيْرَان (جمع حوار ، ولد الناقة) اسم قرية تقع شرق حايل على مسافة ١٠٥ أكيال وهي من قرى شَمّر .

أبَا الحِيْران أيضاً : واد ينحدر من جبال الصهو وهي الطرف الغربي من أجا ، ويتجه صوب الشمال الغربي ، ويفيض أسفل قارة بواعة وهذه تبعد عن أجا غرباً بما يقرب من خمسة عشر كيلاً . ولا يبعد أن يكون هذا هو (ذو خرْواع) الذي ذكره الهجري.

أبَا الرُّوَاث : واد من فروع وادي الخرّ ، يمتد من شرق النفـــود الواقع بين الجوف وحايل ، ويسير نحو الشرق حتى يصب في وادي العبد في بطن الرعن (بين خطي الطول ٤١/٠٠° و ٤١/٤٥° تقريبا وبقرب خط العرض ٤٥ و ٢٩°) .

أبَارِيَاتُ : بضم الهمزة وكسر الراء بعدها ياء ــ ذكر الهجري أن عنيزة قرنٌ بأباريات بجانب الهميان بين حرَّة لَيْلَى والجناب . واورد لعبد العزيز بن زارة :

وخَفّتْ نواهـــا من جنوبِ عنيزة كمـــا خَفَ من نبْل المعالي جَفيرُها

وقال البكري[1] : أبارِيات موضع في شقّ ديار بني أسدٍ ، قال بشر :

كـــأن قتـــودهـــا بأبـــارِياتٍ تَعَطّفهـــــنَّ مَـــوْشِيٌ مشيْـــحُ

وأقول: نسب البكري الموضع إلى بني أسَدٍ لأن الشاعر منهم ــ ولكنَّ الشاعر يصف راحلته عند مروره بهذا الموضع الواقع بقرب الطريق الى الشام من الحجاز إذْ أباريات هذه تقع بقربه في بلاد غطفان ، فهي هضاب أو رؤوس بارزة من الحرة وبقربها قارة

---

(١) «معجم ما استعجم» .

تدعى عَنَز تقع عنها غرباً . وتشاهد من الطريق . وتنطق كلمة (أباريات) بحذف الهمزة (باريات) على طريقة العامة في حذف الهمزة .

أبَا الصبّان : بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة الممدودة فنون — : واد أسفل وادي أبْلَة ، يصب فيه هذا الوادي ، يقع بين الحائط والحويط ، وسكانه من هتَيم (بني رشيد) . وهو إلى الأول أقرب (قرب الدرجة ٢٦/٤٠° طولا و ٤٣/٢٥° عرضاً شماليا) ووادية يتجه صوب الشمال الشرقي فيلتقي فيه وادي أبو كرانيف جنوب الحائط ، ثم يفيض في أم الهشيم ويجتمع مع الأودية التي تنحدر من شرق الحائط وجنوبه ، وتصب جميعها في الحليفة من أهم روافد وادي الرمة .. وفي الوادي قرية تُدعى أبا الصبان تبعد عن مدينة حائل ٢٧٥ كيلاً .

ابَاضَى : قال البكري[1] — بضم أوله على وزن فعَالَى — بجنب عوَيْرضات قال عمرو بن كلثوم :

كأن الخيل أسفل من أباضى بجنب عويْرِضٍ أسْرَابُ دَبْرِ

قال : ويروى : أباض . انتهي.

وعويرض جبل لايزال معروفا غرب أجا ، وهناك موضع يدعي الآن باضا ، ذكره موزل[2] ولا شك أن باضا هذا هو أباضى في قول الشاعر.

والعامة كثيراً ما يحذفون الهمزة إذا كانت في أول الكلام ، وكذا فعلوا في (أباضا) ثم هؤلاء لا يفرقون بين الضاد والظاء في النطق ، ولهذا فهم يسمونها (باظا) وهي أكمة تقع في غرب أجا ، جنوب سلسلة جبال المسْمَى .

قال موزل[3] : وتلال العرقوب وباظا والعنز ترتفع فوق الرمال إلى الجنوب من تلال المسْمَى ، وإلى الجنوب من الأخيرتين حيث تنتهي الرمال يمتد سهل الكشفة انتهى . وهذا يقع بقرب جبل عنز ، غرب روضة التنهات (بقرب خط الطول ٥٩َ/٣٩° وخط العرض ٠٥َ/٢٧°) .

(١) «معجم ما استعجم» .
(٢) «العرب» ص ٦٨٩ س ٩ .
(٣) «العرب» ص ٦٨٩ س ٩ .

أبَا عدِيّ : بالإضافة وفتح العين وكسر الدال على اسم الرجل – تلعة كبيرة من تلاع أجا – أحد جبلي طيء – في شرقيه ، فيها نخل ، وسيلها يفضى إلى وادي ثرْمَد . ووهم الأستاذ الدخيل حينما عدّها من قري أجا ويطلق الاسم أيضاً علي الجبل المشرف علي تلك التلعة (الشعْب) ويبعد عن حايل ٢٠ كيلاً والتلعة من روافد وادي مشار . وقد تكون تلك التلعة منسوبة إلى بنى عَديّ بن أخزم رهط حاتم الطائي (وانظر تنغة) و (توارن) .

أبَا القِدّ : وادٍ يقع جنوب لوقة علي مقربة منها .

أبَا القُوْر : أحد أوْدية عَنَزَة المعروفة واسمه القديم ذو القور وعدّه الهجري في أودية كلب (الأوداة)[1] . ويقول فيه شاعر قديم – قبل القرن الثالث الهجري[2] .

لَعَمركَ إنّني بينَ أقواز (عالج) وَ (خَوْعَا) لناءٍ في المحلّ غريبُ
بعيد عن آهلِ (المطليَيْنِ) وحمّةً لحيّ بـ(خَوْعَا) و (الغمار) خبيب
و(ذُو القور) لا جادتْ بـ (ذي القور) قطرة
وجادته ريـــــحٌ زعزع وجنـــــوب
سقي (المضجع) الأعْلى ، إلي بطن (خنثل)
إلى (القهب) مستنٌ الرباب خصيب

وتمتد فروع أبا القور من شرق جبال الجوف ومن أعلى فروعه الطّيْري ويتجه نحو الشرق – حيث يلتقي بوادي عرعر (انظر هذا) داخل الحدود العراقية (يقع وادي أبا القور من فروعه إلي التقائه بعرعر قرب درجة الطول ٢٠َ و ٤٠ْ و ١٠َ و ٤٢ْ وخط العرض ٣٥َ و ٣٠ْ و ١٥َ و ٢١ْ) .

وكثيراً ما يقرن الشعراء أبا القور بعَرْعَر قال ساجر الرفدي[3] :

---

(١) : ٢٣٤ .
(٢) «بلاد العرب» ١٧٠ .
(٣) أنظر ترجمته في كتاب «أبطال من الصحراء» : ١١٧ و١٢٦ .

مزْن تزَبّرْ عَمّ (عَرْعَرْ) و (ابا لْقورْ)
سَيْـلهْ علي كلّ المشارِيفْ ضافي

وقال أيضاً :

يومِ انَّهَا نَجْدٍ وانَا منْ سكَنْها واليوم ما يَسْكنْ بَهَا كلّ مَمرورْ
زانتْ لعبد الله وانا شمْتْ عَنْهَا اللّي يْصَبحّ بَهْ علي شَقةَ النوْرْ
وَانا احْمدَ اللهْ سالْمٍ من شطَنْهَا ظلّيْت أفلّيْ بين عَرْعَرْ وابَا الّقوْرْ

وفي كتاب « أبطال من الصحراء »[1] أن عبيداً بن رشيد وفد على الإمام عبد الله الفيصل ، فشكا له – في أبيات من الشعر – عبث برجس بن مجلاد وساجر الرفدي وإخلالهما بالأمن ، فجرَّد حملة داهمتهما في القصيم وغبَّها نزحت قبيلة العمارات إلى وديان عنزة وهناك استقروا . وقال ساجر شعراً وردت فيه الأبيات المذكورة .

أبَا الكُرُوْش – كذا ينطق جمع كرش – وادٍ ينحدر من سلسلة جبال سلمى مشرقاً فيفيض في قاع الكهفة . وسماه ابن بطوطة في رحلته (الكروش) انظر هذا الاسم – :

إبَال : قال البكري[2] : – بكسر أوّله وأورد لأبي دواد :

زَرُودُ جَدُودَ خَيْرٌ من أُراطى ومنْ طلح اللّحاء ومن إبـال

وأقول : يسَمّى أبال الآن (وبال) بإبدال الهمزة واواً ، ولكن العامة يفعلون هذا حينما تكون الهمزة مَضْمومة ، فلعل ضبط البكري غير صحيح (انظر وبال) .

أبَا مْزَاحْمَة : قال الأستاذ الدخيل : انها قرية وقدر سكانها بما يقرب من مئة نسمة . من قرى الجبل – ولم أجد من يعرفها .

---

(١) ص ١١٥ و١١٦ .
(٢) «معجم ما استعجم» – أبال – زرود – .

أُبَايِرُ : ورد اسم هذا الوادي مصحفاً في شعر الرماح بن ابرد – ابن ميادة – الذي أورده صاحب « معجم البلدان »[1] ومنه – :

وبالغمر قد جازت وجاز مَطيهـا فتسقى الغوادي بطن بيسان والغمرا
فلمـا رات أن قد قربن أثابرا عواسفَ سَهْبٍ تاركاتٍ بنا ثَجْرا

(أثابر) صوابه : أُبايِر . و (بيسان) صوابه : نيّان . والغمر ونيان وأبايِر كلها مواضع معروفة متقاربة .

وأورده ياقوت أيضاً في « معجم البلدان » قائلاً : أُبايِرُ بالضم والياء الثانية مكسورة – منهل بأرض الشام في جهة الشمال من حـوران . قال الرمّاح بن ميّادة وهو عند الوليد بهذا الموضع ، وكان يخرج إليه في أيام الربيع للنزهة :

لَعَمرك إنّي نـازل بأيايرٍ وضَرْءٍ ومشتاق وإن كنت مكْرَماً
أبيتُ كأني أرمدَ العين ساهـراً إذا باتَ أصحابي من الليل نوَّمَا

واقول : والصواب أُبايِر – بالباء الموحد بعدها الف فياء مثناة تحتيّة وآخره راء – ويعرف الآن باسم (بايِر انظر الاسم) وهـو واد من روافد وادي السّرحان ، يقع في الجنوب الغربي من النبك قاعدة الوادي . وفي أعلى أبايِر منهل من أشهر المناهل في ملتقي طرق ويدعى بايِر ويقع الوادي بين خطي الطول ٣٠° و٣٦' ٣ و٣٠' و٣٧' ٣ تقريباً وخطي العرض ٤٥' و٣٠ و٥' ١ – ٣١° تقريباً) أما ضَوْء – الوارد في شعر الرماح – فقد يكون محرفاً وأن الصواب ضَرْء – بالراء بدل الواو – وهو وادٍ أيضاً يقع بقرب وادي أُبايِر شماله ، ويدعي الآن الضّروة يفيض بعد أن يجتمع بوادي الغدف (الأغدف) شمال قرية الحديثة ، في الرشرشية في أعلى وادي السرحان . وبقرب وادي أبايِر واد يدعي وادي الضُّواين ، وقد يكون هو المقصود في قول الشاعر وهو يقع شرق جنوب وادي أبايِر ، ويفيض في وادي السرحان شمال العيساويّة بعد أن يجتمع بوادي الحصاة . علي أن البيتين وردا في « الأغاني »[2] هكذا :

---

(١) ثجر .

(٢) طبعة الساسي ١٠٤/٢ .

لعمرك إني نازل بأباين لصَوْأرَ مشتـــاق . الخ

ـ واراه تصحيفاً في الموضعين، وللخبر بقية طريفةٌ يحسن إيرادها. فقال الوليد: كأنك عزفت من قربنا ؟ فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين يعزَف من قربه ولكن :

ألا ليت شـــعري هل أبيتَنَّ ليلـــة بحـــرة ليلـــي حيث ربتني أهـــلي
وهل أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هجمـــة تطالع من هَجْلٍ خصيب إلى هجل
بـــلاد بهـــا نيطت عليَّ تمائمـــي وقطعْنَ عنـــي حين أدركني عقلي
فان كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسرْ عليَّ الرزق واجمع إذَنْ شملي

فقال : كم الهجمة ؟ قال : مئة ناقة . فقال : قد صدرْتَ بها كلها عشَرَاء ! قال ابن ميّادة : فذكرت ولْدانا لي بنجد إذَا استطعموا الله عز وجلَّ أطعمهم وأنا وإذا استسقوه سقاهم وأنا ، وإذا استكسوه كساهم وأنا . فقال يا ابن ميادة ! كم ولدانك ؟ فقلت : سبعة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي . فقال : يا ابن ميادة قد أطعمهم الله وسقاهم وكساهم أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان ، وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان ، وأما السقي فلا أرى مائة لقحة إلاَّ سترويهم ، فان لم تَروِهمْ زِدْتهمْ عَيْنَيْنِ في الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين لسنا باصحاب عيونٍ ، يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحميّاتُ . قال : قد أخلفها الله عليك كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام مئة لقحة وفحلها ، وجارية بكْرٌ ، وفرس عتيق .

أبَايِضُ : عد صاحب « بلاد العرب »[1] هذا الموضع مع أفيعية وإثرة من بلاد بَلقَيْن، وأنظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة »[2] وتلك المواضع في وادي السرحان أو بقربه وأقرب ما ينطبق عليه الوصف من الأودية التي في تلك الجهة وادي الأبيض تصغير أبْيَض ـ واراه محرفاً عن أبايض ـ وهو ينحدر من مكان يدعى عيثة الأبيض شرق الحماد ، ويسير صوب الشرق يحف به من الجنوب وادي حـــامر ، ومن الشمال واد

(١) ص ٢٤٥ . (٢) ص ٤٧٤ .

صغير يدْعَى المراء يفصل بينه وبين وادي تَبل (يقـع بين خطي الطول ١٠َ و ٤٥ْ و ٠٠ و ٤٢ْ وخطي العرض ٥٥َ و ٣١َ و ٣٠َ و ٣٢ْ تقريبا).

الأبْتِرَةُ : في كتاب «بلاد العرب»[١] : وبأعلى الثلبوت ماء يقال له الأبترة للعـلب من بني مرّة ــ من غطفان ــ فيهم يقول الشاعر:

لقد أُرِحْتُ من عتاريف العلـبْ من كُـلِ أُميّ كأنه نُصُـبْ
يظلُّ يعدو يبتغي الخيْر ، يَخـبْ في الخير مغبـون وفي الشرّ أرِبْ

وقال الأسـتاذ العبودي[٢] : اصبح اسم الأبترة الآن الأبيتر ــ تصغير الأبتر ــ وهو في وادي الشُعبَة.

وقد ورد اسم الأبترة في «معجم البلدان» مصحفاً : (الأثيرة).

أبْرَقُ الشيُوخ : ــ جمْع شيخ ــ جاء في كتاب «أبطال من الصحراء» في أخبار عقاب وحجاب ابني سعدون العواجيّيْنِ ، من وِلْد سليمان من عنزة :

وبعد أن تأخر رجوع عقاب وحجاب رجع فرسـان ولد سليمان يبحثون عن زعيميهما فوجدوهما قتيلين عند زبار أُريك ، فدفنوهما على قمة كثيب من الرمل ، سميّ أبرق الشيوخ. انتهى[٣].

وأبرق الشيوخ هذا يقع شمال جبل أريك ــ بالتصغير ــ على مسافة تقرب من خمسة أكيال وفي شرقيه يقع منهل الأمرار، وغربه خبراء قطيّة. وشرقه رمال محيطة بجبال متالع (أبرق الشيوخ يقع بين خطي الطول ١٠َ / ٤٠ْ و ٢٠َ / ٤٠ْ وخطي العرض ٢٠َ / ٢٧ْ و ٣٠َ / ٢٧ْ تقريباً).

ابْرَقُ العَزّاف : ــ فعّال من العزْف ــ ذكر في «المناسك»[٤] أن حجاج البصرة الذين يسلكون الطريق القديم المارّ بالوقبا إلى المدينة يردون مياه الحزن القيصومة (قيصومة فيحان) وقنة وحومانة الدراج حتى يخرجون على أبرق العزّاف.

---

(١) ص ٥٦.
(٢) «العرب» س ٧ ص ١٨٧.
(٣) ص ٩٥.
(٤) ص ٦٠٤.

وقال في «معجم البلدان» : أبرق العزّاف ماء لبني أسد يجاء من حومانة الدراج إليه ، ومنه إلى بطن نخل ثم الطرف ثم المدينة . وإنما سمي العزاف لأنهم يسمعون عزيف الجن انتهى . والأبارق التي تضاف إلى العزّاف كثيرة منها هذا ، ومنها موضع بين الربذة والمدينة ذكره الهجري بقوله : ويلي رحرحان من غربيه جبل يقال له الجواء وهو على طريق الربذة إلى المدينة ، بينه وبين الربذة ٢١ ميلاً ، وليس بالجواء ماء ، وأقرب المياه منه ماء للسلطان يقال له العزّافة بأبرق العزّاف بينه وبين الجواء ثلاثة أميال انتهى . ويظهر أن أبرق العزّاف الواقع على طريق البصرة إلى المدينة هو الذي بقرب زرود . وهو الذي قال عنه في «معجم البلدان» : حبْل من حبال الدهنا في بلاد بني سعد يسرة طريق الكوفة من زرود . واللغويون عرّفوا الحومانة بأنها شقائق بين الجبال جلد ليس فيها آكام ولا أبارق ، وقد يقال بأن الدهناء لاتوجد فيها مياه ، وأبرق العزّاف نصّ المتقدمون على أنه ماء ، والجواب أن بين رمال الدهناء شقائق واسعة ، وهي جلد ، يوجد في بعضها مناهل مثل الخزيمية ، وفي «الصحاح» أن أبرق العزاف قريب من زرود .

أبْرَقُ النَّعار : قال ياقوت[1] : ماء لطيء وغسّان ، قرب طريق الحجاج قال بعضهم :

حيّ الديار فقد تقادم عهدها بين الهبير وأبْرَق النّعّـــار

ويظهر أنه في النفود الواقع شرقي الأجفر ، حيث هناك الهبير ، وليس من المستبعد أن يكون هو أبرق العزّاف الذي تقدم ذكره ، إذ النعّار من صفات الصون ، وكذا العزف .

ولكن قول ياقوت : (لطيء وغسّان) غريب ، فأين بلاد غسّان من بلاد طيء ، إلا إذا قصد ملوك الشام الذين هم من الغساسنة ، فهذا يحمل على القول ببعده عن النفود (الدهناء) .

الأبْرَقِيةُ :جبال غير مرتفعة تقع بين حفيرة الأيدَا وبين المنْدَسة ، وسيولها

---

(١) «معجم البلدان» .

تمر بالمندسّة ثم تفيض في أعالى وادي قَوٍ . وبقربها منهل بهذا الاسم وهذه غير أبرقية الواقعة بقرب رحرحان ــ طريق الربذة إلى المدينة . إنّها تقع غَرْبَ الجهراء في طرف حرة خيبر الشرقي الشمالى ، وهى الآن تابعة لإمارة خيبر .

أُبْضَةُ : بضم الهمزة وكسرها قال الهجريُّ[1] في تحديد حمى فيد : الأجول جبل أسود لبني ملْقط من طيء وأقرب مياهم إليْه ماءة يقال لها أبضة وهي في حرَّة سوداء غليظة ، وقد ذكرها حاتم فقال :

عَفتْ أُبْضَةٌ من أهلها فالأجاولُ

ثم يلى الأجول جبل يقال له دخنان لبني نبهان من طيء بينه وبين فيد اثني عشر ميلاً . وقال البكرى : أُبْضَةُ .. قال زيد الخيل :

عَفَتْ أُبْضةٌ من أهلهـا فالأجاول ... فوادي نضيض فالصعيـد المقابلُ
وذكّرنيهـا بعـدما قد نسيتهـا ... رمـادٌ ورسمٌ بالشبابَة ماثـلٌ
فبرقة أفعى قـد تَقَادَمَ رسـمها ... فما إنْ بهـا إلا النّعـاجُ المطافـل

وقال اليزيدي : أُبْضَةُ ماء لبني ملقط من طيّءٍ ، عليه نخلٌ ، وهو على عشرة أميال من فيد ، على طريق المدينة[2] . وقال ياقوت[3] : ــ أُبْضةُ : ماءة لبنى العنبر ، وقال أبو القاسم الخوازمي : أبضة ماء لطيّءٍ ثم لبني ملقط منهم ، عليه نخل ، وهو على عشرة أميال من طريق المدينة ، قال مساور بن هند يصف هذا المكان :

سـائلْ تَميماً هَلْ وفَيْتُ فإنّني ... أعدَدْتُ مكرُمتي ليـوم سـبَابِ
وأخذتُ جار بني سَلاَمة عَنْوَةً ... فدفَعْتُ رِبْقَتَهُ إلى عتـاب
وجَلَبْتـه من أهْل أُبْضَةَ طائعـاً ... حتّى تحكم فيـه أهْـلُ إراب

وفي « المناسك »[4] : وعلى أربعة عشر ميلاً من فيد منازل للأعراب فيها نخل وآبار ماؤها غليظ ، يقال للموضع أبْضَةَ ، وخلف أُبضة بثلاثة أميال ونصف عن

---

(١) ص ٢٨٢ .
(٢) «معجم ما استعجم» .
(٣) «معجم البلدان» .
(٤) : ٥١٥ .

يسار الطريق هضبات يقال لها هضبات أبضة ، على بعضهن صخرتان منفردتان ليس يمسكهما شيء لم يزالا على ذلك تسمى إحداهما جمل والأخري جميلة . وفي « معجم ما استعجم » أن أبضة على عشرة أميال من فيد ، ويمكن الجمع بين القولين بأن قول صاحب « معجم ما استعجم » بالأميال الطويلة .

ويوم أبضة من أيام العرب المعروفة ، أغارت فيه ضبّة على بني فَرِير وبحتر من طيء .

وأُبْضَةُ الآن قرية تقع في الجنوب الشرقي من جبل سلمى ، على مقربة منه ، ويضاف إليها حرة تدعى حرة أُبضة (عبضة في المصور الجغرافي خطأ) تقع في الطرف الشرقي الجنوبي من جبل سَلْمى ، غرب بلدة فيد ، كما يضاف إليها جبل يدعى جبل أُبْضة يفصل بينه وبين سلمى من الجنوب حَرَّةٌ تقع بلدة طابة في طرفها الغربي الشمالى .

وقد عدّها الأستاذ الدخيل من ديار الأسلم ، ومنهم سكانها الآن ، وتبعد عن حايل مئة وعشرة أكيال في الجنوب الشرقي .

الأَبْلَقُ : قال ياقوت : حصن السموءل بن عاديا اليهودي ، وهو المعروف بالأبلق الفَرْد ، مشرف على تيماء ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لَبن لا تدلُّ على ما يحكي عنها من العظمة والحصانة : وهو خراب ، وإنما قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة . وكان أول من بناه عاديا أبو السموءل ، ولذلك قال السموءل .

يني لى عاديا حصْنـــاً حَصِيناً ... وماءً كلَّمـــا شئْتُ استقيت
رفيعاً تَزْلَقُ العقبانُ عنـــه ... إذا ما نابني ضيْـــمٌ أبَيْتُ
وأوْصَى عادِيَا قـــدْماً بأن لا ... تُهَدِمُ يا سموءلُ ما بنيْتُ

وللكتاب القدماء والمحدثين كلام طويل حوله أوردنا طرفاً منه في كتاب « في شمال غرب الجزيرة » ولم يبق من هذا الحصن سوي أجزاء من سوره وبعض أُسسِ مبانيه ، وبئر في وسطه . ولعله سمي الأبلق لاختلاف ألوان الحجارة التي بني

بها ، فبعضها لونه أبيض ، وبعضها أسْوَد . ولعل من أسباب شهرته توسطه في صحراء على طريق القوافل ، مع قوة بنائه مما لا عهد للعرب به ، ويظهر أن سور ذلك الحصن كان يحيط بكل واحة تيماء ، موقع القرية وبساتينها في الوقت الحاضر ، إذ لاحصانة له لو لم يكن كذلك .

ويقع الأبلق في غرب بلدة تيماء ، وهو مربع الشكل تقريباً ، وفي وسطه بئر ، وله دعامات من الخارج ، ويشبه في تصميمه حصن كعب بن الأشرف في المدينة المنورة[1] .

وللأبلق هذا ذكرٌ في الشعر العربي . قال النابغة الذبياني :

كنْ كالسموءل إذ طاف الهمام به ... في جَحْفلٍ كسواد الليل جرَّار
بالأبلق الفرْد من تيماء منـــزِلهُ ... حصْنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدَّار

وقال السموءل في وصفه :

لنا جبلٌ يحتَـــلهُ من نجيره ... منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلٌ
رسا أصله تحتَ الثَّرَى وسما به ... إلي النجم فرعٌ لا ينال طويل
هو الأبلق الفَرْد الذى سار ذِكْرُهُ ... يَعزُّ على مَنْ رامَهُ ويطول

وقال الأعشى – ونسب بنيانه إلي سليمان بن داود كعادة العرب في كل بناء قويّ :

ولا عادِيا لمْ يَمْنَع الموتَ مالهُ ... وورْدٌ بتيمـــاءَ اليهودي أبلقُ
بناه سليمان بن داودَ حقْبَةً ... له أزَجٌ عـــالٍ وطيٌّ موثَّقُ
يوَازي كبَيْدات السماء ودونَهُ ... بلاط ودارات وكلسٌ وخندقُ
لهُ دَرَمَكٌ في رأسه ومشاربٌ ... ومسكٌ وريحانٌ وراحٌ تصفَّقُ
وحورٌ كأمثال الدمَى ومناصفٌ ... وقدْرٌ وطباخٌ وصاعٌ وديْسَقُ
فذاكَ ولم يعْجزْ منَ الموت رَبَّهُ ... ولـــكن أتاه الموتُ لا يتأبَّقُ

---

(١) الدكتور عبد الرحمن الأنصاري (لمحات عن بعض المدن في شمال غرب الجزيرة) مجلة «الدارة» ج ١/٨٢ .

أَبْلَةُ : بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ، فلام فهاء – : وادٍ ينحدر من حرة خيبر ، بين الحائط والحويط ، وفيه هجرة بهذا الاسم سكانها العوامرة من هتيم : وهذا الاسم قديم فقد قال الهجري : قور أبلة عن يديع بأربعة أميال ، شمال مغرب[1] انتهى . وهذا الوصف ينطبق على ذلك الوادي . وفيه قرية بهذ الاسم تبعد عن مدينة حايل ٢٦٠ كيلاً ولا منافاة بين قول الهجري أن أبلة قورٌ – وبين ما هو معروف الآن من أنه وادٍ ، فاسم الموضع كثيراً ما يشمل ما حوله من الأماكن .

أُبْلِي : – بضم الألف وإسكان الباء الموحدة بعدها لام مكسورة فياء مثناة تحتية – يطلق هذا الاسم على :

١ – جبل قال عنه نَصْرٌ في كتابه وياقوت في « المعجم » أُبْلِيٌ جبل معروف عند أجا وسَلْمَى جبلى طيء ، وهنـــاك نَجْلٌ سعته أكثر من ثلاثة فراسخ ، والنَّجْلُ – بالجيم – الماءُ النَّزُّ ويستنقع فيه ماء السماء أيضاً .

٢ – وادٍ يصبُّ في الفرات – على ما ذكر ياقوت وغيره قال الأخطل :

ينصبُّ في بطن أُبليّ ويبحثـــه في كل منبطح منـــه أخادِيدُ

يصف حمار وحش . وقال الراعي :

دَعَا لبّهَا عمرو كأنْ قد وردنه برِجْلةِ أُبليّ وإن كان نائيـــا

وقد عدَّ الهجريُّ[2] أُبْلياً من الأوداة (أودية كلب) وهو على حسب ترتيبه يقع شمال وادي عرعر ، وجنوب وادي تبل ، بين الواديين . أي إنه إما وادي الأبيِّض ، الذي رجحنا أنه أبايض – أو وادي المرَاءِ ، وتمتد فروع هذا الوادي من الحماد من قرب حزْم الجلاميد وخبراء عروس ، ثم يخترق الحماد متجهاً صوب الشمال الشرقي فيدع فروع وادى الأبيِّض ذات اليمين ، وفروع وادي تبل ذات اليسار ، وهو أطول فرعاً من الواديين ، ثم يسير بينهما ، حتي ينعرج الأبيّض

---

(١) أبو علي الهجري ٣٨٩ .

(٢) ٢٣٥ .

نحو الشرق ، فينحرف وادى المراء ووادي تبل نحو الشمال الشرقي نحو الفرات (يقع وادي المراء بين خطي الطـول ٣٠َ / ٣٩ْ و ٠٠َ / ٤٢ْ وخطي العرض ٠٠َ / ٣١ْ و ٣٠َ / ٣٢ْ) .

أبو بطيح : من مياه قبيلة شمر ، جنوب حايل بنحو مئة كيل .

أبُو حُمَيْد – تصغير حمد – : من قرى هتيم غرب حايل بـ ٢٦٠ كيلاً ، في الحرَّة حرة فدك (الحائط) .

أبُو دَوْمَةَ : من أودية بني رشيد بقرب الحويّط في حرة فدك يبعد عن حايل بنحو ٣٠٠ كيل .

أبُو رَاكة : – راكة . أراكة واحدة شجر الأراك ، والعامة يحذفون الألف – ورد اسم هذا الموضع في بيان المراكز والقرى النائية التى يشملها قرار مجلس الوزراء بمنح علاوة للموظفين العاملين فيها : وعدَّ في منطقة حايل[1] .

أبو راكة : أيضاً: اسم بئر في وادي الجزْل غربي حرَّة العُويرض، في الشمال الشرقي من بئر البيضاء .

أبُوْ رَوْثٍ : شعيب تنحدر فروعه من روضة أم العصافير ، بقرب درب زبيدة جنوب زبالة ، ويتجه صوب الشمال إلى قرب الحدود العراقية ، ويخترق خط أنابيب الزيت أسفله (يقع بين درجتي العرض ٢٩/١َ٥ْ و ٢٩/٣٠َ ْ والطول ٣٥َ/ ٤٣ْ و ٤٣/٤٥َ ْ تقريباً) .

أبُو سَبْعَة : من عيون بلدة تبوك القديمة التي درست الآن[2] .

أبو سفيل : على ما ذكر الأستاذ الدخيل من القرى الخارجة عن أجا وقدر نخلها بـ (٣٠٠٠) نخلة ولم أجد من يعرفها .

أبُو شفَاط : من المياه الحديثة بقرب لينَةَ ، على ما في أحد البيانات الرسمية .

---

(١) جريدة الرياض تاريخ ١٣٩٤/٧/٢٧هـ .

(٢) أنظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٤٢٩ .

أَبُو صُوْر – بضم الصاد بعدها واو ، ثم راء والعامة يبدلون السين في اسم (السور) صاداً – وهو اسم قرية تقع في الجنوب الغربي من حايل في الحرة ، سكانها المهيمزات من هُتيم (بني رشيد) .

أَبُو صُوْر : أيضاً قَرْية في ضغن الحرة غرب حايل بمسافة ٢٠٠ كيل تجاور قرية الروض روض ابن هادي ، تقع منها غَرْباً ، وسكانها الرويضات من بني رشيد ، وفي القرية نخل ومزارع .

أَبو عُجَيّجات : منهل يقع بين واديي الأثيلي شرقاً والبقّار غرباً ، جنوب مدينة تبوك بما يقارب خمسة عشر كيلاً .

أبو القزاز : واد ينحدر من جبال الحجاز شرق بلدة الوجه متجهاً صوب الشمال الغربي ، وترفده أودية كثيرة منها وادي البيضاء ووادي غُمير ، ثم يفيض إلى وادي الأزلم ثم يصب في البحر غرب قلعة الأزلم وفي أعلى الوادي قرية تدعى (أبو القزاز) في ملتقى وادي غمير ، وفيها نخل ، معدودة من قرى الوجه .

أَبُو قُرَيَّة : قريَةٌ صغيرة خارجة عن أجا ، فيها نخيلات تقارب الـ٤٠٠ على ما ذكر الأستاذ الدخيل ولم أجد من يعرفها .

أَبُو مِزحَامَة : واد من أودية رمّان الغربية فيه قرية بهذا الاسم ، يتجه غرباً مارّاً بقرية الغزالة حتى يصبُّ في وادي الشعبة .

وأرى أن القرية التي ذكرها ابن دخيل وقدر نخلها بـ٢٠٠٠ وعدّها من القرى الخارجة عن أجا هي قرية (أبو مزْحَامَةَ) ووقعت في كتابه (أبو فرصام) محرفة .

أَبو مُغَير : تصغير مَغر وهو الطين الأحمر : يكثر إطلاق هذا الاسم على آبار ، فهناك أبو مغير بئر في جنوب ماوان – بقرب أطلال قرية الربذة – وهناك آبار أخرى ومنها بئر يقع بقرب جبل حلوان شرقه ، في الطريق إلى تيماء من حايل .

أبو نَمِر : مضاف إلى الحيوان المعروف – منهل يقع جنوب شرق حايل بنحو أربعين كيلاً .

أَبُو وَشِيْع : – بفتح الواو وكسر الشين المعجمة – قرية في خيبر تقع في واد

يدعى الشّق في وسط الواحة . وأكثر ملاك نخيل هذه القرية من عشيرة الفَقير من عَنَزَة ولم أر لهذا الأسم فيما بين يدي من الكتب ذكراً ، غير أن بعضهم صحف اسم (وسيع) بالسين المهملة فجعله بالشين وهذا يطلق على منهل بقرب الدهناء لا يزال معروفاً ، ولعل اسم (أبو وشيع) حديثاً — والوشيع عند أهل البادية — الصوف المصبوغ بالحمرة وكانوا يزينون به منسوجاتهم .

الأبَيْتِرُ : تصغير الأبتر : عرْق من الرمل ، يقع جنوب جبل جلدية المعروف بقرب حايل إلى الشرق . ويرى موزل أنه المقصود بما جاء في « معجم ما استعجم » عن الأباتر وأن هذا من بلاد بني أسد قديماً (وتقدم) .

الأبَيْتِر أيضاً : منهل يقع في جنوب غرب حايل في وادي الشعبة على بعد ١٦٠ كيلاً من حايل (أنظر الأبترة) .

أبَيْرُ — تصغير أبار — : من بلاد بني القين وجاء في كتاب بعثه إليّ المستشرق كاسكل[1] (W. CASKEL) بتاريخ ١٩٦٨/١١/٨ : (بنو القين رحلوا من الحرّة الرجلاء وهي في جنوب جبل حوران ، ومن رأس السّر — وهو يسمى الآن وادي السرحان — إلى وادي ثجْر ، وقد مرُّوا بأبير ، وثجر تقريباً ١٥٠ ك في شمال تيماء (— وانظر العلَيم — .

الأبْيَضُ — ضدّ الأسود — : واد من أشهر أودية حسْمى ، وهو أعلى وادي عفال ، ويصفه فلبي بأنه أبرز موقع (طبوغرافي) و (جيولوجي) في تلك المنطقة يبعد أعلاه عن تبوك ١٥٧ كيلاً يمر به المتجه إلى الساحل ، وتنحدر فيه أودية وشعاب كثيرة منها أم نخيلة — في الخريطة النخيلة[2] — وصرَيْم بالصاد وكتب في الخريطة السريم خطأ — .

الأبْيَضُ أيضاً : سلسلة من جبال حرّة خيبر ، في وسطها شرق مدينة خيبر ، هي أبرز قمم الحرة ، وتدعى جبال الأبيض والراس الأبيض أيضاً .

---

(١) توفي سنة ١٣٩٠/١٩٧٠ .

(٢) (أبحاث جيولوجية) ٢٠٠-١ .

الأبَيِّضُ – تصغير الأبيض – من الأوداة (أودية كلب) ينحدر من شرق الحماد ، من عيثة الأبَيّض ، ويتجه في محاذاة حفر شمالاً ووادي المرّاء جنوباً حتى يفيض بمفيضهما في سهول الفرات الغربية (يمتد بين خطي الطول ٥ْ ١َ ٤٠ْ و ٥ْ ١َ ٤٢ْ وخطي العرض ١٥ْ ١َ ٣ْ و ٥ْ ١َ ٣٢ْ) .

الأبُيِّضُ : أيضاً ماء يقع بالقرب من تَلْبة جنوب الأزلم بالقرب من سماوة والدخاخين – كذا قال صاحب كتاب « درر الفوائد المنظمة »[1] .

أبَيْطُ – وينطق (بيط) كعادة العامّة في تسهيل الهمزة – : قرية تقع في الشمال الشرقي من حايل في الشعيبة ، على مسافة ١٤٠ كيلاً من مدينة حايل .

أبَيْطُ (بيط) أيضاً : منهل للبادية في أرض تدعى الخنفة (بالفاء) وتسمى هذه الأرض (الهوج) شرقي تيماء على مقربة من النفود .

الأتَمُ : قال الهجري : الأتم وادٍ يسيل من حسْمَى على ليلةٍ (أنظر حسمى) . ويدعى الآن اليتم (انظر هذا الاسم) .

الأتَيِّمُ : قال ياقوت[2] – بالضم ثم الفتح وياء مكسورة مشددة وميم : ماء في غربي سلمى ، أحد الجبلين قال كذا والصواب غربي أجأ بميل نحو الشمال ويعرف الآن باسم التيّم – بفتح التاء وكسر الياء المشدّدة وقد اتخذه هجرةً أثناء اتخاذ الهجر أحد مشائخ شمّر فريح الحمزي ، ولوقوع المكان في طريق القادمين إلى حائل من الشمال تأذّى من كثرة حوادث المارّين به ، فتركه وقال في ذلك شعراً يأتي في (التيم) .

إثْبِيْتُ – بالكسر وسكون الثاء وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة وتاء فوقها نقطتان قال في « معجم البلدان » : ماء لبني المحل من بني يربوع بأود عن السكري في شرح قول جرير :

أتعرف أم أنكرت أطـلال دمنة بإثبيت فالجونـين بـالٍ جديدها

---

(١) ص : ٥٢٢ .

(٢) «معجم البلدان» .

وقال الراعي :

نشرنا عليهم يوم إثبيت بعدمـــا شفينا غليـــلاً بالرمـــاح العواتر

وفي « ديوان جرير[1] » :

أتعرف أم أنكرت أطلال دِمْنَةٍ بإثبيتَ فالجونين بالِ جديدُهـــا

إثبيت : ماء لبني المحلّ بن جعفر بأود ، والجونان قاعانِ أحمران يحقنان المـــاء .

وفي « لسان العرب[2] » : قال الراعي :

تلاعـــب أولاد المهـــا بكراتها بإثبيت فالجرعاء ذات الأباتـــــر

وقال البكري[3] : إثبيت جبل في ديار بني تميم ، وأورد بيت جرير ، وقول ابن مقْبل :

أوقدنَ ناراً بإثبيت التي رَفعـــتْ من جانب القفّ ذات الضال والهبرِ

وكان بإثبيت يوم من أيامهم قال الراعي في وقعتهم بكلب :

نشرناهم أيّـــامَ إثبيـــتَ بعدما شَفَينا غلالاً بالرماح العواترِ[4]

وفي « النقائض[5] » في خبر بني هوذة من بني دارم – حينما هجاهم ضابيء البرجمي فاستعدوا عليه عثمان ، فقضى بجَزّ شعره وخمس إبله – أنهم انحدروا من المدينة إلى لَصَافِ بضابيء معهم فحبسوه ، فأخذ أحدهم بإثبيت فضربه ، فاستعدوا عثمان فأتي به إلى المدينة فحبس . ويفهم من هذا أن إثبيت في شرق الجزيرة ، إذ لصاف (اللصافة الآن) هناك ؛ وأوضح من هذا نصُّ السكري بأنه من مياه بني يربوع في أود ، وأود في أسفل حزن بني يربوع .

---

(١) ص ٣٦٩ ومثل هذا في «معجم البلدان» – الجونان – .

(٢) ثبت .

(٣) «معجم ما استعجم» .

(٤) عتر وخطر : اهتز واضطرب .

(٥) ص ٢٢٠/٢٢١ .

الأُثْرَمُ : في كتاب « المناسك[1] » : وقبل توز بأربعة أميال جبل الأثرم ، المتقرب منه بموضع يقال له أبرق النعجة ، وفي « معجم البلدان » : أخزم جبل قبل توز بأربعة أميال ، وهذا من كتاب نصر ، فلعل (الأثرم) تحريف .

إثْرَةُ : — بكسر الألف وإسكان الثاء بعدها راء فهاء — لم أجد فيما بين يدي من الكتب ذكراً لهذا الاسم سوى ما جاء في كتاب « بلاد العرب[2] » قال العامري : أفيعة وأبايض وأثرة كلهن من بلاد بَلْقَين ، وينبت فيهن الفث[3] الذي يجنى ويؤكل انتهى ، وبلقين هؤلاء مختلطون مع قبيلة كلب نسباً وبلاداً فقد كانوا يسكنون في جهات قراقر ، وخاصموا كلباً في ملكه في عهد عبد الملك بن مروان — كما سيأتي — ولهم ماء فيه يدعى باسم ضاحك ، ولعل غرابة اسم هذا الموضع وأمثاله من المواضع الواقعة في وادي السرحان هي التي دفعت المتقدمين إلى عدم ذكرها ويقول ياقوت[4] : مثر لم أجد له أصلاً في اللغة العربية ، وهو موضع بقرب الشام من ديار بلقين[5] .

ومن أشعار المتأخرين ما قالته فتاة شرارية كانت تقطن بقرب دوقرا وهو جبل بقربه مجمع للسيول بين القريّات والجوف فاشتاقت إلى إثرة فقالت :

متَى نضَى دوقـرا يـافي قطانهـا ، واكثرْ همّه ؟ !
متى يزوعـنّ الاسْـلافِ نزُوع ولا نلتفـتْ يَمّـه

فأجابها رجل من قومها :

---

(١) ص ٣١١ .

(٢) ص ٢٤٥ .

(٣) الفث : حب بري يأخذه الأعراب في المجاعات فيدقونه ويختبزونه .

وقيل : من نجيل السباخ من الحموض يختبز كذا قال اللغويون فيظهر أنه السمح أنظر ص ١٠٠ من كتاب «في شمال غرب الجزيرة» .

(٤) «معجم البلدان» .

(٥) مثر : موقع يقع في طريق المدينة إلى الوجه ومثر يسمى العجلة والناضوح والمطر ومنه إلى الخوتلة مسافة ١٢ ساعة بسير الإبل ، ومن الخوتلة إلى الوجه ٢٥ ساعة كما حددها صاحب «مرآة الحرمين» ج ٤٨٨/١ و ٢٢٨/٢ .

هبّيْـــت يا بادْعَ القـــــاف والخير عسى الله يتمّـــــــهْ
أخيْرْ من (منْوَهْ) (وكَـــافِ) طباطْـــبٍ أرضْهـــا مْشمّهْ
وِ(اثْره) لْيـــا دَمّهـــا الســـافي (والعين) من طَبّهـــا تْحمّـــهْ

وطال القول بينهما .

وإثرة قرية قديمة تقع شرق قرية منوة ، وتبعد عن النبك – القاعدة ٢٨ كيلاً (تقع بقرب الدرجة ٣٥ َ٣٧/ْ طولاً َ شرقياً و٢٧ َ٣١/ْ عرضاً شمالياً) . وفي هذه القرية آثار قديمة ، مساكن أصبحت مطمورة ، وثلاثة قصور :

١ – قصر يدعى قصر الذّياب – جمع ذيب نسبة لسكانه الآن – وهذا القصر مبني بالصخور السود ، وفي بعضها كتابات قديمة ، ويظهر أنه بني على أنقاض قصر قديم ، إذ بعض الصخور الأثرية التي تحوي بعض النقوش القديمة أو الصور المتقنة تنتشر في بعض الجدران بدون ترتيب ، ويظهر أن البناء الأخير كان في صدر الإسلام حيث يحوي الحجر الذي وضع سقفاً لباب القصر كتابة بالخط الكوفي القديم المتقن هذا نصها : (باسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

في أربعة أسطر ، وتحت هذا الحجر حجر آخر يظهر أن فوقه كتابة طمست ، ولم يبق منها سوى رسم هلال (ب) وقد تكون الكتابة أحدثت في عهد متأخر بعد أن امتد الحكم العثماني إلى بلاد الشام وأطرافها ثم بعد أن زال هذا الحكم في العهود الأخيرة طمست الكتابة ولم يبق سوى رسم الهلال الذي كان شعار الدولة العثمانية ، ويقع هذا القصر في داخل القرية .

٢ – **أم قصَير** : وهذا قصر آخر لم يبق سوى أطلاله ، بني من حجارة سوداء . وبقربه آثار قناة تمتد حتى تصل إليه ، ويقع داخل القرية .

٣ – **قصر الرَّسْلان** ، ويقع على تلّ مرتفع بجوار القرية وتمتد إليه قناة ماء ذات فوهات (خرز) لا يزال الماء يجري فيها ، وكنت ظننت أن هذا القصر أنشيء حديثاً بعد أن هرب زعماء الدروز من سورية في العهد الأخير ، ولكنني علمت بأنه أقدم

من ذلك العهد وفي إثرة آثار مبان ومقابر وأقبية وقنوات وجد فيها كثير من الأحجار التي تحوي كتابات صفوية[1] وقالت آن بلانت عن[2] (إثرة) : هي أصغر من (كاف) إلا أنها تفخر بالبناية القديمة ، القلعة المصغرة في داخل الأسوار شيء ما على طراز بيوت (هارون الرشيد) وهذه مبينة بحجار سود حسنة التربيع منتظمة الوضع ، بدلاً من الطين ، المادة العربية الشائعة في البناء .

وعلى عتبة المدخل توجد — أو بالأحرى كان يوجد — كتابة بحروف قديمة ، ربما حميرية ، التي كنا سننقلها لو أنها كانت واضحة ولكن الجو قد كاد يمحوها[3] وهنا ها نحن قد أضافنا (جروان) وهو شاب عديم الترتيب بنصف ذكاء ، وله شعر طويل في جدائل ، ووجه أشبه بكلب (اسكوتلندي) وهو ابن مرزوقة ابنة عم محمد ذاته . ومع أنه لا شيء فيه يدعو إلى الفخر به كقريب فإنا نجده مضيفاً لطيفاً يقظاً ، وأمه امرأة ذكية وكريمة الأصل وإنه ليبدو غريباً أن يكون لها ولد بهذه الضعة وأبناؤها الثلاثة الآخرون (جروان وهو أكبر أربعة) لهم ذكاؤهم مثل سائر الناس ولكنهم موضوعون في الخلفية وجاءت (مرزوقة) لتراني الآن بطبق كبير من التمر في يدها وتوقفت لتتحدث إن وجهها ما زال جذّاباً ولا بد أنها كانت جميلة إلى حد كبير ، وألاحظ أنها تلبس عدداً من الخواتم الفضية كخواتم الزواج .

وتخبرنا (مرزوقة) أننا سنجد كثيرين من أقرباء (ابن عروج) في الجوف وهي نفسها غادرتها صغيرة ، وهي تتحدث عنها كفردوس أرضي ، من حيث انتزعت لتعيش في هذه الواحة الصغيرة التعيسة وحقاً أن (إثرة) مكان بائس كل شيء فيها ما عدا بستان جروان وبعد مشية في بستان النخيل منعني عَرَجي من الإنضمام ، وجلسنا جميعاً إلى عشاء طيب مكون من خروف وخبز ثريد — وللخبز مذاق كالفطائر

---

(١) أنظر نماذج منها في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٦٣–٦٤–٦٥ .

(٢) رحلة إلى بلاد نجد ، ص ١٩ .

(٣) أخبرنا أن هذه الكتابة ذات صلة بكنز مستور ، وهو وهم شائع بين العرب الذين لا يستطيعون القراءة (الأصل) . (العرب) : تقدم نص تلك الكتابة وهي عربية .

الممتازة – قام بتقديمه لنا جروان ، وهو واقف طبقاً للأسلوب العربي عندما يأكل الضيوف ، وتلاحظه أمه بعناية وتخبره ما يجب أن يفعل ، ومن الواضح ولو أن لديه من الحس ما يجعله قليل الكلام أنه يُنظر إليه كمن (لا وزن له) في العائلة ويصف (ولفرد) المشية في البستان بأنها ممتعة نوعاً ما ، فمحمد وعبدالله يلقيان خطباً طويلة ثناء على كل ما رأيا ويحكيان لرئيس رجال جروان قصصاً خارقة عن أبهة (تدمر) وثروتها . وبستان جروان ، الوحيد في إثرة ، يحتوي على ٤٠٠ نخلة ، كثير منها مغروس حديثاً ، ولا يوجد فيها شجرة يزيد عمرها عن ٢٥ سنة وكان من بينها نخلة من صنف الحلوة ، تمر الجوف الحلو ، أتي بها من هناك واعتبرت هنا من النوع العظيم الندرة ، وفي هذه النقطة كان هناك ترديد حار بالأعجاب (كورس) وبأنَ إعجاب شديدٌ بشجرات الأثل أيضاً ، وهي تربى من أجل الأخشاب وتنبثق من الأرومة حين تقلع ، وست سنوات من النُمُو يجعلها على ارتفاع عشرين قدماً . انتهى . ونقلته بطوله لدفع السأم بسبب جفاف البحث المجرد .

وقد ينطق اسم إثرة : إثْرَى – بإبدال الهاء ألِفاً مقصورة ، وكذا ورد في كتاب « رحلة إلى نجد » – .

إثْقُبُ : ينطق بكسر الهمزة لينةً وإسكان الثاء وضم القاف – جبل يقع في جنوب الروضة ، في الشمال الشرقي من الحائط (فدك قديماً) ويسمى الأثقب معرفاً أيضاً و (ثقب) أيضاً ، ويعرف قديماً باسم يثقب (أنظر هذا الاسم والفيضة وثقب) .

الأثْلة : – باسم واحدة الأثل الشجر المعروف – قرية خارجة عن أجأ على ما ذكر ابن دخيل الذي قدر نخيلها بـ٣٠٠٠ نخلة وتعرف الآن باسم بالقُرَينين[1] وهي من هُجَر شَمّر وقد غرست حديثاً (وانظر أجول) .

الأثْماد – كأنه جمع ثَمَد – وسكان هذا الموضع عنزة والرشايدة (هتيم) وليسوا كما ذكر ابن دخيل[2] الدُّغيرات ويقع شرق الشملي ، بقربه في غرب أجأ أحد جبلي طيء بعيداً عنه ، في سفح جبل أعْيار (عيار) الشمالي الغربي .

---

(١) مثنى قرين : تصغير التصغير .

(٢) «القول السديد» – مخطوط .

الأثمَادُ أيضاً : مياه ضعيفة تقع في جوف جبل يدعى جبل الأثماد الواقع غرب جبل الحضن بما يقارب ٢٠ كيلاً . بقرب قرية (أبا الحيران) غربها غرب أجا .

الثْنَان : ــ بإسكان الثاء بعدها نون مفتوحة فألف ، فنون : يطلق هذا الاسم على الجانب الشمالي الشرقي من حرة ضرغد ، وتسمى هذه الحرة حرة أثنان وحرة ضرغد وحرة هتيم : حرة ضَرْغد ، لوقوع هذا الموضع فيها ، وحرة هُتَيْم لكونهم أكثر سكانها ، أما حرة أثنان فلم أرَ من ذكر هذا الاسم ، سوى ما جاء في « معجم البلدان » من أن أوْثَنان ــ بفتح الهمزة ثم السكون فثاء مثلثة مفتوحة ونون وألف ونون ــ : جبل أسود لبني مُرَّة بن عوف . انتهى . وهذه الحرة من بلاد بني مُرَّة . ولا يستبعد أن يكون الأسم هذا كان يطلق على جبل في تلك الحرَّة ، ثم تُوسبعَ فيه فشمل ما حوله وهذا كثير في كلامهم ، ثم إنهم حذفوا الواو تسهيلاً فقالوا (أثنان) بدل (أوثنان) .

وقد ورد اسم (أُثنان) ، بضم الهمزة في شعر جميل بن معمر : اسم موضع في الشام على ما ذكر ياقوت :

وردَّ الهَوَى أُثْنانُ حتى استقرَّ بي من الحُبِّ معطوف الهوى من فؤاديا

وأنا في شك مما ذكر ياقوت أنه بالشام لأن جميلاً يذكر مواضع مجاورة لاثنان مثل بَرِد ولفلف بقرب الحرة وأرى أنه قصد أثنان هذا .

الأثْوَارُ : ــ جمع ثور ــ جاء في كتاب « بلاد العرب »[1] : وبأعاليه ــ يعني وادي مبهل ــ أسفل من الوتدات أبارقُ إلى سندها رملة تسمّى الأثوار وهي التي ذكرها عقبة بن مُضَرِّب من بني أبي سُلْمَى حيث يقول :

متى تُشْرِف الثور الأغرَّ فإنمـا لك اليوم من إشرافـه أن تَذكّرَا

وإنما جُعِل ثَوْرٌ أغرُّ لبياض كان بأعلاه ، يقول : ليس من أن تستشرف الثور الأغرَّ إلا أن يجدّد لك الذِكَر ، ويهيج عليك الشوق . وقال الأستاذ محمد

---

(١) ص ٧٥ .

العبودي[1] : هذا الرمل الذي ذكره يقع إلى الشرق من الوتدات موجود وليس كله رملاً بل في أسفله حصباء ، والثور الأغر : أبرق مرتفع في أعلاه بياض يشبه التلّة العالية وهي التي اكتسبت صفة الأغر ، ويقع إلى الشمال الشرقي من المحلاني : اهـ. وقد أخطأت في تعليقي على كتاب « بلاد العرب[2] » حينما قلت أن الأثوار تعرف الآن بنفود كُتيْفَة ، لكون كتيفة يطلق على جبل بقربها ، وعلى جبل آخر في حمى ضرية ، فخلطتُ بين الجبلين وظننتهما واحداً .

الأثيْبُ : قال في « معجم البلدان » : الأثيبُ مُوَيهة في رمل الضاحي ، قرب رَمّان ، في طرف سَلْمَى ، أحد الجبلين .

الأثيْرَةُ — بفتح الألف وكسر الثاء المثلثة بعدها راء فهاء ، قال في «معجم البلدان » : الأثيرة ماءة بأعلى الثّلَبوت . انتهى والثلبوت هو وادي الشعبة — كما سيأتي — ويظهر أن هذا تصحيف الأبترة وتقدّم — .

الأثَيْلِي : — بضم الألف وفتح الثاء ثم ياء ساكنة فلام مكسورة فياء : — واد يقع غرب تبوك على بعد نحو ١٥ كيلاً ينحدر من الحرَّة ، يجتمع مع وادي المدرا — أنظر مدران — .

أجَأ : قال في « معجم البلدان » : — بوَزْن فَعَل بالتحريك مهموزٌ مقصور ، والنسبة إليه أجَئيٌّ ، وهو علم مرتجل لاسم رجل سميّ به الجبل ، ويجوز أن يكون منقولاً ومعناه الفرار ، يقال : أجأ الرجلُ إذا فَرَّ — : قال الزمخشريُّ : أجأ وسلمى جبلان عن يسار سَميراء وقد رأيتهما ، شاهقان . وقال أبوعبيد السكوني : أجأ : أحد جبلي طيء (والثاني سلمى) وهو غربي فيد ، وبينهما مسيرة ليلتين ، وفيه قرىً كثيرة . قال : ومنازل طيء في الجبلين عشر ليال من دون فيد إلى أقصى أجأ ، إلى القريات من ناحية الشام ، وبين المدينة والجبلين على غير الجادّة ثلاث مراحل ، وبين الجبلين وتيماء جبلين ذكرت في مواضعها من هذا الكتاب — الكلام لياقوت — منها دَبر

---

(١) مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٣ .

(٢) ص ٧٥ .

وغريان[1] وغسل ، وبين كل جبلين يوم ، وبين الجبلين وفدك ليلة . وبينها وبين خيبر خمس ليال . وأطال ياقوت الكلام حول اسم أجأ هل هو مذكر أم مؤنث وحول صَرْفه قائلاً : لم أقف للعرب على شعر جاء فيه ذكر أجأ غير مصروف . وقال : وقد جاء أجَا مقصوراً غير مهموز في الشعر — وأورد الشاهد على ذلك من قول بعض الأعراب :

إلى نَضَدٍ من عبد شمس كأنهم هضابُ أجا ، أركانه لم تقَصَّفِ

وأُضيف : قال أبو النجم العجلي :

قدْ جبرتــه جِنٌّ سَلْمى وأجــا

وفي شعر لأبي الطمحان القيني[2] :

مهــلاً نمير فإنكــم أمسيتــم منّا بثغر ثنيّــة لم تسْتَــرِ[3]
سوداً كأنكــم ذئــاب خطيطة مطرِ البلادُ وحرِمْها لم يمْطَرِ[4]
تَحْبون بين أجا وبرْقَةِ عالــجٍ حَبْوَ الضّباب إلى أصول السخبر
وتركتم قَصَبَ الشُّريف طوامياً تهوي ثنيّته كعــين الأعــور[5]

وكذا ينطق الآن — أي بدون — همز — ولكنهم يكسرون أوله فيقولون إجَا .

وقد أطال ياقوت والبكري الكلام في أجأ ، مما لا يتسع المجال لايراده . وورد ذكر أجأ في كثير من الأشعار يضيق المجال عن التوسع في ذكرها . ومنها :

قال عارق — واسمه قيس بن جروة الأجئي[6] :

---

(١) الصواب (عرنان) .

(٢) «الحيوان» للجاحظ ١١٣/٦ وأبو الطمحان مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام واسمه حنظلة بن الشرقي .

(٣) نمير : القبيلة المعروفة .

(٤) الحرم بالكسر لعله أراد حريمها أي هي .

(٥) الشريف : من مواضع نجد المعروفة وفي «معجم البلدان» : أرض بني نمير الشريف إلا بطناً واحداً باليمامة .

(٦) «النقائض» ١٠٨٣ .

من مبلغٌ عمرو بْنَ هندٍ رسالـــةً ... إذا استحقبتْهَا العِيس تنضا من البعد
أيوعِدني والرملُ بيني وبينَـــــهُ ... تأمّلْ رُوَيْداً ما أُمامَةُ من هِنْدِ
ومن أجلِ حَوْلي رِعـــانٌ كأنهـــا ... قنابلُ خيلٍ من كميْتٍ ومن وَرْدِ

وقال جرير [1] :

رِعانُ أجا ، مثلُ الفوالج بينهـــم ... ورَمْلٌ حَبَتْ أنقاؤه وخمائلُه [2]

وقال العديل بن الفرخ العجلي في الحجاج [3] :

فلو كنتُ في سَهلان أو شعبتي أجـــا ... لَحِلْتُكَ إلاّ أن تَصُدَّ تراني

وأورد المتقدمون خبراً في سبب إطلاق اسم أجأ على هذا الجبل وأسماء أخرى على مواضع بقربه ، لعل في إيراده ما يدفع عن القارىء مشقّة السأم من جفاف البحث .

روى الحربي بسنده إلى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال [4] : سُمِيّ جَبَلاطي أن سلمَى بنت حام بن حيّ من عمليق ، عَلِقَها أجأ بن عبد الحي من بني عمليق ، وكان الرسول بينهما حاضنة يقال لها العوجاء ، فهرب بها وبحاضنتها إلى موضع جبلي طيء ، وبالجبلين قوم من عاد ، وكان لسلمى إخوة يقال لهم الغميم والمُضِلّ وفدك وفائد والحدثان ، فخرجوا في طلبهما ، فلحقوهما بموضع الجبل ، فأخذوا سلمى وانتزعوا عينيها فوضعوها على الجبل ، وكُتِّفَ أجأ فوضع على الجبل الآخر ، وكأن أجأ أول من كتف ، وقطعت يدا العوجا ورجلاها فوضعت على جبل آخر ، فكان كل من مرّ من العرب يعجب من ذلك ، فقالت العرب في أشعارها سلمى فهي أول من سُمّي من العرب سلمى ، فقال إخوتها : والله لا نرجع إلى

---

(١) «النقائض» ٦٣٢ .
(٢) الفوالج : جمع فالج وهو الجمل ذو السنامين . والرعان : جمع رعن وهو أنف الجبل .
(٣) الأغاني ١٨/٢٠ (طبعة الساسي) .
(٤) كتاب «المناسك» : ٣٠٥ و «معجم البلدان» .

قومنا أبداً ، فمضى الغَمِيْمُ إلى ناحية الحجاز فنزلها ، وأقبل المضِل إلى موضع القاع واستنبط به بئراً وأقام به حتى مات ، ولحق فدكُ بموضع فدك فسمي به ، ولحق فائد بالجبل الذي سمي فائد بطريق مكة ، ولحق الحدثان بموضع حَرَّة الحدثان ، فسميت هذه المواضع بهم ، وهي منازل طيء بين الجبلين ، وربما نازلتهم فزارة من حيال جنب الطريق ويساره إلى منقطع جبلي طيء . انتهى . ويكفي في البحث عن حقيقة هذا الخبر أنه عن ابن الكلبي الذي لم يكتف بتأليف المؤلفات الواسعة عن أنساب العرب حتى ألف كتاباً عن « أنساب البلدان » هذا أنموذج منه ، وعلى كل حال فهو طريف .

والمتقدمون قد يقصدون بالجبل مجموعة متقاربة من الجبال ، فهو يقولون : العلم جبل ، والمردمة جبل وشعَبى جبل — وهكذا — وكلها سلاسل جبال كثيرة كما يقولون : جبل أجأ أحد جبلي طيء وليس جبلاً واحداً ولكنه وهو من أشهر جبال نجد سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقارب ١٠٠ كيل في عرض بين ٢٥ و٣٥ كيلاً وتتخللها شعاب كثيرة ، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون . ومن شعاب أجأ المعروفة قديماً : توارن وحقل والأرخ وشوط — بضم الشين — وبلطة وحضن ورميض وثَرْمدا — مثل الذي باليمامة[1] — كذا قال الهجري والمعروف ثرمَد .

وهواء أجأ من أطيب الأهوية[2] وارتفاع أعلى قمة فيه ١٣٥٠ متراً عن سطح البحر ، ويخترق سلسلة أجأ طريقان للسيارات : ١ — ريع السلف ٢ — طلعة صيحان وطرق للدواب إلى الأودية التي داخلها .

وكان في القديم لبني ثعل وسائر بني الغوث[3] من طيّء ، وفي القرن الثالث وأول الرابع لبني عقدة من بني سنبس .

---

(١) الهجري .
(٢) «معجم ما استعجم» .
(٣) «النقائض» .

وتخترق أجأ أيضاً طرق أشهرها :

١ – المخْتَلِفُ : يشق أجأ من طرفه الغربي الجنوبي بمقابلة بزاخة مغرّباً فيخرج إلى قرية جفيفا . وفيه قرية تدعى المختلف فيها آبار عليها نخل ومزارع .

٢ – بَيْض يشقُّ الجبل من الشرق إلى الغرب بمقابلة قصر العشروات والمعيقلات ، وغرباً شمالِيّاً إلى قرية موقق .

٣ – صيحان : من الشرق وادي السلف المقابل لبلدة قفار ، ومن الغرب وادي صَيْحان الذي يخرج إلى موقق .

أُجَارِدُ : – بضم الهمزة – قال ياقوت[1] : وأجارد أيضاً وادٍ من أودية كلب ، وهي أودية كثيرة تنشل من الملحاء ، وهي رابية منقادة مستطيلة ما شرّق منها هو الأوداة ، وما غرّب فهو البياض . انتهى . والبياض هذا يدعى الحماد يقع شمال وادي السرحان والملحاء أرض مرتفعة تقع شماله خشنة ، ذات تلال وجبال ومنها تنحدر الأودية المعروفة الآن باسم أودية عَنَزَة ، أشهرها عرعر وحامر . وأجارد هذا منها .

قال أبو محمد الأعرابي : نزل باللعين المِنْقَريّ ابنُ أرضٍ المُرِّي ، فذبح له كلباً ، فقال[2] :

دعاني ابنُ أرْضٍ يبتغي الزادَ بعدما ... تَرَامَى حلامـاتٌ به وأجـارِد
ومن ذاتِ أصفاءٍ سهوبٌ كأنهـا ... مزاحفُ هَزْلَى بَيْتهَـا متباعِد
رآى ضَوْءَ نـارٍ من بعيدٍ فأمّهَـا ... تلوح كما لاحتْ نجومُ الفراقِـد
فَقلتُ لِعَبْدَيَّ : اقْتلا داء بَطْنه ... وأعفَاجِه العظمَى ذوات الزوائِد
فَجَاءا بِخِرْ شَاوَيْ شَعِيْر عَلَيْهما ... كرادِيْسُ من أوْصَالِ أكْدَرَ سافِد
فما نامَ حتّى نازَعَ الشّحْمُ أنْفَهُ ... وبِتْنَا نعَلِي أُسْتَـهُ بالْوَسَائِد
فبات بِشَرٍّ غَيْرِ خير ، وَبَطْنـهُ ... يَعِجُّ عَجِيْجَ المعْصِرَاتِ الرواعِد

---

(١) «معجم البلدان» .

(٢) «معجم البلدان» – حلامات – .

الأجاول : ـ جَمْع أجول ـ حددها ياقوت بأنها هضبات متجاورات بحذاء سَلْمَى فيها ماء . وقد وردت في شعر منسوب لحاتم ولزيد الخيل تقدم في أبضة . وهذه الهضاب تقع في حمى فيد في غربيه يدعها الطريق على يمينه لقاصد مكة من فيد ، والمسافة بينها وبين فيد تقارب ١٦ ميلاً . واسم الأجول يطلق على جبل أسود لبني ملقط من طيء أقرب المياه إليه أبضة[١] ـ القرية الواقعة في الجنوب الشرقي من جبل سلمى على مقربة منه . وفي كتاب « بلاد العرب[٢] » قال محمد بن عبد الملك الفقعسي ؛ وكانت أمه من عبس وهم ينزلون صُحَيْراً فقال حين استعْمِل على فيد[٣] : ـ

تبدلت بَوْصاً من صُحَيْر وأهلـه ومن برَقِ التِّينين نوْطَ الأجاول

نياط من طلح : أودية فيها طلح . والأجاول أجبال انتهى .

وبقرب الأجاول وقع يوم بين طيء وتميم ، قال الطرماح[٤] :

فانْ تقتلوا عِدْليْ تميمٍ بغِرَّةٍ إهابةَ ، وابنَ الجون يوم الأجاول
فإنا تركنا ابني شهاب بن جعفر وحنّاءة الشاوي بصحراء عاقل

وحَدَّد موزل الأجول ـ واحد الأجاول ـ بأنه تَلٌّ إلى الشمال من القرانين (القرينين) بقرب أُبْضة[٥] .

أجْبَالُ طَيٍّ : هي سلمى وأجأ وما حولها ، ولهذا تضاف طيّء إليها لامتناعها بها قال الفرزدق[٦] : ـ

أو بَيْنَ حَيّ أبي نعامة هارباً أو باللّحاق بطيء الأجبال

---

(١) «أبو علي الهجري » ٢٨٢ .
(٢) ص ٤٧ .
(٣) في آخر القرن الثاني الهجري ، ولمحمد هذا ترجمة في مجلة «العرب» س ١ ص ٩٩٩ و س ٢ ص ٩٥ .
(٤) ديوانه ٣٤٣ .
(٥) مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧٦ .
(٦) «النقائض» ٢٨٣ .

الأجْدَادُ : قال ياقوت[1] : جمع جُدٍّ وهو البئر . وهو اسم موضع بنجد في بلاد غطفان فيه روضة (وأورد قول النابغة الوارد في يثقب) ثم أورد قول أبي زياد : الأجداد : مياه بالسماوة لكلب ، وأنشد :

نحنُ جلبنا الخيـــل من مرادها من جانبي لبـــنى ومن أنضادها
يفري لها الأخماس من مزادهـــا فصبّحت كلباً على أجدادهـــا

وفي ديوان عروة ابن الورد – شرح ابن السكيت : الأجداد : بلد لبني مرة وأشجع وفزارة[2] (وانظر : روضة الأجداد) .

الأجْرَدِيُّ : واد ينحدر أعلاه من شرق شمال عرق المظهور وشرق التّيْسيّة ، ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى بريكة الأجردي فيفيض في قاع فيه البريكة – وقد حفرت آبار في ذلك القاع عرفت باسم الأجردي .

ومن فروعه وادي السَّهْل ووادي (طيّب اسم) ، ووادي قليّب الخيل ، ومن أعاليه وادي قبَةَ .

ووادي الأجردي هو صلة ما بين وادي الرُّمَة ووادي الباطن .

يفصله عن وادي الرمةِ نفودُ الأسياح (شقيق النباج قديماً) ويفصله عن الباطن الدَّهْنا .

ويفهم من نصوص المتقدمين أنه هو وادي ذي طلوح (انظر هذا الاسم والينسوعة) وأنه كان يفيض في وادي فلْج (الباطن) .

إجْرِمَة – تنطق بكسر الألف وإسكان الجيم وكسر الراء – : قرية تقع غرب حايل بما يقرب من ١٣٠ كيلاً سكانها قليلون – كما في أحد البيانات الرسمية .

الأجْفُرُ – بضم الفاء جمع جَفْرٍ ، وهو لغةً البئر الواسعة لم تطوَ وقال محمد بن عبد الملك بن حبيب الفقعسي : سميت الأجفر لجفارها وسعة قاعها ، وكانت

---

(١) «معجم البلدان» .
(٢) ص ٩٥ .

فيها في كل جفْرَة أقلبةٌ ... فسميت الأجْفر بعد بني مروان ، وكان اسمها في الجاهلية السرفة (؟) فيها جفرة لسعد بن سواءة وهي وسط البلد . وجفرة لهم أيضاً وأخرى ، وجفرة لبني نصر بن قعين والجفرة هي الهويّة يحفرون في نواحيها القليبين والثلاثة كذا في « المناسك » .

وقد عَدَّ صاحب « المناسك » آبار الأجفر في القرن الثالث الهجري فقال : وبالأجفر بركة مدورة في خمسين ذراعاً في عمق ثماني أذرع ، وبها عدة آبار منها الصادي والحفرة والمصبح والسبروت والكعماني والجهمي والعبيدي والسويدي والعقيلي والحري والدسي والحجي والصعبي[1] (؟)، والمقابلتان والعروس والعمري والهدبان والحدري والوتري والمسروري والبوصيري والبرمكي والكوكبي والسلاي والعملي وبئر القصر ، وبئر الشجرة ، والياقوتة بجفرة النخل خارج المنزل ، وهي أعذب الآبار ، وبئر الخصي . وذكر أنَّ في الأجفر قَصْراً ومسجداً[2] ، وأن المسافة بينه وبين فيد سبعة وعشرون ميلاً طوالاً أما ما جاء في « معجم البلدان » أن المسافة ٣٦ فرسخاً فخطأ واضح .

ويفهم من كلام محمد بن عبد الملك الأسدي أن الأجفر كان لبطون بني أسَدٍ ، ونقل ياقوت عن الزمخشري أنه كان لبني يربوع — من تميم — ثم انتزعته منهم بنو جذيمة — وهؤلاء من أسد — وذكر صاحب كتاب « بلاد العرب[3] » أن انتزاعها من يربوع كان في أول الأسلام ، وأورد في ذلك شعراً ، وذكر وقوع خصومة أدَّت إلى أن يشارك بني جذيمة بنو سعد بن سواءة والقبيلتان من بني أسد . ويقع الأجْفر — وهو ينطق الآن بفتح الفاء — شرق جبل سَلْمَى بميل نحو الشمال (بقرب الدرجة ٠٠ ٤٣ ْ طولاً و٣٩ ٍ و٢٧ ْ عَرْضاً) ويعَدُّ الآن من أكثر هجر الشمال سكاناً وقطّاناً من البادية وفيه مدرسة ابتدائية وسكانه من عبدة من قبيلة شَمّر ،

---

(١) كذا وردت هذه الأسماء ولا تخلو من تحريف .

(٢) ص ٣٠٢/٣٠٣ .

(٣) ص ٥٨ .

من المحافظين على عاداتهم العربية ، المتشددين في التمسك بتعاليم الدين الحنيف ، وفيهم يضرب المثل : (الدّين مَرَدُّهُ الأجفر) .

وحدّد موزل المسافة بين الأجفر وفيد بـ٦٠ كيلاً ، وتقع بلدة الأجفر في الشمال الشرقي من حايل على مسافة ١٥٠ كيلاً تقريباً في منخفض صخري ،

ولعل الأجفر هو المقصود فيما ينسب من الشعر إلى بني هلال :

أقفينا ولا خلّينـــا بنجدٍ حسوفَهْ ... إلا جوٌّ لنا بين اللّوى وزرود[1]
الفين ورد الماء ، والفين صدّره ... والفـــين مع العـــدام ورود[2]
حَدْري شعيب (شَرْي) يا تايهينه ... وعليـــه العدام السود شهود[3]

أجْوَلُ : في كتاب « المناسك » : ويقال للجبل الذي عن يمين الطريق حيال بركة القرينين — أجول ، وهو من الأجاول . . كان فروخ يتبدّى وعن يساره جبل يقال له بوص ، وفي هذا المتبدّا آبار ماء وأبيات أعراب عن يسار الطريق — وهو على تسعة أميال من توز يمنة . ويسرة بئران لعبدالله بن مالك يعرفان بالوبرية عند الميل التاسع من البريد ، والأعراب يسمونهما الحفرتين وهما بواد يقال له وادي التين ، وهذه البئر التي ينسب اليها هذا الوادي يقال لها النبيطا ، والنبيطا جبل يمنة على نحو ثلاثة أميال ويقال لهذا الجبل المشرف على هذا الموضع أجول وقال في « معجم البلدان » : الأجول واحد الأجاول وهي هضبات متجاورات بحذاء هضبة من سلمى وأجا فيها ماء ، وقيل : أجول واد أو جبل في ديار غطفان — عن نصر . انتهى . ولعل صواب (هضبة من سلمى) هضبة سلمى ، مع حذف (وأجا) فالأجاول جنوب سلمى ، لا صلة لها بأجأ ، وكانت في بلاد بني أسدٍ ، شرق بلاد غطفان .

وقال الهجري : الأجول : جبل أسود من جبال حمى فيد ، عن يمين المصعد

---

(١) حسوفة : أسفا : اللوى : كثيب الرمل .

(٢) يصفه بغزارة الماء حيث يروي ستة آلاف من الإبل . والعدام أكثبة الرمل والكلمة الفصيحة : العداب — بالباء — .

(٣) حدري : أسفل ، أي هو أسفل وادي شرج يا من تاه عن موضعه ، تطل عليه أكثبة الرمل السود .

إلى مكة ، لبني ملقط من طيّء ، أقرب المياه إليه أُبضة وبينه وبين فيد ستة عشر ميلاً تقريباً .

ويحدد موزل هذا الجبل بأنه يقع شمال القرانين ، وقرب أبضة (وانظر الأجاول) .

الأجَيْرَافُ – قال نصر : – وعنه نقل ياقوت في « معجم البلدان » : الأجيراف وادٍ لطيء فيه التّين والنخل . انتهى ولعله في أحد الجبلين أو بقربهما – .

الأجَيْفِرُ – بضم الألف وفتح الجيم بعدها ياء ساكنة ففاء فراء تصغير الأجْفر أورد صاحب «بلاد العرب[1]» من قصيدة لمرّة بن عيّاش الأسدي من جَذِيمة أسد:

ولقد أرى الثّلَبُوت يأنَفُ نَبْتَهُ حَيٌّ كأنهمُ أُلــو سلطــان[2]
ولهم بِلادٌ طالما عُرِفَتْ بهــم صَحْن الملا ومدافعُ السبُعــانِ
ومن الحوادث – لا أباً لأبيكم – أنَّ الأجيفِرَ قِسْمَةٌ شَطْرانِ

– **الأجَيْفِرُ** : كانت لهم فصار نصفها لبني سواءة . انتهى وهؤلاء من بني أسد أيضاً . وفي « بلاد العرب[3] » أيضاً : والسّبُعانُ : واد يجيء من الجبلين ، والأجيفِرُ في أسفل هذا الوادي ، وأعلاه الملا ، وأسفله الأجفر .

أحَامِرُ : عده الهجري من أودية كلب وذكره غيره باسم حامر (وانظر هذا الاسم) .

الأحَامِرَةُ : من الأسماء المشتركة التي تطلق على مواضع كثيرة ويلاحظ أن العامة في عصرنا يحذفون الهمزة في مثل هذا الاسم فيقولون (حامرة) . ومما يعرف باسم الأحامرة :

الأحَامِرَةُ : جبل يقع شرق الحليفة بـ٣٦ كيلاً وغرب القاعية بـ٤١ كيلاً يمرُّ به الطريق إلى حايل من المدينة .

---

(١) ص ٤٩/٥٠ .
(٢) يأنف : يرعى نبته أول رعية .
(٣) ص ٥٨ .

الأحامِرَةُ – أيضاً – من مياه الثَّلَبُوت – وادي الشعبة – في أسفله – قال في كتاب « بلاد العرب » : أسفل مياه الثلبوت ، الفردة لبني نعامة والأحامرة لبني نصر ثم العمرية لبني عبس بن قُعَيْن ، ثم السَّعْدِية بطرف جبل[1] ترف ، انتهى وإذن فهي بقرب جبل (ذرف) .

الأحْسَاء : ماءة لجديلة طيء بأجأ[2] .

الأحْمَرُ : من أودية الحرَّة حرة بلي قال ابن شبة[3] في ذكر صدقات علي رضي الله عنه : (وله بحرَّة الرجلاء من ناحية شَغب وبدا[4] وادٍ يدعى الأحمر ، شطره في الصدقة ، وشطره بأيدي آل مناع من بني عدي منحةً من علي – وانظر الحرة الرجلا – .

الأحْوَرَانِ : قال البكري[5] : كأنه تثنية أحور موضع رمل معروف بديار كلب وأورد :

غدتْ من رُخيخ ثم راحت عشيةً ... بِحَيران إرقال الهجين المجفر
وتقطع رمل الأحورين براكب ... صبور على طول السُّرَى والتهجر

والشعر لزيد الخيل[6] وقبله :

أرى ناقتي قد اجتوت كل منهل ... من الجوف ترعاه الركابُ ومَصْدَرِ

وقال ياقوت عن رُخيخ : موضع على مرحلتين من فلج على جادة الحاج .

وقد أورد قول زيد الخيل شاهداً على زجيج – بينما ذكره البكري (رخيخاً) وضبطه بضم الراء – على لفظ تصغير رُخ وقال : موضع قد تقدم ذكره في رسم الأحورين وفي رسم خزاز . قال عامر بن الطفيل :

ويوم رُخيخ صبّحت جمع طيّء ... عناجيج يحملن الوشيج المقوما

---

(١) ص ٥٢ .
(٢) «معجم البلدان» و «تاج العروس» حسى.
(٣) «أخبار المدينة» الورقة ٣٧ .
(٤) في مخطوطة كتاب ابن شبة (صعب ربدا) وفي «وفاء الوفاء» : زيد ونراه تحريفاً في الموضعين .
(٥) «معجم ما استعجم» .
(٦) «معجم البلدان» .

ولكن البكري قال في رسم خزاز : وطخفة ورُخيخ وخزاز متقاربة .

ويرى موزل في كتاب « شمال نجد[1] » أن الأحورين هما ما يعرف الآن باسم الحوارين (أنظر هذا الأسم) .

وهنا إشكال في شعر زيد الخيل فإذا كان قدم من الجوف الواحة المعروفة شمال النفود ، فلماذا قصد من حبران الجبل الواقع في طرف النفود الجنوبي إلى زخيخ وهو واقع غرباً من بلاده سَلْمَى وما حولها ؟ . ثم إنّ الحوارين يقعان شرق بلاده فكيف تجاوزها إليهما . أما رأي موزل فهو بعيد جدّاً . وقد يكون زيد قصد موضعاً غير الجوف المعروف أو أن الكلمة محرفة . مع أن قول البكري : إن الأحورين في بلاد كلب يبعد كل هذا ، إذ الجوف من بلاد كلب أيضاً .

وفي النصوص المتقدمة : (١) حيران صوابه حُبْران – بالباء كما سيأتي (٢) زخيخ في كلام ياقوت صوابه : رُخيخ – كما سيأتي أيضاً ، وأية صلة لموضع على مرحلتين من فلج في طريق الحاج بحبران الواقع شمال غرب جبلي طيء ؟ (٣) قول البكري : (طخفة ورُخيخ وخزاز متقاربة) . صحيح من حيث تقارب طخفة وخزاز ، أما زُخيخ فهو بعيد عنهما ، إنه يقع شمال غرب وادي الرمة ، وهما جنوبه بعد أن ينحدر .

الأُحَيْمِرُ – تصغير الأحمر – : جبل قبلة حايل إلى الشرق بمسافة تقرب من ٢٠ كيلاً ، عنده قُتِل أبناء عبد العزيز المتعب متعبُ ومشعل وطلال .

أُحَيْمِراتُ الْجِبَا : – الجبا : بالجيم بعدها باء موحدة فألف – تلال حمر فيها مجامع مياه أنشئت فيها قرية بهذا الاسم سنة ١٣٧٨هـ وغرس عليها نخل وعلى آبارها مِضَخّات زرع عليها ، وسكانها من الصلبة ، وتقع هذه القرية شمال قرية المعترضة بينهما عشرة أكيال تقريباً . والقريتان شمال رَمّان على مقربة منه .

الأَخَادِيْد – بالخاء كأن جمع أخدود – : في كتاب « المناسك »[2] : الأخاديد جبال متقطعة فيها نحو من مائة قليب قريبة الماء ، وربما نزحت فلم يكن فيها شيء

---

(١) «العرب» : ٣٣٨/٩ .

(٢) ص ٥٢٧ .

ومن الأخاديد إلى سلمان نحو من ثمانية عشر ميلاً ، وفي « معجم البلدان » الأخاديد : اسم المنزل الثالث من واسط للمصعد إلى مكة ، وهي ركايا في طرف البر ، وفيها قباب وماء عذب ، ثم منها إلى لينة – وهو المنزل الرابع – وبين الأخاديد والغضاض يوم. وفي « معجم البلدان ، أيضاً : في كتاب « العزيزي » لأبي الحسن المهلبي : بين الأخاديد وأُقر ثلاثون ميلاً ، وهي بين البصرة والكوفة بالبادية ، وبينها وبين سلمان عشرون فرسخاً . وفيه أيضاً : من البصرة إلى عين جمل ٣٠ ميلاً ، ومنها إلى عين صيد ٣٠ ميلاً ، ومنها إلى الأخاديد ٣٠ ميلاً ، وإلى أُقُر ٣٠ ميلاً ، وإلى سلمان ٣٠ ميلاً .

ويظهر أن الأخاديد يطلق على موضعين ، والذي يعنينا ما ذكره ياقوت ، وهو الموضع الواقع بين السلمان وبين لينة هذا الموضع يعرف الآن باسم تَخادِيْد ، ويقع بين ظهرة البطن وبين الحَجْرة ، شمال منهل ازْعَبَلّي – وعنده يلتقي طريق أنصاب – ويسمى درب الخايف – بطريق الحاج المارّ بلينة ولكن المسافة بينه وبين لينة بعيدة (يقع تخاديد بقرب خط الطول ٣٢´/٤٤° وخط العرض ٥٨´/٢٩° بينما تقع لينة بقرب خط الطول ٤٥´/٤٣° وخط العرض ٥٠´/٢٨°) .

الأخَاشِبُ : جِبال سُودٌ قريبة من أجأ ، بينهما رَمْلةٌ ليست بالطويلة[1] .

الأخْبِيَةُ : ورد هذا الأسم في خبر غزوة خيبر ، فيما نقله ابن كثير في « البداية والنهاية » ونصه : قال الواقدي : ثم تحول رسول الله (ص) إلى أهل الأخبية والوطيح والسلالم . ولكن مطبوعة كتاب « البداية والنهاية » كثيرة التحريف والغلط . ولم أر الاسم في غيره .

أخْثَالُ : بالخاء المعجمة بعد الألف وبعدها ألف فلام – قال في « معجم البلدان » : أخثال : قال الزمخشري : هو واد لبني أسد يقال له ذو أخثال ، يزرع فيه على طريق السافرة إلى البصرة ومن أقبل منها إلى الثعلبية ، وذكر في شعر عنترة . وضبطه أبو أحمد العسكري بالحاء المهملة وقال أيضاً : أحثال قال أبو أحمد العسكري : يوم ذي أحثال بين تميم وبكر بن وايل ، وهو الذي أُسِر فيه الحوفزان بن شريك ،

---

(١) كتاب نصر و «معجم البلدان» .

قائل الملوك وسالبها أنفسها ، أسره حنظلة ابن بشر الدارمي التميمي ، انتهى وأورده أيضاً باسم (أحثال) بالحاء المهملة تصحيف .

قال الفرزدق :

ونحن الذين يوم أخثال قرَّنـــوا أسارى بني بكر وفلَّوا الكتائبـــا

وفي يوم أخثال قال الشاعر :

ونحن حفزنا الحوفزان مكبّـــلاً يُساقُ كما ساق الأجير الركائبا

وأقول : وادي أخثال لا يزال معروفاً ، يقع في شمالي التَّيسية شمال الثعلبية ، يدعه طريق الحاج الكوفي المنحدر يمينه عند وصوله إلى بركة العرايش بمسافة تقرب من عشرة أكيال يقع شرق البركة . وأرى أن قول العسكري أنه بالحاء المهملة خطأ ، إذ الوقعات التي حدثت بين بني تميم وبكر بن وائل قريبة من تلك الجهات . (يقع وادي أخثال بين خطي الطول ٣١ ́ ٤٣ ° و ٤٥ ́ ٤٣ ° وبين درجتي العرض ٢٨ ́ ٢٨ ° و ٣٥ ́ ٢٨ °) .

والعامة يسهلون الهمزة في نطق هذا الاسم فيقولون شعيب اخثال ، فيظن السامع أنه (خثال) بدون همزة ، وكذا رسم في إحدى الخرائط [1] .

أخْثَال – أيضاً – : وادٍ آخر يقع في حرة خيبر قال ياقوت : يَديْعُ : ناحية بين فدك وخَيْبر ، بها مياه وعيون لفزارة ، وبني مُرَّة ، بعد وادي أخثال ، قبل ماء هَمجْ (أنظر هذا) .

الأخْرَجَةُ : قال في « تاج العروس » الأخرجة : مرحلة معروفة لون أرضها سواد وبياض إلى الهمزة – وقال في « معجم البلدان » الأخرجة جمع قِلّة للخرج – : ماء على متن الطريق الأول عن يسار سَمِيراء . وفي « المناسك[2] » في تسمية المنازل التي كان الناس ينزلونها بين فيد والمدينة قديماً ، تعرف بطريق الأخرجة وأمياله بالميل الأول : من فيد إلى الأخْرجَةِ سبعة وعشرون ميلاً ونصف . وذكر أيضاً

---

(١) أبحاث جيولوجية ١–٢٠٢ .

(٢) ص ٦١٢ .

أن لحي جمل على ستة أميال من الأخرجة وأن من لحي جمل إلى أرمام خمسة أميالٍ ونصف . وجاء في أرجوزة أوردها أيضاً : بعد ذكر فَيْد :

وسارَ فيمن عمد المدينه ... مُدَّرعاً ثوباً من السكينهْ
حتى إذا لاحتْ بيوت الأخْرجَهْ ... وهي الطريق وعليها المَدْرجه
قالوا : نُقيم ساعةً فنزلوا ... فروَّحوا ركابهم وارتحلوا
وسار حتى جاء (غمر مرزوق) ... في خير طرَّاقٍ وخير مطروق

ومفهوم ما تقدم أن الأخرجة تقع بين فيد وغمر مرزوق أي يمين سَمِيراء لقاصد المدينة ، ومن الأخرجة إلى العُنَابة فبطن الرمة فالرقم (الرقب) .

الأخْضَرُ : منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى ، كان قد نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مسيره إلى تبوك ، وهناك مسجد فيه مصلى النبي ، والأخضر هذا منهل لا يزال معروفاً ، يقع في وادٍ شرقي تبوك وجنوبه ويدعى الأخضر أيضاً والمنهل يقع شرق حرة الرحا[1] (بقرب الدرجة ٢٠ـ٢٨° طولاً و١٠ـ٣٧° عرضاً) أما الوادي فهو أعظم الأودية القريبة من تبوك ، له روافد من الجنوب من حرة الرحا ومن شَرَوْرَى الواقعة شمال تبوك ويقع منهل الأخضر على بعد ٧٠ كيلاً من تبوك في الجنوب .

ويقع الأخضر في منازل طريق الحج من الشام ، وقد يطلق عليه اسم الأخيضر في كثير من كتب الرحلات ، وفيه يقول ابن حَجَلة[2] :

غرفت طعامي بالأخيضر فاغتدى ... يكدّر عيشي رمله حين يركد
فما زالت الزرقاء يبيضُّ وجهها ... ووجهك يا وادي الأخيضر أسود

وقال صلاح الدين الصفدي :

---

(١) قال لي الأستاذ عاتق بن غيث البلادي الحربي : أهل هذه الحرة يقولون : الرها – بالهاء – ولعل هذا هو الأصل وأن كتابة الأسم بالحاء نشأ عن كتابته بحروف لاتينية كذا قال الأستاذ عاتق . ولكنني سمعت كثيراً من بني عطية أهل هذه الحرة يقولون الرحا ويرققون الراء كنطق سكان شمال المملكة ، فلا تبين الحاء ، قوية فيظنها السامع هاء (وانظر حرة الرحا) .

(٢) «العرب» ص ٣٣٨ السنة الثالثة .

عبرنا على وادي الأخيضر عندما حثثنا المطايا واطمأنت مواكبه
وأحسبه أن كان أخضر إنما تلظّى به صبٌّ فخفت جوانبه

وقال :

لمّا ارتقى الركب في وادي الأخيضر في أمن ومنٍّ يغشّي كل إنسان
لم نشك في سيرنا ضيماً ولا ظمأ وصاننا الله أنا ننزل الصاني

وقال السنوسي التونسي – وقد مرَّ الأخضر في المحرم سنة ١٣٠٠ – (الأخضر من المنازل النبوية ، وفيه مسجد بقلعة بناها السلطان سليمان ، وهي قلعة كبيرة . فيها قبر حيدر باباني[1] لأعلى يمين الداخل إليها ، وبها بئر عليه ناعورة تستجيز الماء بعلب من الخشب حامض[2] عذب ، يروى أن أيوب عليه السلام اغتسل في هذه البئر ، وسقط فيها من دُودِهِ . ويقال : إن هنالك مقام الخضر (عليه السلام) ، ولعل ذلك وجه لتسمية المكان بالأخضر ، وأصله الخضر ، وفي خارج القلعة أربع بِرْكات ، وجدنا اثنتين منها مملوءتين ماء في غاية الجودة ، واثنتين معطلتين مملوءتين بالرمل ، وبينهما تاريخ مكتوب في أحد أوجهه اسم السلطان ، وبالوجه الآخر مكتوب أن الذي باشر عمارتها هو الأمير موسى بن محمد بن حسين التركماني ، الحاكم بعجلون . انتهى . وتعليل تسمية الأخضر بالخضر ورد في كلام كثير من الرحالين المتأخرين ، ولكنه تعليل متأخر ، فالمتقدمون لم يذكروا هذا . وسقوط دود من دود أيوب خرافة أخرى نشأت من وجود أرض جنوب الأخضر بقرب (جناين القاضي) ينسبها العامة إلى أيوب النبي (عليه السلام) فيها حجارة يزعمون أن التداوي بها بعد إحراقها يبرىء من القروح والجروح ، ويحوكون ويحكون حولها خرافات ينسبونها إلى داود أورد طرفاً منها هذا الرحالة التونسي .

الأخْضَر – أيضاً ويقال الأخضر الأعلى – من القرى التابعة لمدينة تبوك ، وتقع في أعلى وادي الأخضر ، شرقي الحرّة ، في الجنوب الشرقي من مدينة تبوك بنحو خمسين كيلاً .

---

(١) في المخطوطة (بابا في أعلى) مابه تقرأ .
(٢) كلمة غير واضحة وهذا أقرب .

معجم المطبوعات العربية

المملكة العربية السعودية

— ٤٣ —

محمد خليفة النبهاني :

ولد بمكة عام ١٣٠١هـ وتلقى دروسه عن والده (ينظر) ثم التحق بالمدرسة الصولتية وتخرج فيها ، ثم واصل دراسته بالمسجد الحرام ، وتولّى التدريس ، كذلك قام برحلة عام ١٣٣١هـ إلى البحرين وكان يدرس في كل بلدة ينزل فيها إلى أن وصل إلى العراق فنزل البصرة وعين قاضياً فيها . ولم يزل في القضاء إلى أن توفي سنة ١٣٧٠هـ .

وقد عكف في رحلته على التأليف فوضع اثني عشر كتاباً طبعت بمصر وأعيدت طبعاتها . . .

مؤلفاته .

١ — مونس العرب تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب .

٢ — التحفة النبهانية شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث .

٣ — خلاصة الهيئة النبهانية . . . في إثبات الحركة الشمسية حول الأرض .

٤ — التذكرة النبهانية في أسماء المخترعات العصرية . . . وتعديل بعض الألفاظ العامية .

٥ — قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار .

٦ — الثبت المسمى سلاسل العقيان من أحاديث الشيخ محمد بن خليفة آل النبهان .

٧ — النيران في التاريخ وتخطيط البلدان .

٨ — إرشاد السالك شرح « أوضح المسالك » نظم العمروسي .

٩ ــ الملحة النبهانية شرح المنظومة الشمقمقية .

١٠ ــ ديوان (صغير جداً) .

١١ ــ ثمرات الخرائط في رسم البسائط .

١٢ ــ التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية وهو اثنا عشر جزءاً مزينة بالرسوم : تاريخ الحجاز ، اليمن ، حضرموت ، مسقط وزنجبار ، عُمَان وأبو ظبي ودبي والشارقة ورأس الخيمة وأم القيوين والعجمان ، جزيرة البحرين ، الأحساء والقطيف والعقير والجبيل وقطر ، والكويت ، البصرة والزبير والقرنة والعمارة ، المنتفق وسوق الشيوخ والناصرية وقلعة صالح ، آل الرشيد : حائل والجوف والقصيم ، آل سعود : الرياض والدواسر والخرج والأفلاج ــ عن عمر عبد الجبار ، دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام ص ٢٥٢ــ٢٥٥ .

محمد الدريبي :

(أنظر محمد بن عبد العزيز) .

محمد راسم :

مر في محمد أحمد راسم ، ويبدو أن الأولى أن تذكر التفصيلات هنا لأن اسمه ورد على الكتاب بهذه الصورة (محمد راسم) .

١ ــ الأسس الأقتصادية .

سلفرمان Selver Man تعريب محمد راسم مدير غرفة تجارة جدة (سابقاً) .

جدة ، المؤسسة العربية للطباعة ١٣٨٤ــ١٩٧٤ ، ٥ــ٩٧ــ٣ .

محمد زارع عقيل :

من جازان .

ــ أمير الحب .

قصة تاريخية من العصر الأموي .

جدة ، مطابع الأصفهاني وشركائه ، ٧ــ٩ مقدمة الأنصاري ــ ١٣ ــ ١٥٧ ــ ١٥٩ ــ ١٦٠ ص ص ، د. ت (خبرها في مجلة المنهل شعبان ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م) .

نشرت قبل ذلك مسلسلة في مجلة المنهل – جدة ، ١٣٨٥ – آخر حلقاتها أي السابعة في عدد محرم ١٣٨٦ – ابريل ١٩٦٦ .

٢ – ليلى في الظلام :

قصة اجتماعية هادفة . . القاهرة ، دار الهلال (العربي) ١٣٨٠ – قدم لها عبد القدوس الأنصاري – في أوراقي ، أظنها عن حاشية في مجلة المنهل .

ملاحظة : ذكر المؤلف آثاره المخطوطة على الصفحة ١٦٠ من قصة « أمير الحب » :

١ – الوفاء (مجموعة من قصار القصص نشر منها في المنهل : قلب الأسد ، الفارس الحليم ، عانسة بنت المعلم ، الوفاء ، مناجاة هدد ، جهاد امرأة – سيصدر قريباً) .

٢ – دراسات : تهامة في التاريخ ، اعرف بلادك ، ومقالات – سيصدر قريباً .

٣ – الموهبة الفنية في القصة وفي الأدب العربي – سيقوم بطبعها . . .

محمد الزايدي :

١ – فن كرة القدم .

١٣٨١ (عن شكري : الطائف ، ١٠٦ ص) .

محمد سرور الصبان :

جاء في « وحي الصحراء » : محمد بن سرور الصبان . ولد – بالقنفذة في عام ١٣٢٠هـ وفيها تلقى علومه الأدبية ، ولما نشبت الحرب العثمانية الإيطالية تحولت أسرته إلى مكة فالتحق بمدرسة الخياط ، ثم انصرف إلى الاشتغال بمحل والده التجاري . وفي عام ١٣٣٦ عين كاتب يومية بإدارة بلدية مكة ، ثم رقي إلى وظيفة محاسب ، فرئيس كتاب . ولما شكلت حكومة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم البلدية عام ١٣٤٣ عين بنفس الوظيفة ، ثم انتخب عضواً فسكرتيراً للمجلس الأهلي وعلى أثرها اعتقل ضمن المعتقلين السياسيين وأفرج عنه بعد فتح جدّة ، وعين

معاوناً لأمين العاصمة ، وفي أوائل عام ١٣٤٦ نفى إلى الرياض بتهمة سياسية وبقي مسجوناً إلى موسم عام ١٣٤٧ حيث عفى عنه فأخذ يشتغل بالأعمال التجارية حتى عين رئيساً لقلم التحريرات بوزارة المالية ثم مديراً لإدارتها . . .

أعاد الساسي أكثر هذا الكلام في كتابه « شعراء الحجاز » وزاد : (وقد أجريت بعد ذلك تشكيلات عامة في وزارة المالية ، فتعين وكيلاً مساعداً لوزارة المالية وقد مكث مدة طويلة يعمل في هذه الوظيفة إلى أن صدرت الإدارة السنية الملكية بترفيعه وتعيينه مستشاراً عاماً لوزارة المالية . . . وفي أثناء ذلك . . . صدرت الإدارة الملكية الكريمة بمنحه لقب وزير مفوض . من الدرجة الأولى) .

وأعاد « المنهل » الخاص بأدباء المملكة أكثر الكلام وزاد : (ومنح لقب وزير مفوض من الدرجة الأولى ووكيل وزارة فوزير مالية . . ثم عين أميناً عاماً لرابطة العالم الإسلامي) .

وقد ترجم لنفسه باختصار جداً في كتابه « أدب الحجاز » المطبوع سنة ١٣٤٤ : .

(أنا محمد سرور الصبان ولدت في أواخر سنة ١٣١٦ هجرية في إحدى مدن الحجاز (في القنفذة) وتعلمت القراءة والكتابة والتجويد والحساب فقط لا غير – في جدة ومكة – في المدارس التي كانت موجودة في ذلك الحين ثم تركتها إلى الحياة العملية من غير أن أتمم دروسي ولم أكن في حياتي سعيداً قط . بل على العكس كنت معذباً ولا أزال متألماً ولا أدري هل كتب لي في صحيفة القدر أن أتمم ما بقي من عمري كما أمضيت الشطر الأول منه . أو أن هناك حياة سعيدة تنتظرني من وراء حجب الغيب . . . العمالقة . . .) .

كان في منصب الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي إذ توفي سنة ١٣٩٢–١٩٧٢ عن ثروة طائلة ومكتبة قيمة .

للصبان منذ البداية أهمية كبيرة في الأدب الحجازي الحديث لما شجع وعمل . قال الساسي (هو زعيم الحركة الأدبية منذ نشأتها ، ومن أصحاب الرعيل الأول ...).

وجاء في « المنهل » الخاص بأدباء المملكة : (. . . بتشجيعه المادي والأدبي

للأدباء وبمكتبته التي فتحها بمكة لناشئة الأدب يعتبر الرائد الأول لحركة الأدب الحديث في البلاد) .

هو كاتب ، ناظم ، توقيعه المستعار « أبو فراس » وعد ورثته على لسان ولده عبد الرحمن — في كلمة نشرها في « العرب » — بالمحافظة على مكتبته الثمينة .

في كتابه « أدب الحجاز » ، وفي « وحي الصحراء » وكتاب « شعراء الحجاز » نماذج من شعره ونثره .

ويبدو أن الأعمال العامة والأشغال الإدارية جارت — مع مر الزمن — على الجانب الأدبي منه .

١ — أدب الحجاز .

أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ، طبع على نفقة المكتبة الحجازية بمكة المكرمة — القاهرة ، المطبعة العربية بمصر — شارع المزبن بالموسكي .

الإهداء : إلى شبان الحجاز وناشئته الأدبية . . . مكة المكرمة في ٢٠ رمضان ١٣٤٤ .

وفيه مقدمة تعد وثيقة للوضع الأدبي آنذاك ، مؤرخة ٥ شوال ١٣٤٤ .

الكتاب مقسم إلى قسم المنظوم وقسم المنثور يعرف بالأديب بسطر ويختار له .
٢ — ٣ — ٧ — ٣٣ — ٨٨ + ٢ .

على ظهر الكتاب : المكتبة الحجازية بمكة المكرمة لأصحابها محمد سرور الصبان وإخوانه . . .

يبقى الكتاب مرجعاً على قدم العهد به طبع طبعة ثانية — القاهرة ١٣٧٨ ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ، ١٦٠ ص‌ص ٠ — ١٩٥٨م .

وطبع ثالثة — جدة ، دار الأصفهاني وشركاه ، ١٣٨٣ ، ١٦٠ ص‌ص .

٢ — المعرض

مجموعة آراء في اللغة العربية لأدباء الحجاز طبع في مصر ؟ سنة ١٣٤٥ .

يقول شكري « المعرض » آراء شبان الحجاز في اللغة العربية . مكة المكرمة ومكة المكرمة هنا مكان المكتبة الحجازية وليست مكان الطبع ؟ .

ويبدو أنه طبع ثانية بدلالة الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه « الحركة الأدبية : مؤسسة مكة للطباعة – مكة ١٩٤٥م .

الصبان من أدباء الرعيل الأول ، وهو أديب مؤسس مند العهد الهاشمي وكانت المكتبة التي أسسها باسم المكتبة الحجازية من عوامل النهضة المباشرة لما كان يردها من أنواع الصحف والمجلات والكتب فاتصل الشباب الحجازي عن طريقها بأحدث ما وصل إليه الفكر العربي وخلاصة نتاجه الأدبي وتطور هذا النتاج .

ولا بد من أن يكون قد جمع مادة كتابه وهيأ المختارات في أواخر العهد الهاشمي ولكنه طبع في العهد السعودي .

وإذ حالت اهتماماته في الحياة العامة والتجارة والإدارة دون البقاء في الساحة الأدبية أديباً شاعراً ، فإنه ظل قريباً منها ، ويحيط عدداً من الأدباء برعايته ويبذل المال من أجل تعضيد النشر ، وظل اسمه يتردد في عالم المطبوعات بما ينشر – بين حين وآخر – من كتب على نفقته .

ألف عنه عبدالله عريف (ينظر) كتاباً بعنوان « رجل وعمل في المملكة العربية السعودية » القاهرة ١٩٥٠ .

محمد سعيد أحمد قربان ذو الفقار :

ولد بجدة سنة ١٣٥٩ ، وانتقل إلى مكة وعمل كأبيه مطوفاً ثم انتقل إلى الظهران ، أسس نادياً أدبياً في المنطقة الشرقية باسم نادي الضياء الثقافي . نشر في عدة جرائد ومجلات محلية .

يعمل رئيس قسم في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية .

١ – زيغ وحقائق : (رواسب من الجاهلية الأولى فينا) . ط ١ ، الدمام ، مطابع شركة الخط للنشر والترجمة ، ١٣٨٢هـ . ٧ – ٤٥ – ٥٢ – ١ .

محمد سعيد باعشن :

جاء في « المنهل » الخاص بأدباء المملكة العربية السعودية ص ٩٥٧ : (ولد عام ١٣٥٣هـ ودرس في الفلاح بجدة ، وتخرج منها ، أي فيها) عام ١٣٧٦هـ وأنشأ هو وزميله عبد الفتاح أبو مدين (ينظر) جريدة « الأضواء » الأسبوعية المحتجبة ... وأصدر سلسلة الأضواء الأدبية) .

في الكتاب الخامس من السلسلة الصادر في ١٣٧٨/١٩٥٩ قائمة بحلقات السلسلة الثقافية ، ستٌّ مطبوعة وخمس تحت الطبع ، منها الأخيرتان لمحمد سعيد باعشن : « هؤلاء أو الشياطين » ، « امرأة تتأوّه » وأكبر الظن أن هذين الكتابين لم يصدرا .

وذكر له شكري كتباً مدرسية هي « التعبير الصحيح » ، « المطالعة والمحفوظات » ــ من مقررات الدراسة الإبتدائية .

محمد سعيد الخنيزي :

ولد في القطيف ٧ رجب ١٣٤٣ ، نشر شعره في « صوت البحرين » و « الأديب» و « العرفان » .

جاء في كتاب « الأدب في الخليج العربي » « له آثار مخطوطة . . . أشهرها هذه الدواوين الشعرية الثلاثة : « الأغاريد » ، « ورود الصباح » ، « إليها » .

١ ــ النغم الجريح

شعر ، ط ١ ، ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ٩ ــ ١٤٣ ــ ١ ص ص . القصائد مؤرخة ، أقدمها ١٣٦٥ وأحدثها ١٣٨٠ .

جاء على الغلاف الأخير من الديوان : (تميز . . . بأساوبه الحزين وخياله المجنح ، جمع من شعره ثلاثة دواوين : النغم الجريح ، ورود الصباح ، إليها) ، ولدى مقابلة هذه الأسماء بالأسماء التي وردت في كتاب « الأدب في الخليج » يمكن أن نستنتج أن النغم الجريح هنا كان اسمه المقترح هناك : الأغاريد .

اسمه الكامل : محمد سعيد الشيخ علي الخنيزي .

محمد سعيد الدفتردار :

جاء في « المنهل » الخاص : (ولد بالمدينة المنورة في ١٠ ذي القعدة عام ١٣٢٢هـ... انتقل إلى الشام وبها التحق بمدرسة الصنائع بدمشق ، انتقلت أسرته إلى بيروت فدرس بعض العلوم العربية والدينية . التحق بالأزهر عام ١٣٤٨هـ وتخرج بإجازة التدريس بقسم التخصص عام ١٣٦١هـ .

عاد إلى المدينة وعين معتمداً للمعارف فيها ثم تقاعد . . . أسس عدة مدارس في المدينة . . .) .

١ ــ ذخائر المدينة المنورة في أسمائها وفضائلها وأدعية زيارة آثارها الشريفة . بيروت ، مطبعة الإنصاف ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ٨٤ ص ــ عن شكري .

٢ ــ قصة الأفندي

القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ١٣٨١هـ/١٩٦١م ، ٦ ــ ٣٩ ــ ١ منشورات دار المنهل ــ ٦ (قصتي هذه ليس منزعها الخيال . . . إنها من واقع حياتنا في أواخر القرن الثالث عشر في الحرمين الشريفين حيث كانت المدينة . . . تحكم بحكم عثماني مفكك . . . الأفندي هو أحمد بن عبد الرحمن شاب من أهل المدينة المنورة في العقد الثالث من عمره تعلم تعليماً بسيطاً وورث عن والده تقرير حجاج مقاطعة شبه جزيرة القرم . . . يحب اللهو والمظاهر . . .) ــ اسم المؤلف على القصة : محمد سعيد دفتردار .

ملاحظة : ألف محمد سعيد الدفتردار (بالإشتراك مع أحمد حسن كحيل ، لعله مصري ــ) كتاباً مدرسياً باسم « تاريخ الأدب العربي » في عدة أجزاء (لعلها ستة) ، أملك منها الرابع ، ط ٣ ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، القاهرة ، دار النيل للطباعة ، ٥٠ ص . يتناول ــ فيما يتناول ــ النهضة الأدبية في المملكة ــ يفهم من حاشية ص ٢٧ أنه كان من طلبة البعثات الأولى .

وجاء في « المنهل » الخاص أنه : (يقول الشعر . ألف كتب : تاريخ الأدب والبلاغة و «قصة الأفندي» وقصة أخرى لم تطبع بعد أوله كتب في الأدب ومحاضرات دينية تدرس في القسم التوجيهي .

له كتاب ترجم فيه كثيراً من العلماء والأدباء يعمل به منذ سنوات وسيكون سفراً تاريخياً مهماً) .

محمد سعيد العامودي :

في « وحي الصحراء » : « ولد بمكة عام ١٣٢٣هـ وتعلم في كتاتيبها ، ثم انتظم في سلك مدرسة الفلاح فتخرج فيها في أواخر عام ١٣٣٨ ، وأخذ يشتغل بالتجارة بجانب والده عبد الرحمن العامودي حتى عام ١٣٤٦هـ وفيه توظف بإدارة عين زبيدة ثم استقال منها ، ولما تأسست إدارة الطبع والنشر عام ١٣٤٧هـ تعين فيها ثم استقال في منتصف عام ١٣٤٨ ، وفي عام ١٣٤٩هـ عين سكرتيراً لهيئة التحقيق والتفتيش وفي عام ١٣٥٠ عين رئيساً لقلم التحرير بإدارة البرق والبريد العامة . . . وقد أشرف على تحرير جريدة « صوت الحجاز » عام ١٣٥٢ بضعة شهور » .

وفي « المنهل » الخاص : (. . . اجتمعت لديه مكتبة حافلة بشتى الكتب . .) نشر له مقالات وأبحاث وقصائد في كثير من صحف المملكة ومجلاتها . كما نشرت بعض قصائده في جريدة « الشورى » التي كانت تصدر بالقاهرة وفي مجلتي « المقتطف » و « الهلال » .

اشتغل بعدة وظائف حكومية آخرها عضوية مجلس الشورى خلال الأعوام ٧٢ — ٧٥ — تم تحصل على التقاعد عام ١٣٧٥ . . . يشرف على تحرير مجلة « الحج » منذ عام ١٣٦٩هـ . والآن على تحرير مجلة « رابطة العالم الإسلامي » أيضاً — إنه رئيس تحرير مجلة « التضامن الإسلامي » .

١ — من تاريخنا

ط ١ ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ١٣٧٣/١٩٥٤ ، ٣—٤ : (. . . هذه مقالات وبحوث . . . سبق أن نشر معظمها في مجلة « المنهل » وبعضها في مجلة « الحج » . .) . — مكة المكرمة م.س.ع — ٥ — ١٨ مقدمة عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة « المنهل » : (... العامودي ... في طليعة الرواد بالنسبة للأدب الحديث في هذه البلاد . . . والأستاذ شاعر . . . ولكنه بوصفه رائداً وبنّاء رأى أن الشعر

لم يُخلق في العصر الحاضر ليوجه وليكيّف الأمة إلى هذا الحد البعيد المدى الذي هُيء « النثر » له باتساع آفاقه لأن يجول فيه ، فطاق الشعر قولاً لا ذوقاً ، ونادى بكفرانه به . .) .

لقد ظل الأستاذ يمد الأدب في الصحافة الوطنية بمختلف بحوثه في ميادين الأدب البحت في الفترة الأولى من حياته ، ثم انصرف إلى البحث العلمي . . .) .

موضوعات الكتاب : سياسة المال في عهد عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب والضمان الاجتماعي ، من أوليات عمر ، . . . الموالي . . . من نوادر المخطوطات ، من تاريخ الصحافة في بلادنا ... » .

في « من نوادر المخطوطات » تحدث عن مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي المتوفى سنة ١٣٥٥ وعن كتابه « موائد الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم » .

ينتهي الكتاب ص ١١٥ — ٣ .

ط ٢ (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) منشورات الدار السعودية للنشر (جدة) طبع في لبنان ١٣٨٧/١٩٦٧ ، ٥ ، ٧ — ٨ — ١٧ — ٢٤٤ — ٢٤٦ .

جاء في مقدمة الدار : (منذ أربعة عشر عاماً أصدر استاذنا الفاضل الشيخ محمد سعيد العامودي الطبعة الأولى ... واليوم ، وقد حرصت هذه الدار أن تكون باكورة مطبوعاتها من إنتاج هذا الرعيل الأول من أدبائنا ، فقد طلبنا من الأستاذ الفاضل أن يخصنا بالحاضر من مؤلفاته فلم يسعف الوقت إلاّ بأن يأذن لنا بإعادة طبع هذا الكتاب بعد أن أضاف إليه سبعة فصول جديدة ...) وبقيت مقدمة الأستاذ الأنصاري كما كانت .

ومن الفصول المزيدة حديث عن كتاب محمد عمر توفيق « طه حسين والشيخان» وكتاب الأنصاري « جدة » وعن شاعرين من « شعرائنا في الجيل الماضي » : عبدالواحد الجوهري الأشرم وإبراهيم الأسكوبي .

ملاحظـــات :

(١) ذكر عبدالله عبد الجبار في « التيارات الأدبية ... » أن العامودي يبذل ... جهداً مشكوراً في كتاب عن « تراجم المكيين حتى اليوم » .

(٢) جاء في صفحة أخيرة من الطبعة الأولى من « من تاريخنا » : (قريباً للمؤلف ١ ــ مقالات وكلمات ٢ ــ الذكرى : ديوان شعر ٣ ــ شعراء من الحجاز : تراجم ٤ ــ رامز وأقاصيص أخرى) .

(٣) في مقدمة دار النشر للطبعة الثانية جاء أنه (سيصدر لأستاذنا الفاضل عن هذه الدار قريباً ... كتاب باسم « رؤوس أقلام » يضم آراء عديدة في الأدب وشؤون أخرى) .

(٤) في خبر قرأته سنة ١٩٧١ ، أن الأستاذ العامودي « يحقق كتاب « الدر الكمين في ذيل العقد الثمين » للمؤرخ الفاسي . والكتاب وذيله في تراجم علماء مكة وأدبائها وشعرائها » .

تحدث عن « العقد الثمين » في كتابه « تاريخنا » عن نسخة الشيخ عبد الستار الدهلوي . والعقد طبع في ٨ مجلدات بمصر بتحقيق الأستاذ فؤاد السيد ــ رحمه الله ــ .

محمد سعيد عبد المقصود خوجة :

ولد بمكة وتعلم فيها .

عين مديراً لمطبعة أم القرى وجريدتها ومعنى ذلك أنه رأس تحرير جريدة أم القرى الرسمية . كان يوقع مقالاته باسم « الغربال » ثم انفصلت الجريدة عن المطبعة فظل مديراً للمطبعة إلى أن توفي (بالطائف) ــ عن المنهل الخاص ، وينظر « ماذا في الحجاز » ؟

١ ــ وحي الصحراء

(صفحة من الأدب العصري في الحجاز) ، جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبدالله عمر بلخير (ينظر) ، القاهرة ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي .

فيه مختارات شعرية ونثرية لأدباء الحجاز ــ مع صورهم .

الإهداء : (إلى قادة البلاد العربية والناهضين بها ، إلى جنود الوحدة العربية ودعاتها ، إلى كل من يقدس العرب ويسعى لخيرهم) .

بعد كلمة المؤلفين عن الدواعي إلى التأليف والكيفية ، مقدمة محمد حسين هيكل ، ثم تحية لعلي أحمد باكثير ثم (دراسة) عن (الأدب الحجازي والتاريخ) في ٣٤ صفحة كتبها « محمد سعيد عبد المقصود خوجة — مكة » .

ثم الكتاب ٩٥–٤٠٧ وهو مُهِمٌّ جدّاً وإن لاحظ عليه النقاد ملاحظات ، ورأينا غياب اسم حمزه شحاته ومحمد حسن العواد — وهما أديبان لهما مكانهما البارز جدّاً مما لا يمكن تجاهله .

وعلى الصفحة ٤٠٨ شكر المؤلفين « للسيد الأديب الأستاذ الشاعر علي أحمد باكثير لإشرافه على طبع الكتاب» — ٤١٦ جدول الخطأ والصواب ، د.ت (١٣٥٥هـ) بدلالة ص ٤٤ من كتاب ماذا في الحجاز / ١٩٣٦ بدلالة ص ١٥٥ من (وحي الصحراء) .

ويرى المتتبعون أن محمد سعيد عبد المقصود أكثر عملاً في تأليف الكتاب من عبدالله عمر بلخير ، إذ الكتاب ألف وعبد المقصود يتولى رئاسة تحرير « أم القرى » ، وهو من كبار الباحثين والكتاب في ذلك الوقت ، بينما كان عبدالله تلميذاً لمدرسة « الفلاح » — ثم في السنة الأولى في الجامعة الأميركية ببيروت .

يذكر « المنهل » الخاص أن لمحمد سعيد « مجموعة محاضرات ومقالات » لم تطبعا .

يا حبذا لو علمنا تاريخ ميلاد محمد سعيد . . . وتاريخ وفاته ؟

أعلام « وحي الصحراء » : أحمد إبراهيم الغزاوي ، أحمد سباعي ، أحمد العربي ، أمين بن عقيل ، أحمد قنديل ، حسين خزندار ، حسين سرحان ، حسين سراج ، عبد الوهاب آشي ، عبد القدوس الأنصاري ، عبد الحق النقشبندي ، عبدالله عمر بلخير ، علي حافظ ، عمر صيرفي ، عزيز ضياء الدين ، عبد السلام عمر ، عمر عرب ، عبد الحميد عنبر ، محمد سرور الصبان ، محمد سعيد العامودي ، محمد حسن فقي ، محمد حسن كتبي .

محمد سعيد العوضي :

في « المنهل » الخاص : ولد إبان الحرب الهاشمية السعودية سنة ١٣٤٣هـ بالسودان .

وقد حصل على شهادة الدكتورية في الإقتصاد – يشتغل بالمحاماة . ثم صار وزيراً للتجارة والصناعة ، فسفيراً للمملكة في تركيا . له مقالات في الصحف وأحاديث .

١ – أحاديث

أبحاث ومقالات في السياسة والعلوم والاجتماع صدر الكتاب في السلسلة الثقافية التي تصدرها جريدة الأضواء بجدة ، وقرأت خبر طبعه ، وصدوره في كتاب « أمواج وأثياج » لعبد الفتاح أبو مدين (ينظر) .

محمد سعيد بن حسن بن عبد الله بن عبد الحي كمال

– ولد بالطائف عام ١٣٣٥ وتخرج من مدرستها السعودية الإبتدائية عام ١٣٥١ وأكمل تحصيله بواسطة حلقات المساجد المنتشرة آنذاك وعلى علماء الطائف والوافدين إليه الذين لهم ندوات ومجالس خاصة في بيوتهم للتدريس ونشر العلم . أو ندوات عامة كحلقات الوعظ والتدريس في المساجد فمن مشايخه :

١) الشيخ محمد نوري المارديني قاضي الطائف .
٢) الشيخ عبدالله بن حسن بن ابراهيم آل الشيخ قاضي الطائف أيضاً .
٣) الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيس القضاة .
٤) الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع مدير المعارف سابقاً .
٥) حسن محمد الكتبي مدير مدرسة الطائف السعودية ووزير الحج والأوقاف سابقاً .
٦) محمد زين العابدين عبد الهادي الكتبي مدير المدرسة السعودية في الطائف سابقاً.

– في عام ١٣٥٤ عُيّن مدرساً بمدرسة الطائف وعضواً إدارياً في هيئة إدارة العيون والآبار في الطائف .

– في عام ١٣٦٧ نقل مدرساً بمدرسة الأمراء النموذجية وفي عام ١٣٧٢ عين مديراً للمدرسة السعودية في الطائف ثم وكيلاً للغرفة التجارية فيها .

– في عام ١٣٧٤ استقال واكتفى بتنمية مكتبته التي أسسها عام ١٣٦٧هـ والتي أسماها (مكتبة المعارف) .

- ألف كثيراً من المقررات المدرسية ثم جمع وطبع كتابه المعروف « الأزهار النادية من أشعار البادية » بلغ حتى الآن ستة عشر جزءاً طبع طبعات وهيأ للطبع كتابه « قبيلة ثقيف ورجالها في التاريخ » — لنشره ضمن مطبوعات (النادي الأدبي في الطائف) — كما قام بتأليف كتابه « الطائف — جغرافيته — تاريخه — أنساب قبائله » نشر بعض فصوله في مجلة « العرب » وسيقوم (النادي الأدبي) في الطائف بطبعه قريباً .
- اختير أخيراً ليكون عضواً في لجنة الآثار بالطائف وعضواً مؤسساً للنادي الأدبي بالطائف .

صاحب مكتبة المعارف بالطائف .

١ — الأزهار النادية من أشعار البادية

كتاب مهم جداً في بابه يجمع — كما يدل العنوان — هذا الشعر لكبار أصحابه ، صدر في أجزاء بلغت ثلاثة عشر ، صدر آخرها ١٣٨٠/١٩٦٠ وهو يختلف حجماً وطبعاً عن العشرة السابقة .

فقدت معلوماتي التفصيلية عن كل جزء وأحتفظ بما خص الثاني والثالث .

ج ٢ ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، د.ت ، ١ ، ٥—١٥٤—١٦٠ ، الناشر : مكتبة المعارف ، تحوي أشعار مخلد القثامي ، حمزة الغالبي ، عوض الله الزايدي ، عوض الله أبو زيد ، عطية الحارثي ، محمد سعيد الذويبي ، ... وعشرات غيرهم .

من المقدمة : « هذا الجزء الثاني ... أدخلت عليه بعض الرسوم ...» الطائف — محمد سعيد كمال .

ج ٣ ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، د.ت ، ١ ، ٥ — ١٠٣ — ١٠٨ يحوي نبذة عن تاريخ حائل ، أنساب شمر ، آل الرشيد ، أشعار عبيد العلي الرشيد ، حمود العبيد الرشيد ، زيد الخوير راعي قفار ، زيد الخشيم راعي قفار ، دغيم الظلماوي وغيرهم .

« تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع خاص بأشعار النابغة الموهوب عبدالله بن سبيّل » .

تبلغ المختارات لعدد كبير من الشعراء بما يمكن أن يكون ديواناً مستقلاً » .

ويمكن القول أن الأجزاء الأخرى طبعت كلها في القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، د.ت .

يا حبذا لو زودت المعلومات التفصيلية فيما احتوى كل جزء وما شمل الشعراء الكبار من الصفحات .

٢ — الأمالي

(الإملاء للمدارس) ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ٨٠ ص — ٤ .

٣ — الإنشاء

في المراسلات والوثائق ، ط ٩ ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٠٣ ص .

محمد سعيد المسلم :

ولد في القلعة — القطيف عام ١٩٢٥ ونشأ فيها وتلقى تعلمه ثم غادرها إلى بغداد عام ١٩٥١ وأكمل ثقافته .

ثم عاد إلى بلاده ١٩٦٠ وعمل في فرع الدمام لبنك الرياض ، ثم ... نشر معظم نتاجه الشعري في مجلات « العرفان » و « الأديب » و « الكتاب » و « صوت البحرين».

١ — ساحل الذهب الأسود

(دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي) .

بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٨٢/١٩٦٢ ، ٢٨٤ ص (كتب مقدمته حمد الجاسر) .

٢ — شفق الأحلام

ديوان شعر . بيروت ، مطبعة دار الكتب ، د.ت.، ٧ — ١٢٢ ، الطبعة أنيقة .

محمد سلطان المعصومي الخجندي :

ويرد اسمه على مؤلفاته : أبو عبد الكريم محمد سلطان ابن أبي عبدالله محمد أورون المعصومي الخجندي المكي وأبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن أحمد سلطان .

وترد عنه أحياناً زيادة على ذلك : السلفى ، الحنفي ، المهاجر ، المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث المكية (ولم أجد له ترجمة في كتاب عمر عبد الجبار — دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام) .

جاء في كتابه الذي جمع « هدية المهتدي ... يليه « حبل الشرع المتين » ... ثم يليه « عقد الجوهر الثمين » .

(شرع في تأليفه عام ١٣٢٨ وختم في ١٣٣٠هـ في مولدي بلدة حجندة من بلدان ما وراء النهر المطابق لـ ١٩١١ ...) .

وجاء على ص ٢١٣ من المجلد : (قال الفقير ... وقد تم نقله عن النسخة الأصلية في ١٣٧٥ في مكة وكان بين النقل والتأليف ٤٥ عاماً) .

إني بعدما رجعت من الحرمين ومصر والشام في ١٣٢٧ ، إلى مولدي بعد أن حصلت العلوم هناك ... ضاعت آثاري في فتنة البلاشفة ... (ونجوت إلى الصين ومن الصين توجهت إلى الحجاز) .

واستعرض ولده عبد الرحمن المعصومي (بالطائف) على ص ٢١٩ — مؤلفاته وعدد منها عشرين مطبوعاً (كان ذلك سنة ١٣٧٥) وأكثر من سبعين مخطوطة منها : اللطائف في شؤون الطائف . وقال إن والده ألف باللغات الثلاثة : الفارسية حينما كان في بلاد ما وراء النهر ، وبالتركية الأوزبكية في فرغانة ، وبالعربية أغلب مؤلفاته .

١ — أوضح البرهان في تفسير أم القرآن

(سورة الفاتحة) ، ط ١ ، مطبعة أم القرى بمكة ١٣٥٧/١٩٣٨ ، ٤١٤ ص .
اسم الكتاب الكامل « كتـــاب أوضح البرهان ... » اسم المؤلف : أبو عبد الكريم

محمد سلطان بن أبي عبدالله محمد أورون المعصومي الخجندي المكي المدرس في المسجد الحرام – طبع على نفقة الملك عبد العزيز .

٢ – البرهان الساطع في تَبرؤ المتبوع من التابع

القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٥/١٩٤٦ ، ٥٢ ص .

اسم الكتاب الكامل : « رسالة البرهان ... » .

اسم المؤلف : أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن محمد سلطان ... المعصومي الخجندي ثم المكي المدرس في المسجد الحرام .

٣ – تحفة الخواص في تفسير معاني آية الكرسي والمعوذتين والاخلاص

ألفها سنة ١٣٦١ ، ط . القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٧٥ .

بدليل القائمة التي ذكرها ولده عبد الرحمن وقال : إنه مما طبعه تلاميذه مع كتابه « القول السديد في تفسير سورة الحديد » الذي ألفه في بلاده باللغة التركية .

٤ – تحفة السلطان في وتر رمضان

ط ١ ، مكة ، مطبعة أم القرى ، ١٣٥٧/١٩٧٨ (فرغ من تحريرها ١٣٥٦) .

طبع على نفقة الملك عبد العزيز ، ٣ – ٦٨ – ترجمة وتقريظات ٨٣ .

اسم الكتاب الكامل : رسالة « تحفة السلطان » .

اسم المؤلف : أبو عبد الكريم محمد سلطان المعصومي الخجندي السلفي المهاجر المدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث المكية – جمع .

٥ – تمييز المحظوظين عن المحرومين

ط ١ ، القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٦٨ / ١٩٤٩ ، ٢٣١ ص .

المحظوظون هم المسلمون الأولون من الصحابة والتابعين .

المحرومون : المتأخرون الذين فرقوا دينهم شيعاً .

المؤلف : أبو عبد الكريم وأبو عبد الرحمن ... المكي المدرس بالمسجد الحرام .

٦ – تنبيه النبلاء من العلماء إلى قول حامد الفقي إن الملائكة غير عقلاء

القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٤ .

من ص ٣–٢٧ تنبيه ... – ٢٨ تكميل وإيضاح – ٣١–٤٠ رسالة القول الفصل

في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل لجامعها محمود شويل المدني ، ٤٢–٥٧
رسالة الردّ الوفي ؟ على تعليقات الفقي .

نشر الفقي مقاله في العدد السادس . ج ٢ سنة ١٣٦٨ من مجلة « الهدي النبوي » التي يصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر .

شكٌّ في ضبط كلمة الوفى ؟

٧ – حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد
حررها حال وروده من بلدة بمبي الهند ... سنة ١٣٥٥ (في الطائف) .

القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٥٦ ، ٣–٩٧ – ٩٧ ص + ٢ .
بما في ذلك الصفحات التي ذيل بها الكتاب في مختصر ترجمة حاله .

اسم الكتاب الكامل : هذه رسالة حكم الله ...

اسم المؤلف : أبو عبد الكريم محمد ... الحنفي السلفي ... المدرس بمدرسة دار الحديث المكية – والمسجد الحرام .

٨ – حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين
ينظر هدية المهتدين .

٩ – الرد الواقي على تعليقات حامد الفقي
القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٧٤ طبع مع تنبيه النبلاء ...
شك في ضبط كلمة « الواقي » .

– رسالة :
ينظر البرهان الساطع
تحفة السلطان
حكم الله الواحد الصمد
مفتاح الجنة

١٠ – شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين.

ج ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٧٥/١٩٥٦ ، على نفقة الشيخ عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١١ — عقد الجوهر الثمين

ينظر هدية المهتدين

١٢ — العقود الدرية السلطانية فيما ينسب إلى الأيام النيروزية

ألفها عام ١٣٢٦ حينما رجع من الحرمين إلى مولده ورأى فيها من البدع ... ثم أرسلها إلى مصر فطبعت في المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٨ .

— كتاب : ينظر أوضح البرهان .

١٣ — ماطبعه ونشره في مجلة الحج من المقالات المفيدة

قريباً من ثلاثين مقالاً (من عام ١٣٦٥ إلى عام ١٣٧٤) طبع بمطبعة الحكومة في مكة ... هكذا روى الخبر ولده عبد الرحمن في قائمة الكتب التي أثبتها في آخر كتاب هدية المهتدين .

١٤ — مختصر ترجمة محمد سلطان

كتبه مقدمة لتفسيره أم القرآن (ينظر أوضح البرهان) في زمان اصطيافه بالطائف عام ١٣٥٥ ثم طبعه وجعله ذيلاً لحكم الله الواحد الصمد (ينظر) وفيه نبذة من وقائع بلاد توركستان ومظالم البلاشفة اللادينية — عَدَّهُ ولده عبد الرحمن مؤلفاً مستقلاً لدى تعداده مؤلفات والده في آخر كتاب هدية المهتدين (ينظر) . واختلفت أوراقي في تحديد صفحاته وقد تكون من ٤٤—١٠٠ أي بعد أن ينتهي كتاب « حكم الله الواحد الصمد » .

١٥ — المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية في المدينة الطيبة .

ط ١ ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٨/١٩٤٩ ، ٤٨ ص .

١٦ — مفتاح الجنة لا إله إلا الله أو مفتاح دار السلام

تم سنة ١٣٦٣ . ط. القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي ٣٥—٢—١ .

الاسم الكامل : رسالة مفتاح . . . ذكر ولده عبد الرحمن أن تاريخ طبعه بالقاهرة سنة ١٣٦٥ .

١٧ — هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان

ط ١ ، القاهرة ، مصطفى البابي ، ١٣٦٨/١٩٤٩ ، ٥٦ ص (يبيّن الإسلام

وحقيقته وآراء أهل العلم وأفهامهم في اتخاذ كيفية المذاهب على أصحابها) .

١٨ ــ هدية المهتدين في مقدمة حبل الشرع المتين .

يليه : حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين .

يليه : عقد الجوهر الثمين في تكملة حبل الشرع المتين .

القاهرة ، المطبعة السلفيّة ، ١٣٧٥ ــ المجموع ٢٤٣ ص .

الهدية ١٦ ، الحبل ١٧ ــ ٢٣٢ ؟ العقد ٢٣٢ ــ ٢٤٤ .

شرع في تأليفه عام ١٣٢٨ وختم في ١٣٣٠ المطابق ١٩١١ في خجندة وقد تم نقله بمكة سنة ١٣٧٥ .

ــ هذه رسالة حكم الله الواحد الصمد ــ ينظر : (حكم الله) .

ملاحظة : من الكتب التي ألفها بالتركية ما ذكره ولده عبد الرحمن :

١ ــ القول الحنيف في بيان بيتي شريف . طبع في مطبعة بورسوف في تاشكند ١٣٣٠ .

٢ ــ تحفة الأبرار في بيان فضائل سيد الاستغفار ، منظومة بالتوركية . مطبعة الحكومة الصينية في بلدة كوره ١٣٥٠ .

محمد بن سليمان التميمي :

١ ــ مبادىء الإسلام

نقله إلى الإنجليزية أحمد جلال ومحمد غالي . الرياض ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد ١٣٨٣هـ ٢٣ ص . يشتمل الكتاب على النص باللغة العربية وترجمته باللغة الإنجليزية ــ عن شكري .

محمد بن سليمان حسب الله :

الشيخ ... مكة ١٢٤٤ــ١٣٣٥ له الرياضة البديعة في أصول الدين وبعض فروع الشريعة ــ مطبوع . وفيض المنان شرح فتح الرحمن .

محمد بن سليمان الفوزان :

١ ــ الإرشادات الطبية في اللغة العربية

٨٠ ص .

افتخار الحرمين

مساجلة بين شعراء ثلاثة من مكة والمدينة وجدة

ازدهر الشعر الحجازيُّ في صدر الإسلام وفي العهد الأموي ، ثم أدركه الضعف بحيث أصبح الباحث لا يجد منه سوى مقطوعات أو قصائد من النظم الضعيف ، في خلال حقبة طويلة من الزمن منذ قيام الدولة العباسية وانصرافها عن الجزيرة العربية كلها ، باستثناء شعر البادية مما نجد طرفاً منه في « نوادر الهجري » .

ومن الشعر الهزيل هذه المساجلة الشعرية التي وقعت بين شعراء — إن صح وصفهم بهذا — من مكة ومن المدينة ومن جدة — في أول العهد العباسي — بين سنتي ١٩٣ و١٩٦ أثناء ولاية داود بن علي الحجاز [١] ، وهي لا تُمِدُّ دارسي الأدب بجديد سوى إيضاح التحول السريع في حالة شعر هذه البلاد من القوة إلى الضعف في زمنٍ قصير . وهذا ما دعا إلى نشرها ، فالنصوص التي يجب أن تقوم عليها دراسة الأدب في بلادنا في العهد العباسي وما بعده لا تزال ناقصة .

وموضوع المساجلة من الموضوعات التي شُغِل بها العلماء منذ عهد قديم ، فعالم الحجاز الزبير بن بكّار المتوفي سنة ٢٨٦هـ يقول [٢] : (صنّف بعض أهل المدينة في المدينة كتاباً ، وصنف بعض أهل مكة في مكة كتاباً ، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة ، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بها حتى برز المدني على المكي في خلة واحدة عجز عنها المكي ، وهي أن المدني قال : إن كل نفس خلقت من تربته التي يدفن فيها بعد الموت ، وكانت نفس الرسول صلى الله عليه وسلم إنما خلقت من تربة المدينة ، فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض) .

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٢) «وفاء الوفاء» ص ٣١ ، الطبعة الثانية (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) .

ولا أدري ما هو أساس القول بأن نفس كل امرىء خلقت من تربته التي يدفن بها بعد الموت . ولا أعرف في الشرع ما يؤيّده ، وليس المجال مجال التفاضل بين المدينتين الطيبتين الطاهرتين [1] ، والتنافس والتفاخر ليس خاصّاً بهما . قال الجاحظ [2] : (والكتب الموضوعة في محاجة أهل الشام لأهل العراق ، وأهل الكوفة لأهل البصرة ، وأهل الجزيرة لأهل الشام وبغداد والبصرة ، وهذا الشكل أهون من محاجّة أهل المدينة لأهل مكة ، والحسنية للحسينية ، والمهاجرين للأنصار ، على ما في هذا من الخطأ ، فإن الله سبحانه لم يُفرق في القرآن بين المهاجرين والأنصار) . انتهى . بل التفاخر عامٌّ بين الأبيض والأسود والذكر والأنثى . ومنه ما ورد الشرع بالنهي عنه وهو ما يثير الأحقاد ويبعث البغضاء في النفوس . وليس في إيراد الأخبار التاريخية التي مضى زمنها ، وذهب أهلها ما هو من هذا القبيل .

ويظهر أن هذه المفاخرة من زيادات الخزاعي التي أضافها إلى تاريخ مكة للأزرقي ، لأنها توجد في كثير من مخطوطات هذا الكتاب هي ورسالة المهدي إلى أهل مكة ، ورسالة الحسن البصري في فضل مكة ، والسند الذي روبت به تلك المناظرة هو السند الذي وصل إلينا به تاريخ مكة للأزرقي [3] .

وقد أوردها مسلم بن محمود الشيزري المتوفي سنة ٦١٧ [4] تقريباً في كتابه « جمهرة الإسلام ، ذات النثر والنظام [5] » سوى قصيدة العجلي . وقال : (وليس هذا الشعر من شرط هذا الكتاب الذي وضعناه ، وإنما كتبنا الخطاب والجواب لشرف الحرمين) — الورقة ٩٨ — وها هو نصُّ المفاخرة :

---

(١) للسبوطي رسالة سماها « الحجج المبينة ، في التفضيل بين مكة والمدينة » منها نسخة مصورة في مكتبة جامعة الرياض لعلي بن يوسف الزرندي المدني مقامة بعنوان « مناظرة الحرمين ومفاضلة المحلين » أوردها صاحب كتاب «نزهة الجليس » ج ١ ص ٦٣ الطبعةالثانية ، والمؤلف من كبار علماء عصره .

(٢) «الروض المعطار» — رسم البصرة —

(٣) قابل بين سند المساجلة وبين سند تاريخ مكة للأزرقي ج ١ ص ١ طبعة مكة المكرمة بتحقيق الأستاذ رشدي الصالح ملحس —رحمه الله— .

(٤) تاريخ ابن خلكان ٢٠٧/١ ترجمة طغتكين بن أيوب .

(٥) مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ٩٢٢٣ أدب ومنها مصورة في المكتبة السعودية في الرياض ، وكتب عنها الأستاذ خليل مردم رحمه الله بحثاً ضافياً في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٣ ص ٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

افتخار الحرمين المحروسين مكة والمدينة

أخبرنا الشيخ الثقة أبو علي الحسن بن خلف بن هبة بن قاسم الشامي[١] ، قال ثنا[٢] أبي أبو القاسم خلف بن هبة بن قاسم الشامي – رحمة الله عليه . قال : قرأ علي الشيخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن فراس العبقسي[٣] من لفظه قال : ثنا أبي أحمد بن إبراهيم بن فراس العبقسي[٤] قال : ثنا أبو محمد فراس العبقسي[٥] ، ثنا أبي قال : حدثنا أبو محمد إسحاق بن نافع الخزاعي[٦] ، أخبرني ابراهيم بن عبد الرحمن المكي ، عن محمد بن العباس المكي قال : أخبرني بعض مشايخ المكيين أن داود بن عيسى بن موسى لما ولي مكة والمدينة أقام بمكة وولي ابنه سليمان بن داود[٧] ، فأقام بمكة عشرين شهراً فكتب إليه أهل المدينة . وقال الزبير بن بكار[٨] : كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق[٩] يسأله التحرك

---

(١) من علماء الشام وأقام بمكة سنة ٤٢٠ وما حولها – كما يفهم من سند روايته لرسالة الحسن البصري في فضل مكة ونص السند : (رواية الشيخ الصالح أبي منصور طاهر بن العباس المروزي : أخبرنا أبو القاسم خلف بن هبة بن قاسم الشامي رحمة الله عليه سنة سبع وخمسين وأربع مئة قال : أخبرنا الشيخ الصالح أبو منصور طاهر بن العباس المروزي بمكة حرسها الله في المسجد الحرام قراءة عليه فأقر به إقراراً صحيحاً وأنا سألته فقال نعم في شهور سنة عشرين وأربعمائة) إلى آخر السند .

(٢) ثنا : حدثنا .

(٣) توفي بمكة سنة ٤٢٢ «العقد الثمين» ٦٦/٤ .

(٤) أنظر «العبر» ٨٩/٣ و «العقد الثمين» ٣/٣ و «الأنساب» للسمعاني ٣٩٠/٦ قال الفاسي : هو مسند الحجاز في زمنه ولد سنة ٣١٢ وتوفي سنة ٤٠٥ .

(٥) لعل الصواب : أبو محمد ابراهيم بن (أحمد بن علي بن) فراس وهذا ترجمه الفاسي في «العقد» ٢٠٠/٣ وذكر أنه توفي سنة ٣٤٤ وهو أبو أحمد المتقدم ذكره .

(٦) ترجمه الفاسي في «العقد» : ٢٩٠/٢ وذكر أنه حدث بتاريخ مكة للأزرقي وأنه توفي سنة ٣٠٨ وأثنى عليه .

(٧) هو ابن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أمير الحرمين من سنة ١٩٣ إلى ١٩٩هـ .

(٨) هو أمير المدينة من قبل أبيه .

(٩) ولد سنة ١٧٢ في المدينة وتوفي فيها سنة ٢٥٦ .

إليهم ، ويعلمونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة ، وأهدى له في ذلك شعراً قاله شاعرهم يقول فيه :

أداود قد فُـزْتَ بالمكرمـاتْ ... وبالعدل في بلـد المصطفـى
وصرت ثِمَـالاً لأهل الحجَازْ ... وسرت بسيرة أهـل التقَـى
وأنـت المهذب من هاشـم ... وفي منصـب العـزّ والمرتجـى
وأنـت الرضا للذي نابهـم[1] ... وفي كل حالك وابـن الرضـا
وبالفيء أغنيـت أهل الخصاص ... فعدلك[2] فينـا هو المنتهَـى
ومكـة ليست بـدار المقـام ... فهاجِرْ كهجرة منْ قد مضـى
مقامك عشريـن شهراً بهـا ... كثيرٌ لهم عند أهـل الحجَـى
فصُمْ ببـلاد الرسـول الـتي ... بها الله خصَّ نـبيَّ الهـدى
ولا يلفتِنّـك[3] عن قربـه ... مشيرٌ مشورتـه بالهـوى
فقـبر النّـبيِّ وآثـاره ... أحقُّ بقربـك من ذي طـوى

قال : فلما ورد كتابه والأبيات على داود بن عيسى أرسل إلى رجال من أهل مكة فقرأ عليهم الكتاب ، فأجابه رجل منهم يقال له عيسى بن عبد العزيـز العسليوس[4] بقصيدة يرد عليه ، ويذكر فيها فضل مكة وما خصَّها الله تعالى من الكرامة والفضيلة ، ويذكر المشاهد والمناقب فقال :

أداود أنـت الإمـام الرضـا ... وأنت ابن عـم نـبيِّ الهـدى
وأنت المهذَّب من كل عيـب ... كبيراً ومن قبلـه في الصِّبَـا
وأنـت المؤمـل من هاشـم ... وأنت ابنُ قومٍ كرام تُقَـى
وأنت غياث لأهـل الخصـاص ... تبيـد خصاصتهـم بالغـنى

---

(١) في «جمهرة الإسلام» : للذي نابه .
(٢) وفيها : وعدلك .
(٣) وفيها : ولا يلقينك .
(٤) في الأصل : كتاب .
(٥) العسليوس ليس في «جمهرة الإسلام» .

أتاك كتاب حسود جحود ... اسا في مقالته واعتدى
يخير[1] يثرب في شعره ... على حرم الله حيث[2] ابتنى
فإن كان يصدق فيما يقول ... فلا يسجدَنَّ إلى ها هنا
وأي بلاد تفوق أمّهَا ... ومكة مكة أمُّ القرى[3]
وربي دحا الأرض من تحتها ... إلى يثرب[4] لا شكَّ فيما دحَى
وبيت المهيمن فينا مقيم ... يُصلّى إليه برغم العِدَا
ومسجدنا بَيِّنٌ فضلُهُ ... على غيره ليس في ذا مِرَا
صلاة المصَلِّي تُعَدُّ له[5] ... مِئِينَ ألوفاً صلاة وفَى
كذاك أتى في حديث النبي ... وما قال حقٌّ به يُقتَدَى
وأعمالكم كل يوم وفود ... إلينا شوارع مثل القطا
فيرفع منها إلاهي الذي ... يشاء ، ويترك ما لا يشا
ونحن تحجُّ إلينا العباد ... ويرمون شُعْثاً بوتر الحصا
ويأتون من كل فجٍّ عميق ... على أيْنُقٍ ضمّرٍ كالقنا
ليقضوا مناسكهم عندنا ... فمنهم شَتَاتٌ ومنهم معَا
فكم من مُلَبٍّ بصوت حزين ... يرى صوته في الهوى قد علا
وآخر يذكر ربَّ العباد ... ويثني عليه بحسن الثنا
فكلهمُ[6] أشعثٌ أغبر ... يَؤُمُّ المُعَرَّف أقصى المدَى
يظلُّون يومهمُ كلّهُ ... وقوفاً على الجبل حتى المسا

---

(١) في «جمهرة الإسلام» : يشرف .
(٢) وفيها : حين .
(٣) هذا البيت وثلاثة بعده ليست في « الجمهرة » .
(٤) هذا الشاعر أساء حيث سماها يثرب الذي ورد النهي عن إطلاقه على المدينة الطيبة .
(٥) في «جمهرة الإسلام» :
صلاة المصلي في مكة ... تعد ألوفاً صلاة وفا
(٦) فيها : فكلهاً .

حُفاةً ضُحَاة قياماً لهم ... عجيج يناجون[1] ربَّ السما
رجاءً وخوفاً لما قدموا ... وكلٌّ يُسائِل[2] دفع البلا
يقولون : يا ربنا اغفر لنا ... بعفوك ، والصفح عمّن أسا
فلما دنا الليل من يومهم ... وولّى النهار أجدُّوا البكا
وسار الحجيجَ لهم رَجّةٌ[3] ... فحلُّوا بِجَمْعٍ بُعيد العشا
دعوا ساعةً ثم شدُّوا النُّسوع ... على قُلُصٍ ثم أمُّوا مِنَى
فمن بَيْنِ من قد قضى نسكه ... وآخر يبدا بسفك الدِّما
وآخر يهوي إلى مكة ... ليسعى ويدعوه[4] فيمن دعا
وآخر يرمُل حول الطواف ... وآخر ماضٍ يؤمُّ الصفا
فأبوا بأفضل مما رجوا ... وما طلبوا من جزيل العطا

* * *

وحجَّ الملائكة الأكرمون ... إلى أرضنا قبلُ فيما مضى
وآدم قد حجَّ من بعدهم ... ومن بعد أحمد المصطفى
وحجَّ إلينا خليل الإله ... وهجر بالرَّمي فيمن رَمَى

* * *

وهذا لعمري لنا رفعة ... حبانا بهذا شديد القُوَى

* * *

ومنّا النبيُّ نبي الهدى ... وفينا تَنَبَّا[5] ومنّا ابتدا
ومنا أبو بكرٍ ابن الكرام ... ومنا أبو حفص المرتجى
وعثمان منّا فمن مثله ... إذا عدَّد الناسُ أهل التُّقى ؟

---

(١) فيها : ينادون .
(٢) فيها : ترى الكل يسأل .
(٣) في «جمهرة الإسلام» : وسار الجميع لهم وجهة .
(٤) فيها : ليسمى ويدعو في من دعا .
(٥) يقصد : نبأه الله .

ومنّـــا علي ومنـــا الزبـــير ... وطلحـــة[1] منّـــا وفينـــا نشـــا
ومنّا ابن عباس ذو المكرمـــات ... نسيب النبي وحلْـــف النّـــدَى
ومنّـــا قريش وآباؤهـــــا ... فنحـــن إلى فخرنـــا المنتهـــى
ومنـــا الذين بهم تفخـــرون ... فلا تفخرون[2] علينـــا بنـــا
ففخـــر أولاء لنـــا رِفعـــة ... وفينا من الفخـــر ما قـــد كفـــى

* * *

وزمزم والحِجْر فينـــا فهـــل ... لكم مكرماتٌ كمـــا قدْ لَنَـــا
وزمزم طُعْمٌ وشرب لمـــن ... أراد الطعام وفيه[3] الشفـــا
وزمزم تنفي همـــوم الصـــدور ... وزمزم من كـــل سقـــم دوا
ومن (؟) جاء زمزم من جائـــع ... إذا ما تضلّع[4] منها اكتفـــى
وليست[5] زمزم في أرضكـــم ... كما ليس نحـــن وأنـــتم ســـوا
وفينا سقايـــة عمِّ الرســـول ... ومنهـــا النبي امتـــلا وارتـــوى
وفينـــا المقـــام فأكـــرم بـــه ... وفينـــا المحصَّـــب والمختبـــا
وفينـــا الحجـــون ففاخر بـــه ... وفينـــا كَدَاءٌ[6] وفينا كُـــدَا
وفينـــا الأباطح[7] والمروتـــان ... فَبَخْبِخْ فمن مثلنا يا فتـــى ؟ !
وفينا المشاعـــر منشـــا النـــبي ... وأجيـــاد والركـــن والمتّكا
وفيه اختبـــاء[8] نبيّ الألـــه ... ومَعْهُ أبو بكـــر المرتضـــى
فكم بين أُحْدٍ إذا جاء فَخْرٌ ... وبين القُبَيْسي فيما نـــرى

---

(١) في الأصل : (الزبير فينا وفينا ومسا انتشا) وما هنا عن «جمهرة الأسلام» .
(٢) في «الجمهرة» : فلا تفخرن .
(٣) في الأصل (وفينا) وما هنا عن «الجمهرة» .
(٤) في الأصل (تطلع) .
(٥) في «الجمهرة» : وليست كزمزم – وبه يستقيم الوزن – .
(٦) في «جمهرة الإسلام» : وفينا كدي .
(٧) في الأصل (الأبطح) وما هنا من «جمهرة الإسلام» .
(٨) في الأصل (اختبى) وما أثبتناه من «الجمهرة» .

وبلدتنا حرم لم تزل ... محرَّمة الصيد فيما خلا
ويثرب كانت فلا تكذبنَّ ... حلالاً فكم بينَ هذا وذا
فحرَّمها بعد ذاك النبيُّ ... فمن أجل ذالك[1] جاذا كذا
ولو قتل الوحش في يثرب ... لما فُدِي الوحش حتى اللقا
ولو قتلتْ عندنا نملة ... أُخِذْتُمْ بها أو تؤدُّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبي ... لكنتم كسائر من قد نرى
وليس النبيُّ بها ثاوياً ... ولكنه في جنان العُلَى
فإن قلتَ قولاً خلاف الذي ... أقول فقد قلتَ قول الخطا[2]
فلا تفحشنَّ علينا المقال ... ولا تنطقنَّ بقول الخنا
ولا تفخرنَّ بما لم يكن ... ولا ما يشينك عند الملا
ولا تَهْجُ بالشعر أرض الحرم ... وكفَّ لسانك عن ذي طوَى
وإلا فجاءك ما لا تريد ... من الشتم في يثربٍ والأذى
فقد يمكن القول في أرضكم ... بسبٍّ العقيق ووادي قنا[3]

فأجابه[4] رجل من بني عجل ، ناسك كان مقيماً بجدة مرابطاً فحكم بينهما فقال :

إنّي قضيت على اللذين تماريا ... في فضل مكة والمدينة فاسألوا
فلسوف أخبركم بحقٍّ فافهموا ... فالحكم حيناً قد يجور ويعدلُ
فأنا الفتى العجلي جدة مسكني ... وخزانة الحرم الذي لا يجهلُ

---

(١) في الأصل (فمن أجل ذاك) وما هنا من «الجمهرة» .
(٢) في «الجمهرة» : كل الخطا .
(٣) في «الجمهرة» : قبا .
(٤) من هنا ليس في «جمهرة الإسلام» . ولم أر لهذا الشاعر العجلي الجدي ذكراً وهناك شاعر جدي – من جدة – عاش الزمن الذي جرت فيه المساجلة اختلف في اسمه فقيل عبدالله بن يوسف ، وقيل الحجاج بن يوسف التيمي ، ذكره صاحب «الأغاني» في ترجمة أشجع السلمي ، وذكره ابن جرير وابن الأثير وغيرهما في التاريخ في حوادث سنة ١٨٧ وأوردوا له القصيدة المشهورة : يخاطب الرشيد – :

نقض الذي أعطيته نقفور ... فعليه دائرة البوار تدور

وبها الجهاد مع الرباط وإنهـــا ... لبها الوقيعــة لا محالة تنــزل
من آل حامٍ في أواخــر دهرها ... وشهيدها بشهيد بَدْرٍ يُعــدلُ
شهداؤنا قد فضلــوا بسعــادة ... وبها السرور لمن يمــوت ويُقتل

* * *

يا أيها المدنيُ أرضك فضلهـــا ... فوق البلاد وفضل مكــة أفضلُ
أرض بها البيت المحرَّم قبلــةٌ ... للعالمين له المساجــد تُعْــدَل
حَرَمٌ حرام أرضهــا وصيودها ... والصيد في كــل البلاد محلــل
وبها المشاعر والمناســك كلهــا ... وإلى فضيلتها البريّةُ ترحــل
وبها المقام وحوض زمزم مربعــا ... والحجر والركن الذي لا يزحــل
والمسجد العالي الممجّدُ والصفــا ... والمشعران لمــن يطوف ويرمــل
هل في البلاد محلــة معروفــة ... مثل المُعَرَّف أو محلٌ يحلل ؟ !
أو مثل جَمْعٍ [1] في المواطن كلها ... أو مثل خيف منىً بأرض مَنْزِلُ ؟
تلكم مواضع لا يرى محرابها [2] ... إلا الدماء ومحــرمٌ ومحلــل
شرفاً لمن وافى المعرَّف صعة [3] ... شرفاً له ولأرضه إذ ينــزل
وبمكة الحسنات يضعف أجرهــا ... وبها المسيء عن الخطيئة يُســألُ
يجزي المسيء عن الخطيئة مثلهــا ... وتضاعَف الحسنات منه وتقبل
ما ينبغي لك أن تفاخِر يا فــتى ... أرض بها وُلِد [3] النبي المرسلُ
وبها أقام وجاءه وحــي السمــا ... وسرى به الملــك الرفيع المنزل
ونبوة الرحمــن فيهــا أنزلت ... والديــن فيها قبل دينك أول
هل بالمدينة هاشميٌّ ساكِن ؟ ! ... أو من قريش ناشيء أو مكهــلُ
إلاّ ومكــة أرضــه وقــراره ... لكنهم عنها ثُنُــوا فتحولــوا [4]

---

(١) في الأصل : جميع . وجمع مزدلفة .
(٢) كلمة غير واضحة .
(٣) في الأصل : وكد .
(٤) في الأصل : بنوا فتحول .

فكـذاك هاجـر نحوكم لما أتى ... أرض المدينـة هجـرة متحمل
فأجرتُم وأويْتُـمُ ونصرتُمُ ... خير البرية ، حقكم أن تفعلـوا

* * *

فضلُ المدينة بَيِّـنٌ ولأهلهـا ... فضـلٌ قديم نـوره يتهلـل
مَنْ لمْ يقل : إن الفضيلة فيكُمُ ... قلنا : كذبتَ ، وقول ذلك أرذل
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم ... من كان يجهله فلسنـا نجهـلُ
في أرضكـم قَبْرُ النبي وبيتـه ... والمنبر العالي الرفيـع الأطـول
وبها قبور السابقـين بفضلهـم ... عُمَرُ ، وصاحبه الرفيق الأفضلُ
والعترة الميمونة اللاتـي بهـا ... سبقتْ فضيلة كل من يتفضـل
آل النبي بنـو عليٍّ إنهـم ... أمسوا ضياء[1] للبريـة يشمـل
يا من تبصُّ[2] إلى المدينة عينُه ... فيك الصغار وصعر خدِّك أسفل
إنا لنهواهـا ونهوى أهلهـا ... ووادها[3] حقٌّ على من يعقل
قل للمديني الذي يـزدار (دا ... ود) الأمير ويستحـث ويعجل
قد جاءكم (داود) بعد كتابكـم ... قد كان حبلك في أميرك يفتل
فاطلب أميرك واستزره ولا تقعْ ... في بلدة عظمت ، فوعظك أفضل

* * *

ساق الإله لبطن مكـة ديمـةً ... تروى بها ، وعلى المدينة تُسبِلُ

* * *

والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وشفيعنا خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً ، آمين .

---

(١) في الأصل : صيا .
(٢) في الأصل : يبض .
(٣) في الأصل : وودها .

أدب الخواص

في المختار من بلاغات العرب وأخبارها وأنسابها

لعلي بن الحسين الوزير المغربي (٣٧٠ / ٤١٨ هـ)

- ١٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم : القسم الأول من كتاب « أدب الخواص » في ذكر الشعراء المراقسة : الباب الأول : — من هذا القسم في ذكر امرىء القيس الأكبر صاحب اللواء وذكر قبيلته كندة .

(١٥٤) فصل جعلناه مقدمة لهذا الباب ، نذكر فيه الكلام على لفظة (امرىء القيس) من طرق النحو واللغة ، وبالله التوفيق . قالوا : يقال مَرْءٌ — بوزن فِعْل — ومُرْءٌ — بالضم لغة فيه — وأنثاه مرأة ، وقيل بحذف الهمزة وتلقى حركتها على الساكن الذي قبلها فيقال : مرة ، وقد يقال : مَرَاة . قالوا : وهو أبعد اللغات . ويقال : هذا مَرْءٌ ورأت مَرْأً ، ومررتُ بمرء . وقد روي أنه يقال : هذا مُرْءٌ ورأيت مَرْأً ، ومررت بمِرْءٍ ، فتجعل حركة الميم تابعة للإعراب وذلك لضعف الهمزة عن تحمل الإعراب فجعلوا الميم تابعةً لها لتقوّى بذالك ، وتخطوا إلى الميم دون الراء لئلا يخرج إلى ثِقَلٍ بتحرك عينه ، وهم يهربون إلى تسكين المحرك لثقله ، ويقال في تثنيته : مَرْآنِ (١٥٥) ومُرْآنِ [1] ، وفي تثنية مؤنثه : مرأتان ومرتانِ ومَرَاتانِ ، ولا جمع له من لفظه ، إلا ما حكي عن أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري — مولى جميلة بنت قطبة بن يزيد بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن سواد

---

(١) في الأصل (مرأان ومرأان) .

بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد[1] بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وجميلة هذه زوج مالك بن أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار – وإنما سمي النجار لأنه ضرب رجلاً فقيل : كأنها نجرة – وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة –أنه قال في بعض قصصه : يا أيها المرؤون ، فجمعه على أصله ، ذكر ذلك عنه أبو محمد جعفر بن درستويه النحوي في « شرح الفصيح » ويقال على هذا في جمع المرأة (١٥٦) مرآت ، فأما امرؤ وامرأة فمنتقل عن أصله بألف وصله ، ونحن نحتاج إلى مزيد في شرحه ، وذلك أنه اسم ، وألف الوصل من خواص الأفعال ، لأنه يعرض فيها ما يحتاج لأجله إليها ، وهو أن المستقبل كان من حقه أن يكون مفتوح الأول على قياس ماضيه فيقال : يَعمَلُ ويَصنَعُ ، فثقل عليهم توالي أربع حركات ، ولم يكن إلى إسكان الأول سبيل ، لتعذر الإبتداء بالساكن ، ولا إلى إسكان الثالث لأنه عين الفعل ، وبحركته يُعرف اختلاف الأبنية ، ولا إلى إسكان الرابع لأنه مركز الإعراب ، فأسكنوا الثاني إذ كان لا يمنع من تسكينه مانع ، فصار يَعْمَلُ ، فلما احتاجوا إلى الأمر حذفوا حرف المضارعة الذي هو الياء المخبرة عن فاعل غائب لغناهم عنها ، وذالك أنها علامة الإستقبال (١٥٧) والأمر لا يكون إلا مستقبلاً ، لا يجوز أن تأمر بماضٍ فأغنت هذه النّصْبَةُ عن حرف الإستقبال ، مع طلبهم التخفيف ، فبقيت فاء الفعل ساكنة ، وليس يجوز الإبتداء بساكن فاحتاجوا إلى الهمزة ليتوصلوا بها إلى النطق بالساكن ، إلا أن يكون معتلاً أو مدغماً ، فيكون اعتلاله أو إدغامه قد حرك أوله ، والرباعي وما وراءه من الأبنية يجري هذا المجرى ، والتأمل له مع هذا المثال الذي أوردناه يغني عن استقرائه ، وقصدوا الهمزة[2] لعلتين إحداهما أنها أول مخرجاً ، فكانت أول شيء لقيهم من الحروف عند الاستقراء ، والعلة

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) فوق تزيد كلمة (صح) أي أنه بالتاء لا بالياء .

(٣) في الأصل (وقصدوا لهمزه) .

الثانية : تيسُّرُ حذفها عند الإدراج وسميت الهمزة ألفاً لأنها تنقلب إلى الألف في قولك (راس) وأصله (رأسٌ) وقد تنقلب ياء في قولك (ذيب) وقد تنقلب (١٥٨) واواً في قولك (سُور) إذا ليّنْتَ (السؤر) وهو البقية ، ومنه : أخذت سائره – مهموزاً – أي أخذت بقيته – والناس كثيراً ما يغلطون ها هنا فيخبرون بسائره عن جميعه ، وذالك خطأ ، وأصله ما بينته لك ، وعلة أخرى في تسمية همزة الوصل ألفاً وهي أن الهمزة – كما قلنا – في أول المخارج ، والألف فهي أول الحروف المرتبة للمعجم ، فكان بينهما بذلك مناسبة أوجبت الإشتراك في التسمية ، ولذلك ما خصَّت[1] الهمزة باسمها دون الواو والياء وقد ينقلبان عنها . ومما قد يسأل عنه أن يقال : كيف كانت صورة الهمزة عند إحضارها ؟ وهل كانت متحركة أو ساكنة ؟ فإن كانت متحركة فبما إذاً استحقت الحركة ، لأن الحروف كلها حقها أن تجيء مرسلة عُطْلاً حتى تستحق الحركة بعد ذلك بأحد (١٥٩) الأسباب الموجبة ؟ وإن كانت ساكنة فكيف يُتوصل بالساكن إلى النطق بالساكن ؟ والجواب عن هذا أنها أحضرت ساكنة في نية المتحرك ، لأنهم قصدوا بها الإبتداء ، فوجب لها بهذا القصد شيء من الحراك[2] ووجب عليها بأنها لم تُبْتدأ بها بَعْدُ السكونُ ، فكانت في منزلة بين ذينك ، وهي السكون بنية الحركة ، فلما ألصقوها بالكلمة حركوها لى الكسر على شريطة التقاء الساكنين ، وإنما كانت بشريطة التقاء الساكنين (...)[3] لأن تحريك التقاء الساكنين بناء ، ووجدوا الفتحة والضمة يكونان للإعراب والبناء ، ورأوا الكسرة لا تكون إلا للبناء فاختاروها لذلك ، ولعللٍ غيره يطول ذكرها . وقد تجيء ألف الوصل مضمومة في الفعل الذي عينه مضمومة مثل (يقتل) والعلة في ذلك أن ألف الوصل لو جاءت ها هنا (١٦٠) مكسورة لكان اللسان ينتقل من كسر إلى ضم ، لأن فاء الفعل الساكنة حاجزٌ غير حصين فينقل[4] ، مع أنه يكون بمنزلةً (فعُلٍ) وليس هـــذا من أبنيتهم ، وعدلوا إلى الضمة دون الفتحة لئلا يلتبس بإخبارك عن نفسك إذا جئت به على الوقف فقلت : (أَقْتُل) وإذا أدرجت

---

(١) لعل الصواب : (ولذلك خصت الهمزة) . (٢) فوق (الحراك) كلمة (صح) .
(٣) كلمة غير واضحة . (٤) بدون نقط .

سقطت ألف الوصل للغنى عنها بلقاء الساكن متحركاً مما قبله ، فلما كانت ألف الوصل من لواحق الأفعال لم يستحقها من الأسماء إلا ما شابهها ، وهي أسماء قلائل جانست الأفعال في حذف الأواخر ، وحذف الأواخر شيء يلزم الأفعال لكونها متصرفة متقلبة في قواليب الأمثلة ، وكانت أواخرها أخصّ به لا (...)[1] التعبير بها من جهة كون الإعراب فيها ، ولتطرقه في الجزم عليها ، فلما جانستها هذه الأسماء استحقت (١٦١)...[1] بمشاركة في بعض الخصائص ، فزيدت فيها ألف الوصل ، مع دعاء الحاجة إلى ذلك في بعضها أن يكون أولها ، فمن تلك الأسماء امرؤ ، وكان أصله مَرْءٌ[2] بوزن فَعْل ، والدليل على ذلك تصغيرهم إياه على مُرَيّ ، بوزن فُعَيل ، قال الشاعر – ويمرُّ خبره مستقصى في (باب مهلهل) إن شاء الله – :

قتلنا مُرَيْءَ القيس[3] غصباً بربِّهِ بَواءً وأطلقنا إليهم مهلهلاً

وقد سموا بِمُريء ، وفي الديل من عبد القيس رجل اسمه مُريء ، وفي الأنصار من الخزرج رجلان اسم كل واحد منهما مريء ، وليس بشاهد لنا لأنّهُ تصغير مَرْء قبل إدخال ألف الوصل ، ولذالك لم نسق أنسابهم ، فدفعت الهمزة لام الفعل وهي تعتلُّ كاعتلال حروف المدّ واللين ، مع ما فيها من الضعف (١٦٢) بكونها أخيراً ، ومن الاستعداد للتغيير بالتخفيف وغيره ، فقلّ احتمالها للإعراب ، وكان ضعفها وعجزها عن الإعراب الذي هو حَلْيُ الكلمة وقيِّم معناها كعملها ، وحضورها عندهم كمغيبها ، فعدُّوا هذا الاسم مما آخره محذوف ، ورأوا أنه يستحق شيئاً من آلات الأفعال لمشابهته إياها بهذا النقص ، فأعطوه ألف الوصل في أوله ، بعد أن أسكنوا فاءه التي هي الميم ليزيد عذرهم بياناً في إدخال ألف الوصل ، وليكون مورد ألف الوصل على الميم ساكنة كموردها على فاء الفعل الساكنة ، وليستوفي في هذا التعويض الذي أعطته كلية المشاكلة ، وحركوا الراء لعلتين : إحداهما أنهم

---

(١) كلمات غير واضحة .

(٢) كذا والصواب (مرأ) .

(٣) في الهامش بخط كاتب الأصل (يعني امرأ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب) .

لما أسكنوا الميم – كما قلنا – لم يجز بقاء الراء ساكنة لئلا يلتقي ساكنانِ وليس يسوغ ذلك (١٦٣) في النطق . والثانية : الاحتراز من تطرق التغيير على الهمزة بكونها متحركة قبلها ساكن . واختلف بعد ذلك في حركة الراء ، فبعض العرب يُلزمها الفتح ، فيقول : رأيت امْرَأ ، وهذا امْرَأ ، ومررت بامرَئٍ ، ويقول : إنه لما اضطر إلى تحريكها ذهب بها إلى الفتح لأنه أخف الحركات . وبعضهم – وهو الأكثر الأشهر – يجعل الراء تابعة للاعراب الواقع على الهمزة ، فيقول : هذا امْرُؤ ، ورأيت امْرَأ ، ومررت بامْرِئٍ ، وذلك لأن الهمزة على ما قدمنا من الضعف ، فعضدوها بمشاركة الراء لها ، وتحملها الاعراب معها ، ومن أجل هذا لم يضمُّوا الألف في قولهم : هذا امرؤ ، ولم يتبعوها ضمة الراء ، كما ضموها في قولك : (أقتُل) اتباعاً لضمة التاء ، وذلك لأن (١٦٤) الراء ليست الضمة لازمة لها وإنما هي أحد وجوه تصاريفها . وبعض الناس يرى أن الإعراب واقع على الراء ، وأن حركة الهمزة مقحمة لا يعتدُّ بها مثل قولهم : يا طلحَةَ أقبل ، وهم يريدون : يا طلح أقبل . ولو أرادوا المناداة باسمه من غير ترخيم لقالوا : يا طلحةُ أقبل ، بضم الهاء على حكم الأسم المفرد ، وهذا القول غير طائل في قولهم : امرؤ ، من أجل أنه يحصل الإعرابُ في وسط الإسم ، وذلك لا يتمكن في كلامهم ، والعلة في ذالك أنه لا يكون في أوله من أجل استحقاق الأول للحركة ، إذ كان لا يقع الإبتداء بالساكن ، فلما استحق الحركة اللازمة كان بمنزلة ما استحق البناء فلم يعربوه في أوله ، لأن الإعراب يتغير وينتقل ، ومن رأيهم أن يبنوه ، ولم يجز أن يعربوه في وسطه لئلا يختلَّ نظام الأبنية ، فلم (١٦٥) يبق غير آخره فأعربوه فيه ، ووجه آخر : إن الإعراب يستحقه الاسم بعد تمام الإسمية فيه ، فكان الوجه على هذا أن يعرب في آخره على نحو قولهم : امْرُؤٌ ، وإتباعهم الراء حركة الهمزة ، وأجروا قولهم ابنُمٌ ، وقد استقصينا شرحه بعلله وشواهد في غير هذا الكتاب .

وأما قولنا : امرأة فحركت الراء بالفتح لأنه أخف الحركات ، وتحصنت عن أن تتبع حركة الإعراب لأن الهمزة استغنت عن حرف يعينها في حمل الإعراب ، لانتقاله عنها إلى الهاء الموردة للتأنيث مع استفادتها – أعني الهمزة – بعض القوة

لتوسطها واحتجازها عن التطرف بالهاء التي بعدها . والكلام في هذه المسألة يتسع لأكثر مما قلناه ، ولكنا نرى الإختصار .

وإذا نسبوا إلى امرىء القيس (١٦٦) قالوا : امْرئي بوزن امرعي بكسر الراء ، واقتصروا بالراء على الكسر لمكان يائي النسبة واستدعائهما الكسر في المشاكلة ، هذا القياس عند أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، من مذحج ، وعند عامة النحويين ، والذي تكلمت به العرب مَرَئِي ، بوزن مَرَعي ، وهو عند أهل العربية على الشذوذ ، وقال ذو الرمة غيلان بن عقبة بن بُهيش – بالشين معجمة – بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن ربيعة بن مِلْكَان – في قضاعة مَلَكان وفي السكون[1] مَلَكان والباقي كله مِلْكان – بن عدي بن عبد مناة بن أدبن طابخة – واسمه عامر – بن الياس بن مضر ، في هجائه هشام بن بشر المرَئي :

ويسقط بينهـا المرئي لغواً كمـا ... ألغيـت في الدية الحُـوارا

(١٦٧) إذا مَرَئيّةٌ ولدت غلاما ... فالأم ناشىء نُشِغَ[2] المحـارا

وكرر ذكر المرئي في أبيات كثيرة لا نرى الإطالة بإنشادها ، ويجوز أن تنشد بالتخفيف فتكون ألزم لطريق القياس ، على أنه منسوب إلى مَرْءٍ من قولك مَرْءٍ القيس . قال أبو بكر بن الأنباري : يجوز في اللفظ به أربع صيغ : تقول هذا امرُؤ القيس – بضم الراء – وهذا امرَؤ القيس – بفتح الراء – وهذا مَرْءُ القيس – بفتح الميم وتسكين الراء – وهذا مُرْءُ القيس – بتسكين الراء وضم الميم – فيقال على هذا : المَرْئِيُّ ، وليس يخل بالوزن إلا أن السماع في هذا البيت وفي غيره من كلامهم مَرَئِيٌّ – بالتحريك – ولعلهم حركوه خيفة التباسه بقولهم : رجل مَرْئي أي منظور إليه ، ومَرْئي أيضاً من رأيته إذا أصبت (١٦٨) رئته ، مثل : قلبته إذا أصبتَ

---

(١) فوق السين من السكون ضمة وفتحة وفوقها (معاً) إشارة إلى جوانب الأمرين .

(٢) فوق كلمة العين من نشع (معاً) أي أنها عين وغين .

قلبه ، ومثل قولهم : قتلته ، وإنما يعنون أصبت قَتَالَهُ أي نفسه ، والقَتَال النفس قال الشاعر[1] :

يدعن الجلس نحْلاً قتالها

وفي نحو منه قولهم : بحت بالشيء ، إنما يعنون به أظهرت ما في بُوْحِي ، والبُوح النفس وقال أبو جعفر محمد بن حبيب مولى بني هاشم : كل امرئي القيس في العرب فالنسبة إليه مَرَئِيٌّ كما جاء في شعر غيلان إلا صاحب اللواء فإن النسبة إليه مرقسي ، مثل عبشمي وعبدري . وجملة القول اللغوي في هذه الكلمة أن المرء الرجل والمرأة تأنيثه ، وأصلُ هذا الباب الجريُ ، فيقال : امرأة كما يقال : جارية ، لأنها تجري في النموِّ والشباب ، وكذ لك الرجل أيضاً ، ومنه الشيء المرئي ، يراد به الذي يجري في مجاريه (١٦٩) ويسوغ (...) ومصدره المرَاءَةُ — بوزن المراغة — ويقال : مرأ الطعام يمرأ مرَاءَةً ، كما يقال : قمأت الماشية تقمأ قماءةً ، ومَرُؤَ الرجل يمرُؤُ ، كما يقال : قَمُؤَ الرجل يقمُؤُ ، عن محمد بن زياد الأعرابي . ويقال : استمرأت الطعامَ وهذا يُمرىء الطعامَ أي يسهل جريه وينفذه ، ومنه المريء من الحلق ، وهو المستَرَطُ الذي يجري فيه الطعام والشراب إلى المعدة ، وجمعه أمْرِئَةٌ على أفعلة ، ومُرُؤٌ — بوزن فعُل مضموم الفاء والعين — وأبو أُسامة يروي هذ الحرف في « غريب المصنف » مشدداً غير مهموز قال : هو المريُّ ، وكأنه من مريتُ الضرعَ أي مسحته وليّنته ، وسهلت مجاري اللبن فيه . قال أبو أسامة : وقد (١٧٠) روي المريء مهموزاً وهو جائز حسن ، فأما أبو الحسين ثابت فرواه بالهمز لا غير ، وقال أبو عبدالله بن الأعرابي في كتابه الذي سماه بكتاب « الإبل » : المريُّ — غير مهموز — التي تحلب على غير ولد ، وإنما سميت مريّاً لأنها تُمرَى بالأيدي فلا تكون مريّاً ومعها ولدها . ويقال : هنيئاً مريئاً : أي جارياً لذيذاً سائغاً قال الله عز وجل (فكلوه هنيئاً مريئاً) وقال كثيِّر بن عبد الرحمن — بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مُخلّد بن سَعيدة بن سُبيع بن جعثمة بن سعد بن مُليح

---

(١) في الهامش : (ذو الرمة وصدره : ألم تعلمي يا مي أني وبيننا مسافٍ يدعن) .

بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مُزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد – وكان يقال له : ابن أبي جمعة ينسب إلى جده من قبل أمه وهو أبو جمعة الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سالم بن غاضرة (١٧١) بن حَبْشِيَة[١] ، وقد رأيت بخطوط رؤساء من شيوخ النسب حبشيّة – مشدد الياء والأول أثبت – وهو قول ابن حبيب . والحبشيَة[١] النملة الكبيرة ، وحبشيَةُ هو ابن كعب بن عمرو وكعب أخو مُليح بن عمرو – :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامـــــر لعزَّة من أعراضنـــا ما استحلّتِ

وقد قيل في نسب كَثيِّر قول آخر ما يضرنا ذكره : كان بعض قوم كثير يقولون : إنهم من ولد الصلت بن النضر بن كنانة ، وفي ذلك يقول كثيِّر :

أليس أبي بالنضر أم ليس أُسرتي بكلِ هجانٍ من بني النضر أزهرا ؟
إذا ما قطعنا من قريش عصابـــة فأيُّ قِسيٍّ تحمل النبع مَيْسَرَا ؟
لبسنا ثياب العصب فاختلط السّدى بنا وبهم والخضرميَّ المخصّـــرا
(١٧٢)فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكـــا بأذناب الفوائج أخضرا[٢]

قال هذا الشعر يخاطب به أبا علقمة ميسرة بن حُدير بن علقمة بن أبي الجون – واسم أبي الجون عبد العزى – بن سعد بن ربيعة بن أحرم بن ضُبيس بن حرام بن حبشيَة[٣] بن كعب فقال ميسرة يرد عليه في رواية النسّابة الهاشمي[٤] من أهل حلب ، وقال غيره : إنها للأحوص – :

لعمري لقد جاء العراق كثـــيرٌ بأحدوثة من وحيـــه المتكـــذِّب
أتزعم أني من كنانـــة والـــدي وما لي من أُمٍّ هنـــاك ولا أب

---

(١) فوق ياء (حبشية) كلمة (خف صح) أي بتخفيف الياء .
(٢) ديوانه ٢٣٣ والفوائج عيون بأستار – كذا وأراه : أستارة . وفي الأصل : (القرايح) وفسرها في الهامش : (القرائح الآبار الجدد) .
(٣) فوق كلمة (حبشية) (خف) أي الياء مخففة .
(٤) في الهامش : (هو أبو هاشم أحمد بن جعفر بن أحمد القاسمي النسابة صاحب كتاب النسب) والنسب غير واضحة وقد تكون (التبين) .

ولما ذكر العراق لأن عبد الملك كان دعا كثيراً إلى هذا النسب فأجابه ، وأجابته خزاعة الحجاز (...) كثير إلى خزاعة العراق يدعوهم فأبوا ، وبلغ ذلك الأحوص – أو ميسرة – فقال هذا الشعر ، وروى زبير بن بكار عن رجاله أن كثيراً ينسب نفسه وقومه (١٧٣) إلى النضر بن كنانة ، وقال لأبي علقمة ميسرة . :

أبا علقم أكرم كنانـــة إنهـــم ... مواليك[1] إنْ أمر نبابِك مقلقُ
بنو النضر ترمي من ورائك بالحصا ... أولو حسب فيهم حفاظ ومَصْدقُ
إذا ركبوا ثارت عليك عجاجـــة ... وبالأرض من وقع الأسنّة أولقُ
همُ ملكوكم من تهامة منـــزلاً ... ولولاهُـمُ كنتم أبـــاءٌ يحرَّقُ
فلا تكفرْن قوماً عززتَ بعزّهم ... أبا علقم فالكفر بالريق يُشْرِقُ

في أبيات . قال الزبير : فأجابه الأحوص بن عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح – أسم أبي الأقلح قيس – بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

(فإنك لو أعذرت أو قلت شبهـــة) ... لذي الحق فيهـــا والمخاصـــم مغْلقُ
(١٧٤) عذرناك أو قلنا: صدقت وإنما ... يصدَّق بالأقوال من كان يصدقُ
(ستأبى بنو عمرو عليـــك وينتهي) ... بهم حسب في جذم غسان معرق

– يعني بني عمرو مزيقياء –

وإنّك لا عمراً أبـــاك حفظتـــــه ... ولا النضر إذ ضيّعتَ شيخك تلحقُ
فأصبحـــت كالمهريق فضلـــة مائـــه ... لباقي ســـراب[2] بالمـــلا يترقـــرق

وجميع أهل العلم بالنسب يقولون : إن الصلت بن النضر درج[3] ، ويبطلون دعوى كثير .

---

(١) في الهامش : (الموالي ها هنا بنو العم) .
(٢) في الأصل (شراب) .
(٣) درج أي لم يعقب .

وقد قال آخرون : إن خزاعة من ولد قمعة – وهو عمير – بن الياس بن مضر ، وأحسب أن القتبي روى ذلك ، والأول هو الصحيح . وكثير يكنى أبا صخر ، وكان ينسب إلى عزّة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب بن غفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .

ونعود إلى سبيلنا الأولى . وقال عبدالله بن همام[1] – أحد بني مرة بن صعصعة (١٧٥) بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الناس – بالنون وهو عيلان – بن مضر . وأم ولد مرة بن صعصعة سلول بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وايل فإليها ينسبون – :

اشربْ شرابك وانعـــم غير محسود ... واكسره بالماء لا تَعْصِ ابنَ مسعود
إن الأمـــير له في الخمـــر مأربـــة ... فاشرب هنيئاً مريئاً غير تَصْريدِ

يعني عامر بن مسعود بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وكان اسم جمح بن عمرو تيماً ، واسم أخيه سهم بن عمرو وزيداً ، فقعدت يوماً أمهما الألوف بنت عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، ومعهما أترجة من ذهب ، وقيل من فضة ، فَدَحتْ بها وقالت لابنيها : استبقا (١٧٦) إليها فمن أخذها فهي له . فأخذها سهم . فقالت : كأنك والله يا زيد سهم مرق من رميته ، وكأنّ شيئاً جمح بك عنها يا تيم ، فسمي هذا جُمَحَ وسمي هذا سهماً .

وعامر بن مسعود هذا كان يلقب دحروجة الجعل لقِصره ، وفي ذلك يقول عبدالله بن همام السلولي[1] :

واشف الأرامل من دحروجة الجعل

واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود عند موت يزيد بن معاوية ، وهرب

---

(١) أنظر عن عبدالله بن همام مجلة «العرب» السنة الأولى ص ١٥٧/٣٧/١١٥٤/٦٤٨ .

عبدالله بن زياد ، فأمّروه عليهم ، فأقره عبدالله بن الزبير أشهر ثم عزله ، وخطب أهل الكوفة في أيام إمارته عليهم فقال : إن لكل قوم أشربة ولذّات فاطلبوها في مظانها ، وعليكم بما يجمل منها ويحل ، واكسروا شرابكم بالماء ، وتواروا (١٧٧) عني بهذه الحـ(...)[1] فلذلك قال عبدالله بن همام الشعر المتقدم ، وقال فيه غيره من الشعراء :

من ذا يحرِّمُ ماء المزن خالطه ... في قعر خابية ماءُ العناقيد
إني لأكره تشديد الرواة لنا ... فيها ويعجبني قول ابن مسعود

ولما بلغ ابنَ مسعود قولُ عبدالله بن همام قال : قطع الله لسان عِدْل الحمار فقد أساء القول . ذَهَب إلى قول الأخطل :

بئس الفوارس عند مختلف القنا ... عِدْلا الحمار محارب وسلول

وقال الآخر ــ أنشدنيه محمد بن الحسين عن إسحاق بن اسماعيل الطاهري عن المبرد ــ :

كل هنيئاً وما شربت مريئاً ... ثم قم صاغراً فغير كريم
لا أُحب النديم يومض بالعين إذا ما انتشى لعرس[2] النديم

والمروؤة مصدر المرء كالرجولة مصدر الرجل ، وقال الفراء : إنه سمع أعرابياً قيل له : فلان امرُؤ سَوءٍ (١٧٨) فقال : وما رأيتَ من مروؤة سَوئه ؟ . ولا فرق عندي بين أن يقال : في فلان مروؤة وبين أن يقال : فيه رجولة ، أو فيه إنسانية ، إلا أن المروؤة قد نقلت عن أصلها الذي وُضعت له إلى صفات خاصة .

وقد أحكمنا وضع الأسماء ونقلها في كتاب غير هذا .

واختلف الناس بعد في المروؤة ، وأحسن الأقوال فيها ما أُخبرنا به عن أمير المؤمنين علي ــ صلوات الله عليه ــ أنه قال : المروؤة موصوفة في كتاب الله عز وجل حيث يقول : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى

---

(١) كلمة غير واضحة .
(٢) (العرس) بدون نقط وقد تكون (لفرش) .

عن الفحشاء والمنكر والبغي) وقال السّمِيّ[1] القاضي : المروؤة أن لا تصنع شيئاً في السّرّ تستحيي منه في العلانية . وقال الحسن بن سهل – وأحسن – : نعم العون العون على المروؤة (١٧٩) احتشام العامة . والكلام في هذا طويل لا يقتضيه هذا الموضع .

ويقال للرجل : مَرِيءٌ إذا كان ذا مروؤة ، على وزن فعيل ، كما يقال له : رجيل ، إذا كان ذا رجولة ، قال عبدالله بن غُويث الفقيمي – من فُقيم بن جرير بن دارم – :

وقد علم الجاني الفقيمي أننا مصالِت حمالون عنه مِئِي الدم

ولا يمنع الأصرام منا مروؤة السمريء ولا أكرومة المتكرم

ومنه يقال : امرؤ القيس ، أي رجل القيس ، والقيس الشدّة ، قال الشاعر – أنشدنيه أبو أُسامة – :

وأنت على الأعداء قيس ونجدة وللطارق العاني هشام ونوفل

النوفل : كثرة العطاء ، والهشام نحوه ، وما أعرف قائل هذا البيت إلى اليوم ، والذي أعرفه أبيات لحريث بن عنّاب[2] الطائي يقول فيها :

(١٨٠) إلى طلحة الفياض أعملت نصَّها تخِب برحلي تارة ثم ترقلُ

إذا ما أتاه سائل عن جنابه يكون شفيعيه هشامٌ ونوفلُ

في شعر طويل يمدح به طلحة بن عبدالله بن عوف وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف ، وقد استقصينا أنسابهم في مواضعها من كتابنا الكبير .

وأخبرني بعض أهل البحث أنه وجد الفرّاء يقول في بعض كتبه : أن القيس الذهب ، وأن امرأ القيس قيل له ذلك على معنى رجل الذهب كالتفضيل له ، والقيس مصدر قاس يقيس قيساً مثل القياس . وقال أبو بكر محمد بن القاسم

---

(١) كذا ولعله يسمى (علي بن الحسين) فهو سمي للمؤلف ولكن هذا القول ينسب للأحنف بن قيس أنظر «محاضرات الأدباء» : ٣٠١/٢ ط بيروت .

(٢) فوق النون كلمة (صح) .

الأنباري – رحمه الله – : فيه وجوهاً (؟) ثلاثة غير هذه قال : القيس الغرْد وهو الذكر ، والقيس الجوع ، والقيس مثل الريس (؟) وهو التبختر . ومن الناس من يقول : إن امرأ القيس (١٨١) لقب ، وأن اسم امريء القيس بن حجر حُنْدُج ، والحندج الرمكة ، إلا (...)[1] فإنه قال عبد القيس :

تبسمّـــن عن غُـــرٍّ كـــأنّ رُضَابها ... نَدَى الرمل مجتّه الذّهاب القواليسُ
على أُقحـــوان في حناديـــج حـــرة ... يناصي حشاها عانـــك متكاوِسُ[2]

ولا يبعد هذا عندي ، لأنني أرى امرأ القيس اسماً مستعملاً عند العرب للشريف والدنيء وهو كعبد القيس بل أكثر منه استعمالاً . وقال ثعلب : امرؤ القيس بمنزلة عبد الرحمن وعبدالله ، ولو أحصينا كل من اسمه امرؤ القيس لطال ، وإنما غرضنا من قال الشعر فقط . والله الموفق .

* * *

فصل في نسب امرىء القيس بن حُجْر ، وهو المقدم على جميع المراقسة ، وغيرهم من الشعراء . قالوا : اسمه حُنْدُج (١٨٢) ولقبه امرؤ القيس ، والصحيح عندي أن اسمه امرؤ القيس ، وكنيته أبو الحارث في قول ابن دريد . وقال غيره : (...) وقال آخرون : أبو عمرو وقال آخرون : أبو بهشة (؟) باسم بنته . وقول ابن دريد أثبت الأقوال عندي . وكان يقال له ذو القروح وذو القرح ، وفي ذلك يقول عُيينة بن مرداس بن شُميخ الكعبي[3] – كعب بن عمرو بن تميم – :

علا الشيب أخداني وخلّى مكانه ... أبو طمحـــان وابـــن أم دُواد
وذو القرح فاخترت القوافي وبعده ... تراث ثمـــود الأولـــين وعـــادِ

---

(١) كلمة غير واضحة .
(٢) لم يذكر قائل هذا الشعر وهو ذو الرمة – كما في ديوانه
حشاها : ناحيتها ويناصي : يقابل .
(٣) مترجم في «الأغاني» ١٩/١٤٣ ط الساسي .

أبو الطمحان القيني حنظلة بن الشرقي ، وابن أم دواد : أبو دواد الإيادي ، حارثة بن الحجاج الشاعرين المعروفين . وفي عُقيل رجل يقال له ذو القرح ، وهو كعب بن خفاجة ، واسم خفاجة معاوية بن عمرو بن عقيل .

وكان يدعى امرؤ القيس (١٨٣) الملك الضلّيل ، وللبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في ذلك قول (...) ولا نرى التثقيل بذكره . قالوا : وهو امرؤ القيس بن حُجْر – الملك الذي قتلته بنو أسد – ابن الحارث الملك ، بن عمرو المقصور الذي اقتصر به على ملك أبيه – عن يعقوب بن السكّيت – وقال أحمد بن عبيد : إنما سمي المقصور لأنه قصر على ملك أبيه وجدّه ، كأنه كرهه فملّك شاء أو أبى – ابن حجر الأكبر ، وهو آكلُ المُرَار وفي تسميته بذالك أقوال : قال أبو نصر : إنما سمي آكل المُرار لأنه غضب غضبة فجعل يأكل المرار ، وهو نبت شديد المرارة[1] ، ولا يحسُّ به من غضبه ، وقيل : إنما سمي بذالك لكبره ، والمتكبر كأنه مقلّص الشفة . وقال ابن دريد : إنما سمي بذلك لأنه كان أفْوَهَ والبعير (١٨٤) إذا أكل المرار تقلص مشفراه ، فشبه به وهو لقبه ، وقال أحمد بن عبيد وغيره : إنما سمي بذلك لأن ملكاً من ملوك اليمن أسر امرأته – وقال قوم : بنته – فقال لها : ما ظنك بحُجْر ؟ فقالت : كأنك به وقد طلع عليك كأنه جمل آكلُ مُرَارٍ . قال : والجمل إذا أكل المرار أزبد ، وقيل : بل أرادت كشْرهُ عن أسنانه .

وهو حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية – والنسابون يسمونه بكندي الأصغر – بن ثور بن مُرتّع – وسمي مرتّعاً لأنه كان يأتيه الرجل يسأله أن يقطع له من أرضه قطيعة ليرتّع فيها سائمته من إبله وغنمه فيرتّعه – واسمه عمرو بن معاوية بن كندي – وهو كندة وهما اسمانِ له ، قالوا : لأنه كند أباه – أي

---

(١) رأيت هذا النبت في حزن كلب (الحزول) على مقربة من المركوز (واحد) وهو يرتفع حول الذراع ذو زهرة صفراء وأغصان يجمعها جذع واحد ، لونه أشهب وورقه صغير شبيه بورق الحواء ، ولكن تأليل أطرافها أكثر وأدق ، وإذا كسر الغصن خرج منه لبن ، وطعمه شديد المرارة ، لا ينبت إلا في الربيع .

عقّه وكفره وقالوا : بل كنّد على أخيه فقتله وأصل[1] الكند القطع ، وقال الله عز وجل : (إن الإنسان لربه لكنود) أي قطوع لما بينه وبينه بالكفر ، نعوذ بالله من سخطه ، ومن حرمان توفيقه ، ومع هذا التأويل فالله أعلم بكتابه .

(١٨٥) وقال الأعشي الكبير :

أحدث لها تُحدِثْ لوصلك إنها كَنُدٌ لوصل الزائر المعتادِ

– أي قطّاعة – وقال أيضاً :

أميطي تُميطي بطب الفؤاد وصُول حبالٍ وكَنّادِها

– أي قطاعها – وقال أيضاً :

ولكنْ لا يصيد إذا رماها ولا تُصْتاد عاتية كَنُودُ

أي قطوع للوصل . وقال سوّار بن قطن الهميمي من هميم بن عبد العزّى بن يقدم بن عنزة بن ربيعة ويقال : إن هميماً من قسر من بجيلة ، ورأيت ابن الكلبي يثبت ذلك والأول أشهر – :

سائِلْ حنيفةَ يوم وقعَتنا بنحاة[2] إذ جاروا عن القصدِ
وتيمموا بأمر يمامتهم وتكنّدوا غدراً على عمد

– تكندوا : أي أبطنوا الغدر والكفر – وقد سمّت العرب (١٨٦) بكندي غير هذا ، وفي طيء فارس جليل يقال له كندي بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعا – مقصور مثل سكرَى ، واسم جدعا لوذان – بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيء ، وفي طيء أيضاً كندة بن الضحاك بن هُذَيم بن خِبَاء بن الصهْو بن باعث بن خويص – وباعث هو الذي أغار على إبل امرىء القيس ، وسيرد خبره ونسبه إن شاءالله – .

واسم كندة ثور بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ، وأمُّ مُرَّة مُدِلّةُ بنت ذي مَنْجشان بن كِلّة بن ردمان من حِمْيَر – كذا قال الكلبي

---

(١) كانت في الأصل (وأهل الكند) وفي الهامش بخط كاتب الأصل (كذا وقع بخطه وصوابه : وأصل) .
(٢) في الهامش بخط كاتب الأصل : (نحاة موضع ، رأيته بخط السكري) .

وغيره ، وما يحضرني صلة نسبها ، والذي أذكره أن في حِمْيَر ردمان بن وائل بن رُعين بن زيد بن سهل – وكنت رأيته بخط شبل بن بكير النسابة في عدة مواضع ، شهل معجمة ثلاثاً من فوق ، ولا أدري ما صحة ذلك وكان أدد تزوج بها فولدت له مرة هذا ونبْتاً – وهو الأشعر – (١٨٧) وتزوج بعدها أختها دَلّة[1] بنت ذي منجشان فولدت جلهمة بن أدد ، وهو طيء ، ومالك بن أدد . ودلّة هذه هي التي يقال لها مذحج ، باسم أكمة ولدت ابنيها عليها . وقال ابن الأعرابي في ذلك قولاً هو أعجب إلي من هذا القول ، وذاك أنه قال : أذْحجتْ على ولدها فسميتِ بمذحج لذالك وأذحجت : لزمت[2] عند ابن الأعرابي ، وغيره من اللغويين يقول : ذحجته الرِّيح إذا جرّته من موضع إلى موضع ، والذحج عندهم مثل السّحج .

وأدد هو أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا – واسمه عبد شمس – بن يشجب بن يعرب بن قحطان . قال هشام الكلبي : ذكر بعض النساب أن كندة بن ثور بن عفير بن معاوية بن حيدة بن معد بن عدنان ، ويحتجون بقول امرىء القيس (١٨٨) :

تالله لا يذهب شيخي باطـــلا خير معـــدٍّ حسبـاً ونائـــلاً

ومن غير هذه الرواية : يا خير شيخ حسباً ونائلاً

وقال آخرون : إن كندة من ولد عامر بن ربيعة بن نزار بن معدٍ ، قالوا : ولذلك كانت محلة كندة وربيعة ودارهما في الجاهلية الجهلاء واحدة ، ومُناخهم في المواسم معاً ، وكانوا متحالفين ، متعاقدين ، ومما يحقق هذا عندهم قول أبي طالب بن عبد المطلب :

وكندة إذ ترمي الجمارَ عشيـــــة يُجَوِّزها حجاج بكر بن وائـــل
حليفان شدّا عقد ما اختلفا لـــه وردّا عليه عاطفـــات الوسائل

---

(١) في الهامش بخط كاتب الأصل : (بعض العلماء يقلب فيقول : إن الأولى دلة ، والثانية مدلة) .
(٢) كذا وفي «اللسان» وغيره : أذحجت : أقمت يقال : أذحجت المرأة على ولدها إذا أقامت . وذحجت المرأة بولدها : رمت به عند الولادة .

قالوا : يعني بعاطفات الوسائل ها هنا الأرحام ، والله أعلم بالصحيح .

وأمُّ امرىء القيس في قول الحذاق من رواة الشعر فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل بن ربيعة . فأما النسابون فقالوا : أمه قُتيلة بنت (١٨٩) يزيد بن امرىء القيس بن عمرو بن حجر الأكبر والله أعلم .

فصل: يتعلق بهذا الفصل المفرد لذكر نسب امرىء القيس: ذكرنا عند ذكر ذي القرح لقب امرىء القيس شعر عيينة بن مرداس الذي يقول فيه :

وذي القرح فاخترت القوافي بعده ... تراث ثمود الأولين وعاد

وعلمنا أن قارىء الكتاب ستتطلع نفسه إلى الوقوف على مقدار هذا الشاعر من الشعر لسعة دعواه ، وتجاوزه مداه ، فأوردنا أبياتاً من شعره ليستدلّ بها على قدره ، وبالله التوفيق .

قال عيينة[1] بن مرداس بن شُميخ الكعبي — كعب بن عمرو بن تميم — ويقال له ابن فسوة وإنما قيل له ذلك لأنه كان في قومه رجل آخر يقال له ابن فسوة فأتى عيينة فباعه اللقب فاشتراه (١٩٠) منه فلصق به ، وقال ذلك الرجل :

حوّل مولانا عليه اسم أُمّنا[2] ... ألا رب مولى ناقص غير زائد
أعاذل إن أهلك فلم أقض لذّةً ... من الدين والإسلام والمرء تالِفُ
من البيض أجياداً كأن خدودها ... دنانير يجلوها لتنفقَ شائفُ
وإنا لقوّامون وسط رحالنا ... إلى الصف قارٍ في الأناء ولاحِفَ
ولا ننكر الأضياف إن ينزلوا بنا ... وكل كريم للنزالة عارف

ومن قوله يهجو بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وكان نزل عليهم بأرضهم — وهي زُمٌّ — فلم يُحمِدهم :

إذا ما لقيت الحيَّ سعد بن مالك ... على زمَّ فارحل خائفاً أو تقدم
أناس أجارونا فكان جوارهم ... شعاعاً كلحم الجازر المتقسّم

---

(١) في الأصل (عتيبة) وانظر ترجمته في «الأغاني» ١٤٣/١٩ ط : الساسي .

(٢) كذا ولعل صوابه ما في «الأغاني» : ونسبه لعيينة : وحول مولانا علينا اسم أمه .

ومن قوله :

تحــنُّ إلى بــرق بنعمــان بعدمــا مضت أربع يُعْدَدْنَ من أول الشهر
(١٩١) فحنّت حنيناً مثله هيج الــذي به الشوق مشغوف الفؤاد وما يدري

ومن قوله – وكان (...)[1] خبيثاً يذم عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بقصيدة أولها :

ذكرت لبرق آخر الليــل ضوءه يضيء حبي المنجــد المتغــوِّر
سور (؟) ورْقَى في رِواءٍ غمامُهُ ركامٍ تصــدّاه الجنوب وتمتري
إذا سنحت نجديــة برَحَتْ لهــا صباً فأدرَّت ودق أوطف ممطر

ثم قال :

أتيت ابن عباس أُرَجّي حباءَهُ فلم يرج معروفي ولم يخش منكري
وقــال لالبُــوّابيه : بيــدْ خِلنّــهُ وسدُّوا خصاص الباب من كل منظر
وتسمــع أصوات الخصــوم وراءه كصوت الحمــام في القليب المغوَّر
ولو كُنتُ من زهران لم تُقْصِ حاجتي ولكنني مولى جميــل بن معمــر
أُتيــح لعبدالله يــوم لقيتــه شُميلــةُ ترمــي بالحديــث المفتّر
وما أنا إذ زاحمتُ مصراع بابــه بذي ضُؤْلــةٍ فــانٍ ولا بحــزوَّرِ
(١٩٢) فليت قلوصي عُرِّيتْ أو رحلتها إلى حســن في داره وابــن جعفر
إلى معشر لا يخصفــون نعالهــم ولا يلبسون السِّبــت ما لم يخصّر
وما زلت في التسيــار حتى أنختهــا إلى ابــن رسول الأمّــة المتخيّر
وقامت تصدّى في العقــال فوا..[2] بي الصبح ورقــا كالــرداء المحبّر
فمــا قمت حتى راعــني ثُوَباؤهــا وصــوت منــادٍ بالصــلاة مكبِّر

زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن نصر بن الأزد . وكان ابن عباس تزوج شُميلة بنت أبي حِنّاءة بن أبي أزيهر – حليف قريش – بن أنيس بن الخيسق

(١) كلمة غير واضحة . (٢) كلمة غير واضحة ولعلها (فواجهت) .

بن مالك بن كعب بن سعد بن كعب بن الغطريف الأصغر – وهو الحارث – بن عبدالله بن عامر – وهو الغطريف – بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران ، وكان عداد أبي أزيهر في دوس ، فكان يقال له الدوسي ، فكانت شميلة هذه عند مجاشع بن مسعود السلمي من بني سمال بن عوف[1]

(.....)

(.....)

(١٩٣) ويقال له محرِّق لأنه حرق بني تميم .

عمة امرئ القيس، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن الحارث الملك بن عمرو بن حجر الأكبر .

وهو عمرو[2] بن المنذر ذي القرنين المعزو إلى أُمه ماء السماء وهو المنذر بن امرىء القيس وأبوه امرؤ القيس كان يقال له محرق ، وهو أول من عذب بالنار – في قول الكلبي – وامرؤ القيس بن النعمان[3] بن امرىء القيس بن عمرو[4] بن امرىء القيس بن عمرو وهو الذي قيل : كبر عمرو عن الطوق – هذا أول من تنصّر من ملوك آل نصر في قول محمد بن جرير – بن عدي بن بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود (؟) بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم – واسمه مالك – بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد .

وعمرو بن هند هو عم أبي قابوس النعمان بن المنذر بن المنذر ، لأنّ هنداً ولدت المنذر بن امرىء القيس عمراً أبا المنذر ووالد النعمان .

---

(١) هنا خرم في الأصل إذ ترقيم الورقات ينتهي برقم ٩٥ ثم ٩٧ – أي إن الورقة الـ٩٦ هي المفقودة – وقد يكون النقص أكثر إذ الترقيم حديث .

(٢) في الهامش: (لمضي ثمان سنين وثمانية أشهر من ولاية عمرو هذا على الحيرة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٣) في الهامش : (هذا النعمان بن الشقيقة) .

(٤) في الهامش (عمرو هذا أول ملوك لخم) .

(١٩٤) وقد قيل : إنهم من ولد قنص بن معد ، وكان هاشميٌّنا الحلبي النسابة يقول : عمرو بن قنص بن معد . والحكاية عن جبير (؟) لعمر في ذلك معروفة ، لم نر الإطالة بها . وكان محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي يقول : قُنُص — بضم القاف والنون .

وكان السبب في نكاح المنذر ذي القرنين هند بنت الحارث أن قباذ لما ملك —[1] وهو قباذ بن فيروز (ملك) بن يزدجرد (ملك) بن بهرام جور (ملك) بن يزدجرد الأثيم (ملك) بن نيسابور (ملك) بن سابور ذي الأكتاف (ملك) بن هرمس (ملك) بن نَرْسِي (ملك) بن بهرام الأوسط (ملك) بن بهرام الأكبر (ملك) بن هرمز البطل (ملك) بن سابور الجنود (ملك) بن أردشير بابكان (ملك) سمي بذالك لكثرة من يسمى في عصره بابك ، وارد شير بابكان هو أردشير بن بابك بن ساسان بن بَهمن (الملك الأعظم) بن اسفيدياذ ( ) وقال محمد بن جرير : اسفنديار وهو الملقب بالشديد بن بَشْتاشِبْ — ويقال : استاسف ، وعلى زمانه ظهر زَرَذُشْت الذي تزعم المجوس أنه نبي ، وروى المؤرخون أنه كان أثيراً عند بعض تلاميذ أرْميا النبي — عليه السلام — فكذب عليه وخافه فدعا عليه فبرص ، ولحق ببلاد أذربيجان (؟) فشرع بها دين المجوسية ، وتبعه قوم كثير ممن هناك ، وقال لي أبي عن أبيه أنه زَرَذُشْتُ بن بُورشَسْم ، وأنّ ماني الذي تنسب إليه المانوية هو ماني بن فَتَّق°[2] ، ويشتاشب هو ابن لُهْرَاسِب (ملك) بن قَيُوجَى بن كَيْمِشْ بن كَيْبَاشِيْنْ بن كَيَانَبَهْ — وقيل : كَيَبْيَهْ — بن كيقباذ (ملك) بن زاب[3] ، وقيل زاع (١٩٥) بن تَوْذَكاب بن ماني شَوَيْ بن تَوذَرْ بن مَنُو شَهْر (ملك) بن مَنْشَحُورْجِرْ — وقيل : مَنْشَحُورِيز — بن تَيُرك (؟) بن نيوسَنْجْ (؟)

---

(١) حرك لها حوارها تحن . هذا موضع هذا المثل فابن المغربي يوصل نسبه إلى ملوك الفرس هاؤلاء ، ولعله فعل ذلك تقرباً للبويهين أو مضاهاة لهم ، ولهذا أفرغ ما في جعبته عن نسبهم وكلمة ملك موضوعة فوق الأسم بخط كاتب الأصل فوضعناها بعده بين قوسين .

(٢) فوق (فتق) كلمة صح .

(٣) تحت (زاب) : زاي .

بن بابْرِيْج ، بن ثرْت بن فَرْرُس بن زُش بن فَرْكون بن كُرْزك – أو كوزك – بن جُوزَك بن ايرج (ملك) بن افريدون بن أُتْفيان بن جم شيد (ملك) بن وَيْجهان بن إيستْجهذبن أوشَهَنْج بن فَرْواك بن سامك بن نَرْسي بن جيُومرث – وتفسير ذلك حيٌّ ناطق ميت ، فالحيّ (جي) والناطق (يو) والميت (مرث) وقد يسمى كِلْشاه ، وتفسير ذلك فيما قيل : ملك الطين ، وإلى جيو مرث يرجع نسب الفرس كله ، والفرس تزعم أنه آدم أبو البشر عليه السلام (١٩٦) ونساب العرب يزعمون أنه حامر بن يافث بن نوح عليه السلام ، وحامر غير مذكور في التوراة ، والذي خبرني به أهل العلم بها أنها دلت على أن الفرس من ولد يافث مُحْمَاً (؟) وأن في أولاد يافث ولد اسمه ثِيراس ، يقول المفسرون أنه الفرس ، وأن الفرس ولده ، ولعله حَامَر بالعربية أو بلغة أخرى . فأما هشام بن محمد فقال : فارسور بن سام بن نوح – عليه السلام – بَيْرَس به سميت فارس . وقال آخرون : الفرس ولد فارص بن يهوذا بن يعقوب – عليه السلام – فأما جرير بن عطية فإنه نسب فارسُ والروم إلى إسحاق فقال :

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا ... محامل موتٍ لابسين السنوَّرا
إذا افتخروا عدُّوا الصبَهْبذ منهم ... وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوَّةٌ ... وكانوا باصطخر الملوك وتُسْتُرا

(١٩٧) والله أعلم بالصحيح .

فكان[1] قباد لما ملك ضعيفاً فوثبت ربيعة على عامله بالحيرة وهو النعمان بن الأسود بن المنذر بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي ، فخرج منهم هارباً حتى نزل بإياد فمات فيهم ، وكان معه المنذر بن ماء السماء ، وهو أقرب منه في قعدد النسب ، وسنذكر نسب أمه وخبرها بعد هذا الفصل إن شاءالله – وكان مع المنذر بن ماء السماء ابنه عمرو بن هند ، وانطلقت ربيعة إلى كندة وكان الناس في الزمن الأول يقولون : إن كندة من ربيعة – على ما قدمنا

(١) كل الكلام المتعلق بالفرس استطراد لا محل له ، فإنه قال (إن قباذلما ملك) ثم شرع في ذكر آبائه .

ذكره — فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبي قُباذُ — لضعفه — أن يُمدَّ المنذر بجيش فكتب المنذر إلى الحارث بن عمرو (١٩٧) إنني في غير قومي ، وأنت أحق من كنفني (؟) فحوله إليه ، وزوجه ابنته هند بنت الحارث فولدت له عمراً المذكور ، ومنذراً — في قول هانىء بن المنذر البهيلي النسابة — وقابوساً في قول غيره ، فلما هلك قُباذ وملك ابنه كسرى — وهو أنوشروان — ملك المنذر بن ماء السماء على الحيرة ، فأساء مكافأة بني آكل المرار وطلبهم وسفك دماءهم ، وجرى من ذلك ما ذكرناه في موضعه .

والمنذر بن ماء السماء هو الذي قتله الحارث بن أبي شمِر الغساني ، وجرى من أولاد الحارث أعمام امرىء القيس ما سنذكره في موضعه إن شاء الله .

وملكت بنو أسد عليها حُجْرَ بن الحارث بن عمرو ، وقيل : إن أباه كان ملكه عليها وهو أشبه ، وتمليك ربيعة للحارث بن عمرو عليها قول خراش بن إسماعيل العجلي ، وغيره يقول : إن قباذ هو الذي ملك الحارث بن عمرو على العرب ، (١٩٩) وليس ذلك بثبت .

ذكر نسب ماء السماء وسياقة خبرها : قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد العزى وقد قيل الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزّى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة — غزا امرؤ القيس بن النعمان إلى قبائل من ربيعة فأصاب منهم ، وأخذ ماء السماء وهي ماوية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن زيد مناة بن النمر بن قاسط . وكانت امرأة أبي حوط النمري — وهو كعب بن الحارث بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامرٍ الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط . وقد كانت ولدت لأبي حوط جابراً ، فجابر هو أخو المنذر بن امرىء القيس لأمه ، فلما سبى (٢٠٠) امرؤ القيس السباء

أعجبته ماوية وهي ماء السماء فتزوجها ، وجعل من أصاب من الناس في حظائر ، وأراد إحراقهم ، وكان يدعى محرِّقاً لشدة تحريقه ، فأتاه أبو حوط فآمنه وقربه ، فسأله أن يرد عليه امرأته ماء السماء . فقال امرؤ القيس : اذهب إليها فهي بالخيار ، فإن اختارتك فهي لك ، وإن اختارتني فهي لي . فانطلق أبو حوط إليها فأخبرها بالذي قال له . فقالت : إنه غير فاعل الذي سألت ، واعلم أنه لا سبيل إليَّ لما أرى من موقعي عنده ، ولكن قل له : إني قد خيرتها فاختارت الأطيب عرقاً والأكثر مرقاً ، فكان للملك الخيار فإنه يُسرُّ بذلك ، وتصيب به عنده المنزلة والكرامة ، ولا تسأله حاجة إلا أعطاكها . ففعل أبو حوط ذلك كما قالت له . فقال امرؤ القيس — حين سمع مقالته — : لا تسألني اليوم شيئاً إلا أعطيتكه . فقال له أبو حوط : فإني أسألك أهل الحظائر . قال : قد وهبتهم لك ، فسمي بذلك أبا حوط (٢٠١) الحظائر . وفيه يقول أبو نعجة صالح بن شرحبيل النمري :

ومالك كالضحيان شيخ نَعدُّه ولا كأبي حوط الحظائر والبشرِ

يعني بشر بن قيس أحد رؤساء النمر بن قاسط ، كان جليلاً ، وكانت له ردافة مع الماوي (؟) فأما الضحيان فسيمر بك خبره وخبر رؤساء ربيعة مستقصى في موضع اقتضت الحال إيراد بقية من كتاب بني ضبيعة رهط المسيب بن علس إن شاء الله .

يتلوه فصل من كلام المؤلف .

الحمدلله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم تسليماً[1] .

(١) ثم في الهامش (أحمد الله تعالى : التقط من فوائده الجليلة محمد بن المحلطه المالكي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه) .

وهذا آخر هذا الجزء الذي عثرنا عليه من كتاب « أدب الخواص » .

تاج العروس

من جواهر القاموس

- ١٧ -

[تتمة ما نشر في الجزء الذي قبل هذا]

١٢–٢١٢ : (وعَجُز هوازن : بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومنهم بنو دهمان وبنو نسّان ، وبنو جشم بن بكر بن هوازن ، كأنهم آخرهم) .

نسّان هنا صوابه : (إنسان) الوارد صفحة ٤٢١ (وإنسان بالكسر قبيلة من قيس ثم من بني نصر ، قاله البرقي ، استدركه شيخنا ، قلت : بني نصر بن معاوية بن أبي بكر بن هوازن) انتهى ولكن كلمة (أبي) التي قبل بكر زائدة .

١٢ – ص ٢٢٧ : (وعَزَوْزَى – كشروى – وضبطه الصاغاني بضم الزاي الأولى ، موضع بين الحرمين الشريفين فيما يقال هكذا قاله الصاغاني) :

عَزَوْزَى صوابه : عَزْوَر – كما ضبطه نصر الأسكندري في كتابه وقال : إنها تثنية الجحفة ، عليها الطريق بين مكة والمدينة . وانظر كتاب « المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة »[1] ورسالة عرّام .

١٣ – ص ٢٦٣ : (وغَمِيزُ الجُوع – كأمير – تَلٌّ بِطرف رَمّانَ ، عند مُويهة بها ، نقله الصاغاني) .

وفي « معجم البلدان » : زيادة (في غربي سَلْمَى أحد جبلي طيء . أخبرني بذلك محمود بن زغل ، صاحب محمود بن بُريك بحلب) .

ويظهر أن هذا الكلام لياقوت ، فهو لم ينسبه لأحد .

---

(١) ص ٤٥٧ .

وهذا النقل عن هذين العالمين الجليلين غريبٌ حقاً ، فغميز الجوع لا يزال معروفاً ، وهو بعيد عن رَمّانَ ، شرقه وليس غرب سَلْمى ، بل في الجنوب الشرقي منها ، وهو جبل مفرد كأنه رجل قائم ، في الجنوب الغربي من قرية الكهفة ، وفي الشمال الغربي من قرية القوارة . ويقع في الجنوب الشرقي من بلدة فَيْد الواقعة في سفح جبل سلمى شرقاً ، يرى منها عن بُعْدٍ .

وأرى أن كلمة (رمّان) سبق قلم حين أراد الكاتب أن يكتب (سَلْمَى) وأن كلمة (غربي سلمى) كذالك صوابها (شرقي سلمى) . وهذا هو أحسن ما يوجّه به كلام هذين العالمين — رحمهما الله تعالى — .

١٤ — ص ٣٠٣ : (وقال عُرَام : هذه قُمْزة من تمر وكَمزة وهي الفدرة) . لا أدري على أي كتاب عَوَّل من ضم العين هنا ، والمعروف في اسم هذا الرجل عَرَّام — بفتح العين والراء مشددة — .

١٥ — ص ٣٢١ : (ليلى بنت قُرَّان) وفي الهامش : (هكذا « القاموس » وفي « العُباب » وهي بنت فَرَّان بن بلي) .

ضَبْط صاحب « القاموس » : فران بن بلي هذا يوهم أنه بتشديد الراء ولهذا قال شارحه : (ومنهم من ضبطه كَسَحاب) وهذا الضبط هو الذي ذكره المتقدمون كالهمداني وغيره وبفران هذا سمي معدن فران الوارد في قول الشاعر :

متى كان للقينين قين طميّـــــة وقين بـــليٍّ معـــدنٌ بِفـــرانِ

١٦ — ص ٣٢٥ : (ذكرها[1] أبو عبيدة في الخيل) وفي الهامش : (في مطبوع التاج : أبو عبيد ، والمثبت من اللسان) ولكن أليس من السهل الرجوع إلى كتاب « الخيل » لأبي عبيدة وهو مطبوع للتيقّن من صحة ما في « اللسان » ؟ .

والمؤلف قصد أبا عبيدة معمر بن المثنى مؤلف كتاب « الخيل » وقد ذكر اللاهز في هذا الكتاب[2] وهو مطبوع في حيدر آباد في الهند .

---

(١) أي (دائرة اللاهز من دوائر الخيل التي تكون على اللهزمة وتكره) .

(٢) ص ١١٥ .

١٧ ــ ص ٤١٣ : (وقال ابن أحمر :

كما تَطاير عن مأنوســة الشــرر

وفي الهامش : (اللسان) أي أن مُخَرِّجَهُ اقتصر على ذكر « اللسان » وشعر ابن أحمر مجموع في ديوان مطبوع ، والقصيدة التي منها هذا الشطر أوردها صاحب كتاب « جمهرة أشعار العرب » وهو كتاب مطبوع أيضاً .

١٨ ــ ص ٤٨٠ : (وترمس ماء لبني أسدٍ ، أو وادٍ ، ويفتح) .

وأُضيف : لا داعي لذكر (أو) التي قد يفهم منها الشّك ، فالاسم يطلق على وادٍ عظيمٍ ، والأودية غالباً ما تكون محلا للمياه . وقد جاء في كتاب « شمال المملكة » عن هذا الوادي ما نورده ترويحاً للقارىء من جفاف البحث ــ وكتاب « شمال المملكة » لا يزال مخطوطاً .

التُّرمُسُ ــ بضم التاء وقد تُفتح وإسكان الراء المهملة وضم الميم بعدها سين مهملة في كتاب نصْر : الترمس ماء لبني أسد وقال ياقوت : موضع قرب القنان من أرض نجد . انتهى .

وقال الجاحظ[1] : قال المرار بن منقذ :

وكأن أرحلنــا بجــوّ محصَّب ... بِلوَى عُنَيزة من مَقيلِ التُرْمُسِ

في حيث خالطت الخزامى عَرْفجاً ... يأتيك قابس أهلهــا لم يَقْبِسِ

وإنّما وصف خصب الوادي ولدونة عيدانه ورطوبة الورق : انتهى

والبيتان في كتاب « المخصص »[2] والأول فيه :

وكأن أرْحُلنا بوَهْد مخصــب ... يُمْنى عُنَيزَة من مفيض التُّرمُسِ

وهذا أصوب مما في كتابي الجاحظ ، ويظهر أن كلمة (مقيل) فيهما تصحيف (مفيض) والترمس وادٍ لا يزال معروفاً ، تنحدر فروعه من جبل حبشي الواقع شرق بلدة سَميرا ، باتّجاه الشرق ، حيث تلتقي بشعيب العُظَيم ، ثم بوادي الغمار

---

(١) «البيان والتبيين» ٣/٣٤ و «الحيوان» ٣/١٢١ و٤/٤٦٥ .

(٢) ١٠/١٣٣ .

وهو أعلى وادي الترمس – وبعد اجتياز المرتفعات مشرقاً يدع جبل عنز يمينه (ويدعى هذا عنز الترمس) حافّاً بالطرف الشمالي من المرتفعات المعروفة باسم الطِّراق ، تاركاً قرية الكهفة شماله ، ثم ينعطف شمالاً مارّاً بمنهل شَرْي (شرج قديماً) ثم يفيض بمربخ النفود ، غرب نواظر . وذكر الأستاذ العبودي[1] أن فروع وادي الترمس تبتدىء من جبل ذرف (ترف) .

ويقع وادي الترمس[2] من أعلى روافده إلى مفيضه بين درجتي العرض ٣٠/٢٦ و٣٠/٢٧° . ودرجتي الطول ١٥´/٤٢° و٤٠´/٤٣° تقريباً) .

١٩ – ص ٢٣٤ : (والعُزَّيان – مثنّى – هما بظاهر الكوفة ، حيث قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . زعموا أنه بناهما بعض ملوك الحيرة ، وخيالان من أخيلة حِمَى قَيد ، يطؤهما طريق الحاج ، بينهما وبين فيد ستة عشر ميلاً) .

العُزَيّان – صوابهما – الغرَيّان مُثَنّى غرِي – بفتح الغين المعجمة وكسر الراء ، وهذا لا يحتاج إلى الإطالة .

٢٠ – ص ٤٢٥ : (قَرَن بن رومان بن ناجية بن مراد) .

رَوْمان : صوابه رَدْمان – بالدال بدل الواو كما في كتب النسب ، وانظر لتفصيل نسبهم كتاب « الإكليل » للهمداني .

٢١ – ص ٤٥٢ : (بُسٌّ – بالضم – جبل قرب ذات عرق . وقيل : أرض لبني نصر بن معاوية قرب حنين . ويقال : اسم جبال هناك في ديارهم . وإياه عنى عباس بن مرداس السلمي :

ركضت الخيل فيها بين بُسٍّ إلى الأوراك تنحط بالنهاب

وقال ابن الكلبي : بس بيت لغطفان بناه ظالم بن سعد لما رآى قرشاً يطوفون بالكعبة فمسح البيت برجله ، عرضه وطوله ، وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من

---

(١) بلاد القصيم .

(٢) أنظر عن وادي الترمس «العرب» ص ١٩٨ س ٩ .

(٣) ج ٢ ص ٤٢ .

المروة فرجع إلى قومه ، فبنى بيتاً على قدر البيت ، ووضع الحجرين ، فقال : هذان الصفا والمروة فاجتزؤوا به عن الحج ، فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه . وتقدم أن العزّى سمرة عبدتها غطفان ، أول من اتخذها ظالم ابن أسعد فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال ، بنى عليها بيتاً وسمّاه بُسّاً . وأقام لها سَدنة ، فبعث إليها رسول الله (ص) خالد بن الوليد فهدم البيت وأحرق السمرة ، فانظر هذا مع كلامه هنا ففيه نوع مخالفة . ولعل هذا البيت هدم مرتين ، مرة في الجاهلية على يد زهير وقتل إذ ذاك بانيه ظالم . والمرة الثانية عام الفتح على يد خالد بن الوليد ، وقتل إذ ذاك سادنه ربيعة بن جرير السلمي .

ولو قال : وبُسٌّ بيت لغطفان هي العُزّى كان قد أصاب في جودة الاقتصار .

وقوله : جبل قرب ذات عرق وأرض لبني نصر ، ثم قوله : وبيت لغطفان كل ذالك واحد ، فإنهم صرحوا أن أرض نصر هذه هي الجبال التي فوق النخلة الشامية بذات عرق ، وبه سمي البيت المذكور وبنو نصر بن معاوية مع غطفان شيء واحد لأنهم أبناء عمٍّ أقرباء ، فغطفان هو ابن سعد بن قيس عيلان ونصر هو ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان) . انتهى .

في هذا الكلام ما يحتاج إلى تعليق ، نجمله بما يلي :

١ — بُسٌّ جبل لا يزال معروفاً يقع جنوب ذات عِرْقٍ (الضريبة الآن) .

٢ — ليس بُسٌّ قُرْبَ حُنَين ولكنه مُطِلٌّ على سهل أوطاس غَرْبَهُ ، وأوطاس[1] شرق جبال الحجاز ، وحُنَيْنُ في تهامة ليس بعيداً من مكة ، والذي حمل على القول بقرب بس من حُنين قول العبّاس بن مرداس الذي أورده المؤلف ، وهو من قصيدة قالها يوم حنين ، وهوازن — كما هو معروف — هربوا من حنين إلى أوطاس .

٣ — سادن العُزّى الذي قتله خالد بن الوليد لما هدمها ليس اسمه ربيعة بن

---

(١) حددت موقع أوطاس في «العرب» في تعليقي على كتاب «بنو سليم» .

جرير ، بل دُبَيّةُ بن حرَمي – كما تقدم صفحة ٢٢٤ من هذا الجزء – ولا شكّ أن ما وقع هنا – أي ربيعة بن جرير – تصحيف سيء .

٤ – جبل بُسٌّ جانب عظيم بارز من الحرّة يشاهد من بُعْد ، وليس من بناء البشر حتى يصح القول بأنه البيت الذي بنته غطفان وعبدته ، والعُزّى كان موقعها شعب حراض من شعاب نخلة الشامية ، أي غرب ذات عرق ، وجبل بُسّ جنوبها يطل على صحراء ركبة من نجد ، ووادي نخلة من أودية تهامة .

٥ – العُزّى سمرات أو شجرات ، وبُسٌّ غطفان بيت بنوه بناء ، وكونهم شاركوا في عبادة العزّي لا يدلُّ على كونها هي بيتهم الذي بنوه .

٦ – بنو نصر لم تكن بلادهم مخالطة لبلاد غطفان ، بل يفصل بين بلاد القبيلتين بلاد بني عامر وبلاد بني سُليم ، فغطفان تنزل حرة خيبر وما شرق من أوديتها وما أشمل منها وما يقرب تلك المواضع ، أي إنها شرق المدينة ، أما بلاد بني نصر فتقع شرق مكة مجاورة لقبيلة هذيل ولقبيلة ثقيف ، ولقبيلة بني عامر بن صعصعة .

والقرابة في النسب لا تستلزم الاختلاط في البلاد . فطيءٌ أقامت بجوار الجبلين في نجد محاطة بقبائل عدنانية ، وعنزة أقامت بقرب خيبر وهو من ربيعة بين قبائل من مضر ومن قضاعة . ولا يتسع المجال للإسترسال في الحديث .

٢٢ – ص ٤٥٤ : (ذكر ابن الكلبي في الأنساب ما نصه : من بني عبد الله بن هبل بْنِ أبي سالم الذي أتى قريشاً حين أرادوا بناء الكعبة ومعه مال فقال : دعوني أشرككم في بنائها فأذنوا له ، فبنى جانبه الأيمن) انتهى .

هُبَل كلب هو ابن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب . وكلمة (ابن) يجب أن تكون مضمومة لا مكسورة كما هنا .

٢٤ – ص٥٠١/٥٠٢ : (وجسّاس – ككتاب– بن نشبة بن ربيع التميمي بن عمرو بن عبدالله بن لؤي بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مناة بن أد ، أبو قبيلة) .

أبو علي الهجري

أشرت – في كتابي « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع »[1] إلى أثر علماء الأندلس في نشر كتب الهجري ، وأن المشارقة لم يعرفوه إلا بواسطة علماء المغرب ، كثابت بن حزم السرقسطي في « الدلائل » وأبي عبيد البكري في « معجم ما استعجم » و « فصل المقال » والرشاطي في « اقتباس الأنوار » وممن لم نذكره

التميمي – هنا – صوابها التيمي، فهو من تيم بن عبد مناة ، لا تيم الله كما هنا وانظر كتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم وغيره من كتب النسب .

٢٤ – ص ٥٦٧ : (قال معن بن أوس) :

وقد علمت نخلي بأحـــوس أنني أقل وإن كانت بلادي اطلاعها

وفي الهامش : (اللسان ، وفي ديوانه ٣٣ كانت تلادي) .

ولا أدري لم التشبث بكلمة (بلادي) وهي خطأ لا شك فيه ، وكثيراً ما صحح المحققون أخطاء مطبوعة « التاج » ؟ !

وتكرر مثل هذا كثيراً ومن أمثلته :

١ – إنسان بن عوارة – ٤٢٢ – وهو عِتوارة باتفاق علماء النسب .

٢ – وهو أصل الضعفاء – ٤٢٢– ولا شك أن الصواب (وهو أحد الضعفاء) كما في الهامش نقلاً عن كتاب « تبصير المنتبه » .

(للبحث صلة) حمد الجاسر

---

(١) من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) سنة ١٣٨٨–١٩٦٨ بعنوان (٨ – نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب) .

(٢) ص ١٩٩ الطبعة الثانية .

من أولئك العلماء ابن مكي الصقلي (المتوفي سنة ٥٠١هـ) فقد نقل في كتابه « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » فصلاً من نوادر الهجري بدأه بقوله[١] : (من نوادر الهجري : الغفر – بالضم – ولد الأروية) .

وأشرت إلى أن كتاب الرشاطي الذي أكثر فيه النقل عن الهجري فيما يتعلق بالأنساب وصل الينا من مختصراته كتاب البلبيسي الذي جمع فيه بين كتابي الرشاطي وابن الأثير في الأنساب[٢] ، ونقل فيه بعض ما نقل الرشاطي عن الهجري . ونسخة كتاب البلبيسي التي وصلت إلينا هي مسودة الكتاب ، وفيها نقص ، وما فيها عن الهجري يتعلق بالأنساب ويظهر أن مؤلف الكتاب البلبيسي أراد أن يكتب ترجمة للهجري ، خلت منها المسودة هذه فقد جاء فيها في رسم (الهجري) ما نصه : (نذكر هنا ترجمة أبي علي زكريا بن هارون الهجري إن شاء الله) ولم يرد شيء بعد هذا .

وهنا ملاحظة جديرة بالدراسة وهي أن المؤلف ذكر أن اسم الهجري زكريا بن هارون ، لا كما هو معروف في كتب التراجم التي وصلت إلينا أنه هارون بن زكريا ، وسيأتي في (اليحيوي) نصٌّ صريح يؤيد ما ذكر المؤلف هنا .

وها هو ما وقع عليه نظري أثناء تصفح ما صور لي من كتاب البلبيسي من النقول عن الهجري .

١ – الأزرق : وفي سليم الأزرق وهو مالك بن عوف بن عصية بن خفاف . قال الهجري : والأزرقي هو جَبْر بن عقبة بن مرداس بن مطهر بن طلق بن عمرو بن مالك وهو الأزرق .

وفي نهد : قال الهجري حبش بن سعيد بن مجاهد الأزرقي أزرق نهد ، وذكر له شعراً .

---

(١) ص (٣٢٤/٣٣٠) .

(٢) بعضهم يسميه «القبس» كما في مقدمة «الأنساب » للسمعاني – ص ٥ – التي كتبها العلامة عبد الرحمن اليماني – رحمه الله – وصاحب «تاج العروس» سماه في مقدمة «التاج» ص ٧ «مجمع الأنساب» .

٢ ــ الأخثمي : ــ مثلثة ــ في سليم أخثم بن وهب بن عبدالله بن قنفذ . قال الهجري : أنشد الأخثمي أبو جحيش لعمرو بن المسلّم :

وقائلة ما بــال عينيــك يا فــتى ... مراقهمــا مكحولــة بالقذا تندا ؟
فقلت : قذاً في العين هل تبصرنه ؟ ... فقد فاوقت من بعدكم أعيناً رُمْداً
يفيضان دمعــاً بكرة وعشيــة ... وعافية إن لم يفيضــا دماً صَردا

٣ ــ الأعقلي : في جشم بن معاوية بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية بن جشم . ذكر أبو علي الهجري صَمُوتاً الأعقلية وذكر لها شعراً ، وذكر جابر بن عباس .

٤ ــ التبالي : بفتح التاء والباء وآخرها بعد الألف لام . تبالة باليمن في طريق مكة ، يضرب بها المثل يقال : أهون من تبالة على الحجاج ، وهي أول ولاياته ، فقال : أين هي ؟ حين قرب منها . فقيل : هي وراء تلك الأكمة فقال : أهون ببلد تستره أكمة ، ورجع ، فضربت مثلاً . وقال ابن خرداذبة : هي مدينة كبيرة ، فيها عيون كثيرة ، وقال الهجري : أنشدني التبالي ــ ولم يذكر الرشاطي اسمه ــ ،

وقائلــة لما استقلــت ركابنــا ... ومقلتهــا تجــري دمٌ ودمــوع
ألم يــأن للركــب الذين تحملوا ... إلى بلد فيــه الحبيــب رجوع ؟
فقلــت ولم أملك سوابــق عبرة ... نطقــن بمــا ضمت عليه ضلوع
تبــين فكم دار تفــرق أهلها ... وكم من شتيت كــان وهو جميع
وما الدهر والأيام إلا كمــا ترى ... لكل اجتماع فرقــة وربــوع

قلت (س)[1] : يمكن الجمع بين استصغار الحجاج لها واستهوانه وبين قول غيره إنها مدينة كبيرة أنها كانت في وهدة من الأرض بواد كبير مستقل ، وهو كان لم يقرب منها بحيث يشرف على الوادي فيراها ، وكأنه استبعدها فأراد دليله عليها تقريبها وهي ليست وراء أكمة حقيقة ، ولو كانت أصغر القرى ، وإنما أراد إذا تعدّيت تلك الأكمة رأيتها ، كعادة العرب في تقريب البعيد . .

---

(١) س : البلبيسي المؤلف .

وقياس قوله في الشعر : ومقلتها تجري دم ودموع النصب .

وقوله : لكل اجتماع فرقة وربوع : الربوع الإقامة ، يقال : ربع بالمكان إذا أقام به فالمعنى على هذا : لكل اجتماع فرقة وإقامة ، وليس كذلك . قَدْ وَقَدْ . والله أعلم .

٥ ــ الثّرواني ــ نقل عنه الشيخ اليماني في حاشية « الأنساب » .

٦ ــ الثمامي : ــ نقل عنه أيضاً ما هو موجود في المسودة وقد نقلته في تعليقي على رسالة عرّام ، في مقال نشر في « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » ونقل بعضه الأستاذ عبد السلام هارون في طبعة رسالة عرام في مجموع (نوادر المخطوطات) .

٧ ــ الجبهي : في الأزد جعفر بن عبدالله من جبهة الأوس من الحجر بن الهنوء بن الأزد من السراة ، ذكر له الهجري شعراً .

٨ ــ الجروي : نقل عنه الشيخ اليماني أيضاً .

٩ ــ الحُتَفِي : في جشم بن معاوية آل حتيف بن جراعة بن غزية بن جشم بن معاوية ، يقال لهم العلقات ، رهط دريد بن الصمة قاله أبو علي الهجري ، وأذكر دريد بن الصمة في العلقاني إن شاءالله .

١٠ ــ الحدرجاني : في نمير حدرج مقلوب دحرج ، أنشد أبو علي الهجري لعسكر بن فراس الحدرجاني من عامر بن نمير :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلــة ... وكفي على خصر مليــح نبايلــه
كدعص النقا ، قد لبّد القطرُ متنه ... وأنبت أفواه البقــول خمايلــه

وقال : أفواه البقول أطيبها رائحة ، وأحرارها أنفعها .

١١ ــ الرنوي ــ نقل عنه اليماني أيضاً .

١٢ ــ الشهابي : في قيس عيلان : شهاب بن كعب بن عبيد بن أبي بكر بن كلاب . قال الهجري : البزرى لقب أبي بكر بن كلاب ، وأنشد لناهض بن ثومة الشهابي من كلمة له ، قالها يوم مرامرات ، يوم لهم على بني فزارة .

وكان القوم أنــداداً وكانــت ... بنو البزرى لحي بني سنــــان

١٣ – العُتْبي : عين مضمومة وتاء ساكنة وموحدة

قال الهجري : فصحاء الحجاز يقولون في عتبة وكل اسم على فعلة فُعِلي ، غير زنمة وحمرة (؟) فإنهما بكما لهما (؟) ساكنتا الثاني .

١٤ – العُريجي : – عين مضمومة وراء مفتوحة ومثناة تحت ساكنة وجيم – في عنز بن وايل قال أبو علي الهجري : أنشدني شيخ من جرش لثابت بن عبد الملك العريجي .

١٥ – اللبيدي : في سليم . قال الهجري : قرة بن عياض . أحد بني مالك بن أهيب بن عبدالله بن قنفذ بن مالك بن عوض بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم . كان شيخاً ففركته زوجته جحيفة الضبابية ، وله منها مكرم فقال يعيرها بأنه تزوجها فقيرة وهو غني :

مهـلاً جحيـف لتقول زورا مـتى حلبـت أربعـين خورا ؟
إلاثليمـا قعبـك المكسـورا

الخور : رقاق البطون والجلود وضرعها مسترخ وهي غزيرة . ولجيحفة تُنَقِّز ابنها مكرماً :

وهبتـه وأنـتَ خير واهـب من شيخ سوء يابـس الرواجـب
مُحَنِّبٍ مثل الغـراب الناعـب

١٦ – المُطَرِّفي : – ميم مضمومة وطاء مفتوحة وراء مشددة مكسورة وفاء – في كلاب . قال الهجري : مطرف بن قتادة بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب . أنشدني زياد بن عمير بن حبتر بن عبدة بن حبيب بن عبدالله بن مطرف لخنساء :

ذهـب الـذيـن أُكِنُّ بَاقـيَ ودِّهِمْ بين الضـلوع واخبر الأسرارا
حلواً برابيةٍ معـمول حـدسـهم فأرى البيـوت ولا أرى ديّارا
مـاشـأنُ منزلة باعلى تلعـه لا يوقـدون لمن تنـور نـارا
(...)[1] القوم أغار عليهم في نواحيهم

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة .

غُرَّب أين يقـــع ؟ !

جاء في « ديوان لبيد » :

فلستُ بركن من أبانٍ وصاحـــة ولا الخالدات من سواج وغُرَّب

فأين يقع غُرَّب ؟ ! وأين تقع صاحة ؟

وهل سواج هو الجبل الواقع بقرب هجرة دخنة ؟

بريدة – سعد بن عبدالله الدويحس

العرب : أفضل الأستاذ الباحث الشيخ سعد بن عبدالله بن جنيدل بإتحاف القراء

---

١٧ – المعافري – ميم مفتوحة وعين وألف وفاء مكسورة وراء ... وقال الهجري : المعافر بن كُنيع بن ذي خطبان بن بواكر بن ردمان بن قيس بن جشم بن عبد شمس ...

١٨ – الملجَمي في هذيل : قال الهجري في فصائل قرد بن معاوية : بنو الملجم رهط أبي المسيب الشاعر صاحب سلمى ، ورهط رافع بن عبدالله .

١٩ – الهُبَيْري : في سُليم هبيرة أخو عباس بن مرداس منهم عبدالله بن هبة ، من مرداس سُليم ذكره الهجري .

٢٠ – اليحيوى : وفي سليم يحيى بن فالح بن عباس بن يزيد بن مرداس ، ويزيد بن مرداس أخو عباس بن مرداس المقدم ذكره . وقال الهجري : جهن الشيء يجهن جهونا قرب والجمع أجهان . وقال : قال لي اليحيوى – يحيى من بني مرداس ، وهم أفصح من بين المسجدين : يا زكريا[1] جهنت وفاتي ، أي قربت . وذكر صو[2] بن أبي هُبرة بن عقبة اليحيوي ولعله الذي تقدم في قول الهجري : قال لي اليحيوي . والله أعلم .

---

(١) وهذا نص صريح يؤيد ما تقدم من أن اسم الهجري زكريا – كما تقدم .

(٢) كلمة غير واضحة .

بهذا البحث الممتع الذي يتضمن الجواب عما سأل عنه الأخ الكريم . وهذا البحث من كتاب « عالية نجد » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

أما صاحة فقد حدد الأستاذ الكريم موقعها في الجزء الذي قبل هذا من مجلة العرب .

غُرَّبُ : بغين معجمة مضمومة وراء مهملة مشدّدة مفتوحة وآخره باء موحّدة : سلسلة جبلية سوداء ، غير مرتفعة ، تمتد من الغرب الشمالي إلى الشرق الجنوبي وتنخفض أطرافها الشرقية تدريجياً ، وفيها قمم صغيرة بارزة يتوسّطها قرن أسود يبدو بارزاً فيها ، ويحفّ بها من الناحية الجنوبية رملة دقيقه تغطي بعضاً من جوانبها المنخفضة وامتداداتها الشرقية المتدرجة ، أما ناحيتها الشمالية فهي جبلية شديدة الانحدار ، تقع شرقاً من هجرة عرجة ، وشرقاً شمالياً من مدينة الدّوادمي على بعد ستين كيلاً تقريباً ، ولها ذكر كثير في أشعار العرب وأخبارهم ، قال الشاعر الشّعبي حمد بن إبراهيم بن عمّار :

خلّاف ذا يَـا راكـب فَـوْقْ دَاوِي
أشْعَلْ ضرَابِ عقابْ من كلّ عِرْماس[1]
تَـوّهْ منيْـب بالشّعيْـب العَذَاوِي
يرعَى حماهْ مَسَيّلِهْ كلّ رَجّاس[2]
يَرْعَـاهْ من حَدّ امّرهْ لِلْمِطَـاوِي
وإلى تحدّرْ شافْ غرّبْ والأطْعَاس[3]

ويقول عبدالله بن سبّيل :

تَرْعَـى من الغرّبْ إلى حَـدّ جمـرَانْ
ومَا طَرّت العِبْلَهْ على وَادِي الهِيْش[4]

---

(١) داوي : جمل حثيث السير . أشعل : أشقر اللون . عرماس : الناقة النجيبة .
(٢) توه منيب : قريباً طلع ناباه . العذاوي : الطيب المرعى . رجاس : سحاب قوي الرعد .
(٣) من حد إمرة : من هضبة إمرة . شاف : رآى . الأطعاس : كثبان النفود .
(٤) جمران : جبل . طرت : حدت . وادي الهيش : واد شمال نفي .

ومِصْيَافُها وانْ صَرَّم العُودْ فَيْحانْ
وادِي نفي علّهْ حقُوق المَرَاهِيْش[1]

وقال ياقوت : غُرّب بضم أوله وتشديد ثانيه وآخره باء موحدة ، علم مرتجل لهذا الموضع : اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب ، وقال أبو زياد : غرّب ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير ، قال جران العود النميريّ :

أيا كَبِداً كادت عَشيّة غرّب ... من الشّوق إثر الظاعنين تَصدَّعُ
عشيّة ما في من أقام بغُرّب ... مقام ، ولا في ما مضى مُتَسَرّع

وقال لبيد :

فأيّ أوان ما تجيئني منيّتي ... بقصد من المعروف لا أتعجّب
فلستُ بركن من أبان وصاحة ... ولا الخالدات من سواج وغُرّب
قَضيتُ لباناتٍ وسَلّيت حاجة ... ونفسُ الفتى رَهنٌ بِغمزَة مُؤرب

أي بغمزة ذي إرْب ودَهي .

قلت : ذكر ياقوت أن غرباً ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير ، عن أبي زياد . والواقع أنها جبل وليست ماء ، ويفهم كذلك من شعر لبيد أنها جبل بقي خالداً على مر العصور كما بقي سواج وصاحة وأبان ، وهذه كلّها أعلام شهيرة في نجد لا تزال معروفة بأسمائها .

وغرب ، من أعلام الشريف ، في بلاد بني نمير . وقال مالك بن الرّيب المازني :

عَلَيَّ دماء البدن ، إن لم تفارقي ... أبا حردب يوماً وأصحابَ حَرْدَب
سَرَت في دجى ليل ، فأصبح دونها ... مفاوز جُمران الشُّريف فغرَّب
تُطَالِعُ من وادي الكلاب كأنّها ... وقد أنجَدَتْ منه فريدة ربرب

---

(١) مصيافها : مرعاها وموردها في الصيف . صرم العود : يبس العشب وتحطم . عله : أمطره عللا . حقوق : صبب . المراهيش : السحائب ضوء برقها قوي .

جمران : قرن أسود يناوح غرّباً من ناحية الشمال الغربي وعنده ماء ، لا يزال معروفاً بهذا الأسم .

وفي شعر مالك بن الريب نجد أنه ذكر غرّباً مع ذكر جمران ونسبهما إلى الشُّريف ، وهو يتفق مع ما ذكره ياقوت عن أبي زياد في تحديدها ، وهو الواقع ، فهذه الأعلام واقعة في بلاد الشريف ، ضمن بلاد بني نمير قديماً ، أما في هذا العهد فإنّها واقعة في بلاد قبيلة الرّوقة من عتيبة تابعة إداريّاً لإمارة الدّوادمي .

غُرَّب ، أيضاً كالذي قبله : هضاب سود غير كبيرة ، تقع في الناحية الشرقية من سَمار الحمار ، جنوب جبل ظلم ، والحمار محدّد في رسمه .

وفيها يقول الشاعر الشعبي هويشل بن عبدالله :

سَقْـــوَا إلى حَطّوْا لهَـــا الشّرْق يِمّاتْ
وإنْ نِكبّتْ شَمْس العَصِـــير بقَفاهَا[1]

قَدْ عقّبـــتْ ذِيْك الخُشُوْم المنِيْفـــاتْ
خلّتْ حَضَنْ وخُشُوْمُ غرّب وَرَاها[2]

تَشْرَبْ من الوادِي وتصْدِرْ مْحِيـــلاتْ
تَبْغِي من الصَّخَةْ دَغَالِيْب مَاهَـــا[3]

وهي واقعة في ملتقى بلاد عتيبة ببلاد سبيع[4] ، الواقعة شمالاً شرقياً من بلدة الخرمة . وهي التي وردت في قول حيّان بن جبلة المحاربي وهو شاعر جاهلي :

---

(١) سقوا : دعاء بسقيا الغيث . إلى حطوا : إذا جعلوا . يمات : إتجاهات .

(٢) خلت : تركت . وراها : وراءها .

(٣) محيلات : متحولات منه إلى غيره . دغاليب : ماء دبج – بين المر والحلو – .

(٤) قال فيها شاعر من قبيلة سبيع يحدد بلاد قومه :

لي ديرة ما بين غي وغرب وبين الغراميل الطوال وتيم

على ما روى لنا الأمير حسين بن جريس أمير وادي الدواسر وقال : غي هو أغي القديم ، يقع شرق جبل الحمار المنقاد من ظلم نحو الجنوب حتى يقبل على عرق سبيع (رملة بني عبدالله بن كلاب قديماً) وغرب جبل بقرب غي وقد يقال بنات غي وهي أكمات (جبيلات) ملاصقة للحمار شرقاً (العرب) .

ألاَ إنّ جيران العشيّـــة رَائح دعتهم دواع من هـــوى ومنادحُ
فَسَاروا الغيث فيه أغي وغرّب فذو بَقَر فشابة فالذّرائـــح

قلت : أغي ، يدعى في هذا العهد « بني غَيّ » وهو قريب من غرّب ، وهذه البلاد تابعة لإمارة مكة المكرمة .

أما ذو بقر وشابة والذرائح ، فهي باقية بأسمائها واقعة في أعلا البلاد من بلاد محارب ، وفي هذا العهد تابعة لإمارة المدينة المنورة .

وقال الراعي النُّميري[1] في ذكر غُرّب وهو يصف نساء :

وسرْب نساء لو رآهنّ راهـــب له ظلّة في قُلّة ظـــلّ رانيـــا
جوامع إنس في حيـــاء وعفّـــة يَصدنَ الفـــتى والأشمَط المتناهيا
بأعلام مركوز فعـــنز فغـــرّب مغاني أمّ الوبـــر إذ هي ماهيـــا

قال ياقوت تعليقاً على هذه الأبيات : عنز بلفظ العنز من الشاء ، موضع بنجد بين اليمامة وضرية ، وعنز أيضاً موضع في شعر الراعي ، ومركوز جبل في شعر الراعي .

قلت : غرّب تقدم وصفها وتحديدها ، أما عنز فإنها قُفٌّ يقع شمالاً من غرّب ، غرب صفراء السِّر ، غير بعيد من غُرّب ، فيما بين اليمامة وضريّة ، وهو الذي عناه ياقوت ، وهو كذلك — فيما يبدو لي — الذي عناه الراعي في شعره ، لأن الراعي نميريّ وغرب واقعة في بلاد قومه وعنز ملاصقة لها ، أي لبلاد قومه ، ولا يعرف في هذه البلاد موضع باسم عنز إلاّ هذا الموضع ، وقد حُفرت في عنز آبار ارتوازية وأقيمت فيها زراعة واسعة .

أما مركوز فإنه لا يعرف في هذه الناحية موضع بهذا الأسم في هذا العهد ، غير أنّ الكثيرين في هذا العهد يقولون لجبال جمران المطلة على مائه مذاريب جمران ، ويقولون لقرن أسود مرتفع بارز في طرفها الجنوبي مركوز جمران[2] ، وهي واقعة

---

(١) لعله الراعي الكلبي — من كلب — فهو الذي يذكر مواضع في بلاد بني كلب شمال الجزيرة (العرب).
(٢) يطلق المركوز على الجبل المنفرد المرتفع ، فكأنه وصف وليس علماً (العرب) .

شمال غرب ، يُرى أحدهما من الآخر وعنز واقعة شمالاً منهما . وجمران كذلك من بلاد بني نمير قديماً – وفي هذا العهد من بلاد قبيلة الروقة من عتيبة .

غرّب أيضاً : جبل في ديار بني كلب ، ذكره أصحاب المعاجم بهذا الاسم .

قال ياقوت : غرّب اسم جبل دون الشّام في ديار بني كلب ، وعنده عين ماء تُسمّى غُرَّبة ، قال المتنبي :

عشيّـــة شرقي الحدالي وغُـــرّبِ

وقال البكري : قال الرياشي : غرّب موضع دون الشام إلى العراق ، قال أبو الطّيب :

ولله سَيري ما أقــلّ تَئِيّـــــه عشيّة شرقي الحدالي وغُـــرّبِ

والحَدَالي بإزاء غُرّب .

الرياض – سعد بن عبدالله بن جنيدل

العرب : جاء في كتاب « شمال المملكة » أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » بعد إيراد قول ياقوت : (قُبْلَ – بضم أوله وسكون ثانيه وبالقصر – ببلاد كلب ، وبلاد كلب وديارهم ما بين غُرَّب إلى الريان . وقال أبو الطرامة الكلبي :

وإنا لمدودون مـــا بين غـــرب إلى شعب الرَّيّان مجداً وســـؤدداً

وغُرَّب هذا جُبَيلان واقعانِ شرق وادي ثجر (فجر الآن) بما يقارب أربعين كيلاً ، في الجنوب الشرقي من بئر ثجر ، يقول أحد شعراء العامّة :

أمْسَ الضحـــا من ورا غـــربْ واليـــوم بديـــار حِـــبْران

هَلا ، هلا بالغضـــي قَـــرَّبْ هـــذا علمْ ديرتـــه بـــانِ

حبران : جبل بارز من جبال الحرَّة حرة ضرغد .

أما مركوز الذي قرنه الشاعر بغرب فهو من جبال بني كلب ، ولا يزال معروفاً ، ولكنه يُعَرَّف فيقال (المركوز) وهو جبل يقع شرق الحزول (حزن كلب قديماً)

يحفُّ به خط الأنابيب فيتركه غرباً بعد مجاوزة بلدة رفحا إلى العويقلية ويقع جنوب العويقلية بنحو خمسين كيلاً (يقع المركوز بقرب خط الطول ٣٠ـ/٤٢° وخط العرض ١٠ـ/٣٠° تقريباً) .

قبيـــــلة جهينـــــة

جاء في البحث الوافي عن قبيلة جهينة وفروعها ، المنشور في جزء رجب ١٣٩٦ (ص ١٤٣) ما نصه : (جهينة تنقسم إلى جذمين كبيرين) : (١) مالك (بني إبراهيم) الصراصرة ، ثم سرد بقية الفروع ولم يرد ذكر للجذم الثاني . . .

العيص — سعيد نايل

العرب : حقّاً كان ينبغي أن يقال : جهينة تنقسم إلى جذمين كبيرين : (١) مالك (بني إبراهيم) (٢) (موسى) . ولكنّ ما وقع تطبيع ، فمعذرة وشكراً .

وتفريع الجذم الثاني ورد في الصفحة ١٤٦ حيث جاء (موسى : الرئيس العام سعد بن غنيم) الخ ...

أثْلُ بِيشة

...أرجو إفادتي هل هذا البيت قديم أم لا

عديد الحصا والأثـــل من بطن بيشة وطرفائهـــا ما دام فيهـــــا حمامُها

ومن هو قائله ؟

بيشة — سعيد بن حسن الغامدي

العرب : قائل هذا البيت هو السمهري بن بشر العكلي ، من شعراء العهد الأموي ، وهو من اللصوص[١] ، البيت من قصيدة أوردها صاحب كتاب « منتهى الطلب[٢] » وأورد ياقوت في « معجم البلدان[٣] » أبياتاً منها .

ويحسن إيراد تلك القصيدة كما جاءت في « منتهى الطلب » فهي تعدُّ من عيون الشعر ، وقد قالها وهو مسجون :

---

(١) أنظر عن هاؤلاء «العرب» ج١ س ١١ .

(٢) الورقة ١٢٥ مخطوطة مكتبة لاله لي في اصطنبول .

(٣) رسم بيشة — طخفة .

ألا حيّ ليلى قدْ ألمّ قيامُها ... وكيف مع القوم الأعادي كلامُها ؟
تعلّلْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ ... من الهامِ يدنو كلّ يومٍ حِمامُها
وبادرْ بليلى أوبةَ الركب إنهم ... متى يرجعوا يحرمْ عليك لمامُها
وكيفَ أُحيِّيها وقد نذَرُوا دمي ... ببِيْضٍ عليها الأثْرُ فُقْمٌ كِلامُها
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينةٌ ... فما راعني – في السّجْن – إلا سلامُهَا
فلما ارتفعتُ للخيال الذي بدا ... إذا الأرضُ قَفْرٌ قد علاها قتامُها
فقلت : نساء الجنّ هوّلْنَها لنا ... ليُحْزِنَّ عَيْناً ما يجِفُّ سِجَامُهَا
كأنّ وَمِيضَ البرق بيني وبينها ... إذا حانَ من بين الحديثِ ابتسامُهَا
فإن لا تكنْ ليلى طوتك فإنّهُ ... شبيهٌ بليلى دلُّها وقِوامُهَا
فقمتُ بأثوابي فألفيتُ مايرٍ ... على مثل فحل الشول ثاوٍ سنامُها
طروح مروح فوق رج كأنما ... يُنَاط بِحَدٍّ من أزَالَ زِمَامُها
طواها اعتقال الرحل في مُدْلِهمّةٍ ... إذا شرك المومأة أودى نظامها
على شَعْبَتي مَيْسٍ وَأدماء حُرَّةٍ ... يطير بأجواز الفلاة لَغامُها
ونُبِّئْتُ ليلى بالْغَرِيّيْنِ سلّمَتْ ... عليّ ودُوني طِخْفَةٌ ورِجامُها
فإن التي أهدتْ على نَأيِ دارِها ... سلاماً لمردودٌ عليها[1] سلامُها
عَدِيدَ الحصَا وَالأثل من بَطنِ بيشَةٍ ... وطَرْفائِها ما دام فيها حمامُها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغيطةٍ ... وتَبْلى عِظامي حين تبلى عِظامُها
كذالك ما كان المحبُّون قبلنا ... إذا مات موتاها تزارُ رِمَامُها

عروة بن أُذينة الكناني الشاعر

... نشرت العرب ترجمة للشاعر عروة بن أذينة وطرفاً من شعره . مع أن الشاعر قد تصدى لجمع شعره وتحقيقه الدكتور يحيى الجبوري ، الذي لم ترد أية إشارة عنه في المجلة ، وليس فيما نشرته ما يعتبر جديداً أو زائداً عما نشر الدكتور الجبوري . وقد تحدث الأستاذ رشيد عبد الرحمن العبيدي عن عمل الدكتور

---

(١) في المخطوطة (على) .

الجبوري ونقده في مجلة « العرب » نفسها ، وفي سنتها السادسة – من صفحة ٢٠٨ إلى صفحة ٢١٥ – .

فبماذا يُعلّل فعل مجلة « العرب » في نشر ما نشرته وفي تجاهل عمل المحقق الفاضل .

الرياض – أحد القراء

العرب : كان رئيس التحرير يعني بجمع ما يعثر عليه من شعر شعراء هذه البلاد ويجمع أخبارهم ، وقد ينشر شيئاً مما جمع ، ومن أولئك الشعراء عروة بن أذينة فقد جمع بعض أشعاره وأخباره ، ثم أهمل ما جمع بعد أن نشر الدكتور الجبوري شعر ذلك الشاعر .

ولما بدأ طبع المجلة في الرياض بسبب حوادث بيروت وضياع عدد من أجزائها المطبوعة والمهيأة للطبع دعت الضرورة للبحث عن موادّ قد أهمل نشرها فكان من بينها مايتعلق بعروة بن أذينة . وخانت رئيس التحرير ذاكرته فظنّ أنه لم ينشر فكان نشر ذلك الشعر لما سأل أحد القراء عن بيت من نونيته المشهورة .

ومنزلة الدكتور يحيى الجبوري في نفوس القائمين على هذه المجلة أسْمَى من تجاهل عمله الجليل في خدمة تراثنا ، وهو كثيراً ما أتحف قراء العرب بالمفيد الممتع من بحوثه .

حرب .. هل هي عدنانية أم قحطانية (يمنية)

جاء في مجلة « العربي » ص ١٤٤ جزء رجب ١٣٩٤ (١٩٧٤م) في التعليق على كتاب « المنجد » ما هذا نصه : (ص ٢٤٢ : بنو حرب قبيلة يمنية الأصل ، استوطنت الحجاز ... الصواب : بنو حرب قبيلة عدنانية لا يمنية) وهذا القول للأستاذ ابراهيم القطان .

العرب : القول بأن قبيلة حرب عدنانية قديم وهو ناشيء عن قدم استقرار

* **المجلة العربية**

وصدر العدد الثاني من السنة الأولى من « المجلة العربية » في شهر رجب ١٣٩٦ (تموز سنة ١٩٧٦) وهي (مجلة شهرية ثقافية مصورة ، تصدر عن المملكة العربية السعودية) ورئيس تحريرها الدكتور منير العجلاني .

وكان الجزء الأول من هذه المجلة قد صدر قبل عام في مدينة بيروت التي كانت اتخذت مقراً للمجلة ، ولكن (أحداث بيروت الدامية) كانت سبباً في نقل مقر المجلة إلى الرياض .

هذه القبيلة في الحجاز موطن العدنانيين مع ورود اسم حرب كثيراً في فروع قبائل عدنانية . ولكن ليس صحيحاً أن جذم هذه القبيلة عدناني ولم يذكر هذا أحد من قدماء النسابين ، وأقدم من ذكره الإمام ابن حزم في « جمهرة النسب » ولا أعرف مصدره في ذلك ، إذ مؤلفات ابن الكلبي التي عوّل عليها ليس فيما بين أيدينا منها ما ينص على كون القبيلة عدنانية .

ولقد أوضح الهمداني في « الإكليل » أصل نسب تلك القبيلة وأنها من خولان من قضاعة من قحطان ، وذكر طرفاً من خبر انتقالها من اليمن في صدر الإسلام . وما جرى بينها وبين بعض القبائل العدنانية التي كانت تقطن قرب المدينة .

وللصديق الأستاذ عاتق بن غيث البلادي الحربي كتاب عن نسب هذه القبيلة شرع في طبعه — وكما قال في إحدى مقالته : إنها من أثرى القبائل التي أخذت من غيرها وأعطت ، فدخلت فيها فروع عدنانية ، وامتزج في غيرها من القبائل بعض فروعها ، إلا أنّ الأصل قحطاني وانظر «العرب» س ٢٦ ص ٥٤٥

وهذا الجزء يقع في ١٦٠ صفحة كبيرة ، مطبوعاً طبعاً أنيقاً من حيث الورق ووضوح الصور ، في (مطابع المطوع في الدمّام) .

ومن يتصفح هذا الجزء ، ويستعرض مباحثه يغمره السرور بصدور مجلة يُرْجَى أن تكون (أرقى مجلة ثقافية في بلاد العرب) حتى (تتحدّى أقوى المجلات العالمية) — كما جاء في فاتحة هذا الجزء من هذه المجلة .

* **فهرس مخطوطات جامعة الرياض :**

حسناً فعلت جامعة الرياض بوضع فهْرس جديد لمخطوطاتها مرتب على نمط موضوعي ، صدر جزؤه الأول مطبوعاً بطريقة (الأستنسل) في ١١٩ صفحة ، يحوي كتب الجغرافيا والتراجم والتاريخ ، وقد قام بإعداده الأستاذان صالح بن سليمان الحجي ويحيى عبد العزيز عمر ، وقد قدمه الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب عميد شؤون المكتبات في الجامعة .

* **الحركة الأدبية والفكرية في الكويت :**

كتاب ضخم ألفه الدكتور محمد حسن عبدالله ونشرته (رابطة الأدباء في الكويت) يقع في ٧٨٣ صفحة مطبوعاً بالمطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٧٤ [1] ، وأقسام الكتاب هي : ١ — الكويت وأدبها — ٢ — المؤسسات الثقافية — ٣ — الفنون الأدبية — ٤ — ملامح من الحركة الفكرية . ويحوي الكتاب معلومات واسعة عن الصحف والجمعيات والنّوادي وعن مشاهير الأدباء من شعراء وكتاب وقصصيين ، وعن المسرح . وطباعة الكتاب حسنة ، ولا شك أنه يعتبر مصدراً من أوفى المصادر التي يحتاج إليها الباحثون في تاريخ الأدب العربي الحديث .

* **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد :**

هي دراسة من إعداد الأستاذ سليمان بن سعدون البدر ، تعتمد أكثر ما تعتمد على الآثار المتعلقة بالخليج العربي وما كتبه علماء الآثار في هذا الشأن ، وملحق بهذه

---

(١) لا تتحدث «العرب» في هذا الباب إلا عما وصل إليها من الكتب وقد تنشر مواده متأخرة بسبب ازدحام المواد الأساسية في المجلة — كما حدث في هذا الباب .

الدراسة صور لبعض الآثار التي عثر عليها في تلك الجهة وخرائط كثيرة توضح مواضع التنقيب ، وقد قدم هذا الكتاب الدكتور رشيد الناضوري عميد كلية الآداب في جامعة الأسكندرية ، وقال : إن مؤلفه اعتمد فيه على الدراسات النظرية والميدانيّة.

وأبواب الكتاب هي : —١— جغرافية الخليج —٢—المواقع والمراكز الحضارية في منطقة الخليج والنتاج الأثري فيها —٣—التفسير والتصنيف المقارن لآثار الخليج ، ثم الفهارس وبيان المصادر ، وقد جاء في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير مطبوعاً طبعة حكومة الكويت .

* **ألمانيا والعالم العربي :**

دراسات تتناول الصلات الثقافيّة والعلمية والفنية بين الألمان والعرب منذ أقد العصور إلى أيامنا هذه .

والكتاب مترجم عن الألمانية ترجمه الدكتوران مصطفى ماهر وكمال رضوان ، ويقع في ٦٤٨ صفحة — طبعته دار صادر في بيروت سنة ١٩٧٤ ، وقد كرم الدكتور رودلف زلهايم بإتحاف « العرب » بنسخة منه .

* **مجلة الكتاب :**

منذ أن تولى الأستاذ هلال ناجي رئاسة تحرير مجلة الكتاب التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين وتلك المجلة تسير سيراً حثيثاً لكي تقدم لقرائها من الغذاء الفكري ما يليق أن تقدمه مجلة في مستواها وقد أصدرت المجلة عدداً خاصاً عن مؤتمر الأدباء العرب العاشر ومهرجان الشعر الثاني عشر في الجزائر جاء في ٤٥٦ صفحة ، ولا تزال المجلة سائرة نحو هدفها بجد ونشاط .

* **بشر بن منقذ الشنّي :**

وكتب الأستاذ ضياء الدين الحيدري بحثاً عن « بشر بن منقذ الشني أخباره والمتيسر من شعره » نشره في مجلة البلاغ العراقية ، ثم أفرده في جزء بلغت صفحاته ٢٦ وطبع في مطبعة المعارف في بغداد ، وبشر هذا من الشعراء المغمورين ، وأشعاره قليلة ،وجلها فيما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وفي مدح الإمام علي وأنصاره .

* **أطياف من الماضي :**

مجموعة من الشعر للأستاذ محمد عبد القادر فقيه أحد أدباء المملكة . صدرت في سلسلة المكتبة الصغيرة ، فكانت الحلقة الـ (١٤) وقدمها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي باعتبارها باقة من شعر الشاعر ، وليست كل شعره ، وتحدث في تقديمه عن صلته بالشاعر وانطباعاته عن شعره . وجاء هذا الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع الصغير مطبوعاً سنة ١٣٩٥ في مطابع الجزيرة في الرياض طباعة حسنة .

* **أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي :**

هي رسالة جامعية لنيل إجازة (الماجستير) من جامعة بغداد أعدها الأستاذ منذر الجبوري ، ثم قامت وزارة الأعلام في الجمهورية العراقية فنشرتها في كتاب بلغت صفحاته ٢٠٨ ، وكان الحلقة الـ (٦٧) من سلسلة الكتب الحديثة التي تصدرها الوزارة ، وطبع في دار الحرية للطباعة سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) وأبواب الكتاب هي : ١ – معنى لفظة أيام العرب ، وتحدث في هذا الباب عن العرب وأصلهم ، وقبائلهم وجغرافية بلادهم وبيئتهم الطبيعية – ٢ – الأيام وعرض من الناحية التاريخية ثم ذكر أشهر الأيام ثم أثر تلك الأيام في الشعر من حيث الفخر والرثاء والمدح والهجاء وغير ذلك من أغراض الشعر . وتوسع في هذا الموضوع وذكر مراجعه في آخر الكتاب .

* **الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الأعراب :**

مؤلف هذا الكتاب الحسن بن أسد الفارقي المتوفي سنة ٤٨٧ ، ومحققه الأستاذ الجليل سعيد الأفغاني ، وقد صدرت طبعته الأولى عن الجامعة السورية سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) غير آن المحقق الكريم اطلع على نسختين خطيتين اعتبرهما أصح من الأصل الذي طبع عنه أولاً فأعاد تحقيق الكتاب ، وقامت (جامعة بنغازي) بطبعه سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) فجاء في ٤٤٦ صفحة ، وحسبك بكتاب في النحو يحققه الأستاذ الأفغاني وهو العالم الضليع في هذا العلم .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

الاشتراك السنوي
٣٠ ريالاً للأفراد و٥٠ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

ج ٧ و ٨ - س ١١ محرم وصفر ١٣٩٧ هـ (كـ٢ شباط - يناير - وفبراير) ١٩٧٧

مع الإخوة في السودان

بين الخرطوم وأم درمان

(يظهر أن المرء كلما تقدمت به السن ازدادت شهوة الكلام عنده، فهكذا أحس الآن، إحساساً دفعني إلى أن أتحدث عما شاهدته أثناء أيام قليلة أمضيتها في بلاد إخوة أحبة، أردت أن يكون حديثي عنهم على سجيته، لا مبالغة فيه ولا تكلف.

وحديث كهذا لن يجد القارىء فيه جديداً، وخير له أن لا يمضي في قراءته إلى أبعد من هذا إذا تطلع إلى الاستفادة الزائدة على إراحة الفكر بكلام لا يعدو ما ألفه أو مل من سماعه في كثير من المجالس.

أما أنا فأجد راحة في نفسي حينما أذكر أولئك الإخوة، وأتحدث عما شاهدت في بلادهم، وكنت أود أن أتحف القارىء بما هو طريف ومفيد عن تلك البلاد الطيبة غير أن الأيام القليلة التي قضيتها فيها لم تمنحني أكثر مما قدمته في هذا الحديث).

وفي صباح يوم الثلاثاء ١٣٩٦/١٢/٢٣هـ (١٩٧٦/١٢/١٤) ذهبت إلى (القنصلية السودانية) للحصول على سمة دخول في جواز سفري لزيارة تلك البلاد، وكنت أتوقع قلة المسافرين إليها، ففوجئت بأن وجدت في مدخل دار القنصلية، وفي غرفة موظفي الجوازات من الناس ما حملني على التفكير في العدول عما عزمت عليه، غير أنني مِلْتُ إلى أقرب موظف تمكنتُ من الوصول إليه فأبديت له رغبتي في السفر، واستوضحته عن طريقة الحصول على سمة الدخول، فأجلسني على كرسيه وقام فأتاني بورقتين (استمارتين) أرشدني إلى الإجابة عما كتب فيهما من الأسئلة، فأردت أن أقوم عن مكانه، ولكنه عزم علي بالبقاء حتى أملأ فراغ الورقتين.

لم يكن هذا الموظف يعرفني ، ولا يعرف من أي بلاد أنا ، فكان عمله حافزاً لي على الاستمرار بما فكرت فيه من السفر ، ووجدت من لطفه وحسن استقباله ما قوّى رغبتي في زيارة بلاده ، ولكنني بعد الانتهاء من الكتابة وقفت حائراً ، ولم أشأ أن أثقل عليه ، فقمت من كرسيه ، ووقفت بحيث يراني والورقتان وجواز السفر في يدي ، لا أدري لمن أتقدم إليه بها ، إذ في الحجرة أربع مناضد ، ومن جلس بجوانبها من الموظفين مشغولون بأعمالهم ، والناس يزدحمون حولهم ، فما كان من صاحبي إلا أن أشار لي إلى أحدهم قائلاً : قدم له الأوراق وصورتين للمسافر . فتخللت المزدحمين حتى وضعت الجواز وما معه فوق منضدته ، ووقفت أرقبه من بعيد . فلما نظر في الجواز وما فيه سمعته يقول : (فين الطوابع ؟) ووضعه على طرف المنضدة ، فأخذته ورجعت إلى صاحبي مستوضحاً منه عن مكان بيعها ومقدار ثمنها . فقال : (أنت من أي بلد ؟) فلما أخبرته قال : لا حاجة للطوابع ، ولما رآى الجواز أشار إلى حجرة أخرى قائلاً : قدم الجواز للموظف الجالس أمام الباب . ولكن ذلك الموظف أرجع إلي الصورتين والورقتين وقال : ائتني بورقة من سفارتكم تحدد فيها المدة التي ستقضيها في السودان والغاية من السفر . وهي تكفي . وكان ذلك .

ثم بكرت يوم الأربعاء (١٣٩٦/١٢/٢٤ـ١٣٩٦/١٢/١٥) إلى مكتب (الخطوط السودانية) ولم أجد موظفيه أقلّ لطفاً ممن وجدته في (القنصلية) فدفعت ثمن التذكرة ثمانين جنيهاً مصرياً للذهاب والإياب ، على أن أقيم في السودان مدة لا تقل عن ١٥ يوماً إذ الثمن الكامل للتذكرة نحو ١٢٠ جنيهاً مصرياً ، ودفعت ثمناً للتذكرة من النقد الأجنبي مئتي دولار وخمسة جنيهات استرلينية ، بالسعر الرسمي في أحد المصارف المصرية . استوضحت أحد موظفي الخطوط عن الفنادق هناك ، بعد أن حددت السفر ليلة الخميس فكتب لي أسماء بعض الفنادق المتوسطة ، وقال : لو كان سفرك متأخراً مدة كافية للإبراق وتلقي الجواب ، لحجزنا لك في أحدها ، ولكنك لا تجد ازدحاماً إلا في الفنادق السياحية وهي فنادق الدرجة الأولى .

ذهبت إلى المطار الساعة الثانية عشر ليلاً وبقيت ساعتين ونصفاً حيث تأخر موعد إقلاع الطائرة نحو نصف ساعة . غير أن سهولة أمور الاستعداد للسفر من قبل

موظفي الخطوط السودانية – أو هكذا تصورتها – كانت مبعثاً للراحة ، وللتقليل من أثر الانتظار في المطار .

أقلعت الطائرة الساعة الثانية والنصف صباح يوم الخميس ، فاسترخيت في الكرسي فغلبني النوم ، ولم أستيقظ إلا وصوت قائد الطائرة يعلن الوصول إلى مطار الخرطوم قائلاً : (والحرُّ في الخرطوم ليس كالحرّ في القاهرة إنه أقل ، فدرجة الحرارة هنا ٢٤ بينما في القاهرة ١٢ نعم ١٢ فقط) يقول هذا مازِحاً ! !

المعاملة داخل المطار كانت سهلة ، وإن كان موظف الجمرك طلب مني فتح حقيبتي ، فلم يرَ فيها ما يرغبه في إطالة النظر إلى ما تحتوي . فقلت له ضاحكاً : لقد طوّفتْ في كثير من مطارات القارات الثلاث أوربة وامريكة الشمالية وإفريقية ، فلم يكلف أحد من موظفي الجمارك هناك نفسه عناء النظر إلى ما في داخلها سواك . فاعتذر اعتذاراً مهذّباً رقيقاً .

وفي سيارة أجرة ركبتها من المطار طفت بأربعة فنادق من الدرجة المتوسطة فما دونها ، فلم أجد فيها سكناً ، بعد توطين النفس على الرضا بأيّ سكن كان .

وبإرشاد من أحد من يعرفهم سائق السيارة ذهبنا إلى مكان يدعى (فندق السواحلي) وفيه كان النزول ، في غرفة واسعة في الدور الرابع ذات سريرين ، لها نوافذ ، اكتفيت بنظرة واحدة من خلال أحدها متمنيّاً سدّ تلك النوافذ . لا بأس فأمور الحياة كلها بل الحياة كلها – كما نقول في نجد (عِبِر) بكسر العين والباء أي طريق عبور ، لا موطن استقرار ، وهذا الفندق خير من كثير من فنادق سكنتها في بلادنا وفي غيرها ، والأجرة لا تزيد على ٥٠ ريالاً ، وأهله كرماء فقد تناولت فيه طعام الإفطار (فكوك الريق) خبزاً وبيضاً وجبناً وشراباً حلواً ، ثم ثنّيْتُ بشرب الشاهي ، وكل هذا داخل في الأجرة ، يضاف إلى ذلك وقوع الفندق وسط المدينة ، بجوار الساحة التي تلتقي فيها الطرق المتجهة بالسيارات إلى مختلف النواحي ، وفي (الحيّ العربي) أو ما يسمى (السوق العربي) وبجوار سوق الخضر والفواكه . وما أشد سروري حينما خرجت بعد تناول الإفطار ، فاجتزت الساحة الواسعة إلى مكان

جذبني إليه ما شاهدته من كثرة الناس حوله ، فوجدته سوقاً طويلاً مسقّفاً ، ومقسماً إلى مصاطب وحجر صغيرة ، مملوءة بمختلف الخضر وأنواع الفواكه ، وعدت إلى الفندق بعد أن ملأتُ يَدَيَّ بأربع حبّات من الفاكهة المعروفة باسم (كريب فروت)[1] أعجبني حسن لونها ، وكبر حجمها إنها تقرب من حجم القرع الصغير الذي ندعوه في نجد (الرُّقَيْبِي) وهو اليقطين ، إلا أنها صفراء اللون تشوب صفرتها حمرة ، ولم أنس أن أَدُسَّ في جَيْبَيَّ أربع حبات من صغار البرتقال ، وكل ذلك لم يكلفني سوى ٤٥ قرشاً – أي ما يزيد على الدولار قليلاً – والبرتقال هنا طعمه حلو أشبه بطعم الليمون الحلو إلا أنه أكثر حلاوة . وأنواع الخضر كثيرة ومتوفرة . أما الفاكهة باستثناء الموز والبرتقال و (الكريب فروت) فقليلة ، ولكنها موجودة .

وأرخص ما شاهدته في هذا السوق اللحم فالكيل الواحد بخمسين قرشاً فما دون والسمك كثير جداً ورخيص .

أسرعت الذهاب إلى القنصلية لتسجيل الجواز ، وتلك عادتي حينما أحلُّ أيَّ مدينة فيها سفارة لبلادي ، إن سيارات الأجرة – أو أكثرها – تسير بدون عدّادات ، ولهذا يحسن الإتفاق مع صاحب السيارة على مقدار الأجرة .

وجدت بين موظفي القنصلية أحد أبنائي الذين يعرفونني ، وكان من بلدة ظبا ، تلك البلدة التي توليت قضاءها سنة ١٣٥٧ . وقد عينت في القضاء أنا والشيخ محمد الحركان والشيخ ضياء الدين رجب والشيخ ناصر الوهيبي رحمهما الله – في سنة واحدة وفي جهة واحدة شمال المملكة ، وبمرتب متماثل كان ستين ريالاً أول الأمر ، وزاد حتى بلغ ١٢٠ ريالاً ، ولذلك قصة ليس هذا موضع ذكرها .

وبعد تسجيل الجواز بعث معي من أرشدني إلى السفارة . وأوصلني إلى أحد موظفيها وهو أيضاً ممن عرفتهم ، إنه الأستاذ عبدالله عالم ، وكان يعمل مع الشيخ عبدالله الملحوق في القسم الصحفي في السفارة في بيروت ، وقابلت في مكتبه الأستاذ محمد الفُهيد ، ممن عمل في السفارة في بغداد زمناً ، وهو ابن عم استاذي وصديقي

---

(١) يقترح صديقنا الدكتور الطيب أن تسمى (الترنوج) بزيادة الواو على اسم (الترنج) فهي من فصيلته .

الشيخ عبدالله بن مطلق الفُهيد ، — رحمه الله — والشيخ عبدالله هو والد سفيرنا في عُمَان — بضم العين — الشيخ محمد المطلق ، وأخيه الشيخ عبد الرحمن كان من موظفي الشعبة السياسية في عهد الملك عبد العزيز — رحمه الله — وعمل معي بعد ذلك فترة من الزمن حينما كنت أصدر جريدة « اليمامة » في الرياض ؛ وهو أكبر سناً من أخيه .

أما سفيرنا الشيخ عرب سعيد هاشم فما أحسن استقباله ، وما أكرم خلقه ! ! دخلت عليه بعد أن أخبرني الأخ محمد الفهيد أنه علم بي . وقد وجدت عنده الشيخ عوض الله صالح ، مفتي السودان ، وكان مهذب الخلق لين العريكة ، بشوشاً فكهاً عالماً واسع الأطلاع ، تجاذبنا أطراف الأحاديث برهة من الوقت ، وكان مما سألته عنه : على أيّ مذهب يعتمد الإفتاء في هذه البلاد ؟ . فقال — ما معناه — نحن لا نتقيّد بأيّ مذهب من المذاهب ، بل نراعي منها ما كان أرفق بالناس ، وأقرب إلى الدليل ، وأقوى بمراعاة المصلحة العامة ، ولا نتقيّد بمذهب دون آخر . فذكّرني بقوله هذا حادثة جرت في عهد الملك عبد العزيز — رحمه الله — فحصل فيها اختلاف بين قاضي المدينة ، وبين رئاسة القضاة بمكة ، فأحيلت إلى الملك عبد العزيز . كان قاضي المدينة الشيخ البرزنجي — رحمه الله — قد حكم بجواز استئجار أرض فيها نخل مثمر ، بأجرة معلومة ، وكان شافعي المذهب ، والحنابلة لا يجيزون ذلك ، فلما عُرِضَ الحكم على رئاسة القضاة نقضته ، وأوضحت أدلة النقض ، وأمرت بإعادة المحاكمة . ولكن القاضي أصَرَّ على رأيه ، وأبدى من الأدلة على ذلك : (١) جواز ذلك في مذهب الإمام الشافعي ، وصاحب الدعوى من أتباع هذا المذهب . (٢) القول بالجواز يتمشى مع حاجة الناس في هذا الزمان وفي المدينة حيث تكثر القضايا المماثلة لتلك الدعوى . والتي صدرت فيها أحكام كثيرة(٣) ومما أورد من الأدلة ما جاء في كتاب « شرح المنتهى » المطبوع في هامش كتاب « كشاف القناع عن متن الإقناع » وهما من أشهر كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل فقد جاء في ذلك الكتاب في طبعته الأولى — طبعة الشيخ مقبل الذكير ، ما نصه (وتصح إجارة أرضٍ وشجر فيها) وصواب الجملة (ولا تصح إجارة أرض وشجر فيها) فسقطت (لا)

وآخر الجملة يدل على سقوطها وهو (لما في ذلك من الغرر) . ولما اطلعت رئاسة القضاة على ما أبداه القاضي مما يؤيد به حكمه السابق كتبت إليه موضحة الخطأ المطبعي في « شرح المنتهى » ومؤيدة رأيها في نقض الحكم ، وفي إعادة المحاكمة ، غير أنّ القاضي طلب إحالة الموضوع إلى جهة أخرى تنظر في الخلاف بينه وبين رئاسة القضاة ، فكان أن بلغت القضيةُ الملك عبد العزيز ، فبعث بها إلى الشيخ محمد بن ابراهيم رئيس العلماء في ذلك العهد ، فأيّد الشيخ رأي رئاسة القضاة لأنه مطابق لمذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وهو مذهب الدولة . ولكن الملك عبد العزيز — رحمه الله — لما عُرض عليه ملخص كل الأراء المتعلقة بالقضية كان مما كتب به إلى نائبه في الحجاز ابنه فيصل — رحمه الله — (إليكم جواب الشيخ محمد بن براهيم وهو يؤيد رأي رئاسة القضاة والذي نراه أنه ما دام الحكم أسهل على الناس ، وأنه موافق لرأي إمام من أئمّة المسلمين فيجب العمل به وترك التشديد) وأمر بأن يبعث هذا إلى جميع محاكم المملكة للعمل به ، فكان ذلك .

لم يكن الشيخ المفتي على استعداد لمواصلة الاستماع ، فذهنه مشغول بما حضر من أجله ، ولكنه لم يجد مندوحة من الإصغاء حتى يتجه نحوه سعادة السفير . ذكرت وأنا أتحدث مع سماحة المفتي قول أحد الإخوان عن الأستاذ الشيخ محمد أحمد نعمان : لا يستطيع أذكى الناس أن يميّز بين جدّ الشيخ نعمان وبين هزله . والشيخ عوض الله كثيراً ما يمزج الجدّ بالهزل بدرجة تجعل التمييز بينهما صعباً .

ساعة علم سعادة السفير الشيخ عرب بالفندق الذي سكنت فيه اتصل هاتفياً بـ (فندق السودان) وأمر بحجز مكانٍ لي ، ولم يدع لي — أكرمه الله — فرصة المراجعة لكي أبقى في مكاني ، بل أضفى عليّ من برّه وعطفه ما ألجم فمي عن الكلام ، وغمرني بالخجل ، حتى لم أستطع أن أوفيه جانباً مما يجب من شكره ، فبقيت لا أُحير جواباً . وكان مما قال : إنني أتمنّى أن تسنح الفرصة لي لكي أقوم بجزء مما يجب لأحد أساتذتي ، فاجبر بخاطري ، ولا تدع هذه الفرصة تفوتني — قال ذلك بتأثّرٍ بالغ — .

لقد عرفت الشيخ عرباً أحد طلاب (المعهد السعودي) بمكة حينما كنت أُدَرِّسُ فيه ، وعرفت والده تاجر أقمشة في مدخل سوق سُويقة من سوق باب الزيادة ، وكان من خيرة التجار ، وأحسنهم معاملة وأكثرهم مواظبة على أداء الصلوات في الحرم الشريف ، وكان يلبس لباس أهل الشام طربوشاً فوق الرأس ، وزبوناً (قمبازاً) مخططاً ، وفوقه حزام غليظ ، فقد كان ممن زاده الله بسطة في الجسم . وقد توفي رحمه الله منذ ثلاث سنوات .

يوم الجمعة (١٣٩٦/١٢/٢٦ — ١٩٧٦/١٢/١٧م) وكان الخروج من الفندق في الصباح الساعة السادسة وكان الجوُّ معتدلاً لا حرَّ ولا قَرْ ، والفندق يقع على شاطىء النيل الأزرق في شارع يدعى شارع النيل . وهو أجمل شارع في مدينة الخرطوم . يزدان جانباه بالأشجار الباسقة الكبيرة من شجر الجمّيز واللّبَخ[1] وغيرهما ، وقد شُجِّر هذا الشارع ، وأصلح قبل عهد الاستقلال . وتتنشر القصور الجميلة على ضفته المقابلة للنيل . كقصر رئاسة الجمهورية وقصور وزارات المالية والشباب والداخلية والخارجية ووزارة الحكم المحلي الشعبي ، ومتحف السودان القومي . ودار الصداقة وهي بناء حديث فخم . بنته حكومة الصين الشعبية ، وفيه بهو (صالة) للاجتماعات العامة ، يقال بأنه يتسع لأكبر عدد من الناس في هذه المدينة ، كما يقع عليه بعض الفنادق ، ومن أحدثها فندق هلتن ، ولم ينته عمرانه بعد تبنيه حكومة الكويت . وتقع قصور الوزارات الأخرى خلف القصر الجمهوري على مقربة منه ، وكثير منها محكم البناء ، مما أنشيء قبل عهد الاستقلال أيضاً ، وتلبُّ بها الأسواق التجارية من الخلف ومنها (السوق الافرنجي) أو (شارع الجمهورية) وهو أعظم سوق تجاري في الخرطوم ، ثم أسواق أخرى ليست منظمة

---

(١) من الأشجار التي تكثر في الحدائق هنا : شجر المر — بضم الميم وتشديد الراء ، ويداوي الجمالون بورقه الدبرة التي تصيب ظهر البعير من أثر الرحل — واللالوب ، وثمره يؤكل ، وتصلح الكراسي بأغصانه ، وشجر القرظ ، وهو شجر كبير يرتفع طويلا ، ويعظم ساقه حتى يتسع عن التقاء يدي الرجل ، وتصنع من خشبه أسرة الجلوس (الواسعة) التي تسمى هنا (العنجريب) وهو غير القرظ المعروف في جبال السراة عندنا . أما شجر الجميز فهو ضخم ذو ورق أشبه بورق التين ، إذا قطع أفرز ماء كالحليب ، وثمره يتحات صغيراً ولا يؤكل .

مثلها تدعى (السوق العربي) وفيها أسواق الخضر والفواكه واللحوم ومواقف السيارات العامة التي تتجه إلى مختلف أنحاء القطر .

خشيت أن يتأثر صدري برطوبة النيل ، وأنا حديث عهد بسعال أقعدني في الفراش أياماً في القاهرة ، ولا تزال آثاره باقية ، فانحرفت عن ذلك الشارع متجهاً صوب وسط المدينة حتى بلغت أحد مواقف السيارات ، فسألت أحد الواقفين : إلى أين تتجه ؟ فقال : إلى أم درمان . ثم علمت منه أن المسافة إليها تقطع في أقل من عشر دقائق ، وأن الأجرة خمسة قروش ، فكان أن ركبت مع الراكبين في أحد السيارات ، وكان الاتجاه صوب شارع النيل ، وعند انتهائه في جهة يدعونها (المقرن) حيث يقترن النّيلان الأبيض والأزرق ، وكان العبور على جسر بانتهائه تبدأ مدينة أم درمان — ورأيتهم هناك يكتبونها (امدرمان) وفي أول المدينة يبدو بناء ضخم سامق البناء ، لم يكمل بعد يدعى قصر الشباب ، تقوم حكومة كوريا الشمالية بتشييده ، وبعده على يمين المتجه إلى داخل المدينة مبنى مجلس الشعب يبنى حديثاً ، ثم مكان مستطيل غير مسقف ، في قبلته قبّة مرتفعة مخمسة أي خمس قباب . أرفعها الوسطى محكمة البناء ، تدعى قبة المهدي ، وعلى مقربة منها بيت الخليفة وهو متحف ، أما المكان المستطيل الواسع فقد أُعدّ لإقامة حفلات عيد المولد حيث تنصب الخيام ، وتقام الحلقات لأصحاب الطرق ، وفي جانب منه يقام الآن بناء مرتفع يدعى (صَرْح الأبطال) ليكون رمزاً لبعض الوقائع التي جرت في أيام المهدي وما بعده (في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر)[1] .

وعلى مقربة من هذا تقع دار البلدية ، وبعدها تتفرع أسواق المدينة الكثيرة من شارع واسع مستطيل ، تزدحم فيه السيارات . أما الفروع فضيقة — في الغالب —

---

(١) وجاء في كتاب « السودان عبر القرون » ص ٤٠١ — للدكتور مكي شبيكة ما نصه : (وكان المهدي أقام زريبة كبيرة لتكون مسجداً جامعا ، فبناه الخليفة بالطوب الأحمر ، وهو باق بحاله إلى الآن ، ولاستحالة سقفه بنيت المظلات في داخله لتقي المصلين حر الهاجرة ، وكان على عظم اتساعه يضيق بالمصلين ، إذ يتحتم على الأنصار حضور الصلوات الخمس في المسجد الجامع ، ولا مسجد سواه في المدينة) .

وما يعرض فيها مختلف ، فهذا سوق للخضر والفاكهة ، وآخر لصناعة الأحذية ، وآخر للصاغة ، وهلم جرّاً .

والعمران الحديث منتشر في المدينة ، وأكثر بيوتها القديمة كانت مبنية من الطين واللبن أو الطوب والجص والحجر ، والشوارع يكثر فيها التراب ، وإن كان بعضها مبلّطاً ، وتتسرب فيها المياه ، وتقل النظافة ، ومثل ذلك يقال في الخرطوم باستثناء قلب البلدة حيث يقع القصر الجمهوري وما حوله .

وتكثر الحدائق في هذه المدن ، وخاصة مدينة الخرطوم ، حيث لا تُوجد دار من الدور الكبيرة أو قصر بدون حديقة واسعة ، ولا سيّما ما كان منها على مقربة من النيل .

وهناك حدائق عامّةً ، ولكن مما يضايق الجالس فيها كثرة نوع من البعوض يسمونه (نِمِتّي) يتهافت ويتساقط على الجالس بكثرة ، وخاصة أثناء النهار ، فإذا لم يقفل المرء فمه وعينيه وأنفه لم يعدم متسللاً بسرعة وبخفة في أحد هذه المنافذ ، وكيف يتسنى إغلاقها كلها ؟ ! ومن رحمة الله أنه لا يلسع ، ويقال إنه لا ينقل شيئاً من الجراثيم ، وأنه لا يتكاثر إلا عندما تبدأ مياه النيل بالإنحسار حيث تبرز بعض المستنقعات التي تتسرب إليها المياه الآسنة من المنازل . ولكن ألا يمكن القضاء على هذا البعوض ؟ ! لا أعتقد أن من السهل ذلك ، فلقد ذكرت عند مشاهدته أنني قبل ثلاث سنوات مررت ببلاد خيبر ، فلما كنت على مقربة من النخيل وكان الوقت ظهراً هاجمني أنا ومن معي من البعوض ما اضطرنا إلى البعد عن البلدة ، مع أن الحكومة أنشأت هناك مركزاً لمكافحة الحُمّى (الملاريا) بالقضاء على البعوض ، وفرت له مختلف الوسائل . بل ما ظنُّ القاريء بمدينة من كبريات المدن الأمريكية وهي (هيوستن) في ولاية (تكساس) إنّ المرء لا يعدم في بعض الأحيان أن يتسلل إليه ضيف خفيف الروح أثناء النوم ، فيداعبه في القفز فوق وجهه ، أو مَرَّاقٌ جسمه ، من النوع المعروف باسم (الصراصير) ولا تقل بأن هذا في بعض الأمكنة التي لا تتوفر فيها النظافة ، بل ثق بأن وسائل القضاء على هذه الحشرات لم تجد ، لكثرة المياه .

يقولون في السودان : (العاصمة المثلثة) ويقصدون الخرطوم وأم درمان[1] ، ثم الخرطوم بحري — كذا ينطقون — والخرطوم البحري مدينة يفصلها عن الخرطوم النيل الأزرق وعن أم درمان النيل (بعد اجتماع النيلين) ، فكل مدينة تنفصل عن الأخرى بفرع من فروع النيل ، ويتوسط بين الثلاث جزيرة واسعة ، تكونت في ملتقى النيلين الأزرق والأبيض ، وأحاط بها فرع من فروع النيل الأزرق ، تدعى جزيرة تُوتِي ، وهي خصبة التربة لكونها تكونت من (الطمي) الطين الذي يجرفه النيل حتى تجمّع فكانت هذه الجزيرة ، وكانت الخُضر التي تجلب في هذه البلاد منها ، إلا أن الزراعة فيها ضعفت الآن ، وليست كبيرة ، فالمرء يشاهد أطرافها . ومن على ضفاف شارع النيل من سكان الخرطوم تبدو أمامهم غير بعيدة ، والمراكب الصغيرة (العبّارات) تقطع النهر بينها وبين الخرطوم ، وفيها سكان قليلون من قبيلة سودانية تُدْعَى المحس — بفتح الميم وإسكان الحاء بعدها سين ، وقد تنطق صاداً .

ومدينة أم درمان — على ما قيل لي كانت أكثر سكاناً من الخرطوم ، وأكبر ، إلا أن الخرطوم أجمل مباني وأحدث وأكثر ، فكل وزارات الدولة تقع فيه ولهذا بدأ يبتلع سكان المدن الأخرى ، أما الخرطوم بحري — كما يسمونه فهو متسع الشوارع ، ولكن مبانيه قليلة بالنسبة للمدينتين الأخريين . وقد أضافوه إلى البحر لكونه في الجهة البحرية الموالية للبحر الأحمر ، وهو بلدة صناعية حيث أكثر المصانع تقع فيه . ويفصله عن جزيرة توتي فرع من النيل الأزرق ، وعن الخرطوم النيل الأزرق نفسه .

تقل المطاعم والمقاهي باستثناء ما كان شعبياً ، ولهذا فكثيراً ما تُرى فنادق الدرجة الأولى مزدحمة لتناول الطعام ، أو الشراب ، لا من الأجانب وحدهم ، بل من ذوي السعة من أهل هذه البلاد .

---

(١) يقول الدكتور عبدالله الطيب — حينما سألته عن أصل هذا الا سم : (من الشائع أن امرأة كانت عملت كوخا في مكان المدينة قبـل انشائها ، وكانت تبيـع شرابا يدعى (المريسة) وتدعى تلك المرأة (أم عبد الرحمن) وكثير ممن ينطق هذا الأسم يسهلون حروف الحلق ، ومن هنا نشأ هذا الاسم (أم درمان) .

ويزور هذه البلاد كثير من السياح من مختلف أقطار المعمورة .

وأعدل الأوقات – في السودان – في أول فصل الشتاء – حيث يكون الجوُّ معتدلاً ، وإن كانت الرياح قد تهبُّ فتثير قليلاً من الغبار ، ولهذا لا يستغرب المرء حينما يتناول بعض الأطعمة فيحسُّ بهسهسة يسيرة تحت أضراسه ، وتكاد السنة لا تزيد على فصلين : فصل معتدل وهو أطول فصول السنة ، وفصل شديد الحرّ ، حيث يشتد هبوب الرياح فتذرو التراب الناعم الذي قلّ أن تحول الحواجز مهما تنوعت دون دخوله المنازل وذلك في فصل الصيف – بالنسبة للبلاد الأخرى – أي في شهور مايو ويونيو ويوليو – .

وقد يحدث أن يتغير الجوُّ فجأة ، فيكون أول النهار معتدلاً فلا يلبث أن يكفهرّ ، فتشتدُّ العواصف وتتلبد السماء بالغيوم فتنخفض درجة الحرارة ، وقد يحدث العكس ، ومهما يكن فاشتداد البرد لا يتجاوز شهرين على ما قيل لي .

يوم السبت (٣٩٦/١٢/٢٧–٧٦/١٢/١٨) لم أخرج من الفندق إلا بعد تناول طعام الإفطار ، ولم أَسِرْ كثيراً . فقد أحسست بفتور عامّ في الجسم ، لم أعرف سببه ، ودخلت في (حديقة الحيوان) وكانت تجاور الفندق ، بل هو – فيما يظهر مقتطع منها هو وفندق آخر يجاوره يدعى (جراند أوتيل) وتنظيم الحديقة بحاجة إلى عناية أكثر ، وقد وقفت طويلاً عند جمل ذي سنامين ، جسمه أصغر من جسم الجمل في بلادنا ، بل هو أقرب إلى أن يكون مماثلاً لجسم الحِقّ أو اللّقِي ، أي بطول البقرة ، وبره طويل ، يكسو غالب جسمه ، ومنظره يوحي بالكآبة ، حيث يبدو وكأنه حزين ، قليل الحركة ، ينظر بعينين فاترتين ، ويتناول العلف المطروح تحته بضعف وعدم رغبة ، والجمل ذو السنامين يستعمل للركوب ، فقد رأيت رحالاً هيئت لذلك النوع من الجمال ، رأيت واحداً منها في متحف (قصر الخليفة) في أم درمان ، ومما أثار في نفسي الرهبة حيوان الخرتيت ، الثور الوحيد القرن ، فقد وهو الكركدن رأيت اثنين من هذا الحيوان ، ضخمي الجثة ، قريبي الشبه بالفيل لونهما أبيض ، وعندما وقفت بجوار حضيرة أحدهما جرى نحوي مسرعاً يهزّ جسمه ، ويمد رقبته ، ويحاول أن يدخل رأسه ذي القرن المؤلّل من تحت سياج

الحضيرة نحوي ، فأسرعت الإنصراف عنه إلى جاره وهو الفيل ، الذي كان أكرم منه استقبالاً ، فقد سار إلي من أقصى الحضيرة بهدوء ، واكتفى بمدٍّ خرطومه ، فقد اعتاد من زواره تقديم ما يتناوله به . لم أسر في كل نواحي الحديقة ، فقد مررت فيها بمحلٍّ صغير تباع فيه الصحف وبعض المطبوعات الأخرى ، فوقفت عنده ، وسألت صاحبه : هل لديك جريدة اليوم ؟ وأنا أقصد الجريدة التي صدرت هذا اليوم — فقال : هي جريدة الأيام ولكنها لا تصدر هذا اليوم ، والذي صدر جريدة « القوات المسلحة » فأخذتها ، وصرت أنظر الصحف المعروضة فإذا أكثرها صحف مصرية فقلتُ : لماذا لا يوجد عندك سوى الصحف المصرية ؟ فسألني : وأي صحف تريد ؟ فقلت : الصحف السعودية — مثلاً — فقال : عندي منها مجلة « الشرقية » ؟ فاستغربت قوله لأنني لا أعرف شيئاً عن هذه المجلة ، ولكنه ناولني عدداً منها ، فنقدته الثمن مسرعاً وهو ثلاثون قرشاً ، وشغلت بتصفحها عن وقوفي بوجه صاحب المحل ، بحيث أحول بينه وبين من يريد الإتصال به ، حتى أشار إلى كرسي من من كراسي الحديقة لكي أجلس فوقه .

كان غلاف المجلة تزدان صفحته الأولى بصورة فتاة ساحرة النظرات ، عصبت رأسها بغترة[1] بيضاء مهدَّبة (بوال) دَلْعاء الصدر[2] ، قد أسندت رأسها بيدها ، وفي أعلى الغلاف اسم المجلة : (ELLE) وتحت هذه الكلمة (الشرقية) ثم (ديسمبر كانون أول ١٩٧٦ — العدد التاسع والعشرون) .

وتحت صورة الفتاة : (الغد . . في السعودية ، ونسيت إني امرأة ، أزياء قادمة من الشرق) . أما الصفحة الأخيرة فمنظر داخل منزل أنيق ، يزخر بالتحف ، كتب تحته (كونداس — الرياض) ولم أتبين صحة هذه الكتابة لرداءة الخط بل لمخالفته للقاعدة المألوفة إلا بعد أن أمعنت النظر بكتابة بالحروف اللاتينية في أعلى الصفحة تقرأ (كنداس انترناشونال) .

---

(١) الغترة غطاء من أغطية الرأس في بلادنا ولعل أصل الكلمة (غدرة) بالدال لكونها تستر غدائر الشعر وتغطيها .

(٢) الدلعاء مؤنث الأدلع وهو من ترك صدره بارزاً ، ولم يزر إزراره .

وسأعفي القارىء من السير معي في تصفح هذا الجزء الذي تبلغ صفحاته المئة ، بعد أن أشير إلى الإفتتاحية التي بعنوان (عيد التضحية والفداء) بتوقيع (سميرة محمد خاشقي) متوجة بصورتها ، وفي أعلى الصفحة : (الحياة جميلة حين نحياها ، ومؤلمة حين لا نحياها) ! ! ويقابل هذه الصفحة – في ورقة تلي الغلاف إعلان عن الخطوط السعودية ، يحوي مصوراً (خريطة) يُوضّح الخطوط الداخلية والمدن ولكنها كالمصور الآخر الموضّح لسير الخطوط الخارجية والمدن التي تبلغها – كلها مكتوبة بحروف لاتينية – ثم تحت عنوان بارز : المملكة العربية السعودية : كيف تفكر في الغد ؟ ومما جاء في التمهيد لهذا العنوان : (سافرت بعثة من أسرة الشرقية من المحررين والمحررات والمصورين ذهبت ترصد مؤشرات التقدم الحضاري في أرض الحرمين) . حقّاً إن في هذا الجزء صوراً بلغت أرفع مستوى من حيث الإتقان لفتيات يتصفحن كتباً داخل حديقة ، ولرجال يحملون أشياء شبيهة بالسلالم كأنهم يمارسون نوعاً من الرياضة الجسمية . ثم لإحدى آلات تصفية الزيت ، ولا شيء غير ذلك مما يفهم القارىء أنه ذو صلة بذلك العنوان ، أو بعمل المحررين والمحررات والمصورين الذين ذهبوا لرصد مؤشرات التقدم الحضاري في أرض الحرمين ، غير أن هذا ليس كل ما في المجلة عن بلادنا ، فهذه صفحة تزدان أعمدتها الأربعة بصور (صنّاع التطور في المملكة) وبنماذج من كلماتهم الخالدة . وها هو ناصر الدين النشاشيبي يكتب عن الخطة بعنوان (يحكي لي وزير التخطيط) في خمس صفحات ، لا ينقصها سوى نصف صفحة يحوي إعلاناً عن كتاب ألفه بعنوان (لا رمل ولا جمل) ! فصفحتان تزدانان بصورة الكعبة المطهرة وصورة أحد أبواب الحرم الشريف . وبجانب من مخيم الحجاج فوق أرض أحد المشاعر المقدسة ولعلها أرض عرفات والعنوان (إلى عرفات الله يا خير زائر) فمقال مصور بعنوان (تعال معي إلى أبها – حيث يحلم النجم أن يمسّ يديها) في أربع صفحات . فحديث عن (التدريب الصحي الذي تقوم به إدارة التعليم) وآخر عن (أول كلية للتمريض) افتتحت هذا العام في المملكة ، فصفحتان مصوّرتان بعنوان (الأمل . . من أجل الذين حرموا نعمة السمع والكلام) وقبلهما تحدث حسن عواد المدير الإداري لأعمال (الكمبيوتر)

كيف بدأت الاستفادة من هذه الآلات العجيبة في المملكة منذ سنة ١٩٦٧م ؟ كما تحدثت المذيعة وفاء بكر يونس عن مهنتها . ويأتي أطرف عنوان وأظرفه : (مضيفات الدنيا يتعلمن الابتسامة على الطريقة السعودية) صفحتان مصورتان عن (مدرسة المضيفات التابعة للشركة (؟) السعودية للطيران) .

وللفن نصيبه في هذه المجلة كاملاً غير منقوص ، ويتمثل جانب من ذلك النصيب في هذه الفنانة السيدة سهير محمد الخاشقجي الواقفة أمام مرسمها ، تجري اللمسات الأخيرة على رسم سيدة شرقية تحت عنوان : (فتاة تعشق الطبيعة والطفولة والبراءة) ذي رسوم مُعَبِّرة . ولرجال الدولة مجالهم في هذه المجلة ، فها هو الدكتور عبد الوهاب عطار — وكيل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية — يختم أجوبتَه لما وجهت المجلة إليه من أسئلة اختارت عنوانها : (المرأة السعودية قيمة مضافة للعمل الاجتماعي) بقوله : (إن المستقبل القريب سوف يشهد تطوراً ملحوظاً حول مزيد من تأكيد دور المرأة السعودية في مجال العمل الاجتماعي بصفة عامة ، وفي التنمية الاجتماعية بصفة خاصة ، بما يتفق مع تعاليم ديننا السمحة) .

لن أتغلغل داخل المجلة أكثر مما فعلت ، وحسبي أنني أبرزت جُلَّ ما فيها متعلقاً ببلادنا ، إن لم يكن كله ، وقد استغرق من صفحاتها نحو الثلث أو ينقص قليلاً ، وما عدا ذلك فتحليق في عوالم أخرى ، وأجواء بعيدة عنا . ونسيت أن أذكر أنها (مجلة نسائية سعودية) و (صاحبتها ورئيسة تحريرها سميرة محمد الخاشقجي) وأنها (تصدر شهرياً عن الشركة الشرقية العالمية ش.م) وأن لها مستشارين منهم في الرياض (المستشار غالب أبو الفرج) وفي مصر (إحسان عبد القدوس وناصر الدين النشاشيبي) ولها مكاتب (مكتب القاهرة . . .) و (مكتب الرياض ، عمارة الجبس الأهلية) و (مكتب بيروت . .) و (مكتب باريس) ولا يتسع المجال لذكر أسماء مديري المجلة ومحرريها ، وليس فيها إشارة إلى مكان طبعها ، وإتقانه وأناقة صوره مما يوحي بأنها تطبع في باريس حيث يوجد أكبر عدد من موظفيها : (جميع محرري وكتاب إل) ولا أدري ما « إل » هذه التي رأيتها بحروفها اللاتينية تعلو اسم المجلة ، وقال لي أبو الوليد : إنها كانت تطبع في بيروت .

بعد أن أشبعت نهمي من المطالعة ، وهي لذة حرمت منها فترة غير قصيرة من الزمن ، خرجت من حديقة الحيوان ، واتجهت إلى (متحف السودان القومي) وهو قريب من الحديقة ، وتتولى إدارته (مصلحة الآثار) في (وزارة الأعلام) وقد كتب في نصب أمام القسم الداخلي منه ما نصه : (متحف السودان القومي : افتتح هذا المتحف اللواء أركان حرب جعفر محمد النميري ، رئيس مجلس قيادة الثورة والوزراء في يوم ٢٧ مايو ١٩٧١ الموافق ٣ ربيع الثاني ١٣٩١ بمناسبة الذكرى الثانية لثورة مايو المجيدة) وهناك متحف آخر تابع لجامعة الخرطوم ، لم أعلم به إلا ليلة السفر ، ولهذا لم أزره ويظهر أنه أهم من هذا ، لأنه أقيم في عهد ما قبل الاستقلال ؛ وأبرز ما يحويه هذا المتحف الذي زرته من الآثار معابدُ وتماثيل فرعونية ، وآثار نوبية مسيحية ، أما الآثار الإسلامية فقليلة جدّاً ، لفت نظري منها شاهدا قبرين من الحجارة كتب فوقهما بالخط الكوفي الجميل بعد الاسم التاريخ مُحَدَّداً ، كتب عليهما أنهما من آثار (الفونج) وهاؤلاء هم الذين أزالوا دولة النوبة المسيحية ، ونشروا الإسلام في بلاد النوبة وما حولها من السودان ، في أول القرن السادس عشر الميلادي ، و (الفونج) على ما جاء في كتاب « السودان عبر القرون » ص ٤٢ تأليف الدكتور مكي شبيكة أستاذ التاريخ بجامعة الخرطوم : (هم كبقية سكان السودان الأوسط الشمالي يرجعون بأصولهم إلى العرب ، وإلى بني أمية بالذات ، والمصادر العربية تذكر أن بعضاً من أمراء بني أمية هربوا من مصر إلى بلاد النوبة والبُجَة عندما خرَّ صريعاً في مصر مروان ابن محمد آخر خليفة لهم ، وكانت سياسة بني العباس ترمي إلى إبادة البيت الأموي) ويحدد الدكتور شبيكة ابتداء أمرهم في أول القرن السادس عشر الميلادي ، وهذا لا يتفق مع تاريخ شاهدي القبر ، منتصف القرن الخامس الهجري — حول القرن الحادي عشر الميلادي وسأورد نصَّ ما قرأته فيهما بعد هذا .

ويجرني الحديث عن أصل هذه القبيلة — أو الدولة — التي كان لها أثر كبير في نشر الإسلام في ربوع السودان إلى الإشارة إلى أن كثيراً من فروع القبائل العربية هاجرت إلى شمال السودان ، إلى بلاد النوبة والبجة ، ثم توغلت داخل السودان ، من قبل ظهور الإسلام ، ثم في صدره ، ثم بعد ذلك . والقول بأن هجرة القبائل

العربية كانت من طريق برزخ السويس وإن كان صحيحاً بالنسبة للقبائل التي استوطنت مصر وجنوبه من الصعيد وما حوله ، غير أن التوغل إلى الداخل واجتياز الصحراء القاحلة بين جنوب الصعيد وشمال بلاد النوبة ليس سهلاً ، وأيسر منه اجتياز البحر الأحمر ، وكانت الصلات قوية بين سكان شاطئه الشرقي حيث موطن القبائل العربية والغربي حيث بلاد الحبش والبجة والنوبة منذ ظهور الإسلام ، كما حدث إبان الهجرة إلى الحبشة . بل ليس هناك ما يمنع من أن تكون الصلاة قبل ذلك . وقد ذكر عرَّام بن الأصبغ السلمي — وهو من أهل القرن الثالث الهجري أن سكان جزيرة قراف الواقعة بجوار ميناء الجار — الميناء القديم للمدينة المنورة — من البجة[1] — والبجة هم سكان الساحل الغربي من البحر الأحمر (بحر القلزم) وكانو يشتغلون بالملاحة فيه ، وصلاتهم قوية بكل موانئه .

ويلاحظ أن جُلَّ الآثار التي يحويها المتحف نقلت من شمال السودان .

أظهرت استغرابي لقلة الآثار الإسلامية في هذا المتحف لأحد العاملين فيه ، فقال لي : إن الآثار الإسلامية في (متحف قصر الخليفة) في أم درمان .

لم أُغادر الفندق في المساء ، فشارعه يزدحم بالسيارات ، ونوره ليس قويّاً ، فأحسست بشيء من الوحشة والضيق ، ونور الغرفة ضعيف لا يمكنني من مطالعة الصحف ، بل لا أرغب المطالعة حفاظاً على بصري . فجلست جوار شيخ يعرض عند باب الفندق بعض المصنوعات والتحف كجلود الفهود والحيات — ويسمونها الأصَلَة بفتح الألف والصاد واللام — وهم يقصدون الصِّلاَل — واحدها صِلٌّ بكسر الصاد وتشديد اللام — وهو نوع ضخم من الحيّات ، ويظهر أن الشيخ برَم بي وبحديثي بعد أن تكاثر حوله الباحثون عن بضاعته ، فذهبت إلى مكان غير بعيد من الباب ، قد هُيء لجلوس سكان الفندق ، فجلست على أحد الكراسي فلم أشعر إلا بأحد الأخوان السودانيين يقف بجواري مسلماً عليَّ ، فإذا هو الأخ الذي أوصلني

---

(١) ورد في النسخ المطبوعة من هذه الرسالة (التجار) وكذا في بعض الكتب التي نقلت عنها ، وقد أوضحنا خطأ هذا .

أول مرة إلى بلدة أم درمان ، ويدعى عبدالله الإمام ، وهو على جانب من التهذيب ودماثة الخلق ، وقد شدا في الأدب العربي فحفظ قدراً من الشعر القديم ، وكنت أظهرت له رغبتي باستئجار سائق سيّارة يذهب معي إلى الرياض ، فأحضر معه رجلاً كان أثنى عليه ، وبعد تجاذب أطراف الأحاديث ، وتناول القهوة ، قام الرجلان بدون أن يحصل اتفاق بيننا فقد طلب أجراً رأيته كبيراً . قلت لعبدالله : ما رأيكما في الذهاب لتناول العشاء في أحد المطاعم التي تعرفانها ؟ فاعتذر صاحبه ، ووافق عبدالله بعد أن يذهب لقضاء بعض أعماله ثم يعود إلي حوالي الساعة الثامنة . وكنت بحاجةٍ إلى من آنس بالحديث معه ، وسرعان ما أَنِسْتُ بلقاء الأخ الأستاذ محمد الفهيد ، فقد أتى إلي ومعه الأخوان عثمان الصالح الفريح وعلي الحمد أبا الخيل ، وعثمان من موظفي جامعة الرياض ، ويقدم أطروحة لنيل درجة (الدكتوراه) عن الشاعر أبي الحسن التهامي ، فقد نال إجازة (الماجستير) ببحث عن هذا الشاعر ، فواصل دراسته عنه ، وكان اجتمع في لندن بالدكتور عبدالله الطيّب الذي كان عميداً لكلية الآداب في جامعة الخرطوم ، فرغبه بأن تكون دراسته في هذه الكلية ، والأخ علي مدير مكتب الملحق العسكري السعودي في السودان .

وسألت الأستاذ الفريح عن الدكتور عبدالله الطيب ، وقلت له : بلغني أنه في الرياض . فقال : ذهب إلى الرياض وقتاً قصيراً ثم عاد ، وكان عميداً لكلية الآداب في جامعة الخرطوم ، ولما أُنشئت جامعة (جوبا) — قاعدة جنوب السودان — عين مديراً لها ، غير أنه الآن استقال ، وهو موجود في الخرطوم . والدكتور الطيب من زملائي في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة . فقد عرفته أثناء انعقاد مؤتمر المجمع السنوي منذ بضع سنوات .

وقد استمرت هجرة القبائل من الجزيرة العربية إلى إفريقية وكان من أبرزها هجرة بني هلال وبني سليم إلى مصر ثم إلى شمال إفريقية ، وقبل ذلك كان يحدث أن أحد فروع القبائل تقسو في وجهه الحياة ، فلا يجد ملجأ سوى اجتياز هذا البحر إلى هذه الأرض الفسيحة التي طالما سمع من أخبار من سبقه إليها من بني جلدته ما يقوي الحوافز في نفسه للإتجاه صوبها .

ولا نطيل بذكر ما جاء في كتب التاريخ من أخبار تموّج القبائل العربية بين جزيرتهم وبين القارة الأفريقية ، واجتياز بعضهم البحر ، بل نكتفي بإيراد خبر نقصد من إيراده الترويح عن القارىء وإطرافه .

سألت الأستاذ عوناً الشريف قاسم وزير الأوقاف والشؤون الدينية في السودان ، هل الرئيس جعفر محمد النميري ، من قبيلة بني نُـمَيْر[1] . وإذا كان كذلك فهو – وإن كان أخونا في الدين – إلا أن القرابة تزداد قوة فيصبح ابن عمّنا ومنّا لحماً ودماً كما هو منا قلباً وروحاً ، فقال الوزير ما معناه – مازحاً – : لكم أن تسألوه عن هذا ، والرئيس قبيلته من شمال السودان في جهات دنقلة ، وهناك جزيرة تدعى (واد نمير) أي جزيرة بني نمير ، إذ كلمة (واد) يقصد بها (ولد) والقبائل العربية معروفة في تلك الجهات . ثم ذكرت ما أورده المؤرخون من أن الأخيضر العلوي لما استولى على اليمامة في منتصف القرن الثالث الهجري كان شديد البطش بالقبائل المناوئة له ، بل كان مستبداً ظالماً ، مما اضطر بعض القبائل إلى الهجرة ، وممن هاجر إلى إفريقية واجتاز البحر طوائف من بني حنيفة من ربيعة ، ومن بني نمير من هوازن فاستقروا في أرض المعادن ، بقرب ضفة البحر الغربية مما يلي السودان .

ولقد أخبر الأستاذ الشيخ عرب الرئيس النميري بحديثي مع الأستاذ الشريف . فقال : لا أدري ولكننا من الأشراف[1] .

يوم الأحد (٩٦/١٢/٢٨ – ٧٦/١٢/١٩م) بكرت في الذهاب إلى أم درمان . لزيارة متحفها . فخرجت قبل الإفطار . ولم أجد في البلدة من المطاعم ما يرغبني

---

(١) كنت أتجول صباح يوم الأربعاء في مدينة أم درمان فدخلت سوقا يدعى سوق الخراطين – وهم الذين يصنعون التحف الدقيقة الصنع من التماثيل الصغيرة من الخشب ومن العظام – فجلست في دكان يعرض فيه بعض التحف التي تصنع في السودان ، وبينما كنت أتحدث مع صاحبه أبصرت مكتوبا على الدكان المجاور (محمد النميري) فسألت : هل هذا من أسرة النميري فقال لي من كنت أجالس عنده : نعم إنه عمه – أخو أبيه – والنميري من جزيرة بقرب دنقلة تدعى لبب – بلام بعدها باءان – وتدعى جزيرة الأشراف . وكلمة الأشراف عند متقدمي العلماء يقصدبها ذوى الحسب والنسب من أي قبيلة من قبائل العرب ، ومن هنا سمى البلاذري كتابه « معاليم الأشراف » و « أنساب الأشراف » وهو يقصد مشاهير العرب كلهم من جميع القبائل ، وتخصيص إطلاق كلمة (الأشراف) على من ينتسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – وكلمة (السادة) على من ينتسب إلى أخيه الحسين لم يكن معروفا عند علماء النسب المتقدمين .

بدخوله . فاكتفيت بشراء حبة من فاكهة (كريب فروت) مصصت ماءها وكان مُرّاً . ويظهر أن تناول هذا النوع من الفاكهة يابن الطبيعة ولهذا هُو يقدم مع طعام الإفطار في الفنادق الكبيرة لا في بلاد السودان وحدها بل في كثير من البلاد الأخرى ، والإكثار منه يسبب الإسهال . وهذا ما حدث لي هذا اليوم .

لم أجد عناء في الوصول إلى (متحف بيت الخليفة) فقبة الإمام المهدي المخمسة الشكل من أبرز معالم المدينة ، والمتحف بجوارها — فلما بلغتها وجدت بناء حديثا لم يكمل بعد ، كتب في مدخله على لوحة كبيرة (مشروع بناء متحف بيت الخليفة) وتتولى العمل — على ما في تلك اللوحة — شركة إيطالية . فسألت شاباً كان داخل ذلك المبنى عن المتحف ، فخرج بي حتى تجاوزنا المكان ، وسار بي حتى أوقفني بجوار القصر الذي تَقَعَ القبة داخله عند باب دار صغيرة قد بنيت جُدرانها المحيطة بها بالطين بناء غير محكم ، بل يوشك أن يتداعى السور وأشار إلى لوحة معلقة عند مدخل هذه الدار قائلاً : هذا بيت الخليفة ، فأردت أن أُؤانسه بالحديث فسألته عن اسمه فقال : حمد ، وسأعود إلى عملي ، فشكرته وأخرجت من جيبي ما أردت أن أدسّه في يده فقـــال : لا لا ! وعاد مسرعاً . ولم يجب سؤالي حول استعمال هذا الاسم في هذه البلاد ، وهم ينطقونه بفتح الحاء والميم ، كما ينطق في بلاد نجد ، وازداد استغرابي عندما وقفت اقرأ ما كتب عن إنشاء هذا البيت فإذا الذي بناه اسمه حمد عبد النور سنة ١٨٨٧م لم أجد في هذا المتحف ما كنت أتطلع إليه من آثار إسلامية قديمة ، إذ كل ما فيه كان من عهد المهدي وما بعده إلى عهد الاحتلال البريطاني من سنة ١٢٩٠ (١٨٨٠م) إلى سنة ١٣١٣ (١٩٠٠م) تقريباً . أسلحة قديمة من مدافع وبنادق وغيرها ، وألبسة من دروع وخوذ . وأمتعة وأواني وأشياء مختلفة مما يستعمله الإنسان في تلك الأيام ، ومما لا يزال كثير منه متسعملاً حتى الآن ، ومن ذلك نسخ من القرآن الكريم مطبوعة ومخطوطة ، وكتب أوراد وأدعية ، ورسائل مخطوطة ، كان المهدي يوجهها إلى بعض أتباعه ، وصورة العلم ، وقد كتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، محمد المهدي خليفة رسول الله) .

ويظهر أن ما فيه من آثار سينقل إلى المكان الذي يبنى حديثاً ، فالبيت – وإن كان داخله جيد البناء ، بالآجر (الطوب) والبلاط ، إلا أن أرض حجرهِ وممرّاته قد تأثرت بكثرة المشي ، وقد شاهدت فيه فتاتين شقراوين تتابعان مشاهدة بعض الآثار المنزلية بدقة واهتمام ، قدمتا من (اسكندنافية) للتمتع بدفء هذه البلاد .

لم أكن أطمع أن أشاهد آثاراً عربية قديمة ، فتوغل العروبة في هذه البلاد ليس قديماً ، والقبائل التي دخلتها في عصور متقدمة كانت تعيش عيشة البداوة .

وليس من المستبعد وجود آثار عربية في شمال السودان ، لم يكشف عنها بعد ، فشاهدا القبر اللذان رأيتهما في المتحف يدلاّن على أن الكتابة العربية في القرن الخامس الهجري قد انتشرت في تلك الجهات ، كما انتشرت الثقافة الإسلامية ، كما يفهم من جمال الكتابة وأسلوبها ، وإيراد الآيات القرآنية ، وهما على ما كتب بجوار أحدهما من (مينارتي) وهذه على ما قيل لي : جزيرة فيها سكان ، قاعدتها مدينة حلفا – التي نقل أهلها بعد إنشاء خزّان سدّ أسوان ، وها هو نص ما كتب فوق أحد الحجرين : (بسم الله الرحمن الرحيم / قل هو الله أحد الله الصمد / لم يلد ولم يولد ولم / يكن له كفواً أحد / هذا قبر محمد بن محمود / بن أحمد بن الوليد / يوم الإثنين لنصف من شعبان / سنة خمسين واربعماية) والكتابة مهملة من الإعجام ، بارزة ، في حجر أسود صلد ، بالخط الكوفي الجميل .

وفوق الحجر الثاني مما استطعت قراءته ، ووضعت نقطاً مكان ما لم استطع أن أقرأه : (بسم الله الرحمن الرحيم / تبارك الذي بيده الملك / وهو على كل شيء قدير الذي خلق / الموت والحياة ليبلوكم أيكم / أحسن عملاً وهو العزيز الغفور / اللهم صل على محمد النبي وآله ... / ... ابراهيم بن اسحق بن عيسى توفي ... / الإثنين إحدى وعشرين من ذو القعدة / سنة خمس وخمسين وأربع / ماية ...) وهذه الكتابة على حجر هشٍّ فيما يظهر ، وهو الذي كتب بجواره ما نصه : (شاهد قبر رجل يدعى ابراهيم بن إسحاق ، الذي توفي عام ٤٥٥ من مينارتي) .

أجهدني المشي فخرجت من المتحف ، فرجعت إلى السوق ، ومررت بمكتبة دخلتها فإذا ما فيها من الكتب قليل ، ولا أحد حولها ، فأظهرت لرجل كان واقفاً

ببابها استغرابي من خلوٍّ كثيرٍ من رفوفها من الكتب مع ضخامة الاسم المكتوب فوق بابها (مكتبة أفريقيا) فقال : وهل تركت لنا بيروت شيئاً من الكتب ؟ ! فاستزدته إيضاحاً فقال : نحن نطبع كتبنا في بيروت ، ونحضر ما نحتاج من المطبوعات الأخرى من تلك البلاد ، فأصابنا من نكبة بيروت نصيبنا ! . ثم رأيت من بين الكتب المعروضة كتاب « دوحة الوزراء » في تاريخ بغداد . فأردت أن أفهم شيئاً عن ثقافة هذا الرجل فقلتُ : وما للسودان ولبغداد ؟ ! فقال بسرعة وانفعال : كيف ؟ ! بغداد عاصمة الإسلام ما للسودان ومالها ؟ ! نحن عرب مسلمون — ثم استرسل في حديثه — غير أنني قطعته عليه بقولي : اسمح لي أنا لم أقرأ شيئاً عن تاريخ السودان فهل لديك ما يفيدني في هذا الموضوع ؟ ! فقال : أخبرني باسمك وأين تنزل . وسأبعث لك كتاباً يفيدك هدية مني ، فطلبت منه أن يكتب لي اسم الكتاب الذي ينصحني بقراءته فكتب : (السودان عبر القرون للدكتور مكي شبيكة ، وكتاب شيخه العبد الآب) فطلبت أن يضيف إلى هذا اسمه هو فكتب (يونس محمد الحسن — مكتبة افريقيا — أم درمان) ولما عرف أنني من مدينة الرياض قال : أختي تقيم الآن هناك مع زوجها — ثم أدركه تجهّم وغضب شديد ، لما قلت : ليتني أجد سيّدة سودانية تذهب إلى الرياض للإشراف على تربية حفيدتي من ابنتي الموظفة في جامعة الرياض . وقال بصرامة وشدّة : نحن عرب ولا نجيز لنسائنا العمل عند غير محارمهن ، كالحال في ... والحبشة ، وأنصحك بعدم إظهار هذا في هذه البلاد . فانسللت خارجاً من عنده بغاية الخجل .

يوم الإثنين (٩٦/١٢/٢٩—٧٦/١٢/٢٠م) مضى أول النهار في التنقل بين مكتب (الخطوط الجوية السودانية) في شارع الجمهورية ، وبين مكتبات تقع بجوار مسجد فاروق[1] ، فقد فكّرت في الذهاب إلى مدينة (جوبا) ولكن أحد الإخوان

---

(١) مسجد فاروق من أكبر المساجد في الخرطوم ، وهو أحكمها بناء ، ذو شكل هندسي رائع ، يقع وسط المدينة في ساحة واسعة ، وأمامه سوق بني ليصرف ريعه على هذا المسجد ، فيه دكاكين كثيرة . وقد حضرت صلاة الجمعة فيه ، فحضرت مبكراً وجلست في الصف الثالث ، لكي أتمكن من سماع الخطبة . فلما حضر الإمام ، سمعت أول سورة طه بقراءة مرتلة مجودة ، ويظهر أن القراءة مسجلة ، وأن الإمام فتح آلة التسجيل ، فالقارىء مصري ، والإمام من هذه البلاد .

فأتيت المدينة ، ولما زرت المكتبة المذكورة طلبت النسخة التي كنت اطلعت عليها من أجزاء ذلك الكتاب ، فكان جواب المشرف على المكتبة بعد أن أظهر لي أن تباطؤه كان للبحث عن الكتاب ، كان جوابه : (هذا من الكتب التي أخذها فخري) ! ! فترحمت على الشيخ أمين بن حسن الحلواني الذي وضع جزءاً من تراثنا في أيدٍ صانته ولم تبخل بالإستفادة منه على من يريدها[1] .

وكثير من مخطوطات مكتبات مكة والمدينة تسربت إلى الهند ، ومن آخر أخبارها المحزنة أن سلطان حيدرآباد — وكان من أسخى الناس وأحرصهم على شراء المخطوطات وكان لبعض علماء المدينة صلة به . ولما فتحت الصناديق التي تضم نفائس من تلك المخطوطات وُجدت الأرضة قد أتت على كل ما في داخلها ، وذلك بعد وفاته قبل بضع سنين .

بل إنّ بلداً عربياً نعتبره كلنا القمة في التنظيم ، والقدوة في المحافظة على التراث ، حدثني أحد علمائه أنه فقد من إحدى خزائن كتبه الشهيرة نحو ألف كتاب منذ زمن غير بعيد .

ومع كل ذلك فإن تصوير المخطوطات خير وسيلة لصيانتها ، فإذا فقدت أصولها بقي لها بَدِيْل مصوَّرٌ .

ولقد استراب إخواننا في اليمن من البعثتين المصريتين اللتين قامتا بتصوير بعض مخطوطات بلادهم في العهد الملكي ثم في العهد الجمهوري ، ولكن لا ينكر أحد أن قسماً كبيراً مما صورته البعثتان أصبح في مأمنٍ من التلف ، وفي الإمكان الاستفادة منه ، ولو بصورة محدودة .

ثم انتقل الحديث إلى السياسة فذكر الشيخ البلهان أن مجلة « العربي » نشرت ملخص بحث كتبه (أبا إيبان) يدور حول فكرة استحالة صمود تكتل إسلامي صموداً يخشى منه اليهود ، وبنى هذه الفكرة على دراسة تاريخية شاملة . وقد أدلى الأستاذ عون الشريف وسفيرا الكويت والعراق بآرائهما في خطأ نظرة ذلك اليهودي .

---

(١) نشرت كلمة عن هذا في جريدة المدينة ، بعد أن حذف رئيس تحريرها في ذلك الوقت ما أراد منها .

فعلق أحد الحاضرين بقوله : يتضح خطأ هذه النظرة حقّاً متى وُجد التكتُّل الإسلامي الذي يُوقع الرعب في قلوب الأعداء ، ولن يوجد هذا حتى تصفو القلوب وتزول جميع الضغائن والأحقاد من النفوس ، ويصبح المسلمون في جميع أنحاء المعمورة كالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ولن يكون ذلك إلا بصلاح الرؤساء والقادة ، ومن بيدهم الحلُّ والعقد ، وكما قيل :

لا يصلح الناس فوضَى لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهّالهُمْ سادوا

وكانت مائدة الطعام قد أُعِدَّتْ ، فتقدم المدعوُّون إليها . ثم كان الإنصراف بعد أن نال كل إنسان من لطف الداعي الكريم وكرمه نصيبه وافياً غير منقوص .

كنت سألت عن الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب وهو أحد زملائي في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة حين وصلت الخرطوم — فقيل لي : إنه في الرياض يحاضر في إحدى جامعاتها . ولكنني علمت من الأستاذ عثمان الفريح أنه موجود هنا فلما عدت إلى الفندق وجدته قد اتصل به يسأل عني ، ثم زارني الأستاذ الفريح ومعه رسالة منه جاء فيها : (ومن حقك عليَّ أن أسعى إليك ، ولكن بيمّناي جرح إثر (عملية) فألزمني ذلك الدار .. وسأحاول الإتصال بالهاتف وهو مما لا يستجيب الأحيان الكثيرة) ثم دعوة للأنس والغداء يوم الأربعاء ، مع بعض الأخوان الذين قال عنهم الدكتور الطيب : إنهم من إخوانك وأحبابك الذين يسعدهم اللقاء بك . وقد تحدَّثت معه — هاتفيّاً — فحاولت الإعتذار عن الاستجابة لدعوته الكريمة ، وأنني سأزوره بعد مغرب هذا اليوم ، ولكنه ألح وقال بأن الأمر لا يعدو أن يكون اجتماعاً محصوراً بعدد قليل من الأصدقاء من أساتذة قسم اللغة العربية فى كلية الآداب ، ولن يكون في الأمر أيُّ تكلف .

ذهبت بعد مغرب هذا اليوم مع الأخ الأستاذ الفريح لزيارة الأستاذ الدكتور الطيب ، وكان يسكن في إحدى ضواحي الخرطوم ، بل في محلة من محلاّتها تدعى (البُرّي) ولولا أنهم هناك ينطقون الكلمة بضم الباء لقلت : إنّها منسوبة إلى البَرّ — بفتح الباء — لانشراحها ، وسعة شوارعها ، وحداثة إنشائها ، وأكثر بيوتها

وأيّد أحد الأخوة هـــذا الرأي مضيفاً بأنه – أي السيد – منذ أن وقعت له حادثة السيارة في طريق المدينة أصبح في شبه عزلة ، فتمنى له الجميع الشفاء .

وبعد أن تناول كل واحد من المدعوين نصيبه من طعام (السليق) اللذيذ وما معه كان الانصراف بعد أن ذهب شطر الليل .

رعاك الله يا أبا فهيد فقد جعلت تلك الليلة لا تنسى بلطفك ، وبدعوتك جميع الأحبة . – إنها ليلة الأربعاء ، أولى ليالي السنة الجديدة سنة ١٣٩٧ – .

يوم الأربعاء : – أول العام الهجري ١٣٩٧ – وهم في هذه البلاد يحتفلون به ، فقد زيّنوا شوارع المدينة ، بتقوية إنارتها بتعليق ثريات الكهرباء فيها وفي مداخل قصور الحكومة ، ورفعوا الأعلام فوقها .

وقرّرت وزارة الشؤون الدينية الاحتفال في هذا اليوم بإقامة مسابقة بين حفظة القرآن الكريم ، وقد سارت على هذا منذ ثلاث سنوات ، فكان احتفالها هذا اليوم هو (المهرجان الرابع للقرآن الكريم) .

كان الأستاذ عون الشريف قاسم – وزير الشؤون الدينية – دعاني لحضور ذلك الاحتفال ، وأخبر أبا الوليد بذلك فحبّذ الاستجابة لتلك الدعوة .

والأستاذ عون الشريف يحسُّ من يراه أول مرة بانجذاب روحي نحوه كأنه يعرفه معرفة قديمة فهو طيب النفس مهذب الخلق ، ذو روح مرحة ، وقد تخرج في (جامعة الخرطوم) سنة ١٩٥٧ من كلية الآداب ، ونال درجة (الدكتوراه) في الفلسفة من جامعة (أدنبرة) بعد نيل إجازتي (الماجستير) و (البكالوريوس) في الآداب من (جامعة لندن) وحاضر في هذه الجامعة في عامي ١٨٦٠ و١٩٦١ ، وتولّى إدارة شعبة الترجمة في كلية الآداب في (جامعة الخرطوم) وقام برئاسة تحرير مجلة « الدراسات السودانية » في تلك الجامعة .

وله دراسات وأبحاث ومؤلفات باللغتين العربية والانجليزية . ومنها باللغة العربية : « دبلوماسية محمد » صلى الله عليه وسلم و « في معركة التراث » و « الدين

في حياتنا » و « التراث الروحي والبعث القومي » و « دراسات في العامية » و « موسوعة الثقافة الإسلامية » و « قاموس اللهجة العامية في السودان » وهذا من أهم مؤلفاته – في رأيي – يقع في مجلد تربو صفحاته على ٨٥٠ – و « من قضايا البعث الحضاري» و « إسلاميات » و « شعراء البصرة في العصر الأموي » وقد أتحفني بمجموعة هذه الكتب .

لم أعجب لإسناد منصب الوزارة لهذا العالم الفاضل في هذه البلاد التي لم تبلغ من التحضر والتقدم ما بلغته البلاد المتحضرة التي تحل علماءها أرفع المنازل ، ولكن الذي يدعو إلى العجب أن يتصدى عالم من مدينة الخرطوم لتأليف كتاب عن « شعراء البصرة في العصر الأموي » يعتبر من أوفى الدراسات وأعمقها . ألا يجد هذا الباحث في أحوال مدينته وبلاده ما يشبع نهمه في البحث ، ويشغله عن عبور المسافات الشاسعة إلى مدينة البصرة قبل مئات السنين ؟ !

إن الصلة الروحية لا تعرف الحدود والقيود ، وما فائدة العلم إذا لم يُقَوِّ تلك الصلة ، ويزيل أسباب التباعد والفرقة بين أبناء الأمة مهما تباعدت ديارهم . وهذا ما أحسست به حينما اجتمع بأحد مثقفي هذه البلاد .

اشتد علي الزكام صباح هذا اليوم ، فلم أخرج من الفندق ، ووجدت في مطالعة بعض مؤلفات الأستاذ عون الشريف ما دفعني إلى الإخلاد للراحة ، حتى أتى إلي الأخ الكريم الدكتور عثمان الفريح لكي نذهب لتناول الغداء في بيت الزميل المفضال الدكتور عبدالله الطيب .

وَفَى الدكتور الطيب بما وعد والوفاء من طباعه الأصيلة ، فلم يكن مُتكلِّفاً ، فالمدعوون أكثرهم – إن لم يكن كلهم – على مشرب واحد ، روحاً وفكراً .

فهذا الأستاذ عز الدين الأمين ، رئيس شعبة اللغة العربية بجامعة الخرطوم ، وهذا الدكتور محمد عبده غانم أستاذ في تلك الجامعة ، وهذا الدكتور محمد علي الريح هاشم من أساتذة قسم اللغة أيضاً ، وهذا السيد عبد الرحيم مكاوي صاحب الدار السودانية للنشر .

والطعام صنعته يَدَا صَنَّاع ماهرة هي زوجة أستاذنا الدكتور الطيب الفاضلة . التي تعنى بدراسة التراث الشعبي في السودان ، وتقوم برسم لوحات فنيّةٍ عنه ، أفْضَلتْ علي بأربعٍ منها . وهي انجليزية الأصل إلاّ أنّها تتكلم العربية .

قدم لي الدكتور الطيب أحدث ما صدر له من الدواوين ، فرأيت وصف الحسان استأثر بقسم كبير منه . فقلت له : ألا تخاف من ربّة البيت ، حين تقول كيت وكيت . فقهقه ضاحكاً . وقال : لا ! وإن قرأت هذا !

أسرعت العودة إلى الفندق فقد اشتدّ بي الزكام فضايقني بعد أن تعرضت للهواء ، وبعد أن دسست جسمي بين الفراش والغطاء ، وأحسست بقليل من الراحة أزعجني أزيز الهاتف ، فأبعدت السماعة عن مكانها ، ولم أخاطب المتكلم ، ثم أخذني النوم حتى كانت الساعة السادسة فإذا بأبي الوليد يأتي إلي لكي نذهب إلى حفل (مهرجان القرآن الكريم) الذي سيحضره الرئيس النميري ، فاعتذرت وبقيت في الفندق حتى صباح يوم الخميس .

يوم الخميس (٢ محرم سنة ١٣٩٧هـ) كنت عزمت على السفر صباح يوم الجمعة ، فكان عليّ أن أذهب إلى (السفارة) لأودّع أبا الوليد ، ولأكرر له الشكر على كرم الضيافة ، بل على ما غمرني به من لطفه ، ولأسلّم على من هناك من الإخوان

وجدت الأخ الدكتور عثمان الفريح هناك ، وكان مرّ بالفندق بعد أن بكّرت في الخروج منه ولم يعلم بأنني قد عزمت على السفر ، وكنت أُسَوِّفُ وأُعلِّل حين يبدي لي رغبته بأن يدعو بعض الإخوان لنجتمع في بيته ، ففاجأته بعدم استطاعتي الاستجابة لدعوته الكريمة لانشغالي في هذا اليوم ، وحاجتي إلى النوم مبكراً ليلاً ، لسعال ألمّ بي مع اشتداد الزكام ، وينبغي أن أستيقظ مبكراً حتى أتمكن من الوصول إلى المطار الساعة السادسة صباحاً .

في مكتبة جامعة الخرطوم : بعد أن ودعت الإخوة في السفارة ذهبت مع الدكتور الفريح لزيارة مكتبة جامعة الخرطوم ، فوجدنا مديرها وحده في أحد أبهاء المطالعة ،

إذ المكتبة مغلقة في هذا اليوم ، فكان استقبالاً حسناً ، وحديثاً حول الكتب والمكتبات ومدير المكتبة هو الأستاذ عبد الرحمن النصري ، قال للدكتور الفريح : أعرف فلاناً ، وقد اجتمعت به في الرياض ، حين قدم من بيروت لحضور (المؤتمر الببليوجرافي للكتاب العربي) .

يقول الأستاذ النصري : المخطوطات في المكتبة قليلة ، وجُلُّها من مكتبة الدكتور الماحي التيجاني التي أهداها إلى المكتبة وهي نحو ألفي مخطوط ، لم تفهرس بعد ، وجُلُّها مما نُسخ حَديثاً .

وكان الدكتور التيجاني من أساتذة جامعة الخرطوم ، وهو طبيب نفساني ، ومن مؤلفاته المطبوعة « المدخل إلى تاريخ علم الطب عند العرب » وكان جمّاعاً للكتب ، وقد أوصى بضم مكتبته إلى هذه المكتبة ، كما ضُمَّت إليها حديثاً مكتبة الشنقيطي أحد علماء هذه البلاد .

كان الوقت أضيق من أن نتمكن من مطالعة شيء من الكتب . وبعد شكر الأستاذ المدير كان التعريج على السوق ثم الذهاب إلى الفندق .

إلى القاهرة : وفي الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة (١٣٩٧/١/٣) وأنا أتناول حقيبتي للخروج من الفندق ، إذا بالأخ الأستاذ عثمان الفريح قد أتى ليوصلني بسيارته إلى المطار ، ولم يُجْدِ معه إلحاحي عليه بأن لا يأتي إلي في ذلك الوقت المبكر . وقد أدرك أن السعال قد اشتد بي ، فاقترح أن نمرَّ بإحدى الصيدليات لنأخذ منها دواء يخففه ، ثم وصلنا المطار — وهو قريب من البلد — قبل الموعد المحدد ، وكان الساعة السادسة ، وإقلاع الطائرة الساعة الثامنة . فودعت الأخ الكريم وشكرته ، وهذا جهد المقل .

والمواصلات في الخرطوم متيسرة ، فالحافلات تسير في جميع شوارع المدينة ، وتتصل بما بقربها من القرى ، وسيارات الأجرة لم أرَ أكثر منها في أي بلاد أخرى ،

والأجرة بحسب الإتفاق مع سائق السيارة ، والجشع هو هو في النفوس في كل بلاد ، فأولئك الذين تحدد الأجرة في سياراتهم بواسطة العدادات لا يكتفون بها في أرقى بلاد العالم بل يطلبون – تصريحاً أو تلميحاً – الزيادة ، ومن تحدد أجرة سياراتهم قوانين بلادهم يتذرعون بأوهى الأسباب لعدم التقيّد بها .

وفي المطار كان تفتيش الأمتعة ، ولكنه كان سهلاً ، وتولت تفتيش حقائب الأمتعة فتاة متلفعة بمُرْطهـا من هامتها حتى قدمها ، خافتة الصوت ، مهذبة الكلام .

والفتاة السودانية تشارك الفتى في كثير من الأعمال ، وهي تلبس فوق ملابس المرأة المعتادة وشاحاً ضافياً ، وغالباً ما كان شفافاً ، وقد يبدو من جسمها ما يبدو من المرأة الهندية التي تلبس (الساري) أو العراقية التي تلبس العباءة ، والمرأة هي المرأة في كل زمان ومكان .

كان الجوُّ صحواً ، والريح ساكنة ، وطيران الطائرة رَهْواً لا اهتزاز معه ، وقائدها يحدّث الركاب ، فيخبرهم – بواسطة مكبر الصوت – ببعض الأمكنة التي تمرُّ الطائرة فوقها .

ومع أن الوصول إلى مطار القاهرة كان في الساعة العاشرة والربع صباحاً إلا أنني لم أصل إلى منزلي في شارع مراحق بن عامر – في الجيزة – إلا الساعة الثانية بعد الظهر ، ولكنها على كل حالٍ كانت رحلة مُرِيحة ، أشق ما قاسيته خلالها عناد سائق السيارة التي ركبتها من المطار إلى منزلي حيث لم يكتف بمضاعفة الأجرة ، فأمطرني بوابل من الشتائم ، وصبَّ بعضها على غيري بدون جناية أو ذنب ، ولكنني عملت بقول الأحنف بن قيس : (طَأطِيء لها رأسَك تَمُرُّ) وهكذا كان ، والله المستعان .

الرياض — حمد الجاسر

الدُّرُّ الثمين ، في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين

تأليف

حسن بن أحمد عاكش الضمدي

(١٢٢١ - ١٢٨٦ هـ)

تمهيد : يعوز الباحث في تاريخ بلادنا المصادر ، وباستثناء المدينتين المطهرتين مكة والمدينة والقسم الجنوبي القوي الصلة بحواضر العلم من بلاد اليمن زبيد وصنعاء وصعدة ، فإن بقية أجزاء تلك البلاد لا يعرف لها تاريخ مستوعب لتدوين أخبارها ووصف أحوالها في غابر الأزمان ، متسلسل الحلقات منذ بديءُ بتدوين التاريخ في صدر الإسلام إلى عهدنا . وكل ما يعثر عليه متطلب البحث نتف من هنا وهناك ، حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، حيث نشأت الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآتت ثمرتها الطيبة بمؤازرة المخلصين من رجال الدولة السعودية ، وحتى تاريخ هذه الدولة الكريمة بعد أن ذاقت هذه البلاد مرارة التسلط التركي المصري في القرن الثالث عشر ، لا يزال الغموض يحيط بكثير من جوانبه .

لقد وجدت تلك الدعوة معقلاً قوياً في سراة بلاد عسير ، من إخلاص أبناء تلك البلاد في قبولها ومن شجاعتهم واستماتتهم في سبيل نشرها والدفاع عنها حتى بعد أن قوَّض الأعداء مَعْقِلَها الأول في قلب الجزيرة ، وقضوا على أنصارها في مختلف أنحاء البلاد ، وضربوا بكابوس الاحتلال في جميع مناطقها . ولكن أولئك الأبطال صمدوا ، ووجدوا في شعفات تلك السراة ، وفي قوة إيمانهم ، وبسالتهم ما رد جحافل الغزاة حسيرة ذليلة ، فعجزت عن التوغل في ذلك المعقل الحصين نحو خمسين عاماً من القرن الماضي .

وتلك الحقبة من الزمن في تاريخ ذلك الجزء الحبيب من بلادنا على قرب العهد بها لا تزال بحاجة إلى إبراز معالمها ، لا من أجل الوفاء بما لأهلها من يد كريمة ، ومقام صادق فحسب ، بل يضاف إلى ذلك محاولة جمع ما يمكن جمعه وتدوينه من تاريخ هذه البلاد ، ووضع صُوى وعلامات للباحثين ، إذ لم يكن في المستطاع إقامة الأسس والدعائم لذلك التاريخ .

وهذا ما دفع إلى نشر مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا الوالي التركي عن هذه البلاد في هذه المجلة . وهي مذكرات تناولت تدوين حوادث آخر الاحتلال التركي وإلى نشر هذه الرسالة التي تتناول الحديث عما سبق ذلك العهد .

ومن يدري فقد يمكن العثور على ما يبرز للباحث تاريخ حقبة أول عهد ذلك الاحتلال البغيض ، فتتصل حلقات التاريخ منذ منتصف القرن الثاني عشر إلى هذا العهد .

هذه الرسالة : نطلب مستحيلاً إذا نظرنا إلى كل عمل من الأعمال بعين الباحث عن الكمال ، وقديماً قيل :

لا تَرْجُ أمراً كامِلاً نفعه فالسيل وهو الغيث فيه الغُثَاء

وغُثَاء هذه الرسالة أنّ مؤلفها — تجاوز الله عنه وغفر له — أراد إظهار مقدرته نثراً ونظماً ، وأن يتزلف إلى من ألّفها من أجله ، فخرج بذلك عن طبعه خروجاً تنفر منه الطبائع ، فبالغ في المدح والثناء مبالغة جاوزت الحدّ ، وحمله التصنُّع على استعمال كثير من الكلمات في غير موضعها ، فاستغلق فهم كلامه في كثير من المواضع ، يضاف إلى هذا ضعفه في اللغة بحيث يؤنث المذكر ويذكر المؤنث ، إن لم يكن هذا من عمل أحد النساخ ، وليس ذلك بغريب .

ليضرب القارىء صفحاً عن الغثاء ، ولينتفع بما صفا ، وليَستمطر شآبيب العفو والمغفرة على جدث المؤلف ، وليُغض عن أسوإ زَلّةٍ وقعت منه حين أظهر

صاحبه – بثنائه ومدحه – بمظهر لا يليق ببشر ، ولكن سرعان ما تغيّر لما تغيرت الدنيا ، فانحاز إلى الجانب الآخر :

والنّاسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون لـــه ما يشتهي ، ولأمِّ المُخْطِـــئ الهَبَل

إنّ الرسالة هذه من النُّصوص التاريخية التي ينظر إليها من حيث إمداد المؤرخ بما هو منحصر في دائرة بحثه ، وهي تنشر هنا على هذا الأساس للدارسين كما هي ، بدون التعليق على ما يحتاج إلى تعليق فيها ، ولا شرح لما غمض من معانيها .

الأصل المخطوط : لم أطلع إلا على نسخة واحدة من هذه الرسالة ، في (دار الكتب المصرية) رقمها ١٢٩١ – تاريخ – تقع في عشر ورقات ، الأولى منها ليس فيها من الكتابة سوى : (الدر الثمين ، في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين ، بارك الله تعالى في عمره ، وأعزه بتوحيده ونصره ، تأليف الفقير إلى الله تعالى حسن بن أحمد اليمني) ثم الرقم وختم الدار . والكتابة بالقلم النسخي الحسن ، ومع أنه يفهم من هذا الكلام المكتوب في طرة الرسالة أنها كتبت في حياة المؤلف إلاّ أنّها ليست بخطه ، فخط المؤلف يقرب من الخط الفارسي ، وقد رأيت من كتاباته كتاب « نفح العود ، بسيرة الشريف حمود » للبهكلي ، وذيله الشيخ عاكش مؤلف الرسالة ، كما رأيت كتاب « العقد المفصّل بالعجائب » بخطه أيضاً ، رأيت الكتابين لدى الشيخ عبد العزيز بن عقيل ، أحد قضاة مدينة الرياض . فاستعرتهما ونسختهما .

أما هذه الرسالة[1] فقد نُسِختْ لي حديثاً عن نسخة (دار الكتب المصرية) ولم أتمكن من مطابقة نسختي على أصلها ، إذ أصبحت دور الكتب في كثير من بلدان العالم العربي كقصور الملوك ، لا يتيسّر دخولها لكل أحد ولهذا ليس من المستبعد وقوع أخطاء فيها ، ومنها ما نبهت عليه . غير أن تلك الأخطاء – والله المحمود على كل حال – لا تمس الجوهر ، وكثيراً ما استفاد عالم الآثار بنقش في حجر ذَهَبَ أكبر جزء منه .

---

(١) تحدث عنها أخي الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في مجلة « العرب » س ٧ ص ٥٩١ .

المؤلف : أورد له الصديق الباحث الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ترجمة مطولة في مجلة « العرب »[1] نجتزىء منها جُملاً موجزة :

هو الحسن بن أحمد بن عبدالله ، ولقبه عاكش[2] الضمدي ، ولد في بلدة ضمد – بفتح الضاد والميم وآخره دال – من قرى المخلاف السليماني (منطقة جازان) سنة ١٢٢١هـ في أسرة عرفت بالعلم في هذه البلاد عرف منها أحد أجداد هذا العالم محمد بن علي بن عمر الضمدي من علماء القرن العاشر ، ومن آخر علمائها القاضي أحمد بن حسن بن محمد بن الحسن بن أحمد المتوفي سنة ١٢٨٨هـ .

ووالد المترجم الشيخ أحمد بن عبدالله الضمدي من مشاهير علماء المخلاف ، وفي كنفه نشأ ، وعنه وعن علماء المخلاف تلقى العلم في أول نشأته ، ثم رحل إلى مكة وإلى صنعاء وزبيد وبيت الفقيه فأخذ عن مشاهير فقهاء هذه البلاد في ذلك العصر وعلمائها . وعني بالأدب وقرض الشعر في مدح أمراء بلاده وفي معارضة بعض مشاهير شعراء عصره ، ثم تصدّى للجمع والتأليف على حدّ قول القاضي محمد بن زبارة في كتاب « نيل الوطر » : (ومهر في المنثور والمنظوم ، وألف المؤلفات المفيدة في عدة فنون) : فمن مؤلفاته :

١ – « روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان » .
٢ – « نزهة الأبصار » مختصر السيل الجرار
٣ – « الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السايماني » .
٤ – « الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك » .
٥ – « حدائق الزهر ، في ذكر أشياخ الدهر » .
٦ – « عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر » .
٧ – « الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين » وهو هذا .

وقد توفي المترجم في بلدته ضمد سنة ١٢٨٩هـ .

---

(١) السنة السادسة صفحة ١٠٦/٩٨ وص ١٩٠/١٧٨ والسنة السابعة صفحة ٥٩٦/٥٩١.
(٢) يظهر أنه يكره ذكر هذا اللقب ، فهو يكتفي عند ذكر اسمه بقوله : (حسن بن أحمد اليمني) .

وهنا هو نصُّ الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدلله ذي الملك والملكوت ، والعزّ والجبروت ، يؤتي الملك من يشاء ، وينْزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذُل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم على من اصطفاه من أشرف العالم ، وفضَّله على ولد آدم ، وأنْزل عليه في كتابه المبين « نحن نَقُصُّ عليكَ أَحْسَنَ القصَص بما أوْحيْنا إليك هذا القُرآنَ وإن كُنْتَ من قَبْله لمن الغافلين » صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأنْصار والمهاجرين ، صلاةً أبلغ بها الغايات من رضوانه ، والمزيد من إحسانه .

وبعد فإنَّ علم التاريخ فَضله جَمٌّ يشترك في الإقْرار بفضله وحُسْنِ وَضْعِهِ مَنْ خصَّ وعم ولله درُّ الشاعر حيث قال :

ليس بإنسانٍ ولا عالِمٍ من لم يَعي الأخْبار في صَدْرِهِ
ومن دَرَى أخبارَ مَنْ قَبْلَهُ أَضَافَ أَعْمَاراً إلى عمرِهِ

هذا مع أنَّ كتَاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مشحون بأخبار الأمم السالفة الماضية ، والقرون الذاهبةَ الخالية ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » أن المراد بسير الأرض هو العلم بالتاريخ . وقال عزَّ منْ قائل كريم : « إنّا نحن نحي الموْتَى ونكتبُ ما قدموا وآثارهم وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين » وقال تعالى « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سلف ، وقد آتيناك من لدنا ذكراً » ثم إنَّ أولى ما يعتمده أولوا الأمر وأصحاب الزمان ، ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان وأوجب ما يتشاغل به من إليهم أَزِمّة الأمور ، وعليهم سياسة الجمهور ، إدمان النظر في كتب السِّيَرِ ، والتّتبّع للأخبار والآثار ، والتفكر في أحوال من مضى من الأخيار والأشرار ، ليعلم ما أبقَاه المحسن من الصِّيتِ الحميد ، الذي صار له حياة خالدةً بالأجْر الذي اكتسبه ، وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صحيفته

مسوّدة بالوزر الذي احتقبه ، وأن يتصفحوا حال الحازم في حزمه وعقله ، والمضيّع في تفريطه ، وجهله ، فيسلكوا من الطريق أوضحها وأمثلها ، ويتبعُوا من الخلائق أشرفها وأفضلها ، ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها ، ويرتعوا من المراعي أطيبها ، ويأخذوا من الأمور بأحزمها ، ومن التجارب بأحكمها ، فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها ، ومهما يكن من سيئةٍ ارتدعوا عنها ، فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب فيه غيره من التجارب ، والرابح من حظيَ بالراحة فيما تَعب فيه سواه من المطالب ، لأن العقْل غريزة الإنسان ، والتجارب مكسبه في الزمان ، والرأي لقاح العقل ، والتجربة نتاجه ، والخير مقصد الحجا ، والاجتهاد منْهاجه ، فإذا تأمّل المرء سيرَ الماضين من الأقوام حتى مع تقارب الشهور والأيام[1] ثمرة ما غرسوه عن تطاول الدهور والأعوام ، وعرف علل الأحوال وفوائدها ، وحيَل الرجال ومكائدها ، وتَسَلّى بمن تدَرَّعَ الجلد عند حدوث النَوائب ، وتأسّى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب[2] وما في أثناء ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة ، وأنس المحادثة والمسامرة ، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : (من علم التاريخ زاد عقله) . وقد سبق إلى الاعتناء بعلم التاريخ أكابر الأئمة ، وأفاضل علماء الأمّة وأثنوا على من سلك ذلك المنهج بما لا مزيد عليه ، وصرحوا بأنه من المهمات النافعة في الدينِ والدنيا ، وعولوا على من حرص على الغوص في بحار تدقيقه ، وأشاروا بالبنان إليه إذ به يعرف الحديث من القديم ، ويتميز الصحيح من الأخبار عن السقيم ، فكم من قَضيّةٍ أشكلت على كبراء العلماء المحققين وسجا ظلامها ، فلم يكشفه إلا أنوار حقائقِ الأخبار من المدقّقين كما يعرف ذلك من مارس الأخبار من الأسفار ، واطلع من كتب التاريخ على خبايا الأسرار ، وكفي بقضيّة يهود خيبر ودعواهم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أسقط عنهم الجزية ، وإبْرَازِهِم مَنْشوراً بذلك فيه شهادة جماعة من أَجِلاّء الصحابة ، حتى كاد الخليفة في ذلك العصر أن يميل إلى تَصديقهم ركوناً على ذلك السجل ، حتّى بَيّن فَضيحتهم العلامة

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب : (جنى ثمرة ما غرسوه) .

(٢) كذا في الأصل .

الحافظ أبو بكر المعروف بالخطيب[1] مما اقتبسه من نور التاريخ الجليل ، والقضية مشهورة ، وفي دفاتر التاريخ مأثورة .

ذلك[2] إلى اقتفاء آثار أولئك الأعلام برقم ما استطعت رقمه من حوادث هذا الزمن ووقائعه العظام ، قصداً لتنبيه الغافل على الاعتبار ، وإرادة لإفادة من يريد الأطلاع على ما جرت به أيدي الأقضية والأقدار ، بهذه الدار ، هذا وقد جعلت ما جمعته مُخْتَصّاً بالمتفقات في أيام الإمام العادل ، حامي حمى الإسلام ، والغُرّة الباذخة في جبين الأيام عز الإسلام محمد بن عايض عافاه الله تعالى ، ورقمتُ طرفاً يسيراً مما سلف في أيام والده الأمير عايض بن مرعي ، رحمه الله تعالى آمين .

وقد قَيّدْتُ ما اطلعت عليه بحسب الطاقة والإمكان ، فالمطلوب ممن اطلع على ما رقمته من الاخوان سَتْر الخلل ، وإصلاح الزلل ، على أنه لا يسلم منهما إلا كلام من علا وجل ، وإلاّ فَغَيره على وَجَل ، وأنا أسأل الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمورْ أن يتجاوز عني كلّ خطأ مستور ، أو على صفحات هذه الأوراق مسطور ، وأن يكفّ عنّي أكفّ الحاسدين ، وشر المعاندين ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(... ....)[3] الإمام الماجد ، حاوي المفاخر والمحامد ، محمد بن عايض حفظه الله تعالى .

أسامياً لم تزده معـــرفة وإنمـــا لـَذّة ذكرناها

هو ماجد أعز الله سبحانه بقيامه المسلمين ، وظهر في أيامه شعار الدين ، همام ناطح بهمته الثريا ، وبلغ بها أعلى المفاخر التي لسواه لا يتهيّا ، شجاع تتقي الأسود

---

(١) يقصد الخطيب البغدادي مؤلف كتاب « تاريخ بغداد » ولكن يهود خيبر أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ، ولم يبق في خيبر منهم أحد ، فلعل القصة وقعت لغيرهم .

(٢) كذا في الأصل ويتم المعنى بإثبات : (وقد دفعني ذلك) .

(٣) ثلاث كلمات لم تتضح في النسخة المصورة .

الضواري بطشاته ، وتتجنب الشجعان في يوم النزال ملاقاته ، بطل كم جندل في يوم الوغامن أبطال ، وكم غذّى بدم الأعادي المشرفيّة والرماحَ السمهريّة الطوال ، تراه لشدة بأسه عند اصطدام الحوادث ، وإظلال سوادها الكارث ، ووجهه وضّاحٌ وثغره باسم ، غير متهيّبٍ لذاك الفادح لأحد من العوالم ، مِقْدام قَدَّمَتْهُ على أعيانِ الزمن أفعاله تقديم بسم الله في المصاحف ، شهم كم إلى المعاندين له من جيش حامل للمنيّة زاحف ، كريم يقصر عن كرمه مَتراكم الغمام إذ ينهمر ، سميدع يهب الآلاف مُبْتَدِئاً فيسْتَقِلُّ عطاياه ويعْتذر ، قد استولى على الفضل استيلاء الأهلّة على المنازل ، وحاز الفخار ففاق بذلك الأواخر وبرز على الأوائل ، سليم دواعي الصدر ، طاهر السريرة ، إلى لطف أخلاقٍ تعلم من رقّتها النسيم ، ولطافة طبع إذا تكلم في الأدب حيّر النّديم خبير بالمحاضرة في المحافل والمجالس ، لا يُمَلُّ حديثه إذا ذاكر فهو دائم الإبتسام غير عابس ، وأما حلمه فما لقَيسٍ من استطالة فضله عليه عاصم[1] ، وما أحسب المذنب إلا يتقرب إليه بالذنب القاصم ، وأما آراؤه فقد احتوَتْ على زهرات النجح وثمراته ، ورشّت على الصلاح[2] مآء الخطب حتى أطفأت من جمراته وأما ما يتبع ذلك من سداد سياساته الملوكيّة ، ونفاذة مَضيّته اللوذعيّة ، فما أظن العَصا قُرِعتْ لذي الحلم[3] إلا تهديداً بوجوده ، وما أظن الزمان كَفَّ عن معاداة أهل الكمال في زمانه إلاّ خوفاً من إقامة حدوده .

بحر تجاوز حدَّ المدح من شرف ... كالصبح لاغرة يَحكي ولا رمم (؟)
مجرد العزم للعليا إذَا عجزتْ ... عنه السراة وقالوا إنها غرم
يمضي الزمان ولا فاقت يديه يدٌ ... سعياً إلى المجد لا زَلّتْ به القدم
رام الأقاصي حتى حازها ومضى ... تبارك الله ماذا تبلغ الهمم
لا يطرب المحل إلا صوبُ نائله ... ولا تحول على أفكاره الديمُ

---

(١) يشير إلى قيس بن عاصم المنقري المشهور بالحلم .
(٢) كذا في الأصل .
(٣) إشارة إلى البيت المعروف :
لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علم الإنسان إلا ليعلما

في كل يوم ينادي من مكارمه ... هذا إمام النّدا لا ما ادّعى هرم[1]
يَمِّمْ حماهُ ودافع كل مُعْضلة ... بهيئة الحزم تَعلم أنها حرم
حاطت عزائمهُ الإسلام جاهدةً ... حتى تغاير فيها العلم والعلم
لو أن للدهر جُزْءاً من محاسنه ... لم يبق في الدهر لا ظلم ولا ظلم
قالتْ أياديه للحسّاد عن كثبٍ : ... ما أقرب العزّ إلاّ أنه همم
مما أناف به للمجد أن له ... عزماً يَرَى فرص الأيام تُغْتَنَمُ

ميلاده أطال الله تعالى بقاه ، وكبَت عِداه شهر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين بعد المئتين والألف ، نشأ على الطهارة والعفاف ، وتربّى في حجر والده الأمير الشهير ، ذي القدر الخطير عايض بن مرعي رحمه الله تَعالى ، ولازمه وهو في سنّ الحداثة حضراً وسفراً ، واكتَسب من أخلاقه ومكارمه ما فاق به الأماثل والنظراء ، ولما بلغ درجة الكمال فما ترك ذروة من المجد إلا صعدها ، ولا صهوة للفخر إلا اقتعدها ، ولا آبدةً من المعالي إلا تصدَّى لها وتصَيّدها ، ولا ساميةً من المكارم إلا علاها ، ولا سائبة من المحامد إلا وصلها وحماها ، فالله يمتع الإسلام بوجوده ، ويتابع عليه النصر والظفر ، ويقمع كل أضداده وحسوده .

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى أضيف إليها ألف آمينا

وكان قيام والده بالإمارة في عام تسعة وأربعين بعد المئتين والألف بعد وفاة الأمير علي بن مجثّل ، وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام ، ولا حظته السيادة في النقَض والإبرام ، وما توجه إلى بلد (إلا) وحصل له الفتوح ، واستطالتْ يده إلى تخوم الطائف ، وافتتح اليمن بمن معه ، واستولى على المخا وتلك الجهات وجرتْ بينه وبين الأشراف وغيرهم من الأتراك حروب كانت العاقبة له ، وكانت مدة مملكته تسع سنين فسبحان من لا يزول ملكه ، وكان أوصى فيما بلغ بالإمارة للأمير عايض ، لما يعلم فيه من الحزم والبسالة ، وحسن السياسة والنبالة ، فالتَفتَ إلى ضبط المملكة بجأش ثابت ، وقدم أرسخ من الثوابت ، يخضع لسطوته كل معاند ،

(١) يقصد هرم بن سنان المري ممدوح الشاعر زهير بن أبي سلمى .

وتزهو باسمه الصكوك في جميع المقاصد ، وهذا كله بعدما وقع بينه وبين الأتراك الملاحم الكبار ، التي تسكُّ المسامع وتعمي الأبصار ، فحمى حمى بلاده ، وأعانه الله تعالى على القيام بمراده ، وأذاق أولئك في حروبهم السم الزعاق ، ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق .

وما تَقر سيوف في ممالكهـــــا حتَى تَقلقَلُ دهراً منه في القُلل

وجرى بينه وبين الشريف علي بن حيدر وقائع ، وبعد ذلك وضعت الحرب أوزارها ، وكمنت مدة من السنين نارها ، ولما استقرَّ الشريف الحسين بن علي بن حيدر في الإمارة بعد وفاة والده وكانت وفاته سنة أربعة[1] وخمسين بعد المئتين والألف ، وكان إذ ذاك مُتَوَلي اليمن ، من طريق صاحب مصر ابراهيم باشا وكان استمداد ولاية الشريف الحسين من طريقه ، وبعد ذلك ظهر له من الباشا المباينة ، وكان يترقب لإنزال الضرر بالشريف المذكور الدوائر ، ويود أن يلحقَه بالأمس الدابِر ، فرآى (أن) لا طريق له غير مصاحبة الأمير عايض واتصال حبله بحبله ، إذ هو في بحرٍ من رجال الإسلام ، وممن يركن بهم عند حوادث الأيام ، فأرسل إلى حضرة الأمير بعض أعيان السادة ليصلح بينه وبين الشريف الحسين الشان ، ويطلب منه الإعانة على إخراج التُّرْك من اليمن ، ويحثه على اجتماع كلمة العرب لدفع تلك المحن ، فتم بينهم الكلام على أن الأمير يرسل طائفةً من المسلمين لإعانته ، والقيام بنصرته ، وما وصلوا إلى أبي عريش إلا وقد وصل من والي مصر الارتفاع [2] لإبراهيم باشا من اليمن ، ولكنه اصطحبهم معه ، وكانوا هم له من الأعوان وليس معه من الأجناد غيرهم ، وافتتح اليمن ، واستقر بالمخا مدة ، وبعد رجوعه إلى أبي عريش وقعت المفاوضة بينه وبين الأمير عايض بألسنة الأقلام ، في مكان يكون به الاجتماع ، لتأكيد ما سلف من الصلح في تلك الأيام ، فتم الكلام على أن يكون في وادي بَيْض اللقاء ، فنهض الشريف الحسين من أبي عريش ثامن شهر شوال

---

(١) الصواب (أربع) .

(٢) كذا ولعل الصواب (الأمر بالارتفاع) .

عام ألف ومئتين وسبعة وخمسين وانفصل الأمير من بلاده ، هو ومن معه من أجناده ، ودار بينهم حديث الوفاق ، وهيأ الله أسباب الصلاح ، ونادى منادي الظفر بينهما بحيَّ على الفلاح ، وضربوا بينهم في ذلك الاجتماع القواعد الأكيدة ، وأيدوها بالمواثيق والعهود الشديدة ، وذلك على تسليم دراهم للأمير معلومة في كل عام ، وتراسلوا بهدايا فيها كل شيء نفيس في ذلك المقام ، وبعد ذلك كل منهم توجه إلى جهته ، وقد أمن جميع من في تهامة ، وخلعوا عنهم ثياب الخوف ولبسوا أثواب السلامة ، وصُفِّيت البلاد من الأنكاد ، وسلك الناس من الأمن في كل واد ، واستمرَّ ذلك الأمر على تسليم ما وقع الصلح عليه من الدراهم ، حتى دخلت سنة ثلاثة وستين بعد المئتين والألف ، وانقطع تسليم المعلوم من الشريف ، ولم يزل الأمير يلاحق في ذلك ويعتذر منه الشريف بعدم محصول البلاد ، وعدم قيامها مع ما وقع فيها بشيء من الإمداد ، فيقبل الأمير في الظاهر العذر عملاً بقول الأول :

اقبل معاذير من يأتيـــك معتذراً ... إنْ بَرَّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أجلك من يرضيك ظاهـــره ... وقد أطاعك من يعصيك منْتهرا[1]

ولما قامتْ قيامة محمد بن يحى الإمام صاحب صنْعا بواسطة الشيخ علي بن حميدة ، وانتهى الأمر أن استولى على جميع أقطار اليمن ، بعد أن وقع بينه وبين الشريف الحسين قتال كانت الدائرة فيه على الشريف ، ووقع فيه ضرب رصاصة في فخذه الأيسر عدم منها استقرار قدمه في ركاب الحصان ، وانتهت الهزيمة إلى قرية القطيع فانحاز في قلعته مع جماعة من ذوي محمد وطائفة من عشيرته الأشراف ، وآل الأمر بعد محاصرة إلى أسر الشريف ، وفي أثناء ذلك في شهر جمادى الأولى سنة أربع وستين ومئتين بعد الألف انفصل الأمير من السراة ، لقصد نصرة الشريف ، وصحبه من المسلمين جند كثير ، وما وصل إلى أطراف تهامة إلا وقد بلغه خروج الشريف من الأسر بواسطة أبنآء أخيه أفخر ومحمد وعلي ، وسلموا في ذلك مالاً جزيلاً لمن هو في أسرهم من العسكر ، وكان في المدينة العريشيّة الشريف حيدر

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب (مستتراً) .

والشيخ حسين بن علي مجلي ، وهما في هذه البلاد نواب للشريف الحسين ، ومع استقرار الأمير بمُسْلية انْفصل الشريف حيدر بن علي من أبي عريش بعد أن وصله من الشريف الحسن بن محمد والمكارمة رؤساء جند يام ما به الموافقة على ما يريده الأمير ، وتم الكلام على تسليم قَلعةَ صبيا إليه والمخلاف إلى[1] مقابل ماله من الحقوق المعتادة في البلاد ، وعند وصوله إلى مدينة صبيا وتصليح أحوالها تَوجه إلى السراة بعد أن انقضَتْ له المآرب ، وتم له ما يريد من المطالب ، واستَقَرَ في بلاد مملكته ، أحكامه نافذة ، في أقطار بلاده بالسداد ، قد ساس الرعايا بحكم الشريعة المطهرة في الإصدار والإيراد ، وما زال على هذا الحال حتى دخلت سنة اثنتين وسبعين بعد المئتين والألف وهي السنة التي توفي فيها الشريف الحسين بن علي بن حيدر وبعد موته وقع تجاذب أطراف الخلاف بين الشريفين الحسن بن محمد والحسن بن الحسين ، كل واحد منهما يريد أن يستقلّ بالإمارة ، وكل منهما انحاز في قلعته ، ولم يزل الشر يتزايد حتى افترق أهل المدينة العريشية فريقين فريق إلى الحسن بن الحسين ، وفريق إلى الحسن بن محمد ، وتأهبوا لإيقاظ نائم الفتنة وكل منهما يريد أن يسقي من ناوأه كأس المحنة ، وطالتْ مدة الحرب بينهما نحو ثلاثة أشهر ، ولكن وفق الله تعالى الأمير عايض إلى النظر في هذه المتفقات ، لمّا علم ما جرى من الخراب في هذه الجهات ، واستحب[2] المدينة العريشية وأجلا أكثر أهلها منه ، فحشد الجنود للنزول إلى تهامة ، مع أن كلا من الشريفين يكاتبه في الاستعانة به وهو غير ناظر إلى شيء من ذلك فانفصل من بلاد السراة يوم الخميس ثاني غرة شهر جمادى الأولى من هذا العام بجنود تملأ الفضاء ، وكان وصوله إلى صبيا عاشر الشهر المذكور ، في أبهة تملأ العيون ، وشارة حسنة ما رآى مثلها المبصرون ، وأقام في صبيا ثلاثة أيام ، وفي أثناء ذلك وصله الأشراف حيدر والحسن بن محمد والحسن بن الحسين وسلموا له القيادة ، وبذلوا له البيعة على حسب المراد ، وألزمهم بتفريغ قلاع المدينة العريشية ، ووصل إليها يوم الربوع خامس عشر من الشهر المذكور ، وقدم بعد أن طرح

(١) كذا ولعل الصواب (الأمير في مقابل) .
(٢) لعل الصواب (واستحل) .

في الخضرا نحو ست مئة رجل من الجند لترتيب القلاع الشامخ ونجران ودار النّصر والحاكم ، وتوجه بعد ذلك بمن معه من الأجناد ، وفي صحبته الأشراف ومن بين أيديهم من الأتباع ، وكان إذ ذاك متولى اليمن محمود باشا ، وأقبل أهل اليمن إلى الأمير طوعاً وكرها ، ولم يقم أحد في وجهه ، وعند وصوله إلى الزهرا رتّب بقلعتها ، وتوجه إلى الحديدة ، وعند قربه منها خرج أهلها منها ولم يبق فيها غير محمود باشا وأرباب القلاع فأحرق الباشا ما كان في المدينة من قشاش وتحصّن في البندر ، ولما وصل الأمير عايض بأجناده إلى مطرح الجبانة قريب الحديدة ، على نحو ميلين ، سارح أهل البندر وراوحهم بالغزايا حتى عدموا الراحة ، ولكن في أثناء إقامته أراد العزم على الدخول على البندر ، والاستيلاء عليه ، أنزل الله تعالى على الأجناد الوباء الذي لم يعهد وقوع مثله في هذه الجهات ، فأفنى غالب الناس ، وقد كان في نفس الأمير التقدم على الحديدة بمن بقي معه من الجند ، فأشار عليه كبراء المسلمين أهل مشورته بالرجوع عن هذا العزم ، والقفول بمن بقي من الأجناد ، ولا غضاضة عليه ولا لوم ، فيما قضاه الحيُّ القيوم ، وله أسوة بفعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما وقع الوبآء بالشام ، وأراد يتقدم هو وأمير الأجناد على عدوهم ، فلما وقع الوباء رجع من حيث جاء ، والقصة في « صحيح البخاري » وما زال الموت في كل مرحلة ووصل إلى أبي عريش والوباء ما انكف وكان وصوله خامس وعشرين شهر جمادى الآخرة ، وأقام ثلاثة أيام ، وبقي أرباب القلاع على حالهم ، واستصحب الأشراف حيدر بن علي ، والحسن بن محمد ، وأحمد بن الحسين معه ، وقد كان يرجى وصول الحسن بن الحسين ، ولكن تعلل بمعاذير ، فأخذ أخاه أحمد بدله ، وبعد وصول الأمير إلى السراة أرسل إلى أبي عريش رتبةً عوض الرتبة الأولى كبيرهم الشيخ علي بن محي ، وكان وصوله إلى المدينة العريشية يوم الإثنين ثالث عشر شهر شعبان ، واستقر هو ومن كان صحبته في القلاع ، ورجع الرتبة الأولى إلى بلادهم .

وفي ليلة الربوع لثلاث وعشرين خلون من شهر شعبان كان وفاة الأمير عايض بن مرعي ودفن ببلده قرية السقا تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته ، وقد كان من الأمراء الراشدين ، حسن السيرة ، في رعاياه ، وله السطوة على المعاندين

له ، وضبط مملكته الضبط التام ، واتّسعَتْ دائرة بلاده حتّى وصلت مملكته أطراف الطائف ، وإلى قرب بَنْدر اللّيْث ، ولاحظتْهُ السعادة فتفيّأ ظلال الأمر من غير معارض ، نحو ثلاث وعشرين سنة ، بل ينتقل في أطراف بلاده ويتنزّه فيها على حسب مراده ، وهاداه ماوك البلاد البعيدة ، وهادنه باشواتُ السلطان ، وشريف مكة ، وجرت بينهم المصالحة على حدود من البلاد ، وكل منهم وفى بِما التزَم به من غير عناد ، وكان منتهى ذلك أن صار تَحْتَ الرِّجام ، وذهبت أيامه الغضة كأنها أحلام ، فسبحان من لا يزول ملكه ، المتفرد بالبقاء ، القاهر عباده بالفناء ، لا إله إلا هو .

وفي يوم وفاته بايع عشيرته الأقربين[1] ولده الإمام الماجد ، القايم مقام الألف إن عُدَّ ألفٌ بواحد ، وبعث رسله إلى أطراف مملكة أبيه ، ووصلوا[2] إليه الجميع وأجابوا داعيه ، وبايعوه ، واستقَر في تختِ الإمارة ، ولم ينجم عليه خلاف ، ولا استطاع يعارضه أحد من الأوساط والأطراف ، بل تهيّأ له الأمر من غير تعب ، وآتاه الله الملك فلا مانع لما وهب ، وهو أهل لهذا المقام ، ولا يقوم أحد مقامه من الأنام ، لما رزق من الكمال ، وما حواه من حميد الخصال ، وما امتاز به من الآراء السديدة ، والهمة العاليةَ المنيفة ، وهو الليث الهضور إن دعا للنزال داعيها ، وهو كفو الإمارة عند قاصِيها ودانيها :

فلم تـــك تَصلـــح إلاّ لـــــه ولم يـــك يصلـــح إلا لهـــــا

وقد طلع على غُرَّته نجم السعد ، وأفل عنه طالع النحوس ، ولم تقابله الليالي والأيام بمكروه ولا بُؤْس ، وقد وقعت التهنئة له بهذه القصيدة :

نظـــــام هنـــائي لؤلؤ وفرائـــدُ على عُنُق العليـــاء منهـــا قلائِدُ
لملك دعـــا فاهتزَّت الأرض فرحةً وعـــاد عليهـــا بالمسرّات عائـــدُ
نفى الخوف عن كل القلوب بدعـــوة تَكَاد لداعِيهـــا تُلَبِّي الجلامدُ

---

(١) كذا في الأصل والوجه (بايعت عشيرته القريبة ولده) الخ .
(٢) الصواب (ووصل إليه) .

شجاع به تقوى الجيوش على اللقا ... ومن جأشه للجيش قلبٌ وساعِدُ
يُرَجّي نداه كلُّ ماشٍ وراكب ... وتخشى صداه الأسْدُ وهي حوارد
فلله يوم قمت فيه وساعة ... لطالعها المسعود حَظّك راصدُ
ستَملك أقطار البلاد جميعَها ... ويدنو إليك النازح المتباعد
ويصبح عاصي الأرض للأمر طائع ... له سابق خوفاً إليك وقائدُ
فيا بَيْعةً جاءتْ بأربح مَتْجَر ... لها الله من فوق السماوات عاقدُ
لقد صافحتْ منك الإمارةُ ماجدا ... له شاهدٌ من مجده ومَشَاهد
تَخَيّرتِ الكفو الكريم من الورى ... بمهر هو البِيْضُ الرقاق الحدائد
فحق الهنا حقّاً لها بك لا بها ... فأنت إمام قُمْتَ أو أنت قاعدُ
ودُمْ آمِراً طول الزمانِ وناهيا ... لحكمك تدبيرُ الإله معاضد
وهاك هناء نَظّمَ الفكرُ دُرَّهُ ... تمنّاه في أعناقهن الخرائدُ
وصلِّ إله العرش ما ناح ساجع ... وما ارتَقصت خضرُ الغصون الموائدُ
على المصطفى المختار خيرة خلقه ... كذا آله ما خَرَّ لله ساجدُ

ثم بعد استقراره في قرار مملكته ، وبلوغ مقصده ونهاية أمنيته ، جرى الخوض في مادة الأشراف حيدر والحسن وأحمد ، الذين هم تحت حفظ أبيه ، ولم يزل الكلام يدور بين الكبراء من المسلمين ، والأمير لحسن سيرته وصفاء سريرته ساعد في إطلاقهم ، وانْقَطع الكلام على أنَّ كل واحد منهم يجعل رهينةً بَدَ لَهُ ، وأنَّ قلاع أبي عريش تُخَرَّبُ جميعها ، ما خلا دار النصر ، لأجل حفظ البلاد ، وتتعاقبها الرتبة من طرف الأمير ، وأنَّ العامل في الجهة الشريف الحسن بن محمد ، من تحت الرأي والتدبير ، ولا يكون منه مخالفة لأميره في قبيلٍ ولا دَبير ، وبذل العهد على ذلك ، فبذل أولئك الأشراف الرهائن ، ما خلا أحمد بن الحسين ، فما ساعد أخوه الحسن لإبداله ، ولما تمّت هذه الشروط ، التي هي بكل عهد وَثيق مربوط ، كان انْفصال الأمير محمد بن عايض والشريفان المذكوران صحبته ، في جيش حافل ، وجمع من عشير متكامل ، في سابع وعشرين شهر ذي القعدة ، وكان وصوله إلى أبي عريش يوم الجمعة خامس عشر شهر ذي الحجة الحرام ،

ففرح الناس بقدومه ، وكان دخوله والبيارق تخفق على رأسه ، وسيوفه لأوليائه حامية ، وعلى الأعدا بالردى قاضية .

دخلتَها وشعاع الشمس مُتّقِـــد ونور وجهِك بين الخـــيل سافرهُ
في فَيْلقٍ من حديد لو قَذفْتَ به وجه الزمـــان لما دارتْ دوائِرُهُ

وفي يوم السبت ابتدىء بخراب القلاع ، فكان الابتداء بقلعة نجران وأُخربتْ بعد ذلك جميع قلاع أبي عريش ، وأصبحت خاوية على عروشها ، منكسة لخرابها على رؤوسها ، وهذا شأن هذه الدار سريعة الانقلاب ، ولقد صدق من قال :

لِدُوا للموتِ وابنوا للخراب .

وبعد أن بلغ الأمير ما أراد من خراب القلاع ، جعل رتْبَةً في قلعة دار النّصر ، وجعل الشريف الحسن بن محمد عاملاً على المدينة العريشيّةَ ، وسائِر البلاد التي هي تحت يد الأمير ، من حدود وادي مَوْر ، إلى حدود وادي ضَمَد ، وأما صَبْيا ومخلافها فالعامل فيها الشريف الحسن بن أحمد بن حمود .

ثم إنه بعد أن ضبط أمور الجهة توجه من أبي عريش لعله سادس وعشرون من الشهر المذكور وتوجه إلى السراة ، بعد أن تم له في جميع أموره الوِتر وتمّ له مراده بملاحظة السعادة في ذلك السفر ،

يلقى النّدى برقيقِ وَجْهٍ مُسْفِرٍ فإذا التَقى الجمعان عاد صفيقـــا
رحب المنـــازل ما أقام فإنْ ســـرى في جحفل ترك الفضـــاء مضيقـــا

واستقر في بلده السراة ، ينتقل في تلك الممالك ، ويسلك في أوامره ونواهيه أحسن المسالك ، قد ازدهت به الأيام وصارت الأوقات كلها أعياداً وأَمِنَتْ بعنايته الطرقات في جميع حدود بلاده ، وانقمع خوفاً منه كل باغ وفاسد عن بغيه وفَساده ، وأقام الحدود الشرعية على أهل الجرائِم ، وحكّم الشريعة المطهرة في جميع القضايا من غير معارض ولا مزاحم ، وانتشر في ممالكه لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بمعالم الدين ، من إفراد الله تعالى بالعبودية ، وزجر العوام

عن اعتقاد الضر والنفع في سوى خالقهم ، ومعرفة (لا إله إلا الله) التي هي كلمة الاسلام ، وأوقاته مرتبة على حسب المُقتضيات ، بعضُها للدرس في معرفة التوحيد ، وما يقرب إلى الله تَعالى ، من أمور العبادات ، وبعضها يجلس فيه لسماع الشكايات وإزالة الظلامات ، لا يكاد يذهب عليه وقتٌ لغَير مصلحة ، على اختلاف المرادات ، وهو الآن —بارك الله تعالى في عمره— ملازماً[1] للسيرة الحسنة ، سالكاً للطريقة المستحسنة ، ملاحظاً لتوظيف الناس على قدر مراتبهم ، قريب الجناب ، شريف الخطاب ، لا ينقص له معلوم ، ولا ينسَخُ له مرقوم ، لما هو عليه من الحزم الذي يعز على غيره من الأنام ، غير ملتفت لغرض نفسه ، بل هو سليم الصدر للخاص والعام ،

تملك الحمـــد حتى ما لمفتخـــر ... في الحمد حاء ولا ميمٌ ولا دال[2]
عليه منـــه سرابيل مضاعفـــــةٌ ... وقد كفاه من الآذِيِّ سربـــالُ

وفي هذه المدة توجه الشريف الحسن بن الحسين إلى نجران مستنجداً بقبائل يام ، بعد أن تكررت الطلاباتُ له من الأمير ، لأجل الوصول إليه ، والمثول بين يديه[3] عما صنع ، فعرف أنه قد خلع الطاعة ، بتوجهه إلى نجران .

وفي أيام إقامته ترجح للشريف الحسن بن محمد مكاتبته ومكاتبة يام ، ويحثهم على الوصول إلى أبي عريش ، وأنّ المراتب وأهل المدينة في يديه ، وأنه سيسنده مولاه الأمير وراء ظهره ، ولله القائل[4] :

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ ... وإنْ خالها تخفى على الناس تُعْلَمِ

ومع ذلك فالأمير قَد رفع إلى الحسن بن محمد أنه متي تحقق نزول الحسن بن الحسينو (يام)[5] إلى تهامة كما ترى ، أسرع من وصول الغارة إليك :

مواعيد صدقٍ ما لها من تَخَلُّف ... تطيب بها نفس الذي ليس يُخدَعُ

---

(١) كذا والوجه : (ملازم . . سالك . . ملاحظ) الخ .
(٢) للمتنبي من قصيدته التي مطلعها :
لا خيـــل عندك تهديهـــا ولا حال ... فليسعد النطـــق إن لم تسعد الحال
(٣) كذا ولعله سقط (للاعتذار عما صنع) .
(٤) هو زهير بن أبي سلمى من معلقته .
(٥) في الأصل (وقام) .

لكن الشريف الحسن قد ركن إلى مواعيد (يام) وأنه هو القائم بالأمر في النّقض والإبرام ، وأنّ الحسن بن الحسين إنّما هو في صورة وسيلة إليهم في دفع النّزاع ، فبهذا الأمل أضاع الحزم بعدم موالاة الأمير ، ولله القائل :

وكم رافضٍ أمْراً وفيهِ نَجاتُهُ ومرتَجياً نَفْعاً وفي نفعه الأفْعى

ولما انتهى مسير الحسن بن الحسين إلى أطراف أبي عريش ومعه ثُلّة من يام لا استطاعة لهم على مقاومة من في المدينة ، ولكن لما كان المتَولي عليهم قد أرخى العنانَ لهم ، ومنّوه بتلك الأماني ، لم يكن منه بذل النصح بالقتال . وكان سعيد بن مرضى أمير الرتبة التي [1] في (دار النّصر) قد اتخذ سوء الظن بالحسن ، وأهل المدينة شعاراً لكن أهل المدينة قد حصلتْ منهم المخادعة ، وعزموا على ترك القتال وتلقوا أوامر الحسن بن الحسين بالقبول على كل حال ، وكان مساه ليلة سادس عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وسبعين ومئتين وألف في طرف المدينة من اليمين ، فكاتبه الحسن بن محمد بما فاض فيه خاطره ، وطلب وصول ثلاثة أنفار من كبار يام ، فسروا تحت ذيل الليل ، وخرج اليهم الحسن بن محمد بعد وصولهم تحت قلعة الشامخ ، ودار بينهم الكلام ، فيما قد منوه به من تلك الأكاذيب ، فلم يقف منهم على طائل ، وتَبيّنَ له أنهم لا يلتَفتُون إليه ، ولا يتخذون بالحسن بن الحسين بدلاً فندم عند ذلك ندامة الكُسَعِيّ أو ابن غبشان ، وخسر الصفقة وترك الوفاء مع الأمير الذي به يرتفع الإنسان ، ولكن لا ينفع الندم في تلك الحال ، وقد ضاعت عليه الحيلة فيما صنع من تلك الأمور العراض الطوال ، وفي ليلة وصوله إلى أطراف أبي عريش طاف على المدينة ، وكل (واحد) من أهلها استَقَرَّ في بيته ، ولم يظهر منهم حركة الدفاع فتبين للشريف الحسن وأهل رتبة (دار النصر) أن أهل أبي عريش قد ألقوا السلم إليه ، وأنه قد ختم الأمر بينهم وبينه بليلٍ على الدخول في طاعته ، وفي ثاني يوم المطاف دخل من غربي المدينة ، واستقر غربي المدينة هو ومن في صحبته من الجند ، فثارت الحفيظة لأمير رتبة (دار النصر) وأطلق من عنده ثلاثة

---

(١) في الأصل (الذي) .

مدافع ، ولكن لم يكن له مناصر على قتال يام ولا مدافع ، ولم يزل الخطاب دائراً بين الحسن بن محمد وكبير يام علي بن الحسن المكرمي في السداد والدخول تحتَ الطاعة ، وترك الشقاق المفضي إلى العناد ، وما اتفق شيء على ما يريده الحسن لشيء قد سبق في علم الله تعالى ، فاحتاز هو ومن أطاعه من الحاشية في قلعته ، وفتح باب الحرب ظنّاً منه أنه يتم له المراد ، (... ....[1] ...) الحسن بن الحسين ويام بذلك ، ولكنه لم يستعمل الحزم في حفظ البئر المحاذية لقلعة الشامخ ، وما شعر عصر يوم الإثنين والصارخ يقول : إنّ المطرح قد خرجت منه عصابة من أهل البنادق لأجل المضايقة لأهل الشامخ ، فأغلق باب البيت وتأهب من فيه للمدافعة ، وكان ثلة من العريشية خارجة عن القلعة ، فوقع منهم فتح باب القتَال ، واشتد الزحام بينهم في ذلك المجال ، وقام أولئك الثلة مقاماً حمدت فيه منهم الأفعال ، وتقاعس الجند الباقي لما وقع قرب العريشية حال المجاولة من البيت وقتل بعض خواص المكرمي وأُبين رأسه ، فعظم الأمر على المكرمي ، وساء ظنه بالحسن بن محمد ، وقلب له ظهر المجنّ ، فجمع من بين يديه من يام ، وأجمعوا شورهم على ترتيب البيوت الحجر والمساجد المحاذية للشامخ ، فما أصبح الصباح إلاّ وهي مَرْتوبة[2] فأسقط في يد الحسن ومن معه وحينئذٍ ثار الحرب منهم ، فوقع الضيق على من في الشامخ والقعب وانكف الوارد إلى البير ، ومن أقدم على السقاية رمي في تلك الساحة ، فلما بلغت القلوب الحناجر فما وسع الشريف الحسن غير مكاتبة الحسن بن الحسين وعلي بن حسن المكرمي في طلب الأمان وأنشد لسان حاله :

إذَا لم يكــن إلاّ الأسنّة مركبـاً فلا رأي للمضطــر إلا ركوبهــا

فأسعدوه إلى ذلك ، وطلب الوقفة من علي بن حسن المكرمي وكبار يام . وصلح الأمر بينهم على أن يدخل تحت طاعة الشريف الحسن بن الحسين ، وأنه يتولى إخراج

---

(١) كلمة غير واضحة وكأنها : (وبلغني عن تكثير قوة الحسن) .

(٢) يقصد رتبت فيها حامية من الجند ، والرتبة هي الحامية المدافعة عن الحصن ، والكلمة لا تزال مستعملة في نجد .

رتبة (دار النّصر) من عسير بأيّ ممكن ولو بالقتال ، ووصل إلى مطرح يام ، وبذل العهد للحسن بن الحسين ، وشرطوا عليه بقاء إخوانه عبدالله وأبو طالب في المطرح ، رهائن ، حتّى تخرجوا رتبة (دار النّصر) فبذل ذلك فما زال الكلام يدور بينه وبين سعيد بن مرضي أمير رتبة (دار النّصر) حتّى أذعن بالخروج والانجداع للحسن بن محمد ، بأمور ما وقف منها على طائِل ، ولو استعمل الحزم ما اتصل به أحد حتّى تصل الغارة من طرف الأمير محمد بن عايض ، مع أنه في أثناء المفاوضة بينه وبين الحسن بلغ وصول الشيخ سعد بن عايض في طائِفة من الخيل إلى مدينة صبيا ولكن كما قيل :

حبُّ السلامة يثني عزم صاحبــه عن المعالي ويغري المرء بالفشــل

وتلك الطائفة مع الشيخ سعيد مرسولين[1] من الأمير ، مقدمة قبله للغارة على الشريف حسن بن محمد ، والرتبة المذكورين[2] وفاء بما قد وعد ، وخرج سعيد بن مرضي ، وأهل رعينه[3] على وجه غير مرضي ، وأصحبهم المكرمي رفقاً من رجال يام ، ودخل الحسن بن الحسين وجماعة معه (دار النّصر) في ساعة خروج الرتبة .

ولما وصل سعيد بن مرضي إلى صبيا علم به الشيخ سعيد بن عايض فأذاقه طرفاً من الهوان ، ونال أصحابه من الطرد والإبعاد ، وتمنّوْا أن ما كان لا[4] كان ، ولكن بعد انقضاء الأمر وانقطع مدد ذلك القصر والأمير حشد الأجناد ، وأسرع الغارة بهمة سامية ولما انتهى وصوله إلى شعبة رملان بلغه خروج الرتبة من قلعة (دار النصر) والاستيلاء عليه[5] وأن الحسن بن محمد سلم القياد فسير له من أحسن (؟) عدم النّصيحة ، وأنه غير مستعمل الوفاء معه مع معاملته بهذه الفعلة القبيحة ، وما كان من الأمير إلا الإقدام على الوصول إلى الجهة العريشيّة لأجل أخذ من فيها .

---

(١) الصواب (مرسلة) .
(٢) الصواب (المذكورة) .
(٣) كذا ولعل الصواب (وأهل رتبته) أي رتبته
(٤) كذا ولعل الصواب : (الذي كان) .
(٥) يقصد الحصن والأفصح (عليها) .

ولما استقرَّ بأطراف أبي عريش وحصل غاية الضيق على من بالمدينة من أهلها ومن (يام) أخذ بعضهم بالرَّحيل توسط مَنْ يُحب الإصلاح بين الفريقين ، وكان وصول الأمير إلى أطراف أبي عريش سادس وعشرين شهر ذي الحجة ، ولما رأى الأمير أنه لو أقدم على أهل المدينة مع منع الحسن بن الحسين لهم من الخروج لهلك النساء والأطفال ، وذهب إن انفتح باب الحرب من لا ذنب له ، ولا سبب له في هذا الحال ، استعدَّ بالإصلاح واتخذ الحلم شعاراً له ، في المساء والصباح عَمَلاً بقول الشاعر :

لا تُصْغِ إنْ شَرٌّ دَعا فالشر إنْ تَنْهضْ له يَنْهض وإن تسكن سكنْ
وسَدِيْد رأيٍ لا يُحَرِّكُ فِتْنَةً سكنَتْ وإنْ حَرَّكْتهُ الفِتَنُ اطمأنْ

وقلد الولاية الحسن بن الحسين على شروط معلومة ، وتأديَة مال الله من خراج البلاد ، وانفصل الأمير إلى بلاده من ذلك الملتقى ، على حال يسرُّ الودود ويغيظ الحسود ، في المبتدإ والمنتهى ، وكان توجهه يوم سابع وعشرين من شهر ذي الحجة ، واستقرَّ في بلاده ، ولقد صفا له الجوُّ من المشاركة في الأمر ، وجرى له بما يريد من السعادة الدهر ، ولله القائل :

إذا أنْتَ أُعْطِيْتَ السعادة لم تبل وإن نظرت شَزْراً إليك القبائلُ
وإنْ فَوَّقَ الأعداء نحوكَ أَسْهُماً ثَنَتْها على أعقابِهِنَّ المناصِلُ

والتفتَ إلى ترتيب بلاده ، وقرر الأمور ، وضبط الأطراف والحدود ، ونفذ فيها أوامره في الصدور والورود ، وكان يتنقل في أطراف بلاده ، وعين السعادة تجري بإسعاده ، وهو الحقيق بما قيل :

يقُول لي الحادي وقد جَدَّ في السُّرَى وللعيس وَخْدٌ بين تلك الغياهبِ
وقد خالط القومَ النُّعاسُ من السُّرَى وهم بين ماشٍ في القفار وراكب
إلى مَ التمادي في السُّرَى يا أخا السرى وحَتّى مَ قَطْعُ الرُّبا والسباسب ؟ !
أما حان للعيس المناخُ ؟ فقلتُ : لا مناخ سوى في سوح عالي المراتب
فجدّ إلى سَوْحٍ من المجد أخضر به تَنْظر الوفّاد من كل جانب

إلى سوح وافي القول والفعل والنّدا ... حكى الخضرم العَذبَ الفراتَ لِشَارِبِ
إلى ملكٍ يملا القُلوب مَهَابةً ... ويملا الأيادي بالعطا والرغايب
إلى ملكٍ ساد الملوك بأسرها ... فرتبته فوق السُّها والكواكب
حمدتُ السُّرَى لما أَنَخْتُ بِسوحه ... وبَشّرْتُ آمالي بِنَيْل المطالب
هو الفارس المشهور في كل مَعْرك ... ومُرْدِي العِدى فيه وليث الكتَائِبِ
له الحملات الصادقيّاتُ في الوغا ... إذا كَلّتِ الأبطال عن كلّ ضارب
يحدث عنْها كل غادٍ ورائح ... ويخبر عنها حاضرٌ كلَّ غايب
هو الخائض الأهوال يوم لقائها ... إذا ما غَدا بين القنا والقواضب
وفارسها الصنْديد في حومة الردى ... إذا اضطرم الجيشان بين المضارب
إذا جردت يوم الجلاد صفاحه ... فأغمادها هاماتُ كلّ محارب
وإن أُشْرِعَتْ فوق الجياد رماحها ... فموردها بين الطّلا والترائب
مفارق هام الدار عين إذا امتطى ... جواداً وتيّار أمام المواكب
له خضعتْ غلبُ الرقاب وقد غدتْ ... بأبوابه آسادُها كالثعالب
حمى كل قطر من حِماهُ فأصبحتْ ... به الأرض في زَهْوٍ لآتٍ وذاهب
همام يعاني كل هول وحادثٍ ... وقد جرع الأعداء صَرْفَ النوائب
بعزم إذا أُوْدِعْنَهُ البيْض لم تَدَعْ ... على الأرض من باغ بِها ومحارب
وكم لك من نصر من الله ظاهر ... وكم لك من رأي هنالك ثاقب
لك الخير إذْ أَحْيَيتَ للشرع والهُدَى ... ونلتَ مقاماً في العُلا غير غايب
وأَمّنْتَ مَنْ في البر والبحر بعد أن ... غدوْا من عظيم الخوف في كفٍّ لاعب
وأحييتَ أخبار الماوك وما مضى ... لهم من أَحاديثٍ جرتْ ومناقب
فكم لك من بأسٍ يذوب لِهَوْلِهِ الْـ ... ـجَمَادُ وفعل صادق غير كاذب
بقيتَ بقاء الدهر يا خَيرَ ماجد ... لتَشييد عزٍّ أوْ لبذل مواهب

وبعد مدة أرسل الأمير إلى الحسن بن الحسين الشيخ علي بن هادي بن أصلين (؟) لقَصد تَسليم ما ضربتْ عليه القواعد وهو الرسول في قبض بندر جازان ، وإخراج رتبة الأمير منه ، لأنه كان فيه حقوق متعلقة لعامل الأمير ورتبته ، وللشريف الحسن

ابن أحمد العامل بصبيا فوقعت المهلة في محصوله مقدار شهرين ، ولم يحصل من الحسن بن الحسين شيء مما وقع الشرط ، وإنما أبدى معاذير بضعف حاصل البلاد ، وأنه لم يف بما تحت يده من الأجناد ، وبعد انفصال علي بن هادي أشار بعض أهل حضرته أنه لا يحسن منك إلا الوفاء مع الأمير ، وترك الاختلاف في مثل هذا الخطير ، فتلافي الأمر وأرسل بعض أعوانه فيما بلغ بحصة من الدراهم ، وبعد ذلك لم يحصل من الأمير متابعة فيما وقع الصلح عليه ، لأنه ظهر له عدم الوفاء بذلك ، وعدم التمام لما هنالك ، فضرب الأمير عن طلب ذلك الحاصل صَفْحاً ، وطوى عن المبالاة به كشحاً ، وما أعقب ذلك إلا انفصال الشريف الحسن بن أحمد بن حمود من مدينة صَبْيا إلى الأمير ، وأذن له في طلب من يريد من عساكر الجبل ، وفي بث الرايات لأشراف تهامة ومشايخها ، لأجل تزحلق الحسن بن الحسين عن الإمارة ، لعدم ضبطه للبلاد ، وقهره بالمطالب الدنيوية للعباد ، فأرسل إلى العساكر رسائل ، وحثّهم على الوصول إلى حضرته لدفع هذا الحاصل ، ولله القايل :

من اقْتَضَى بِسِوَى الهِنْدِيِّ حاجَتَهُ أجاب كلَّ سؤال عَنْ هَلٍ بِلَمِ

ثُمَّ دخلت سنة خمس وسبعين بعد المئتين والألف فيها توجه الشريف الحسن بن الحسين إلى جهة الزهرا ، وبعد نفوره وصل إلى الشريف الحسن بن أحمد بعض عسكر واستقروا بصبيا ، وعند ذلك أظهر الخلاف ، وبايَنَ أهل هذه الأطراف ، لما جرى منهم من الاختلاف ، وتسلط على أهل وادي حيران ، وأسر منهم من أسر ، وجرى من الأمور ما هو في الكتاب مستطر ، وبعد ذلك وقعت المكاتبة من عامل أبي عريش من طرف الحسن بن الحسين للأمير ، والتزم له بما تيَسّر من حاصل البلاد ، وأجاب الأمير [1] ما قَصْدُه غير الإصلاح والوفاء بما وقع عليه الشرط ، ووصل رسل الأمير ، وسلم لهم عامل أبي عريش شيئاً يسيراً من الدراهم ، وبعد انفصال الرسل لم يشعر الناس إلا بوصول الحسن بن الحسين على حين غفلة ، وكان دخوله المدينة العريشية يوم تاسع عشر شهر جمادى الأولى واستقرَّ في بيته نجران[2]

(١) كذا وفي الكلام نقص .

(٢) كذا ولعل الصواب (بنجران) .

هو ومن صحبه من الأشراف وثلة من يام ، ووقع منه المصادرة من الناس في تسليم دراهم لا يطيقون القيام بها ، قصده زلاج[1] يام ، لأمور قد سبق بها علم المليك العلام ، ولم يزل أهل الأسباب والتجارة في معاناة أهوالٍ عِرَاضٍ طِوال ، حتى بذلوا جملة من الأموال ، وتسلمها (يام) ولم يحصل منهم نفع له ، بل كان نزولهم إليه براعة استهلال تغير قلوب الأنام ، واستبقى له ثلة من (يام) مراده أن يُرتِّبَهم في (دار النّصر) بدل العريشيّة وآخر أمرهم أمد ما يستريح من شغله (يام) .

وكان أهل المدينة العريشية قد كدر مشاربهم العامل من طرف الحسن بن الحسين ، وساق إليهم أنواعاً من الأذايا ، ولم يسمع لكلام فصيح يرشده إلى الصواب ، ويهديه ، واغتنم الشريف الحسن بن محمد هذه الفرصة ، ورآى أن السعادة قد لاحت له ، وله في جلب الناس إليه رخصة فساعده أهل (دار النصر) من العريشية ، وداخلهم العيب ، والحسن بن الحسين في غفلة ، غير مستعمل للحزم ، ولا يدري ما الناس فيه من المكايد له ، وكل ما بلغه من خواصه شيء من تلك الأخبار ، تلقّاها بالردّ وعدم الإصغاء لذلك ، ولا دَافِعَ لما جرتْ به الأقْدار .

والحسن بن الحسين همه الخلو في مَبْرَز قشاش[2] في بعض الدايرة قد اتخذه موضعاً لراحته في كثير من الأيام ، وكان قد نمي إلى الشريف الحسن بن محمد من بعض إخوان الحسن بن الحسين ومن بعض (يام) أنه يريد الفَتْكَ به متَى ساعدته الأيام ، وأنه يأخذ حذره من ذلك الغدر ، ولا يصغي في المساعدة بالصلح لِزَيْدٍ ولا لِعَمْرو ، فاتخذ الحزم عُدَّتَهُ ، وكان الحذر شأنه وقصده ، ولم يزل يُعمل الحيل والمكايد في الفَتْك بالحسن بن الحسين ، أو إمساكه باليدين ، فلما كان يوم الثلاثاء لعله حادي وعشرون من شهر جمادى الآخر[3] وقع صريخ في البلد فخرج

---

(١) زلاج : بمعنى بتات (أي زهاب) ونفقة .

(٢) المبرز المكان الذي يخلو فيه لحاجاته الخاصة وقشاش مصنوع من القش من الأعواد وورق النبات ونحو ذلك .

(٣) الصواب (الآخرة) نعت لجمادى .

الحسن بن الحسين في طائفة من الخيالة ، وكبار المدينة ، وضربوا ساحل جازان ، وما وجدوا كيداً في تلك المسيرة ، ورجع الحسن بن الحسين ليلة الربوع واستَقَرَّ في بيتِه وما شعر يوم الربوع ثاني وعشرين في الشهر المذكور إلاَّ وقد تحقّق لديه خبر احتلال رتبة (دار النصر) وأنهم يريدون يطلقون البيت[1] على الحسن بن محمد، وفيه يرتفع أمر البلد عنه ، فما كان منه إلا الإرسال لبعض الرُّتَب ، وجعله تحتَ الحفظ لديه ، وأرسل بعض الأشراف يبقى في (دار النصر) ويكون حفظ تلك القلعة عليه ، وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم خرج إلى ذلك المبْرَز القشاش ، على حسب العادة ، وانفرد في ذلك المكان ، واختلى بابن عمه الشريف أبو طالب بن حيدر ، وطرد عنه عبيده والأعوان ، لأمر قد جرى به علم القاهر الديان ، فما شعر بعد صلاة المغرب إلا وجماعة من عبيد الشريف الحسن بن محمد قد هجموا عليه في ذلك المبرز القشاش ، وأمسكوه باليدين ، فما وجد حيلة يلوذ بها غير أنه مع خروجه من المكان تمسك بعضادتي البيت البرّاني ، ومنع من المطاوعة للعبيد خشية من شماتة الأعداء والشواني ، وهم في أثناء إمساكه يقولون : امش معنا إلى الشريف الحسن بن محمد ، ولك السلامة . ولم يَتَعَدَّ ، وضرب الصوط في تلك الأماكن فبادره بعض العبيد فطعنه في خاصرته طعنةً وفي ظهره أخرى ، فطاح في الأرض وقد أثبتته الجراح . فأما أبو طالب فرُمِيَ ببندقٍ من وراء البيت فأصابته رصاصة كان فيها إزهاق روحه وخلاصه ، وأما الحسن بن الحسين فبقي ساعة يعالج سكرات الموت وقَضى نحبْه ولحق بربه ، واندهش الناس من هذا الواقع ، وكان ذلك ثالث وعشرين شهر جمادى الآخر ، وحمل إلى قلعة نَجْران ، ودفن في جانب من البيت ، وهذا حال هذه الدار ، لا يَتِمُّ لأحد فيها مراد على كرور الأدوار ، وبعد ذلك بايع الناس الشريف الحسن بن محمد ، ورفع للأمير بهذا الواقع ، ولامه على فعله ، ولم يزل يكاتب الأمير في سداد الحال ، ويطلب منه الرضا عنه ، والمساعدة في صلاح البلاد ، على حسب العادة ، ولكن الأمير مع ما جرى

---

(١) كذا في الأصل ولعله (البيعة) .

منه من تلك الحوادث ، ومخالفته عليه بعد العهود الأكيدة وتأييده (؟) على البلاد لم يركن لمقاله ، ولا أصغى إلى شيء من تزويره ومحاله ، ولكن مع هذا الفعل نفرت منه القلوب ، ومع علم الناس بأن الأمير لم يعاضده خربت الرعايا ، وظهر الفساد ، وتقطعت الطرقات ، ولم ينضبط أمر البلاد ولما عامل العَرَاشِيَة بالجفاء وعدم العدل ، ولم يفِ لهم بما قد قَعّدُوا عليه القواعد ، أيام الحسن بن الحسين ، وكان الشيخ أحمد بن حسن هو القائم في المدينة ، واحتجب الحسن في بيته ، وعول على أحمد بن حسن في أمور أهل البلد ، ولم يكن منه التفاتٌ إلى ضبط الناس ، وسماع الشكايات ، فوقع من الرعايا الملل منه ، ورفع أحمد بن حسن حقيقة الحال إلى الأمير ، ولم يزل يعمل الحيلة في أهل المدينة حتى انقادوا لما يقول ، والحسن في غَفْلةٍ عما الناس فيه ، بل يتردد من أبي عريش إلى المجصص ، معقل قد بناه على وادي جازان ، وعانى هنالك الحراثة ، وكلما ألقي إليه خبر لم يتلقاه[1] بالقبول ، وقد ورد في الحديث : « إذا أراد الله أمْراً سلب ذوي العقول عقولَهم حتى يمضيه » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولله القائل :

يُقْضَى على المرء في أيام مِحْنَتِهِ حتى يرى حسناً ما ليس بالحسنِ

فما جاءه إلاّ انفصال الأمير من السراة ، في جنود متكاثرة وأُبّهَةٍ عظيمة ، وفوارس أبناء الطعن والضرب ، وهو المقدم فيهم :

يختال في زَرَدِ الحديد كأنـــه سَيْفُ بن ذِي يَزَنٍ لِحميرَ قائِدُ
وكأنما رهج الفوارس في الوغـا تحت العجاج صواعقٌ ورواعدُ

ولما قرب من المدينة العريشية لم تزل كتبه إلى الحسن بن محمد بالدخول في الطاعة ، والانتظام في سلك الجماعة ، واستعمل الصبر في الخطاب ، وأقام الحجة على الحسن من كل باب ، ولما طرح غربي أبي عريش تلقاه أهل البلد بأجمعهم طوعاً وكرهاً ، واقتَضى الحال المراسلة إلى الحسن ببذل الأمان ، وأصحبه مع بعض

---

(١) القاعدة (لم يتلقه) .

الأعيان ، وشرط لنفسه شروطاً وبذلها الأمير ، ولم يزل يُنَوِّعُ المعاذير ، من يوم إلى يوم ، ولم تقف الوسطاء على طائلٍ من أمره ، وكان رتبة نجران قد ألقوا السلم أول يوم دخل الأمير ، وبقا[1] أهل (دار النصر) والشامخ وفيه رتب كثيرة ، وأعذر الأمير إليهم بالمراسيل ، وحين لم ينقادوا للصلاح في دبير ولا قبيل ، أنشد لسان حاله :

لقد تَصَبّرتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآنَ أقْحِم حتى لانَ مُقْتَحَم
لأتْرُكَنَّ وجوه الخيل ساهمةً ... والحرب أقوم من ساقٍ على قدم[2]

فرتّب الجنود ، وبنّد البنود ، وحملوا على قلعة (دار النّصر) فوقع الحرب ساعة فأصدق المسلمون عليهم الحملة ، ودخلوا معهم في القلعة ، فصاحوا بطلب الأمان ، وشاهدوا من الأمور الفادحة ما لا يَصْبر عليه إنسان ، فجنحوا إلى السلامة ، فنزل الأمير لهم الأمان على حطة الحلقة ، وما انتصف النهار إلا وقد صارت رُتَبُ الأمير فيه ، ولم يبق غير الشامخ ، فعبأ الأجناد وأحاطوا بالبيت إحاطة الهالة بالقمر ، أو الأكمام بالثمر .

وفي آخر نهار يوم الحرب ركب الأمير إلى (دار النصر) وأرسل عليهم المدافع ، وكان توجه معه في تلك الحالة عصابة من المسلمين يحفون به خيلاً ورجلاً ، في عدة تُغيظ الحاسدين .

مُتَقلدون صفائحاً هنديّةً ... يَتْرُكْنَ من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهم لكل كريهةٍ ... وافوْكَ بين مُكبِّرٍ وموحِّدِ

ولما وقع الضيق والحصار على أهل قلعة الشامخ طلبوا من الأمير الأمان ، فأمنهم ، ونزلوا على غيرِ اختيار الحسن ، وكان الطالب لذلك العراشيّة الذين معه القلعة وأما العسكر الذي من سحار[3] فما علموا بذلك ، وحين اطلع الحسن على ما كان

---

(١) لغة في (بقي) .
(٢) للمتنبي .
(٣) أي من قبيلة صحار .

من العراشية وهم خيرة الرتبة ضاق عليه المجال وتَيَقّن أن يحل به الهلاك على كل حال ، وأنه لا ينجيه إلا الفرار ، ومفارقة بيته وما معه بغير اختيار ، فمكث حتى أرخى الليل ذيوله ، وغفل الناس ، ركب ظهر جواده وخرج بنفسه ، وبعض عبيده ، وما أصبح إلا بطرف الجبال وقد عانى في الطريق الأهوال ، وكان الأمير يترقب أنه يشرد ويتحدث بذلك قبل الواقع ، فبعث الأمير بعده من الخيالة من يتجسس خبره ، فوصلوا وأخبروه بأنه قد نجا بنفسه ، ودخل في بلاد بني حريص ، ومن هناك توجه إلى نجران ، بلاد (يام) وكان ذلك خاتمة أمره ، وسبحان من هذا في علمه ، وبعد خروجه وصل من كان في قلعة الشامخ من إخوانه ، وبعض العسكر إلى الأمير فأودعهم في الحفظ ، وأقبل على قلعة الشامخ فأما النسآء والصبيان فجعل من يخرجهم إلى المدينة ، وخرجوا سالمين ، لأن أجناد المسلمين دخلوا القلعة ، وتفرقوا ما فيها ، ولم يبقوا فيها باقية ، وترجح للأمير خراب القلاع فبدأ بقلعة الشامخ فأخربها ، وأصبحت أثراً بعد عين .

أمْسَتْ خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ

وأبقى طائفة من الجند في المدينة العريشية لخراب نجْران و (دار النّصر) وتوجه إلى اليمن بجنوده ، والرايات تخفق على رأسه :

هو الناصر الدين الحنيفي قدومه ورافع رايات على السنّة الغرّا
يصاحبه العدل الذي شاع ذكره وحسبك عدلاً موسع للورى ذكرا
وآراؤه مثل النجوم ثواقبٌ ترى دُونَها البيض الصوارم والسُّمْرَا
فأبقاه ربُّ الناس للدِين ناصراً ولا زال منصورَ اللِّوَا عاقداً نَصْرَا

وانتهى إلى الزهرا ، وانْتَهى الصلح بينه وبين باشا اليمن ، في ذلك الوقت ، ولم يلق في مسيره كيداً ، واستولى على تلك الجهات ، وجعل لها عاملاً ، ورجع إلى أبي عريش ، وقد ظفر بجميع مراده ، وكان دخوله خامس وعشرين في شهر جمادى الآخرة إلى مدينة أبي عريش ، وبين يديه الجنود ، وحوله عشيرته الأسود :

كأنهم وإمام الحق بينهم شُهْبٌ تَحُفُّ بِبَدْرٍ في ذُرَى تمم[1]
من معشر إن هُمُ هَزُّو الوشيج بدوا تَحْتَ الذوابل كالآساد في الأجَم
غُرُّ الوجوه إذا التفَّ النّديُّ بهم بيضُ المكارم والأفعال والشيمَ
إن المُضَاف دعاهم يومَ نازلةٍ جاؤوه بالسُّمْرِ والهنديّة الخذم
يحمون بالبيض عِزّاً لا يُبَاح له حِمىً ويبنون مجداً غير مُنْهَدِم

وأقام ثلاثة أيام ، وارتحل يريد بندر جازان ، لأنَّ فيه رتبة من الترك ، فلما وصل إلى الواصلي قرية من قرى وادي جيزان وصله كبير الرُّتْبة تحت النظر ، وأرسل رتبة في قلعة بندر جازان ، وترجه قافلاً إلى مدينة صبيا ودخلها بأبّهةٍ تملأ الأذن والعين بعد أن قضى من هذه الديار جميع الأوطار بهمته العالية ، وسعادته السامية ، ولله من قال في مثل هذا الحال :

همم الخطير جليلة الأخطار محمودة الإيراد والإصدارِ
وَتَفَاضُلُ العَزِماتِ في أربابها تجري بحسب تفاضل الأقدارِ
والناس مشتبهو الذوات وإنما ليس المعادن كلها بنُضَار

وجعل في أبي عريش الشيخ حمد بن حسن ، عاملاً عليه ، وعلى هذه الجهات ، وبعد أن دبر الامور في هذه البلاد سار إلى السراة على حال تَسُرُّ الودود ، وتغيظ الحسود ، وبعد انفصاله من هذه الديار استقل حمد بن حسن بالأمر والنهي ولكنه كان في غالب الأحوال لا يتم له في الناس مراد ، ولا يبلغ من قصده ما أراد ، غير مستَعملٍ لحزم الأمر في المحافظة على قوانين الاستقلال ، ولا مكدر لخواطر أحد من الرعية وإن شقَّ به الحال ، فغالباً يحصل الإبرام والنقض في الأوامر بيد إخوانه ، وهو مُرْخٍ للزمام ، مستَسْلمٍ لهم أشد الاستسلام ، معرضاً عن قول بعض الأنام :

وإنّما رَجُل الدنيَا وواحدها من لا يَعُوِّلُ في الدنيا على رجل

---

(١) لعله (في ذرى علم) .

فمكث والحالة هذه في مدينة أبي عريش إلى آخر شهر شعبان ، فبلغه وصول مركب فيه بعض أتراك مرسولين [1] من طريق باشا اليمن للاستيلاء على بندر جازان ، ففزع إليه هو ومن معه من الأتباع ، ووصل إليه جماعة من أهل صبيا وكان مطرحهم في حوالي البندر المذكور . فأقبلت اليهم جنود الترك بعُدَّةٍ وعُدَد ، وعزمٍ لا يَرُدُّهُ أحـــدٌ فوقعت المجاولة بينهم ساعة ، وانهزم حمد بن حسن وأصحابه ، وما جاء أول الليل إلا وهو بالمدينة :

وضاقتْ الأرْضُ حتّى أنَّ هاربَهُمْ إذا رآى غَيْرَ شيْء ظَنّهُ رَجُـــلاً

وهمَّ في تلك الليلة يرتحل إلى بعض المحلات ، فلامه بعض العقلاء ، وأشاره برفع حقيقة الواقع إلى الأمير ، فاتبع ذلك القول ، وما كان بأسرع وصول جماعة من المسلمين كبيرهم الشيخ علي بن محي (؟) وما وصل إلى قريب بندر جازان إلا وقد رجع الترك منه ، وصار فيه رتبة ، فرجع إلى أبي عريش واستَقَرَّ بالقَلعَة التي فيه ، فقرَّتْ أنفس الناس ، ولكن حمد بن حسن مُبْطِنٌ الخلاف ، وأن يَقْلِبَ ظهر المِجَنِّ واستَقَلَّ بالأمر :

مُنًى إن تكن حَقّاً تكنْ أحْسَنَ المُنى وإلا فقدْ عِشْنَـــا بهـــا زمنـــاً رَغْدا

ولكن سبقَتْ عليه المنيةُ قبل بلوغ الأمنيّةِ وتوفي إلى رحمة الله تعالى ولله القائل :

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل تذل ويصرعْك الذي لا يُصارِعُ

واستقر الشيخ علي بن محي مدة ، وأعقبه وصول الشيخ حَنَش بن مسفر وصحبته ثُلة نافعة من المسلمين ، وكان المتولي على المدينة محمد بن حسن بعد أخيه ، ولكن الحال ما حال ولا استَقَرَّ لإمارته قرار :

وكان ما كان مما لستُ أذكره فكن لبيباً ولا تسأل عن الخـــبر

ولما رأى الأمير حال هذه الجهة غير منْضبط لكثرة اختلاف أهلها جرى بينه وبين باشا اليمن المفاوضة في الصلح ، واندمال هذا الجرح ، واقْتَضى الأمر أن

---

(١) كذا في الأصل والصواب (مرسلين) .

يكون من حدود ضَمد مضافة إلى الدولة المتولى من طرفهم باشا اليمن ، والأمير على ما هو عليه من صبيا والمخلاف ، وانسدّ باب الخلاف ، وحصل بهذا الصلح الائتلاف ورفع الأمير الرتبة الذي بنظره من قلعة أبي عريش ، وتسلمها وكيل باشا اليمن وفي تأريخه والأمر على هذا .

ودخلت سنة إحدى وثمانين ومئتين وألف : فيها حصل من بعض رجال ألمع بعض خلاف ، لأنهم وصلوا إلى الشريف عبدالله بن عون ، وزَوَّرُوْا كلاماً ، وتحرَّك عبدالله إلى بندر القنفدة ، وجرى بينه وبين الأمير بعض مراسلات ، كانت غايتها أن الشريف عبدالله عَوَّل على الأمير أن يعفو عمن نشأ منهم الخلاف ، ولا يعاقبهم بشيء مما سلف ، فأسعد الأمير بذلك نظراً إلى قول الأول :

خذ العفـــو وأمُر بعرفٍ كمـــا أمِرْتَ وأعرض عن الجاهلـــين
ولِنْ في الكلام لكـــل الأنـــام فمُسْتَحْسَن من ذوي الجاه لِيْن

وبعد ذلك رجع كل منهم إلى بلاده .

وما زال الأمير على الحال الجميل ، يَتَفَيّأ ظلال الإمارة في البُكَر والأصيل ، يسدّد الأحوال ويرفع الظلامات عن أهل الشكايات ، والوفود تفد إليه من كل الجهات ، وعطاياه هاطلة على الناس لأنه في الكرم غيث هامع ، يستوي في سيبه الداني والشاسع ، فارتفع له بذلك قدر وتفخيم ، وانتصب له كرسيٌّ مَجْدٍ بالعز والتفخيم لا غرو فهو من الأبطال الأمجاد ، وقد لبّاه لسان السعادة بالإسعاد ، والصّرح كمال[1] هذه المعاني ، واقتفاء الملك السليماني ، وهو الكريم الذي لا يوضع من الأناسي إلا في العيون « وَمَنْ يُوْقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » .

وفي أثناء ذلك نجم من رجل يقال له ابن راجح خلاف ، وهو ممن يدعي المعرفة ، وذلك أنه استخف سفهاء من أهل جهته فأطاعوه ، وبعد ذلك استولى

---

(١) علق أحد مطالعي هذا بقوله : (الجملة فيها اضطراب ، وهو يقصد الصرح الممرد المذكور في قصة سليمان في سورة النمل والله أعلم) .

الأمير على تلك الجهة وقطع عرق الفساد . وأودع ابن راجح حبس مُسْلية عقوبة على شقه عصا الأمر ، وأعفاه من القَتْل ، ولكنه ماتَ في الحبس :

وكيف تُطيق العنز أن تنطح الصَّفَـا ... ويبعد أن يَقْوى الزجاج على الصَّخْرِ

وقد أفصح عن هذا الحال ، بعض الشعرآء حيث قال :

ومن جَهِلتْ نَفسُهُ قَـدْرَهُ ... رآى غَيْرُهُ منـه ما لا يـرى

ولما حصل من جبل سما القهْر في بلاد الريث تَعرُّضٌ في الطرقات ، توجه إليهم الأمير بجُنُودٍ لا قِبَل لهم بها . وكان الجبل صعب المرتَقَى ، ولكن حاصرهم حتى استولى عليه ، وقطع رؤوس جماعة من كبرائهم ، وهم رأس أهل الفَساد . وبعد ذلك خَمدتْ نارهم ، وتركوا التعرض لما (لا) يعنيهم . ولقد خاطبه لسان الحال بقول من قال :

أَطَاعَكَ إذْعانـاً لهيْبَتِكَ الدهرُ ... وقابلك الإحسان والفَتْحُ والنّصرُ
وَلَسْتَ تُهَنّى بالذي أنْتَ نائلٌ ... لأنّك للدُّنْيـا وساكِنِها الفخرُ
إذا مـا السعادة مكنتك زمامهـا ... فدون ظلال الشمس والأنجمُ الزهر [1]

ومن كمال عقل هذا الأمير وحسن سياسته أنه وقَع بينه وبين باشا مصر المكاتبة ، وانعقد الصلح بينهما ، ووثق له الكلام من طريق السلطان عبد العزيز ، وأغاظ بذلك أهل الأغراض والمقاصد ، وانسدَّ باب الفتْنَةِ عليه من طريق الأتراك ، وصارتْ جميع بلاده من منْتَهى غامد وزهران إلى غاية بيشة إلى أطراف صبيا إلى حَلْي ابْنِ يعقوب ، وتلك النواحي لا معارض له فيها ولا منازع ، بل هو نافذ الأوامر ، شديد القوة ، عظيم السطوة ، قد خضع له كل معاند ، وذل عن مناوأته الأقارب والأباعد ، واليوم هو أعظم أعيان القطر اليماني سلطاناً ، وأرفعهم شاناً ، وأوسعهم بلاداً ، وأكثرهم أجناداً ، ولم تزل الهدايا بينه وبين باشا مصر تَتْرى في كل عام ، وهي التي تَسُلُّ السّخيْمة ، كما ورد عن سيِّدِ الأنام ، عليه الصلاة والسلام . ولله القائل :

---

(١) البيت مختل الوزن والمعنى .

إذا كان عون الله للمرء شاملاً تهيّا لهُ من كل شيء مرادُهُ
وإن لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يَجْني عليه اجتهاده

ولما دخلت سنة خمس وثمانين ومئتين والف نزغ الشيطانُ في فرقة من رجال ألمع أن تعدّوا طورهم بإظهار الخلاف على الأمير ، وأرادوا زحلقتَهُ عن ذلك المقام الخطير ، وقد علموا أن دون ذلك خرْط القتاد ، وتثلم المشْرَفيِّ في الرؤوس وتكسّر الصِّعَاد ، ومن التمادي في البغي والعناد وشق عَصَا المسلمين بالفساد ، أنهم استخفُّوا رجلاً ساكناً في بلادهم ، من السادة النّعاميّة ، ليس له خبرة بالأمور ، ولا معرفة بالأوامر والنواهي ، وليس لأهله سابقةٌ في الأمر ، بل هو رجل ضَعيف ، يحترفُ بالتِّجارة ، فنصبوه إماما لهم ، فطاوعته لمساعدتهم النفس الأمّارَة ، ولم يزل الفساد يَنْتَشِر في أطراف البلاد ، وكُتُبُ الإمام المخذُول تتْرَى إلى تهامة وغيرها ، واغترَّ بذلك ضعفاء العقول ، فوقع من لا نظر له في العواقب في المحذور ، من أهل تهامة وغيرهم ، وهم ومن نصبوه للإمارة يَتَهدّدون الأمير ، ويُرعدون ويبرقون بما هو عنده طنينُ ذباب ، وأيُّ عاقِلٍ يغترُّ بالسراب ؟ ؛ وشاهد الحال للأمير قول من قال :

يا ذا الذي بِقِراع السيف هَدَّدَنا لا قام مصْرَعُ جنْبي حينَ تَصْرَعُهُ
قام الحَمَامُ إلى البازي يُهدِّدُهُ واستنْطَقَتْ لأسود البَرِّ أضْبُعُهُ
أَضْحَى يسُدُّ فَمَ الأفْعَى بأصْبُعِهِ يكفيه ما قَدْ تُلاقي منهُ أصْبُعُهُ

والأمير لم يحرك ساكناً لهذه القعاقع التي هي كسحابة صيف عن قريب تَقَشّع ، وبرقها خُلب لا ينشأ عنه غيث هامع ، وهو يدبر الأمور في إزالة هذه المفْسدة من أولئك الأقوام ، ويتأهب لقمع شوكتهم في الليالي والأيام ، وبعد ذلك زحف إليهم بجنوده ، بل قدّم طائفةً من الأجناد ، مقدماً فيهم الشيخ سعد بن عايض ، وبوصول الأمير إلى بلادهم استعَدُّوا للقتال ، فأقدم على جمعهم ، وناوشوه بالحرب ، ولكن فَلَّ الله تعالى شوكَتَهُم ، وما كان بأسرع من أنْ وَلّوُا الأدْبار ، وحقَّ عليهم الفرار ، لأنه صدمهم بجيشٍ هو غُرَّتُه ، وبجمعٍ منصور لا تُتّقَى معرتُه ، وحينئذ أشرع الفوارس خرصانَهُم ، وأرخوا أرسانهُمْ :

وفي أكفّهم النـــار التي عُبِدتْ قَبل المجوس إلى ذا اليوم تَضْطرم
هنديّة (إن تصغّر) معشراً صَغُرُوا بحدّها أو تُعظِّمْ معشراً عَظُموا

فوقع الاختلاط والاشتباك ، ولقح بين الفئتين الاعتراك واكتست الرماح من أقداح الرؤوس المفلقة ، وفاضتْ أرواح من البغاة ما أظنها من التي في أجواف طَيْرٍ خُضْرٍ مُعَلّقةً ، .

وبعث طايفة من الأجناد ليكون مَطْرحهم قريباً من قرية الدَّرب[1] لأنّ بني شُعْبة بعضهم اتّصل بالبغاة ، فكان بعض اختلاف بين كبير الجند وبني شعبة ، وانتهى الأمر أن جرى بين الفريقين قتال ، وقُتل من الجانبين من قتل ، ولما بلغ الأمير أغضى عن المتابعة عن الفريقين ، ورآى أنهم قد تكافؤوا بما أرخصوه في ذات بينهم من الدماء ، ولله القائل :

ومَنْ ظَنَّ ممن يُلاقي الحروب بأن لا يُصاب فَقَدْ ظنّ عَجْزا

وأنشد لسان حال الإمام قول بعض الأنام ـ :

وإنّيْ عــلى أشيــاء منكَ تُرِيبُــني قَدِيْماً لَذُوْ صَفْحٍ على ذاك مجملِ

ولما استَولى على رجال ألمع ومن نصبوه أميراً بذلوا الطاعة وأيقَنُوا أن لا طاقة لهم على مقاومة من اختاره الله تعالى خليفة على عباده ، وأخربَ الحصن الذي كان منه فتح الحرب ، حتّى صار أثَراً بعد عين ، وندموا على ما صدر منهم من المخالفة ، والبغي مصرعه وخيم ، وصاحبه غير ماش على الصراط المستقيم :

يا صاحبَ البغْيِ إنّ البَغْيَ مصرعــه فاعْدِلْ فَخَيْرُ فَعَال المَرْء أعْدَلُهُ
فلــو بَغَى جبلٌ يوماً على جبــلٍ لانْهَدَّ منه أعاليــهِ وأَسْفَلُــه

فكيف البغْي على من استَقَرَّتْ له الإمارَة ببيعة الخاص والعام ، وصار نافِذَ الأوامر والنّواهي في كثيرٍ من الأعوام ، فقد نُصَّ أنّ البغْيَ على إمام الحق من

(١) في الأصل (الضرب) خطأ .

الفسوق ، ولكن مع رجوع القوم إلى الصواب ، والدخول تحت الطاعة هو في مقام التوبة عن ذلك الفعل القَبيح ، وباب المتاب للمسلم مفتوح .

ووصل الأمير إلى قَرْية الدَّرْب[1] فاستباح الأجناد فيها النّهب والسلبِ وأُخْرِبتْ حصونها ، وكشف مستورها ومكنونها وأُحرقَ ما فيها من المساكن ، حتّى تكدر صفوها الذي كان غير آسِن .

وبلغ إلى نحو قرية أمّ الخشب ، وفعل بهم الأجناد ما فُعِل بالدرب[1] وأمر أهل القريتين بالانتقال عن أوطانهم ، فارتحلوا ، ومن طلب الأمان وسلم الطاعة بذل له مطاوبه .

وهذا الأمير لشدة شكيمته ، وقُوة عزيمته ، لا يذعره الوعيد ، ولا يرهبه لمعانُ صفائح الحديد ، فشأنه كما قال الشاعر المجيد :

يَغْشَى الأمور إذا تَعاظَم خَطْبُها ... بِرداء ذي حُبُكٍ وغشم مخاطِرِ
يُجْلَى بِغُرّته العَماء ويُستَقَى ... ماء الغمام بجوده المتكاثر

وإلاّ فقد اغترّ بهذه الدعوة الخاسرة كثير من أهل السراة وتهامة وظنوا الظنون الكاسدة ، وافْتضَحرا بما فعلوا من تلك الأمور التي عاقِبتُها غير محمودة ، ولولا أنّ الأمير كما وصفنا لتَبلّد عند هذا الواقع ، ولكن ازداد شدة بالإقدام على هذه الأمور الفجائع ، واستَذَل كلّ مخالف ، وعرف كلٌّ عاقل أنّ ما جرى غير تامٍّ لأهل الأغراض ، وأن الباطل عاقبتُه الزهوق والإدحاض ، وأن جند الحقّ هو المؤيّدُ بالنّصر والتّوفيق ، وحزب الباطل مخذول وإن سلك أيّ طريقٍ .

وأما أمير الفئة الباغية فبُتِرَ عمره ، وانقضى أمره على يدِ بعض الأجناد ، ولله القائل :

لا يأمنُ الدهر ذو بَغْيٍ ولو مَلِكاً ... جُنُوده ضاقَ عنْها السهلُ والجبلُ

وكان لهذه الواقعة عند جميع الناس موقع عظيم ، فرسختْ هيبةُ الأمير في جميع أهل الإقليم ، وارتَحل إلى السراة وقد خضعتْ له رقاب العباد ، وتَمَهّدتْ لعظيم

---

(١) في الأصل : (الضرب) .

سطوته البلاد ، ولم يهِمَّ أحد بمناوأته ولا معاداته من أهل القرى ولا من أهل السواد ، وسار ذكره بحمد فعله مسير الليل والنّهار ، وَحَدَا الركبانُ بالثناء عليه في جميع الأقْطار ، وقيل في هذه الواقعة الأشعار منها قولي :

بِسُمْرِ العوالي والسيوفِ الصوارم ... يقوم شعارُ الدينِ بين العوالم
ومن قد درى ما قد جرى في زماننا ... من البغي لا يُصغي لِلاحٍ ولائم
همُ أمرضوا الدّين الحنيف ببغيهم ... وهم أخربوا ما شُيِّدَتْ من معالم
فقام بتصليح الرّعاء بنفسه ... أبو المجد حاوٍ للعلا والمكارم
محمد السّبّاقُ في كل غاية ... لهيبته تَعْنُو طِباع الضراغم
أعزُّ الورى قَدْراً وأنْداهُمُ يداً ... وأقواهمُ جأشاً لدفع العظايم
ومن ركب الأخطار في طلب العلا ... ولم يَألُ حتّى قادَهَا بالخراطم
ومن ظهرتْ في كل أرض على الورى ... فضائلُه في نَجْدِها والتَهايم
ومنْ أَلْقَتِ الغلب الجحاجح أمرَها ... إليه فأمسى وهو مولى الأكارم
أقرَّ له كلُّ الأنام وأذعنوا ... بسبق علاه في حَديث وقادم
فلا غرو أن جَلّى على كل طالب ... لنَيلِ العُلى من كل أَصْيَدَ قائم
وما زال من سنِّ الطفولةِ مولَعاً ... بِشيدِ المعالي واكتسابِ المكارم
فذلَّ له الباغون في كل بلدة ... أَصَارَهُمُ في مثل حلقَةِ خاتم
وأَلجأهم أن يطلبوا السِّلْمَ ذلّةً ... فأخرجَهم منها بذُلِّ الهزائم
ولو شِئْتَ لم تَفْعل ولكنَّ رحمةً ... تَعوَّدْتَهَا منْ فعلك المتقادم
بنيت الذي هَدُّوا وأخربْتَ ما بنوا ... من الكيدِ فارتَدَّتْ كأضْغاث حالم
فكنْتَ عصى موسى تَلقّفْتَ سحرهم ... برأي متينٍ منك لِلدَّاء حاسم
وارغمت أنفاً منهم وتركتهم ... يعضون من غَيْظٍ رُؤوس الأباهم
فشكراً لِرَبِّ العرش حيث أثابكم ... بما نالكم نصراً على كل ظالم
فما ذاك إلا فِعْله وهي سُنّةٌ ... له قَدْ خَلَتْ في أخذ أَهْلِ الجرائم
فدم ساعياً لله في نَصْر دينه ... وَجَرِّدْ لَهُ بالجدِّ ماضي العَزَائم
وأَعْمِلْ حدود الله في كل حائدٍ ... عن الحق لا تثنيك لومةُ لائم

فمـا عُوقِبَتْ إلاّ بإهمال شَرْعِه ... ملوكٌ مضوا بالحادثات القَواصم
فأصلح أمورَ الخلق واكشفْ مُصابَهُمْ ... بإنصاف مظلومٍ وإبعاد ظالم
وسِرْ في الرَّعايَا سِيْرةً مُسْتَقيمةً ... تَسير لكم أخبارها في المواسم
وأَبْقِ لك الذكر الجميل ولا تَمِلْ ... إلى كل ذي زيغٍ عن الحق آثِمِ
ودُمْ في نَعيمٍ وافرِ الحال ما شَدَتْ ... على شجراتِ الأيْكِ وُرْقُ الحمائم
وصل إلهي كلَّ وقتٍ مُسَلِّماً ... على المصطفى والآلِ أهل المكارم

وهذه أخرى تهنئة بالنّصر ، ومدحاً لمن جمع بحسن فعاله المجد والفخر ، وفاق بمناقبه العليّةَ أهل العصر :

ليَهْنِ العُلا نَصْراً به ابْتَسَم الدهر ... وقَدْ كان لا يَفْتَرُّ قِدْماً له ثَغْرُ
وأشرق وجه المجْدِ بعد عُبُوسه ... وَقَرَّتْ عيونُ الملك وابتهج العصرُ
أَلا هكذا مَنْ رامَ فَخْراً ورِفْعَةً ... وإلا فلا كان السُّمُوُّ ولا الفخْرُ
على مثل هذا النّصر يستَحسنُ الهنا ... وإلا فلا كان المديحُ ولا الشعرُ
وذاك بِنصر للإمام إمامنا ... لأمداحه يستحسن النظم والنّثرُ
هو الفارس الكرَّارُ في كل وقعَة ... شجاع له في كل مُعْتَرَكٍ ذكرُ
هو اللّيث بل ما الليث في حومة الوغا ... وما عَنْتَرٌ يوم الطّرادِ ولا عَمْرُو
كريمٌ سوى ترك النّدَا لا يَسُوءهُ ... لديْهِ الرَّدى عِيْدٌ ولكنّه النّحْرُ
أعزَّ الهدى لله عَزْمٌ سَلَلْتَهُ ... حساماً وجيش أنْتَ عيناه والصَّدْرُ
شَنَنْتَ به الغارات حتّى كأنّها ... أطاف بها الطوفانُ أَوْ حُشِر الحَشْرُ
أُسودُ قِتال مِنْ مُغَيْدٍ وعَلْكَمٍ ... يُسَايِرهم نَحْو العِدَا الذِّئبُ والنّسْر
يَهابَهُمُ حتّى الجمادُ ولوهُمُ ... مع الليلِ أعوانٌ لما طلع الفَجْرُ
وليس لديهم بعض هيبتك التي ... تَذُوب لها خوفاً بأغمادِها البُتْرُ
وعِزُّ الهُدى قَدْ صار واسِطَ عِقْدِهم ... ومنْ هو نصرُ النصر حين العِدَى فَرُّوا
همامٌ همَى من كَفِّه وحُسامِه ... على المُبْتَغي جُوْداً وأعدائه جَزْرُ
يُجدُّ على أخْذ العدوِّ بعَزْمِه ... ولو كان من أعدائِه الانْجُمُ الزُّهْرُ

إذا رمَت تَعدادَ الصّفاتِ وحصرها ... يقُول النُّهى عجزي هو التّرْكُ لا الحصرُ
لقد نِلْتَ يا نَجْل الأكارم سُؤدَداً ... بأفْـقِ فَخـارٍ ما سـواك له بَدْرُ
ورَأيُكَ بالأعْداء يا نَسْل عايـضٍ ... لَيَفْعَلُ ما لا تَفْعَلُ البِيْضُ والسُّمْرُ
هَدَرْتَ كُؤوس المَوْتِ نحو عدوّكم ... تركتَ العِدَا صَرْعَى وليس بهم سكر
يرون الوفـا تَرْكَ الوفا بعهودهـم ... وأخبثُ خلق اللهَ مَنْ دأبه الغدرُ
فأفنيْتَ أهْلَ البغي يا خير قائـمٍ ... وهذا جَزَا مَنْ شأنهُ البغيُ والمكرُ
وإنّا لنرجو أنَّ سيْف انْتقامكـم ... به للعِدَا كَسْرٌ وللأصفيا جَبْـرُ
وصَلِّ على حُسْـنِ الختـام محمد ... نبيّ الهدى مَنْ باسمـه نطق الذكر

وهذه قصيدة ثالثة وهي بالمديح والتهاني للإمام نافئة ، وقاه الله تعالى من كل سوء وحادثة :

تَبَسّمَ ثَغْرُ المجد عنْ شنبِ الفَخْرِ ... ولاحتْ نُجُومُ السعد بالفتح والنّصْرِ
وأشرقَـتِ الآفاقُ في كل موضـعٍ ... وأضحى شعارُ البغي في غاية القَهرِ
ونال أبُو الهيجا بذالكَ رِفْعَـةً ... عَلَتْ في تساميها على هامةِ البـدرِ
سَمِيُّ نَبيّ اللهِ فَخْرُ زَمَانِنَـا ... وقائِدُ جَيْش الحرْبِ في الموقِفِ الوَعرِ
ومَنْ صار ليثـاً في المعارك كلهـا ... وخير فتَى قَدْ صال بالسُّمْرِ والبُتْرِ
لقد خفقـت أعلامُهُ وبنُـودُهُ ... على رأس أهل البغْيِ بالقَتْل والأسرِ
وحامتْ على أشلائهم في بلادهـم ... حَوائِمُ أطيارِ الحداة مع النّسْرِ
وقَدْ عاندوا فيمـا أتَوْا منْ شقاقهم ... فقَابلتَهُمْ فصْلا بقاصمةِ الظهـرِ
لوى العسكر المنْصور بالقَوم فاغْتَدتْ ... نفوسهمُ نَهْبُ المثقّفَـةِ السمـرِ
أذَقْتَ المُنَاوِيْ منـك كأسَ مَنيّة ... أحاقَ به في البغي عاقبـة المكـرِ
كفـى عِبْرةً للمعتديـن فَعَالُـهُ ... به صار يدري كيف عاقِبةُ الغـدرِ
يظن الشّقِـيْ أنَّ المعاقِـلُ جُنّةً ... وكيف يُنَجّي القَصْرُ منْ هادِمِ العمرِ
وما قدّروا أنَّ القُصور وإنْ عَلَتْ ... مع القَدَرِ المحتُـومِ جالبة الشّـرِّ
فأبرزهم نحو الرَّدَى حاتـمُ القَضا ... مَعَ رصْده فِعْلَ النجوم ولم يـدرِ

كذا عادةُ الخلاّقِ في كل ظالمٍ ... تعدّى حدودَ الله في السّرِّ والجهرِ
نُهنّيكَ يا مولى الفضائل عنْ يدٍ ... بما نلْتَ بعْد الصّبر والنّصْرُ بالصّبْرِ
فأنْتَ عديم الشّبه في موقف الوغا ... تُصَرِّعُ للأبْطال من غيْرِ لا ذُعْرِ
وقدْ نلْتَ ما قدْ نلْتَهُ بسعادة ... قضَتْ أنّك المقْدامُ بينَ بَني الدّهْرِ
وأنّكَ سيْفٌ للجهادِ مُجَرَّدٌ ... تجَرَّعَ أهْلُ البغْي منْ كأسِهِ المُرِّ
وقدْ صِرْتَ شمْساً في البلاد مُنيرةً ... تُضيء على أهل البداوة والحضرِ
وقد لاحَظَتْكَ المكرُماتُ وإنّما ... بأفلاكها في كل ما تَبتغي تجْري
بسعيكم الميمون قدْ أصْبَحَ الورى ... علىَ حالهم يَسْعَون في البرّ والبحر
وأمّنْتَ فيْهم خائفاً مُتَظَلِّماً ... ونال الذي يهوى بأيّامك الغُرِّ
وأنّ بكَ القُطْرُ اليمانيُّ قدْ زهَا ... وفاخرَ منْ فيه على ساكني مِصْرِ
فدمْ في مباني عِزّكَ الشامخ الذُّرَى ... تَمُدُّ ثيابَ العدل في ذلك القُطْرِ
وكُنْ شاكراً لله في كل حالة ... ترَى النّعَمَ الغرَّا تُقَيّدُ بالشكر
وإنّا عَلى الحالات نَحْمد ربّنا ... على نِعمٍ عُظْمآء[1] جلتْ عن الحصْر
وأعظمها إذهابُ كلّ مُعَانِدٍ ... ومغداه من بعد الترَفُّع بالخُسْر
وإن الذي قدْ سركم فهو سرنا ... ونَحْن على الأنس المعظم والبَشْرِ
ولا زلتَ منْصُورَ اللّوَى في سعادة ... تَجُود على العافين من سَيْبك الوَفْرِ
وصلّ إله العرش ما لاح بارقٌ ... على الشّافع المختارِ في موقع الحَشْرِ
كذا آلِهِ أهل المعارف والنُّهَى ... ومن فضلهم قدْ فاق لِلأنْجُمِ الزُّهْرِ
وأصحابه الغُرّ الكرام ومن لهم ... وقائع صدقٍ في حُنَيْنٍ وفي بَدرِ

وإلى هنا انْتَهَى ما تَيَسّر من[2] وقائع الإمام ، وما جرى به قلم التّعبير منْ مناقبه التي فاق بها الأنام ، فإنّهُ — متّعَ الله بحياته — نفَقَتْ لديه سوقُ الفَضائِل بما أحرز من العلوم والديانة وأضحى به وقتنا هذا يزهو وكأنّ الزمان لسواه زمانة ،

(١) مد المقصور ضرورة شعرية ولو قال : (على النعم العظمى تجل عن الحصر) لاستقام المبنى والمعنى .
(٢) لعل الصواب (من ذكر وقائع) الخ .

لأنه جدد دروس الكرم ، وأعاد على العافيْن صَيِّبَ النِّعم ، واستبقى زمام الآداب التي أشرف وجودها على العدم ، وأنعم النظر في سائر العلوم على اختلافها واحتوى على أنواع الفضائل لا متشبِّثاً بأهْدابها بل جامعاً بين أطرافها ، فما أخّرَهُ عن مشاركة من تبسط له الملائكة أجنحتها من أهل العلم كرنُهُ ربُّ السيف ، والجنة تحْتَ ظِلال السيوف ، ولا شغله عن مصاحبته لكتب العلوم ما هو بصدده من مقارعة الكَتائِب ومهاجمة الألوف ، فهو البحر لا حرج على من حَدَّثَ عن عجائبه ، والبدر إذ لا فرق بين ظهور ذلك في هالة كواكبه ، وهذا من دارة مواكبه :

فالديـــن منْتَصِرٌ ليـــوم جـــلاده ... بشبـــا أَسِنَّتِـــهِ ويوم جِدالِـــهِ
والملك مُنْتظِـــمٌ بما نَشَرَتْـــهُ من ... هامِ الأعَادِي مُرْهَفَاتُ نِصالِهِ
والعلـــم مشتهر بمـــا يأوي من الـ ... ـعلماء والفضلاء تَحْـــتَ ظِلالـــه
والجودُ مُنْهمرٌ بمـــا يُولي الـــورى ... منْ فَيضِ أَنْعُمِـــه وَفَضْلِ نَوَالِهِ
والعدلُ مُنْتَشِرٌ بمـــا يخشى الذي ... يَغْشَى المفاسد منْ وَبيلِ نكالِـــهِ
والفضلُ مُنْحَصِرٌ بِهِ في بَعْضِ ما ... أغنى الأوائل (؟) من شريف خلاله
فلذاك فـــاق بِفَخْـــرِهِ وَبِذِكْرِه ... في الأرض مُرْتَفِعاً على أَمْثَالِـــه

وبالجملة فمحاسن هذا الإمام إذا نُشِرَتْ تَعَطّرَتِ الأنْدِية بنَشْرِ نَدِّها ، وإذا ذكِرَتْ كان الوقوف واجباً عند حَدِّها ، أَدَرَّ الله عليه أَخْلافَ النِّعم كما أَقَرَّ الله تعالى لديه أصناف الكرم ، وحرسه بعينه التي لا تنام ، حتّى يكون بابه مورداً للأنام ، وهتَكَ سُتُورَ الجهل بِعلمه الذي هو في العالم عَلَم ، وأدام لنا نعمةَ وجوده كما أدام لنا فَيْض فضله وجوده ، فوُجْدانُنَا كُلَّ شيء بعده عدم .

وهذه النبذة المشتملة على بعض مناقبه خلدْتُها في هذه الأوراق ، ليكون له بها الذكر الجميل في جميع الآفاق ، وهي مدونة على مرور الأزمان ، فإن ذكر الإنسان عمر ثانٍ بلا نكران ، ولأنه قد أسدى إليَّ مِنَ المكارم ما يوجب عليَّ له الشكر ، ولم يشكرِ الله من لم يشكر الناس ، فأنطقني جودُه المتتابع واللُّها تَفْتَحُ النّهَى

من غير التباس ، وإلا فغيره لا أبذل له بنات الفكر ، ولا أتقرّبُ إليه بمدح الشعر ، وأما هذا الإمام فله الفضل عليّ بعد الله تعالى ، ولم أر مُكافأتيْ له إلا بما ينطق به اللسان من بديع البيان ، الذي يبقى إلى آخر الزمان ، فلله دره من ماجد يملأ العين بهجةً وصار وجوده على الناس حُجّةً وهنيئاً له بما حاز من المفاخر ، التي سبق بها الأوائل والأواخر :

تَهنّأ بمَجْدٍ بل يُهنّأ بكَ المجْدُ ... إذا لم يَكُنْ عن واحدٍ منكما بُدُّ
فإنّكَ للمجد المُؤثّلِ رأسُهُ ... وغُرّتُهُ والعَيْنُ والكفُّ والزنْدُ
وأنت الذي تُولي جَميلَ مَواهبٍ ... شمائلُه من غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدُ
وشمس المَعالي والمَعاني وبَدْرُها الْـ ... ـمُنير إذا لَيْلُ المعارفِ مُسْوَدُّ
تَحيّر ذِهْني في محامدك الّتي ... هيَ المجْدُ لولا مَجْدها لم يكنْ مَجْدُ
رأيْتُكَ في تاج الأفاضل دُرّةً ... وواسطة في عِقْدهم إنّهم عِقْدُ
وجدْتك سيْفاً لا أقُولُ مُهَنّداً ... وَهَلْ عَرَبيٌّ خامرت أَصْلهُ الهِنْدُ ؟
فَأنشدتُ شعرَ ابْنِ الحسينِ لأنني ... مُطوّقُ جِيْدٍ بالنّدَا أفَلاَ أَشْدُو ؟
وقَدْ كان في يوم الخميس عليّ أنْ ... أَقُودُ خميْساً من نِظامي به أَحْدُو
فيا ليْتَ من ترب (؟) فكري لؤلؤاً ... ومسكاً فَيُهْدِيْه إلى السّيِّد العَبْدُ
وما في جَلاميْدِ الصَّفَا جيد لُؤلُؤ ... ولا في طباع التُّرْبَةِ المسكُ والنّدُّ
وما كُلُّ ما تَهْوَى الخواطِر ممكنُ ... ولكنّ هذا جُهْدُ مَنْ لا لَهُ جُهْدُ
إليك قَصِيْداً لم تكن من كميتها (؟) ... إلى أَحَدٍ إلا إليْكَ بها القصد
أُسامِرُ غاداتِ القريض لعلّني ... أُسارِقُها دُرّاً عليْكَ به أَغْدُو
تَمَلّكَنيْ منْك الوِدادُ ولم يَكُنْ ... لِغَيْرِك ، حُرٌّ قد تملكه الوُدُّ
فأثْمَرَ إدْلالاً فَمِنْ ثَمَراته ... تَوَهّمَ نَظمِي أنّ أزهاره وَرْدُ
جَمَعْتَ المعالي إذْ مَنَعْتَ سِواك عن ... دخُولِ حمى منْ دون حجرته الأُسْد
وأحيَيْتَ آثار الذين تَقَدّمُوا ... مِنَ القُدَمَا حتّى كأنّهُم رُدُّوا
فما فاتنا شَيء لِسَبْقِ زمانِهِمْ ... لأنّك ماء الوَرْد إنْ ذهب الوردُ

أدام الله أيامكم الشريفة العالية منبعاً لكل نائل ، ومَنْجَعاً لكل آمل ، وحَرَماً آمِناً تُجْبى إليه الآداب والفضائل ، والله يصون مجدكم العالي من حوادث الزمن ، ويحفظ ذِمَمَ الأدَاب ببقاء شخصه الذي إنْ لم يكن لها فمن ؟ .

ولولا عراقَةُ مَوَدَّةِ الحقير لما فاه بهذا الملتمس ، ولا أقْدم من قُصُوره على هذا التأليف وتطويلِ النَّفَس ، ولكن وجدتُ القَوْل ذا سَعَةٍ فأنشأتُ هذه الألفاظ المبتَدعة ، ومع هذا فإني أُؤَمِّل من كرم الإمام بَسْطَ الأعذار ، وأن يَسْتُرَ بجميلِ حاله ما يراه من الخلل والعُوَار .

والله يجعل مشارق أنواره مطالع الفوائد ، وبوارق أفكاره مجمع الفوائد[1] والله يبقيه ركناً لأهل الإسلام فهو الحافظ بَيْضَةَ هذا الدين المحمدي ، من الغِيَر ، فإذا بالعدل ذكره انْتَشَر ، وصارت ممادحه جمال الكُتُبِ والسِّيَر ، والله يوفقنا وإياه إلى مراضيه ، ويجنِّبُنَا معاصيه ، ويجعلنا من المتحابِّين فيه ، آمين اللهم آمين[1] .

وفي سنة سبع وثمانين ومئتين وألف يوم الخميس لعله عاشر شهر شعبان المكرم توجه الأمير محمد بن عايض لجهاتِ الحُدَيْدة بعد أن وصل محمد بن بهقُف (؟) من اسماعيل باشا بما لم نطّلَعْ عليه من مكاتَبَاتٍ ، وكاتَبه بما لم نعلم أنه أشْرَفَ عليه قريباً أو بعيداً إلاَّ نفسه ومراسيله .

---

(١) لعله الصواب (مجمع الزوائد) لئلا تتكرر الفاصلة .

(٢) إلى هنا انتهى المؤلف مما كتبه عمن ألف الكتاب من أجله ، وقد ترك فجوة من الزمن لم يتحدث فيها عن أعمال الأمير محمد بن عايض ، بين سنتي ١٢٨٥ و١٢٨٧هـ ثم عاد فذكر وقعة الحديدة التي هزم فيها ذلك الأمير ، والتي كان ما جرى فيها من جيشه المهزوم سبباً في مقاطعته ، وانصراف المؤلف عنه ، وقد نجد له بعض العذر في ذلك ، فما ارتكب ذلك الجيش في حق سكان القرى الآمنين كان مما يحدث الأشمئزاز والكراهة قال الشيخ هاشم النعمي في كتاب « تاريخ عسير » ص ٢٠٩ : (وما كادت القوات تمر بالمدينة المعروفة بالزيدية في سبيل هزيمتها ، وبما جاورها من تلك الجهات حتى انقضوا على الأهلين ، وجردوهم من كل شيء ، وهتكوا الأسرار ، وارتكبوا المحرمات ، ونهبوا الأموال ، وتركوهم حفاة عراة ، وأوقعوا بهم من الأعمال ما يمجه السمع) انتهى .

ولما وصل الحديدة طلب الباشا في وصول السيد محمد بن عبد الباري ، والحقير ، والشيخ فايز فمنع الأمير وأرسل لاحق ، ومحمد بن لابق ، ولما عرف الله سبحانه غامض الأمر دبر الأمير بالمطاليع والحملات دفعة واحدة ، وحصل على الأمير ومن معه ما حصل ، وقُتِل منهم كثير .

وثالث يوم وصل السيِّد محمد بن عبد الباري وعرض الصُّلح ، وأنَّ الأمير يرجع بحملاته بغير حرب ، فرجع كما قيل : يا ليتها كفافاً لا عليَّ ولا لي ، وحصل من الفساد على العباد ما هو أشهر من نارٍ على علم ، وقُلْتُ وأهل اليمن يسمعون : إنَّ هذا حرام ، وأنَّ هدم الكعبة حجراً بعد حَجَرٍ أهونُ منْ سَفْك دمِ رجلٍ مسلم بغير حَقٍّ ، وأخذتُ العلماء معي ، وقطّعْتُ لهم عمامتي ، وكانَ ذلك الفعل بأهل اليمن فراق ما بينَهُ وبين الحقِير ، فلما وصل الخبر سلطان الإسلام ، خليفة الله على الأنام المتّبِع شريعة محمد عليه الصلاة والسلام عبد العزيز بن محمود بن عبد الحميد خان دام نصره (...[1]) جيّش الجيوش العظيمة ، والجنود المُقْعِدَةُ المقيْمة ، لنفي الظلم عن العباد ، وإزالة الفساد ، رئيسهم العلم المنيف ، التابع الشرع الشريف ، السيد محمد رديف ، دام مجده ، ومعه العساكر الإسلامية ، والأجناد السلطانية فَمَهّدَ البلاد ، وأذهب الفساد ، وأمر الحاضر والباد لإظهار الانقياد ، لما أمر به خليفة الملك الجواد ، نصره رب العباد ، وأقْبلت القبائِل إليه يهرعون ، وفي طاعة الله ثم طاعة السلطان يطمعون ، إلاَّ أنَّ هذا الأمير محمد بن عايض لَبّسَ على العباد ، وغرّ الأكثر من الأجناد بإظهاره أنَّ هذه العساكر المقبلة مخالفةً للسلطان ، وبزعمه أنَّ الخبر أتاه من الشام بأنهم ليسوا من أهل الاسلام ، فاجتَمَع معه بِرَيْدَة كلّ من حقَّ عليهِ العذاب ، وحلَّ به العقاب ، ولما تَحقّق مَنْ عنده علم ودِيْن ، من جميع المسلمين بأنهم بنظر سلطان الاسلام ، وعرفْنا منهم التّورُّع والكفَّ عن الأنام ، وأنهم يأمرون بالصلاة والزكاة والحج والصيام ، حبس كل من يخاف الله سبحانه في بيته ، داعياً لسطان الإسلام تاركاً رَيْدَةَ ومن بغى

---

(١) جملة غير واضحة .

فيها ، وخالف قواعد الإيمان والاسلام ، فدبّر عليها السيّد المذكور تدابيرَ الحروب ، من طلوع شمس كل يوم إلى الغروب ، وقد كتب إلي السيد الجليل ، العمدة النبيل ، أحمد باشا يجعل دربه مع ضربه (؟) وهو وادٍ بأسفل رَيْدَة يرد بحر الشُّقيق ، فأقبل أحمد باشا ومن معه من ذلك الموضع .

كأنهم في ظهور الخيل نَبْتَ رُبًا من شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

ونزلوا المطرح بحريّ رَيْدة ، وجعلوا جبل ثاه وراء ظهورهم حيث وفدرؤساء من قبائل رجال ألمع وأخبرناهم بوجوب الطاعة ، ولزوم الجماعة ، ودبّر التّدابير ، وساعدته المقادير ، وعنايةُ الدولة العلية ، أدامها ربُّ البرية .

ولما كان يوم الربوع آخر يوم شهر محرم الحرام لزم الباشا محمدَ بْنَ عايض وجَميعَ من حارب الدولة معه بِرَيْدَة ، وكان ذلك اليوم ختام دولة محمد بن عايض ، وأُسِرَ من المحاربين كثير .

وظهر قَتْلُ محمد بن عايض وأعوانه من بني أعمامه وغَيرهم يوم السبت لعله ثاني محرم الحرام[1] سنة ثمان وثمانين ومئتين وألف وَعَفَتْ آثارهم ، ودُمِّرَتْ ديارهم ، وأُخِذَتْ أموالهم .

ثم طلع الباشا إلى مَسْقَا[2] ، ونزل موسى بيه إلى رجال ألمع ، وعثمان بيه إلى الحجاز ، ورشاد أفَندي بِمحايل ، واستقرَّ الأمر ...

(انتهى ما في نسخة دار الكتب المصرية ، وقد توجد نسخة أوفي من هذه ، والله أعلم) .

---

(١) كذا في الأصل وهو قد تقدم أن قائد الحملة التركية أمسكه يوم الأربعاء آخر يوم من شهر محرم ، أما مؤلف كتاب « تاريخ عسير » فقد قال : (استسلم محمد بن عايض في آخر عام ١٢٨٩ من شهر المحرم) كذا .

(٢) كذا في الأصل مسقا ويظهر أن المقصود بلدة السقا ، وهم ينطقون (ال) (أم) فيقولون (امسقا) فيكون الناسخ حذف الألف .

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

(متصل بما نشر في الجزء الذي قبل هذا) .

ونوالي عرض نماذج من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » فنقدم بقية الأسماء المبدوءة بالألف ، وهي زهاء ١١٨٦ اسماً ، آملين من القراء ضبط ما لم نتمكن من ضبطه ، وتصحيح ما وقع من خطأ ، وتدارك ذكر ما لم يذكر ، فالمرء قليل بنفسه ، كثير بإخوانه .

أبو سليك ــ والعامة تنطقه (بُو سليك) ــ : من قرى خميس مشيط ، بمنطقة أبها ، في إمارة بلاد عسير .

أَبو سَلَمَة ــ واحدة السَّلَم الشجر المعروف ــ : من مياه الشيابين في جبل الزيدي ، لهم ، في إمارة الخاصرة ، بمنطقة إمارة الرياض .

أَبُو الشامس : من قرى عتود في منطقة جازان .

أبو شايق : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أبو شراع : من قرى قناو البحر ، في إمارة بلاد عسير .

أبو شراف : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَبُو شعَيب : من قرى الجموم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة ، سكانها من قبيلة حرب .

أبو شعنون : من قرى الحُرَّث ، في منطقة جازان .

أبو شقارة : (أنظر حلة) .

أبو شَوَاكل ــ جمع شاكِلةٍ ــ : من مياه الدواسر في حزم الدواسر ، في إمارة الوادي .

أبو الشوك : من قرى النماص ، في منطقة أبها من إمارة بلاد عسير .

أَبُو الشَّوْك : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الشّوْك : من قرى مُسْلية ، في منطقة جازان .

أبو شَوْك – بفتح الشين المعجمة وإسكان الواو وآخره كاف – : من قرى زهران في منطقة الباحة .

أبو شَوْك – أيضاً – : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو شهاب : من قرى الكامل ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو صرف : من قري العارضة ، من منطقة جازان .

أبو صفيح : من موارد المقطة ، بمنطقة عفيف .

أبو صقرة : من قرى الشاقة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو الصقعة : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو الصَّوَاني : من قرى حَلِي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو صُور : من قرى منطقة إمارة حايل ، سكانها المهيمزات من بني رشيد ، والرويضان منهم أيضاً .

أَبُو صُوَيْر – بضم الصاد المهملة وفتح الواو فيا مثناة تحتية ساكنة ، فراء – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم ، بطرف أبان الأسمر للمضابرة من بني رشيد في واد بهذا الأسم .

أَبُو ضبَاع – جمع ضَبُع السبع المعروف – : من قرى الفُرْع سكانها جهم من بني عمرو من حرب ، في إمارة المدينة .

أبو الضرم : من قرى القديح ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو ضروة : من قرى ميسان ، من إمارة الطائف .

أبو طَرْفاة – بفتح الطاء وإسكان الراء بعدها فاء مفتوحة فألف فهاء واحدة الطرفاء ، الشجر المعروف – : من قرى الزُّلْفِي في إمارة منطقة الرياض .

أبو طُرَيْفَا : – تصغير طَرْفَاء الشجر المعروف – : من مياه المهادلة والمراشدة من الروقة ، بمنطقة إمارة عفيف .

أَبُو امْطَفّايَة (الطّفّاية) : قرية من أعمال سامطة في منطقة جازان .

أَبُو طَلْح – على اسم الشجر المعروف – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم في جبل أبان الأحمر للمضابرة من بني رشيد في واد بهذا الأسم .

أَبُو الطوْق : من قرى جزيرة فرسان ، في منطقة جازان .

أبو الطير : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .

أَبُو الطيُور : من قرى الجعافرة ، من أعمال صبيا ، في منطقة جازان .

أبو عقل : من قرى الطائف .

أَبُو العَدَنَة[1] : ـبفتح العين والدال المهملتين ، والنون وآخره هاءـ : قرية من أعمال سامطة ، في منطقة جازان .

أبو عَرَار : من قرى الطائف .

أَبُو العَرْج[2] : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أَبُو امْعَرْج (العَرْج) : من قرى المسارحة في منطقة جازان .

أَبُو العَرْج : من قرى وادي قِصِي ـ بكسر القاف ـ في منطقة جازان .

أبو العَرْج ـ أيضاً ـ قرية من قرى وادي تعشر على ضفته الشمالية ، في منطقة جازان .

أَبُو عِرْزِيلَةَ : من موارد قبيلة المناصير في سَلْوَى في المنطقة الشرقية .

أَبُو العِرْق : من قرى الشاقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو عُرْوة ـ بضم العين وإسكان الراء فواو مفتوحة فهاء ـ : من قرى وادي فاطمة .

مركز الجموم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة ، وسكانه من قبيلة حرب .

أبو عروة : من قرى ذوي حسين الأشراف ، بمنطقة وادي فاطمة ، في إمارة مكة المكرمة ـ مركز الجموم .

أَبُو العُرَّة ـ بضم العين المهملة وفتح الراء مع تشديدها وآخره هاء : قرية من أعمال العارضة ، في منطقة جازان .

أبو عرى : من قرى سراة عَبيدة في إمارة بلاد عسير .

أَبُو عَرِيش ـ بفتح العين وكسر الراء بعدها ياء مثناة تَحْتية ساكنة ، فشين

---

(١) العدنة واحدة العدن وهو شجر معروف هناك ، هو شجر المطاط .

(٢) العرج في تلك الجهة : شجر السدر ، وهم في ينطقون الاسم (أمعرج) .

معجمة — : من مُدُنِ منطقة جازان ، مقر إمارة عدد من القرى ، تابعة لإماره جازان .

أَبُو عَرِيش — أيضاً — : ويقال أبو عريش علاوين للتمييز ، من قرى قبيلة الحُرُّث[1] .

في منطقة جازان .

أبو عُرَيْنة — بضم العين بعدها راء مفتوحة فياء ساكنة ، فنون فهاء — : من هجر الدَّوادمي ، في إمارة منطقة الرياض ، وهي من هجر النفعة ، في جبل النير .

أَبُو عرينة — أيضاً — : مورد للشيابين في هضب الدخول ، من إمارة عفيف .

أبو العَزم : من قرى القوز ، بمنطقة إمارة مكة .

أبو عزيزة : من قرى سراة عبيدة ، في إمارة بلاد عسير .

أَبو عُشر[2] — بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة وآخره راء — مورد في منطقة الدوادمي ، من إمارة الرياض .

أَبُو عُشَر — أيضاً — : وادٍ فيه هجرة لمطير في المستوي في القصيم .

أَبُو العُشَرَة — بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة بعدها راء مفتوحة ، فهاء — : من قرى المسارحة ، بمنطقة جازان .

أَبُو عُشَرَة — بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة ثم راء مفتوحة بعدها هاء على اسم الشجرة المعروفة — : هِجْرةٌ في النّير ، بقرب عَفِيف ، من هجر العضْيان من الروقة ، في إمارة عفيف ، من إمارات منطقة الرياض .

أَبو عُشَرَة — على اسم شجرة العشر المعروف — : من قرى غميقة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو العصمة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو عظمة : من قرى العبادل في العارضة في منطقة جازان .

أَبُو العَقارب : من قرى الجايزة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) الحرث : بضم الحاء وتشديد الراء المفتوحة ، آخره ثاء .

(٢) العشر شجر معروف .

أبو عَلْقَات ــ واحدة العَلْقَى من النبات ــ : قصر زراعي في الرين لقحطان ، بمنطقة القويعية ، من إمارة الرياض .

أبو علي ــ على الاسم المعروف ــ : من قرى القنفدة ، في إمارة مكة المكرمة .

أبو علي : من قرى المظليف ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو عُلَيْبَة ــ تصغير علبة ــ : من مياه قحطان في حصاة آل حويل منهم ، بمنطقة إمارة القويعية .

أَبُو عَمْرَان ــ بفتح العين المهملة وقد تكسر ، وإسكان الميم بعدها راء فألف فنون ــ : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .

أبُو العودة : من قرى بلغازي (بني الغازي) في منطقة جازان .

أَبُو عُوَيْدي : من قرى المظيلف ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو العيد (؟) : من قرى ضَمَد ، بمنطقة جازان .

أبو الغاف : قرية في إضم أحد أودية الليث ، سكانها بنو ذبيان ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو غافَةَ ــ واحدة الغاف النبات المعروف ــ : من مياه الشيابين في جبل دمخ ، بمنطقة الخاصرة ، من إمارة الرياض .

أبو غبار : من قرى نجران .

أبو غُلَيْفة ــ بضم الغين المعجمة فلام مفتوحة فياء مثناة تحتيّة ساكنة ففاء مفتوحة ، فهاء ــ : قرية من قرى العالية ، في منطقة جازان .

أَبُو فراديس : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أَبُو الفرج : من قرى المسارحة ، بمنطقة جازان .

أَبُو قرفة : من قرى الجموم في وادي فاطمة ، من إمارة منطقة مكة وسكانه من قبيلة حرب .

أَبُو قَرْن : ــ على اسم القَرْنِ المعروف ــ : قرية شمال بلدة بني شعبة ، في منطقة جازان .

أبو قرن : من قرى الجابرية ، ببلاد ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة المنورة .

أبو قرنين : من قرى النّماص ، بمنطقة أبها ، من إمارة بلاد عسير .

أَبُو قُرُوْن ــ بفتح القاف والرَّاء بعدها واو ساكنة فنون ــ : من قرى الجابرية في ينبع النخل ، في منطقة إمارة المدينة المنورة .

أَبُو قُرَيْن ــ تصغير قرن ــ : من قرى القوز ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو القَزَاز ــ بفتح القاف والعامة تكسرها ــ فزاي مفتوحة فألف فزاي أيضاً ، وهو الزجاج ــ : وادٍ فيه قرية بهذا الأسم من قرى الوجه تابع لإمارة تبوك .

أبو قصيب : من قرى الجايزة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أبو قطفة : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أبو القَعَايِد ــ بفتح القاف والعين المهملة بعدها ألف فياء مثناة تحتية ، ثم دال مهملة ــ : قرية شمال قرية أبو السلع ، على وادي وساع ، في منطقة جازان .

أَبُو قُلَيِّبَات ــ جمع قُلَيِّب بضم القاف تصغير قَلِيب وهي البئر ــ : من قرى المضابرة من بني رشيد في أبان الأحمر ، في القصيم .

أبو كبير : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو الكَدَش ــ بفتح الكاف والدال المهملة بعدها شين معجمة ــ : وبعضهم يسميها أمّ الكدش ــ : قرية من أعمال سامطة ، بمنطقة جازان .

أبو الكدية : من قرى إضم بمنطقة الليث في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو كِرش ــ بفتح الكاف وكسر الراء وآخره شين معجمة ــ : من قرى الحكاميّة ، في منطقة جازان .

أَبُو الكُرْش[1] ــ بضم الكاف وإسكان الراء ثم شين معجمة ــ : قرية من قرى الطمْحة ، في منطقة جازان .

أبو الكُروش : هجرة في الشواق ، بمنطقة إمارة مكة .

أَبُو الكِزْم ــ بكسر الكاف وسكون الزاي وآخره ميم ــ : من قرى المسارحة ، بمنطقة جازان .

---

(١) هو الكرش القراد الكبير «الحلمة» في تلك الجهة .

أبو كَعْب ـ بفتح الكاف وإسكان العين وآخره باء ـ : من مياه هضب الدواسر ، لهم ، في إمارة الرياض .

أبو لال ـ بين اللامين ألف[1] ـ : من قرى المهْد ، في منطقة إمارة المدينة المنورة .

أبو اللُّصَّاف : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَبُو لهب : من قرى الشاقّة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة ، سكانها عيّاش .

أَبُو لَيْلى : قرية لبني الحارث في نَجْران .

أَبو مْجَرَع (الجرع) : من قرى المسارحة ، بمنطقة جازان .

أبو مجرن : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أَبُو امْحَصارة (الحصارة) : من قرى العبادل في منطقة جازان .

أَبُو مَدَر : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة ، سكانها بنو ذبيان .

أبو امْرِدا (الرِّداء) : من قرى بني سفيان ، في منطقة جازان .

أَبُو المْرَوْ ـ جمع مَرْوة ـ : من قرى العارضة في منطقة جازان .

أَبُو مَرْوَة ـ واحدة المرْو الحصا المعروف ـ : من قرى القويعية في إمارة منطقة الرياض .

أبو مروة ـ أيضاً ـ : من قرى الخرمة ، في إمارة مكة المكرمة .

أبو مرة (؟) : من قرى صمخ ، في منطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير .

أَبُو مِزْحَامَة ـ بكسر الميم وإسكان الزاي فحاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ، فميم وآخره هاء ـ : من قرى منطقة حايل ، سكانها العليّان من عبدة من شَمّر .

أَبُو امّسْوَد (الأسود) ـ باسكان السين ـ : قرية من أعمال سامطة ، بمنطقة جازان .

أَبُو مِشْهاب : قرية للقواسمة في الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) يقصد به (الآل) بمد الألف .

أَبُو المْضّ[1] ــ بفتح الميم وتشديد الضاد المعجمة ــ قرية من قرى سامطة ، في منطقة جازان .

أبو امظرفة (الظرفة) : قرية في منطقة جازان[2] .

أبو امعتق (العتق) : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أبو امْعَشَرة (العشرة) : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أبو امْعَصْم (العصم) : من قرى قبيلة الحُرَّث ، في منطقة جازان .

أَبُو مَعَن ــ بفتح الميم والعين المهملة وآخره نون ــ من قرى القطيف ، في المنطقة الشرقية .

أَبُو مُغَيْر ــ بضم الميم وفتح الغين المعجمة بعدها ياء مثناة تحتيّة ساكنة ــ : من مياه حرب[3] بمنطقة إمارة القصيم .

أبو امْفَرْقَة (الفرقة) : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أبو مهيمل : من قرى قنا والبحر ، التابعة لإمارة بلاد عسير .

أَبُو امْنَبعة (النّبْعة) : قرية من أعمال سامطة ، في منطقة جازان .

أَبُو نَخْلَة ــ والعامة تسكن النون وتفتح الخاء ــ : من قرى بريدة ، بمنطقة القصيم .

أَبُو نَخْلَة ــ باسم النخلة المعروفة ، والعامة يسكنون النون ويفتحون الخاء ــ : إحدى قرى الزّلفي في إمارة منطقة الرياض .

أبو نخلة ــ أيضاً ــ : من قرى الدوادمي في إمارة الرياض .

أَبُو نَخْلَةَ ــ أيضاً ــ : من قرى القويعية ، بمنطقة إمارة الرياض .

أَبُو نُخَيْلَة ــ تصغير نخلة ــ : من قرى العُلا ، في إمارة منطقة المدينة المنورة.

أَبُو نُخَيْلة ــ أيضاً ــ : من قرى حَرَض ، في المنطقة الشرقية .

أبو النعم : من مياه شَجْوَى (الأجرد) بقرب ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة المنورة .

---

(١) المض : شجر معروف في تلك الجهة .

(٢) كذا في البيان .

(٣) بمنطقة الربذة جنوب ماوان .

أَبُو نفس : من قرى رابغ ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو النُّكَر – بضم النون وفتح الكاف وآخره راء : قريتان من قرى بلغازي (بني الغازي) في منطقة جازان ، أبو النكر الأعلى وأبو النكر الأسفل .

أَبُو نمَص – بفتح النون والميم وآخره صاد مهملة جمع نمَصَة نوع من نبات الحلفاء – : من مياه دمخ للشيابين بمنطقة الخاصرة من إمارة منطقة الرياض .

أبو نوحة : قرية سكانها بنو زيد من رجال ألمع ، في إمارة بلاد عسير .

أبو نورة : من قرى أبي عريش ، من منطقة جازان .

أبُو النِّيص (العبلا) من قرى إضم من أودية الليث ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أبو الوسم : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَبُو وَشِيْع – بفتح الواو وكسر الشين المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية ، وآخره عين مهملة ، وادٍ فيه قرية بهذا الاسم ، في منطقة حايل سكانها من بني رشيد .

أبو هَرِيْس – بفتح الهاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة مثناة تحتية فسين مهملة – : من مياه الدواسر في هضبهم – من إمارة منطقة الرياض .

أبو هُرَيْم – تصغير هَرْم من نبات الحمض – : قصر زراعي بمنطقة الرين في إمارة القويعية .

أبو الهضبة : من قرى إضم أحد أودية الليث في إمارة مكة المكرمة .

أَبُو هيشة – واحدة الهِيْش بكسر الهاء وهي النخلة الصغيرة – : مورد في جبل الزيدي للشيابين ، بمنطقة الخاصرة في إمارة الرياض .

أبو هيشة – أيضاً – : مورد للدواسر في هضب الدواسر ، في إمارة الرياض .

أَبو يحيى : من قرى عِتْود ، في منطقة جازان .

أبو يفر (؟) : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

الأبْوَاء – بفتح الألف وإسكان الباء وفتح الواو بعدها ألف ممدودة – : وادٍ

---

(١) القرشيع : الصوف المصبوغ .

(٢) وينطق (حيشة) بالحاء .

فيه آبار كثيرة وزراعة ، وسكانه من بني عمرو من حرب ، في إمارة رابغ من إمارات منطقة مكة المكرمة .

الأبوابين : هجرة تابعة لمركز رماح ، بمنطقة إمارة الرياض .

أبور : من قرى بني قيس ، بمنطقة جازان .

أَبْهَا – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة بعدها هاء مفتوحة فألف – : قاعدة بلاد عسير ، وأكبر مدينة في جنوب المملكة .

أَبي لهب : من قرى أبي عَريش ، في منطقة جازان .

الأَبْيَارُ – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة فألف فراء – جمع بير – : من قرى الفُرْع في منطقة إمارة المدينة المنورة ، سكانها من حرب .

الأَبْيَارُ – جمع بير في لهجة العامة – : من قرى رابغ ، في إمارة منطقة مكة المكرمة ، وتعرف الأبيار هذه أيضاً باسم هجرة ابن محمد .

الأَبْيَارُ : – أيضاً – من القرى التابعة لقرية الكامل في إمارة منطقة مكة .

أبيار ابن حَصَاني – جمع بِئْر – مضافة إلى ابن حَصَاني بفتح الحاء والصاد المهملتين والنون مكسورة بعدها ياء أحد شيوخ صبح – : من بلاد صُبْح من حرب ، بمنطقة بدر ، من إمارة المدينة المنورة .

أَبْيَارُ الماشِي [1] – بفتح الألف وإسكان الباء الموحدة بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة فألف فراء ، جمع بير والماشي : فاعل المشي – : قرية فيها (مركز) من مراكز إمارة منطقة المدينة المنورة يتبعه عدد من القرى .

الأَبْيَضُ – على اسم اللون المعروف – : اسم قريتين من قرى أبي عَريش ، في منطقة جازان ، الأبيض الأعلى والأبيض الأسفل .

أَبْيَضُ نَثِيل : من مياه الأفلاج التي تردها البادية ، في منطقة إمارة الرياض .

---

(١) سميت بهذا الأسم لأن طريق المشاة من المدينة إلى مكة يمر بها ، وهو غير طريق القوافل .

أُبَيْط – بضم الألف وفتح الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة ، والعامة تحذف الألف فتقول بَيْط – : قرية في منطقة إمارة حايل .

الأتكين (؟) : من قرى سراة عبيد ، بمنطقة أبها .

أَتْمِرِيّة[1] :–بفتح الألف وإسكان التاء المثناة وكسر الميم والراء وتشديد الياء المثناة التحتية ، فهاء – من قرى سُدير ، في منطقة إمارة الرياض .

أُثَال – بضم الألف وفتح الثاء المثلّثة ، فألف ولام ، وقد ينطق بالواو (وثال) والعامة تسكن الواو ولهذا يكتب الأسم خطأ (أوثال) – : من قرى بريدة ، في منطقة القصيم .

أُثَالُ – أيضاً – : من قرى الزيمة ، في منطقة مكة المكرمة ، ويكتب الاسم خطأ (أُوثال) .

أُثَالُ – أيضاً – من مياه الدواسر في جبل بهذا الاسم شمال وادي الدواسر في إمارة الرياض .

الأثب : (أنظر شعب الأثب) .

الأثبات : من قرى بني جابر في وادي إضم ، بمنطقة الليث ، في إمارة مكة المكرمة .

إثْرَة – بكسر الهمزة وإسكان الثاء المثلثة وفتح الراء وآخره هاء وبعضهم ينطقها ألفاً (إثْرَا) – : من قرى القُرَيّات ، ،في منطقة النبك .

الأثل : (أنظر – صدر – وادي) .

أثل الحزاز : (أنظر ذنب أثل الحزاز) .

الأثلاث : من قرى آل منيف من سفيان من ثقيف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

الأثْلَةُ – باسم واحدة الأثْلِ الشجر المعروف – : من قرى الزلفي ، في إمارة منطقة الرياض .

---

(١) وبعضهم ينطقها (التمريه) .

الأثْلَةُ – أيضاً – : من القرى الملحقة بإمارة الدوادمي ، سكانها من قبيلة باهلة وغيرهم من إمارة منطقة الرياض .

الأثْلَةُ – أيضاً – : من قرى صبيا في منطقة جازان .

الأثلة : (أنظر جردة) .

أثلة : من قرى المجامعة ، في منطقة رَنْية ، من إمارة مكة المكرمة .

أثلة بالعوض ، من قرى محايل ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

الأثِمّةُ – بفتح الألف وكسر الثاء المثلثة ، وفتح الميم المشددة وآخره هاء – : قريتان من قرى زهران – في منطقة الباحة .

الإثنين – على اسم العدد المعروف – : من قرى مكة المكرمة .

الإثنين – على اسم يوم الأسبوع – : من قرى بني الأسمر وبني الأحمر (بَلَسْمر وبَلَحمر) في منطقة أبها ، ويدعى إثنين بالأسمر .

أُثَيْثِيَةُ – بضمّ الهمزة وفتح الثاء المثلثة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة فياء مفتوحة فهاء – : من قرى الوشم . في إمارة منطقة الرياض .

أثيثية : (أنظر قصور أثيثية) .

الأثيل : من قرى الطائف .

أُثيلان – بضم الألف وفتح الثاء المثلثة ، بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فلام مفتوحة فألف فنون وقد تبدل الألف واواً (وثيلان) – : قريتان من قرى الدوادمي ، يفرق بينهما بالسكان من حاضرة وبادية ، قرية البادية لقبيلة مطير [1] ، وهما في السرّ .

الأجَاعِدَةُ – بفتح الألف والجيم بعدها ألف فعين مهملة مكسورة فدال مهملة مفتوحة فهاء – : من قرى غامد ، في منطقة الباحة .

أُجْرُب [2] – بضم الألف وإسكان الجيم بعدها راء مضمومة ، فباء موحدة – : من قرى العقيق – عقيق غامد – في منطقة الباحة .

---

(١) للقشوش من بني عبدالله .

(٢) يكتب خطأ (جرب) .

الأجْرَدْ – بفتح الألف وإسكان الجيم فراء مفتوحة فدال – : من قُرى شجْوَى[1] ، في منطقة المدينة المنورة .

الأجردي : وادٍ يقع بقرب قُبَة في بلاد حرب ، فيه مياه من مواردهم .

الأجْرَعُ – مذكر الجَرْعَاء – : اسم قريتين في البِرْك في شعبين أحدهما الأقرع الجنوبي ، والثاني الأقرع الشمالي والبرك من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أجْرِمَةُ – بفتح الألف وإسكان الجيم وفتح الميم بعدها هاء – : من قرى منطقة إمارة حايل .

الأجْفر – بفتح الألف وإسكان الجيم وفتح الفاء[2] وآخره راء – : من أشهر الهُجَر في منطقة حايل ، وسكانه الويبار من شمر .

الأجلالي (؟) : من قرى عَبيدة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأجلع : من قرى العرضيّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أجها الخانق (؟) : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

آل الأجهرة : من القرى التابعة لإمارة أحد رُفيدة ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

الأحَابِيْش – بفتح الألف بعدها حاء مهملة مفتوحة فألف فباء موحدة مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة ، وآخره شين – : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأحارقة : من قرى النماص ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

الأحامرة : من بني دهيمس من أبا النعم من بجيلة في بلاد بني مالك ، من إمارة الطائف .

الأحامرة : من قرى قلوة في تهامة ، تابعة لمنطقة الباحة .

أحَدُ رُفَيْدة – باسم الأحد اليوم المعروف ورُفيدة بضم الراء وفتح الفاء بعدها ياء مثناة تحتية فدال مهملة فهاء – قاعدة إمارة بهذا الأسم ، من إمارات بلاد عسير ،

---

(١) الأجرد هو أحد جبال جهينة المشهورة قديماً ، يقرن مع الأشعر ، وشجوى من أوديته .

(٢) ضبطه الصحيح بضم الفاء – جمع جفرة – ولكنهم الآن يفتحون الفاء .

وسميت البلدة بهذا الاسم لأن سوقها يقام يوم الأحد ، وأضيف إلى القبيلة للتمييز بينه وبين مواضع أخرى يقام فيها السوق ذلك اليوم .

أَحَدُ بني زيد : من قرى القنفذة ، في إمارة مكة .

أَحَد المشايخ : من قرى القوز ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَحَدُ المشايخ ــ أيضاً ــ قرية في دوقة ، من منطقة إمارة مكة المكرمة .

أحد المُشَعّل : من قرى القنفذة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأحراث : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأحْسَاء : أشهر مدينة في شرق الجزيرة ، قبل عهد النفط ، ونقلت القاعدة منها إلى الدمام في عشر السبعين من هذا القرن ، وشهرتها تغني عن وصفها .

الأحساء : من مياه شهران ، بمنطقة بيشة في إمارة عسير .

الأحْسَبَةُ : ــ بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة بعدها سين مهملة مفتوحة ، فباء موحدة مفتوحة ، فهاء ــ : وادٍ يتنحدر من سراة زهران وسراة بلقرن حتى يصب في البحر ، على جوانبه مزارع كثيرة ، تابع لمنطقة الباحة .

الاحصير : (أنظر الحصير) .

الأحقاب : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأحْلافُ ــ بصيغة الجمع ــ : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

الأحلاف : من بني عاصم ، بمنطقة السايلة ، في بلاد بني مالك ، من إمارة الطائف .

الأحلاف : من قرى بني جاهل ، من ثقيف ترعة . في إمارة الطائف .

أَحْمَار ــ بفتح الألف وإسكان الحاء المهملة ، بعدها ميم مفتوحة فألف ، فراء مهملة ــ : قرية في تهامة من قرى زهران ، تابعة لمنطقة الباحة .

آلُ أَحْمَد : قرية من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

آل أَحْمد ــ أيضاً ــ : من قرى خميس مُشيط ، في منطقة أبها .

بني أَحْمَد : من قرى بني عمر الأشاعيب بتهامة زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

بني أحمد : من قرى المخواة ، من إمارة منطقة الباحة .

الأحْمَر : ــ من أسماء الألوان ــ وادٍ من أودية الأفلاج فيه قرية بهذا الأسم ، سكانها الشُّكَرَة ، في منطقة الرياض ، وقد تُحذف الهمزة فيقال (الحَمَر) .

الأحْمَرُ ــ على اسم اللون المعروف ــ : من قرى إضم بمنطقة الليث في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأحمر : (أنظر ماء الأحمر) حرف الميم .

بنو الأحمر ــ وتنطق باللّحْمر ــ : قبيلة من قبائل إمارة بلاد عسير ، فيها إمارة ولها قرى كثيرة .

الأحْوَاشُ ــ جمع حَوْش ــ : قرية من قرى بني عَبْس بمنطقة جازان .

الأحول : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

الأحياء : قرية لبني جابر في وادي إضم من أودية الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأحيمر (؟) : من قرى تبالة ، في منطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير .

أحيمرات الجبا : من هجر الصلبة ، بمنطقة إمارة حايل بقرب الغزالة .

أخباث الحب : من قرى حرب وبني عبس ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

الأختار (؟) : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأخزية (؟) : قرية لبني واهب من بلاد بيشة ، في منطقة إمارة عسير .

الأخشعة : من قرى إضم ، في إمارة الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأخْضَرُ ــ على اسم اللون المعروف ــ : وادٍ فيه قرية بهذا الاسم في منطقة تبوك .

الأخْضَرُ ــ أيضاً ــ : من مياه سُبيع في عرق سبيع ، منطقة الخرمة ، من إمارة مكة المكرمة .

الأخْضَرُ ــ ويقال الخَضَرُ ــ : هجرة للأعزّة من سُبيع ، بقرب الحائر بمنطقة الرياض .

الأخضرية : من قرى بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأخلف : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

الأخماس : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأخيار : من قرى بني عبدالله أبا النعيم من بجيلة ، في بلاد بني مالك في إمارة الطائف .

الأخيرق : من قرى إضم من أودية الليث في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأخَيْضِرُ – بضم الألف تصغير الأخضر ، ولكن العامة تفتح الخاء وتسهل الهمزة – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم ، للمضابرة من بني رشيد في أبان الأحمر .

الأخَيْضر – بضم الهمزة والعامّة تفتحها تصغير أخضر – : من قرى وادي مدركة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

الأخَيْضر : (أنظر وادي) .

الأدارسة : من قرى غميقة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

إدَام – بكسر الهمزة فدال مهملة بعدها ألف وآخره ميم – : قرية في وادٍ بهذا الاسم من قرى مكة المكرمة ، ويكتب الاسم خطأ (إيدام) لأن العامة يقوُّون الكسرة هنا .

الأدْجَرُ (؟) : من قرى الزَّيمة ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأدفع (؟) : من قرى الطائف .

إدْقِس – بكسر الألف وإسكان الدال فقاف مكسورة ، فسين مهملة وهذا من تحريف العامة لاسم قُدْس جبل مزينة القديم – : قرية تابعة لمركز أبيار الماشي ، بمنطقة المدينة المنورة .

ادمانة : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

إدَمَةُ – وينطق إيْدمة وصوابه يَتَمَةَ بالياء بعدها تاء مثناة فوقية فميم مفتوحة فهاء ولكن العامة يبدأون الاسم بإسكان أوله وهو الياء ويبدلون التاء دالاً – : وهو من أودية نجران فيه إمارة يتبعها قرى وموارد للبادية .

أدَمَةُ : بفتح الألف والدال المهملة والميم وآخره هاء – وادٍ مأهول سكانه من قبيلة شمْرَان ، بمنطقة إمارة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

الأدَيْرَابُ – بفتح الألف والدال المهملة فياء تحتية مثناة ساكنة فراء مفتوحة فألف فباء موحدة تحتية ، وتسهل الهمزة فيقال دَيْرَاب – : من قرى ضرما ، في إمارة الرياض .

أذان (؟) : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأذن : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

الأذناب : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أربدة : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أرثاد : من قرى يام في نجران .

الأرْدَحُ – بفتح الألف وإسكان الراء وفتح الدال المهملة وآخره حاء مهملة – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم .

الإرشاوية : (أنظر الرِّشاويّة) .

الأرْطاوي – بفتح الهمزة وإسكان الراء بعدها طاء فألف فواو وآخره ياء ، منسوب إلى الأرطى الشجر المعروف – : من هُجَر الحفاة ، بقرب عسيلة في السّرّ ، في إمارة الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض .

الأرْطَاوِيُّ – أيضاً – : من قرى السّر بقرب الفيضة ، من هجر مطير[1] ، بمنطقة إمارة الدوادمي ، من إمارة الرياض .

الأرْطاوِيُّ – أيضاً – : في حلّيت الجبل المعروف ، ويقال له : أرطاوي حلّيت للتفريق بينه وبين غيره ، من قرى الدوادمي ، في إمارة منطقة الرياض ، للغبيات من الروقة .

الأرْطَاوي – أيضاً – : في حلّيت[2] ، ويدعى أرطاوي الحماميد ، وهم من الروقة ، من قرى منطقة الدوادمي في إمارة الرياض .

الأرطاوي – أيضاً – : من مياه العصمة ، بمنطقة القويعية ، من إمارة منطقة الرياض .

---

(١) بني عبدالله .

(٢) بكسر الحاء واللام المشددة المكسورة فياء تحتية مثناة فتاء مثناة فوقية .

الأرْطاوي – أيضاً – : وادٍ فيه ماء لقبيلة حرب بقرب قرية كحلة بمنطقة القصيم .

الأرْطاوِيّةُ – بفتح الهمزة وإسكان الراء بعدها طاء مفتوحة فألف فواو مكسورة فياء مثناة تحتية مشددة مفتوحة فهاء – : هِجْرة من هُجَر قبيلة مُطَير ، في إقليم سُدَير ، من إمارة منطقة الرياض .

الأرْطَاوِيّةُ – أيضاً – : من قرى الزلفي في إمارة منطقة الرياض .

الأرْطاوِيّة – أيضاً – : من مياه قحطان في جبل الينكير – بمنطقة القويعية من من إمارة منطقة الرياض .

الأرْمَضُ – بفتح الألف وإسكان الراء وفتح الميم وآخره ضاد معجمة – : من مياه قحطان في جبل السوادة بمنطقة القويعية من إمارة الرياض .

الأريمض : – تصغير ما قبله – من مياه قحطان بقرب الذي قبله .

إرِنُ – بكسر الألف وكسر الراء وآخره نون وقد تفتح الألف – : من قرى الصعوب من بني عبدالله من مطير ، بمنطقة المهد ، في إمارة المدينة .

إرن : (أنظر المجمعة) .

أرواء : (أنظر آل عمر) .

الأرْوَاقُ – بفتح الألف وإسكان الراء وفتح الواو بعدها ألف فقاف – : قرية من أعمال ضمد ، بمنطقة جازان .

الأرْوُسَةُ : من موارد المقطة من عتيبة بمنطقة عفيف ، من إمارة الرياض .

الأريْقط – تصغير الأرقط – : من قرى الخرمة ، من ملحقات الغريف ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أَرْيَمَةُ – بفتح الألف وإسكان الراء فياء مثناة تحتية فميم مفتوحة ، فهاء – : من قرى زهران ، في منطقة الباحة .

أُريْنِيَةُ – بضم الألف وبعضهم يفتحها ثم راء مفتوحة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فباء موحدة مفتوحة فهاء – قريتان من قرى منطقة حايل ، إحداهما بأطراف الحرة ، والأخرى جنوب حايل – فالأولى سكانها بنو رشيد والأخرى سكانها الصلبة .

الأزاحة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأزاهِرَةُ – بفتح الألف فزاي مفتوحة بعدها ألف فهاء مكسورة ، فراء مفتوحة فهاء – : من قرى غامد ، في منطقة الباحة .

ابن الأزرق : في سراة عبيدة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأزينب : من قرى النماص ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

آل إسْحَاق : من قرى بني الأسمر وبني الأحمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أسدة : من قرى رُفَيْدة ، في إمارة بلاد عسير .

الأسراب : من قرى الشنابرة من الأشراف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

الأسراب : من قرى بني عمرو من سفيان من ثقيف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

الأسفل : من قرى الجائزة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

اسفلة : من قرى حرب وعبس من إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأسفلين : من قرى رجال ألمع ، سكانها آل مهدي ، بمنطقة إمارة عسير .

أسلان : من قرى إضم من أودية الليث ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أسلع : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بنو الأسمر : قبيلة لها قرى كثيرة ، وفيها إمارة تابعة لإمارة بلاد عسير .

الأسمر : (أنظر حلة الأسمر) .

الأسْمِرة : من قرى الخيارات من بني رشيد ، بمركز السليمي في منطقة إمارة حايل .

الأسود : من قرى إمارة منطقة مكة المكرمة[1] .

الأسْوَدِيّةُ – وبعضهم ينطقها (أم أسودية) : قرية من قرى الموسّم ، في منطقة جازان .

الأسْيَاح : قُرَى ذات إمارة في عين ابن فُهيد من إمارات القصيم .

---

(١) كذا في البيان .

الأسيلة : من قرى قريش ، في بجيلة ، من بلاد بني مالك ، من إمارة الطائف .

الأسيلة : من قرى بني سعد ، في إمارة الطائف .

أُسَيْلَةُ – بضم الهمزة بعدها سين مفتوحة ، فياء ساكنة فنون فهاء . وقد تبدل الهمزة واواً (وُسَيْلة) وتكتب خطأ (أوسيلة) والصواب حذف الواو – : من قرى الأفلاج المعروفة ، من إمارة منطقة الرياض .

أُسَيْوِد : قرية في إضم من أودية الليث ، سكانها آل منعان ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

إشارة : من قرى هروب سكانها بنو زيد ، في منطقة جازان .

الأشاعرة : من قرى سراة عبيدة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأشاعرة – أيضاً – : من قرى ظهران الجنوب ، من إمارة عسير .

أشاق : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أشب : من قرى خيبر ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

أشْبِريّة : (أنظر الشبرية) .

الإشْتَاء – بكسر الألف وإسكان الشين المعجمة بعدها تاء مثناة فوقية مفتوحة فألف ممدودة – : من قرى زهران ، في منطقة الباحة .

أَشْحُطُ – بفتح الألف وضم الحاء المهملة بعدها طاء مهملة – : من أودية تهامة في جوانبه قرى صغيرة لزهران ، تابع لمنطقة الباحة .

الأشْراف : محلة من محلات فيفا ، في منطقة جازان .

الأشراف – أيضاً – : من قرى بَيْش ، من منطقة جازان ، وتدعى حِلّة الأشراف .

الأشْرَاف – أيضاً – : من قرى غامد ، في منطقة الباحة .

الأشْرَافُ – أيضاً – : من قرى أحَد رُفَيْدة ، في إمارة منطقة عسير .

الأشراف – أيضاً – : من قرى الجابرية ، في ينبع في منطقة إمارة المدينة المنورة .

الأشراف – أيضاً – : من قرى سراة عبيدة ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

الأشراف : (أنظر حداب) .

الأشعاب : قرية سكانها بالحارث في العرضية الجنوبية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة.

الأشعب : من قرى إضم من أودية الليث ، في إمارة مكة المكرمة .

الأشعب : من قرى العرضية اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأشْعَرِيّةُ – بفتح الألف وإسكان الشين المعجمة ، ثم عين مهملة مفتوحة فراء مكسورة فياء مثناة تحتية مشدَّدة مفتوحة ، فهاء – من قرى الحفاة بمنطقة عفيف من إمارة الرياض .

الأشلة – وتدعى بير الأشلة – : قرية لآل منيف من يام ، في نجران .

الأشْناء : من قرى بني الأحمر وبني الأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُشَيٌّ – بضم الهمزة وفتح الشين وآخره ياء تحتية مشدَّدة ، وقد تبدل الهمزة واواً – (وُشَي) من أقدم قرى سُدَير ، في إمارة منطقة الرياض .

أُشَيْحَةُ – بضم الألف وفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، فحاء مهملة فهاء – : من قرى منطقة حايل ، وبعضهم يقلب الهمزة واواً ساكنة (وشيحة) فتكتب خطأ (أوشيحة) .

الأشيعب : من قرى إضم من أودية الليث في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأشَيْعل – تصغير الأشغل – : من هجر بني سالم من حرب ، بقرب الفوّارة بمنطقة القصيم .

أُشَيْقِرُ – بضم الهمزة تصغير أشقر – : من بلدان الوشم بمنطقة شقراء من إمارة منطقة الرياض .

أشيقر : (أنظر قصور أُشيقر) .

الأشيل : من قرى العصمة ، في وادي بسل من قرى الطائف .

الأشيهب : من قرى إضم من أودية الليث ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأصَافِر – بفتح الألف ، فصاد مهملة مفتوحة فألف ، فراء – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم .

الأصَافِرُ : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

الأصعدان : من قرى آل خالد من سفيان من ثقيف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

الأصعبية : من قرى العصمة ، في وادي بسل ، من إمارة الطائف .

الأصعدة : من قرى إضم من أودية الليث في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأصفاء : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأصْغَرُ – على اسم اللون المعروف – : من قرى الطائف .

آل الأصفر : من قرى خميس مشيط ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأصقاء (؟) : من قرى بني الأحمر وبني الأسمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأصقة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أصقه : من قرى بني عبيد ، بمنطقة بشرة ، في بلاد بني مالك من إمارة الطائف .

الأصْلابُ : – بفتح الألف وإسكان الصاد المهملة فلام مفتوحة فألف فباء موحدة – : من قرى غامد ، في منطقة الباحة .

الأصْلاب[1] : من قرى آل فرشة وآل سرور من جشم من يام ، في القابل ، من نجران .

أصلة : قرية لبني الغازي في منطقة جازان .

الأصنع : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

الأصَيْحِرُ – بضم الألف وفتح الصاد المهملة بعدها ياء مثناة تحتية فحاء مهملة مفتوحة ، فراء – تصغير الأصحر : من قرى المهد ، في منطقة المدينة المنورة .

الأصَيْفِرُ – تصغير الأصفر – : من قرى الطائف في وادي لِيّة .

الأصيمر[2] : من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

أضاخ : (أنظر وضاخ) .

أضراس : (أنظر ضراس) .

---

(١) تنطقها العامة بتسهيل الهمزة (لصلاب) .

(٢) قد تكون تصحيف (الأحيمر) .

أضفر : من قرى هذيل ، في وادي المضيق (نخلة الشامية) بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

إضَمُ – بكسر الألف وفتح الضاد المعجمة بعدها ميم – : واد ذو قرى كثيرة ، وفيه مركز إمارة تابعة لإمارة الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأضناح (؟) : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأطَاوِلَةُ – بفتح الألف فطاء مهملة مفتوحة فألف فواو مكسورة فلام مفتوحة فهاء – : بلدة كبيرة في بلاد زهران ، في منطقة الباحة .

الأطراف : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأطرجة (؟) : من قرى باشوت في منطقة بيشة ، تابع لإمارة بلاد عسير .

أطْلُح : من قرى الثبتة ، في بلاد بني سعد ، في إمارة الطائف .

الأطللة : من قرى بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

الأطْلُوحَةُ : من مياه أبان الأحمر بمنطقة القصيم .

الأطْوَا – بفتح الهمزة وإسكان الطاء فواواً مفتوحة فألف مقصورة : من قرى السُّلَيِّل ، في منطقة الأفلاج ، من إمارة منطقة الرياض .

الأطواء : قرية لآل عليان ، وتدعى بير الأطواء بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأطولة : من قرى العجمان بمنطقة عين دار ، في المنطقة الشرقية .

الأطيان : من قرى حرب وعبس ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأظَاعِنَةُ – بفتح الألف بعدها ظاء معجمة مفتوحة فألف فعين مهملة مكسورة فنون مفتوحة فهاء – : من قرى زهران في تهامة ، تابعة لمنطقة الباحة .

أظلمة : هجرة في غميقة ، من منطقة إمارة مكة المكرمة .

آل الأعاسرة : من قرى بني عمرو ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأعاضيد : من قرى قريش الأعاضيد ، في إمارة الطائف .

الأعامة : (أنظر الوسط) .

الأعبدة : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أَعْبِلِيّةُ – بفتح الهمزة وسكون العين وكسر الباء واللام والمثناة التحتية مفتوحة مشددة – : من قرى القويعية ، من إمارة الرياض .

أَعْبِلِيّةُ – أيضاً – من قرى آل سُويدان من قحطان في الرَّين ، بمنطقة إمارة القويعية من إمارة الرياض .

أَعْبِلِيّةُ – أيضاً – : من هُجَر حرب من إمارة القصيم غرب وادي الجرير .

الأعجر (؟) : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأعزبة : قرية في إضم ، سكانها المعالية ، في منطقة الليث ، في إمارة مكة المكرمة.

الأعلى : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأعمق : من قرى آل محمد من بنيوس (بني أوس) من بالحارث بمنطقة الحدب ، في إمارة الطائف .

الأعْوَصُ – بفتح الألف وإسكان العين بعدها واو مفتوحة فصاد مهملة – : من قرى بني حجة من سفيان من ثقيف في وادي الضيق في الشّفَا من إمارة الطائف .

أُعَيْفِرَة – مؤنث أُعَيْفر مصغر أعفر – : من مياه الدواسر ، في إمارة وادي الدواسر من إمارات منطقة الرياض .

أُعيوج : قرية في الحدود الشمالية ، أهلها عَبْدَة ، في إمارة عرعر .

الأغبر : (أنظر داري) .

الأغَرُّ – بفتح الألف والغين المعجمة وتشديد الراء – : من قرى مَيْسان ، في إمارة الطائف ويقال فيه (أغر) بدون تعريف وهو من قرى الثبتة من ناصرة .

أغربة : من موارد عتيبة بمنطقة الطائف .

الأفَاطِحُ – كأنه جمع أَفْطح – : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أفراء (؟) : من قرى رنية ، في إمارة مكة المكرمة .

الأقر : من قرى ريسع ، في بلاد بني سعد ، من إمارة الطائف وهو من قرى اللهوب من بني سعد .

الأقَيْلِحُ – تصغير الأقلح – : من قرى آل حجة من سفيان من ثقيف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

أفرساء (؟) : في غميقة ، من منطقة إمارة مكة المكرمة .

أَفقِـرَةُ ـ أفقرا ـ بفتح الألف وإسكان الفاء وكسر القاف وفتح الراء وآخره هاء وبعضهم يجعل الهاء ألفاً ـ : من القرى التابعة لإمارة الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض ، وفيها مركز ، يتبعه عدد من الموارد . وهي من قرى الروسان من برقا من عتيبة .

الأفقس : من قرى القنفدة سكانها المنتشر ، بمنطقة مكة المكرمة .

الأفلاج : بلاد واسعة تشتمل على قرى كثيرة ، وأودية ذات نخل ، وفيها عيون وآبار كثيرة . من إمارة منطقة الرياض .

الأفواه : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأقابلة : من قرى غميقة ، بمنطقة مكة المكرمة .

أُفَيْعِيَةُ ـ بضم الألف والعامة تفتحها ، والياء الساكنة والعين المهملة المكسورة فياء مفتوحة فهاء ـ : من قرى منطقة حايل ، بقرب الروض ، سكانها الرويضان من بني رشيد .

الأقاطع : من قرى الطائف .

الأقحان : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأقر : من قرى بني سعد ، في إمارة الطائف .

الأقرعاء : من قرى بلغازي (بني الغازي) بمنطقة جازان .

الأقرف : قرية في إضم سكانها المعالية ، في جهة الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأقضاف : من قرى تنومة ، في إمارة منطقة إمارة بلاد عسير .

الأقَيْلِحُ ـ تصغير أقلح ـ : من أودية الشفا سكانه آل حجّة من سفيان ، بمنطقة الطائف .

أَكْبِرَةُ : من هجر المضابرة من بني رشيد في أبان الأسود ، في منطقة القصيم .

أكتان[1] : من قرى بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

---

(١) أنظر «العرب» س ٧ ص ١٥٥ .

أكثر : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأكْحَلُ – بفتح الألف وإسكان الكاف بعدها حاء مهملة مفتوحة فلام – : من قرى الفُرْع ، في منطقة المدينة .

الأكحلين : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأكحلية : في شَجوى ، بمنطقة ينبع ، من إمارة المدينة .

أكرم : من قرى النماص ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأكناب : من بلاد حرب وعبس ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أكيد : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

ألاب – بفتح الألف واللام بعدها ألف فباء موحدة – : وادٍ[1] سكانه الحوازم من حرب ، بمنطقة بدر في إمارة المدينة المنورة .

ألامة (؟) : قرية للمعزلية في إضم بقرب الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أليان : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ أثْلَةَ – واحدة الأثل الشجر المعروف – : من قرى القوبعية في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ أَثْلَةَ – أيضاً – : قرية بقرب حرض سكانها آل حسن ، في المنطقة الشرقية .

أم أثلة – أيضاً – : من مياه جَبَلَة ، بمنطقة إمارة الدوادمي ، من إمارة الرياض.

أم الأرباع : من موارد بالحارث ، في منطقة الطائف .

أُمُّ أَرْطَى – الأَرْطَى بفتح الألف وإسكان الراء وفتح الطاء المهملة بعدها ألف مقصورة وهو نبت معروف ينبت في الرمال غالباً – : ويطلق الاسم على قريتين من قرى إقليم الزَّلفي من إمارة منطقة الرياض ، فيقال : أم أرطى الشمالية ، وأم أرطى الجنوبية .

أُمُّ أَرْطَى – بفتح الهمزة وإسكان الراء وفتح الطاء المهلمة فألف مقصورة – :

---

(١) أنظر وصفاً لهذا الوادي في مجلة كلية الآداب في جامعة الرياض الجزء الأول السنة الأولى للدكتور منصور الحازمي .

من الموارد التابعة لإمارة عفيف فيه مركز من مراكزها وهو من موارد الرحامين من مطير .

أُمُّ أُرَيْطَى – تصغير أَرْطَى وقد تبدل الهمزة واواً فيقولون : أُمُّ وْرَيْطَى – : من قرى القويعية ، في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ أُرَيْطِي – بضم الهمزة وفتح الراء ثم ياء مثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية – : من قرى إمارة عفيف .

أُمُّ أُرَيْطِي – تصغير أَرْطَى – : قصور زراعية بمنطقة القويعية .

أم أملح : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم الأوبار : من قرى إضم ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ أَيْبَد[1] – بفتح الألف وإسكان المثناة التحتية والباء الموحدة وآخره دال مهملة – من هجر العضيان ، بمنطقة عفيف ، في إمارة الرياض .

أُمُّ الياب (؟) : من قرى اضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمّ بادع : من قرى بني سهم ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم باشا : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم بدوة : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أم البرد : من قرى غميقة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم برقة : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الْبِرَك – بكسر الباء الموحدة وفتح الراء ، وآخره كاف ، جمع بِرْكة – : من قرى الفرع ، بمنطقة المدينة ، واسمها القديم السُّقْيا ، وهي من بلاد بني عمرو من حرب .

أم بركة : من قرى الحرَّث[2] ، بمنطقة جازان .

أم البرم : من قرى ضمد ، بمنطقة جازان .

---

(١) الأيبد عشب ينبت في الوسم يشبه الثيل .

(٢) بضم الحاء وفتح الراء مشددة بعدها ثاء مثلثة .

أمُّ البريم : من قرى حلي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أمُّ البصر : من قرى القديح ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ بَقَر – على اسم الحيوان المعروف – : من قرى بُريدة في منطقة القصيم .

أمُّ البِسّ : من قرى الشاقّة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم البصر : من قرى القنفذة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم البعر : قريتان إحداهما في القوز ، والأخرى في دوقة ، بمنطقة مكة المكرمة .

أم البِكَار – بكسر الباء وفتح الكاف بعدها ألف فراء – : من قرى عباسة ، للمراوحة من الثبتة في إمارة الطائف .

أم البهم : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أمُّ البيَضَاء : من قرى وادي مَدْركة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أمُّ تابع : قرية من قرى العجمان ، بمنطقة عين دار ، في المنطقة الشرقية .

أمُّ التُّرَاب – بضم التاء وفتح الراء بعدها ألف فباء موحدة – : قرية في بلاد بني الحُرَّث – بتشديد الراء – بمنطقة جازان .

أمُّ تَلْعَة – بفتح التاء وإسكان اللام وفتح إحدى العين المهملة ثم هاء – : من قرى البدايع ، بمنطقة القصيم .

أم ثرار : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أمُّ الثَّوْر : من قرى القوز ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

آل أم ثومة : قرية في بلاد رجال ألمع ، في إمارة بلاد عسير .

أم جامعة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم جدرة : هجرة لبني الغازي ، بمنطقة جازان .

أمُّ جِدْيَة – بكسر الجيم وإسكان الدال المهملة بعدها ياء فهاء – : قرية على وادي المعاين في منطقة جازان .

آل أم جبر : في بلاد رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

أم جرامة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم جربة : من قرى محايل ، سكانها آل شول ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم الجرع : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم جرفاء : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الجِرْمِ – بكسر الجيم وإسكان الراء وآخره ميم – : من قرى عُسْفان ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم الجرم : من قرى الشاقّة اليمانية ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم جرون : من قرى البِرْك ، في إمارة مكة المكرمة .

أم جريات (؟) : من قرى قنا والبحر ، التابعة لإمارة بلاد عسير .

أم الجزعة : من قُرَى حَلي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ جُصَيْصة – بضم الجيم وفتح الصاد المهملة بعدها ياء مثناة تحتية فصاد أيضاً فهاء ، تصغير جصَّة ، والعامة تسكن الجيم – : من قرى بريدة ، في منطقة القصيم .

أم جعافة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم جلدس (؟) : من قرى يام ، في منطقة نجران .

أُمُّ الجلة : من قرى الطائف .

أم جما : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم الجَمَاجم – جمع جمجمة – من المناهل المعروفة في سُدير ، بمنطقة الرياض.

أم الجمال : من مناهل العجمان بقرب نطاع ، في المنطقة الشرقية .

أم جمعان : من قرى بني الأسمر والأحمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم جندلة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم جنى : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم جوا : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الْجَوَاعِر – بفتح الجيم والواو بعدها ألف فعين مهملة مكسورة فراء – : من مياه النفعة من برقاء – بمنطقة عفيف – ، في إمارة منطقة الرياض .

أمّ جوف : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أم جون (؟) : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أم جهلا : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم جهيرة : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أم جيانة : من قرى بلغازي (بني الغازي) في منطقة جازان .

أم جيفة : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم حاجب (أنظر حصن) حرف الحاء .

أم حاشية : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ الحاضر : من قرى حَلِي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم حتمة : من قرى البِرْك ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم الحج : (أنظر ذنب أم الحج) .

أم حجار : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم الحجر : من قرى إضم ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم حجر : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أمّ حجر معلا : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم حجران : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أمُّ الحَجَل – بفتح الحاء والجيم وآخره لام – : من قرى الحُرَّث ، في منطقة جازان .

أمُّ الحَجَل – أيضاً – : قرية لبني العواجي في وادي لِيَة ، في منطقة جازان .

أم الحجل أيضاً – : قرية في أعلى وادي الريَاح شرق قرية البها كلة ، بمنطقة جازان .

أم الحَجَل – أيضاً – من مياه المقطة بمنطقة عفيف ، من إمارة الرياض .

أم حدا (؟) : من قرية المويه ، في إمارة منطقة مكة .

أمْ حَدَبة – الحدبة – : قريتان ، من قرى قنا والبحر التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير ، وللتفريق بينهما تضاف إحداهما إلى آل سالم فيقال (أمْ حَدَبة آل سالم) .

أم الحدج : آبار من موارد قبيلة جهينة ، بقرب ينبع البحر ، في إمارة المدينة .

أم حدج : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم حذيم : هجرة لبني الغازي ، في منطقة جازان .
أم حران : قرية سكانها المعاشبة من بلاد المسارحة في منطقة جازان .
أم حرشان : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أُم حَرْف : هجرة لبني الغازي ، بمنطقة جازان .
أم حريرة : من قرى بلغازي (بني الغازي) من منطقة جازان .
أُمُّ حُرَيض : من مناهل المناصير ، في سلوى ، في المنطقة الشرقية .
أُمُّ حَزْم – بفتح الحاء المهملة وإسكان الزاي وآخره ميم – : من هجر الصُّعْرَان (واحدهم صَعِيري) من مطير ، في منطقة القصيم .
أم حزم : من قرى ضمد ، بمنطقة جازان .
أم حزن : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم حسير : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .
أم حشافة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .
أم حشف : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم حصلة : من قرى رجال ألمع ، في منطقة إمارة بلاد عسير .
أم الحصم : من قرى الحُرَّث ، في منطقة جازان .
أم حصن : من قرى العرضية الجنوبية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم حصن (آل علاية) من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم حصن : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .
أم حصنين : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم حصنين : من قرى بني الأحمر والأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .
أم حصنين (أنظر : حصن أم حصنين) حرف الحاء .
أُمُّ حَصْيَة – بفتح الحاء المهملة وإسكان الصاد المهملة بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة ، فهاء : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .
أم حطباية : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم حفظ : من قرى قنا والبحر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الحفين : (أنظر شعبة أم الحفين) حرف الشين .

أُمُّ الحكك : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أم حلالة (؟) : من قرى بلغازي ، من منطقة جازان .

أمّ حلوى : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم حلة : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ الحَمَام – على اسم الطائر المعروف – : الأسم الحديث لأم الحمام ، إحدى قرى القطيف في المنطقة الشرقية .

أُمُّ حَمْضَةَ – باسم واحدة الحمض النبات المعروف – : من قرى الطائف .

أُمُّ الحُمَيِّطَةَ[1] – تصغير الحماطة – : من مياه بلحارث في وادي قياء بمنطقة إمارة الطائف .

أُمُّ الحِنّاية : من قرى الشاقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم حورة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم الحوض : من قرى يام ، في منطقة نجران .

أم حِيْش : (أنظر أم هيش) .

أُم حيفا : من قرى العِرْضيّة الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم خادة : من قرى قنا والبحر في منطقة إمارة بلاد عسير .

آل أم خباب : في رجال ألمع ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم خبيا : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم خبل : هجرة سكانها عبادة بمنطقة جازان[2] .

أم ختمي : (أنظر الحقو) حرف الحاء .

---

(١) طغى اسم بئرام الحميطة حتى أوشك أن يطلق على الوادي الذي يقع فيه وهو وادي قياء بكسر القاف بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة فألف ممدودة .

(٢) كذا في البيان .

أُمُّ الخِرَّان ــ بعد اللام خاء مكسورة فراء مشددة مفتوحة بعدها ألف فنون ، ويقصد بالخِران جمع خُرٍّ مَجْرَى السيل المحفور حين يهبط منخفضاً من الأرض ــ : من قرى الزلفي ، في إمارة منطقة الرياض .

أم خرابي (؟) : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم خرب : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم خربا : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم خرزان : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم خرشة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم الخرصان : من قرى القديح في القنفذة ، بمنطقة إمارة ماكة المكرمة .

أُمُّ الخرصان : من قرى دوقة ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ الخِرَق ــ بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وآخره قاف ــ : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .

أُمُّ الخَشَب ــ بفتح الخاء والشين المعجمة وآخره باء ــ : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم . وهي من هجر الصعران من مطير (الصعران واحدهم صَعِيري) .

أُمُّ الخَشَب ــ على اسم الخشب المعروف ــ : من قرى الطائف .

أم الخشب ــ أيضاً ــ : مورد للبقوم بقرب تربة ، في منطقة إمارة ماكة المكرمة .

أُمُّ الخَشَب ــ أيضاً ــ : من قرى المظيلف في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ الخَشَب ــ أيضاً ــ : قاعدة قرى وادي بيش من منطقة جازان ، وتدعى بيش السفلى .

أُمُّ الخَشَب ــ أيضاً ــ : من قرى الحُرَّث تقابل قرية المسحب ، على وادي سيّال ، بمنطقة جازان .

أم خطام : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الخُفّان ــ بضم الخاء المعجمة وفتح الفاء مشددة بعدها ألف فنون ــ : من قرى لِيّةَ ، بمنطقة الطائف .

أمّ خلفة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم خلفين : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم خليف : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أُمُّ الخُمام – بضم الخاء بعدها ميمان بينهما ألف – : الاسم القديم لإحدى قرى القطيف فغيّر باسم (أم الحمام) بالحاء المهملة المفتوحة .

أم الحمض (الحمظة) : من قرى الفقهاء ، في وادي القيم ، في إمارة الطائف .

أُمُّ خِنْصِر – بكسر الخاء المعجمة وإسكان النون وكسر الصاد المهملة وآخره راء على اسم الأصبع – : من مناهل الدهامشة بمنطقة عَرْعَر .

أم الخيار : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أم الخيال : من قرى إضم من أودية الليث من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ الخَيْر – بالخاء المعجمة فياء مثناة تحتية فراء مهملة الخير المعروف – : من قرى مكة المكرمة .

أُمُّ الخِيْس – بكسر الخاء المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، وآخره سين مهملة والخيس جمع خيْسة : النخلة الصغيرة – : من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم .

أم داخلة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الدَّار : من قرى رابغ ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ دَار – على اسم الدار المعروفة – ، من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أم دار : (أنظر ذاري) حرف الذال .

أُمُّ دَبّاب – بفتح الدال المهملة ، فباء موحدة مشدّدة مفتوحة ، فألف ، فباء أيضاً – : من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم ، وهي من هجر مطير .

أمّ دبة : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أمّ دحرة : من قرى الحرَّث ، بمنطقة جازان .

أمُّ الدَّراويش – جمع دِرْوِيش – : من مياه قحطان في حصاة آل عُلَيّان ، في منطقة القويعية ، من إمارة منطقة الرياض .

أم الدَّراهم – جمع درهم – : من قرى بني الغازي ، في منطقة جازان .

أُمُّ الدَّراهم – أيضاً – : من قرى الجعافرة من أعمال صبيا ، بمنطقة جازان .

أُمُّ الدَّرَق ــ بفتح الدال المهملة والراء وآخره قاف ــ : من قرى الحُرَّث على عدوة وادي خمران بمنطقة جازان .

أم دريهن : من قرى نجران .

أمّ درة : منهل لقبيلة بلحارث ، بمنطقة بيشة .

أُمُّ الدَّغَابِيْس[1] ــ بفتح الدال المشددة بعدها غين معجمة . مفتوحة فألف ، فباء موحدة مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فسين مهملة ــ : قرية غرب الشُّقَيق بمنطقة جازان .

أم الدَّفِيْن ــ بفتح الدال المهملة المشددة بعدها فاء مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فنون ــ : من قرى بيش بقرب مُسْلية ، في منطقة جازان .

أم دماغ : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الدُّود ــ بضم الدال المهملة وتشديدها بعدها واو ساكنة فدال أيضاً ــ : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم الدُّوْد : (أنظر أم الورود) .

أم الدَّوْم ــ جمع دَوْمَة بفتح الدال ــ : من قرى المويه ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم دهو : (أنظر دار) حرف الدال .

أم ذاري : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

أم ذايلة : من قرى العرضية الجنوبية ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم ذَنَبَة ــ بفتح الذال المعجمة والنون والباء الموحدة وآخره هاء ــ : من قرى القحمة في منطقة جازان .

أُمُّ ذِيَاب ــ بكسر الذال المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية فألف ، فباء موحدة ، جمع ذيب الحيوان المعروف ــ : من قرى بَدْر ، في منطقة إمارة المدينة المنورة .

أُم ذِيْب ــ بكسر الذال على اسم الحيوان المعروف ــ : من قرى سامطة ، في منطقة جازان .

---

(١) جمع دغبوس : ثمر شجر يؤكل في تلك الجهة .

أم ذيل : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم راحة : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم راس : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أمُّ الرَّاك – بتشديد الراء بعدها ألف فكاف وهو الأراك الشجر المعروف – : من قرى مكة المكرمة .

أمُّ الراكة – واحدة الرَّاك وهو الأراك الشجر المعروف – : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ راكة – واحدة الراك[1] (الأراك) ماء في وادٍ بهذا الاسم ، بمنطقة القويعية من إمارة الرياض .

أم راكة – أيضاً – : ماء للعصمة في جبل الزيدي ، بمنطقة الخاصرة ، من إمارة الرياض .

أم راكة (؟) : من قرى العلا ، في إمارة المدينة .

أم الربية (؟) : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ ربيعة : قرية لقبيلة العجمان ، بأقرب عير دار ، في المنطقة الشرقية .

أم رجراج : من قرى العرضية الشمالية ، بمنطقة إمارة ماكة المكرمة .

أم رجع : من قرى البِرْك ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمْ رجمة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم رجمة : من قرى بني الأحمر والأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم رحول : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم رخة : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أمّ الرَّخَم – جمع رَخْمَة – : من مياه العصمة في جبل صبحا (يذبل قديماً) بمنطقة القويعية من إمارة الرياض .

أم ردهة : من قرى بني مالك في منطقة جازان .

---

(١) سميت لوجود شجرة راك (اراك) بهذا الوادي .

أم رديف : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أُمُّ رُسُوْم – بضم الراء والسين المهملة ، بعدها واو فميم – : من قرى القُرَيّات في منطقة النبك .

أم رشاد : من هجر الوهوب من حرب ، بمنطقة حايل .

أم رصفة : من قرى الحرَّث ، بمنطقة جازان .

أُمُّ رضمة – ينطقونه بإسكان الراء وضم الضاد المعجمة وفتح الميم وآخره هاء والصواب فتح الراء والضاد : – من قرى منطقة عَرْعَر .

أم رَضَمة : من موارد شمّر بمنطقة حايل .

أُمُّ رِغْلَة – بكسر الراء وإسكان الغين المعجمة ، بعدها لام وآخره هاء واحدة الرّغل النبات المعروف – : من قرى السِّر ، من إمارة الدوادمي ، بمنطقة إمارة الرياض .

أم رَغيف : من قرى الفقهاء ، في وادي القَيْم ، في إمارة الطائف .

أُمُّ الرِّفاف – بكسر الراء بعدها فاء مفتوحة فألف ففاء – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم ، من هجر المضابرة من بني رشيد في أبان الأحمر .

أم رقاتين (؟) : من هجر الحسين من عبدة من شمر ، بمنطقة حايل .

أم رقبة : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

أم ركبة : من القرى (؟) بمنطقة جازان .

أم ركس : من قرى رجال ألمع ، سكانها بنو المسهر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الرنف : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ الرَّوَايَا – بفتح الراء وتشديدها بعدها واو مفتوحة فألف ، فياء مثناة تحتية مفتوحة فألف – : قرية على وادي امْغيالة ، في منطقة جازان .

أم الروايع : من قرى وقدان من بني سعد ، في وادي نخب من إمارة الطائف .

أم روح : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم رود (الحدبة) : من قرى المجاورة في إمارة بلاد عسير ، وتدعى الحدبة – أيضاً –

أُمُّ رَوْشَن – بفتح الراء وإسكان الواو وفتح الشين المعجمة – : من قرى منطقة إمارة حايل ، سكانها المهيمزات من بني رشيد .

أم روغين : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم رهوة : اسم يطلق على قريتين من قرى قنا والبحر في إمارة بلاد عسير ، إحداهما : أم رهوة (شام) والأخرى : أم رهوة نابهة .

أم رهوة – أيضاً – : من قرى بني الأحمر والأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم رهوة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير ولعلها التي قبلها[1] .

أم رهوة : قرية لبني مسهر في رجال ألمع بمنطقة إمارة عسير .

أُمُّ الرَّيْحَان : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم الرِّيشة : من قرى الشاقّة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ رَيْل – بفتح الراء وإسكان الياء المثناة التحتية وآخره لام – : من قرى بريدة ، بمنطقة القصيم .

أُمُّ رِيْم – بكسر الراء وإسكان الياء المثناة التحتية ، وآخره ميم – : من قرى العلا ، في منطقة المدينة المنورة .

أُمُّ الرَّيْن – بفتح الراء وإسكان الياء بعدها نون[2] – : قرية في جهة السَّلْب ، في منطقة جازان .

أم الزاب : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أم زام : قرية لآل عباس ، في نجران .

أم زحيّر : من قرى العارضة ، من منطقة جازان .

أُمُّ الزرْب : من قرى الطائف .

أُمُّ زَرْب – بالزاي بعدها راء ساكنة ، فباء موحدة – : من قرى العُلا ، في منطقة المدينة .

---

(١) قرى المجاردة وقنا والبحر ورجال ألمع متداخلة مختلطة فكل أمير جهة قد يضيف إلى جهته ما قد يضيفه غيره .

(٢) الرين شجر معروف في تلك الجهة .

أم زرب : (أنظر حرف) في حرف الحاء .

أم زربة : من قرى العرضية الجنوبية ، بمنطقة إمارة مكة .

أم زريبة : من قرى بني الأحمر والأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم زريريه (؟) : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم زملج : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمّ زُمُوع – بضم الزاي والعامة تسكها والميم بعدها واو نعين مهملة – من قرى الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض وهي من هجر الحمّادين من الدلابحة من الروقة من عتيبة .

أم الزَّهر : من قرى يام ، في نجران .

أُمّ زَهَر – بالزاي والهاء المفتوحتين وآخره راء – : من قرى بُريدة ، بمنطقة القصيم .

أم زيان : من قرى المدينة المنورة .

أم سادة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُمّ السّاهِك – بفتح السين بعدها ألف ، فهاء مكسورة ، فكاف – : من قُرى القطيف ، هي مدينة ، في المنطقة الشرقية .

أم السباع : من قرى الصفيان في وادي كلاخ ، من إمارة الطائف .

أم سباق : من قرى بني سفيان ، بمنطقة جازان .

أم سبالة : من قرى الحرَّث ، في منطقة جازان .

أم سميع : من قرى ذوي ملبس من الأشراف ، في وادي نخب ، من إمارة الطائف .

أم سحر : (أنظر قرن أم سحر) في حرف القاف .

أم سد : قرية في ذرا من وادي البِرْك ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم سد : (أنظر ذنب أم سد) حرف الذال .

أم سدرة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ سُدَيْرَة – بضم السين بعدها دال مفتوحة فياء ساكنة فراء فهاء تصغير سدرة – : من قرى قحطان في الرين بمنطقة القويعية ، في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ سُدَيْرَة – تصغير سِدْرة – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم .

أُمُّ سَرْو : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

أُمُّ سرواع : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ سُرَيْحَةَ – بضم السين وفتح الراء فياء مثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة فهاء تصغير سَرْحة – : من قرى العصمة بمنطقة القويعية ، في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ سُريحة – أيضاً – : ماء في جبل صماخ لقحطان قرب الرين ، بمنطقة القويعية من إمارة الرياض .

أم سُريحة – أيضاً – ماء للدواسر في حزم الدواسر في إمارة وادي الدواسر من إمارة الرياض .

أُمُّ سُرَيْحَة – أيضاً – : من قرى الزَّيمة في إمارة منطقة مكة .

أم السريع : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم سعادية : من قرى بني قيس ، بمنطقة جازان .

أُمُّ سَعْد : قرية على وادي شهدان ، من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أُمُّ السُّعُود : من قرى الكرايعة من آل موسى من بني الحارث ، في وادي ضراء ، من منطقة ميسان في إمارة الطائف .

أُمُّ السَّلَم – باسم الشجر المعروف بفتح السين وَاللام – : من قرى مكة في الطريق بينها وبين جدة .

أُمُّ السَّلَم – أيضاً – : من قرى حَلِي ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ السلم – أيضاً – : من قرى القنفذة في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ السَّلَم – أيضاً – : عن قرى الشاقّة اليمانية من إمارة منطقة مكة .

أُم السَّلَم – أيضاً – : من قرى الزيمة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ سَلَم – بفتح السين واللام وآخره ميم – : من هجر الغربية في السّر ، بمنطقة إمارة الدوادمي من إمارة الرياض .

أُم سَلَمَة ــ واحدة السلم الشجر المعروف ــ : قرية في القويعية ، بمنطقة إمارة الرياض .

أُمُّ السليم : من قرى حلي ، بمنطقة إمارة مكة .

أُمُّ سُلَيم : من موارد الرحامين من مطير والقساسمة من عتيبة ، بمنطقة عفيف في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ السَّمرْ ــ بفتح السين المهملة وإسكان الميم وآخره راء على اسم الشجر المعروف ــ : من قرى الحناكيّة ، في منطقة المدينة المنورة .

أمْ سمر : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم سن : من قرى حرب وعبس ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُم السَّوَادَة ــ بفتح السين المهملة بعدها واو فدال مهملة مفتوحتان ، فهاء ــ : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أمْ سَوْدَاء : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم سوراء (؟) : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم سوق : من قرى بني الأحمر والأسمر في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ السِّهِيْ ــ بكسر السين المهملة والهاء وآخره ياء مثناة تحتية ــ : قرية على عدوة وادي خمران الشمالية ، بمنطقة جازان .

أم السيبان : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم سيلة : من قرى بلغازي ، بمنطقة جازان .

أم شارة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أمْشانق (الشانق) أنظر (قرية) حرف القاف .

أم شباب : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

أم الشباقة : من قرى صبيا ، من منطقة جازان .

أُمُّ الشِّبْرِق ــ بكسر الشين المعجمة وإسكان الباء الموحدة بعدها راء مكسورة فقاف[1] ــ : قرية من أعمال سامطة ، في منطقة جازان .

---

(١) الشبرق : شجر معروف في تلك الجهة .

أُمُّ الشَّرَافي[1] ــ بفتح الشين المعجمة بعدها راء مفتوحة فألف ، ففاء مكسورة فياء مثناة تحتية ــ : قرية شرقي بلدة الشُّقيق ، بمنطقة جازان .

أُمُّ الشُّبْرُم ــ على اسم النبات المعروف ــ : من قرى قحطان بمنطقة الرين ، من إمارة القويعية ، من إمارة الرياض .

أم الشرب : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .

أم شرب : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم شرح : من قرى بلغازي بمنطقة جازان .

أم شرق : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم شرفة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم شط : قرية من قرى محايل ، لبني ثوعة ، في منطقة إمارة عسير .

أم شطان : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الشُّطُنِ ــ بضم الشين المعجمة والطاء المهملة وآخره نون ــ : من قرى قحطان للعاطف منهم في إقليم القويعية ، من إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ الشَّطُن ــ بضم الشين المعجمة والطاء المهملة وقد يكسران وآخره نون ــ : من قرى السهول بقرب البرَّة من إمارة ثادق ، بمنطقة إمارة الرياض .

أُمُّ الشُّطُن ــ أيضاً ــ : من مياه بني عبدالله من مطير بمنطقة حسو عليا بمنطقة إمارة المدينة .

أم شطين : من قرى بني الأحمر والأسمر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم شعاب : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم الشعبة : من قرى محايل ، سكانها آل مشول ، في منطقة إمارة عسير .

أم شعبة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم شعبة[2] : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

---

(١) جمع شرفي ــ بضم الشين ــ وهو الأرنب في تلك الجهة .

(٢) لعل الثلاثة الأسماء التي تقدمت يقصد بها قرية واحدة تضاف إلى محايل وإلى قناو البحر وإلى رجال ألمع للتقارب بين تلك الجهات الثلاث .

أم شعران : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم شعرة (؟) : من قرى العرضية اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمْ شعْنُون (الشّعنون) : قرية قرب وادي سيال ، في منطقة جازان .

أمُّ الشعير : من قرى المظيلف ، في إمارة منطقة مكة .

أمُّ الشّفلّح — بفتح الشين المعجمة بعدها فاء ولام مفتوحتان وآخره حاء مهملة على اسم النبات المعروف ، واحدته شفلحة — : قرية سكانها من قبيلة مُطير ، بقرب قَرْية ، في المنطقة الشرقية .

أم شقراء : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم شققة : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أم شكاعة[1] — بضم الشين المعجمة وفتح الكاف بعدها ألف فعين مهملة مفتوحة فهاء — والشكاعَى نوع من النبات — : من هجر المشاريق ، من بني عبدالله من مطير ، مطير ، بمنطقة الحسو حسو عليا — من إمارة المدينة المنورة .

أمُّ الشّلاهِيب : آبار زراعية في واد بهذا الاسم ، بمنطقة القويعية ، في إمارة الرياض .

أم شلوة — وبعضهم ينطقها شَلْوَى بالألف بدل الهاء — : من قرى العرْضيّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة .

آل أم شلوى : في رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

أم شماع : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم الشوال : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم شْوَالة — تنطق بإسكان الشين المعجمة والصواب ضمها وفتح الواو — : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أمُّ الشوك : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ الشوك : من قرى غميقة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) لعل الصواب شكاعى — بالألف المقصورة — .

أم الشوك : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أُمُّ الشَّوْك – أيضاً – : من قرى الشُّقيق ، في منطقة جازان .
أم شوك : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم شهب : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .
أم شهرة : من قرى بلغازي ، في منطقة جازان .
آل أم شيبان : من بلاد بالأسمر والأحمر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .
أُمُّ الشِّيْح – وتنطق هناك أم امْشيح – والشيح النبات المعروف – : قرية من قرى سامطة ، في منطقة جازان .
أم شيح : (أنظر عرف أم شيح) حرف العين .
أم شيحة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .
أم صالة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .
أم صبح : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم صَدرة : من قرى رجال ألمع ، سكانها بني شديدة في إمارة بلاد عسير .
أمُّ صَدْعَيْن : من قرى ذوي ناصر من الأشراف في وادي القيم ، من إمارة الطائف .
أم الصرحة : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم صعدان : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .
أُمُّ الصُّفّار – بضم الصاد وفتح الفاء مشددة بعدها ألف فراء نوع من النبات – : قصر زراعي بمنطقة الرين ، في إمارة القويعية ، من إمارة منطقة الرياض .
أُمُّ الصَّفْحَة : قرية على الضفة الجنوبية لوادي وِسَاع ، في منطقة جازان .
أم صفحة : من قرى العرضية الجنوبية ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .
أم صفقة : من قرى المرصد في وادي البِرْك ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم الصلب : من قرى حلي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم الصلصلة : من قرى حلي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم صلقة : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أم صلية : من قرى الموسّم ، في منطقة جازان .

أم صمدة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمّ صَوْح – بفتح الصاد المهملة وإسكان الواو وآخره حاء مهملة – من قرى بلغازي ، بمنطقة جازان .

أم الضان : من قرى القوز ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ ضِبَاع – بكسر الضاد المعجمة ، بعدها ياء موحدة فألف فعين معجمة جمع ضبع الحيوان المعروف – : من قرى الفرع ، في منطقة المدينة .

أُمُّ ضِبَاع – أيضاً – : من قرى وادي تثْليث ، في إمارة بلاد عسير .

أم ضرب : من قرى قنا والبحر ، في إمارة عسير .

أم ضروبة : من قرى العرضية اليمانية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ الضِّيْرَان – بكسر الضاد المعجمة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء مفتوحة فألف فنون – : من قرى الزيمة ، سكانها المطارفة من هذيل في إمارة مكة المكرمة .

أم الضِّيّان – بكسر الضاد المعجمة وفتح الياء مشددة – : من مناهل الدهامشة في منطقة إمارة عرعر (الحدود الشمالية) .

أُمُّ طاقية : من موارد الجعافرة من عنزة بقرب الشملي بمنطقة حايل .

أم طائف : من قرى العرضية الجنوبية ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ الطُّحَال – بضم الطاء المهملة بعدها حاء مهملة مفتوحة فألف فلام – : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أُمُّ طخر : من القرى التابعة لقرية الزيمة سكانها المطارفة من هذيل ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم طرف : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

أم طرف : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد غسير .

أم طرف وفرشاط : من قرى بني الأحمر والأسمر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم طرفة : من قرى محايل ، سكانها آل مشول ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم طرق : من قرى بلغازي ، من منطقة جازان .

أمْ طَرِق – بفتح الطاء المهملة وكسر الراء – من قرى آل خريم من بالعذبة في بلاد بني الأسمر ، من إمارة بلاد عسير .

أم طف : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أُمُّ طَلْحة – بفتح الطاء وإسكان اللام وفتح الحاء المهملة وآخره هاء – : من من قرى الدوادمي في إمارة منطقة الرياض .

أُمُّ طُلَيْحَةَ – تصغير طلحة الشجرة المعروفة – : من قرى الخمسان من الدلابحة من الروقة بمنطقة الجمش ، من إمارة الدوادمي ، في إمارة الرياض .

أُمُّ طُلَيْحة – تصغير طلحة – : من قرى بُريدة وهي من هجر العُضَيلات (واحدهم عُضَيْلَة[1] من مطير .

أُمْ طوارف : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم طوال : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم طوفة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم طويل : (أنظر حدبة أم طويل) حرف الحاء .

أم طويلة : من قرى وادي البرك ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم طهف : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أُمُّ طُهَيْبِل – بضم الطاء وفتح الهاء بعدها ياء مثناة فباء موحدة فلام – وهم يسكنون الطاء ولهذا تكتب خطأ (اطهيبل) من قرى العصمة في وادي شِرْب ، من إمارة الطائف .

آل أم طير : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

أُمُّ الطُّيُور : قرية سكانها آل محمد في وادي عتود ، بمنطقة جازان .

أم الطيور – أيضاً – : قرية سكانها آل عباس في نجران .

أم ظاهر : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم ظبية : من قرى غميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) يقولون : فلان العضيلة – لاالعضيلي – (؟) .

أُمُّ ظلال : من القرى التابعة لبلدة الزَّيمة ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم الظليل : من قرى الزَّيمة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم ظهران : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم ظهرة : من قرى بني الأحمر والأسمر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ ظُهَيْرة – تصغير ظَهْرة – : من قرى بُريدة ، بمنطقة القَصيم .

أم عاتق : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم العاقد : من قرى وقدان من بني سعد ، في وادي نخب ، من إمارة الطائف .

أُمُّ العُبَب – بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة الأولى : – من قرى الحكاميَة ، من أعمال المضايا ، في منطقة جازان .

أم العبلا : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم العبلاوين : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم عتمة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ عَثاكِل – بفتح العين المهملة والثاء المثلثة بعدها ألف فكاف مكسورة فلام – من قرى الروسان من عتيبة بقرب مُصِدَّة في إمارة الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض .

أم عثنات : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أم العجا : من قرى سامطة ، في منطقة جازان .

أم عجير : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أمْ عدن : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم عدن : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أُمُّ عدوة : من قرى الأحساء ، في المنطقة الشرقية .

أم غدير : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ العراد – بفتح العين المهملة ، بعدها راء مفتوحة وآخره دال مهملة والعراد شجر معروف – : من قرى المهد ، في منطقة المدينة المنورة .

أُمّ العراد – أيضاً – من هجر البشارية (واحدهم بشري) من مزينة من حرب ، في منطقة القصيم .

أم العراعر : من قرى ثمالة ، في إمارة الطائف .

أم العُرْش – بضم العين المهملة بعدها راء ساكنة فشين معجمة : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أم عرق : من قرى رجال ألمع ، سكانها بنو زيد ، في منطقة إمارة عسير .

أم عزمة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم عسف : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم عسف : من قرى بني الأحمر والأسمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم عسلايا : (أنظر واسطة آل خليف) حرف الواو .

أم العشار : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أم عُشَر – بضم العين وفتح الشين المعجمة ، ثم راء على اسم النبات المعروف – : النبات المعروف – : من هجر مطير ، بقرب الحفر ، في المنطقة الشرقية .

أم عُشَر – أيضاً – : هجرة لقبيلة مطير ، في سُدير بمنطقة إمارة الرياض .

أم عشور : من قرى ضمد ، بمنطقة جازان .

أم عشة : قرية لبني شديدة من رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم عشة المهدي : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم عصاب : من قرى العِرْضيّة الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم العصافير : (أنظر الحمادة) حرف الحاء .

أم عصيدة : من قرى المجاردة بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمْ عطوف : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم العظام – بكسر العين المهملة ، جمع عظم – : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم العظام – أيضاً – : من قرى الطوال ، في منطقة جازان .

أم العظام – أيضاً – : من قرى يام في نجران .

أم عظام : قرية لبني ذبيان ، في إضم ، من أودية الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة.

أم عِظَام : من قرى الزيمة ، بمنطقة إمارة مكة .

أُمُّ عُفَار – بضم العين المهملة وفتح الفاء بعدها الف فراء – : من قرى جبل الربوعة ، في منطقة جازان .

أُمُّ العقارب : من قرى بني ذبيان في إضم ، من أودية الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ عقبة : من قرى العِرضيّة الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم عقلا : (أنظر مَعْقلة) حرف الميم .

أم عقم : من قرى الحرَّث ، بمنطقة جازان .

أم العكاش : من قرى الحرَّث ، في منطقة جازان .

أم العلاوقة (العلاوق) : من قرى الشاقة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم علايا : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .

أم علايا : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أم علي : من قرى عبدالله من بالحارث ، بمنطقة الحدب ، في إمارة الطائف .

أم علية : من قرى المجاردة ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم عمارة : من موارد عَبْدة ، في الحدود الشمالية .

أم عمر : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

أُمُّ عَمْرو – بفتح العين وإسكان الميم – : من قرى زهران ، بمنطقة الباحة .

أُمُّ العُنُق – بضم العين المهملة والنون ، وآخره قاف – : قرية شمال سَدَّ وادي جازان ، بمنطقة جازان .

أُمُّ عَنَمٍ – بفتح العين والنون وآخره ميم – : وادٍ جنوب حقل على مسافة سبعة أكيال منه ، يصب في البحر ، وهو من منتزهات تلك الجهة وفي مصبّه ميناء يستعمله صيادو السمك .

أُمُّ عواقيل : هجرة لقبيلة مطير ، بقرب الحفر – حفر الباطن – في المنطقة الشرقية .

أم عودة : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أُمُّ العِيَال – بكسر العين المهملة بعدها ياء مثناة تحتية فألف فلام – : من قرى الفُرْع ، بمنطقة المدينة المنورة ، سكانها البلاديّة من بني عمرو من حرب .

أُمُّ العيب : من قرى القوز ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أُمُّ العِيْدان – بكسر العين جمع عُود – : من قرى الحماميش ، في إمارة الطائف .

آل أم غابر : في رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم غارب : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أم الغبية : من قرى الشاقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم غرة : (أنظر صعبان أم غرة) حرف الصاد .

أم غرة : (أنظر مشرف أم غرة) حرف الميم .

أُمُّ غِزْلاَن – على اسم جمع الغزال المعروف – : من قرى الطائف .

أم غلق : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أم غليل : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمْ غمرة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الغِيْران – جمع غار – : من قرى نجران .

أم غيران : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة عسير .

أم غيل : من قرى بني سالم من ثقيف ، في إمارة الطائف .

أم فاتح : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم فارعة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم فج : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم فجرة : من قرى بني الأحمر والأسمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ فراس : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

أم فرحة : من قرى فيفا في منطقة جازان .

أم فرضة : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .

أم فرعة : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الفُرُوْغ ــ من قرى المشاعبة والمفالحة من سبيع ، بمنطقة رَنْية ، في إمارة مكة المكرمة .

أم فرق : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أم فصة : من قرى الحُرَّث ، في منطقة جازان .

أم قابع : من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أم قابل : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَمْ قابل[1] : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

ذات أم قاعة : من قرى فيفا ، بمنطقة جازان .

أم القايم : من قرى عتود ، في منطقة جازان .

أَمْ قَبَل ــ بفتح القاف والباء وآخره لام ــ : من قرى المصاغرة في الريث من منطقة جازان .

أم القبور : من قرى الحرَّث ، في منطقة جازان .

أم قبيس : من قرى النماص ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَمّ القِحَفَة ــ بكسر القاف بعدها حاء مهملة مفتوحة ففاء مفتوحة فهاء[2] ــ : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أم القِحَفَة ــ أيضاً ــ : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أم قرابة (؟) : من قرى قنا والبحر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم قربات : من قرى بني الأحمر والأسمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم قرشة : من قرى المرصد في وادي البرك ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أُمُّ القِرْضِي ــ بكسر القاف وإسكان الراء بعدها ضاد معجمة مكسورة فياء وهو أسم شجر معروف ــ : هجرة في القويعية ، في منطقة إمارة الرياض .

---

(١) قد تكون التي قبلها .

(٢) جمع قحف وهي من آنية الفخار .

أم قرقع : من قرى المسارحة ، في منطقة جازان .

أم القروش : من قرى سامطة ، في منطقة جازان .

أم قُرُون – جمع قَرْن – : من قرى المويه ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أمُّ القرى : من قرى دوقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم قرى : قرية في العرضية الجنوبية ، في منطقة إلارة مكة المكرمة .

أم قرين : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمّ قَزَعَة : من قرى بلغازي ، في منطقة جازان .

أم القشاع : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم القصب[1] : من قرى عِتْود ، في منطقة جازان .

آل أم قصبة : في بلاد بني الأسمر والأحمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمُّ القصور – جمع قصر – : من قرى الغريف في الخرمة ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم القصيب : من قرى صبيا ، في منطقة جازان

أمُّ القضا : من قرى القوز ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم القضاة : من قرى القوز – أيضاً – .

أمُّ القَضَب – بفتح القاف والضاد المعجمة وآخره باء موحدة[2] – : قرية من قرى الحُرَّث ، بمنطقة جازان .

أمُّ القَضَبِ – أيضاً – : اسم قريتين من قرى صبيا ، من منطقة جازان ، ويفرق بينهما فيقال : أم القضب الشامية ، وأم القضب اليمانية .

أمُّ القَطَا – بفتح القاف والطاء على اسم الطائر المعروف – : من قرى القويعية في منطقة الرين ، إمارة منطقة الرياض .

أم قطا : من قرى بني الأحمر والأسمر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم قطا : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

---

(١) لعلها (أم القضب) ففي عتود قرية بهذا الأسم .

(٢) القضب – بفتح الضاد – : شجر معروف في تلك الجهة .

أم قطب : من قرى الطوال ، في منطقة جازان .

أم قعاد : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

أُمُّ القَعَامِيْص : قرية في منطقة جازان .

أم قفيل : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير ، والاسم يطلق على قريتين ، العليا والسفلى .

أم قلب : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ القُلْبَان[1] ــ بضم القاف بعدها لام ساكنة فباء موحدة مفتوحة فألف فنون ــ : من قرى منطقة حايل ، فيها مركز ، وسكانها الرمال من سنجارة من شمّر .

أم قلة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ قُلَيْب ــ تصغير قلب[2] ــ : من قرى مطير ، في الشمال الغربي من اللصافة بعيدة عنها ، في المنطقة الشرقية .

أَمْ قليبا : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أم الْقَمَارِي ــ جمع قمري وهو الحمام المعروف ــ : من قرى الشاقة اليمانية ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم قمرة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الْقِمْع : من قرى الحُرَّث ، في وادي دهوان ، بمنطقة جنازان .

أمّ قويد : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَمْ قَهْبَا ــ القهبا ــ : اسم قريتين من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير وللتفريق بينهما تضاف إحداهما إلى آل سالم فيقال (أَمْ قهبا آل سالم) .

أم قَهَبَة : من قرى العرضية الجنوبية ، في منطقة إمارة مكة .

أم القيبه (؟) : من قرى الشاقة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة .

أم كبيرة : من قرى المظيلف ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) القلبان : جمع قليب وهي البير .

(٢) وهو جبيل صغير كانت روضة تدعى أم قليب لوجود جبيل في وسطها ، ثم أصبحت قرية بعد حفر بئرها .

أم كدرة : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُمُّ الكراوين – جمع كروان – : من مياه بني عبدالله من مطير ، بقرب ثرب ، في منطقة إمارة المدينة المنورة .

أم كرس : من قرى ضمد ، في منطقة جازان .

أُمُّ الكُرُوش – كأنه جمع كرش – : من القرى التابعة لقرية الكامل ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

أم كعامة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم كلاه : قرية لبني عامر[1] ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم كليني : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم كنيل : من قرى الطوال ، في منطقة جازان .

أم كولة : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم كيلة : من قرى قنا والبحر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم لاصفة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أَمُّ لال – لام مفتوحة فألف فلام – : من قرى الطائف .

أُمُّ لُجّ – بضم اللام وتشديد الجيم ، وبعضهم يكتب الأسم (أملج) خطأ – : بلدة على ساحل البحر من أشهر الموانىء بين ينبع والوجه ، فيها إمارة تابعة لإمارة تبوك ويتبعها قرى ومناهل للبادية .

أم لج – أيضاً – : قرية لآل مفرح ، في هروب من منطقة جازان .

أم لجفي : من قرى بلغازي في منطقة جازان .

أم لحم : من قرى إضم ، سكانها المعالية ، من أودية الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

أم اللحيين (؟) : من قرى المهد ، في منطقة المدينة .

أم لخفة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

---

(١) كذا في أحد المصادر الرسمية .

أم اللخيس : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم لعثة : من قرى بني مالك ، في منطقة جازان .
أم لوان : قرية لبني ظالم من رجال ألمع ، في منطقة إمارة عسير .
أم ليط : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم الليل : من قرى الشاقّة اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم ليمة ، شناكة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مبنى : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مبنى : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم محارب : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .
أم المحاند : قرية لآل عزيزة في إضم ، من أودية الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم محضر : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مخرق : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .
أم مخلوبة : من قرى قنا والبحر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .
أم مذار : هجرة في منطقة جازان[1] .
أُمُّ مَرْخٍ — بفتح الميم وإسكان الراء فخاء معجمة ، النبات المعروف : — في نخيلان القرية المعروفة في القويعية ، من إمارة منطقة الرياض ، وهو قصر زراعي .
أُمُّ مَرْخ — أيضاً — : من مياه قحطان في هضبة البجادة ، بمنطقة القويعية أيضاً .
أُم مَرْخ — أيضاً — : في جبال العُريف من مياه قحطان ، بمنطقة إمارة القويعية .
أم مرماء : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .
أم المروة : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مروة : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلا د عسير .

---

(١) كذا في البيان .

أم مزرية : من قرى العِرْضية اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مسحن : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أمُّ المسلح : من قرى الزيمة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مشرق : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مشغرة : من قرى العرضية اليمانية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مصبعة : من قرى قنا والبحر التابعة لإمارة بلاد عسير .
أم مصلة : من قرى قنا والبحر بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مطحنة : من قرى العرضيّة الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مطعن : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم معان : من قرى المجاردة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم معترضة : من قرى قنا والبحر بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أمُّ المُعَيْدِن — تصغير المعْدِن — : من قرى بني سعد ، في إمارة الطائف .
أم مغفو : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .
أم مفاليح : هجرة لقبيلة الجوابرة ، في منطقة جازان .
أم الملاحي : من قرى الجائزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم ملحة : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم مليدي : من قرى يام في نجران .
أم مناحي : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أم منظر : من قرى بني الأحمر والأسمر بمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم منكوى (؟) : من قرى قنا والبحر التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم مهيرة : هجرة في منطقة جازان[1] .
أم ميصرة : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم النار : من قرى أبي عَريش ، في منطقة جازان .

---

(١) كذا في البيان .

أمُّ النّاس : من قرى يام ، في نجران .

أمُّ النّاس ـ أيضاً ـ : ماء في حزم الدواسر لهم ، في إمارة وادي الدواسر ، من إمارة منطقة الرياض .

أم نافقة : (أنظر شط ام نافقة) حرف الشين .

أم ناهر : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمُّ نَثَايل ـ بفتح النون والثاء المثلثة بعدها ألف فياء مثناة مكسورة فلام[1] ـ : من هجر مطير لميمون منهم[2] تقع شمال الحَيْرَاء ـ بنحو ١٥ كيلاً في المنطقة الشرقية .

أمُّ النُّحُوْس : قرية من قرى وادي عِتْود ، في منطقة جازان .

أم النخل : من قرى بني سفيان ، بمنطقة جازان .

أمُّ النَّخْلَة ـ واحدة النخل ـ : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف .

أمُّ نَخْلة : قرية بمنطقة الرين من قرى قحطان بمنطقة القويعية ، بمنطقة إمارة الرياض .

أم نخلة : من موارد عتيبة ، بمنطقة الطائف .

أم النصايب : من قرى صبيا ، من منطقة جازان .

أم نصيب : واد في بلاد بالأسمر والأحمر ، في منطقة إمارة بلاد عسير ، فيه قرية تدعى أم نصيب .

أم نصب : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أم نصبا : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أمُّ نَصْلَة ـ بفتح النون وإسكان الصاد وفتح باللام بعدها هاء ـ : من قرى مُطير ، شرق قرية الجرَّارة ، بجوارها ، في المنطقة الشرقية[3] .

أم النصي : من قرى الأحساء ، في المنطقة الشرقية .

---

(١) جمع نثيلة : التراب الذي يخرج من البئر عند حفرها ، وكانت روضة فيها آثار آبار قديمة .

(٢) شيخهم ابن شرار .

(٣) أميرها جزاع بن عاني السور . النصلة : حصاة بارزة في البئر فسميت بها .

أم نقايض : من قرى قنا والبحر التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم نفه : من قرى العرضية الجنوبية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .
أم نقع : من قرى العارضة ، في منطقة جازان .
أُمُّ النُّور : من قرى القوز ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أُمُّ النُّور – أيضاً – : قرية شمال قرية المشعشعية في منطقة جازان .
أم واطية : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .
أم وباء : من قرى البِرْك ، من إمارة منطقة مكة المكرمة .
أُمُّ ودان[1] (؟) : من قرى المظيلف ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .
أُمُّ الوراك : من قرى نجران .
أم ورقة : من قرى بلغاري ، في منطقة جازان .
أُمُّ الوُرُود – جمع وَرْدٍ – : هذا هو الأسم الحديث الذي أطلق على قرية أم الدُّود الواقعة بقرب مكة المكرمة ، في أول الطريق منها إلى جدة .
أُمُّ وشام : مورد لبني سلول بقرب بيشة في منطقة إمارة بلاد عسير .
أم وضب : من قرى قنا والبحر ، التابعة لمنطقة إمارة بلاد عسير .
أُمُّ الوكور : من قرى الطائف .
أُمُّ هروج : من موارد الأسلم من شمّر بمنطقة إمارة حايل بقرب فيد .
أُمُّ هَشِيْم – بفتح الهاء وكسر الشين المعجمة ، بعدها ياء مثناة تحتية فميم – : من قرى منطقة حايل ، وسكانها المهيمزات من بني رشيد .
أم الهضاب : من قرى زليفة من هذيل ، بمنطقة الهدة ، في إمارة الطائف .
أمْ هَضْبة : من قرى صبيا ، من منطقة جازان .
أُمُّ هُضَيِّد : بضم الهاء وفتح الضاد المعجمة بعدها ياء وآخره دال مهملة ، والهضيد نبات معروف – : من قرى قحطان بمنطقة القويعية ، في منطقة إمارة الرياض .

---

(١) ودان : أذان إذ العامة يبدلون الألف واواً والذال دالا .

أُمُّ الهند : من قرى الطائف .

أُمُّ الهَوْشات ــ جمع هوشة ــ بفتح الهاء وإسكان الواو وفتح الشين المعجمة بعدها ألف فتاء ــ : من هجر مُطير في الجنوب الغربي من قرية العليا بنحو ٧٠ كيلاً ، في المنطقة الشرقية[١] .

أمُّ الهوشات : مورد لبني هاجر ، بقرب النعيرية ، في المنطقة الشرقية .

أمُّ هِيش ــ جمع هِيْشَة والعامة يبدلون الهاء حاء (حيش) ــ : من مياه قحطان في حصاة آل حُويل منهم ، بمنطقة القويعية من إمارة منطقة الرياض .

أم هيلة : من قرى بني سهم ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

أم يحابشة : من قرى قنا والبحر بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأمَارُ[٢] ــ بفتح الألف والميم بعدها ألف فراء ــ : من قرى القويعية بمنطقة الرياض ، وسكانها من قحطان .

أمباك (أنظر النّباك) حرف النون .

أمثل : من قرى المجاردة ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

أمجة : هجرة في بلاد الريث ، من منطقة جازان .

الأمَرَة ــ بفتح الألف والميم والراء وآخره هاء ــ : من قرى زهران في تهامة ، تابعة لمنطقة الباحة .

الأمسودية : (أنظر السودية) حرف السين .

الأمِشّةُ ــ جمع مشاش بكسر الميم وفتح الشين المعجمة بعدها ألف فشين حفائر قليلة الماء تدعى مشاش أُبيط ومشاش العَوْد ، ومشاش القراوعة ومشاش الشبكة . ــ : وهاؤلاء فخذ من عنزة ، والأمِشّةُ تتنازعها الشرارات وعنزة ، وقد أصبحت (حكوميّة) حَسْماً للنزاع بين القبيلتين ، وهي في منطقة إمارة الجوف .

---

(١) صاحبها ابن مشل الدويش .

(٢) لعل أصل الكلمة (العمار) .

أَمْط – بفتح الألف وإسكان الميم ، وآخره طاء مهملة – : من قرى الطائف ، في وادٍ معروف بهذا الاسم وهو في بلاد بني حجة من ثقيف في منطقة الشفا .

الأَمْغَرُ – بفتح الألف وإسكان الميم فغين معجمة مفتوحة ، فراء من المغْرة وهي الطين الأحمر – : ويطلق هذا الاسم على عدد من المناهل (الموارد) منها : الأمغر ، في سدير ، بمنطقة الرياض ، والأمغر من موارد عنزة في الحدود الشمالية .

الأَمْقَصُ : من قرى العرضيّة الشمالية ، في أمارة منطقة مكة المكرمة .

الأملاح : قرية لآل المنتشر ، في القنفذة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الأَمْلَحُ – بفتح الهمزة وإسكان الميم بعدها لام مفتوحة فحاء مهملة – : من قرى رَنْيَة ، فيه مركز يتبعه قرى وموارد وهو في إمارة مكة المكرمة .

وهو من قرى الصنادلة والمفالحة والمشاعبة والمكاحلة وكلهم من سبيع .

الأَمْوَاهُ – بفتح الهمزة وإسكان الميم وفتح الواو بعدها الف فهاء – : من بلاد قحطان (في تثليث) في منطقة إمارة بلاد عسير .

أمْها : من قرى يام ، في نجران .

أُمّهَات الذِّيابة : مزارع بقرب بريدة بمنطقة القصيم .

أمهات ميفا : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَمِيْرَةُ : قرية للدبسة بقرب العِيص ، في جهة ينبع في منطقة إمارة المدينة المنورة .

الأُمَيْه – بضم الألف وفتح الميم المشددة ، بعدها ياء ساكنة وآخره هاء وهو المُوَيه تصغير ماء – : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم .

أُمَيِّةُ جاري – بضم الألف وكسر الميم المشددة فتاء التأنيث ثم جيم مفتوحة بعدها ألف فراء مكسورة فياء مثناة تحتية – : من قرى الزلفي ، في منطقة إمارة الرياض .

أُمَيِّةُ الذِّيْب – بضم الهمزة وكسر الميم المشددة بعدها ياء تحتية مثناة مفتوحة مشددة ، فهاء مضافة إلى الذِّيب الحيوان المعروف – : من قرى الزُّلفي ، في منطقة الرياض .

إنّاء – بكسر الألف وفتح النون بعدها ألف محدودة – : وبعض العامة يشبع الكسرة فيقول (إيناء) خطأ : من قرى العلا ، بمنطقة المدينة المنورة .

انبوان : (أنظر نبوان) حرف النون .

الأنْجَلُ – بفتح الألف وأسكان النون وفتح الجيم بعدها لام – : من مياه قحطان بمنطقة القويعية .

الأندرة : مورد للعلاوين والقزوز من جهينة ، بقرب نبط ، في بلاد ينبع ، في منطقة إمارة المدينة المنورة .

الأنصاب : من قرى تَنُومة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أَنْصَابُ – بفتح الهمزة وإسكان الصاد المهملة بعدها ألف فباء موحدة وينطق الآن بدون همز مع إسكان النون وكذا يكتب (نْصاب) – : من مراكز الحدود الشمالية : شعبة أنصاب ويتبعها بعض موارد البادية ، منها مِضَخّة أنْصاب .

الأنْصَبُ – بفتح الألف وإسكان النون وفتح الصاد وآخره باء موحدة – : من قرى زهران ، وتسمى أنصب عَنازة وهم سكانها ، في منطقة الباحة .

الأنْصَبُ – بفتح الهمزة وإسكان النون وفتح الصاد وآخره باء موحدة – : من قرى الأملح ، في منطقة رنية ، في إمارة مكة المكرمة .

الأنفة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

أُنيسة : من موارد الحفاة من عتيبة ، بمنطقة عفيف ؛ من إمارة الرياض .

أوان : من قرى وادي مَدْركة ، في منطقة مكة المكرمة .

أوباد : من قرى فَيفا ، في منطقة جازان .

الأوجام[1] – بفتح الألف وإسكان الواو ، فجيم مفتوحة فألف ، فميم – : من قرى القطيف ، في المنطقة الشرقية .

الأوجر : من قرى إضم ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

---

(١) لعل الأصل (الآجام) .

الأوْجَرُ – أيضاً – : من قرى الزيمة ، في منطقة مكة المكرمة .

الأوْجَرِيّةُ – بفتح الألف وإسكان الواو وفتح الجيم وكسر الراء بعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة فهاء – : من مناهل حرة تبوك قرب الأخضر .

أوشال : من القرى التابعة للزَّيمة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

الأوْشَحْ – بفتح الألف وإسكان الواو وفتح الشين المعجمة ، وآخره حاء مهملة– من قرى زهران في تهامة ، تابعة لمنطقة الباحة .

الأوفار : (أنظر راعي) حرف الراء . .

أوقح والنِّير – يقرنان دائماً – : من موارد عتيبة في منطقة الطائف .

الأوقع : من قرى الأشراف ذوي جيزان ، بمنطقة الشرقة ، في إمارة الطائف .

أونيشة (؟) : من قرى صبيا ، في منطقة جازان .

أُوَيْسِطْ – تصغير أوسط – : من موارد شمّر ، في منطقة حايل .

ايام : (أنظر فرع ايام) حرف الفاء .

إيْدَمَهَ – أنظر يَتَمَه[1] (حرف الياء) .

آل أيدي : من قرى النماص ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأيرق (؟) : في منطقة المدينة المنورة[2] .

أَيسر : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الأيْسَرِي[3] : من موارد المقطة من عتيبة بمنطقة عفيف : فحصل خلاف بين المقطة وبين سبيع أَدَّى إلى رَدْمِه .

الايقاع : قرية لقبيلة حرب ، تابعة للجموم بمنطقة إمارة ماكة المكرمة .

إيلاء : هجرة في الكامل ، بمنطقة مكة ، المكرمة أهلها الرنة (؟) .

إيهالا : هجرة في الكامل ، سكانها الأذينات في منطقة إمارة مكة المكرمة .

---

(١) صواب هذا الأسم يتمة .

(٢) كذا في البيان ولم يبين ما هو .

(٣) اسمه القديم الياسرة .

مواضع تاريخية في منطقة القصيم

- ١ -

(ومن كتاب «بلاد القصيم[1]» تأليف الباحث المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي ، نقدم للقراء نماذج من تحديد مواضع وردت في الشعر القديم ، وحاول متقدمو العلماء تحديدها تحديداً غير واضح المعالم ، فيأتي الأستاذ العبودي فيتناول النصوص القديمة بالدراسة العميقة ، ويطبّق تلك الدراسة على المشاهدة ، ثم يقدم نتيجة الحالتين في هذه الأبحاث الممتعة) .

أَبْرَق السِّيْح : هذا الأبرق كان يسمى في العصور الوسطى في نجد ابرق السيح إضافة إلى السيح الواقع إلى الجنوب من عيون الأسياح (النبّاح قديماً) وسيأتي ذكر السيح في حرف السين إن شاءالله تعالى . وأضيف إليه لقربه منه . ولا تزال هذه التسمية باقية في أذهان بعض المعمرين أما جمهرة المتأخرين فيسمونه (أبرق الجعلة) كما سيق .

وعنده حصلت معركة بين قوم من الضّياغم من شمّر القدماء ، وبين سلطان مارد الذي يقال إنه كان قد أعاد عمارة عيون الأسياح واستوطنها وبنى فيها قصر مارد الذي لا تزال بقاياه موجودة ، وقُتل في تلك المعركة قتله رجل يقال له حميدان بن راشد من الضياغم الذي قتله سلطان مارد أيضاً حين اختلفا بضربة لكل منهما وفي دلك يقول عمير بن راشد من الضياغم من قصيدة عاميّة :

تَهَيّأ لنا عند (ابرق السّيحْ) عَرْكهْ تمنّى بها حضّار الرِّجَال غْيَابْ
تقول مَيْثَا : يا الرّاشد يا هَلِي الروم لحقونا بِغير حسابْ

وبقية الأبيات مذكورة في رسم (الأسياح) .

أما اسم هذا الأبرق في القديم فقد كان : (إرم الكلبة) .

---

(١) هو أحد أجزاء « المعجم الجغرافي للبلاد السعودية » وقد أعد للطبع .

والإرُم في اللغة ما يقابل عند العامة في نجْد في هذا الوقت كلمة (الرجم) وهو العَلَمُ من الحجارة يُوضع بعضها فوق بعض في الصحراء حتى تظهر على البُرَق وهي تشبه العمود .

قال ابن منظور : الأرمُ : حجارة تُنْصب علماً في المفازة ، والجمع أَرُومٌ ، وفي الحديث ، ما يوجد في آرام الجاهلية وخربها فيه الخمس ، الآرام : الأعلام ، وهي حجارة تجْمع وتنصب في المفازة يُتهْتَدَى بِها ، واحدها إرَمٌ كَعِنَبٍ .

أقول : كثيراً ما تصنع العامة الرَّجْمَ في مكانٍ عالٍ يشرف على طريق هامٍّ ، أو على مورد ماء ليهتدي به الناس إلى ما يشرف عليه . ولذلك نجْزم بأنه الإرم في الفصحى .

وقد سُمِيَ (أبرق السيح) هذا بإرم الكلبة في الجاهلية لأن في أعلاه علماً من الحجارة يشبه العمود . ولكنه علم طبيعي ليس من صنع الإنسان .

قال أبو عبيدة وهو يتكلم على يوم المرَّوْتِ : ثم إنَّ بحيراً أغار على بني العنبر يوم إزم الكلبة وهو نَقَا قريب من النباح[1] .

وقال ياقوت : إرَم الكلبة : بلفظ الأنثى من الكلاب . وإرَم موضع قريب من النباح بين البصرة والحجاز ، والكلبة : اسم امرأة ماتتْ ودفنتْ هناك . فنسب إليها الإرم ، وهو العلم .

ويوم إرم الكلبة من أيام العرب ، قتل فيه بجير بن عبدالله بن سلمة بن قشير القشيري ، قتله قَعْنَبُ الرياحي في هذا المكان انتهى كلام ياقوت ، أقول : قوله بجير هكذا في « معجم البلدان » (طبعة بيروت) بالجيم وضم الباء ضبط شكل . والصحيح بحير بفتح الباء والحاء المهملة كما في «النقائض» وضبطه ابن الأثير بالحروف بَحير : بفتح الباء الموحدة ، وكسر الحاء المهملة[2] .

---

(١) « النقائض » ج١ ص ٧٠ .

(٢) « الكامل » ج١ ص ٦٣٢ .

وقال البكري : أَرْمَ الكلبة : بفتح أوله وثانيه على وزن فعَل . مضاف إلى الكلبة وهو نقا قريب من النباح . أقول : والنّقا : الكثيب المجتمع من الرمل المرتكم وربما كان هو المراد بقول الشاعر :

ظَلَلْتُ على الجحدرتين تَسْتَقي بسوقتين ، فجنوب الأبرق

أورده الإمام لغدة الأصبهاني وهو يتكلم على مياه لبني ضبة ولبني المُرَّقع من بني عبدالله بن غطفان في القصيم[1] وأورد ذكره بعد (الرُكّبات) بصيغة التصغير وهي التي تسمى الآن (الركيّة) على لفظ المفرد من الركيات المصغرة وتقع إلى الشمال من (الربيعية) في المنطقة التي هي إلى جهة الشرق من مدينة بريدة .

وأما نصر الاسكندري فقد ذكر هذا الأرم مقروناً بأرم آخر موجود إلى جانبه ، ولكنه أصغر منه وتقول العامة لهما معاً (البرقان) فقال :

وإرَمَيْ الكلبة : بكسر الهمزة ، وفتح الراء : رمل قرب النباج ، وهناك قَتَلَ قَعْنَبُ الرِّياحي بحير بنَ عبدالله القشيري أحد الفرسان المشهورين[2] .

أحامر : تنطقه العامة بكسر الهمزة ، فحاء فألف ثم ميم مكسورة فراء : جبل أحمر ، ذو رؤوس محدّدة ، واقع في منطقة حمى ضرية قديماً إلى الشمال الغربي من قرية مسكة ، يُرى منها رأي العين وإلى الشمال من ضرية .

قال نصر (أحامر : جبل أحمر من جبال حمى ضرية يقال له ، أحامر البغيبية)[3]

أقول ، وهذا ينطبق على جبل أحامر هذا إلا أنَّ الهمزة في أوله أصبحت مكسورة عند العامة . بعد أن كانتْ مضمومة عندَ المتقدمين كما قال ياقوت : أحامر ، بضم الهمزة كأنه من حامر يُحَامِر فأنا أُحَامِرُ من المفاعلة ينظر أيّهما أشدّ حمرة ، ثم قال : وأُحامر : أسم جبل أحمر من جبال حمى ضَريّةَ ثم أنشد لجميل :

---

(١) « بلاد العرب » ص ٣٤٢ .
(٢) « الأمكنة » الورقة ٩ ب .
(٣) كتاب نصر المخطوط الورقة ١٧٧/أ

دَعَوْتُ أبا عمرو فَصدَّق نظرتي وما إن يراهُنَّ البَصير لحين
وأعرض ركن من أحامر دونهم كأنَّ ذراه لفِّعَتْ بِشَدِيْنِ

وورد ذكر أحامر في قصة أوردها ابن حبيب جَرَتْ لأحد بني فقْعيس من بني أسد جنى جِنَايَةً ذكرناها في رُسم (أبان) فقال :

فخرج القوم يطردونه ، وخرج قُرَّان حتى سند إلى وَشلٍ في جبل لقومه يقال له أحامر[1] فظلَّ على ذلك الوشل يشرب من مائه ، وظلَّ يرقب إبِلَ الشمردل أن تصدر وهي مئة لقوح ، حتّى صدرت عشيّةً إلى ناحِيَةِ الجبل ، فامخذر ، فلقيها حين غابت الشمس بوادٍ من أرضهم يقال له الدهس ، إلى أن قال : فطردهنَّ في الليل حتى قبلن شعباً من (أحامر) يقال له : لحيْا جَمَلٍ[2] .

وفي جبل أُحامر وَشَلْ هو الآن رِس معروف عذب الماء واقع في جنوبي الجبل المذكور إلاَّ أنَّ قوله : إنَّ جبل أحامر واقع في بلادهم فيه إشكال إذا كان المراد بذلك بلاد بني فقعس من بني أسد .

شعر عاميٌّ : قال أحدهم :

عَدَّيْتْ بَالْعَبْد والْعَبْدَهْ واطَالع اللِّي وَرا (حامر)
قُرونْ خِلِّي على كَبْدَهْ مثلَ السِّفَايِفْ على الضَّامرْ[3]

وذكره لغدة الأصفهاني وهو يتكلم على أماكن للضِّباب ولبني جعفر وكلاهما من بني كلاب ، وبلادهم في تلك المنطقة فقال : (وأحامر : جبل أحمر ، وأحامرة

---

(١) كون أحامر في بلاد بني أسد يدل على أنه غير الذي في ضربة حمي وأحامر الذي في بلادهم يقع على مقربة من وادي الشعبة (الثابوت قديما) شمال جبال قني وشرق قرية الحليفة ؛ وفيه منهل ؛ يعرف الآن باسم (حامر) بحذف الألف استثقالا للنطق بها كعادة العامة في مثل هذا الاسم (العرب) .

(٢) « المحبر » لابن حبيب – ص ٢١٤ .

(٣) عديت : أشرفت وصعدت : العبد والعبدة جبلان محددان في رسمهما . أطالع : أنظر . اللي : الذي قرون خلي : ظفائر حبيبي . على كبده : على صدره السفائف : جمع سفيفة جدائل من الشعر يزين بها الرحل ، فتمتد منه متدلية على جانب الضامر التي هي الناقة المعدة للركوب .

ردهة ، والبُغَيْبِغَة : ماءةٌ ، ويقال لأحامر : أحامر البغيبغة : ماء)[1] ، ثم ذكر بعده من الجبال : لحأة وهي جبل لا يزال باسمه (اللجاة) معرَّفاً وسيأتي ذكره في حرف اللام ، وكلاهما يُرى من قرية مسكة بالعين بسهولة ثم استمر يذكر جبالاً أخرى في تلك المنطقة .

أما البغيبغة الماءة التي ذكرها فلم أعرف موضعها إلاّ أن تكون الماء الرِّسّ القديم الموجود في أحامر ، وقد غرس عليه رجل من عوف من قبيلة حرب نخلا . ولكن رجلاً من أهل قرية مسكة القريبة منه قال لي : إنّ جبل أحامر لأهل مسكة منذ زمن قديم أما النخل الذي فيه الآن فهو لرجل من عوف ويشير إلى ذلك النخل القليل الذي ربما كان مغروساً على (البغيبغة) القديمة .

أَفَيْعِيَة : بفتح الهمزة ثم فاء مفتوحة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة بغين مكسورة ثم ياء أخرى مفتوحة مخففة ، ثم هاء أخيرة : جبل يقع إلى الغرب من النّقْرة . في أقصى الحدود الإدارية الغربية للقصيم . يبعد حوالي ٩ أكيال عن النقرة . فيه آثار تَعدين قديم .

وتنقب الآن فيه إحدى الشركات التي تبحث المعادن في النّقرة وما حولها .

ولم أجد تسميته قديمة وقد يشتبه بموضع آخر يماثله في الاسم وهو مينزل من منازل طريق الحاج الكوفي إلى مكة ، ولكنه بعد هذا بمسافة طويلة إلى ناحية مكة إذْ ينزله الحاج بعد معدن بني سليم الذي يسمى الآن (المهد) مهد الذهب . وفيه أشعار[2] وهو خارج عن نطاق بحثنا . أما أفيعية هذه فلم أجد من ذكرها من المتقدمين .

إلاّ لغدة الأصبهاني فقد ذكرها باسمها (أفيعية) في معرض كلامه عن الجبال والهَضاب الواقعة في بلاد محارب بعد أن ذكر (ماوان) و (سنام)[3] .

---

(١) « بلاد العرب » ص ٩٧ والبغيبغة : البئر القصيرة الرشاء .

(٢) راجع رجزاً فيه مع ما قبله وما بعده من منازل حاج البصرة في كتاب « المناسك » ص ٥٥٤ .

(٣) بلاد العرب ص ١٧٧ .

ولا أشك في أنه يريد (أفيعية) هذه التي نتكلهم عليها لا (أفيعية) التي هي إحدى منازل حاج الكوفة إلى مكة ، فتلك في بلاد بني سليم بعد مهد الذهب في منطقة لم يكن لقبيلة محارب فيها مياه أو بلاد في وقت من الأوقات نعمله .

أَبْرَقُ الخَيْل : هذا الأبرق رمله أبيض ، يقع إلى جهة الجنوب الغربي من الهميلية التي تقع إلى الشرق الجنوبي من النّقرة ، بفتح النون المشددة في أقصى غرب القصيم .

وهو مضاف إلى الخيْل التي تُركب .

وتسميته قديمة ولكنها وردت بلفظ الجمع براق ، وبراق ، بكسر الباء : جمع برقة مؤنث أبرق .

قال ياقوت : (براقِ الخيل : بلفظ الخيل التي تركب : اسم موضع قرب راكس ، قال ضبْعَان بنَ عبّاد النُّميري :

ألا حبّذا البرقُ اليمانيْ وحَبّذا ... جَنُوبٌ أَتانا بِالعَشيِّ نَسِيْمُها
أَتَتْنَا بريحٍ مِنْ خُزَامى غَرِيبَةٍ ... تُمتِّعُ نِبْتاً فاسْتَقَلَّ عميمها
هي المسك ، أو أشهى من المسكِ نَشْوة ... إذَا هي شُمّتْ ، لو يُنالُ شميْمُها
بدُورِ (براق الخيل) أو بطن راكسٍ ... سقاها بِجَوْدٍ بعد عُقْرٍ غُيُومُهَا[1]

أقول : لقد حمل ياقوتاً على قوله : إن براق الخيل قرب راكس كونه قرن بها وهذا صحح فأبرق الخيل هذا يقع إلى الشمال من أبرق راكس ، الذي كان يسمى قديماً راكساً ، وسيأتي ذكره في محله . ويصح أن يقرن به في الذكر وإن لم يكن شديد القرب منه .

الرياض **محمد الناصر العبودي**

---

(١) « معجم البلدان » رسم – براق الخيل – .

خير الدين الزركلي

(١٣١٠ - ١٣٩٦)

في الساعة الحادية عشر من صباح يوم الخميس الثالث من ذي الحجة سنة ١٣٩٦هـ (٢٥ ديسمبر ١٩٧٦) توفي العالم الباحث المؤرخ الأستاذ خير الدين الزركلي في القاهرة في مستشفى الشوربجي ، أثر اشتداد مرض قلب امتدّ بضعة شهور ، مع ألم في المثانة سبب لها علاجاً (عملية البروستاتا) عن عمر بلغ نحو ٨٦ عاماً . فقد[1] ولدّ رحمه الله ليلة تاسع ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ (٢٥ يونية ١٨٩٣م) في بيروت ووالداه دمشقيان ، وأبوه محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي

وهو كردي النِّسْبة ، عربي الأصل والروح . كان والده يشتغل بالتجارة في بيروت ، ونشأ الأستاذ الزركلي في دمشق ، وتعلم في مدارسها ، وأخذ عن علمائها ، ودَرَّس في القسم العلمي في (المدرسة الهاشمية) ثم دَرَّس فيها .

وعمل أول نشأته في الصحافة ، فأصدر مجلة « الأصمعي » أسبوعية فصادرتها الحكومة التركية ، لنشرها صورة كتب تحتها : (صورة الخليفة العربي) المأمون وقرض الشعر ، وأعدّ ما نظمه منه في أول شبابه للطبع ولكنه احترق .

ثم ذهب إلى بيروت فدرس اللغة الفرنسية في الكلية العلمانية (لاييك) وتولى تدريس التاريخ والأدب العربي فيها .

وعاد إلى دمشق في أول الحرب العالمية الأولى ، وأصدر سنة ١٩١٨ جريدة « لسان العرب » يومية ، مع أحد أصدقائه وأقفلت فشارك في إصدار جريدة « المفيد » يومية أيضاً .

ولما دخل الفرنسيون دمشق سنة ١٩٢٠ غادرها إلى فلسطين فمصر فالحجاز وفي سنة ١٩٢١ انتدبه الملك حسين لمساعدة ابنه الأمير عبدالله فعاد إلى مصر فالقدس

---

(١) ملخص من الترجمة التي كتبها لنفسه في « الأعلام » مع إضافات .

واصطحب منها جماعة مهد معهم السبيل للأمير عبدالله لإنشاء الحكومة الأولى في عمّان ، كان الأستاذ الزركلي مفتشاً عامّاً للمعارف فيها فرئيساً لديوان رئاسة الحكومة من ١٩٢١ إلى ١٩٢٣م . قال الأستاذ الزركلي وعمّا كتبه لخصنا ترجمته قال : (وانكشفت سياسة عبدالله فكنت أول من نبّه إلى اتّقائها) . ثم ترك عمّان وقصد مصر فأنشأ المطبعة العربية في القاهرة أواخر عام ١٩٢٣م وطبع فيها بعض مؤلفاته ونشر كتباً غيرها . ثم ترك حرفة الطباعة بعد أربع سنوات سنة ١٩٢٧م وزار بعد ذلك الحجاز وذهب إلى القدس سنة ١٩٣٠ فأصدر مع زميلين له جريدة « الحياة » اليومية ، فعطلتها الحكومة الإنجليزية ، فاتفق مع آخرين على إصدار جريدة يومية أخرى في (يافا) وأعدوا لها مطبعة وصدر عددها الأول .

وزار الحجاز فاحتفل به الأدباء وأقاموا له حفلة تكريم ، وقويت صلته برجال الدولة فعين سنة ١٩٣٤ مستشاراً للوكالة السعودية في مصر (المفوضية) . ثم ندب ١٩٤٦ لإدارة وزارة الخارجية في جدة بالتّناوب مع صديقه الشيخ يوسف ياسين .

وفي سنة ١٩٥١ عين وزيراً مفوضاً ومندوباً لدى الجامعة فشعر بالاستقرار بمصر وطبع كتاب « الأعلام » طبعة موسّعة .

ثم في سنة ١٩٥٧ عين سفيراً في المغرب وبقي هناك حتى سنة ١٩٦٣ حيث منح إجازة للراحة غير محدّدة ، فاختار الإقامة في بيروت ، وعكف على انْجاز كتاب كان قد بدأ به في سيرة عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز رحمه الله ، وأعاد طبع كتاب « الأعلام » وأنجز مستدركه الثاني ، ومكث ذلك العهد منذ في بيروت مع قيامه برحلات إلى السعودية ودمشق والقاهرة وتركية وإيطاليا وسويسرة . وقد زار كثيراً من البلاد العربية والغربية باحثاً ومنقّباً عن نوادر المخطوطات .

وعندما حدثت حرب لبنان لم يغادرها خَوْفاً على مكتبته التي تحوي نفايس من المخطوطات والكتب المصورة ونوادر المطبوعات ، مع اشتغاله بتهيئة بعض مؤلفاته للطبع .

وكان مصاباً بضعف القلب وكان يتردد في ربيع كل عام إلى « بيرن » قاعدة البلاد السويسرية لمراجعة طبيب يتولى علاجه وفي آخر العام المنصرم اشتد به المرض

فدخل (مستشفى الجامعة الأمريكية) حيث عولج بتقوية حركة القلب بآلة كهربائية (بطّارية) ثم أُصيب بمرض المثانة ، فعولج في ذلك المستشفى بطريقة الجراحة (عملية) .

وفي دور النقاهة نقل إلى القاهرة ، حيث يقيم ابنه الدكتور غيث وأخواته ، وأدخل (مستشفى المعادي) ثم نقل بعد ذلك إلى (مستشفى الشوربجي) حيث توفي .

اتّجه الأستاذ الزركلي إلى البحث والتأليف منذ أن استقر في القاهرة حيث أنشأ في دارته في شارع الإخشيد في الروضة مكتبة تعتبر من أنْفس المكتبات الخاصة وأحفلها بنوادر الكتب ، وقد انتقى قسماً منها فنقله إلى بيروت حيث كان يقيم سنواته الأخيرة وقد عُنيَ بالتأليف في تراجم المشاهير من العلماء والرؤساء والشعراء وغيرهم فكان كتابه « الأعلام » أو في مرجع في التراجم منذ زمن ما قبل الأسلام إلى عهدنا الحاضر وكان يتابع العمل في هذا الكتاب بالزيادة والتنقيح ، وقد اشتدّ به المرض وهو عاكف على إعداده للطبع بإضافة ما استدرك مما فاته ، لإخراجه محتوياً على المستدركين اللذين ألحقهما به مع زيادة تراجم كثيرة كانت فاتته وأكثرها لمشاهير من أهل المغرب ، فقد تمكن أثناء إقامته هناك من أن يطلع على كثير من المؤلفات مخطوطة ومطبوعة .

ولقد كنت أزوره أثناء إقامته في لبنان فأعجب من جلده وصبرِه وقوة تحمله لمواصلة البحث والتنقيب ، وكثرة المطالعة وكنت أراه يحسّ برغبة وارتياح حينما يجري البحث في موضوع أدبي أو تاريخي فيقوم مسرعاً ، ويتناول أحد الكتب المتعلقة في الموضوع ، ويكشف عن المسألة ، ولا يدع غيره يتولى ذلك . وكان كثيراً ما يتصل بي بواسطة الهاتف ليخبرني عما توصل إليه في بحثه بعض المسائل التي جرى فيها البحث وكان كثير الأنس بمن يزوره ، وخاصة حينما يبادله المذاكرة في موضوع تاريخي . ويقابل برحابة صدر ما يوجه إليه من نقد .

كان أول ما عرفت الأستاذ الزركلي معرفة قوية حين قدمت بإنشاء (مطابع الرياض) ففي أحد الأيام اتصل بي الشيخ يوسف ياسين للاتفاق على طبع كتاب « مجموعة رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية » ثم قال لي : أنا عندي لك تحفة تسرّ بها كثيراً ، ولا أقدمها لك إلا في بيتي لها صلة بالمخطوطات فما رأيك بأن تزورني

هذا اليوم ظهراً ؟ فظننت بأنه سيقدم لي كتاباً مخطوطاً ، واتفقت معه على أن يبعث إلي بسيارة توصلني بيته داخل مطار الرياض فكان ذلك . ولما استقر بي المجلس جرى الحديث حول كتاب « أربعون عاماً في جزيرة العرب » تأليف الشيخ حافظ وهبة وكأن الشيخ يوسف غير مرتاح لما نشرته في تلك الأيام عن هذا الكتاب . فقلت : إن حافظاً اتحفنا بكتابين عن مشاهداته في بلادنا ولكننا لم نقرأ للشيخ يوسف سوى ما نشر في جريدة « أم القرى » قبل ربع قرن فقال : سترى ! ! لقد سجلت الكثير . وقبل إكمال الحديث هبَّ واقفاً قائلاً : ها هي التحفة التي وعدتك بها ! وإذا به يشير إلى الأستاذ الزركلي الذي دخل علينا . ثم إذا بالشيخ ابراهيم السويل يدخل أيضاً . وبعد السلام عليهما وجهت الكلام ليوسف قائلاً : ولكنكم شغلتم الأستاذ خير الدين بالسياسة ، ثم أبعدتموه في أقصى المغرب . فقال : السبب إبراهيم يعني ابراهيم السويل وكان إذ ذاك يتولى وزارة الخارجية فقال السويل : نحن نُحقّق رغبة الأستاذ بإبقائه هناك ورغبة من هو أعلى منه . وانتهى الحديث في ذلك المجلس. وبعد يومين زرت الأستاذ الزركلي في الفندق فقوي التعارف وبدأت الصلة بيننا .

وأذكر أنني بعد أن أصدرت العدد الأول من مجلة « اليمامة » باسم « الرياض » وهو الاسم الذي اخترته ومنحت رخصة به من قلم المطبوعات بوزارة الخارجية بناء على أمرٍ سامٍ بذالك ، فعارض الشيخ عبدالله بلخير وكان إذ ذاك مستشاراً لسمو ولي العهد حتى صدر أمرٌ بعدم السماح بدخول ذلك العدد البلاد إلا بعد تغيير الاسم . فكتبت إلى قلم المطبوعات موضحاً أنني لظروف خاصة لم استطع إصدار المجلة بالاسم الذي منحت الرخصة به وأنني اخترت اسم « اليمامة » وكان نظام المطبوعات المعمول به في ذلك العهد ينص على أن لمن منح رخصة إصدار صحيفة وأراد تغيير الأسم فعليه أن ينال موافقة قلم المطبوعات بذلك .

مكثت مُدَّةً لم أتلقَّ جواباً فعمدت إلى إعادة طبع الكراسة الأولى مع الغلاف ووضعت اسم « اليمامة » على ما أعدت طبعه ، ووصل العدد المطبوع من القاهرة إلى الرياض وجرى توزيعه ، وبعد ذلك فوجئت بكتابٍ يرد إليَّ من وزارة الخارجية خلاصته : (جرى عرض طلبكم تغيير اسم المجلة على المقام السامي فوافق بأن يكون الأسم (نجد اليمامة) أو (يمامة نجْد) وهو بتوقيع الأستاذ الزركلي وكيل الخارجية

ومعه كتاب رقيق منه يقول فيه : ها هو الأمر السامي كما أبلغتكم وليس لي فيه إلا التوقيع ، ولن تعدموا وسيلة من الوسائل في الموضوع . ولم يكن يعلم بأن الجزء الأول من المجلة قد وزّع . وكانت الوسيلة السكوت ، وقد حمدت له فعله .

وكان لا يأتي إلى مدينة الرياض وأنا فيها إلاّ ويكرمني بالزيارة ، ثم ازدادت الصلة بيننا أثناء إقامته في بيروت ، حتّى قلّ أن يمضي يوم لم يَرَ أَحَدُنَا الآخرَ خلاله . وخاصة حينما كان يُهَيّء كتابه « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » للطبع ، كنّا نجتمع في مكتبي لقراءة كثير من فصوله . ورأيته ذات يوم تأثر من أحد الزوار . وقد شغل وقتنا بالكلام ، فرجوته بأن يبقى في منزله ، ووعدته بأن أحضر إليه كل يوم ساعةً في الصباح حتّى نكمل قراءة ما يريد عرضه من ذلك الكتاب ، فكنت آتي إلى منزله الساعة الحادية عشرة فأمضي نحو ساعة ثم أذهب إلى بيتي .

وكانت الكافة قد سقطت بيننا ، فلما دققت الجرس ذات يوم إذا بالذي يفتح لي الباب إنسان فيه من الأنثى مساوئها ومن الرجل كزازته وتجهمه ، وقال : (الأستاذ خرج) فكتبت ورقة وصفت فيها ما شاهدت ، وأنني لم أتميّز من أي الجنسين هو ، لقبحه وغلظته (لا في الرجال ولا النسوان معدود) ولما عاد إلى المنزل أرسل إليّ سيارته — كعادته — ومع سائقها كتاب رقيق يذكر فيه أنه في سنة ١٣٤٢ وكان في القدس ، زار صديقاً له يدعى الدكتور عودة فلم يجده ، ووجد خادمة للدكتور ، تشبه الإنسان الذي وصفته ، فترك لصديقه ورقة كتب فيها :

يا طبيباً فَضْلُـه مـا بيننـا مُشْتَهِـرُ
إنّ مَن تَخْدِمُنا عنـ ـدك فيهـا نَظَـرُ
ليس يدري النـاس أنثى هـذه أم ذكـرُ

ودخل شهر رمضان قبل إكمال الكتاب ، فأخبرته أنني لا أستطيع الحضور ظهراً لحاجتي إلى الراحة أثناء الصيام وسأحضر الساعة العاشرة ليلاً حتّى وقت السحور .

فقال ذكرتني بذكر السحور بَيْتين نظمتهما إبان الشباب على لسان إنسانٍ لم يجب عليه الصيام ، وهما :

وقالوا : اليوم من شعبان ولـى فَهَيِّء للصيام غداً سحـورَكْ
فقلت لمُفْطِرٍ رمضانَ هَـمْساً : عزَمتُ ظهيرةَ الغد أنْ أَزُوْرَكْ

وخرجنا مرّةً لزيارة الأستاذ عارف النكدي – رحمه الله – فلما جئنا لنركب في السيارة إذا بالسائق يغطُّ في نومه . فلم يستيقظ بحركة الباب . فقصَّ علي الأستاذ أنه زار الأستاذ محمد علي الطاهر[1] حين كان في القاهرة ، قد فتح دكاناً لبيع الزيت والزيتون قبل أن يشتغل بالصحافة ويصدر جريدة « الشورى » فوجده نائماً فترك له هذين البيتين :

يَا نائماً ليس يصْحـــو معي ، ولا مَعَ غيري
لولا انْتِصابٌ شَدِيدٌ أشكوه خِلْتُكَ (...)

كان – رحمه الله – يتمتع بروح مَرِحةٍ ، ومع تقدُّم السن به ، كنت كلما رأيته أذكر قوله :

قَالتْ: كبرْت فَقُلتُ: شابتْ لِمَّتِي وعَلِيَّ مِنْ بُرْدِ الشَّبَـــابِ إهابُ
ليْسَ الصِّبَا إلاَّ بُلَهْنِيَةَ الصِّبَـــا أمَّا السِّنُونَ فَمَا لهُنَّ حِسَـــابُ

لقد كان شابَّ الرُّوح ، حلو الحديث ، ظريف النكتة ، سريع البديهة ، يتبسّط مع أصدقائه ، ويتفقدهم .

مرَّت بي أيام عصيبة في بيروت أثناء الحرب ، فبقيت حَبِيْسَ بيتي أكثر من ثلاثين يوماً ، ثم اشتد بي الأمر حينما قام المسلحُون يكثرون التردُّدَ عليَّ ، ويتعللون بشتّى المعاذير لدخول البيت ، ويلقون إليَّ بقوارص الكلم ، وكانت بعض الصحف تُوَجّه لاذع النقد إلى حكومتنا ، وتنسب إليها أموراً تثير المشاعر ، فكان أن استعنت به ليتصل بسفارتنا لكي تسعى لإخراجي من البيت الذي بدأ الرصاص يخرق نوافذه وجدرانه الموالية للمسلحين الذين في حيّ الأشرفية وما حوله ، فأصبحت بين نارين نار من أتوقع منهم الحماية من المسلحين المحيطين بالبيت وما حوله ، ونار أولئك الذين يوجهون نيران أسلحتهم إلى هاؤلاء القريبين من البيت ، فتصيب البيوت القريبة منهم . ولما اتصل بالسفارة أخبرني بأنها طلبت من الأمن العام اللبناني إرسال (ملاّلة) لتحملني إلى منزله في (الروشة) وهو في مكانٍ آمن ، ولكنني أخبرته بأن سيارة الأمن العام ، ستكون عرضةً لهجوم المسلحين عليها من كلا الطرفين المتحاربين ،

---

(١) توفي رحمه الله سنة ١٣٩٤–١٩٧٤ في بيروت .

ولهذا لا يحسن إرسالها ، ثم اتصل بي وأخبرني بأنه اتفق مع أحد المسلحين بواسطة أحد أصدقائه من الفلسطينيين ليحضر إليَّ ليلاً ، لعلي أتمكن من الخروج معه ، ولكنني تلك الليلة نزلت مع من بقي في منزله من الجيران إلى (القبو) حينما بدأت الصواريخ تهدد أعلى المساكن ، وفي الصباح وجدت الهاتف مقطوعاً فلم أتمكن من الاتصال به . ولم أره بعد ذلك إلا في القاهرة ، حين مررت بها في شهر ذي الحجة ١٣٩٦هـ فعلمت بأنه في (مستشفى المعادي) وكان في حالة نقاهة ولكنها لم تمنعه من التعبير عن بالغ سروره بي ، حتى خشيت أن تتأثر صحته فلم أُطل البقاء عنده . مع شدة رغبته في ذلك . ووعدته بأن أكرر الزيارة كل يوم ، كان آخرها حين سمح له الطبيب بالمشي داخل الغرفة . وقال لي : غداً سأنتقل إلى (مستشفى الشوربجي) لأن أولادي يشق عليهم المجيء إلى هذا المستشفى لبعده عن القاهرة . وكان في حالة جيدة من الارتياح . ولا أدري هل وافق الطبيب الذي يتولى علاجه على نقله من هذا المستشفى الذي يعتبر أحسن مستشفى في القاهرة ، في أجمل موقع من حيث طيب الهواء . والبعد عن كل ما يقلق الراحة إلى مستشفى أحسست ساعة دخلته بالانقباض ، وكأنني لست في مستشفى من الضوضاء والجلبة وضيق الغرف وانبعاث الروائح الكريهة .

ولقد اتصلت صباح اليوم الثاني من نقله إلى هذا المستشفى بابنه الدكتور غيث فأخبرني بأنه أصيب بنوبة شديدة من المرض ، مما سبب استدعاء عدد من الأطباء لاسعافه ولا يزال متأثراً بتلك النوبة . ثم زرته بعد ذلك بثلاثة أيام فرأيته مسجّى على السرير ، وقالت لي الممرضة : لا تكلمه ، دعه يهدأ . ثم زرته آخر مرة ، فقابلتني ابنته ظريفة عند باب المستشفى خارجة فقالت لي : — عندما سألتها عنه — : سوف يُسَرُّ بك كثيراً ، ولكنني فوجئت حينما دخلت عليه : لقد كان يتأوّه تأوُّهاً شديداً ، ويبكي من شدة الألم ، غائر العينين . فلم يعرفني ، ولم يتكلم ، فلم أطق مشاهدته على تلك الحالة فخرجت متأثراً بما رأيت ، وفي صباح الغد اتصلت بابنته وما أشد وقع الكلمة التي سمعتها منها بالهاتف : (أعطاك عمره) ! ثم علمت منها بوقت وفاته ، وأنه سيصلى عليه غداً — يوم الجمعة — في مسجد عمر مكرم ، وهناك تكون التعزية .

ولم يزد ما كتب عن وفاته في الصحف على بضعة سطور في صفحة الوفيات ، من جريدة « الأهرام » وفي جانب غير بارز ، وليس من المبالغة القول بأن كتاب

تلك الجريدة أنفسهم لم يقرأوا ذلك النعي ، فما بالك بغيرهم ! ومما يدل على هذا أن أحدهم كتب فيها بعد أيام يقول ما معناه : إنّ المؤرخ الشاعر الزركلي توفي في بيروت ، على طلقات المدافع وأزيز الرصاص ، وأصوات انفجار القنابل ولهذا فلم يكن لوفاته صدى يليق بمقام ذلك العالم الجليل ! !

وهكذا انطوت صفحة أحد أعلام هذا العصر من الوجود ، ففقدت الأمة بانطوائها أحفى أبنائها بتسجيل تاريخها ممثّلاً بتراجم النابهين منهم ممن كان ذا أثرٍ في حياة الأمة ، وعمران الكون .

آثاره : ١ ــ لعل أعظم آثار الأستاذ الزركلي كتاب « الأعلام » فقد دأب على جمع مواد هذا الكتاب نصف قرن أو يزيد ، فصدرت طبعته الأولى في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٢٧ ثم ما برح يضيف إليه حتى بلغت طبعتُه الثانية عشرة أجزاء . وألحق به في طبعته الثالثة إضافات وتصحيحات .

وشرع في إعداد الطبعة الرابعة بإدخال تلك الإضافات في مواضعها من الكتاب بعد أن كانت في مستدركين منفصلين . وليضم إليه زيادات كثيرة كان آخرها في كتاب « الإعلام بمن ليس في الأعلام » ولكن المرض اشتدّ به وهو يشتغل بذلك .

وقد هيأت له دولتنا ــ أدام الله لها العزّ والتأييد ــ جميع وسائل الاستقرار في بيروت ، فنقل قسماً كبيراً من مكتبته التي في القاهرة إلى بيروت . وعكف آخر حياته على المطالعة والتأليف . فأصدر كتاب « شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز » في أربعة أجزاء ، ثم اختصره بكتاب « الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز » في مجلد لطيف طبع ثلاث مرّات .

ومن مؤلفاته أيضاً :

٢ ــ « ما رأيت وما سمعت » رحلته الأولى من دمشق إلى الحجاز . طبع سنة ١٩٢٧ ــ وفيه بحث وافٍ عن تاريخ الطائف ، وعن أدب البادية .

٣ ــ « عامان في عمّان » مذكراته خلال عامين صدر الجزء الأول منها سنة ١٩٢٥ والجزء الثاني لا يزال مخطوطاً . وهذه المذكرات مع أنها تتسم بروح النّقد ،

إلا أنها على درجة من الإمتاع والطرافة تحمل القارىء على أن يستوعب قراءتها بالذة وارتياح .

٤ — « صفحة مجهولة من تاريخ سورية في العهد الفيصلي » لم يطبع .

٥ — « ماجدولين والشاعر » قصة شعرية . طبعت .

٦ — « وفاء العرب » قصة تمثيلية نثرية ، مثلت مراراً ابتداء من سنة ١٩١٤م لم تطبع .

٧ — مجموعة كبيرة في الأدب والتاريخ قديماً وحديثاً ، كان في آخر حياته يُعنى بتنسيقها وترتيبها — لم تطبع — .

٨ — « ديوان الزركلي » وقد طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٢٥م والجزء الثاني لا يزال مخطوطاً ، وقد حرص على طبعه قبل وفاته فقدمه لمجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) فتأخر طبعه فاستعاده ، واتفق مع أحد النّاشرين في بيروت بواسطة صديقه الأستاذ أكرم زعيتر ، فلم يتم هذا الإتفاق على ما علمت من الأستاذ الزركلي قبل وفاته في القاهرة ، وقد نقحه وحذف منه قصائد ومقطوعات لكي يروج في المملكة وفي غيرها من البلاد العربية .

والأستاذ الزركلي يُعَدُّ من فحول شعراء العصر ، نشر كثيراً من شعره في المجلات التي كانت تصدر قبل نصف قرن ولمقدرته الشعرية ، ولتمكنه من اللغة ، كثيراً ما يلتزم في شعره ما لا يلزم كقوله :

عَرَّفَ الشِّعْرَ بَعْضُهُم بِالقوافي ... وفريقٌ بِوَزْنِهِ عَرَّفُوهُ
إنّما الشِّعْرُ طَعْمُ ماءِ زُلالٍ ... كَيْفَ يَدْرِي الزُّلالَ مَنْ مَرَّ فُوهُ ؟!

وكقوله :

عجائب (...) لا تَنْقَضِي ... تَلْحَقُ أُخْرَاهَا بأُوْلاهَا
ما كانَ إلاَّ عَبْدَ طَاغُوتِهِ ... مَنْ حَسِبُوهُ يَعْبُدُ اللهَ

فقد التزم في البيتين الأولين في القافية أربعة حروف وفي البيتين الأخيرين ثلاثة حروف . وهذا في شعره كثير .

— للحديث صلة — حمد الجاسر

في سرابيع الصبا !!

تَنَقّلْتُ في سَاحِهَا أَشْتَري ... جَدِيْداً يُرَنِّمُهُ مِزْهَرِي !
أَلْمِلمُ منْ ذِكْرَيَاتِ الشّبَابْ ... وأَسْتَافُ عِطْرَ الصَّبَا المُدْبِرِ !
فَفِي كلُّ حقْلٍ أَرَى زَهْرَةً ... تَرُشُّ العُطُورَ عَلَى مِئْزَرِي !
وَفِيْ كُلِّ مُنْعَطَفٍ نعْمَةٌ ... يَحُنُّ لهَا القَلْبُ لا يَمْتَرِيَ !
ويَبْدُو لعَيْنَيْ جُنُوْنُ الصِّبَا ... وَأَيامُـه في رُبَا (المِشْقَرِ[1]) !
كَأَنّي مَـا زِلْتُ أَهْوِيـه ... مَعَ الصَّحْبِ في عَالمٍ أَخْضَرِ !

* * *

أَعِيْدِي إليَّ جُنُونَ الصِّبَـا ... أَعِيْدي الرَّبِيعَ الّذِيْ أَجْدَبَا !
أَعِيْدِيْهِ مَل فُؤادِي البِعَادَ ... فَجاءكِ يَحْضَنُ هَذِي الرُّبَى !
يُفَتِّشُ عِنْدكِ عنْ أَمْسِـهِ ... وَهَيْهَاتَ مِنْ أَمْسِهِ مَا خَبَا !
أَلا تَذْكُرِيْنَ تَرَانِيْمَـهُ ... يَبُثّكِ نجـواه مُسْتَعْتِبَا ؟!
مَعَ الفَجْرِ زُمّتْ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ ... رَكَائِبُـهُ فَمَضَى مُتْعَبَا !
كأنّكِ (أمٌّ) قَلَتْ طِفْلَهَا ... فَعَادَهَـا مُغْبِراً أَشْيَبَـا !

---

(٢) المشقر : – بكسر الميم وإسكان الشين وفتح القاف وآخره راء – أحد أودية مدينة المجمعة .

لا تسألي !!

مِنْ أَينَ قُلْ لِيْ يَا سَلِيْلَ العرَبْ ... أَقْطارُهُمْ شَتّى فَقُلْ لِيْ وانْتَسِبْ
لأيِّ قُطْرٍ شِئْتِنِي ، فانْسُبِيْ ... لا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ أُمٍّ وَأَبْ !
فَكُلُّ هذي التّسْمِيَاتِ الّتِي ... نَلُوكُها مِنْ صُنْعِ غَاوٍ خَرِبْ !
أنا مِنَ المشْرِقِ جِئْتُ ومن ... مَغْرِبِهِ أنْتِ ، وَهَذَا سَبَب !
يَشُدُّ قَلْبَيْنَا إلى عالَمِ الْـ ... حُبِّ ، وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ نَسَبْ !
عُرُوْبَتِي تَجْرِي دماً في دَمِي ... وَبَيْنَ عَيْنَيْكِ سَنَاهَا يَشُبّ!
وَأَنْتِ منِّي ، وأنا منْكِ يَا ... حَبِيبَتِي لوْلا دَعَاوِيْ الكَذِبُ !
هُمْ صَوَّرُوكِ مَغْرِباً نَائِياً ... وصَوَّرُوْنِي المَشْرِقَ المكتَئِبْ !

* * *

حَبِيْبَتِي يَا دُرَّةَ المَغْرِب ... لا تَسْأَلِي عَنْ نَسَبِيْ ، وأقْرُبِي !
كَيْمَا أُنَاجِيْكِ ، وأَشكُو الجَوَى ... لِقَلْبِكِ المُبْتَسِمِ الطيِّب !
مَزَّقَنَا البَيْنُ وَأَوْدَتْ بِنَا ... أُضْحُوكَةُ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ !
نَمَّقَهَا مُسْتَعْمِرٌ ظَالِمٌ ... أَرَادَنَا أُلْعُوبَةَ الأجْنَبِيّ !
بَاعَدَ مَا بَيْنَ الحَبِيْبَيْنِ فالْـ ... تَاثَ عَلَيْنَا النّسَبُ اليَعْرُبِيْ !
يَشُدُّنِي نحوَكَ يَا فِتْنَتِي ... إخاؤنا ، وَدِيْنُنا ، وَالنّبِي !
والحبُّ أغلَى مَا هتَفْنَا بِهِ ... رِبَاطُ قَلْبَيْنَا ، بلاَ مأرَب !
لا تَسْأَلِي مِنْ أَيْنَ جِئْتُ أنَا ... سَرَيْتُ مِنْ كَفِّي إلَى مَنْكِبِي !

الرياض — عثمان بن سيّار

مكتبة العرب

* سوق عكاظ

« سوق عكاظ » كتيّبٌ لطيف الحجم ، حسن الطبع يقع نحو ٦٠ صفحة من القطع الصغير . تأليف السيد علي حافظ ، أحد أعلام الأدب في بلادنا ، لخّص فيه المؤلف الفاضل ما يتعلق بذلك السوق ، من تحديد موضعه وأثره في اللغة والأدب . وأورد طرفاً من أخباره ، وأشار — بإيجاز — إلى غيره من أسواق العرب ، وقد نشرته (المكتبة الصغيرة) التي يشرف إلى ما تنشره من كتب صديقنا الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي فجاء الحلقة الثامنة عشرة من سلسلة منشوراتها وطبع سنة ١٣٩٦هـ (١٩٧٦) بمطابع الزائدي في الطائف طباعة حسنة .

* الينابيع :

هذا هو الديوان الرابع للشاعر الأستاذ محمد بن علي السنوسي صدر في ١٠٠ صفحة ، بطباعة حسنة ، عن مطبعة (شركة المدينة للطباعة والنشر) في جدة . وهو من (مطبوعات النادي الأدبي في جازان) .

والأستاذ الشاعر السنوسي غنيٌّ عن التعريف ، ومنزلته الشعرية بين شعراء هذه البلاد أرفع من أن تُجهل .

وأشعار هذا الديوان مقسمة إلى أربعة أقسام :

١ — إسلاميات — من ص ٢ إلى ص ٢٨ .

٢ — تأملات — من ص ٣٠ إلى ص ٤٧ .

٣ — قوميات — من ص ٤٩ إلى ص ٦٣ .

٤ — متفرقات — من ص ٦٧ إلى ٩٩ .

---

(١) ومع ذلك لم يخل من (التطبيع) الشنيع مثل (نطاق خيبر) والمقصود (نطاة خيبر) وهي قرية لا تزال معروفة في وسط واحة خيبر (انظر عنها كتاب « في شمال غرب الجزيرة ») .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
مدير تحريرها ومؤسسها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٣٠ ريالاً للأفراد و ٥٠ ريالاً لغير الأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

ج ٩ و ١٠ س ١١ الربيعان سنة ١٣٩٧ هـ آذار ونيسان (مارس/أبريل) سنة ١٩٧٧م

العامية والدخيل
واللهجات في قلب الجزيرة

البحث الممتع الذي ألقاه الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس في الجلسة الثانية لمؤتمر (مجمع اللغة العربية) في القاهرة في ٤-٣-٣٩٧ هـ (٢٢-٣-١٩٧٧ م) فكان موضع تقدير وشكر من رئيس المجمع ومن أعضائه.)

الحصانة التي كانت تتمتع بها اللغة العربية في قلب جزيرة العرب، كان سببها شبه العزلة التي كانت القبائل العربية تعيشها سالمة من عدوى العجمة وأدواء التقليد، بعيدة عن المؤثرات اللسانية، التي تبلبل لسانها، وتفسد لهجاتها..

وغير ذلك فهناك وازع النقد، وسلطان الغيرة، ورقابة المجتمع.. فلا تكاد تَندُّ من متحدث أو شاعر، أو خطيب.. كلمة نشاز إلا ويكونون لها بالمرصاد، مما يحملهم على التحفظ ويبعثهم على الالتزام. قامت أسواقهم على هذا، وتواصت منتدياتهم به، فكانوا جميعاً للغتهم حُرّاساً وعليها غُيُرٌ. وكانوا إلى جانب ذلك يغذون لغتهم ببديع البيان، ومتأنق اللفظ ورائع الشعر، وجزل الخطب، فسمت منهم الفصاحة. وعلا بهم القول وتكامل فيهم الإعجاز.. كان ذلك بين يدي الإسلام لتكون معجزة القرآن بالغة مبلغها مستوفية دلالتها، في قومهم تهزهم الفصاحة ويبهرهم جزل القول، وتشدهم سلاسة المنطق. ومع ذلك فقد وغل فيهم من الدخيل ما وغل، وتخلل لسانهم — فوت الحرص. وسبق العذل، ولم يلبث حتى أساغوه واستخدموه وبقي فيهم محاورا وعلى ألسنتهم مَسْمُوعاً. وإن كانوا يميزون الدخيل من الأصيل،

ومغمور النسب عن المتوقح في أرومة لسان العرب ، إلا أن القرآن وهو الغاية في الفصاحة والبلاغة ، والمثل الأعلى في السمو والإعجاز قد أقرَّ ما وجد اللسان العربي أقرَّهُ وأبى منه بما ليس بمستغرب، لا يصدع الآذان سماعه ، ولا تنكر الطباع وقعه ، أتى منه بما يناهز مئة لفظة ، على ما وقع في هذه القضية من خلاف بين العلماء ، فمنهم من ينكر وقوع غير العربي في القرآن ، وله دليله من واقع القرآن ، ومنهم من يؤيده ، ولكن على أن ما وقع كان بغير اللسان العربي أصلا ، ولكنه تعرب بوقوعه في لسان العرب فاصبح منه ، ومن ثمَّ أتى به القرآن .

ومع ذلك أيضاً فقد سرت عدوي العجمة فى بعض قبائل العرب التي لها احتكاك بالأمم الأخرى عن طريق المجاورة أو التجارة أو النقلة أو المصاهرة أو غير ذلك ، حتى حذر علماء اللغة — الذين عنوا بتدوينها سليمة من كل شائبة نقيَّةً من كل عجمة — حذروا الأخذ من غير الفصحاء . فالذين نقلت عنهم العربية من القبائل وكانوا هم القدوة فى التدوين ، هم قيس ، وتميم ، وأسد ، وهُذيل ، وبعض كنانة وبعض الطائيين ، وأغفلوا لغة كلِّ حَضَرِي ومن كان من البوادى مجاوراً للأمم الأخرى ، كلخم وجذام وقضاعة وغسان ، وتغلب وبكر ، وعبد القيس وأزْدِ عُمانَ ، وبني حنيفة ، وثقيف ، وسائر قبائل الطائف أغفلوا الأخذ عنهم بسبب مجاورتهم للأمم الأخرى ، واختلاطهم التجاري .

ومع ما تقدم بقيت اللغة في قبائل الجزيرة العربية سليمة قويمة ، وبدأ اللحن يغزو المدن والحواضر في مطلع فجر الإسلام المبكر ، وبدأت السليقة العربية تتأثر ، وبدأ اللسان العربي في هذه الحواضر يتعثر ، كقصة الذي لحن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقصة عامل عمر ، وقصة ابنة أبي الأسود الدُّؤَلي ، وقصة الاعرابي الذى لحَّنَ من يعلمه القرآن ، فانكر المتعلم على المعلم ، وغير ذلك من النوادر التي ضاق بها ذرع أعلام اللغة آنذاك وأئمتهم ، فوضعت القواعد ودون فصيح اللغة وصريحها ، وانتقل من يومئذ علم اللغة في الحواضر الاسلامية وما جاورها من السليقة والطبع — إلى رياضة الألسنة على هذه القواعد ، وتأبت سلائقهم على ما ليس من طبعها ، ممن لم تحفظ عليهم لحنة واحدة كعبد الملك بن مروان والشعبي والحجاج وأيوب بن القرِّية..

في هذه الأوساط — التي أصبح علم اللغة فيها يؤخذ بالتدريس والتلقين ، وبدأ

الطبع اللغوي ، والملكة الأصيلة يضمران وينكمشان – بدأ المهتمون بأمر اللغة والغيُر على حماها يقصدون البادية ، ويتنقلون بين أهلها ويسجلون لهجاتها ، ويلتمسون القول الفصل في ما اختلف فيه ويتتلمذون على أميّيهم ممن لم يعرف الحضارة ، ولم يشب لسانه شائبة .

وأخذ الخلفاء والأمراء ، والموسرون يبعثون أولادهم إلى البادية ليأخذوا اللغة سليقة وطبعاً ، تتسم بالجزالة وتنطق فحلة متبدية أصيلة .

ولينقلوا أنفسهم من الحياة الحضرية اللينة المترفة الوادعة إلى حياة البادية الخشنة ، الناصبة، الكادحة ، وإلى جوّ الفتوة والرياضة العربية ، من ركوب الخيل والإبل وتسلق الحبال ، وقطع الفيافي رجالا وركبانا ، في حمّارة القيظ ، وصبارة الشتاء .

ولم تزل اللغة في الحواضر العربية ، وما جاورها تمعن في البعد عن السليقة وتنأى عن ملكة اللسان العربي بعوامل الاختلاف ، والمجاورة ، والمصاهرة ، والتجارة ، والفتوح الاسلامية عبر القرون الأولي من الاسلام ، وبانتقال الخلافة والسلطة من العرب إلى غيرهم زوحمت العربية في عقر دارها ، واتسع نفوذ العجمة تبعاً لنفوذ أربابها ، وضمر ظل الفصحي تبعاً لضمور نفوذ أهلها ، إلي جانب ما تعمله السلطة المتسلطة لإضعاف اللسان العربي والكيد له .

هذه العوامل وغيرها تنقر صخرة هذه اللغة عبر القرون ، وتسعي فى تفتيتها وانهاكها ولولا أن الله تكفل بحفظها ممثلة في كتابه العزيز لذابت وانطمست معالمها ، ولكن قيض الله لها قلاعاً حصينة وجنوداً مجاهدة ، توارثت العمل من أجل الإسلام ، والحفاظ على كيان الفصحي في صميم الحواضرالعربية ، وعلي رأسها (الأزهر الشريف) مما جعل هذه الأمة بأسرها مدينة لجهادها مطالبة بالوفاء لها .

ويأتى عصر الانتفاضة العربية ، فتواكبه أقلام مجاهدة ، وأعلام بارزة ، وقادة فكر أوفياء ، نشأت نتيجة لجهادهم المجامع العلمية واللغوية والمعاهد المتخصصة ، والجامعات ، ونشطت حركة التأليف والنشر ، والتحقيق ، والتدقيق ، وإحياء التراث وخدمة الفصحى في جميع المجالات ، ولا يزال جهادها مستمرًّا ونشاطها متوالياً .

وأمام ما جد به العصر من مبتكرات في مجال الصناعة ، والطب ، والاقتصاد ،

والعلم بجميع فروعه ، وما إلى ذلك . . نتج عنه حشد من المسميات والمصطلحات ، وواكبه زحف من الأفكار والفلسفات ، والمعارف ، كل ذلك وغيره واجه اللغة العربية في هذا العصر وطالبها ببيان موقفها منه .

وأمام ما تجري به بعض الأقلام ، وما تتوارد به بعض الأفكار ، وما طرأ من تغيير على كيان الشعر العربي باسم المرونة ومجاراة واقع العصر ، ومحاربة الجمود ، ونبذ الماضي المحنط وافساح المجال للأقلام الناشئة ، لتعبر عن أفكارها من أقرب طريق ، وتسهم في بناء فكر شاب . . لئلا تعوقها الحدود ، وتقف في طريقها القواعد والمصطلحات ، فصغرت حرمة الفصحي لدى بعض المتأدبين ، والمدعين ، وقلت هيبة ذلك الحمي المتمنّع ، واقتحموا حدوده وجاسوا خلاله ، فصرنا نري العناوين البارزة الملحونة تحتل واجهات الصحف ، وصار المذيع والمحاضر ، والخطيب لا يتحرجون من أن يقذفوا باللحن كالقذف بالحلاميد ، وصار باب الشعر مفتوحاً لمن شاء أن يكون شاعراً يرصف الجُمَلَ والحروف كرصف البيانات ويسميه شعراً، تاركاً كل قاعدة من قواعد الشعر جانباً . .

أمام هذا كله وأمام ما عسى أن يكون من غيره — فإن رسالة حراس اللغة في هذا الزمان ثقيلة ، ومهمتهم شاقة ، ودربهم شائك .

ونعود إلى الحديث عن اللغة في قلب الجزيرة العربية — لغة البادية — وقد عهدناها معتصمة بسليقتها ، محتفظة بملكتها ، يقصدها علماء اللغة للأخذ عنها ، وينتجعها الرواد للتأثر بها والتعلم منها . .

كان هذا واقعها في صدر الإسلام ، وليس من شك في أنها لم تبق محتفظة بأصالتها اللغوية ومكانتها الأولى ، فلقد تأثرت قبائلها المحافظة بما تأثر به غيرها من القبائل ذات الصلة — بالمجاورين من غير العرب ، وداخلها ما داخلها من واغل ، غمز جانبها وكدر صفوها ، إلا أنها إلى السلامة أقرب ، وبالسليقة الصق ، تأرز دائماً إلى أصلها ، وتنزع أبداً إلى أرومتها ، يتحدث إليك متحدثها قاصًّا أو مخبراً ، أو مستخبراً ، أو واصفاً ، أو جادًّا ، أو هازلا .. فيذكرك ما أنت تقرأه عن العرب وتنسجم مع حديثه انسجام المتأمل المتذوق المشدود إلى السماع ، ويواجهك بصراحة العربي وصرامته وصدق لهجته واعتداده بنفسه .

وإذا كنت حضريا وحدثته بعاميتك الحضرية جعل يتندر على ما في لهجتك من يونة ، وعلى ما في لسانك من لوثة ، وعلى ما في مسمياتك من خطإ ، وما في مصطلحاتك من هجنة .

للحديث عن الناقة ، والفرس ، والطير ، ، والكلب ، والوحش ، والصحراء ، والطبيعة المتحركة والساكنة . قواعد والتزامات ، لا يضل فيها ولا يغوي ، فهذه فرس صفراء ، لذات اللون الأبيض ، وصهاة ، بياضها ناصع ، ومرشوشة للمنطقة بلون آخر ، وشهباء للتي مازج لونها قليل من السواد ، ودهماء للتي غلب عليها لون السواد وكميت وحمراء وشقراء للاتي ألوانهن كذلك ، وهكذا وقد أعطت الفرس وأشعت : إذ طلبت الذكر ، وعلاها الذكر إذا لقحت ، وأبطحت إذا قاربت الانتاج وأفلت إذا انتجت ، وولدها فلو أو فلوة في السن المبكر ومهر أو مهرة بعده ، وجذع أو جذعة بعده ، وثَنِيٌّ أو ثنية ، ورباع للذكر والأنثي وهكذا .

وهكذا بقية شياتها وأعضائها ، وعدوها وحركاتها .

وللناقة شيات ، ومصطلحات ، ومسميات ، وأحوال ليست للفرس ، ولكل الحيوانات ، والنباتات والظواهر والطبائع المتحركة والساكنة كذلك ، مما هو من صميم الفصحي ، ومما لو خلط فيه مخلط أو حرف محرف لكان عرضةً للسخرية والهُجْنَة والضحك ، كأن تقول — مثلا —: هذه ناقة مبطح بدلا عن الفرس، أو تقول : هذه فرس عشراء بدلا عن الناقة .

وكلامهم في جملته يسمعه غير المتأمل فينكره ويظنه موغلا في العامية بعيداً عن جو الفصحي ، وإذا تأملته لا تسقط منه شيئاً . إلا ما كان من تسهيل في الهمز ، وإمالة في بعض حروف الإمالة وابدال فيما يدخله الإبدال ، مما هو خاضع لواقع اللهجات منذ القدم .

فيلقي مثلا التميمي تميمياً آخر فيقول له : (من أين أنت ياى) ؟ فيجيبه : (ياي من اليوف)يظنه السامع كلاماً مرطوناً لا علاقة له بالفصحى والواقع أن المسائل يقول : (من أين أنت جائي) بتسهيل الهمزة من (أين) وإبدال الجيم ياء على لغة تميم وقلب الهمزة ياء والجواب جاء هكذا : (جائي من الجوف) بقلب الجيم ياء في

(جاء) و (الجوف) ويلقي الطائي أخاه فيقول (أنطَنْ مان) فيجيبه : (راع المان (بالسريّ)يقول الأول : أعطني ماء . ويقول الثاني انظر الماء بالقناة . فانطن ، ومان وراع ، والسريّ أسماء فصيحة على لغة طي .

ويلقى العتيبي أخاه فيقول له : (أزّني ما) فيقول اخوه : (ماش ماء) الأول يقول (أسقني ماء) فقلب السين زايا من باب تناوب الحروف ، وشدد الزاي ليسقط القاف والثاني يقول (ماشيء من الماء هنا) فاقتضب كلمة (ماشيء) بكلمة (ماش).. وهكذا نجد لغتهم فصيحة متمشية مع لهجاتهم الأصيلة . .

وفي مجال الشعر يقرضونه في شتى الأغراض ، ويسلكون به مسالك العرب الأوائل مفاخرين ومنافرين ، ومادحين وقادحين ، ومشببين وواصفين . . يقرضونه على السليقة لا يتعمّلُون في صنعته ولا يشتطون في تدبيجه، يرسل أحدهم— ممن تتوفر لديه الشاعرية — العنان لقريحته فتتنفس عن رائعة يستوفي منها غرضه ، قد تبلغ الثمانين بيتاً وربّما أكثر وربما أقل فتسير فى أوساطهم وتتناقلها رواتهم، وتبلغ مبلغها من الانتشار والرواية .. يغذون بهذا الشعر أسمارهم ، ويستشهدون به على أحداثهم ، ويسجلون به وقائعهم ، ويتغنون به على ظهور المطيّ ، وفى مجالات أفراحهم ، ومناسبات انتصاراتهم . ولهذا الشعر حديث طويل وضعت فيه كتاباً أسميته « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » ألم بالخطوط الرئيسية من هذا اللون من الشعر . .

والشاهد هنا هو أن هذا الشعر تسمعه من أفواههم ، وتقرأه في مدوناتهم فلا يخامرك شك في أنه شعر عامي ، أفسد الفصحي وكدر صفوها ، ولكن إذا أخذت نموذجاً منه وحللته خرجت بنتيجة مذهلة ، واكتشفت مجهولا ، وعثرت على حقيقة ، إنك تجده شعراً فصيحاً موزوناً مقفىً لا تعوزه القوة ولا ينقصه الإبداع ، ولا يمارى في متانته وسموه . .

ولنأخذ مثلا هذه النماذج منه :

قال الشاعر محسن الهزّانى الذي عاش في حوالى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى ببلدة (الْحَرِيق) من اليمامة .

غنى النفس معروف بترك المطامع وليس لمن لا يجمع الله جـامع

ويعصي :

إذا ما انقضي النيروز فيها وخوّضت مطافيل غزلان المها كل خـايع
سقاها الحيا في ليـلة بعـد ليـلة من المزن هتـاف حقوق الروامع

ومنهـا :

ولا عـز إلا في لقا كل متعب بسمر القنا والمرهفـات القواطع
دع النـاس من لا يبتدى منك رقة فما النـاس إلا من حسود وشـانع

نرجع ذلك إلى الفصحي فاذا هو مستقيم الوزن من البحر الطويل ومستقيم المبني والمعنى .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي من أهل القرن الثاني عشر :

مقـام الفتى في منصب العـز ساعة ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه
فلا بالتمني تبلغ النفس حظهـا ولا بالتـأني فاز بالصيد طالبـه

ومنهـا :

فـلا يد إلا يد الله فـوقهـا ولا غالب إلا له الله غـالبه

ولأبي حزة العامري من أهل القرن العاشر تقريباً :

تأبي عن الطمع الزهيد نفوسنا وفروجنـا تأبى عن الفحشـاء

ولماجد القباني من أهل القرن الثالث عشر الهجري :

نديب على الدنيا شقا لو نديبه على الدين ما مس النفوس عـذاب

ولـه :

فما النـاس إلا من تراب معادن وما طاب من تلك المعـادن طاب

وهكذا كثير من هذا الشعر يتحول من اللهجة العامية إلى شعر فصيح صحيح ، وبعضه تدخله اللهجات والتسهيل والتسكين ، وإذا قوم استقام

فمما تدخله اللهجات قول أحدهم :

يا مرحبـاً بش وبْهَلـشْ وبالجمـل اللـي ْحملـشْ

يقصد : يا مرحباً بك وبأهلك وبالجمل الذى حملك

على لهجة الكشكشة لربيعة ، وهى إبدال الكاف شينا ، وهى الآن لغة قبيلة (يام) بجميع أفخاذها وقول عبدالله بن رَشيد :

سلم عليه ولا تقل لـــه مقاله إلا ان نشد عن حالتى أوعَنِي سال

فقوله (عَنِي) بالتخفيف جاءت على لغة القائل :

أيُّها السائل عنهم وعـــني لست من قيس ولا قيس منى

فسلامة اللغة لدى عرب الجزيرة في البادية هو الأصل ، والدخيل فيها قليل جداً ، والعامية تخضع للهجات ، واللهجات في قلب الجزيرة كثيرة وتخضع أيضاً لعوامل مناخية ، فالجوار والاحتكاك والمداخلة فى المراتع لها دخل فى ذلك ، ولذا تجد لغة شمر ، وعَنَزَة ، وحرب ومن جاورهم من القبائل متشابهة، ونجد لغة عتيبة ، وهذيل، وعدوان ، والشلاوي ، والبقوم ، وثقيف وقريش ، وسفيان ، وثمالة . وسليم ، ومن جاورهم فيها كثير من الشبه ، ونجد لغة يام بجميع فروعها ، وفحطان بجميع فروعها أيضاً متجانسة ، وعرب اليمامة ، سُبيع والسهول ومطير ، والقرينية ونزائع وبطون من عرب آخرين لغتهم متجانسة ، وهكذا .

وبالجملة فاللهجات العربية في قلب الجزيرة العربية كثيرة ، وكلها ترجع إلى أصل واحد هو العربية الفصحي ، ولا ضير ولا غضاضة من تعدد هذه اللهجات فقد كانت منذ الجاهلية أيام كانت الفصحي في قمة مجدها وتكامل شخصيتها ، ونزل القرآن بها وأدخلها في فصاحته المتناهية ، وبلاغته المعجزة ، فبالتتبع والاستقراء نجد أن القرآن أخذ من لهجات القبائل من كل لهجة بطرف ، فأخذ من لهجة كنانة ، وهذيل ، وأزد شنوءة ، ومذحج وخثعم ، وقيس عيلان ، وسعد العشيرة ، وكندة ، وعذرة ، وحضرموت ، ومزينة ، ولخم ، وجذام ، وحنيفة و غيرهم ما يبلغ نحوا من خمسين لهجة ، ولا ينافى هذا ما ورد من أن القرآن كتب بلهجة قريش فالرهط الذين عهد إليهم الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بنسخ المصاحف هم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث قال الخليفة لهم: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه نزل بلسانهم — ومعنى هذا أن القرآن وإن نزل بلسان قريش فإنه لم يغفل سائر اللهجات ، بل ورد بها وأيدها .

وإذن فلا ضير في أن تبقى هذه اللهجات كما كانت في عهد مجد اللغة العربية وازدهارها، وحتى لو حاولنا توحيد هذه اللهجات في لهجة واحدة ، فنعتقد أن ذلك من الصعوبة بمكان .

ويتجه التفكير إلى أن أقرب وسيلة للتخلص من بلبلة اللسان العربي بين العامية والدخيل واللهجات المرتبكة هي محاولة الرجوع إلى الفصحى، بأن نلتزم قبل كل شيء في مدارسنا المتوسطة والثانوية والجامعية بالتخاطب بالفصحى . وكذلك في دور الثقافة والصحافة والإعلام والسينما والمسرح والمطارات والطائرات والأندية والجمعيات . . وكل جهة تجمّع . ونصر على تطبيق ذلك ، ونلح ونتابع ولا نيأس . فهي الوسيلة الوحيدة — في نظري التي هي أسلم وأقوم . .

بقي أن نتساءل عما جرى الحديث عنه هنا من بقاء عنصر الفصحى متمكناً في قلب جزيرة العرب . هل من سبيل لاستغلالة كمنطلق من منطلقات الرجوع إلى الفصحى ، ومحاولة تهذيبه وتشذيبه وتنميته . فان فيه إلى جانب واقعه الفصيح أنه فصيح بالملكة ، والسليقة ، لا بالرياضة والتلقين والتعليم وهذا جانب مهم جداً في أن ترجع سليقة العربي إليه ، وأن تعود به تدريجياً إلى سابق عهده — وزاهر مجده . .

ولا أعني بما قلته الدعوة إلى استعمال اللغة العامية . . وانما قصدت أن أوضح جانباً ذا أهمية كبيرة لدارسي اللغة العربية والمعنيين بالحفاظ عليها . . وهو أن اللهجات في قلب الجزيرة العربية تمت إلى العربية الفصحى بأقوى الأسباب . بخلاف اللهجات الأخرى المنتشرة في مختلف الأقطار العربية ، إذ من المعلوم أن هذه اللهجات ترجع بأصولها إلى أرومة عجمية كالفارسية والتركية ، وغيرهما من اللغات . . ففي استعمال اللهجات في قلب جزيرة العرب ، أو محاولة التقريب بينها وتنميتها محافظة على اللغة العربية وخدمة لها . .

إنها فكرة أعرضها على مجمعنا الموقر ولعلها تلقى من القبول والاهتمام ما يتواءم مع أهميتها . والله المستعان .

عضو مجمع اللغة العربيـــة

عبد الله بن محمد بن خميس

ساقٌ وسُوَيقة

ساق : على لفظ ساق الانسان التى يمشى عليها ــ:

جبل أسود هرميُّ الشكل يري على البعد شامخاً في السماء شديد الشموخ وهو هضبة واحدة ذات رأس واحد منفردة عن أية صخور أخري يشملها اسمها .

وهو مشهور في القَصيم لأمرين : أولهما أنه يرى على البعد شامخاً شموخاً لا يناسب ارتفاعه الحقيقي عندما يراه من يقف تحته .

والثاني أنه أقرب الجبال الواضحة إلى مدن القَصيم فهو لا يبعد عن بريدة إلا بحوالى ستين كيلا ، ولا يبعد عن مدينة عُنَيزة إلا بحوالى سبعين كيلا ، أما مدينة البكيرية فهو أقرب إليها من ذلك بكثير .

يقع جبل ساق في غرب ناحية الحواء إلى الشمالى الغربي من مدينة بريدة وإلى الشمال من بلدة رياض الخبراء .

ويوصل إليه من جهة قرية الضلفعة على صعوبة هذا الطريق أما أسهل طريق إليه في الوقت الحاضر فهو من قرية الْقُرَيْن حيث يبعد عن الخط الإسفلتي الممتد من تلك القرية مسافة ٢٩ كيلا إلى جهة الشمال .

على أن ساقاً يرى من عدة أماكن فى القَصيم مثل البدايع والبكيرية ورياض الخبراء والرس .

وتسميته مشهورة في القديم والحديث إلا أنه كان يقع الخلط عند القدماء بينه وبين جبل آخر يقع إلى جهة الشمال منه على بعد ٤ أكيال وكان يسمي عندهم ساق الفَرْوَيْن أما المتأخرون فقد أسموا الآخر سويقة بلفظ تصغير ساق وسيأتي الكلام على الفروق بينهما بأوضح من هذا في رسم سويقة إن شاء الله وسوف أذكر من النصوص القديمة ما هو في جبل ساق هذا وأصحح ما اعتوره منها الخطأ باذن الله .

قال الإمام لغدة الاصبهاني : (ساق : جبل هضبة واحدة شامخة في السماء وهي لبني وهب) [1] .

أقول : هذا صحيح كله وبنو وهب من بني أسد .

وقال البكري : ساق فى شعر لبيد : جبل لبنى أسد بين النباج والنقرة قال لبيد :

يُصَرِّف احناء الأمور نخاله بأحقاب ساق مطلع الشمس ماثلا[2]

أقول : لبيد بن ربيعة رضى الله عنه يصف حماراً وحشياً . ونجزم بأنه يريد ساقاً هذا الجبل الذي نحن بصدد الكلام عليه لأنه قرن ذكره في القصيدة التى منها هذا البيت يذكر أماكن معروفة في القديم والحديث أنها في القصيم مثل صارة ورقد وثادق (ثادج حالياً) وقول البكرى بين النباج والنقرة أى في طريق من يريد النقرة من النباج التي هى الاسياح في الوقت الحاضر .

وقوله : بأحناء ساق أو باحقاف ساق . يذكرنا بما نعرفه أنه إلى ما قبل منتصف هذا القرن الرابع عشر كانت الظباء وأنواع صيد البر الوحشي تلجأ إلى أحناء ساق أى : المواضع الحصينة التى تقع إلى الشرق منه وهى مواضع وعرة تتألف من أكمات صخرية يصعب السير عليها تركبها بِرَاق في بعض الأماكن ولا تستطيع أن تسلكها السيارات حتى الآن إلا ما كان منها معداً للسير على الأرض الصعبة ومع المشقة فى ذلك.

وورد ذكر ساق مقروناً بذكر العناب الذي كان يسمى ساق العناب ، حيث تكثر التسمية بساق في تلك المنطقة وقد عرفنا ثلاث سيقان أولها : ساق الذى هو أشهرها وأعلاها في السماء . وإذا أطلق لفظ ساق عند المتأخرين انصرف إليه . والثاني : سويقة الذي كان يسمي عند المتقدمين ساق الفروين بالفاء الموحدة أو القروين بالقاف المثناة . والثالث ساق العناب الذي تسميه العامة الآن الأصبعة لأن العناب الذي في رأسه يشبه مرآه مرأى الاصبع المرفوعة إلى أعلى لمن ينظر إلى الجبل من مسافة بعيدة.

قال الطوسى : عناب : جبل على طريق المدينة ، وساق : جبل عناب فيقال..

---

(١) : « بلاد العرب » ص ٣٧ .

(٢) : « معجم ما استعجم » رسم ساق . والبيت فى « ديوان لبيد » ص ١١٤ ويرى : بأحناء ساق . ويرى : آخر الليل ماثلا .

ساق العناب .. ويقال لهما جميعاً الساقان ، وربما قيل العنابان وأنشد الطوسي لكعب بن زهير .

جعلن القنـــان بإبط الشمال وساق العنـــاب جعلن اليمينا

أقول : قوله على طريق المدينة يريد بذلك طريق من يقصد المدينة المنورة من النباج (الأسياح) وهو طريق حاج البصرة إلى المدينة إلا أن الطوسي رحمه الله خلط بين ساق الذي هو الآن (ساق الجواء) وبين ساق العناب الذي هو الأصبعة فجعل ساق الجواء مضافاً إلى العناب والصحيح غير ذلك ، إذ ساق العناب غير ساق الجواء

أما بيت كعب بن زهير فقد سبق الكلام عليه في رسم الاصبعة في حرف الألف.

كما ورد ذكر ساق مقروناً بذكر الساق الأخرى التي يقال لها الآن سويقة وذلك في قول نصر الاسكندرى رحمه الله :

ساق : هضبة كأنها قرن ظبي لبني أسد . وجبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب[1]

أقول : لقد ميز رحمه الله بين الساقين ، وحلى كل واحدة منهما بحلية تتميز بها وجبل ساق هذا هو المراد بقوله : جبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب . أما الساق الأولى في هذا النص فسيأتى الكلام . . عليها في رسم (سويقة)

ويسمي ساق : ساق الجواء الآن وإضافته إلى الجواء لقربه من ناحية الجواء التي يقع في جهتها الغربية وهي تسمية قديمة بلى جاهلية وردت في شعر زُهير بن أبي سلمى قال وهو يتكلم على قدومه من جهة الشرق مع الدهناء إلى بلاده في الحاجر فى مجرى وادى الرمة فوق عقلة الصقور من قصيدة [2] :

نشزن من الدهناء يقطعن وسطها شقائق رمـــل بينهن خمـــايل
فلمـــا بدت (ساق الجواء) وصارة وفرش وحَمَّاوَاتُهُنَّ القـــوابل
طربت وقال القلب : هل دون أهلها ومن جاورت إلا ليـــال قلائل ؟

(١) كتاب نصر (مخطوط) الورقة ٨٨ب
(٢) شرح ديوانه ص ٢٩٥ – ٢٩٦

قرن زهير ذكره بذكر (صارة) التي هى جبل مشهور يقع إلى الشمال من ساق وسيأتي ذكرها وأما فرش الذي ذكره فلا أعرفه وجاء في شرح ديوانه(١) أن المراد بحمّاواتهن : أرض مقابلة لهن وقيل: جبال سود . والقوابل التي يقابل بعضها بعضاً .

وإذا كان تفسيره بأنها جبال سود ، فلعل المراد بذلك القنان الذي سمي الآن الموشّم والقنة التي تسمى الآن القحصان وسيأتي ذكرهما :

وكما ذكر زهير ساقاً وأضافه إلى الحواء لقربه منها ذكر ساقًا وأضاف إليه بطناً له أي : لساق : فقال من قصيدة .

عفامن آل ليـــلى (بطن ساق) فأكثبـــة العجـــالز فالقصيم

وبطن ساق أرض منخفضة ذات تربة طينية محيطة بساق من جهاته عدا جهته الشمالية وتسميها العامة الآن (روضة ساق) وقد حفر بعضهم وهو الأمير ابن ناقي من رؤساء قبيلة حرب بئرًا (ارتوازية) وزرعها زرعاً وغراساً . وذلك في الجهة الجنوبية الشرقية من جبل ساق .

وقد قرن زهير ذكر ساق بذكر أكثبة العجالز جمع كثيب من الرمل .

والعجالز : هي جمع عجلز أو عجلزة وهي مياه فى وسط رمال الغميس الشمالى او غميس بريدة كما يسميه بعضهم . وهو الذي يقع إلى الشمال من مجرى وادى الرمة . والعجالز هي التي تسمي الآن الزُّريب والمدوية وما حولها .

كما قرنه بذكر القصيم جمع قصيمة وهى الرمال التي تنبت الغضا واشتهر ساق باضافة عرفة إليه يقال لها (عرفة ساق) وتسميها العامة من البادية فى تلك المنطقة . (شرفة ساق) وسيأتي ذكر ها في حرف الشين . إلا أن الذي يلفت نظرنا أن ساقاً أضيف إلى تلك العرفة في القرون الوسيطة بدلا من أن تضاف إليه كما كان عليـــه الحال في صدر الاسلام .

جاء ذلك في نص أورده ابن فضل الله العمرى في معرض كلامه على ديار بني خالد

---

(١) شرح ديوانه ص ٢٠٨

وهذا نص كلامه : (وخالد ، ودارها : التنومة ، وضيدة ، وأبو الديدان والقريع وضارج والكوارة ، والنبوان ، إلى ساق العرفة ، إلى الرسوس)[1] .

فقرن ذكره بأماكن كلها معروفة بأسمائها إلاأن بعضها دخله التحريف مثل أبو الديدان الذى هو أبا الدود الآن . والقريع (القرعا) وضارج (ضاري) والكوارة: القوارة . والنبوان (الصوال) .

أما في صدر الإسلام فقد كانت العرفة تضاف إلى ساق كما في بيت أبي بن مقبل[2]

سلكن القنـــان بأيمـــانهـــا وساقاً وعرفة ساق شمالا

فقرن ذكره بذكر القنان الذي هو الجبل الذى يسمي الآن (الموشّم) ويأتي ذكره في حرف الميم.والركاب التي تجعل القنان بايمانها أي في جهة اليمين منها وتجعل ساقاً وعرفته في جهة الشمال أي اليسار منها تكون متجهة من الجنوب إلى الشمال .

وهذا هو الواقع بدليل قول ابن مقبل نفسه من القصيدة نفسها وقبل البيت الذي ذكرناه :

فليس لهـــا مطلب بعـــدما مررن بفرتاج خوصـــاً عجالا[3]

وفرتاج يقع إلى جهة مهب الشمال من جبلى القنان وساق وهو واقع في المنطقة التى تتبع لمنطقة حائل لذلك لم نفرده برسم خاص به .

وقال لغدة : وكفة العرفج أي منطقع العرفج ومنتهاه هي العرفة ، عرفة ساق وتناصيها[4] عرفة الغروين وفي كل تصدر شاربة الناجية والثلماء[5]

أقول : ورد في هذا النص التفريق بين عرفة ساق وعرفة الفروين التي يقال لها (ساق الفروين) وهي سويقة في الوقت الحاضر ، ولـــكل منهما الان عرفة متميزة سيأتي ذكرها في حرف الشين .

---

(١) مسالك الأبصار ج ٤ ورقة ٩١ ووردت هذه العبارة محرفة فى « قلائد العقيان » ص ٨٩ ولـــكنه نص على أنه نقلها عنه .

(٢) البكرى رسم – ساق .

(٣) ديوان ابن مقبل ص ٢٢٧ .

(٤) تناصيها . تباريها .

(٥) « بلاد العرب » ص ٣٧

اما الناجية والثلماء اللتان تصدر سها الشاربة – أي الإبل التي تشرب منهما وترعى في عرفتي ساق وسويقة . فهما من مياه بني أسد القديمة التي لانعرف اسمها الآن ، وإن كان موقعها معروفاً بالتقريب بناء على أوصاف المتقدمين .

وسمي الحطيئة جبل ساق (ساق الفريد) لانفراده في الشكل عما عداه من الجبال في تلك المنطقة وربما في منطقة القصيم كما ذكر إلى جانبه (ضارجاً) الذى هو (ضاري) في الوقت الحاضر في الشُّقَّة ، وقو الذى هو قُصَيْبّاء فى الوقت الحاضر كما سيأتي تحقيق ذاك في رسم قصيباء فقال [1] :

نظرت على فوت ضحيا وعبرتي ... لها من وكيف الرأس شن وواشل
إلى العير تحدى بين قو وضارج ... كما زال فى الصبح الاشاء الحوامل
فأتبعتهم عَيْنَيَّ حتى تفرقت ... مع الليل عن ساق الفريد الجمائل

وقد شرحنا هذه الأبيات فى رسمى (ضارى) و (قصيباء).ويؤيد أنه يريد ساقا هذا أن المسافة لمن يكون في مكان واقع بين قصيبا والشقة ضحيا أي في أول الضحى لأن ضحيا تصغير ضحى ويسير متجها جهة القبلة أي الغرب الجنوبي فإن المسافة على الإبل هى التي ذكرها الحطيئة من أول الضحى إلى الليل للوصول إلى جبل ساق .

وهذا رجز قديم أورده البكرى وقرن ساقاً فيه بقور ساق وتلك القور تقع إلى جهة مطلع الشمس من ساق وتمتدّ على نسق فيما بينه وبين الخبراء :

يا إبلى هل تعرفين (ساقا) ؟ ... قالت : نعم ، وقورها الأنساقا [2]

وسيأتى ذكر هذه القور في حرف القاف مفردة وأشهرها (قارة الأسلاف) .

تلك رواية البكرى لهذا الرجز أما رواية الهمداني ففيها بعض التحريف وفيها زيادة ذكر (ضلفعان) الذي هو الضلفعة بدون شك :

ياإبلا هل تعرفين (ساقا) ؟ وضلفعان المرتع الرقاقا ؟
وفوزة المشرفة الانساقا [3]

---

(١) « ديوان الحطيئة » ص ١٨ – ١٩ و« معجم البلدان » رسم ساق :
(٢) معجم ماأستعجم » رسم (ساق)
(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٤٤ – (العرب : فوزة : تصحيف قوره جمع قارة فيما يظهر)

وسيأتي توجيه هذه العبارة في رسم (الضلفعة) .

تلك عبارة محرفة فيها ذكر (ساق) وهذا تحريف لفظي ، ولـــكن هناك عبارة أخرى أعتقد أن التحريف فيها تحريف ذهني وردت فيها تسمية (ساق) بساق الفروين

وساق الفروين هو (سويقة) كما تقدم إلا أنّ وصف (ساق) في هذه العبارة الآتية لاينطبق إلا على ساق الجواء وهي قول لغدة رحمة الله في الكلام على رامة ونصه :

(وتنظر من رامة إلى أبانين وقطن . وساق الفروين ، وهو جبل دقيق طويل كأنه قُنّه) [1] .

هذه الصفة هي صفة ساق الجواء ولعل صاحب هذا الـــكلام التبس عليه اسم الساقين بصفتيهما وهذا أمر ليس بالغريب . وفي كلامه شاهد لما قلناه من كون جبل ساق واقعا في أرض مرتفعة ، وأنه يرى على البعد . إذ بينه وبين رامة مالا يقل عن سبعين كيلا . وممن ذكر ساقا مضافا إلى الفروين الإمام الحربي رحمه الله إلا أن كلامه يصح أن يكون في ساق الجواء ويصح أن يكون في سويقة التي هي كانت (رساق الفروين) في القديم :

قال [2] رحمه الله وهو يتكلم عن قوم ضلوا طريقهم في رحلتهم من النباج (الاسياح) إلى المدينة المنورة بعد أن ذكر خشم المضباعة الذي يسمي قديما ضبع :

(ثم تمر بجبل يقال له ساق الفروين ثم ترى أبانين عن يسارك)

ومن الحوادث التي وقعت قرب ساق في العصور الأخيرة مناخ حصل هناك والمناخ يشبه اليوم من أيام العرب القديمة ، إلا أن الفريقين المتقاتلين فيه من البادية ينيخ كل واحد منهما ركابه ولا يتحول عن موقعه إلامنهزما ، قال ابن عيسى حوادث عام ١٢٧٤ هـ (وفيها تناوخ عتيبة وحرب بالقرب من (ساق) فحصل بينهم قتال شديد . وصارت الهزيمة على عتيبة ، وقتل من عتيبة نحو ستين رجلا ، ومن حرب نحو خمسين رجلا) [3]

---

(١) « بلاد العرب » ص ٣٨٧ .

(٢) « المناسك » ص ٦٠٩

(٣) « عقد الدرر »ص ١٦

أقول: لا يزال مكان هذا المناخ معروف . وهناك جفر جمع جفرة جمع بالجيم بمعنى حفرة بالحاء تسمى جفر المناخ ، ويعنون به المناخ هذا وتقع إلى الشمال الشرقي من ساق .

شعر عامي : قال أحد شعراء عنزة الذين كانوا يسكنون تلك المنطقة قبل القرن الرابع عشر :

عينيك يا (ساق)الطـــويل وابان الاسمـــر والحمر [1]
لعيون منســـوع الجـــديل يمشـــط على الردف العفـــر [2]

فقرن ذكره بذكر ابّاتيْن : أبان الاسمر وأبان الأحمر .

وقال عبيد بن رشيد من آل رشيد حكام حائل . وقد انحدر إلى شرق الجزيرة يتشوق إلى بلاده من قصيدة [3]

العيد عيدناه بادنى (صعـــافيـــق) والعيد الآخر بالحفر والدجـــاني
متى يغرب جيشنا عقب تشريق ؟ متى نطالع (ساق) وخشم أبان ؟

لغز فى ساق :

أنشأ أحد شعراء العامة لغزاً في ساق وفي جبل آخر يقال له الحوض [4] فقال :

اسألك عن (حوض) يزمزم بمظاه و(ساق) عريّهْ ماتجيهـــا الهـــدوم [5] ؟

فأجابه شاعر آخر قد حل اللغز :

شلت (الحويض)و(ساق) في جمْرة القيظ متكلف ياجعل عمرك يـــدوم

---

(١) عينيك أى من أجل عينيك والمراد : من أجل الدفاع عنك يقوله عن عندما كانت حرب وعنزة تتقاتلان على تلك المنطقة فى القرن الماضى .

(٢) منسوع . مظفور . والجديل : جمع جديلة : وهى ظفيرة الشعر ويمشط على الردف العفر أى ترسله الفتاة بعد مشطه على ردفها العفر أى : الأعفر وهو الأبيض فى الفصحى والعامية .

(٣) روضة الشعر ص ١١٩

(٤) صعافيق : رمال فى الجنوب الشرقى من القصيم . والحفر : هو حفر الباطن وكان يسمى قديماً (حفر أبى موسى) فى شرق الجزيرة . والدجانى الدجنيتان فى القديم فى شرق الجزيرة — منهل معروف .

(٥) الحوض : ويقال له الحويض بالتصغير جبل بمنطقة حايل واقع إلى الشرق من قرية فيد، وهو أحمر مرتفع ليس بالكبير يقع فى أرض مستوية خالية من الجبال .

(٦) يزمزم : يرتفع من زم فى الفصحى . وعرية عارية .

مثل عامى : تقول العامة من أهل القصيم : (كل جبل تمسيه المطية ، إلا (ساق) وطمية) . أى كل جبل فى منطقتهم يراه الراكب على مطيته في أول النهار فانه يصل إليه فى المساء إذا أراد الاساقا وطمية لأنهما يُريانِ على البعد .

أوهام حول ساق :

قال أبو عُبَيد البكرى بعد أن أورد قول زهير :

فلما بدت ساق الجواء ، **وصارة** وفرش ، وجـــماواتهن القوابل

قال : ساق الجواء : جبيل دانٍ منه كأنه ساقه [1] ..

و لا شك أن هذا وهم منه دفعة إليه تخيله أن ساق الجواء مضاف إلى جبل ذكر أنه قريب من رحرحان [2] مع أن ساق الجواء جبل عال منفرد ليس حوله جبال . كما سماه الحطيئة (ساق الفريد) أى المنفرد وذكره زهير في هذا البيت إلى جانب صارة الجبل المشهور المعروف ووهم البكرى – رحمه الله – مرة أخرى حين قال: ساق على لفظ ساق القدم : موضع بتهامة : قال الأصمعى : هى ساق الفروين . ثم أورد قول ابن مقبل

سلـــكن القنان بأيمانهـــا وساقاً وعرفة ســـاق شـــمالا

وقال :عرفة ساق أحد العرف الثلاثة –) كذا والصحيح الثلاث .

فهو استدل بالشاهد الصحيح لساق الجواء على موضع ذكر أنه بتهامة وهذا وهم ظاهر .

وذكر ياقوت ساقا بعدة عبارات نقلها قائلا [3] : (إن كل عبارة تتكلم عن ساق موضع مختلف عن الآخر) وقال (ساق هضبة شامخة في السماء لبني وهب في شعر زهير وساق الجواء موضع آخر ، وساق الفرو : جبل في أرض بني أسد وساق الفريد في شعر الحطيئة انتهى : والواقع أن كل هذا ينطبق على (ساق الجواء) و(سويقة)

سويقة : بالسين في أوله [4] فواو مفتوحة، فياء ساكنة فقاف مفتوحة فهاء آخره.

---

(١) معجم استعجم . رسم الجواد –

(٢) يقع جل رحرحان إلى الجنوب الشرق من الحناكية بعيدا عن القصيم

(٣) المشترك وضعاص ٢٣٩ .

(٤) العامة يسكنون أول الاسم على خلاف قاعدة (عدم البدء بساكن) ،

على لفظ تصغير ساق مؤنثا وهذا هو الواقع إذا سموه سويقة بالتصغير مقابل (ساق) بالتكبير . وسويقة جبل صغير شمالي ساق الجواء بينهما حوالى أربعة أكيال ، له روضة إلى الشمال منه تسمى روضة سويقة ، وفى آثار الروضة عمران قديم منها بئر منحوتة فى الصخر من أعلاها إلى أسفلها وآثار الأرشية في صخرها ظاهرة . أحدثت فيها بئر (ارتوازية) ركب عليها آلة رافعة للمياه فأخذت تدفع بالماء النمير الغزير إلى تلك الروضة .

واسم سويقة القديم كان (ساق الفروين) وأضيف إلى الفروين الذى هو بالفاء على المشهور لكي يتميز عن ساق الجواء المجاور له إلا أن كثيرا من المتقدمين وأكثرهم ليس له معرفة خاصة بتلك المنطقة وإنما كانوا ينقلون عن غيرهم — قد خلطوا بينه وبين ساق الجواء فذكروا نصوصا تنطبق على ساق الجواء وهي في ساق الفروين الذي أصبح يسمى الآن (سويقة) بلفظ تصغير ساق ، وبعضهم ذكر نصوصا فى ساق الفروين وهي تنطبق على ساق الجواء ، ولـــكن لحسن الحظ يمكن التمييز بينهما بوصف كل واحد منهما إذ أحدهما يختلف عن الآخر من حيث الشكل اختلافا كثيرا . وعلى هذا الأساس ذكرت النصوص المتعلقة بكل منهما في موضعها وكذلك دخل فى حلبة المنافسة الساق الثالثة في تلك المنطقة وهي ساق العناب في القديم ، الجبل الذى يسمى الآن (الإصبعة) ولـــكن معرفة النصوص الواردة فيه أسهل من النصوص المختلطة بين الساقين القديمتين (ساق وسويقة) في الوقت الحاضر .

فجعلوا الأكبر (ساقا) بالتكبير وجعلوا الأصغر (سويقة) بالتصغير أي بتصغير كلمة (ساق) ومن البدهي أن تصغير ساق هو (سويقة) لأن ساق مؤنثة فى الفصحى واكتفوا بذلك عن كثير من النعت والتحلية هذا إذا ذكروهما معا أو أرادوا تحلية ساق الصغيرة ، أما إذا لم يريدوا ذلك فانهم يطلقون كلة (ساق) على الجبل الكبير أو يضيفونه إلى الجواء فيقولون (ساق الجواء) .

وإذا نظرنا إلى صفة الساقين كليهما فاننا نجد أن الـــكبيرة هضبة واحدة شامخة ، ذات شكل هَرَمِيّ ، والصغيرة جبل صغير ذو شعبتين وهو فى انبطاحه وشكله الذي يظهر لمن يشاهده من جهة الشمال يشبه (قرن الظبي) دون إشكال ولعل عوامل التعرية أزالت شيئا من تلك الصفة عن أطرافه وبسبب سقوط بعض الأحجار من قمته وهذه بعض النصوص التي تدل على ذلك :

قال الأصمعي رحمه الله فيما نقله عنه البكري[1] : (ساق القروين. ضلع سوداء)

وقال محققه : (الضلع : جبيل مستطيل في الأرض ليس بمرتفع في السماء كأنهم شبهوه بالضلع في طوله ودقته . وقد يشبهونه بقرن الظبي وبالساق ولذلك قالوا في ساق القروين : هو جبل لأسد ، كانه قرن ظبي)

هذا ماجاء في معجم البكري وحاشيته إلا أنه أورد كلام البكري في شرح قول أبي بن مقبل :

سـلكنَ القنـان بأيمانها وساقا وعرفة ساق شمالا

وتقدم شرحه في رسم ساق ، والبيت يصلح شاهدا للساقين ساق بالتكبير وسويقة بالتصغير فكل واحد منها يسمى ساقا وله عرفة وهو جهة الشمال لمن يجعل القنان يمينه سائراً إلى جهة الجنوب ،ويدل على أن لكل واحد منهما عرفة قول لغدة الأصبهاني[2] : (وكفة العرفج هي العرفة ، عرفة ساق ، وتناصيها عرفة القروين ، وفي كل تصدر شاربة الناجية والثلماء) .

وورد نص وصف الجبلين كليهما بوصف ينطبق على كل واحد منهما بمفرده لايشركه فيه الآخر مع إضافة الجبلين لفخذين من سكان تلك المنطقة إبان البعثة النبوية . وذلك قول نصر الاسكندري رحمه[3] الله :(ساق هضبة كأنها قرن ظبي لبني أسد وجبل هضبة واحدة شامخة لبني وهب) . فالوصف الأول يراد به (سويقة) هذه لأنه ينطبق عليها والآخر يراد به ساق أي ساق الحواء .

وورد ذكر سويقة بلفظ (ساق فروين)في هذا الشعر مقرونا بذكر جبلين معروفين باسميها القديمين دون تغيير وهما الحضر بقرب الفوارة ، وأبانان الجبلان المشهوران والرجز هو :

أقفر من خولة ساق فروين فالحضر[4] فالركن من أبانين

أورده ياقوت رحمه الله في رسم (الفروان) بالفاء . وقال : ساق الفروين

---

(١) « معجم مااستعجم » رسم (ساق)

(٢) بلاد العرب ص ٣٧ وتقدم ايضاح هذه العبارة في رسم ساق .

(٣) كتاب « الامكنة » لنصر النسخة المخطوطة الورقة ٨٨ب .

(٤) هكذا فيه الحضر وفي كتاب « المناسك ص ٦٠٩ « قطن » وكل منهما يصح أن يقرن في الذكر.

جبل في أرض بني أسد بنجد . ثم قال : (وساق ، جبل آخر يذكر مفردا ومضافا). أقول : كلامه ، رحمه الله هنا واضح كنه . إلا ماخص الفروين فقد ذكره بالفاء وذكره البكري بالقاف ولا أدري الصحيح منهما .

لقد ذكر البكري رسم (القروان) بالقاف وقال بفتح أوله : واسكان ثانيه ، وفتحه معا موضع مذكور في رسم ساق وأورد فى رسم ساق القروين بالقاف وقال قال الأصمعي ساق القروين : بفتح أوله واسكان ثانيه ، وهى ضلع سوداء . وذكر أن القروين باسكان الراء وقد يقال القروين بفتح الراء . إلا أن صاحب القاموس وشارحه ذكر الفروين فقطن بالفاء وجاء فى التاج قوله : وساق الفروين : جبل بنجد في ديار بني أسد ، وساق : جبل آخر يذكر مفرداً ومضافاً كما تقدم (١) .

ولعل من أقرب الأدلة على ذلك تسميتهما ففي القديم كان كلاهما يقع ناحية غرب الحواء ، وكلاهما كان يسمى ساقاً ، وليس بينهما من المسافة إلاّ نحو أربعة أكيال ولـكن كان اسم (ساق) إذا أطلق ينصرف إلى الأكثر ارتفاعا في السماء والأظهر للرائي وهو ساق الحواء كما قال زهير بن أبي سلمى :

ولما بدت (ساق الحواء) وصارة وفرش وحَمَّاواتُهُنَّ القوابل

وميزه الحطيئة بوصفه بأنه كان فريدا أى في شكله وذلك في قوله :

فأتبعتهم عينَيَّ حتى تفرقت مع الليل عن (ساق الفريد) الحمائل

أما إذا أرادوا (ساقا) الثانية التى هي أقل ارتفاعا وأقل شهرة فانهم يصفونها إما باضافتها إلى شئ مميز وذلك في قولهم (ساق الفروين) أو أن يقولوا : إنها ساق التى كقرن الظبي .كما يصفون (ساق الحواء) أحياناً بأنه هضبة واحدة شامخة في السماء هذا كان فى القديم .

أما المحدثون فقد اكتفوا من ذلك بوصف سهل للتمييز بينها فجعلو الـكبرى (ساقا) والصغرى (سويقة) .

الرياض : **محمد بن ناصر العبودى**

---

(١) رسم (ف ر و)

مَاسَل ومُوَيْسِل

١ ــ مَاسَل : أوله ميم بعدها ألف ثم سين مهملة مفتوحة وآخره لام ، وذكره البكرى مهموزاً فقال : مأسل : بفتح أوله واسكان ثانيه ، بعده سين مهملة مفتوحة : موضع فى ديار ضبَّة ، تنسب إليه دارة مأسل . وهناك قتل شُتير بن خالد بن نفيل بن عمرو بن كلاب ، وقد ورد ذكره مهموزا وغير مهموز في المعاجم الجغرافية القديمة .

والواقع أنه في بلاد عُقيل ، وليس في بلاد ضبَّه . وهذا الماء لا يزال معروفا باسمه واقع في بلاد الدواسر في هذا العهد ، وهو من مياه هضب الدواسر ، التابعة لإمارتهم وفيه يقول شاعر منهم :

أنتْ ياعد مَاسَلْ وَين وِرْدكْ العَامْ ... ويْنْ راحتْ ورُوْد ، كان تدهل جباك[1]

يوم وِرْدك زَعاجيْل القطا والحمامْ ... شفتهْم عقبْ ماخلُّوكْ قَلَّتْ حلاك[2]

ويْش حلْم تَعرّضْني وأنا فى المنامْ ... يالله إنى دخيلكْ منْ عَرَاكْ وَزَراك[3]

وقد ذكره ياقوت وحدده تحديدا صائبا فقال : ماسل : ماء في ديار بنى عقيل ، وعن ابن دريد : نخل وماء لعقيل ، وتصغيره مويسل ، قال الراجز :

ظلت على مويسل حيامــا ... ظلت عليــه تعلك الرمامــا

وما سل : اسم جبل في شعر لبيد ، ودارة ماسل .

قلت : ماسل : اسم يطلق على الماء وعلى الجبل الذى هو واقع فيه ، وهو في جبال حُمْر ، وفي شماله ماء مُوَيسل ــ تصغير ماسل ــ رسٌّ عذب ، والدارة المنسوبة إليه تقع غربا منه ، وهذه المواضع واقعة في الشرق الجنوبي لهضب الدواسر ، وفي ماسل يقول لبيد بن ربيعة العامري :

لو كــان شئٌ خالد لتواءلت ... عَصْماءُ مُؤلفَةٌ ضَواحِيَ مأسلِ

ويبدو لي أنه هو الذي عنا امرؤ لقيس بقوله :

كــدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

---

(١) وين : أين . تدهل : ترد مراراً وتكراراً . جباك : آبارك

(٢) يوم وردك : حيث أن وردك اليوم . زعاجيل : أسراب . حلاك : مباهجك .

(٣) ويش : أى شئ ، دخيلك : عائذ بك . زراك : من العجز والهوان .

لقربه من جبال جلجل ودارة جلجل الواردة ذكرها مع ذكر ماسل ، وكذلك قربه من الدخول وحومل .

وسيل ماسل يفيض شرقا ويصب فى وادي الحمل .

٢ ــ ماسل : أيضا كالذي قبله : ماء عذب . يقع في جوف واد ضيق ، تحف به جبال سود عالية من جانبيه ، وسيلة يفيض شمالا . يقع في الطرف الغربي الشمالي لجبال عرض شمّام والجبل الشامخ المطل عليه يسمى الجمْح . والماء يدعى ماسل الجمح ، يبعد عن مدينة الدوادمى صوب الشرق الجنوبي مسافة (٥٨) كيلا . وقد تأسست فيه هجرة حديثة لذوي خيوط من قبيلة الدعاجين من عتيبة . رئيسهم عبد المحسن بن عقيل انتقلوا إليها من هجرتهم القديمة في وادي دلعة . واحتفروا في وادي ماسل آبارًا وغرسوا نخلا ، وماء آباره وفير وقريب المنزع وعذب . وهجرتهم تابعة لإمارة الدوادمى .

وبعد أن استقر عبد المحسن بن عقيل وجماعته في وادي ماسل وغرسوافيه نخيلا لم يطب لهم المقام فيه لضيق الوادي ووقوعه محصوراً بين سلاسل جبال عالية فخرجوا من بطن الوادي وأسسوا لهم هجرة في ضفة وادي الوطاة . وتقع غربا شماليا من ماء ماسل على بعد أربعة أكيال واستقروا فيها ، وتسمى باسم هجرتهم الأولى (ماسل) .

فيها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة للبنات ، وفيها مشروع ماء للشرب موزع في أنحائها بواسطة الأنابيب ، وقد وصل إليه الماء من بئر عذب في وادي ماسل وفيه يقول الشاعر الشعبي :

ليت مقطان ماسل فى السهـــل بين خشـــم الغثـــيرا والوطاه[1]

والْغُثَيْرا : حشّة سوداء وفيها عبل أبيض تقع غرب وادي الوطاة ، قريبة منه ويقول عمر بن ماضي شاعر من أهل الشعراء :

ياجعـــل سرّان يفدى دون صَفَّاقَتْ وقلبان ماسل وقلبان العليجيه[2]

وماء ماسل معروف باسمه قديما ، وقد ورد ذكره في كتب المواضع بهذا الاسم

---

(١) تقدم شرحه فى رسم الغثيرا .

(٢) تقدم شرحه فى رسم سران .

ويميز عن سواه باضافته إلى الجمح فيقال له : ماسل الجمح ، وكذلك في هذا العهد . قال الهمداني :(ماسل جاوة لباهلة وماسل الجمح لبني ضنة من بني نمير وذو سدير وادي ضنة من نمير ، وبطن المعرس وبطن الجوف بين ضنة وباهلة وابنا شمام فهما لباهلة [1] .

وبهذه العبارة فرق الهمداني بين ماسل الجمح وماسل جاوة ، والموضعان قريب أحدهما من الآخر ، وماسل جاوة يقع جنوبا من ماسل الجمح ويسمى في هذا العهد مويسلا ، تصغير ماسل (انظر رسم مويسل) وقال الصاغاني : جمح جبل لبني نمير

وقال الهجري : (قال عسكر بن فراس بن الحدرجان من عامر بن نمير :

فهل أشرفَنّ الدهر أخراب مأسل ضحيا ولبدى فوق مطرد نهـــر

وفي الهامش ، بخط كاتب الأصل عن أخراب مأسل : هضاب قرب مأسل [2]

وقال آخر من بني نمير في ذكر ماسل :

فلما بدت عروى وأجزاع مأسل وذوخشب ، كاد الفؤاد يطير

عروى: هضبة حذاء مأسل ، بها جاوة باهلة ، وهذا الشاهد ينطبق على ماسل جاوة والواقع أن جمح ماسل وهضبة عروى وهضبة ذي خشب يحاذي بعضها بعضا ، جمح ماسل في الشمال وعروا في الوسط وذوخشب في الجنوب وهي متقاربة .

وفي وادي ماسل كثير من الـــكتابات والنقوش السبئية القديمة التي لاتزال واضحة يسهل نقلها وتصويرها ، وقد أورد الشيخ حمد الجاسر في كتاب« مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ »خلاصة لترجمة مقال لعبد الله فلبي كتبه في زيارته لهذا الوادى وصف فيه ماشاهده من الـــكتابة السبئية [3] .

٣ ــ ماسل : أيضا كالذي قبله : ماء عذب قديم ، يقع في جنوبي حصاة آل عُلَيّان من قحطان (عماية العليا) واقع في وادٍ داخل في الجبل، وفي غربي حصاة آل عليان ماء آخر يسمى مويسل ــ تصغير ماسل ــ وبعضهما قريب من بعض ، ولم

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ١٦٥

(٢) أبحاث الهجرى ٣٦٣

(٣)« مدينة الرياض عبر اطواد التاريخ » ١٣٩ .

اجد لهما ذكرا فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ القديمة ، وقد مر بهما الضيا غمة من قحطان في طريق هجرتهم إلى شمال نجد وذكرهما أحد شعرائهم فى قصيدة له فقال :

ليل في القمْرا وليل في الركـــا وليـــل في حزم الحصاة شـــداد
وليلة وردنا ماسل ومـــويسل وجيه المغارف كِنَّهنْ جـــداد

الركا : واديحف بحصاة آل عليان من الجنوب ، والقمرا : واد يقع جنوبا من الركا . وحصاة آل عليان تعرف قديما باسم عماية العليا . وذكر ياقوت أنها كانت للحريش وقشير والعجلان ، أما في هذا العهد فانها لقبيلة آل عليان من قحطان ، ومياهها لهم ، وهى تابعة لإمارة القويعية ، واقعة غربا جنوبيا من بلدة القويعية على بعد مئتين وأربعين كيلا ، وفيه قرية زراعية صغيرة .

٤ ــ مواسل : بميم مضمومة بعدها واو ثم ألف ، ثم سين مهملة مكسورة ، وآخره لام : قال ياقوت : كأنه من مسيل الماء إذا سال ، بضم أوله ، وسين مهملة مكسورة ، اسم قنة جبل أجإ ، قال زيد الخيل الطائى :

أتتني لســـان لاأسر بذكـــرهـــا تصدع عنهـــا يذبل ومواســـل
وقد سبق الـــريان منهـــا بذلـــة فـــأضحى وأعلى هضبه متضائل
فان امرأ منـــكم معـــاشر طـــيء رجا فلجًا بعد ابن حية جـــاهل

وقال لبيد :

كأركان سلمى إذ بدت أوكأنهـــا ذرى أجإ إذلا ح فيهـــا مواســـل

وقال البكري : مواسل بضم أوله وكسر السين المهملة جبل ، قال زيد الخيل :

كـــأن شريحا خَرَّ من مشمخرة وجارَيْ شريح من مواسل فالوعـــر

وقال ابن الغطريف الطائي فصغره :

لئن لبن المعزى بمـــاء مويسل بغـــانى داء إنني لسقيم

هكذا قال : والصحيح أنهما موضعان مختلفان .

قلت : مما تقدم يتضح أن مواسل قنة شاهقة في جبل أجا ، في بلاد طى في منطقة حايل أما مويسل مصغر فانه ماء لطى قد تم بحثه وتحديده في رسمه .

٥ ــ **مويسل** : بضم الميم وفتح الواو ، وياء مثناة ساكنة ثم سين مهملة مكسورة وآخره لام تصغير ماسل : ماء عذب قديم ، يقع في هضب الدواسر ، شمالا من ماء ماسل قريبا منه ، معروف بهذا الاسم قديما ، قال ياقوت : ماسل ماء في دياربني عُقيل وقال ابن دريد : نخل وماء لعقيل ، وتصغيره مويسل ، قال الراجز :

ظلت على مويســل حيامــا ظلت عليه تعلك الرمــامــا

ويبدو لي أن هذا الرجز خاص بماء مويسل ، وهضب الدواسر ومياهه كانت قديما لعقيل . أما في هذا العهد فانه لقبيلة الدواسر تابع لإمارتهم .

٦ ــ **مويسل** : تصغير ماسل ، كالذي قبله : وادٍ فسيح تحف به سنفان حُمْرٌ ، وفي أسفله عبل أبيض ، يقع شرقا من عروا ، وفيه آبار زراعية معمورة ، وآباره جاهلية قديمة ، وفيه آثار مساكن ونخيل قديمة وفى أسفله طرفاء ، وهو من الروافد الكبرى لوادى الْخَنْقة . وقديما كان في بلاد باهلة وقد ذكره الهمدانى باسم ماسل مكبر وميز بينه وبين ماسل الجمح فقال : (مأسل وحضن ــ غير حضن عكاظ ــ من أرض باهلة ، وماسل جاوة لباهلة وماسل الجمح لبني ضنة من بنى نمير ، وذو سدير وادى ضنة من نمير وبطن المعرس وبطن الجوف حدبين ضنة وباهلة [١]

وقد ميز الهمداني بين الماسلين لقرب أحدهما من الآخر .

وقال الهمدانى أيضا : الخنفس من مياه الشريف وهو من مياه ماسل جاوة ، وماسل جاوة حصنان ونخل وزروع [٢] .

والواقع أن الخنفس يقع جنوب مويسل قريبا منه ، وقد تأسست فيه قرية زراعية تدعى خنيفسة ، تصغير خنفسة .

وذكر الهجري شاهدا من الشعر وقال إنه لبعض بني نمير فى ذكر عروا :

ولما بدت عروا وأجزاع مأســل وذو خشُب كاد الفؤاد يطِ

عروا : هضبة حذاء مأسل ، بها جاوة باهلة [٣] .

---

(١) « صفة جزيرة العرب » ١٦٥ .

(٢) « صفة جزيرة العرب » ١٤٧

(٣) أبحاث الهجرى ٣٣٩ ــ ٣٤٠

قلت : المواضع الثلاثة : عروا وماسل (مويسل) وذو خشب كلها قريب بعضها من بعض وكلها من بلاد باهلة .

ومويسل . (ماسل قديما) تابع لإمارة القويعية عن طريق مركز رويضة العرض واقع غربا من بلدة القويعية على بعد تسعين كيلا تقريبا .

٧ ــ مويسل : تصغير ماسل ، كالذي قبله : ماء قديم ، يقع في حصاة آل عُلَيَّان من قحطان ، في جهتها الغربية ، وقد تأسست فيه هجرة حديثة لآل الحمل من قحطان وقد فتحت فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ولم أر لمويسل هذا ذكرا فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ والمعاجم القديمة ، وقد ورد في شعر فارس بن شهوان الضيغمي ، وقد مر به قومه في طريق هجرتهم إلى شمال نجد هو وماسل القريب منه كما تقدم في الكلام على ماسل .

ومويسل تابع لإمارة القويعية ، ويقع غربا جنوبيا من بلدة القويعية على بعد مئتين وخمسين كيلا تقريبا .

٨ ــ مويسل ، تصغير ماسل ، كالذي قبله : ماء قديم في جبل أحمر . يقع في جنوبي جبل رمان ، الواقع جنوبا من مدينة حايل ، وفيه قرية زراعية صغيرة ، واقع في بلاد طيئ قديما ، أما في هذا العهد فانه في بلاد قبيلة شمر .

وله ذكر في المعاجم الجغرافية القديمة بهذا الاسم .

قال ياقوت : مويسل : بالضم ثم الفتح تصغير ماسل : ماء في بلاد طيئ ، وقال واقد بن الغطريف الطائي وكان قد مرض وحُمِيَ الماء واللبن ، وقال أبو محمد الأسود : هذا الشعر لزياد بن بَجْدل الطريفي الطائي :

يقولون : لاتشرب نسيئا فإنه ... إذا كنت محموما ، عليك وخيم
لئن لبن المعزى بماء مويسل ... بغاني داء إنني لسقيم
وقائلة : لا تبعدن ابن بجدل ... إذا ضاق همٌ أو ألم خصيم
وأقصى مداك العمر والموت دونه ... وليس بمعقود عليك تميم

وقال البكري : مويسل بضم أوله ، قال يعقوب : هو مويه عذب لبني طريف ابن مالك من طيئ ، قال مزرد :

تردد سلمى حول وادي مويسل ... تردد أم الطفل ضل وحيدها
وتسكن من زهمان أرضا عذيةً ... إلى قرن ظبي حامدا مستزيدها

أشهر أودية بلاد الحجر وجبالها

(أطلعني أحد أبنائنا الأخ الأستاذ عمر غرامة العمروى على الكتاب الذى ألفه باسم « بلاد الحجر » وهو شامل لذكر منازل القبيلة وفروعها فى الوقت الحاضر ، وقد استفدت منه ورأيت إشراك القراء بالاستفادة بفصل من فصوله ، بعد أن أباح رئيس تحرير هذه المجلة لقلمه أن يضيف جلا يسيرة ، قرأها المؤلف الفاضل فأقرها).

الحجر [1] : بفتح الحاء المهملة وإسكان الجيم وآخره راء — اسم يطلق على جذم كبير من الأزد ، أزد السراة ، وهو اسم رجل ينسبون إليه ، على ماذكر علماء النسب حجر بن الأزد بن الهنوء — من كهلان ثم من قحطان .

وقبيلة الحجر من أصرح القبائل العربية نسبا ، لعدم امتزاجها بغيرها من القبائل ، ولبعد بلادها عن الأمكنة التي يكثر فيها اختلاط الأجناس المختلفة .

وهي من القبائل التي لاتزال فى منازلها القديمة منذ أقدم العصور ، منذ عرفت إلى الزمن الحاضر . باستثناء امتداد بعض أفخاذها من السراة إلى تهامة ، وهذا ناشئ عن اتساع منازل القبيلة تبعا لنمو فروعها وتكاثرها .

وقد انتقل كثير من فروعها من بلادها إبان انتشار الفتوحات الإسلامية ، إلى مصر والعراق والشام ، حيث شاركت القبيلة في فتح تلك الأمصار ، واشتهر كثير من رجالها ممن حفلت كتب التاريخ والنسب بذكرهم [2] ونوجز كلامنا — هنا — عن ذكر أشهر أودية بلاد الحجر . في السراة وفي تهامة، وعن أبرز الجبال المعروفة في تلك البلاد ، بعد أن نذكر فروع القبيلة ، و نحدد منازلها .

---

(١) فصل من كتاب « بلاد الحجر » تأليف الأستاذ عمر غرامة العمروى الذى سيصدر قريبا .

(٢) تجد طرفا من تراجم بعض رجال الأزد عامة فى كتاب « فى سراة غامد وزهران » من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

هي بحسب الترتيب الأبجـــدي :

١ – بنو الأحْمَر ، ويقال بالأحمر ، وينطقها بعضهم (بلحمر) وقد تشدد اللام بَلَّحْمَر ، وتكتب على هذا خطأ (بالحمر) واحد هم أحمري

٢ – بنو شِهْر بكسر الشين المعجمة وإسكان الهاء وآخر راء ، وواحدهم : شهري .

٣ – بنو الأسمر – وواحد هم أسمري – وتنطق (بالأسمر) ويقال (بَلَّسْمَر) بتشديد اللام فتكتب خطأ (بلسمر) .

٤ – بنو عمرو – بفتح العين المهملة وإسكان الميم بعدها راء . وتلحق الواو بهذا الاسم للتفريق بينه وبين عمر – بضم العين وفتح الميم – في جميع الحالات ، وواحدهم عمروى – وهذه الواو تكتب ولا تنطق ، ولو أسقطت من الكتابة لما أمكن التفريق بين من ينسب إلى عمر وعمرو . فالمنسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال فيه (العمري) والمنسوب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه – مثلا يقال (عمروي) ولهذا من الخطإ عدم التفريق بين الاسمين باثبات تلك الواو .

تلك هي فروع قبيلة الحجر التي لاتزال باقية في بلادها القديمة ، في وسط بلاد أزد السراة ، وقد أوضحنا أفخاذ كل فرع من تلك الفروع ، وحددنا مالها من القرى والمنازل في مواضعها من كتاب « بلاد الحجر » .

بلاد الحجـــر : تقع بلاد الحجر في سراة الحجاز ، في وسط السراة ، وفي أغوارها المنحدرة نحو تهامة ، وفيما اتصل من تلك الأغوار من تهامة إلى قرب سواحل البحر الأحمر ، على مقربة من ميناء القنفدة حيث يفصلها عن الساحل بلاد زُبيد وتهامة عسير غربا ، كما تمتد شرقا بامتداد أودية السراة في منخفضات تلك الأودية ، حتى حتى تتصل ببلاد شهران وبالحارث [1] .

اسم بالحارث يطلق على :

(١) بالحارث فى تنومه من بنى شهر .

(٢) بالحارث فى بلاد بالقرن بأسفل تبالة ونرج (من بالقرن) .

(٣) بالحارث فى بلاد بيشة جنوبها وفى وادى ترج من بالحارث سكان السراة قرب بجيلة .

أما من الشمال فتجاورها قبيلة بالْقَرْن ، (بني القَرْن) ، وهي قبيلة أزدية تقع بلادها بمحاذاة بلاد قبيلة الحجر ، غرب بلادبيشة في السراة وفي تهامة ، ومن الجهة الجنوبية تجاور بلاد الحجر بلاد قبيلة عسير ، وهي أزدية أيضا ، تمتد بلادها بمحاذاة بلاد الحجر في منخفضات السراة وفي السراة وفي أغوار تهامة .

وفروع قبيلة الحجر – قبائلها الأربع – تحل هذه البلاد متجاورة ، فبنو الأحمر يجاورون إخوتهم قبيلة عسير ، ثم بلاد بني الأسمر تقع شمال إخوتهم بني الأحمر ، ثم بلاد بني شهر متوسطة أيضا أكبر كبلاد بني الأسمر في شمالها ، ثم بلاد بني عمرو ، وهي تُحَادُّ بلاد إخوتهم بالقرن (بني القرن) التي تفصل بين بلاد الحجر وبين بلاد خثعم وشمران ثم غامد وزهران في السراة .

تقع بلاد الحجر بين خطي الطول : ٤١,٠٠° و ٤٢,٣٠° وخطي العرض ١٩,٠٠° ، ٢٠,٠٠° على وجه التقريب ،

أشهر أودية سراة الحجر :

سيول سراة الحجر تجتمع كلها في واديين عظيمين يقعان شرق السراة ، وتجتمع فيهما سيول أكثر أودية السراة من بلاد بالقرن جنوبا إلى سراة قحطان ، هذان الواديان هما وادي ابن هشبل في الجنوب ، ووادي تَرْج في الشمال ، وما وادي ابن هشبل سوى امتداد لأعالي وادي بيشة ، كما أن وادي تَرْج من أعظم روافد وادي بيشة ، وإذن فكل سيول سراة الحجر تفيض في وادي بيشة .

وهاهي أعظم الأودية المنحدرة من السراة . وقد رسمت مصوراً مقربا لتلك الأودية ، اكتفيت بكتابة الرقم الذي وضعته أمام اسم الوادي عن كتابة الاسم ، مبتدئا من الشمال في ذكر تلك الأودية .

أولا : أودية السراة :

الأودية التي تنحدر سيولها إلى وادي ترج غرب بيشة ثم إلى وادي بيشة هي :

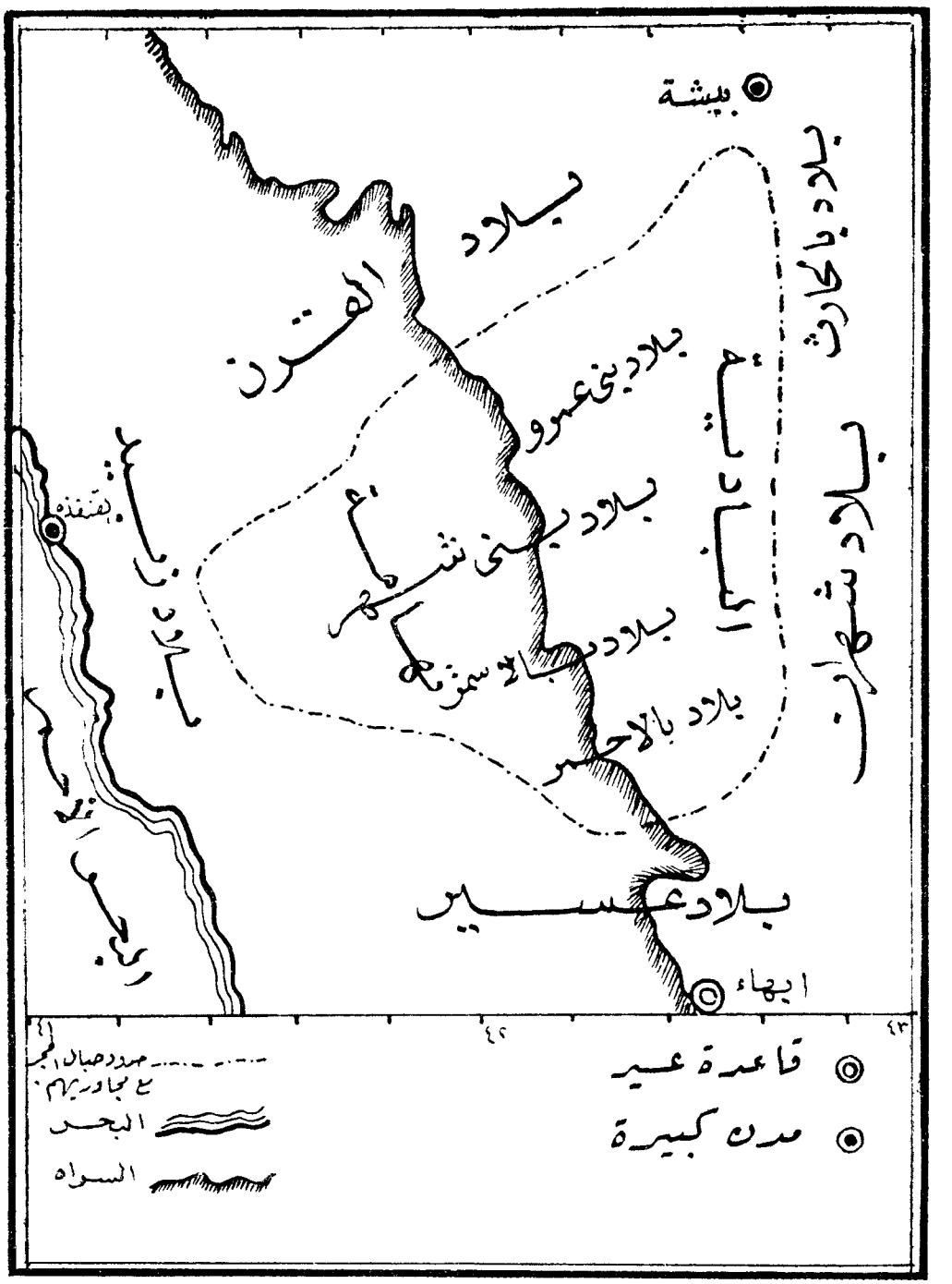
بيشة
بلاد القرن
بلاد بني عمرو
بلاد بني شهر
بلاد بالاسمر
بلاد بالاحمر
بلاد عسير
بلاد الحارث
بلاد شهران
القنفذة
ابهاء
٤٢
٤٣
حدود جبال الحجر مع مجاورها
البحر
السواء
قاعدة عسير
مدن كبيرة

١ ــ الحَصْباءُ ــ بفتح الحاء وإسكان الصاد المهملتين وفتح الموحدة بعدها ألف ممدودة ــ واد ينحدر من شعاف بني رافع من بني عمرو ومن جبل حرفة وجبل يافع ويلتقي مع وادي عياش في وادي رنَمَا . وهو من أودية سراة الحجر . في إمارة بلاد عسير .

٢ ــ عيّاش ــ بفتح العين المهملة المثناة التحية مشددة بعدها ألف فشين معجمة ــ وادٍ من أودية سراة الحجر ينحدر من غرب جبل المطى ومن شعاف بلاد آل الشيخ وعضيدات من بني عمرو فيلتقي بوادي الحصباء في وادي رنَمَا .

٣ ــ رنَمَا ــ بفتح الراء والنون والميم وآخره ألف ــ وادٍ من أودية سراة الحجر ، تصب فيه أودية الحصباء وعيّاش وشثّ ثم يصب في وادي القوباء فوادي البَهيم .

٤ ــ وِضَاعَة : بكسر الواو وفتح الضاد المعجمة والعين المهملة وآخره هاء : من أودية سراة الحجر ، أعلاه وادي القرشة فوادي الجراعة ، ويفيض في وادي العرين .

٥ ــ غُظَارُ : بضم الغين المعجمة وفتح الظاء المعجمة وآخر راء ــ من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شرق جبل المطى . ومن وادي ذي الخورم والعيمة وبعد أن يلتقي بوادي طريف يفيض في وادي العرين .

٦ ــ طَرِيف ــ بفتح الطاء المهملة وكسر الراء بعدها مثناة تحتية ساكنة ففاء ــ من أودية سراة الحجر ، ينحدر من جبال السهوة والعدوة والعرش ثم يلتقي بوادي غظار ووادي السكنبلة في وادي العرين .

٧ ــ العَرِينُ ــ بفتح العين وكسر الراء ــ من أودية سراة الحجر ، تجتمع فيه أودية غظار وروافده وطريف وروافده ، ثم يسيل فى وادي الضَّيْق .

٨ ــ الضَّيْقُ ــ بفتح الضاد المعجمة وإسكان المثناة التحتية وأخره قاف ــ من أودية سراة الحجر ، تجتمع فيه أودية وضاعة وغظار وطريف والعرين . وسمي الضيق لكون سيله لاينفذ إلا من مكان ضيق .

٩ ــ السَّرْوُ : من أودية سراة الحجر ، يفيض في وادي الحارة الذي يجتمع مع وادي حَلَبَاء .

١٠ ــ حلْبَاء ــ بفتحات ثلاث : من أودية سراة الحجر . ينحدر من منطقة حلباء . فيجتمع بوادى السرو الحارة بوادى عوص .

١١ ــ عُوْص ــ بضم العين المهملة وإسكان الواو وآخره حاء مهملة ــ من أودية سراة الحجر ، يرفده واديا السرو وحلباء ، و يفيض فى وادى البَهيم .

١٢ ــ البَهيْم ــ بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء وإسكان المثناه التحتية وآخره ميم من أكبر أودية السراة ، تجتمع فيه أودية رَنمَا وعُوص [١] والأودية التى تسيل من سراة بالقرن ومن وادى يَمَح ووادى ماسرة [٢] .

ويفيض في وادى تَرْج .

١٣ ــ العَيْمَةُ ــ بفتح العين المهملة وإسكان المثناة التحية وفتح الميم وآخره هاء ــ من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شعف آل عليان ، ويسيل في وادى ترج .

١٤ ــ بَحَائِل بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة وكسر الثاء المثلثة وآخره لام : من أودية السراة ، ينحدر من جبال بحائل [٣] شمال بلدخميس العرق ويلتقى بوادى زيد في وادى بدوة .

١٥ ــ زَيْد ــ وادى زيد من أكبر الأودية في السراة ، ينحدر من بلدة خشرم وشعاف لحبِي ، ويفيض في وادى بدوة .

١٦ ــ ذُو المَظَر ، بفتح الميم والظاء المعجمة وآخره راء ــ وادى ذى المظر ينحدر من وادى الحِلْقة [٤] فيفيض في وادى بدوة .

١٧ ــ حَضْر ــ بفتح الحاء المهملة وإسكان الضاد المعجمة وآخره راء : من أودية السراة ، ينحدر من وادى حَضْرين ومن شعاف غابة ناجر وآل زيدان ويفيض في وادى بدوة .

---

(١) بالعين المهملة مضمومة فواو فصاد مهملة .

(٢) ماسرة مجمع أودية تصب من جنوب سراة بالقرن .

(٣) بحائل فى بلاد بنى شهر .

(٤) الحلقة ــ بكسر الحاء المهملة وإسكان اللام وفتح القاف وآخره هاء .

١٨ – بَدْوَةُ – بفتح الباء الموحدة وإسكان الدال المهملة فواو مفتوحة فهاء : من اودية السراة ، تجتمع فيه أودية بحائل وزيد وذى المظر وحضر ، ويفيض في وادي نَرج .

١٩ – تَرْج – بفتح التاء وإسكان الراء وآخره جيم – من أشهر الأودية وأعظمها. (١) وفيه تجتمع سيول كثير من أودية شمال سراة الحجر ومايجاورها . منها الأودية التى تقدم ذكرها .

أما الأودية التى تنحدر من السراة – سراة الحجر فتفيض في وادي ابن هشبل – أعلى وادي بيشة(١) فهي :

٢٠ – رُدَيْحَة – بضم الراء وأهل الجهة : يفتحونها مع فتح الدال المهملة وإسكان المثناة التحية وفتح الحاء المهملة وآخره هاء – من أودية السراة ، ينحدر من شعاف آل وليد وآل عمر (اعْمِر) ويفيض في نحيان : ومن روافده وادي النّماص .

٢١ – النّماص – بكسر النون وفتح الميم بعدها ألف فصاد مَهملة(٢) وادى النماص : ينحدر من شعاف بلدة النماص(٢)، ويلتقى مع وادي رُدَيْحة ، ثم يسيل بوادي نَحْيان .

٢٢ – وادي بني مشهور : يقع جنوب النماص ، من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شعاف بني مشهور ، ويسيل في وادي نحيان .

٢٣ – نَحْيان : بفتح النون وإسكان الحاء المهملة وفتح المثناة التحية بعدها ألف فنون – وادي نَحْيان : وادٍ كبير ، فروعه وادي بني مشهور ، ثم يلتقي بواديي النماص ورُدَيْحة ثم يفيض في وادي ترجس عند جبل عنس ، ووادي ترجس يفيض في ترج .

٢٤ – تَنُومَة – بفتح التاء المثناة الفوقية وضم النون وإسكان الواو وفتح الميم بعدها

---

(١) انظر عن هذا الوادى ماكتبه فضيلة الأستاذ الشيخ جابر الطيب على قاضى بيشة عن هذا الوادى فى مجلة « العرب » س ٧ ص ٧١٦ - ٧١٩

(٢) النماص جمع نمصة وهى من أنواع الحلفاء وكانت تكثر فى الوادى الذى عرف بها، وبه سميت البلدة المعروفة .

هاء – واد تنومة من أودية السراة ينحدر من عقبة القامة وشعاف تنومة وعريتس ، فيلتقي مع وادي سدوان في وادي خارف ، وبعد التقائهما يفيضان في وادي تَرْجس .

٢٥ – سَدَوان – بفتحات ثلاث – من أودية السراة ، ينحدر من شعاف آل سريع من بالأسمر ، فيلتقي بوادي تنومة في وادي خارف ، ثم يفيض وادي خارف في تَرْجس .

٢٦ – خَارِف – بكسر الراء – هو مجمع وادي تنومة ووادي سَدَوان ، ثم يسيل إلى ترجس .

٢٧ – آل حَوْراء – وادي آل حوراء من أودية سراة الحجر . ينحدر من شعاف آل حوراء ووادي خُرْص ، ثم يسيل الواديان في وادي تَرْجس .

٢٨ – تَرْجس – بفتح التاء وإسكان الراء وفتح الجيم وآخره سين مهملة – هو مجمع الأودية التي تسيل في وادي خارف ، ثم يفيض إلى وادي ترج ، مجمع أودية سراة الحجر التي تقدم ذكرها . وهناك أودية غيرها تجتمع في وادي بيشة .

أما الأودية التي تفيض في وادي ابن هشبل[1] جنوب بيشة ، ثم إلى بيشة فهي :

٢٩ – ذَبُوب بفتح الذال المعجمة وضم الموحدة بعدها واو ساكنة فموحدة بينهما : من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شعف آل خريم ومن وادى آل عُمير ، ثم يسيل في وادي عِياء .

٣٠ – بَيْحَان – يفتح الباء الموحدة وإسكان المثناة التحتية وفتح الحاء المهملة بعدها ألف فنون – ويدعى وادي آل صدام من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شعف آل مَعْلوي . فيلتقي بوادي عَمْق ، ثم يفيض بوادي عِياء بكسر العين المهملة فمثناة تحتية فألف ممدودة – أحد روافد وادي ابن هشبل .

٣١ – عَمْقُ – بفتح العين وإسكان الميم وآخره قاف : من أودية السراة ينحدر من وادي آل لعبان حتى يفيض في وادي آل عياء .

---

(١) بفتح الهاء وإسكان الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وآخره لام .

٣٢ – صَبَح – بفتح الصاد المهملة والباء الموحدة وآخره حاء مهملة من اوديه السراة سراة الحجر ، ينحدر من منطقة صبح وله رافد صغير هو وادي آل امْشاعر (الشاعر) و يسيل في وادي عياء .

٣٣ – عِيَاءُ – بكسر العين المهملة وفتح المثناة التحتية بعدها ألف ممدودة – : من أودية السراة يجتمع فيه أودية ذَبُوب وبيحان وعمق وصبح ، ثم يسيل في وادي ابن هَشْبل.

٣٤ – الماوَيْن – بفتح الميم بعدها ألف فواو مفتوحة فثناة تحتية ساكنة فنون – من أودية سراة الحجر ، ينحدر من شمال جبل الضَّحى الذي في بلاد بني الأحمر فيسيل في وادي صَلَحْلح[1] بعد التقائه بوادي عبل .

٣٥ – عِبْل – بكسر العين المهملة وإسكان الموحدة وآخره لام – من أودية سراة الحجر ، وهو آخرها من جهة الجنوب . ينحدر من جبل الضَّحي فيمر ببلدة مسفرة آخر قرى رجال الحجر – لبني الأحمر – من الجنوب ، ويفيض بوادي ابن هشبل .

٣٦ – ابن هَشبْل – وادي ابن هشبل – بفتح الهاء وإسكان الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وآخره لام – من أوسع الأودية التى تجمع سيول السراة الشرقية وأطولها ينحدر من بلاد عسير وشهران وقحطان ، ويسيل في وادي بيشة الكبير .

ثانيـــا – أودية تهامة الحجر :

سيول أودية تهامة الحجر تفيض في واديين من أعظم أودية تهامة ، هما وادي يَبَة ، ووادي حَلِي.

١ – يَبَة – بفتح الياء المثناة التحتية والباء الموحدة وآخره هاء من أكبر الأودية وأطولها ، يقارب طوله نحو ٢٤٠ كيلا ، وينحدر من بلاد شمران وخثعم ، ثم بلاد القرن ، ويخترق تهامة ، بعد أن تجتمع فيه أودية كثيرة فيكون سهلا خصباً بقرب ساحل البحر (يقع وادى يَبَة بين خطي الطول : ٠٠/٤١° و٥٠/٤١° وبين خطي العرض ٥٠/١٨° و ٣٠/١٩°)[2] .

---

(١) صلحلح : بفتح الصاد المهملة واللا م بعدها خاء مهملة ساكنة فلام فحاء أيضا – واد فى بلاد بنى الأحمر من روافد عبل

(٢) انظر مجلة « العرب » س ٤ ص ٧٧ وس ٦ ص ١٣٨

٢ – عبْس – وادي عبس – بفتح العين المهملة وإسكان الموحدة وآخره سين مهملة – ينحدر من شعاف بلاد بني عمرو الشام وأغوارها حتى يفيض في وادي يبة .

٣ – خَتْبةُ – بفتح الخاء المعجمة وإسكان المثناة الفوقية وفتح الباء الموحدة بعدها هاء – واد ينحدر من شعاف بني التيم وأغوارها حتى يفيض في وادي يبة .

٤ – الضَّمْو – بفتح الضاد المعجمة وإسكان الميم وآخره واو – من أودية تهامة الحجر ، ينحدر من شعاف بلاد آل زيدان وأغوارها وبني كريم في السراة ، فيخترق بلاد المجاردة حتى يصب في وادي يبة .

٥ – الغَيْل – بفتح الغين المعجمة وإسكان المثناة التحتية وآخره لام – من أخصب أودية تهامة وأكثرها حاصلات ، وهو في تهامة بني عمرو من رجال الحجر ، ينحدر من أغوار النماص ، حتى يفيض في وادي خاط .

٦ – خَاط – بفتح الخاء المعجمة بعدها ألف فطاء مهملة – من أشهر أودية تهامة الحجر ، أعلاه وادي الغيل ووادي لحف ويسيل في وادي يبة ، شمال جبل ثربان .

٧ – هو وادي يبة المتقدم ذكره .

٨ – شَرْى – بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وآخره مثناة تحتية – من أودية تهامة الحجر ، ينحدر من شعاف بلاد بالحُصَيْن وبني مشهور ، فيجتمع بوادي العِرْضِي بوادي بقرة .

٩ – العِرْضِي – بكسر العين المهملة وإسكان الراء وكسر الضاد المعجمة بعدها ياء النسبة من أودية تهامة الحجر ، ينحدر من جبل أُثْرُب فيجتمع بوادي شري في وادي بقرة .

١٠ – بَقْرَة – بفتح الباء الموحدة وإسكان القاف فراء مفتوحة فهاء – من أودية تهامة الحجر ، ينحدر من روافد صغيرة من عقبة ساقين وشعاف تنومة وبعد أن يجتمع بوادي شري يصب فى وادي حلي .

١١ – نُعْص – بضم النون وإسكان العين المهملة وآخره صاد مهملة – من أودية تهامة الحجر . ينحدر من شعاف قريش من تنومة السراة ، وشعاف بالأسمر (وبني الأسمر)فيلتقى بوادي المخاضة وبوادي فرشاط ، ثم يفيض في وادي حلي .

١٢ – الخاضَة – يفتح الميم وهم يكسرونها مع فتح الخاء المعجمة وبعدها ألف فضاد معجمة مفتوحة فهاء – من أودية تهامة الحجر ، ينحدر من شعاف بلاد آل حريم وما حولها ، ويمرّ بين جبلي هادي وضرم ، ثم يفيض بوادي حلي .

١٣ – فُرْشاط – بضم الفاء وإسكان الراء وفتح الشين المعجمة بعدها ألف فطاء مهملة – من أودية تهامة الحجر ، فينحدر من شعاف بيحان وآل غرة وغيرهم حتى يفيض بوادى حلي .

١٤ – حَلْي – ويدعى حلي ابن يعقوب – بفتح الحاء المهملة وإسكان اللام وآخره مثناة تحتية – : من أشهر أودية تهامة وأعظمها ، يقع جنوب وادي يَبَّة ، وشمال وادي البِرْك ، يفصل بينه وبين هذا الوادي وادي عمق – بفتح العين وإسكان الميم وآخره قاف من أودية تهامة التى تفيض فى البحر الأحمر – وتنحدر أعالى فروع وادي حلي من أغوار سراة الحجر وما يجاورها جنوباً ، ويتجه غرباً حيث يكون بقرب ساحل البحر الأحمر سهلا واسعاً خصباً فيه عدد من القرى منها قرية حلى .

(يقع وادي حلي بين خطي الطول ١٠´/٤١° و٠٠/٤٢° وبين خطي ٣٠´/١٨° و ٠٠/١٩°) .

ويفيض فى وادي حلي من أودية تهامة الحجر : وادي شري ووادي العرضي ووادي بقرة ووادي فرشاط ووادي الخاضة . كما تفيض فيه روافد أخرى غيرها .

أشهر جبـــال بلاد الحجر :

نوجز ذكر أشهر الجبال الواقعة في بلاد الحجر ، في السراة وفي تهامة . وقد رسمنا مواضعها في المصور الجغرافى . ورمزها لأسمائها بالأرقام التي وضعناها أمام كل اسم .

١ – أُثْرُب – بضم الألف والراء بينهما ثاء مثلثة ساكنة وآخره باء – من جبال بنى شهر فى تهامة ، شمال بلاد بارق على جانب وادي شري أحد روافد حلي ابن يعقوب. فيه قرى ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ١٦٠٠ متر ، وفيه عيون ومزارع وأشجار .

٢ – بَرْكُوك – بفتح الباء الموحدة وإسكان الراء وضم الكاف بعدها واو ساكنة

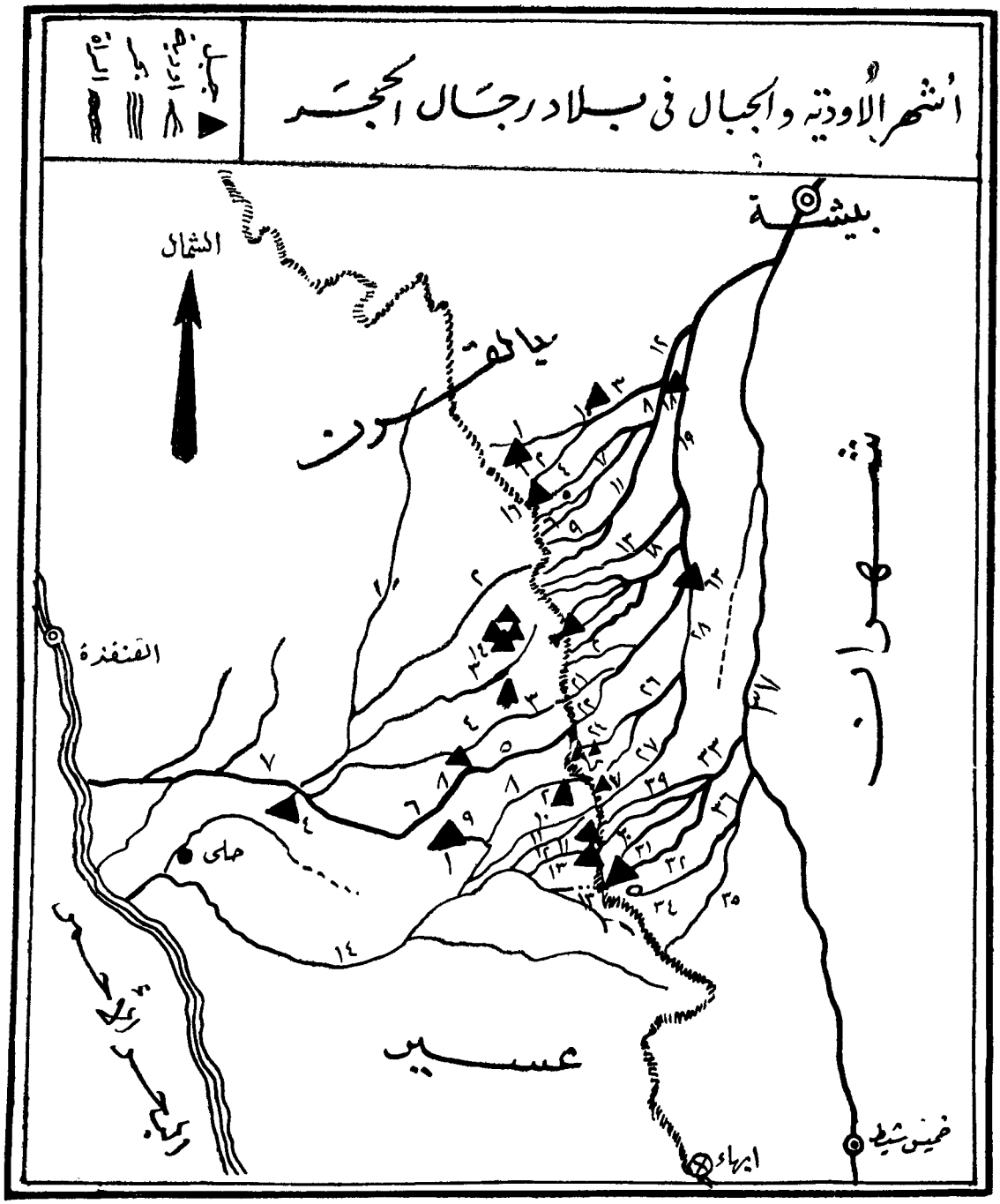
أشهر الأودية والجبال في بلاد رجال المجر
بيشة
الشمال
بالقرن
القنفذة
حلي
عسير
ابهاء
خميس شيط

فكاف أخرى – : من جبال تهامة الحجر ، في أعلى وادي نَعْص من الشمال الشرقي ويرتفع عن سطح البحر بنحو ألفي متر . وهو كثير النبات كالبن والزيتون البرّي والحناء والكادي وغيره من الأشجار العطرية . وفيه أشجار كالعرعر ، وتزرع فيه الحنطة والشعير والسمسم ، وفيه معاسل .

وفيه بعض الوحوش كالنمور والفهود والضباع والذئاب .

٣ – تَهْوِي – بفتح التاء المثناة الفوقية وإسكان الهاء وكسر الواو بعدها ياء مثناة تحتية . من جبال تهامة بني عمرو وبني شهر من الحجر ، شمال وادي خاط ، وفيه سكان من القبيلتين المذكورتين ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ألفي متر . وفيه عيون ومزارع وأشجار .

٤ – ثَرْبان – بفتح الثاء المثلثة وإسكان الراء وفتح الباء الموحدة بعدها ألف فنون – : من جبال تهامة رجال الحجر ، وهو من أعظم جبال المملكة وأكثرها سكاناً ، يقع في الشمال الغربي لبلاد بني شهر تهامة ، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٢٢٠٠ متر وهو شامخ بحيث تسامى قمته قمم جبال السراة ، وسكانه من بني شهر تهامة وبالقرن ، وهو يقع بجانب وادي يبة الكبير من الشرق ، وفيه عيون ومزارع كثيرة .

ويتخذ بعض السكان من غيْرانِه منازل لهم .

٥ – الجَعْدُ – بفتح الجيم وإسكان العين وقد تفتح وآخره دال – جبل يتوسط بلاد بالأحمر في السراة ، ويطل على تهامة يقارب ارتفاعه عن سطح البحر نحو ثلاثة آلاف متر ، وتكسوه غابات شجر العرعر ، ويقع بين صبح وبيحان .

٦ – حَرْفةُ – بفتح الحاء المهملة وإسكان الراء وفتح الفاء بعدها هاء – : من جبال السراة في بلاد عمرو الشام ، يرتفع عمايليه من جبال السراة بنحو ٥٠٠ متر ، وقمته صخرية ، ولكن أسفله وجوانبه يكثر فيها شجر العرعر .

ويعتقد بعض سكان تلك الجهة أن فيه سكاناً من الجن ولهذا يقولون : إذا أرادوا الدعاء على أحد : (أخذوك أهل حَرْفة) .

٧ – حِظْوَةُ – بالحاء المهملة مكسورة فظاء معجمة ساكنة فواو فهاء –

هو جبل عال من جبال السراة ، يقع في الشمال الغربي من بلدة اثنين بالأسمر ، يطل على تهامة ، وتكسوه غابات العرعر ، ومن رأسه يشاهد البحر الأحمر عند الغروب .

٨ – رَيْمان – بفتح الراء وإسكان المثناة التحتية وفتح الميم بعدها ألف فنون . جبل عالٍ في تهامة الحجر ، جنوب جبلى سميعة والقوس ، وشمال جبل تهوي ، على وادي الضمو أحد روافد وادي يبة وفيه سكان من بني حسين وبني زهير .

ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر نحو ١٦٠٠ متر .

وفيه عيون ومزارع وأشجار .

٩ – طَلاَ – بفتح الطاء المهملة واللام بعدها ألف مقصورة – : من جبال سراة الحجر ، في بلاد بالحارث من بني عمرو فى تنومة يطل على تهامة ، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر نحو ٢٥٠٠ متر .

١٠ – الظَّوْر – بالظاء المعجمة مفتوحة فواو ساكنة فراء – : من جبال سراة الحجر فى بلاد بني عمرو الشام ، شرق جبل حرفة ، يرتفع عن سطح البحر نحو ألف متر . وهو على جانب وادي رَنَما من الشمال .

وقد وجدت فيه إحدى الشركات المنقبة عن المعادن معدناً للحديد .

وأعلاه عار من الأشجار ، وتكسو أسفله أشجار الزيتون البري (العتم) .

١١ – ضَرِمُ – بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء وآخره ميم – جبل عال في تهامة بالأسمر من الحجر ، سكانه آل سعد من بني الأسمر . يبلغ ارتفاعه نحو ٢٢٠٠ متر ، وهو وعر المسالك . كثير الحاصلات الزراعية والأشجار .وينبت فيه البن والفواكه والرياحين والزيتون البري (العتم) وتزرع فيه الحنطة الدخن والشعير والسمسم .

١٢ – الظَّهارَةُ – بالظاء المعجمة مفتوحة والهاء بعدها ألف فراء مفتوحة فهاء – : سلسلة جبال صخرية بيضاء ، تنبع منها عيون ، تتوسط منطقة تنومة ، وترتفع عن منطقة تنومة نحو ٥٠٠ متر .

١٣ – عَنْسُ – بفتح العين المهملة وإسكان النون وآخره سين مهملة – جبل

تقع في سراة الحجر ، شرق بلدة النماص بنحو ثلاثين كيلا ، عند ملتقى واديَيْ برجس ونحيان في وادى ترج ، وفيه مراع للبادية من بنى شهر ، خالٍ من المزارع والسكان ، و يرتفع عن سطح البحر بنحو ٨٠٠ متر .

١٤ – القَوْسُ – بفتح القاف وإسكان الواو وآخره سين مهملة – من جبال تهامة يتصل به جبال سميعة والسدرة وشَيْبان .

وهذه الجبال الأربعة تقع شمال بلاد بني شهر تهامة ، يسكنها بالاجدع (بلجدع) ، وعبس يبلغ ارتفاعها نحو ١٣٠٠ إلى ١٦٠٠ متر عن سطح البحر .

وتنتشر فيها المزارع والأشجار ، ويشقها وادي صَيْوي .

١٥ – مَرِيْر – بفتح الميم وكسر الراء وإسكان المثناة التحتية وآخره راء – : من جبال سراة الحجر ، يشرف على تهامة ، ويقع شمال النماص وتنبت فيه أشجار العرعر.

١٦ – المَطْلى – بفتح الميم واللام بينهما طاء مهملة ساكنة وآخره ألف مقصورة – : من جبال السراة ، سراة الحجر ، يرتفع عن سطح البحر نحو ٣٠٠٠ متر .

وقد شهد هذا الجبل بعض مظاهر البطولة أثناء المعارك بين بني عمرو وبين الأتراك بقيادة علي رضا باشا سنة ١٣٣٢ هـ

١٧ – هَادِي – بفتح الهاء بعدها ألف فدال مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية . جبل أشمّ من جبال تهامة بني الأسمر من الحجر ، يفصل بينه وبين جبل ضَرِم وادي المخاضة المنحدر من أغوار سراة بالأسمر حتى يلتقي بوادي حلي ابن يعقوب .

ويسكن جبل هادي بنو مُنْبِح ، بنو معتب منهم وهم ستة أفخاذ: قبائل والضَّحِي وآل الحسين وآل على والعِمَرَة وبني رافع .

وجبل هادي يضاهي جبل ضرم في الصفة .

١٨ – يَنْدَفُ – يفتح المثناة التحتية ، وإسكان النون وفتح الدال وآخره فاء – : جبل مستطيل ، يرتفع عما حوله من الجبال بنحو خمس مائة متر ، يقع في الجنوب الشرقي من السراة في الغرب من وادي ترج ، وشرق وادي القوباء وعلى بعد كيلين من الجبل يلتقي الواديان وفي جبل تندف بعض الوحوش كالنمور والفهود والذئاب ، وتكثر فيه المراعي .

الرياض **عمر غرامة العمروى**

مقدمة عن آثار المملكة

أحسنت (إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف) صنعاً بنشر أول كتاب شامل عن آثار بلادنا دعته « مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية » باللغتين العربية والإنجليزية ، يقع في نحو ١٧٦ صفحة من القطع الكبير ، يحوى صوراً متقنة التصوير ، ملونة كبيرة ، لجميع الآثار التي ذكرت في ذلك الكتاب مع شرح كل أثر منها شرحاً موجزاً ، ورسم خرائط تبين مواضع الآثار . وقد قسم الكتاب إلى خمسة أقسام :

١ ــ المنطقة الوسطى (نجد والقصيم ؟) .

٢ ــ المنطقة الشرقية (الأحساء والقطيف) .

٣ ــ المنطقة الشمالية الغربية : (مدين وددان القديمة) .

٤ ــ المنطقة الغربية : (الحجاز) .

٥ ــ المنطقة الجنوبية الغربية : (عسير ونجران) .

وقدّم الكتاب صاحب المعالى الأستاذ الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف ورئيس المجلس الأعلى للآثار ، إذ الكتاب طبع سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥) .

وتولى إيضاح أبرز الآثار في كل منطقة من المناطق الدكتور عبدالله المصرى الذي تحدث في مقدمة الكتاب بإسهاب عن تلك الآثار وعما تبذله إدارة الآثار وقسم التاريخ في كلية الآداب في جامعة الرياض في سبيل الكشف والتنقيب عنها ولم تفته الإشارة إلى ما لبعض الباحثين من أبناء هذا البلاد من آثار في هذا السبيل ، كمؤلف الأستاذ عبد القدوس الأنصارى « آثار المدينة » وكتاب « في شمال غرب الجزيرة » لكاتب هذه السطور . ولا شك أن الدكتور المصرى مدير إدارة الآثار والمتاحف في وزارة المعارف غنيٌ عن الإشادة بعمله الذى يدرك أثرهُ ويعترف بفضله كل معنيٍّ بالدراسات الأثرية في هذه البلاد . ولعل من أبرز أعماله نشر هذا الكتاب ، الذي طالما تطلّع إليه الباحثون .

ولعل خير ما تحيّى به هذا العمل المشكور من (إدارة الآثار) هو التعبير عن العناية البالغة بأول كتاب تصدره تلك الإدارة ، لا بالثناء وحده ، بل بالسعي — ما أمكن السعي —لكي يبرز كل عمل من أعمالها على خير ما يمكن أن يبرز به من إتقان وجودة .

ومعلوم أن الإنسان — أيًّا كان — ومهما تحرص لا يستطيع بلوغ الكمال في أي عمل من أعماله ، ولكن ما ينشأ من الأعمال عن جُهُود متآزرة يبدو النقص فيه واضحاً. وإن كان يسيراً .

وكل امرئ يتصفح هذا الكتاب يتضح له قدر ما صُرف في سبيل إبرازه من جُهْد ، لايقف عند ناحية خاصة لا في جمع المعلومات ، ولا في التنسيق ولا في جودة الطباعة ، فضلا عما بذل في سبيل التنقيب عن تلك الآثار من النفقات العظيمة .

وكتاب بهذه الصفة ينبغي أن يبرز بخير صورة وأقربها إلى الكمال ، وأن تعتبر الهفوات اليسيرة فيه لو حدثت مما يشوه جمال صورته ، وأن يُنْظر إليه النظرة العميقة الفاحصة ، لا النظرة التي ينظر بها إلى المؤلفات التي يصدرها أفراد محدودو الجهد ، لا تنتشر مؤلفاتهم انتشار مثل هذا الكتاب ، ولا يعوّل عليها كما يعول عليه .

ولهذا رأيت أن تكون تحيتي للدكتور الفاضل مدير الآثار ولكل المتعاونين على تأليف هذا الكتاب تعبيراً صادقاً عن الاهتمام به ، وذلك بالتعليق على هوامش فيه ، لا تمس جوهر موضوعه مما هو من اختصاص علماء الآثار .

١ — تكررت كلمة (الفاو) فى الصفحات الـ ١١و ١٥ و١٨ و٢١ ويقصد بها قرية الفاو (أهم قرية أثرية) على ما جاء في الكتاب .

وكلمة الفاو كلمة عامّة يقصد بها الفجّ الواسع في الجبل مثل فأو الهدار وفأو برك . وليست خاصة بالموضع المذكور فهذا الموضع يعرف قديماً باسم (قَرْيَة) بفتح القاف وإسكان الراء وفتح المثناة التحتية ، قال الهمدانى في «صفة جزيرة العرب»[1] وهو يصف الطريق من اليمامة إلى نجران : (ثم رجعت إلى الطريق من

(١) ص ٢٩٧ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر).

المقترب[1] ريد اليمن قصد نجران فتشرب بحسْي كباب الذي يقول فيه مروان بن أبي حفصة :

والعيسُ قد عـلَـتَ الدَّبيل[2] وخلَّفت بطْنَ العقيق بنا وحِسْي كبـاب

فإن تيامنت شربت ماء عادياً يسمى قَرْية ، إلى جنبه آبار عادية ، وكنيسة منحوتة في الصخر .

ثم ترد ثَجر ماءً .. ثم حِمَى والوحاف وبئر الربيع ثم مذود من أسفل نجران) .

٢ ــ ص ١٦ : عن أعمال بعثة معهد الآثار بجامعة لندن في عام ١٣٨٨ (١٩٦٨) : (وشملت أعمالها المسح الأثري بمنطقة مدين القديمة ، ومدينة المابيات الإسلامية وآثار العلا) .

أعتقد أن كثيراً من القراء لا يعرفون شيئاً عن (مدينة المابيات الإسلامية)هذه ، بل لا أستبعد أن يكون الاسم غير صحيح ، وحبَّذا لو حوى الكتابُ تعريفاً موجزاً ، يوضح موقع هذه المدينة ، وزمن وجودها ،

٣ ــ ورد في الفهرس وفي الصفحة السادسة : (المنطقة الوسطى : نجد والقصيم) .

ولا أفهم معنى لإخراج القصيم عن مُسَمَّى نجد ، إلا إذا كان من قبيل ما في الآية الكريمة(فيهـما فاكِهَـةٌ وَنَخْلٌ ورُمَّانٌ) حيث عطف الرمان على الفاكهة وهو منها ولكن المفسرين بيّنوا وجه هذا العطف ، وهو لا ينطبق على عطف القصيم على نجد ، ولا خلاف في أن القصيم جزء من نجد .

٤ ــ ص ١٧ : (وأقدم نصّ عربي يتحدث عن الرياض كمدينة ، هو ما أورده ابن خلدون وهو :

(إن قبيلة تعرف ببني هوزان كانت أول من سكن إقليم اليمامة ، وأن حجرا كانت مركزاً له ، وجاءت قبيلة عنزة بعد هوازن ؟ ثم ازدهرت حجر في عهد بني حنيفة ، واتخذ منها العرب سوقاً كانت تقام في المحرم من كل عام) .

---

(١) المقترب بين العقيق والفلج والعقيق وادى الدواسر الآن والفلج هو الأفلاج ، وفى المقترب قصر حمام ، كان لبنى حمام من بنى قرط من بنى نمير .

(٢) الدبيل : هو الدبول الآن . والعقيق : وادى الدواسر

وجه الاشكال في هذا الكلام :

(ا) ليس في كلام ابن خلدون المنسوب إليه هنا أي ذكر لمدينة الرياض حتى يصح القول بأنه أقدم نص عربي يتحدث عن الرياض كمدينة .

(ب) هناك مؤرخون كثيرون قبل ابن خلدون بقرون ذكروا سكان اليمامة ، واتخاذ حَجْر قاعدة لذلك الإقليم .

(ج) اسم هوزان أو هوازن . خطأ . صوابه (هِزّان) بكسر الهاء وفتح الزاي مشددة بعدها ألف فنون ، وتعرف بهزان الأولى ، وهم على ما ذكر ابن خلدون في كتاب « العبر » [1] : (بنو هزان بن جاسم بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح – عليه السلام –

(د) يكاد يجمع المؤرخون المتقدمون على أن الذين سكنوا اليمامة قبل بني حنيفة هم طسمٌ وجديس ، وقد بقيت لهم آثار عمرانية بقيت إلى ما قبل عصرنا بزمن يسير . قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب[2] » : (القرية الخضراء خضراء حجر ، التي التقطها عبيد بن ثعلبة بن الدول ، ولم يشرك فيها أحداً ، وهي حضور طسم وجديس وفيها آثارهم وحصونهم وبُتُلُهم – الواحد بَتِيل – وهو هَنٌ مربع مثل الصّومعة، مستطيل في السماء من طين . قال أبو مالك :

لحقت منها بناء طوله مئتا ذراع في السماء . قال : وقيل كان منها ما طوله خمس مئة ذراع ، من أحدها نظرت زرقاء اليمامة إلى من نزل من جوّجان من رأس الدام مسيرة يومين وليلتين ، وكانت جديس تسكن الخضرمة ، وكانت طسم تسكن الخضراء) انتهى .

(د) هناك نصّ عن ابن خلدون يدل على أن الذين سكنوا اليمامة قبل بني حنيفة هم قبيلة طسم لا قبيلة عَنَزَة . ونصه :

(وبقيت اليمامة بعد طسم يباباً ، لا يأكل ثمرها إلا عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة ، وكانوا بعثوا رائدهم عبيد بن ثعلبة الحنفي يرتاد لهم البلاد ، فلما

(١) تاريخ ابن خلدون » ج ٢ ص ١٦ طبعة بيروت .
(٢) ص ٢٨٤ نشر (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

اكل من ذلك التمر قال : إن هذا الطعام ، وحجّر بعصاه على موضع قصبة اليمامة ، سميت حجراً ، واستوطنها بنو حنيفة ، وبها صبّحهم الإسلام) [1] .

(هـ) نص الهمداني المتقدم يدل على أن اسم حَجْر القديم (الخضراء) وأنها سميت حجراً – على ما في كلام ابن خلدون في عهد بني حنيفة ، حين حَجّر بعصاه – أي خطّ – على موضعها وهذا تعليل أرى أنه بحاجة إلى دليل ، فحجر تذكر بكلمة (هجر) وهي المدينة باللغة الحميرية ، على ما ذكر الهمداني ، والتعاقب بين الهاء والحاء مألوف .

(و) لم يطلق اسم الرياض على المدينة إلا في عصور متأخرة . بعد القرن العاشر الهجري فقد أصبحت مدينة حجر – بعد أن ضعف شأنها وقل سكانها حللا متفرقة ، أطلق على كل حلة اسماً خاصًّا (مقرن) و (معكال) و (البنية) و (العود) وغيرها مما أشرت إليه في كتابي « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » [2] .

٥ – ص ٧ : (عندما أنشأ الغصيبة (أقدم أحياء الدرعية) مانع بن ربيعة أحد أقارب ابن درع صاحب حجر اليمامة) .

الغصيبة هنا صوابها (غصيبة) بدون تعرف و (ال) لا تدخل في الأعلام إلا سماعاً. وخبر إنشاء الدرعية يكتنفه الغموض ، وأقدم نص وصل إلينا عن طريق الشيخ محمد بن عمر الفاخري من أهل القرن الثالث عشر الهجرى – أى بعد إنشاء الدرعية على ما ذكر بما يقرب من ثلاثة قرون[3]–. ولا ندري على ماذا عول الفاخري حينما نقل خبر انتقال مانع بن ربيعة إلى هذه البلاد من جهات القطيف ، ومانع هذا من أهلها القدماء بني حنيفة

٦ – ص ١٧ : (وفي منتصف القرن الثالث عشر الهجرى وصل إلى الدرعية الإمام محمد بن عبد الوهاب) .

وصول الإمام محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر لا الثالث عشر .

---

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الثانى ص ١٦ ط بيروت .

(٢) من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٣) الفاخرى ولد سنة ١١٨٦ وتوفى سنة ١٢٧٧

٧ – ص ١٧ : (البيجادية : وتقع على مسافة كيلو مترين شرقي الدوادمي) .

١ – صواب الاسم البجادية – نسبة إلى رجل يسمى بجاد – بكسر الباء وفتح الجيم بعدها ألف فدال مهملة .

٢ – المسافة بين البجادية وبين الدّوادمي أكثر من كيلين .

٨ – ص ١٧ : (جبل خنوقة : يقع على مسافة ١٢ كم شمالي الدوادمي)

وفي ص (68) (Jebel Khanuga 70 km West of Dawadmi)

بين النصين العربي والإنجليزي اختلاف كبير في تحديد المسافة فهو في النص العربي ٨٢ كيلا وفي النص الإنجليزي ٧٠ كيلا وهذا الأخير هو الصواب .

٩ – ص ١٧ : (جبل براقة : يبعد حوالى ٣٠ كم شمال الدوادمي

وفي ص ٢٦ (67) Barraga. c 70 Km. West of Dwadmi وهنا اختلاف كبير في تحديد المسافة فهي بالنص العربي ٣٠ كيلا وهي بالنص الانجليزي ٧٠ كيلا

١٠ – ص ١٨ : (قصر مارد بالأسياح ، يقع على بعد ٦٠ كم شرقي بريدة ، ويعود تاريخ بنائه إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري) وفي ص ٣٤ : (قصر مارد بالأسياح يقع على مسافة ٨٠ كم شرقي بريدة ، ويرجع بناؤه إلى حوالى ١٥٠ سنة سابقة) وفي النص الإنجليزي جعل المسافة ٦٠ كم

بصرف النظر عن عدم اتفاق النصين على تحديد المسافة ، القول بأن تحديد تاريخ بناء ذلك القصر في منتصف القرن الثاني عشر الهجري محل نظر ، وكذا القول بأن بناءه قبل ١٥٠ سنة (أي قبل منتصف القرن الثاني عشر بنحو خمس سنين .

فمما لا شك فيه أن هذا القصر أنشئ قبل قيام الدولة السعودية الأولى بزمن كان للدولة التركية التي يرجح أنه من آثارها نفوذ في بلاد نجد ، وهذه الدولة قد ضعف نفوذها في هذه البلاد قبل نهاية القرن الحادى عشر .

كما أن الدولة السعودية الأولى قامت في أول النصف الثاني من القرن الثاني عشر وكان القصر موجوداً ، والقول بأن هذا القصر له نحو ١٥٠ سنة من عهدنا يقتضى بأنه أنشئ حول منتصف القرن الثالث عشر أو قبله بزمن يسير ، وهذا غير صحيح ،

فتاريخ هذه البلاد منذ أول القرن الثالث عشر الهجري – أي منذ ما يقرب من مئتي عام – معروف ، وكان القصر موجوداً قبل ذلك .

– لا شك أن ذلك القصر أنشئ في عهد ما قبل قيام الدولة السعودية في عهدها الأول (منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري) .

لقد نشر الأستاذ محمد بن ناصر العبودي بحثاً حول هذا القصر في مجلة «العرب»[1] وجّح فيه القول بأنه أنشئ في القرن العاشر ، وأورد ما يؤيد رأيه .

وقد ذكر الأستاذ العبودي أن إحياء عيون الأسياح (النباج قديماً) التي يقع فيها ذلك القصر كان بين عامي ١٢٠١ و ١٢١٨ – وقد كان القصر إذ ذاك موجودا .

وكان السكان يتناقلون من أخباره ما يدل على قدمه حتى هذا الوقت ، ويربطون بين زوال عهد صاحبه وبين انتقال الضياغم من جنوب الجزيرة إلى بلاد الجبلين ، والضياغم هم الذين تنتسب إليهم الأسرة الرشيدية التي حكمت بلاد حايل وملحقاتها فترة من الزمن .

١١ – ص ١٨ : (وادي ماسل يبعد من الدَّوَادميْ مسافة ٥٠ كم إلى الجنوب الشرقي) .

وفي ص ٢٦ (67) : – النص الإنجليزي :

(Wadi masil 70 Km. South of Dwadmi)

وبصرف النظر عن التحديد الصحيح للمسافة ، فإن الاختلاف بين النصين مما يوقع في الارتباك والحيرة بحيث لا يدري القارئ على أيهما يعوّل في كل نصوص الكتاب .

١٢ – ص ٣٨ (٦٢) : (نقش ثمودي نجدي) . ولكن النص الإنجليزي لا يتفق مع هذا إلا في كلمة ثمودي (ونصه :

(Brokenn Stab Bcaring Thamudic Graftiat Jebel Burma)

وهذا مثال آخر في الاختلاف بين النَّصين ، نكتفي بإيراده دون التعليق عليه .

---

(١) السنة الثامنة ص ٣٠١ إلى ٣٠٢

١٣ – في المصور الجغرافي (الخريطة) ص ٣٨ مما يستلفت النظر :

(ا) وضع كلمة (المنطقة المحايدة) وسط مواضع داخل المملكة بعيدة كل البعد عن أية منطقة محايدة .. فالجبيل والمواضع الواقعة غربها وشمالها كلها داخل المملكة إلى مسافات بعيدة .

(ب) وضعت كلمة الحساء في الجنوب الغربي من الهفوف ، وكلمة الحساء تشمل منطقة واسعة تتوسطها مدينة الهفهوف ، فهي تمتد من رمال بيرين إلى قرب قرب القطيف كما قال ابن مقرّب الشاعر الأحسائي في ذكر تسلط البادية في عهده على تلك البلاد .

أخذوا الحساء من الكثيب إلى محا ... رايث العيون إلى نقاحلوان
والخط من صفواء حازوها فما ... أبقوا بها شبراً إلى الظهران
ومنازل العظماء منكم أصبحت ... دوراً لهم تكرى بلا أثمان

(ج) وضع اسم الحناءة (الحنا) .

(د) وضع اسم تاروت (تارويت) .

١٤ – ص ٣٨ (55) أما الجرهاء وهي حاضرة إغريقية مشهورة كتب عنها الكثير بواسطة المؤرخين الإغريق والرومان .

وقبل هذا : (وعلى مقربة من ثاج في قرية الحنا(؟)الحالية توجد أيضاً بقايا لمدينة إغريقية أخرى تكاد توازي مدينة ثاج القديمة حجماً .

وتكرار اسم (الجرهاء) ص ٦٥ – ووجه الإشكال هنا :

(ا) الجرهاء صوابها (الجرعاء) بالعين بدل الهاء ، وهي منقولة عن مصادر إغريقية ولاتينية لا يخرج أهلها الحروف الحلقية (أ–ع–ح–غ–خ)من مخارجها واسم الجرعاء من الأسماء المعروفة في معجمات الأمكنة القديمة .

(ب) وجود مدينة إغريقية في هذه الجهة لا يتفق مع ما يكاد يجمع عليه المؤرخون من أن النفوذ الأجنبي لم يتغلغل داخل الجزيرة وقد يكون طراز البناء وهندسته مما يتفق مع طراز الأبنية الأجنبية كالفارسية والرومية والإغريقية ولكن وجود مدينة كاملة نحكم بأنها إغريقية يحتاج إلى تثبت ومن أولى الناس بالتثبت من علماء الآثار .

١٥ – ٣٨ : (قصر إبراهيم – أيضاً يعرف بقصر القبة – وينسب إلى الوالي ابراهيم فيضان أمير الأحساء في عهد الإمام سعود الكبير . . وقد أقيم القصر على مراحل منذ عام ٩٧٤ وحتى عام ١٠٠٠) .

وفي ص ٣٩ : (شيد القصر على مراحل كان آخرها سنة ١٠١١ هـ) .

بصرف النظر عن اختلاف التاريخين في ص ٣٨ وص ٣٩ فإن اسم الوالي إبراهيم ابن عفيصان ، وهو من أهل نجد من آل عفيصان أهل الخرج ، والقصر شيد في أول عهد استيلاء الأتراك على الأحساء .

١٦ – ص ٤٠ – آخر الصفحة : (منظر داخل قصر إبراهيم ، ولكن النص الإنجليزي يتحدث عن قصر خزام ، لا قصر إبراهيم ، وإذن : فصورة أي القصرين التي في تلك الصفحة ؟ ! وهل هما قصر واحد ؟

هذا مثال آخر من اختلاف النصين ، يوقع القارئ في الحيرة ، فلا يدري على م يعتمد وما هو وجه الصواب .

١٧ – ٤٦ : (قلعة تاروت : بناها البرتغاليون في القرن السابع عشر الميلادى على أنقاض مستوطنات سابقة ، يعود أقدمها إلى خمسة آلاف سنة ماضية) عهد البرتغاليين متقدم على القرن السابع عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري (بأكثر من قرن ، فقد ابتدأت حركتهم في سواحل بحري العرب والخليج منذ القرن العاشر الهجري ، وفي أول القرن الحادي عشر بلغ نفوذهم أوجه ، وفي آخر هذا القرن تلاشى ذلك النفوذ[١].

١٨ – ص ٣١ (٦٢) : موقع جبل برمة ٦٠ كم شرقي الرياض وفي النص الإنجليزي (٦٥ كم) وهذا من أمثلة التخالف بين النص العربي والنص الإنجليزي .

١٩ – ص ٦٤ (29) . : عن بلدة حايل – (وتقول المصادر التاريخية : إن حائلا هو الاسم الأصلي للوادي الذي تقع فيه لوقوعه حائلا بين جبلي شمّر أجا وسلمى ، وأنها كانت تسمى بقرية حايل وأخيراً أزيل اسم القرية وبقى حايل) .

---

(١) انظر مجلة « العرب » ص ١٨ إلى ٣٧ من السنة التاسعة وكتاب « البرق اليماني » من منشورات (دار اليمامة) .

إطلاق اسم حائل قديماً على الوادي مما ورد في المصادر القديمة ، ولكن تعليل الاسم بكونه حائلا بين جبلي شمّر أجا وسلمى مما لم أطلع عليه في شيء من تلك المصادر وهو تعليل غير واضح . فإذا كان المقصود أنه فاصل بين الجبلين فهذا غير صحيح فجبل سلمى يفصله عن أجا أرض واسعة ذات أودية وجبال كثيرة ، وليس وادي حائل بأعظم تلك الأودية . ثم إن هذا الوادي تنحدر أهم فروعه من سلسلة جبال أجا ويسير متجهاً صوب الشمال الشرقي بحيث يلبُّ بسفوح تلك السلسلة الشرقية بعيداً عن جبل سلمى .

ومن أقدم أقوال العلماء عن هذا الوادي قول الهجري[1]: (حائل واد يفلق بالرمل وأجأ ، ليس ثم واد غيره ، يصب في الحزن) .

وقال أبو سعيد الضرير[2] : (حائل بطن واد بالقرب من أجا) .

القُريَّة : بالتصغير بضم القاف وفتح الراء — قال امرؤ القيس :

تَبِيتُ لَيُوني بالقُــرَيَّة أمَّنــا
وأسْرحُها غِبًّا بأكْنافِ (حائِل)

٢٠ — ٦٥ : (السِّفِن بكسر وتشديد السين . ويقع في وادي (؟) صغير في سطح جبل أجا شمال شرقي حايل) .

(ا) العارفون في هذه الجهة — جهة منطقة حايل — ومنهم الأستاذ عبد الرحمن الملق المفتش في إدارة التعليم . يقولون هو السفل باللام لأن المكان أسفل أودية أجا الشمالية .

(ب) الاسم يطلق على الوادي وما حوله من الأرض ، وليس مختصاً بالمكان الذي ورد في الكتاب أنه (في وادي صغير وصواب الكلمة (في وادٍ صغير) .

(ج) المكان يقع في الشمال الغربي من حائل ، لا الشرق .

٢١ — ص ٦٦ : (يوجد في الكاف قصر داخل حصن كبير ، ينسب بناؤه إلى الشيخ نوري الشعلان ، رئيس قبيلة الرولة) وفي ص ٩٠ (منظر لقلعة الرولا التاريخية بالكاف ، التي تعود إلى أول القرن الهجري الحالي)

---

(١) « أبو علي الهجري » ص ٢٨٥ من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) معجم ماستعجم للبكري مادة حايل .

ويلاحظ :

(ا) الكاف صواب اسم القرية (كاف) و (ال) لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً .

(ب) القصر ينسب بناؤه إلى سلطان الشعلان لا النوري .

(ج) قد حُدّد تاريخ بناء هذا القصر واسم الشخص الذي أضيف إليه في حجر فوق باب القصر ، مكتوب فيه أنه أنشئ في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ هـ وذكر فيه اسم سلطان الشعلان .

(د) الرولا – صواب الاسم (الرولة) ، بالهاء مكان الألف ، والخطأ ناشئ عن نقل الاسم عن كتابة إفرنجية .

– ص ٦٦ : (جبل السعيدي) وأنا سمعت السكان هنالك ينطقون الاسم بالصاد (الصعيدي) وأخشى أن ماوقع هنا ناشئ عن النطق الإفرنجي والإفرنج لا يفرقون بين الحرفين لانطقا ولا كتابة .

٢٢ – ٧٣ : (قصر حاتم الطائي : يقع شمال غربي حامل في قرية توران ، حيث سكنت قبيلة طي تاريخيًّا)

وفي ص ٦٥ (١٢٨) : (قصر حاتم الطائي : ويوجد بقرية توارن على سفح جبل أجا ، ومن المعروف أن قبيلة طي القديمة كانت تقطن المنطقة منذ عصر ماقبل الإسلام أما نسبة القصر إلى حاتم الطائي فهو أمر غير مؤكد) .

(ا) القرية تُدْعى (تُوارن) بضم التاء وفتح الواو بعدها ألف فراء مكسورة فنون لا (توران) .

(ب) ليست القرية على سفح أجابل في أحد أوديته الشمالية التي يطلق عليها اسم (توارن) أيضا . وكان الاسم قديما يطلق على الجبل المطل على هذا الوادي من الجنوب من السلسلة سلسلة أجا كما في قول الشاعر وهو الطرماح بن حكيم الطائي :

إلى أصل أرطاة ينشيم سحابة على الهضب من حبران أو من توارن

---

(١) كتاب « فى شمال غرب الجزيرة » ص ٣٤ – من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر)

(ج) سكان تلك الجهة ينسبون القصر إلى زُمَيْل أحد أجدادهم ، و ينسبون إلى حاتم قبرا في قرية توارن الواقعة في وسط الوادي بعد هذا القصر الذي بني ليحول دون التوغل في الوادي .

(د) كان يحسن أن يسمى القصر (قصر توارن) مادامت نسبته إلى حاتم الطائي غير صحيحة ، إذ تسميته بقصر حاتم ترسخ في أذهان العامة خرافة نسبته إلى حاتم ، وما أكثر الخرافات التي رسخت من هذا القبيل ، وعلم الآثار يقوم على أساس الدقة والتحقيق (١) .

٢٣ — ص ٧٦ (قلعة عارف ، تقع شرقي حايل شيدت منذ مائة سنة تقريبا) .

عارف هنا صوابه (أُعَيْرف) تصغير أعرف ، وهوجُبَيْل صغير يقع داخل مدينة حايل الآن ، وكان خارجها ، وبعضهم يسميه (الأعيرف ، وهناك جبل آخر في الشمال الغربي من أجا وهو الذي ذكره المتقدمون و ذكروا أن فيه نخلا يدعى الأفيق (٢) .

٢٤ — ص ٧٦ : (أعمدة الرجاجيل بقرية القارة جنوب سكاكا ، شواهد لأضرحة قديمة من القرن الثالث ق . م)

(أ) النص الإنجليزى يخالف ماهنا من حيث اسم الموضع فقد سمى فيه (المدارة AL MADARAH)

(ب) تلك الآثار ليست في قرية (قارة) بل تبعد عنها بنحو عشرة أكيال ولقد شاهدت تلك الحجارة وكتبت عنها في كتاب « في شمال غرب الجزيرة » (٣)مانصه (ومن أبرز ما شاهدته من الآثار مكان يدعى الرجاجيل يقع على مسافة ستة أميال من بلدة قارة ،وهو عبارة عن مكان واسع من الأرض ، في أرض براح ، تنتشر فيه صخور مستطيلة منصوبة واقفة ، منها القائم البالغ في الارتفاع ثلاثة أمتار تقريبا ومنها الساقط ، وعندما وقفت في المكان شاهدته يشبه دائرة تحيط بها هذه الصخور ، القائم منها والساقط وتصورت أنه كان معبدا وضع بصفة مستديرة واسعة ، غير أن الصديق الأستاذ الدكتور

(١) أنظر عن قبر حاتم مجلة « العرب » س ٢ ص ١٠٦٢

(٢) انظر « معجم البلدان » وكتاب نصر .

(٣) ص ١٤٧

محمود الغول قال لي : إنه قد زاره وشاهد آثاره ، وجد في بعض صخوره كتابات صورها ، وأنه يعتقد أنه كان من الأمكنة المعدة للاجتماعات الدينية وغيرها) .

وما أضيفه الآن هو أن الدكتور الغول من علماء الآثار ، وهو لا يرى أن تلك الصخور شواهد أضرحة ثم إن وضع تلك الصخور لايدل على أنها شواهد قبور ، ولا أثر للقبور في ذلك الموضع . ولم يجر – على ماأعلم – فيه إلى الآن تنقيب لمعرفة ما تحت تلك الصخور فيما لو كانت شواهد قبور .

(ج) المدرة الواردة في النص الإنجليزى قويرة صغيرة تقع في الشمال الشرقي من ذلك المكان . وقد عُثر في غار فيها على جرة من فخار فيها نقود شاهدت بعضها فتبين لي أنها سكت في عهد المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧- ٤٨٧ هـ) على ماأوضحت في كتاب « في شمال غرب الجزيرة » ص ١٤٨ –

٢٥ – ص ٨٠ (١١٣) : (منظر تفصيلي لقصر مارد والمعروف بالأكيدر « يرجع أساس بنائه إلى القرن الثالث قبل الميلاد) .

مارد ليس الأكيدر ، إنه اسم القصر القديم ، أما الأكيدر فهو حاكم دومة الجندل (الجوف) عند ظهور الإسلام ، فعاهد المسلمين ثم نكث فقتل في عهد أبي بكر الصديق .

٢٦ – ص ٨٥ : (الجوف ودومة الجندل) :

دومة الجندل كانت قاعدة الجوف ، وليست الجوف كله ، أي إن اسم الجوف يشمل الواحة ، ودومة الجندل هي القاعدة وهي جزء من الجوف .

٢٧ – ص ٩٧ و ٩٨ : (ومرفأ الحقل اليوم هو ميناء البدع القديم ، وكان يسمى مكنا ، ويقع من البدع على مسافة تقدر بأربعين كيلو متراً إلى الشمال الشرقي) .

مكنا : صواب الاسم (مقنا) كما جاء مصححاً في آخر الكتاب .

ومقناليس هو حقل ، واسم حقل لا تدخله (ال) التي لا تدخل على الأعلام إلا ما سمع عن العرب قديماً . وشعراؤهم وعلماؤهم ذكروا الاسم مجرداً من (ال) وتقع قرية مقنا على شاطئ خليج العقبة ، جنوب حقل بنحو ٨٠ كيلا ، وشمال رأس

الشيخ حميد بنحو ٣٥ كيلا أسفل واد يدعى وادي الحمض ، غربي جبل تيران ، الذي تقع مغار شعيب في طرفه الغربي(بقرب خط الطول ٤٥ ـ/٣٤° وخط العرض ٢٢ ـ/٢٨°)

وذكر موزل[١]: أن مكنا MAKNA الواردة في جغرافية بطليموس هي واحة مقنا المعروفة ، على الرغم من أن التفصيلات التي ذكرها بطليموس لا تتفق مع ظواهر المكان .

وكانت مقنا معروفة في صدر الإسلام، فقد ذكر الواقدي في« المغازي»[٢] أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعطى رجلين أسلما وقدما عليه بتبوك رُبْع مقنا مما نخرج من البحر ، ومن التمر من نخلها .

وورد اسم مقنا مصحفاً في كثير من الكتب(مَيْنا). ففي «السيرة النبوية»[٣] تهذيب ابن هشام : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعث زيد بن حارثة نحو مدين فأصاب سبياً من أهل (ميناء) وهي السواحل ، وفيها جماع من الناس فَبيعُوا ، ففُرق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل : فرّق بينهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوهم إلا جميعاً» أراد الأمهات والأولاد) (٣) .

ويورد علماء السيرة خبر كتاب كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني حبيبة من أهل مقنا، ذكره صاحب « الروض المعطار » وغيره . وأورد الدكتور محمد حميد الله نصه في كتاب « مجموعة الوثائق السياسية » (٤) .

وقد زار فلبي قرية مقنا سنة ١٩٥١ م فوضعها في كتابه « أرض مدين » الذي عُرّب خطأ باسم«أرض الأنبياء» فكان مما قال عنها[٥]:(يوجد أسفل الوادي حائط فيه نخيل كثيفة لا يمكن للسيارة أن تمر بينها مع أن المسافة إلى مقنا الواقعة على سيف البحر لا تزيد على ميلين ، ومقنا تبعد عن البدع ١٨ ميلا . فاضطررنا إلى الدوران مسافة

(١) « شمال الحجاز » الترجمة العربية ص ١٣١

(٢) صفحة ١٠٣٢

(٣) ج ٣ ص ٨٤ طبعة الحلبي بمصر .

(٤) ص ٥٦

(٥) ص ٣١٣ — الترجمة العربية :

اربعة أميال في منطقة وعرة أدّت إلى، بنا بساتين للنخيل ، تبعد نحو نصف ميل عن القرية ذاتها ، وعند رأس المنحدر رأيت البحر وكان هادئاً أزرق اللون في خليج العقبة ، ومن خلفه تمتد جبال سيناء العظيمة . وهنا عند أشجار النخيل وجدنا جدولا يتفرع من عين الطيور يجري نحو الواحة ، ثم يتدفق في اتجاه البحر ولكنه لا يصل إليه.

وعلى شاطئ البحر بستانان صغيران فيهما نخل يقطن أحدهما نفر من الناس في أكواخ صغيرة ، أما سكان القرية فيسكنون في أكواخ مماثلة وأكبر هذه الأكواخ محاط بسياج خشبي لوقايته من الرياح ، عرفت فيما بعد أنه دار الحكومة وفيها ثمانية جنود ورئيسهم ، وهم المسيطرون على مقنا ، يقاتلون الذباب والبعوض عند الواحات ، ويقومون بأعمال الدورية على الشاطئ لمنع التهريب من المنطقة وإليها .

ولم أجد في القرية متاجر ولا غيرها من المرافق العامة ، وتنقل مؤنة أفراد الحامية عبر البحر ، في مراكب صغيرة (قطيرة) من ظبا .

وميناء القرية لا يصلح إلا لتلقي المراكب الشراعية (السنابيك) ويقع المرسى بين صخرتين واطئتين تتكسر عليهما — بكسل — أمواج رقيقة من بحر هادئ .

والنخيل في مقنا لبني عطية ، اشتروها من مالكيها الأصليين ، وهم الفوايدة من بني عقبة) . انتهى ملخصاً .

٢٨ — ص٩٧ : (المنطقة الشمالية الغربية أرض مدين ودادان ، وتمتد من المدورة شمالا إلى وادي همد شمال المدينة المنورة ، جنوباً) .

وادي همد صوابه : وادي الحمض — بالحاء المهملة والميم والضاد المعجمة على اسم النبات المعروف .

٢٩ — ص : ٩٧ : في الكلام على المنطقة الشمالية الغربية : (مئات من النقوش المعينية والدادانية واللحيانية والثمودية والنبطية) ألا يمكن إرجاع هذه النقوش الخمسة إلى أصل واحد ؟ وما هو الفرق بين اللحيانية والدادانية والثمودية : لقد ذكر لي أحد علماء الآثار أنه لا فرق بين هذه الثلاثة .

٣٠ – ص ٩٧ : (العلا : اسم حديث لواحة تاريخية)

(ا) اسم العلا يقصد به البلدة . ولا يشمل الواحة التى كانت تعرف قديماً بوادي القرى .

(ب) وصف العلا بالحداثة غير دقيق ، فالعلا معروفة منذ عهد قديم ، وقد ذكرها علماء الجغرافية المتقدمون كياقوت الحموي والسمهودي وغيرهما .

٣١ – ص ٩٧ : (ومن آثار العلا الإسلامية قلعة على قمة جبل موسى ، تنسب إلى القائد المسلم الشهير موسى بن نصير) .

نسبة القلعة إلى موسى بن نصير لا تسند إلى دليل تاريخى ، وما يتناقله العامة لا يعتبر أساساً لعلماء الآثار . لقد ذكر بعض المؤرخين أن لميان بن عبد الملك لما غضب على موسى بن نصير نفاه إلى وادي القرى : ورجل ينفى من قبل الخليفة لا يكون في حالة تمكنه من بناء القصور وتشييد القلاع ، اللهم إلا إذا كان المقصود بنسبة هذه القلعة إليه أنه سجن فيها ، وهذا يحتاج إلى سند تاريخي .

٣٢ – ص ٩٨ ص ١٢٠ : (الهداج وهي بئر غزيرة الماء عثر بها على مسلة تيماء الشهيرة المكتوبة بالخط الآرامى . والمحفوظة حالياً بمتحف اللوفر بباريس)

الهداج هنا صوابه : هداج – بدون (ال) – ومسلة تيماء عثر عليها المستشرق الفرنسى شارل هوبر سنة ١٨٨٤ وكانت من أحجار أحد جدران البلدة ولم تكن في البئر ، فهُدم الجدار بعد أن دفع هو بر لصاحب الجدار ولأمير تيماء ما أرضاهما ، كما أوضح ذلك هوبر في كتابه المطبوع في باريس سنة ١٨٨٨ باسم

Journal d'un voyage en Arabie

٣٣ – ص ٩٨ : (روافة تقع في قلب منطقة الحسمة على بعد ٧٤ كم غربي تبوك)

الحسمة صوابها حسمى – بالحاء المهملة مكسورة والسين المهملة ساكنة فميم مفتوحة فألف مقصورة ، كما هي معروفة الآن ، وكما في كتب التاريخ ومعاجم الأمكنة .

٣٤ – ص ٩٨ : (البدع – مغاير شعيب –: يقع في نهاية وادي الأبيض المسمى عفل) .

عفل صوابه عفّال ـ بألف بين الفاء واللام، ووادي الأبيض فرع من فروعه وليس هو وادي عفال وانظر كتاب « في شمال غرب الجزيرة [1] » .

٣٥ ـ ص ١٢٥ ـ : (سد الحصين جنوب خيبر) .

وفي النص الإنجليزي (Al Khasid) والحصيد . بالدال ـ هو الصواب .

٣٦ ـ ص ١٥٦ : (ويقع موقع عكاظ في الحوية . . . يبعد عن مطار الحوية بحوالي عشرة كيلو مترات شرقاً عند ملتقى وادى شرب ووادى الأخيضر .

وكان جلالة المغفور له الملك فيصل أول من اهتم بتعيين وتحديد مكان سوق عكاظ عندما كلف الدكتور عبد الوهاب عزام بزيارة المنطقة والتحقيق في موقع السوق وتاريخه فكتب كتابه المعروف بعنوان « عكاظ ») .

أعمال الملك فيصل رحمه الله وآثاره الخالدة مما لا يُجهل ، ولا يضيره ـ قدس الله روحه ـ ألا يكون له في تحديد موقع عكاظ أي أثر ، والمسألة أصبحت الآن تاريخية ، وما أسوأ التاريخ إذا لم يقم على أسس من الحقيقة .

وأكتفي الآن بإيضاح ما أعرفه عن هذا الموضوع .

(ا) كنت نشرت بحثاً في جريدة « أم القرى » في شهر شوال سنة ١٣٦٣ عن تحديد موقع عكاظ ، فأتى إلى الشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ وكان مما حدثني به أن فيصلا ـ رحمه الله ـ أثنى على ذلك البحث وأنه قال : لم يحدد أحد الموضع مثل فلان ـ يعنيني .

(ب) ثم جاء إلي الشيخ ابن بليهد مرة أخرى وقال : إنهم في الإذاعة طلبوا منه حديثاً ، وأنه يريد أن يكون حديثه عن عكاظ وطلب مني أن أرشده إلى بعض المصادر ، فكان ذلك وقد نشر حديثه في مجلة « المنهل » بعد أن أدخل عليه ما أدخل لأسباب لا داعي لذكرها .

---

(١) ص ٤٥٢ - ٤٥٣

(ج) تلقيت بعد ذلك كتاباً بتوقيع الأمين العام لمجلس الوزراء الشيخ إبراهيم السليمان ابن عقيل — رحمه الله — يقول فيه ما معناه : إن الدكتور عبد الوهاب عزام — وكان إذ ذاك سفيراً لمصر في جدة — طلب من الحكومة السماح له بالقيام بجولة في البلاد لمعرفة بعض المواضع التاريخية وأن الحكومة وافقت على طلبه وأن فيصلا — رحمه الله — رأى أن أرافق عزاماً في تلك الرحلة .

فكتبت إلى إبراهيم السليمان بأنني لا أرغب مرافقة الدكتور عزام في تلك الرحلة ولكنني على أتم الاستعداد للقيام برحلة في جميع أنحاء الجزيرة لجمع المعلومات العامة عن المواضع والنبات واللهجات وغير ذلك مما يحتاج إلى دراسة وتدوين ، متى هيأت لي الحكومة وسائل تلك الرحلة . فلم أتلق جواباً :

(د) حضرت المؤتمر الثقافي الثاني الذي عقد في الإسكندرية سنة ١٩٥٢ م فعلمت أن الدكتور عبد الوهاب عزام سيلقي محاضرة عن تحديد موقع عكاظ . فقابلته قبل إلقائها في غرفة الأستاذ أحمد أمين مدير الإدارة الثقافية في الجامعة العربية في ذلك العهد وبحضور الأساتذة أحمد حسن الزيات ومحمد خلف الله أحمد ومختار الوكيل فأخبرت عزاماً أنني قد حددت الموضع بمقال نشرت ملخصه ، وبعثت به كاملا إلى مجلتي « الرسالة » و « الكتاب » وحددت له الموضع .

(هـ) ألقى الدكتور عزام المحاضرة واستهلها بثناء عليّ — لا أستحقه — وذكر أنني حددت الموضع .

(د) طلب الدكتور عزام من الأستاذ الزيات بحثي فنشره مع محاضرته ومع مقال الشيخ محمد بن بليهد في كتيب صغير طبع في مطبعة (دار المعارف بمصر) .

(هـ) علقت على ذلك الكتيب في مقال لى نشر في جريدة البلاد ، أوضحت فيه بعض الأخطاء التي وقع فيها عزام وغيره هذا مجمل ما أعرف عن هذا الأمر ، وما كنت أحب الحديث فيه لصلته بأناس قدموا على ما قدّموا ، فأصبحوا الآن لا يقدرون على إبداء آرائهم — رحمهم الله وعفا عنهم — ولا ينفعهم أن ينسب إليهم من الأمور ما لم يقوموا به ، ولا يضرهم أن ينفى عنهم مالم يفعلوا .

وبعد : فإن كثيراً من الملاحظات التي سبق إيضاحها لا تتصل بموضوع الكتاب وإنما تتناول – أكثر ما تتناول – جوانب من الأسلوب الذي كتب به . ولعل منشأ وقوع بعض الهفوات فيه كونه نقل عن أصول إفرنجية كان من أثرها كتابة بعض الأسماء على غير وجهها الصحيح ، ومن أمثلة ذلك :

١ – الحنَّاة – فقد كتبت الحنا – ص ٣٨ و ٥٦ و٥٩ .

٢ – بقيق – ص ٤٣ – كتب (أبقيق) كما تنطقه العامة الذين ينطقون اسم محمد باسكان الميم فجارى الإفرنج العامة فى كتابه هذا الاسم فزادوا (A) فى أوله وهذا خطأ .

٣ – جزيرة جِنَّة – ص ٦٠ – كتبت (جنا) .

٤ – طابة – اسم القرية المعروفة بإقليم حايل – كتب الاسم (طبة) .

٥ – سرَّاء القرية الواقعة فى ذلك الإقليم ، كتب اسمها – ص ٦٥ – السراء معرَّفة .

٦ – سَمِيراء البلدة المعروفة ، وضع اسمها فى الخريطة – ٦٦ – (سمير) .

٧ – إثْرَةُ ومَنْوَةُ القريتان الواقعتان فى وادى السرحان كتب اسمهما (إثرا ، منوا) – ص ٦٦ –

٨ – وهناك أسماء لم يتبين لى وجه صوابها ، ولا أعرفها مثل (وادى عكمة شمال العلا) – ص ١٣٥ و (حريمات فى مداين صالح) ص ١٤٢ .

ويظهر أن الكتاب طبع بدون تصحيح لتجارب الطبع ، لوقوع بعض الأخطاء الإملائية مثل كتابة أنشئت – ص ٧٨ – (أنشأت) بل وقعت فيه هفوات نحوية يسيرة . سوى الأخطاء التى أصلحت فى آخر الكتاب وهى هفوات وأخطاء قل أن يسلم منها مطبوع عربى .

حمد الجاسر

تاج العروس
من جواهر القاموس

- ١٨ -

وصدر الجزء السادس عشر من « تاج العروس » في منشورات وزارة الأعلام لعام ١٣٩٦ - ١٩٧٦ بتحقيق الأستاذ محمود محمد الطناحي ، ومراجعة الأستاذين مصطفى حجازي وعبد الستار أحمد فراج . ويحوي من فصل الخاء المعجمة مع السين (خبس) إلى آخر فصل النون مع السين (نيس) .

وجاء في ٥٩٠ من الصفحات الكبار .

ومراجعتي لهذا الكتاب ستكون أخف من مراجعتي لما تقدم من الأجزاء ، فمحققه الفاضل بذل جُهداً كبيراً . والمراجع التي كانت متوفرة بين يدي ذهبت بها حوادث بيروت . وكما قيل : (مالا يدرك كله ، لا يترك كله) .

١ — ص ٢٣ : (قال ابن السكيت : يقال صمنا خمساً من الشهر ، فيغلبون الليالي على الأيام ، إذا لم يذكروا الأيام ، وإنما يقع الصيام ، لأن ليلة كل يوم قبله . فإذا أظهروا الأيام قالوا : صمنا خمسة أيام) .

يظهر أن في الكلام نَقْصاً ، فجملة (وإنما يقع الصيام) غير تامة ، وتمامها : (وإنما يقع الصيام على الأيام) .

٢ — ص ٢٨ : (وحَمَاساء كبراكاء موضع ، وهو في اللسان في ح م س . وذكره الصاغاني ها هنا وفي الهامش : (وذكره ياقوت حَماساء وخماساء) .

صواب الاسم : حماساء — بالحاء المهملة ، وهي بلدة في عُمان — بضم العين المهملة لا تزال معروفة .

٣ — ص ٤٠ : (ويوم الخنفس من أيام العرب ، نقله الصاغاني أيضاً . قلت : وهو ناحية باليمامة ، قريبة من خزالاء ومُريفق بين جَرادٍ وذي طلوح ، وبينها وبين حجر سبعة أيام أو ثمانية) وفي الهامش : (في مطبوع « التاج » (جزالا) والصواب من « معجم البلدان » : خنفس وخزالى) .

وأضيف : ١ ــ الخنفس موضع في عرض شمام كان من بلاد باهلة من غنيٍّ . قال صاحب كتاب « بلاد العرب[١] » : (وعن يسارك إذا كنت بأعلى الهلباء مياه لباهله ، وعلى تلك المياه نخيل ، منها مُرَيْفق وجزالاء والخنفس والعوسجة ، وهي معدن بها تُجارٌ ونَخْلٌ) .

وقال الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب [٢] » : (ذكر الخنفس من مياه الشريف وهو من مياه مأسل جآوة) .

ويعرف الخنفس الآن باسم خنيفسة قرية في العرض ــ عرض شمام ــ بقرب قرية الرُّويضة .

٢ ــ خزّالاء تصحيف جزالاء بالجيم لا بالخاء ــ وهي قرية لا تزال معروفة بهذا الاسم ، في عرض شمام ، ليست بعيدة عن الخنفس (خنيفسة) وقال الهجريّ [٣] : (النُّميري ــ يقولها لبني عُصَم من باهلة أهل سواد باهلة ، وكانوا يأكلون عِرْضاً لهم ، نخل يُدْعى جزالاء ــ ممدود ــ بسواد باهلة ، وجزالاء أيضاً : ساحل من حدّ البصرة إلى البحرين ، بين الظليفين ، وليس في أرض العرب غيرهما : ــ

ألا يا بني عُصَم جَزّالاء قَرْيَةٌ ... مراطيبُ تبغي كلَّ عام لكم حَرْباً
فلوْلا صَوَادٍ من جَزالاء دُلَّح ... وهُدْلُ الثريّا ما وجدناكم ذَنْبا
إذا أرْطَبَتْ منها المعاجيلُ هيَّجَت ... حُرُوبَ رجالٍ لم يَرُوعوا لكم سِرْبا
أقيمُوا صدور المشرفيَّة دُونَها ... وإلاَّ فخلُّوها لأعْدائكم غَصْبا

٤ ــ ص ٤٠ : (ومما يستدرك عليه : خنعس كجعفر : جبل قرب قر في ديار غنى بن أعصر) وفي الهامش : (كذا في مطبوع «التاج» ، والراء مشبعة وفي «معجم البلدان» : جبل قرب ضرية من ديار غني بن أعصر) .

ما استدركه الفيروزآبادي ــ رحمه الله ــ هنا خطأ ، صوابه (خنفس) بالفاء

---

(١) ص ٣٦٨ والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) ص ٢٩١ ــ طبعة (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٣) كتاب « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» : ص ٢٢٣ ــ من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

بدل العين المهملة ، ولعله قرأ الكلمة وفاؤها غير معجمة فصحف وجعل من تصحيفه مادة جديدة والخنفس — سيأتي ذكره — وليس بقرب ضرية بل بينهما مسافة لا تقل عن مئتي كيل .

٥ — ص ٤٤ : (والخيس موضع باليمامة به أَجمَة) وأضيف : الخيسُ في اليمامة قرية في إقليمُ سُدَيْر الواقع شمال مدينة الرياض ، لا تزال معروفة .

٦ — ص ٥٥ : (ونقل السهيلي عن الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة ، وآخرها بِقُلة ، من أرض قيس) .

أرى أن كلمة (قُلَة) صوابها : قلَهَى — بفتحات ثلاث وألف مقصورة . وكان يحسن الرجوع إلى كتاب السهيلي ولعله « الروض الأنُف » أو خبر داحس والغبراء في كتاب « الأغاني » للتأكد من صحة النص .

وقد أورد أبو عبيدة في كتاب « النقائض » خبر حرب داحس وذكر في آخرها ما نصه [1] : (وزعموا أنَّ بني مرة وبني فزارة وبني عبس لما اصطلحوا أقبلوا يسيرون حتى نزلوا على ماء يقال له قلهى وعليه بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فقال بنو مرة وبنو فزارة لبني ثعلبة : أعرضوا عن بني عبس فقد باءَوْا بالقتلى بعضهم ببعض . فقالت بنو ثعلبة : فكيف تأتون[2] بعبد العزَّى بن حذار ومالك بن سبيع؟ أتهدرونهما وهما سيدا قيس عيلان ؟ فوالله مانشتمُ هذا بأنوفنا أبداً ، فمنعوهم الماء حتى كادوا يموتون عطشا ، فلما رأوا ذلك أعطوهم الدية ، فقال في ذلك معقل بن عوف ابن سُبَيع الثعلبي :

نعْم الحيُّ ثعلبة بن سعـد إذا ما القومُ عضَّهم الحديدُ
هُمُ ردُّوا القبائل من بغيض بغيظهمُ وقد حميَ الوقود
تُطلُّ دماؤهم والفضل منا على قَلَهَى ، ونحكم ما نريدُ

انتهى كلام أبي عبيدة باختصار ، ومنه يتضح أن (قلة) صوابها قَلَهَى . فهي

---

(١) ص ٧٠١

(٢) لعل الصواب (تباوئون) أي تقابلون بدم المذكورين دم أكفائهم .

آخر أيام حرب داحس ، وهي في بلاد قيس عيلان : لبني ثعلبة من ذبيان من غطفان ، في الجنوب الشرقي من المدينة شمال منطقة المهد (معدن بني سُلَيم)

٧ ــ ١٢٥ : (والرَّسُّ والرُّسيسُ ــ كزبير ــ واديان بنجد ، أو موضعان ، وقيل : هما ماءان في بلاد العرب معروفان . قلت : الرَّسُّ لبني أعيا بن طريف والرُّسيس لبني كاهل . وقال زهير :

لمن طلل كالوحي عفَّ منازِلُهُ عفا الرَّس منها فالرُّسيس معاقله

وفي الهامش : في مطبوع « التاج » : عفا الرسم . والمثبت من ديوانه) .

(عفّ) : المعروف (عافٍ)

والرَّسُّ أصبح الآن من أشهر مُدُن القصيم ، ووادي الرَّس من روافد وادي الرمة ، وكان من منازل بني أسد ، وبنو أعيا وبنو كاهل فخذان منهم .

والرُّسيسُ واد صغير أسفل وادى الرس ، بينه وبين وادى عاقل المعروف الآن باسم (العاقلى) .

٨ ــ ص ١٣٤ : (والتُّرْمُسُ ــ كالتنْضُب ــ واد لبني أُسيد ــ بالتصغير ــ أو ماء لهم . وفي بعض الكتب : لبني أسد ــ مُكبرّاً) أوضحت في تعليقي على الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب ــ في « مجلة العرب[٣] » أن التُّرْمُس واد ، وقل أن تخلو الأودية من المياه ، وحدَّدت هذا الوادي ، ولا داعي للاطالة بإعادة الكلام .

٩ ــ ص ١٥٣ : (ويقال لبني عمرو بنو عقدة ، وهي أمهم ، ومن بني لبيد هؤلاء .

وسنباسة البحيرة من أعمال مصر)

---

(١) ص ٤٥٩ س ١١

(٢) وقبله : سنبس أبو حى من طى . والعقب منه فى ثلاثة : عمرو ولبيد وعدى ... ويقال لبنى عمرو الخ .

يظهر ان في الكلام نَقْصاً ، فجملة (ومن بني لبيد هؤلاء) لا ارتباط لها بما بعدها .

١٠ – ص ١٥٨ : (ذات السواسي : جبل لبني جعفر والسواسي مثل المرخ ، أو شعب يصبين في تنوف قاله الأصمعي) وفي الهامش : في « العباب » : ينوف وانظر « القاموس » نوف) .

وأقول : يظهر من كلام المتقدمين أن ذات السواسي يطلق على :

(ا) جبل لبني جعفر بن كلاب من بني عامر ، في بلادهم بقرب ضرية في وسط نجد ، ذكره صاحب كتاب «بلادالعرب»[1] وهو يتحدث عن تلك البلاد فقال : (ومن مياههم : حفيرة العَلَجان ، والعَلَجان نبت – ثم العمودان : عمودا بلال وذات السواسي ، جبل) .

وذكر نصر الإسكندري في كتابه (ذات السواسي : جبل لبني جعفر بن كلاب)

(ب) ذات السواسي أيضاً : تلاع تنحدر من جبل ينوف ، وهذه هي في بلاد بني قريط بن عبد بن كلاب ، فهي في جنوب نجد ، فقد جاء في كتاب « بلاد العرب » بعد ذكر بلاد بني قريط : (قال العامريّ : وذات السواسي شُعَبٌ يصبين من ينوف)

ومما تقدم يتضح .

١ – أن كلمة (أو شُعب) صوابها (وشعُبٌ) .

٢ – أن الاسم يطلق على موضعين أحدهما جبل والآخر شعب .

٣ – تَنُوف : صوابه ينوف بالمثناة التحتية وهو جبل من أشهر الجبال في جنوب نجد ، ويدعى الآن (الينوفي) ويقع غرب العرض عرض شمام المعروف الآن باسم العرض غير مضاف وقاعدته بلدة القويعية ، وجبل ينوف يقع غرب نَمْلَى ، المعروفة الآن باسم رَغْبا .

١١ – ص ٢٢٤ : (عبوس – كتنور نقله الصاغاني . قال كثّير يصف الظُّعُن :

طالعـات الغميس من عَبُّوس سالكات الخويّ من أملال

(١) ص ١١١ .

وفي الهامش : («العباب» و«معجم البلاد » في عبوس وفي خوى روايته من عبود ومثله دبوانه . وقال في « العباب » : ويروي : من عَبّود) .

وأضيف : لا شك أن عبوس هنا تحريف (عبود) فعبود جبل لا يزال معروفاً جنوب الغَمِيس وملل (أملال) بين هذا الأخير وبين وادي الفرش فرش ملل (الفُريش الآن) .

١٢ – ص ٢٢٤ – في الكلام على عبس بن بغيض :

(وعقبه المشهور من قطيعة وَوَرقة [1] – وهي إحدى الحجرات) .

الحجرات هنا صوابها الجمرات ، جَمْع جمرة كما فى مادة (جَمَرَ) من كتب اللغـــة .

١٣ – ص ٢٤١ : (الشيخ المعمر حسن بن على العجمي) .

العجمي هنا صوابها (العُجَيمي) بضم العين المهملة مصغراً ، وهو من مشاهير علماء الحجاز في عصره .

١٤ – ص ٢٤٨ : (وذات العرائس موضع ، قال غسان بن ذهيل السليطي :

لهان عليها ما يقول ابن دَيْسَق إذا مارَغتْ بين اللوى والعرائس

وفي الهامش : («النقائض» ١/٢٦ و « العباب» ومعجم ياقوت ، وفي «العباب» و «النقائض» : (إذا ما رعت)

العرائس : هضاب لا تزال معروفة يشاهدها المرء المتجه إلى مكة من نجد – بطريق السيارات – بعد اجتياز قرية القاعية وقبل الوصول إلى قرية عفيف، وقد حددها الهجري وعدّها في وضح الحِمَى ،حمى ضريّة ، وهي واقعة في جنوبه الغربي ، شمال جبال النير .

---

(١) جاء فى هامش « جمهرة النسب » لأبن حزم – ص ٢٥٠ تحقق الأستاذ عبد السلا م هارون أنه ورد فى مخطوطات الـكتاب (وزدة) . انتهى . ولـكن ماهنا فى رأيي أصح فهو المطابق لما فى مخطوطة « مختصر جمهرة النسب » المتقنة . نسخة مكتبة راغب باشا فى إسطنبول .

(١) كتاب « أبو على الهجرى » من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

و كلمة (ذات) كثيراً ما تضاف إلى أسماء المواضع

ورَغتْ : في مصادر أخرى : رَعتْ من الرعي – بالعين المهملة –

١٥ – ص ٢٥١ : (قال الأزهري : ورأيت بالدهناء جبالا من نقيان رمالها يقال لها العرائس ولم أسمع لها بواحد) .

(جبالا) هنا صوابها (حبالا) بالحاء المهملة : فالدهناء رمال لا جبال فيها ، ، والحبل هو الرمل الممتدُّ .

١٦ – ص ٢٥٧ : (وعسعس جبل طويل لبني عامر وراء ضرية ، فى بلاد جعفر ابن كلاب وبأسفله ماء الناصفة) وفي الهامش : (في مطبوع التاج لبني وبر ، والصواب من معجم البلدان و« العباب »)[1] .

عسعس جبل لا يزال معروفاً ، يشاهد من قرية ضريَّة ، والقول بأنه كان لبني وَبر لا يتنافى مع كونه لبني عامر فبنو وبر بن الأضبط بن كلاب بن عامر ، وهم إخوة بني جعفر وبلاد الفريقين متجاورة ، بل القول بأنه لبني وَبر أقرب إلى الصواب من القول بأنه لبني عامر ، إذ بلاد بني وبر في منطقة ضيقة ، تقع غرب قرية ضرية وجنوبها ، بخلاف بلاد بني عامر فهي تشمل أكبر مساحة من بلاد نجد ، بالنسبة لبلاد غيرها من قبائل الجزيرة .

١٧ – ص ٢٨٢ : (وعميس الحمائم – كأمير – واد بين ملل وفرش ، كان أحد منازله صلى الله عليه وسلم حين مسيره إلى بدر) .

عميس هنا بالغين المعجمة (غميس) والغميس يطلق في نجد على الموضع المنخفض، وملل واد لايزال معروفاً ، يجزعه الطريق المتجه إلى المدينة بعد اجتياز واد الفُريش (فرش ملل) .

قال الأستاذ عاتق بن غيث البلادى [2] : يقع غميس الحمام جنوباً غربياً من

---

(١) وقبل هذا : (وعسعس موضع بالبادية) وفى الهامش نقل حول عسعس منه وفى « العباب » : قال الخارزنجى : جبل طويل من وراء ضرية على فرسخ لبنى عامر الخ .

(٢) مجلة « العرب » س ٨ ص ١٨

المدينة على بعد ٤٧ كيلا ، يسيل شمالا بين وادي الفريش شرقاً ووادي الجفر غرباً ، وكلها تدفع في ملل ، ولا يزال اسم الغميس يطلق على روافده ، وأما الوادي فيسمى وادي الرمث .

١٨ ــ ص ٢٨٨ : (عنبسة بن حرب أمه عاتكة بنت أزهر الدوسي) .

١ ــ أزهر هنا صوابه : أبو أزيهر وهو ابن أنيس بن الخيسق بن مالك من بني الغطريف من بني دهمان بن نصر بن زهران ــ وكان عِدادُه في دوس فقيل الدوسي ، وكان حليفا لأبي سفيان صخر بن حرب ، فزوج ابنته عتبة بن ربيعة ، وزوج الأخرى الوليد بن المغيرة ، وزج الثالثة وهي عاتكة أبا سفيان ، فولدت له محمداً وعنبسة .

٢ ــ عنبسة هو ابن أبي سفيان صخر بن حرب .

وأبو أزيهر هذا قتله هشام بن المغيرة في سوة ذي المجاز ، بقرب عرفات ، فقتلت به الأزد تسعة من أشراف قريش وجعلت قريش على أنفسهم للأزد خرجا كل عام[1] وانظر طرفا من أخبار أبي أزيهر في كتاب « في سراة غامد وزهران[2] » .

١٩ ــ ص ٣٠٣ : (ووادى الغَرَس قرب فدك بينها وبين معدن النقرة ، وقال الواقدي رحمه الله : كانت منازل بني النضير بناحية الغرس)

يلاحظ هنا :

١ ــ الوادي الواقع قرب فدك ، هو الفِرْس ــ بالفاء مكسورة والراء ساكنة بعدها سين مهملة . وهو الذي ورد ذكره في هذا الجزء (ص ٣٣٣) أما وادي الغرس بالغين المعجمة والراء مفتوحتين فهو من أشهر أودية خيبر ، ولا يزال معروفاً ، وهو غرب الواحة واحة خيبر وشمالها ، بينما فدك يقع شرقها ، وفدك يعرف الآن باسم (الحائط) وهو بلدة ذات إمارة ، يتبعها عدد من القرى .

ــ قول الواقدي : كانت منازل بني النضير بناحية الغرس . ليس المقصود به الوادي الواقع في خيبر ، بل المقصود الموضع الذي في المدينة وتضاف إليه بئر غرْس ــ باسكان الراء ــ

(١) « المؤتلف والمختلف » للآمدي .

(٢) ص ٢١٠ و ٢٤٥ و ٢٧٥ ــ ٢٧٧ والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

٢٠ – ص ٣٠٤ : (الغراس – بالكسر – حصن باليمن من أعمال ذي مرمر ، وفيه يقول السيد صلاح بن أحمد الوزيري من شعراء اليمن .

لله أوقاتي بذي مرمر وطيب أوقاتي بِرَبْع الغراس

وفي الهامش :(في معجم ياقوت : ٥٠٣/٤ : مرمل – باللام – مخلاف باليمن . وذكر البكري في معجمه ١٢١٦ مرمر موضع دان من المدينة قبل بدر ، ثم أنشد شعرا شكك فيه في هذا التحديد) .

ذو مَرْمر : هو ذَمَرْمر ، من المواضع المشهورة في اليمن ، ولاصله لكل ما ورد في الحاشية بهذا الموضع وقد جاء في « القاموس » وشرحه ما نصه :

وذمرمر كسفرجل حصن بصنعاء اليمن ، وفيه يقول السيد صلاح بن أحمد الوزيري من شعراء اليمن :

لله أيامي بذي مَرمَر وطيب أوقاتي بربع الغـــراس
والشمل مجموع بمـــن أرتضي والسر فيه السر والناس ناس
والجنس منظـــوم إلى جنسه وأفضل النظم نظـــام الجناس

والقول بأنه في صنعاء فيه تجوّزٌ فهو خارجها : قال الأستاذ المحقق القاضي محمد ابن على الأكوع [1] : (ذَمَرْمر حصن منيع شامخ الأركان صعب المرتقى ومساحة سوحه تقدر بسبع مئة ذراع ، مربع الشكل ، وفيه ما لا يقل عن ثلاث مئة مدفن لاختزان الحبوب ، وبه كريف للماء ، أروع مناظره عند هطول الأمطار ، لأنها تصبح تلك الأراضي التي يطل عليها كأنها بحيرة ، ثم تنقلب بعد نضوب مائها إلى بساط أخضر .. ويقع في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ثلاث ساعات ، وهو معدود من بلاد بني حشيش ثم خولان العالية ، واليوم أصبح سواء والعدم لأنه لم يبق للحصون أهمية لاختراع الإنسان العصري ما قهر شموخها ، وذلل شماسها) .

٢١ – ص ٣١٢ : (والغُمَيس – كزبير – بركة على تسعة أميال من الثعلبية عندها قصر خراب ويومها معروف) .

---

(١) هامش « قرة العيون » ص ٢٩٧

الثعلبية هذه تقع في طريق الحج من الكوفة وهي ثلث الطريق في الدهناء . وبركة الغُميس المذكورة لا تزال باقية ولكنها لا تعرف بهذا الاسم ، وتبعد عن الثعلبية ٢٧ كيلا وهذه المسافة لا تتفق مع ما ذكر هنا وهو ما ذكره ياقوت وقبله الحربي . ولكنه يتفق مع ما ذكر ابن خرداذبة في كتابه « المالك والممالك » من أنها على بعد أربعة عشر ميلا من الثعلبية .

وقد قست الأميال المحددة في الطريق الزبيدى الذي لا تزال أعلامه واضحة فوجدت الميل فيه بين ٢٥٠٠ متر و ٢٢٠٠ متر ، وقد تنحرف السيارة عن طريق الإبل لصعوبة السير فيه .

٢٢ ــ ص ٣٣٣ : (والفُرْس ــ بالضم ويكسر ــ واد بين المدينة وديار طيئ على طريق خيبر . وبالكسر فقط جبل على ناحية عدن على يوم من النقرة لبني مرة ابن عوف بن كعب) .

أقول : كل الأوصاف المتقدمة تنطبق على موضع واحد ، هو جبل ينحدر منه واد يسمى باسمه بين المدينة وبين بلاد طيئ للمار بخيبر ويقع شمال النقرة بما يقارب مسيرة يوم للابل ، وكان في بلاد بني مرة بن عوف من غطفان .

٢ ــ (عدن) هنا صوابها عدنة وهي الأرض الواقعة شمال وادي الرمة ، وشرق الحرار حرار خيبر وفدك (الحائط) وضرغد ، وجبل الفرس في تلك الأرض ، ووادي الفرس يفيض في وادي الحليفة أحد روافد وادي الرمة ويقع وادي الغرس بقرب خط الطول ٤٥َ /٤٠° وخط العرض ٣٠َ/٢٦°)

وسيل جبل أول يفضي إلى وادي الفرس .

٢٣ ــ ٣٥٥ : (وقدس الأسود وقدس الأبيض جبلان بالحجاز عند العرج البيضاء في ديار مزينة ، وقرب الأبيض ركوبة ، ويقابل الأسود جبل آراة . وقال ابن دريد : قدس أوارة ، بتقديم الهمزة على الواو) .

١ ــ الحجاز طويل عريض ، وجبل قُدْس لا يزال معروفا غير أن العامة حرفت اسمه إلى (دقس) بتقديم الدال وإسكانها وهو سلسلة جبال متصلة بجبل ورقان ،

بفصل بينهما ثنية ركوبة التي يمر بها أحد الطرق القديمة من مكة إلى المدينة ، ويقع جنوب المدينة ، بنحو مئة وستين كيلا ، ويقارب طول سلسلة جبال قدس نحو خمسين كيلا ، ومايلي ورقان من تلك السلسلة هو قدس الأبيض وهو الشمالي ، والقسم الجنوبي من السلسلة هو قدس الأسود ، وتعرف السلسلة أيضا باسم جبال عوف وهم سكانها اليوم وهم من قبيلة حرب .

(تقع تلك السلسلة بين خطي الطول ١٥ َ/٣٩° و٢٠ ـً/٣٩° وبين خطي العرض ٣٠ َ/٢٣° و ٠٠ َ/١٤°) .

٢ – العرج واد يقع غرب سلسلة جبال قدس ووصفه بـ (البيضاء) ليس صحيحاً والظاهر أن الكلمة مقحمة لا محل لها .

٣ – آرة جبل عظيم لايزال معروفا ، يفصل بينه وبين الطرف الجنوبي من سلسلة جبال قدس أعلى وادي الفرع المعروف ،

٤ – قُدُس أوراة من أخطاء المتقدمين فأوراة جبل في شرق الجزيرة لا صلة له بقدس ، وآرة جبل في غرب الجزيرة يجاور قُدْسا ولهذا يضاف قدس إليه كما في قول النعيت الجهني [1] :

ونحن وقَعْنا في مزينة وقعةً غداة التقينا بين غيق وعيْهما
ونحن جلبنا بين قُدْسٍ وآرة قنابل خَيْل تترك الجوَّ أقْتما

وأوراة في منطقة الكويت معروف ولكن العامة تحذف همزته فتقول (وارة)

٢٤ – ص ٣٦٥ : (وقُرْسان – كعثمان – جزائر معروفة ، جاء ذكره في بعض الأخبار نقله أبو عبيد البكرى .

قرسان هنا : لاشك أنه تحريف فَرَسان – بالفاء – الجزائر المعروفة بقرب جازان في المملكة العربية السعودية – وقد ورد الاسم صحيحا في موضعه من هذا الكتاب .

٢٥ – ٣٧٥ : (وقُسَاس : جبل بديار بني نُمير وقيل : بني أسد : فيه معدن

(١) « المؤتلف والمختلف » للآمدى .

حديد ، الأخير نقله السهيلي في « الروض » قال : ويقال فيه ذو قساس ـ كما يقال ذو زيد ـ وأنشد قول الراجز يصف فأسا :

أخضر من معدن ذي قُســاس
كأنه في الحيد ذي الأضراس
ترمي به في البلد الدِّهــاس

وأضيف : قُساس جبل لا يزال معروفا ، وقد بحث معدنه فوجد جيدا صالحا للاستثمار ، ويقع جنوب إقليم العرض ، عرض شمام (القويعية) .

والقول بأنه لبني أسد من أغرب الأقوال ، فهو بعيد عن بلادهم ، هو في جنوب نجد ، وبلادهم في شماله . وهو في جنوب بلاد بني نمير .

٢٦ ـ ص ٤٠٠ : (وقال مالك بن المتنخل الهذلي :

ولكنَّما حُوتاً بدَحْنى أُقامس

ودحنى مــوضع) .

دَحْنَى ـ هنا ـ صوابها (دَجْنَى) بالجيم بعد الدال . وبعد الجيم نون فألف مقصورة، وقد ورد هذا الاسم في كثير من المؤلفات القديمة دَحنا وهو الصواب وهما موضعان، ولا تزال دجنى معروفة وكانت من بلاد هذيل غرب الطائف بينه وبين مكة، ويمر بها أحد طرقه القديمة : وثنية دجنى في هذا الطريق مشهورة[1] . قال فيها أحد شعراء مكة المتقدمين :

رأى صاحبي أثمار (وَجْ) فقال لي : ترى هذه الأثمار تسقط أم تجنى ؟

فقلت له : كُلّها هنيئا فإنما أطايبها تجنى وتاتيك من (تجنى)

ـ أبدل دالها تاء لتقارب مخرجي الحرفين .

٢٧ ـ ص ٤٣٦ : (وكِرْسُ : نخل لبني عدي نقله الصاغاني) .

---

(١) تبعد عن الطائف ٢٣ كيلا ، وسيلها يصب في وادي قرن . وهي غرب بلدة السيل الصغير (المليح قديما) بنحو خمسة أكيال .

هذا التحديد ناقص ، فأين يقع الموضع ؟ ومن هم بنو عدي .

في « صفة جزيرة العرب[1] » : (والعِرْض وهو وادٍ باليمامة من أعلاها إلى أسفلها وفيه قرى ينزلها بنو حنيفة ، وأسفله الـكرش ، قرية فيها بنو عدي بن حنيفة ، وإلى جنبها قرية يقال لها منفوحة) أنتهى .

كذا ورد الأسم (الـكرش) والشين معجمة ، ولـكن ياقوتا في « معجم البلدان » أورده بالسين المهملة واورد ماجاء عن الصاغاني منسوبا إلى الحفصي .

– وهو محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامى صاحب كتاب « اليمامة » .

وأورد ياقوت عن أبي زياد شعرا فيه :

وأظعانٍ طلبت لأهـل سَلْمى تباهي في الحرير وفي الدّمقْس
كأنّ حمولهنّ مولّيـات نخيلُ العِرْض أو نَخْل بكرس

ومن هذا البيت يتضح أن الصواب عدم إعجام السين .

وموقع القرية – على ماحدد الهمواني – موقع قرية عتيقة ، التي أصبحت داخلة في مدينة الرياض الآن .

٢٨ – ص ٥٠٤ : (القاسم كان ينزل جبل الرس بالمدينة ، فكان يقال لأولاده الرِّسّيون).

الرَّسّ – على ماذكر المتقدمون ، ومن أوثقهم السيد على بن وهاس صاحب الزمخشري[2] يقع في جبال القبلية ، الواقعة غرب المدينة بعيدة عنها ، بقرب الأشعر (جبل الفقرة الآن) .

وعلى ذكر الرَّس أذكر أن عبد الله بن الوزير – الذي ثار على الإمام يحيى فى اليمن جاء إلى الحجاز بعد الحرب السعودية اليمنية سنة ١٣٥٣ – لعقد معاهدة الصلح ، فاجتمعت به من غير قصد فسمعته يقول : نحن من نجد ، فجدنا قدم من بلدة الرس . فأوضحت خطأه وبينت أن الرس الذى ينسب إليه جد أئمة اليمن من جبال القبلية

(١) ص ٣٠٧ منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٢) انظر كتاب « المواضع والأمكنة » للزمخشرى فى ذكر الجبال الواقعة بين المدينة وينبع .

٢٩ ــ ص ٥٠٩ : (وحكى ابن جنى : فأمسَّه إياه . فعداه إلى مفعولين كما ترى، وخص بعض أهل اللغة: فرس مُمسٌّ بتحجيل. أراد ممسٌّ تحجيلا . وأعتقد زيادة الباء كزيادتها في قوله تعالى : (تَنبُتُ بالدُّهْنِ) و(يُذَّهِبُ بِالأبْصارِ) من تذكرة أبي علي الهجري)

المعروف أن التذكرة لأبي علي الفارسي وأن الهجري هو أبو زكريا هارون ابن زكريا ، وأن كتابه يدعى « النوادر والتعليقات» ، لا « التذكرة » وعلى هذا يظهر أن كلمة (الهجري) سبق قلم من الزبيدي .

٣٠ ــ ص ٥١٨ : (والمليساء حصن بالطائف . وإليه نسب العزّ عبد العزيز ابن أحمد بن عيسى . . المذحجيّ المليسائي ولد به بعد سنة ٨١٥ وأمّ بعد أبيه بجامعه ، وتزود إلى الحرمين لقيه البقاعي هناك سنة ٨٤٩ فكتب عنه شعرا . ولــكنه ضبطه بالتشديد) .

المليساء ــ تصغير مَلْساء ــ من قرى الطائف التي لا تزال معروفة .

أما كلمة (تزوّد) فهي تصحيف (تردّد) أي أكثر المجيء ، ولامحل للتزود هنا .

٣١ ــ ص ٥٢٧ : (وموسى حفر بني ربيعة الجوع ، كثير الزرع والنخيل)

هذا من مستدركات الزبيدي . ويظهر أنه قرأ أسماء الأحفار ، ومنها : حفر أبي موسى ، وحفر بني ربيعة. فخلط بين الاسمين خلطا عجيبا، إذ جعل موسى علما لحفر بني ربيعة ولا شك أن هذا من أخطائه رحمه الله

٣٢ ــ ص ٥٨٨ : (ونافِس بن خَلَفٍ بطن من خثعم) .

وخلف هنا صوابه : حلف ــ بالحاء المهملة بعدها لام ساكنة ــ كما في ص ٢٦٧ وهو ابن أفتل ، وأفتل هو خثعم .

(للحديث صلة)

حمــد الجاسر

ملاحظات على :

المعجم الكبير

من أول التاء والثاء وما يثلثهما إلى آخر التاء واللام وما يثلثهما المعروض في الجلسة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ١٦ من ربيع الأول سنة ١٣٩٧ هـ (٦ مارس سنة ١٩٧٧ م) .

١ ــ ص ٢٩٢ : (و ــ ماء قرب النَّباج كانت به وقعة مشهورة) إلخ .

وما عطف عليه هذا هو الثيتل ، ويلاحظ :

١ ــ أن اسم الماء المذكور غير معرف (ثيتل) ولهذا يحسن إيراده غير معطوف .

٢ ــ النَّبـــاجُ : عند الإطلاق يقصد به الموضع الواقع في طريق الحج البصري ، وهو نباج ابن عامر ، الواقع غرب الدهناء ، شرق إقليم القصيم ، وهذا بعيد عن ثيتل ، الواقع شرق الدهناء والصَّمَّان . بين وادي المياه [1] وبين الحفر (حفر أبي موسى) .

٣ ــ ثيتل المذكور أصبح قرية في صدر الإسلام كما جاء في كتاب « بلاد العرب [2] للغدة الأصبهاني ونص كلامه : (ولبني مالك من ناحية طُويلع قريتان يقال لهما ثيتل والنباج) . انتهى .

وقد درست القريتان المذكورتان ــ أو استثقل اسمهما ــ وحلَّ محلَّهما قريتان تدعيان قرية العليا وقرية السفلى ، فالعليا هي الغربية الشمالية والسفلى هي الشرقية الجنوبية ، وسكانهما من بني تميم في الأصل ويدعون الجبلان ــ بالجيم ــ

---

(١) يعرف قديما بوادي الستار قال الهمداني : (ومن مياه ستار البحرين ثيتل والنباج والنباك) صفة جزيرة العرب ص ٢٨٠ من منشورات (دار اليمامة) .

(٢) ص ٢٦٧ / ٣٤٨ طبع من منشورات (دار اليمامة) .

واحدهم تَجبليّ ، ولكنهم يعدون الآن من قبيلة مُطير التي سيطرت على هذه النواحي (تقع القريتان بقرب خطي الطول ٤٧° ٤٠َ و ٤٧° ٥ً وخطي العرض ٢٧° ٢٩َ و ٢٧° ٣٥َ) .

٢ ــ ص ٢٩٤ : (الثنانة : موضع (مى) في قول زيد الخيل :

وذكرنيهـا بعد ما قد نسيتها رماد ورسم بالثُّنَانة ماثـل

ويروى : (بالثبانة) بالباء الموحدة ــ عن مى ٢-٧٤) ؟

(ا) وكلمتا (الثنانة) و (الثبانة) تصحيف كلمة (البنانة) وهي من مياه بني أسد ، في وادي الشُّعبة ، المعروف قديماً بوادي الثّلبوت ، وبنو أسد حلفاء لطيء والقبيلتان متجاورتان في المنازل ، وقد أصبحت البنانة الآن قرية .

(ب) يحسن حذف كلمة (الثنانة) وذكر (البنانة) في موضعها من المعجم .

(ج) طبعات « معجم البلدان » الذى نقلت منه المادة وأشير إليه بـ (مى : ٢-٧٤) متعددة فقد طبع في أوربة ، وفي مصر وفي بيروت ، والقاعدة في الإشارة إلى أحد المعاجم ذكر المادة ، لا الجزء ولا الصفحة .

٣ ــ ص ٢٩٨ : (ثجر ماء لبني القين بن جسر بجوش ، عند العلمين المعروفين بحمل وأغفر بين وادي القرى وتيماء ، (مى) قال ابن ميادة (١٤٠ هـ ــ ٧٦٦م):

فلما رأت أن قد تَقربْن أباترا عواسف سهبٍ تاركاتٍ بنا ثجرا

أثار لها شحط المزار وأحجمت أموراً وحاجات نضيق بها الصدرا

أباتر : أودية وهضاب بنجد . . . .

وقيل : ماء لبنى الحارث بن كعب قريب من نجران (مى) وقيل : ماء في ديار باهلة قال البعيث (١٣٤ هـ ٧٥١ م) :

ورحنا بها عن ماء ثجر كأنما تروحن عصرا عن نباك وعن نقب

أقول : أولا :

يطلق اسم ثجر على مواضع في بلاد العرب ــ كما قال الهجري[1] : (ثجر في غير موضع) .

(١) « أبو على الهجرى » ص ٣٩٨ من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

ومن أشهر تلك المواضع :

١ – ثجر واد عظيم لا يزال معروفاً في شمال الجزيرة العربية ، بين تيماء وتبوك ، وبين تيماء ووادي السرحان ، وهو شرق شمال تيماء ، ولهذا فليس بينها وبين وادي القرى الواقع غربها (يقع بين خطي الطول ٥٥° ٣٧َ و ١٥° ٣٨َ وخطي العرض ٥٨° ٢٧َ و ١٥° ٢٩َ تقريباً) وقد رسم في المصورات الجغرافية باسم (فجر) بابدال الثاء فاء ، محاكاة للهجة من يعاقبون بين الحرفين ، وهذا الوادي من أعظم أودية شمال الجزيرة وأطولها . وثجر هذا هو الذي كان قديماً من بلاد بني القين من قضاعة .

٢ – وهناك ثجر آخر ، يقع في جنوب الجزيرة ، وكان من مياه بني الحارث ابن كعب ، وهو يقع بين (قَرْية الفاو) وبين منهل حمى (حما) في طريق المتجه جنوباً إلى نجران من بلاد نجد . من المقترب[1] جنوب الأفلاج وحدد الهمداني ثجرا هذا بقوله في ذكر الطريق من الأفلاج إلى نجران : (فإن تيامت شربت ماء عادياً يسمى قرية ، إلى جنبه آبار عادية . وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد ثجر ، ماء ، ثم حمى والوحاف وبئر الربيع ثم مذود من أسفل نجران)[2] .

وأورد الهجري لذي العرقوب من بني الحارث بن كعب :

ألا هل أتى من حل بطن حبونن ونجران أخبار الأمور الجسائم ؟
بأنا رحلنا العيس من ذي بوانة وثجر على رأي من القوم حازم

٣ – وثجر أيضاً : بفوهة برك من اليمامة بينها وبين الفلج (الأفلاج) وأورد الهجري شاهداً عليه لبعض بني نهد[3] .

خليلي إن حانت وفاتي فارفعا بي النعش حتى تدفناني على ثجر
فثم إذا مرت سماء مطيرة بفيهة برك جادني سبل القطر
بحيث تقول العامرية إن رأت بها جدثي : أسقيت يا قبر من قبر

(١) المقترب هو ما يعرف الآن بقصر حمام ، لأنه لبني حمام من بني قرط من قشير « صفة الجزيرة » ص ٣١٣ .

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٩٧ - ٢٩٨ طبع دار اليمامة .

(٣) « أبو علي الهجري » ص ٣٩٨

وفوهة برك مجراه الذي يشق جبل عارض اليمامة ، ولا يزال الموقع معروف وإن درس الاسم .

٤ ـ ثَجرُ أيضاً: اسم ماء يقع في الجانب الجنوبي من حمى فَيْد . قال الهجري [١] وهو يحدد هذا الحمى ويذكر جباله: (ثم الجبل الثالث: قُنَّه عظيمة تدعى أذَنَة لبطن من بني أسد يقال لهم بنو القرية، وفي ناحيتها ماء يقال له ثجر ، وهي كلها داخلة في الحِمَى ، وبين أذنة وفيد ستة عشر ميلا) وثجر هذا يعرف بـ (فجر) بابدال الثاء فاء ويقع جنوب قرية الثُّعَيْلبي على مقربة منها يبعد عن قرية فيد بنحو ٥٢ كيلا (بقرب خط الطول ٥٠ ٤٢ ° وخط العرض ٥٥ ٢٦ °) .

ثانياً : شعر ابن مَيَّادة الذي أورد ياقوت في «معجم البلدان» وقع فيه تصحيف وهذا نص ما ورد :

وبالغمر قد جازت وجـــاز مطيها فتسقى الغوادي بطن (بيسان)والغمرا
فلما رأت أن قد قرين (أباترا) عواسف سَهْبٍ تاركاتٍ بنا ثَجرّا

فكلمتا (بيسان) و (أباتر) مصفحتان والصواب فيهما (نيان) بالنون مفتوحة فالمثناة التحتية مفتوحة مشددة بعدها ألف ونون و (أبايرا) بضم الألف وفتح الباء الموحدة بعدها ألف فمثناة تحتية فراء .

ونَيَّانُ : واد لا يزال معروفاً يقع جنوب وادي ثجر ، بين تيماء ووادي السرحان ، وأباير : واد أيضاً يقع شمال ثجر ، وهو من روافد وادي السرحان ، أعلاه داخل الحدود الأردنية ، وأسفله في البلاد العربية السعودية ، والعامة تحذف الألف منه فتسميه (باير) وكذا رسم في المصورات الجغرافية .

٤ ـ ص ٣٠٩ : (ثادق : واد في ديار بني عقيل ، فيه ماء (ل ، ق ، ت ، مى) وقيل : واد ضخم يفرغ فى الرُّمة (مى) أسفله لعبس وأعلاه لأفناء بني أسد ، عن الأصمعى ، وقيل : ماء لبني فقعس ، قِبلَ القنان) إلخ .

---

(١) « أبو على الهجرى » ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(أ) – أعدل الأقوال في تعريف ثادق هذا ما ورد في كتاب « بلاد العرب » ونصه : (وثادق واد ضخم يفرغ في الرمة ، أعاليه لبني أسد ، وأسفله لبني عبس ، وهو الذي ذكره عقبة بن سوداء فقال :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربْع خلا بين السليل وثادق

وهذا الوادي لا يزال معروفاً ، وقد أنشئت فيه هجرة لفخذ من بني عمرو من قبيلة حرب تسمى باسم الوادي ثادق ، ولكنهم هناك لا يخرجون القاف من مخرجها المعروف بل من مخرج يقرب من مخرج الجيم فيقولون (ثادج) والجيم معطشة ، ووادي ثادق هذا يجزعه طريق القصيم إلى المدينة – بعد محاذاة جبل أبان ، وفوقه جسر أنشيء حديثاً .

وهذا هو الذي كان فيه ماء لبني فقعس وهؤلاء من بني أسد ، وهو من أشهر روافد وادي الرُّمة . والأقوال المذكورة تنطبق عليه ، إلا القول بأنه في بلاد عقيل ، فبلاد هؤلاء جنوب الجزيرة وثادق هذا شمالها .

(ب) – وهناك ثادق آخر في اليمامة وهو بلدة مشهورة هي قاعدة إقليم المحمل وفيها إمارة تابعة لإمارة الرياض ويتبعها عدد من القرى .

٥ – ص ٣٢١ : (ثُرَيْر : صقع من أصقاع الحجاز ، كان به ماء لابن الزبير ومن كلامه : لن تأكلوا تمْر ثرير باطلا) .

ثرير هذا : موضع عند أنصاب الحرم التي في الجهة الشرقية الشمالية في طريق الجعرانة من مكة على تسعة أميال منها كان فيه حائط لعبد الله بن الزبير . والأنصاب فوق ثنية تدعى المسْتوقرة ما سال منها نحو ثُرير فهو خارج الحرم وما سال نحو شعب آل عبدالله فهو من الحرم[1] .

٦ – ص ٣٢٧ : (ثرم : جبل باليمامة (مى) قال زياد بن منقذ (١٠٠ هـ – ٧١٨ م) :

متى أمرُّ على الشَّقْراء معتسفا خلَّ النقا بمروح لحمُها زيمُ
والوَشْم قد خرجت منه وقابلها من الثنايا التي لم أقْلَها ثرم

(١) انظر « أخبار مكة » للازرقي ١-١٠٥ و ٢-٢٣٤ و ٣٥١ طبعة مكة .

الشقراء : فرسه ، والاعتساف الأخذ على غير هداية .

والخل : الطريق في الرمل . زيم : متفرق . الوشم : موضع) إلخ .
المفهوم من هذا البيت أن المقصود بالشقراء اسم موضع ، فهو ذكر أن مروره بمروح لحمها زيم ، وبعض الشراح المتقدمين ذكر هذا . وغريب أن يأتي من صنعاء إلى نجد ممتطياً فرساً . والشقراء[1] — الموضع — شقراء بلدة هي قاعدة إقليم الوشم الآن .

٧ — ص ٣٢٨ : (ثُرْمد شعب لبني ثعلبة من بني سلامان من طي عن (مى ٦/٧٦ قال حاتم الطائي (٤٦ ق هـ — ٥٧٨ م) :

إلى الشعب من أعلى ستار فثرمد فبلدة مبني سنبس لابنتي عمرو

وأضيف : [1] ثرمد واد ينحدر من سلسلة جبال أجا صوب الشمال الشرقي حتى يصب في مشار . ويبعد عن مدينة حايل ٢٠ كيلا — لا يزال معروفاً .

٢ — ستار صواربه : مشار ، وما هنا تصحيف وهو اسم واد يكون ثرمد من فروعه .

٨ — ص ٣٢٩ : (ثرمداء ماء في ديار بني سعد ، في وادي الستّارين . قال الأزهري : قد وردته يستقي منه بالعقال ، لقرب قعره — عن (مى) ٢ / ٧٦ — قال العجاج

بِثَرْمداء جهرة الفيضاح
في مجمع كالأبلق الليـاح

و — موضع بنجد — شرح الأصمعي ٤٣٩ (ل ، ق مع) يضرب به المثل لخصبه وكثرة عشبه ، فيقال : نعم مأوى المِعْزى ثرمداء (ت) قال علقمة (نحو ٢٠ ق هـ — ٦٠٣ م) :

وما أنت أم ما ذكرها رَبَعيَّة يخَطُّ لها من ثرمداء قليب ؟

١ — وادى الستارين : يعرف الآن بوادي المياه ، في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

---

(١) ورد اسمها معرفا (الشقراء) في معجمات الأمكنة انظر « بلاد العرب » ص ٢٧٤ و « صفة جزيرة العرب » ص ٣١٠ .

٢ – الموضع الذى في نجد هو بلدة من أقدم بلدان الوشم ، وسكانها من بني سعد بن زيد مناة بن تميم . وإلى هذه القرية تنتهي سيول كثير من أودية الوشم في مكان بقربها يدعى القاع من أخصب البقاع .

٩ – ص ٣٣٢: (ثروق: اسم قرية عظيمة لبني دوس بن عدثان بن زهران . . . جاء ذكرها في خبر حممة الدوسي ، وفي خبر وفود الطفيل بن عمرو على النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه أسلم ورجع إلى قومه في ليلة مطيرة ظلماء حتى نزل ثروق ، وهي قريةعظيمة لدوس فيها منبر . . .

وقال رجل من دوس في حرب كانت بينهم وبين بني الحارث بن كلب :

قد علمت صفراء حوساء الذيل أن ثروقا دونهـا كالويـل

وأقول : –

(ا) الحارث بن كلب : الصواب : الحارث بن كعب .

(ب) كالويل صوابه : كُلُّ الويل .

(ج) ثروق – بضم الثاء والراء وإسكان الواو على ما ينطق سكانها الآن – اسم أرض واسعة فى قَرْعة دوس من سراة زهران ، فيها قري ومزارع ، من أشهرقراها رَمَس وغُدَيّ والحِصْنين وقريةالزُّرقان والعَيفة وقَرْن بالحشحاس والحبشة والريحان . وفيها وادي الخلصة الذي كان فيه ذو الخلصة صنم دوس ورمَسُ هي القاعدة ، وسكان ثروق بنو على من دوس ، قوم أبي هريرة الصحابي من زهران وتبعد غرباً شمالياً عن مدينة الباحة قاعدة بلاد غامد وزهران ٤٦ كيلا .

١٠ – ص ٣٣٣: أثرى: اسم موضع (مى) ورد في قول الأغلب العجلي (نحو ٢١ هـ ٦٤٢م

فما تُرْب أثرى لو جمعت ترابها بأكثر من حيي نزار على العد

وأضيف : أثرى إحدى قرى وادي السَّرحان ، في شمال المملكة لا تزال معروفة ، وهي إحدى القريات وانظر وصفها وتحديدها في كتاب « في شمال غرب الجزيرة[1] »وقد تحدثت عنها آن بلانت الرحالة الإنجليزية في كتابها «الحج إلى نجد » حديثاً ممتعاً . وقد يقال إثرة .

(١) ص ٥٧٤ إلى ٥٧٦ – والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة) .

١١ ــ ص ٣٤٠ ــ عن الثريا : (بئر بمكة) ق ت (لبني تيم بن مرة ، ونسبها الواقدي إلى ابن جدعان ــ ت) .

وموضع (ق ، ت) وعن أبي زياد ماء لبني الضباب بحمى ضَرِية ، وقيل : مياه لمحارب في شعبي (مى) وقال الأخطل (٩٠هـ ــ ٧٠٨ م) :

عنمــا من آل فاطمة الثريا فمجرى السهب فالرجــل البواقي

يلاحظ : ١ ــ ابن جدعان من بني تيم بن مرة ، وإذن فلا اختلاف بين القولين وقد درست تلك البئر .

٢ ــ الثريا في جبل شعبي لاتزال معروفة ماء بقربه ماء آخر يدعى ثريان، ومحارب والضباب متجاورون في المنازل ولكنهم الآن ليسوا معروفين في تلك الجهات وجبل شَعَبي من جبال حِمى ضرية معروف الآن ، يشاهد غرب ضرية رأي العين .

١٢ ــ ص ٣٥٨ : (ماء لبني قوالة غرب سجا والأخراب بنجد ، في ديار بني كلاب ــ (مى) قال طهمان بن عمرو الكلابي (إسلامي) :

لن تجد الأخراب أيمن من سجا إلى الثعل إلا ألأم الناس عامرة

وادي الثعل لا يزال معروفاً في عالية نجد ، والأودية غالباً لا تخلو من الميــاه وأطلق على أعلاه اسم (شعيب اللنسيات) [1]

١٣ ــ ص ٣٦١ : (وقرن الثعالب هو قرن المنازل . جبل قرب مكة ، وهو ميقات أهل نجد) .

ويلاحظ :

١ ــ ان القرن هو الجبل الصغير المنفرد .

٢ ــ قرن الثعالب ذكر بعض المتقدمين أنه مشرف على عرفات . ويؤيد هذا ما ورد في خبر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من دعوة أهل الطائف إلى الإسلام قال :

---

(١) في سنة ١٣٤٨ أثناء وقوع اختلاف في المملكة عمد بعض المشاغبين إلى إحراق سيارات كبيرة كانت قادمة من الحجاز في هذا الموضع فصار يعرف باسم شعيب اللنسيات ، لإحراقها فيه .

(فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب) والطريق المارّ بعرفات من الطائف أقصر الطرق .

٣ – قرن المنازل يعرف الآن باسم السيل الكبير ، انتقل الاسم من الجبل إلى الوادي الذي عمرت فيه قرية بهذا الاسم . وهو غير قرن الثعالب ، وبعيد عن عرفات .

١٤ – ص ٣٦١ من مؤلفات الثعالبي (رياض الصالحين) .

« رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين » المعروف أنه لمحيي الدين النووي . فإذا كان للثعالبي كتاب بهذا الاسم فيحسن أن يقال وهو غير كتاب النووي .

١٥ – ص ٣٦٤ – لم يرد ذكر الثعلبية المنهل الواقع في طريق الحج العراقي مع شهرته وذكره في كثير من معجمات المواضع – وكتب اللغة والتاريخ – وقد ورد ذكره عرضاً في ص ٣٩٢ : (ثقيب طريق من أعلى الثعلبية إلى الشام) والثعلبية كانت من أشهر مناهل طريق الحج العراقي ، وتقع بعد بطان وقبل الخزيمية للمتجه إلى مكة .

ومما ورد فيها من الشعر القديم قول سلمة بن الحارث بن يوسف بن الحكم ابن أبي العاص :

سأثوى بجو الثعلبية ما ثوت ... حليلة منصور بهـا ، لا أريمها
وأرحل عنها إن رحلت وعندنا ... أياد لهـا معروفة لا نذيمهـا

وتقع الثعلبية في الدهناء ، شرق قرية فيد بنحو ٢٠٠ كيل ، وتعتبر عند المتقدمين ثلث مسافة الطريق من الكوفة إلى مكة .

(تقع بقرب خط الطول ١٥َ ,٤٣° وخط العرض ١٦َ ,٢٨°) .

١٦ – ص ٣٨٠ (وثافل : جبل مُزَيْنة من جبال تهامة ، قال أبو عبدالله السكوني : وهما ثافلان الأكبر والأصغر ، وهما جبلان) إلخ .

وفي معجم البلدان : قال عبد الرحمن بن هرمة :

قد كان في تلك الخيام وأهلها ... دلٌّ يسر به ، ووجـه ناضر
غراء آنسة كأن حديثهـا ... ضَرَبٌ بثـافل ، لم يَنَله شاثرٌ

ثافل : سلسلة من الجبال تمتد من وادي الملَف شمالا إلى وادي الأبواء جنوبا نحو خمسين كيلا في عرض نحو ٣٠ كيلا (من خط العرض ١٠ ٢٣° إلى ٥٥ ٢٣° من خط الطول ٠٠ ٣٩° إلى ١٠ ٣٩°) يحف بها من الغرب سهل يمتد بمحاذاة البحر الأحمر يدعى قديماً البزواء . ومن الشرق وادي القاحة ، والقسم الشمالي من هذه السلسلة (ثاقل الأكبر) يدعى جبل صُبْح ، والقسم الجنوبي (ثافل الأصغر) يدعى جبل بني أيوب (من فروع قبيلة حرب) ويمر طريق المدينة المعبد الآن بين سلسلة جبال ثافل وبين البحر ، يشاهدها المسافر يمينه منذ وصوله إلى قرية مستورة حتى يكون قريباً من قرية بدر .

١٧ — ص ٣٩٣ : (ثقبان : قرية بالجند (ق — ت) باليمن ، بها مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه) مفهوم هذا الكلام أن مسجد معاذ في ثقبان ، وليس الأمر كذلك ، فالمسجد في الجَنَد ، على ما هو معروف .

وفي «صفة جزيرة العرب[1]» : (ثقبان : باليمن) . وعلق عليه الأستاذ المحقق محمد بن علي الأكوع بقوله : (ثقبان : بلد وواد فيه نبع ماء ، مخرف من مخارف صنعاء في شمالها بمسافة ثلاثة أميال تقريباً) انتهى والمخرف المكان الذي توجد فيه الفواكه أيام الخريف وأغلبها لا يوجد في اليمن إلا في الخريف.

١٨ — ص ٣٩٣ : لم يذكر ثقيب — بفتح الثاء المثلثة وكسر القاف بعدها مثناة تحتية ساكنة فباء موحدة — وهو واد من روافد وادي القاحة في الطريق القديم بين مكة والمدينة ، ورد في شعر الأحوص — أو نصيب .

عفا مَشْعَرٌ من أهله فثقيب فسفح اللوى من سائر ، فجريب

وثقيب هذا واد لا يزال معروفاً ينحدر من الفرع حتى يصب في وادي القاحة . في الطريق القديم بين مكة والمدينة ، وفي أسفله موضع يدعى البستان فيه ماء وزراعة .

ويبعد مصبه في القاحة عن السقيا (أم البرك) شرقاً بنحو ١٩ كيلا .

---

(١) ص ٣٢٤ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

١٩ – ص ٣٩٥ : (بثقب : موضع في البادية (ص ق ، ل) ورد في قول النابغة (جاهلي) :

أرسما جديداً من سعاد تجنب عفت روضة الأجداد منه فيثقب

يثقب هذا جبل يقع جنوب بلدة الروضة ، يرى منها رأي العين ، وهو في ضِغْن الحرة حرة فدك (الحائط) في طرفها الشرقي ، وسيله يفيض في وادي الحُلَيْفة أحد روافد وادي الرُّمَّة ، ويبعد عن بلدة فدك (الحائط) نحو ٢٠ كيلا في الشمال الشرقي منها بقرب خط الطول ٣٠َ,٤٠° وخط العرض ٣َ,٢٦° .
وروضة الأجداد أصبحت الآن قرية تدعى الروضة وقد تسمى الروض .

٢٠ – ص ٤١٧ : (الثلبوت اسم واد في بلاد غطفان (مى) قال الحطيئة (نحو ٤٥هـ – ٦٢٥ م) :

مَنَعنا مدفع الثلبوت حتى تُرِكنا راكزين به الرِّماحـا
نقاتل عن قُرى غطفان لمـا خَشِينا أن تُذلَّ وأن تُباحا

الثَّلبوت : واد عظيم ذو مياه كثيرة حددها صاحب كتاب « بلاد العرب[1] » وكان من بلاد بني أسد المجاورين لغطفان ، وأسفله (مدفعه) في وادي الرُّمة في بلاد غطفان ، وهو من أشهر روافد وادي الرمة ، ويعرف الآن باسم وادي الشُّعْبة وله روافد كثيرة ويقع بين خطي الطول ٣٠َ,٤٠°و١٥َ,٤٢° وخطي العرض ٢٦,٠٠° و ١٥َ,٢٧°) .

٢١ – ص ٤١٩ : (تثليث : موضع في ديار بني عبدالله بن غطفان « معجم ما استعجم» قال كعب بن زهير يخاطب قومه :

ولألْفِينكم تعكفون بِقُنَّةٍ بتثليث أنتم جُنْدها وقَطِينها

وقيل : موضع قرب مكة ، وقيل : ببلاد بني عقيـل .
وقيل : من ديار تميم « معجم ما استعجم » .
كل ما ذكره البكري – رحمه الله – هنا تَخَرُّصٌ واستنتاجات لا تقوم على

---

(١) من ص ٥٢ إلى ص ٦٢ من منشورات (دار اليمامة)

أساس . ووادي تثليث كان من بلاد مذحج لمختلف بطونهم ومنهم بنو مازن ، وكانوا لا يدعون أحداً يمر بتثليث إلا بتابع منهم[1] ، ومنهم بنو زبيد قوم عمرو بن معدي كرب وكان له في هذا الوادي حصنٌ ونخل [2] . وتثليث من أطول أودية نجد وأعظمها تنحدر فروعه من بلاد قحطان شرق بلدة خَميس مُشَيط وأعلاها وادي طريب الذي ينحدر من الجوف ، ثم يسير الوادي صوب الشمال . حتى يحاذي قرى وادي بيشة الواقعة جنوبه ، فينحرف صوب الشرق ، ويسير حتى تحجزه الرمال غرب وادي الدواسر ، وكان يفيض في وادي الدواسر ، ، وفي تثليث بلدة بهذا الاسم فيها إمارة تابعة لإمارة بلاد عسير ، و سكان تثليث الآن يدعون قحطان من مذحج سكانه من قحطان .

يقع وادي تثليث بين خطي الطول ٤٣,٠٠° و ٤٤,٠٠° ، وخطي العرض ١٣َ ١٨,° و ٣٠َ ٢٠,° وبلدة تثليث تقع بقرب خط الطول ٣٠َ ٤٣,° وخط العرض ٣١َ ١٩,° .

٢٢ ــ ص ٤٢٦ : (يثلث : موضع (مى) تهذيب اللغة) قال امروٌ القيس (نحو ٨٠هـ - ٥٤٥ م) :

فعدت له وصحبتي بين ضارج وبين تلاع يثلث فالعريض

يثلث : يسمى الآن أثلث ــ أبدلت ياؤه ألفا ــ ويقع شمال مدينة الدوادمى ، وشرق حِمَى ضَرية .

٢٣ ــ ص ٤٤٠ : (الثَّلْماء : موضع من نواحي اليمامة ، قال يحيى :

حيو المنازل قد تقادم عهدها بين المِراخ إلى نقا ثلماتها

ــ المراخ : موضع ــ عن مى

تدعى الثلماء الآن الثليماء ، وقد أصبحت قرية ذات نخل ، جنوب قرية اليمامة بنحو خمسة عشر كيلا ، في منطقة الخرج (بقرب خط الطول ٢٨َ ٤٧,° وخط العرض ٠٥َ ٣٤,°) .

حمد الجاسر

---

(١) « الإكليل » للهمداني ج ١ ص ١٧٤.

(٢) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٥٣ من منشورات (دار اليمامة) .

في رحاب الحرمين
من خلال كتب الرحلات إلى الحج

— ١٠ —

نشرت « العرب » في مثل هذا الجزء من السنة العاشرة[١] ملخص رحلة العبدري الذى زار مكة في القرن السابع الهجري :

كما نشرت ملخص رحلة عالم جليل حجّ بعد زمن العبدري بوقت قصير هو التجيبي السَّبْتي ، الذي وصل إلينا من رحلته جزء مبتور . حققه الأستاذ الباحث عبد الحفيظ منصور ونشره قبل ثلاثة أعوام[٢] .

وها هوذا ملخص ما كتبه رحّالة مغربي أندلسي لم تنشر رحلته — فيما أعلم — زار مكة المكرمة سنة ٧٣٨ هـ قادماً من الشام ، بطريق البَرّ ويحسن أن نعرفه بكلمة موجزة .

البلويُّ : هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم البلوي قال عنه الأستاذ الزركلي — رحمه الله — في «الأعلام[٣]» (قاض من فضلاء الأندلسيين . كانت إقامته فى فتورية[٤] من حصون وادي المنصورة . وهو قاضيها . حج وأقام فى عودته مدة بتونس . ولى فيها الكتابة عن أميرها . ثم قفل إلى الأندلس) ولم يحدد الأستاذ الزركلى زمن ولادته ولا زمن وفاته بل اكتفى بقوله عن الوفاة : (بعد سنة ٧٦٥ هـ — ١٣٦٤ م) .

رحلته : يوجد من رحلته نسخٌ مخطوطة . منها ثلاث مصورة ، فى (معهد المخطوطات) التابع لـ (جامعة الدول العربية في القاهرة) أرقامها ٢٠٢ و ٤٠٠(م) و١٠٥٣ (جغرافيا) .

---

(١) انظر جزء الربيعين من السنة العاشرة .

(٢) انظر جزء رجب وشعبان المجلد الحادي عشر ص٥٤ .

(٣) ج٢ ص ٣٣٩ — الطبعة الثانية .

(٤) كذا وفى إحدى النسخ المخطوطة من رحلته (قنورية) .

وقد اطلعت على النسخة الأخيرة وهي حديثة الخط ، كتبت سنة ١١٧٦ وتقع في ٢٤٠ ورقة وما يتعلق بالكلام عن الحجاز يقع منها في ٣٧ ورقة (من ٩٠ إلى ١٢٧) .

واسم الرحلة «تاج المفرق ، في تحلية أهل المشرق » وقد وصفها المقريّ بأنها (رحلة كبيرة ، كثيرة الفوائد) فلعل ماوصل إلينا جزء من تلك الرحلة ومن هذا الجزء عرفنا عن المؤلف أنه قدم القاهرة من بلاده فى ١٣ رجب سنة ٧٣٧ ، ثم ذهب إلى الشام.

١ ــ توجه مع الركب الكركي ضحوة يوم الاثنين ٢٤ شوال سنة ٧٣٧ ــ إلى الحج .

٢ ــ ووصل إلى المدينة ١٩ ذي القعدة سنة ٧٣٧ وخرج منها في ٢٣ ذي القعدة من السنة المذكورة .

٣ ــ وصل إلى مكة المكرمة خامس ذي الحجة سنة ٧٣٧ وخرج منها عائداً في ١٤ ذي الحجة سنة ٧٣٧ .

٤ ــ ووصل المدينة في ٢٣ ذي الحجة ورحل في اليوم الرابع والعشرين منه مع الركب المصري .

٥ ــ ووصل العقبة في يوم ١٦ محرم سنة ٧٣٨ ومنها اتجه إلى القدس .

٦ ــ وصل القدس في ٢٥ محرم سنة ٧٣٨ وخرج منها في أول يوم من صفر ، فدخل الرملة وغيرها .

٧ ــ وصل إلى غزة رابع صفر سنة ٧٣٨ .

٨ ــ دخل مصر ١٤ من الشهر المذكور عائداً إلى المغرب .

وصف طريق الحج الشامى :

والرحالة البلوي ــ رحمه الله ــ لا يتبسط فى وصف منازل الطريق ولعل ذلك يرجع إلى حالة الأمن في ذلك العهد ، وأن المسافر يقطع المراحل مُسْرِعاً ، ولهذا لا يتهيأ معرفة تلك المنازل معرفة تمكن من وصفها ، ومع ذلك ففي وصف البلوي لما وصف منها معلومات لا يستغنى عنها الباحثون ، وأسلوب البلوي أسلوب سَلِس . وإن مزجه بالسجع أحياناً . فَلْنَسِرْ معه منذ أن خرج من الكرك .

الحساء : قال :

(فأول ماء وردناه من مياه تلك الصحراء ماء يعرف بالحساء . وهو ماء عذب زلال ، حوله أسس وأطلال ، تنبيٌ عن استصحابِ أَبدٍ ، واقتراب من عَهْد لُبَدٍ)

مَعان : وقال عن معان الذى أصبح الآن من كبريات مدن مملكة (شرق الأردن) (إلى أن وردنا ماء معان وهو ماء كثير . عَذْبٌ نمير) .

تبـــوك : وقال عن تبـــوك :

(ثم سرنا — من معان — في قفر صفر . واقتحمنا صدر فلاة تروع كل سعلاة :

ومهـــامة كالبحر لا أثر فيها لمقتفـــر ولا سَنَنُ

لو سار فيها النَّجْم ضلَّ بها حـــيران لا شامٌ ولا يَمَن

إلى أن وصلنا إلى تبوك التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلدها اليوم خرابٌ ، على كل جدار غراب . فوردنا البئر المباركة التى فاضت ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحنا بنزولها ، وسرحنا في ظل نخيلها) .

العلا : قال عن هذه البلدة :

(ثم سرنا — من تبوك في مهامة تجمع بين النفس(؟) والجزع ، وتتصيد عنقنا البسالة في شَرك الفزع ، إلى أن وصلنا العلا . بعد مدًى بعيد . وعناء شديد ، وهي بُلَيدة ذات منظر جميل ، كثيرة المياه والنخيل — بينها وبين تبوك مسيرة ثمانية أيام نهاراً أو ليلا وهي مسافة لها مهابة ومخافة ، تتعب فيها الركاب ، وتُفْقَد الرفقاءُ والصحاب ، وتُكابد الخطوب الصعاب ، وقديماً ضربت العامة بها مثلا ، فقالت : تُرِكَ أُبوك ، بين العلا وتبوك) !

الحجر ديار ثمود : قال :

ثم رحلنا من العلا صباحاً ، وسرنا غدواً ورواحا . إلى أن وردنا بئراً يقال لها بئر الناقة ، بقرب الموضع المعروف بمبرك الناقة ، ويعنون بالناقة هنا ناقة النبي صالح عليه السلام ، فوافينا البئر . بجهد عظيم ، وعطش عميم ، وهجير كأنما أرسل من نار الجحيم ، فبتنا بها . ثم أدلجنا منها وتبلج الفجر ونحن نسير في مدن النبي صالح عليه

السلام . فعاينت منها عجباً عظيما ، بيوتاً منحوتة من الصخر ، ومجالس مكونة من الجبال لا تفنى إلى آخر الدهر ، وغرفاً معلقة فى الهواء ، مأوى للنسر ، وقصوراً مقصورة على الوحوش والطير ، كما قال وهو أصدق القائلين : (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين) فأدرك الناسُ العبرَ ، وعاينوا منظراً لا تشرحه عبارة الخبر ، لا يخبر عنه إلا منظره ، ولا يشفي من حديثه إلا محضره ، وما عدا ذلك فنجم من سماء ، ونقطة من ماء :

كما قابل الزَّنْدُ بُرْكان نارٍ وحيَّا الثِّماد القليلُ بِحاراً

هدية : قال ــ بعد وصف الحجر [1] :

ولم نزل نسير ، وقد جدَّ المسير ، وحمى الهجير وعُدِم الماء ، وتحكم العناء ، وعم العطش والإعياء ، وكاد أن يستولي علينا الفنا :

ولذّة الجسم بذاك الضَّنا وراحة قلبي ذاك الألَمْ

ولم تزل الحال كذلك حتى وردنا ماء هَدِيَّة فأغثْنا به غلل الأكباد ، وعادت الأرواح للأجساد .

ولما شارفنا أرض هَدِيَّة تفاءلنا بأن تكون لنا هَدِيّة . وقصد عربان العلا أن يتخذونا كاسمها ، ويجعلونا في الدروس كرسمها ، فضربوا على ذنب الركب فى رأس المضيق ، وأذاقوه دُون برد الماء بأطراف الأسنّة عذابَ الحريق ، فانبرى[2] من صرفهم عن تلك النيَّة وصافحهم يد البليَّة .

ثم حللنا عُرَى السفر ، وحللنا بساحة هَدِيّة على هَدِيّة الظفر ، فأحدقنا بها إحداق الهدب بالعين ، وأطرْنا بمختلس وصالها غُرابَ البَين ، واجتلينا منها عروساً مُدبّين يديها بساط الماء ، وتُوِّجت بالهلال وقرطت بالثريا ، ووشحت بنجوم السماء ، وبتنا تلك الليلة مسرورين) . . .

---

(١) يلاحظ أنه ذكر الحجر بعد ذكر العلا ، وهو متجه إلى المدينة ، وذكر بعده (هدية) مما يدل على وقوع خلل فى ترتيب ذكر هذا الموضع فى رحلته .

(٢) كلمة (فانبرى) غير واضحة فى الأصل .

وادى القرى : ثم قال بعد وصف هدية :

(ثم ارتحلنا صبحا ، ولم نزل نَفْري الفلا حتى بدت أعلام وادي القرى[1] ، فدنا الأنس ، وانشرحت النفس ، ونُسِجَ باليوم الأمس كلما قيل غداً تدنو الدار ، ويقرب المزار طربتُ على السماع ، وترقبت الملتقى من (ثنيات الوداع) ... وحين وصلنا إلى ثنية المدينة النبوية الكريمة علمنا أن لمشاركة اسمها استحقت الثنايا القَبَل . . .

فى المدينة المنورة :

وتحدث الرحالة البلوى عن المدينة الكريمة وآثارها — بإيجاز — ويلاحظ أن أوصافه للآثار قد تغيرت ، فقد جُدّدت عمارة الحرم الشريف . ووسع وكذا كثير من مساجد المدينة .

فى الحرم النبوى الشريف :

قال — بعد أن ذكر وصوله المدينة ما ملخصه :

ثم أقبلت على الحرم الشريف أتأمل محاسنه ، فمن أبدع ما رأيت قصيدة قد كُتِبَتْ بالخطّ المذهب ، ورفعت أمام الروضة فى سقف المسجد .. وها هى :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سلام كنشر الروض من مسقط النَّدى عليك رسول الله . يا مَنْزِل الهدى

ويا مهبط الأملاك والوحى لم تزل أنيسا بزوراء(؟) الرسول مُمجّدا

ثم أورد عشرين بيتا .

وأورد دعاء للسلطان الملك الناصر محمد ملك البحرين خادم الحرمين ولد السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى) وبعده الدعاء له بالنصر : (وكان ابتداء العمل فى شهر ربيع الأول وانتهاؤه فى جمادى الآخرة سنة ٧٠١ هـ) .

الروضة الشريفة [2] :

قال : (الروضة المقدسة تقع آخر الجهة القبلية من المسجد مما يلى الشرق ، ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره لأحد ولا تمثيله ،

---

(١) ويلاحظ أنه أطلق على وادى ذى خشب اسم وادى القرى كغيره من متأخرى الرحالين ، ومعروف أن وادى القرى هو المنطقة التى تقع فيها بلدة العلا وهو بعيد عن هذا الموضع - وادى ذى خشب

(٢) لا يقصد الروضة التى هى جزء من المسجد ، بل يقصد المكان الذى فيه القبر المطهر .

والصفحات الأربع محرفة عن القبلة تحريفاً بديعاً ، لا يتأتى لأحد استقبالها في صلاته ، لأنه ينحرف عن القبلة . وقيل إن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ اخترع ذلك فى تدبير بنائها مخافة أن يتخذها الناس مسجداً وفى الصفحة الغربية منها صندوق آبنوس مختم بالصندل . مصفح بالفضة ، مكوكب بها ، قبالة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وطوله خمسة أشبار ، وعرضه ثلاثة ، وارتفاعه أربعة .

وفي الصفحة القبلية أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم ، فيقف الناس أمامه للسلام عليه . وإلى قدميه رأس أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورأس عمر الفاروق رضي الله عنه مما يلي كتفي أبي بكر) .

وأمام هذه الصفحة نحو العشرين قنديلا معلقة من الفضة وفيها اثنان من الذهب ، توقد كل ليلة مع غيرها من الشمع العظيم العجب .

فجميع سعة الروضة من جميع جهاتها مائتا شبر . واثنان وسبعون شبراً (٢٧٢) وهي مؤزَّرة بالرخام البديع النَّحْت الرائع النَّعت ، وينتهى الإزار منها إلى نحو الثلث ، وإلى حيّز إزار الرخام ينتهى لأستار من الديباج ، وهى لازَوَرْدِيَّة اللون ، مختمة بخواتم بيض مُثمَّنة ومُربعة ، ومنظرها منظر رائق بديع الشكل .

والجدار قد علاه تضميخ المسك والطيب متراكما عليه ، على طول الأزمنة ، وتعاقب الأيام .

والذى يعلوه من علو الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الأعلى ، لأن أعلى الروضة متصل بسمك المسجد الشريف .

وبين الروضة المقدسة والشبابيك المكرمة مدًى واسع ، وللشبابيك أربعة أبواب على كل باب منها ما نصه (بسم الله الرحمن الرحيم : خدم بهذه الدرابزينة للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالحي ، قسيم أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة) .

وفي جوف الروضة المقدسة حوض صغير مرخم ، فى قبلته شكل محْراب ، قيل إنه كان بيت فاطمة رضي الله عنها وقيل إنه قبرها ، والله أعلم) .

المنبر : وقال فى وصف المنبر :

(وعن يمين الروضة المنبر الذي قصر الصانعون عن صنعته ، ونبت الأفهام عن مرام شبهته(؟) فقام في أدق نَمْنَمة ، وأوضح رقم ، من رفيع الأبنوس ونفيس الصندل الأحمر والأصفر ، والبقس والنبع ، والبقم والشوحط والقَيْقَب ، بأحكم تركيب وأبدع تصنيف) .

الجذع الذي حن للرسول صلى الله عليه وسلم : وبإزاء الجهة القبلية عودٌ يقال إنه مطَّبقٌ على بقية الجذْع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العود ظاهرة ، يُقبّلها الناس ويتبركون بها [1] .

المسجد النبوى الكريم : وطول المسجد مائة خطوة وست وتسعون خطوة وسعته مائة وست وعشرون خطوة ، وهو بالذراع ثلاثمائة ذراع طولا ، ومئتان عرضاً . وتكسير ه من المراجع المغربية (؟) أربعة وعشرون مرجعاً ، وعدد سواريه ثلاثمائة .

وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة ، ووسطه كله مفروش بالحصا والرمل. وفي صحنه قبة بيضاء كبيرة ، أمامها خمس عشرة نخلة ، ونصف جدار القبة الأسفل رخام موضوع إزارٌ على إزار مختلف الصنعة واللون ، مجزع أبدع تجزيع ، والنصف الأعلى من الجدار مُنَزَّلٌ كله بالذهب ، قد أنتج الصنّاع فيه نتائج غريبة من الصنعة فيها تصاوير أشجار مختلفات الصفات ، مائلات الأغصان بثمرها .

والمسجد كله على تلك الصنعة . لكن الصنعة في جدار القبة أحفل ، والاحتفال في هذا المسجد المبارك أكثر من أن يأتي عليه الوصف .

وللمسجد أربعة أبواب كبار هي المفتوحة الآن ، في الغرب منها اثنان : يسمى أحدهما باب الرحمة ، والثاني باب الحشية ، وفي الشرق اثنان يعرف الواحد بباب جبريل عليه السلام . والثاني بباب الرخاء .

---

(١) تقبيل هذا والتبرك به من الأمور التى لا تجوز شرعاً ، لأنه لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه أنه فعل ذلك ، ولا سيما أن قطعة العود هذه لم يثبت بطريق الجزم أنها بقية الجذع المذكور

ويقابل باب الرحمة مدرسة حافلة لم أر مدرسة أحسن بناء منها ولا أبدع صنعة .

ويقابل باب جبريل دار عثمان رضى الله عنه التى استشهد بها ، وبازاء المقصورة لجهة الشرق خزانتان كبيرتان تحتوى على كتب ومصاحف موقفة على المسجد . وبخارجه لجهة الشرق دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبإزائها دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودار ابنه عبدالله رضي الله عنه) .

قباء : وقال يصف مسجد قباء :

(وبظاهر المدينة من جهة القبلة على نحو ميلين اثنين منها مسجد قُبَا ، وهو مسجد حسن عَدْل التربيع . مستوى الطول والعرض . .

وفى وسطه مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي صحنه مما يلي القبلة شبه محراب على مصطبة هو موضع ركوع النبى صلى الله عليه وسلم . وبأعلى المحراب مكتوب مانصه(بسم الله الرحمن الرحيم : لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ،فيه رجالٌ يُحبُّون أَنْ يَتطهَّروا واللهُ يُحبُّ المتَطَهِّرِينَ) هذا مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، جدد هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة) .

وطول المسجد مائة وعشرون خطوة ، وعرضه كذلك ، وله باب واحد من جهة المغرب ، ومئذنة عالية جداً بيضاء تظهر على بعد ، وأمام بابه بئر كبيرة عذبة معينة ، يأتي الماء منها إلى المدينة وفي قبلة المسجد دار أبي أيوب الأنصاري ، ويلي دار أبي أيوب وهي دارلبني النجار– دار عائشة رضي الله عنها وبإزائها دار عمر ، ودار فاطمة ، ودار أبي بكر رضي الله عنهم .

وقبا كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة ، والطريق إليها بين حدائق النخيل المتصلة والنخيل تحدق بالمدينة وجهاتها كلها وأعظمها نخلا جهة القبلة وجهة الشرق) .

البقيع – مقبرة المدينة المنورة وقال :

(وبخارج المدينة الكريمة من جهة المشرق بقيع الغرقد فأول ما يلقى الخارج من باب البقيع على يساره مشهد صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم وأمامه قبر مالك بن

أنس رضي الله عنه ، وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء ، وأمامه قبر السلالة الطاهرة النبوية ، إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وعليه قبة بيضاء . وبقربه عقيل بن أبي طالب وعبدالله بن جعفر الطيار رضي الله عنهم . وبإزائهم روضة فيها أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وتليها روضة العباس بن عبد المطلب والحسن بن على ، ورأس الحسن إلى رجلي العباس رضي الله عنهما ، وهي قبة كبيرة مرتفعة في الهواء ، والقبران مرتفعان عن الأرض متسعان ، مُغَشَّيان بالألواح ملصقة أبدع إلصاق ، مرصَّعة بصفائح الصُّفر ، مكوكبة بمساميره ، على أبدع صفة ، وأجمل منظر ، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي آخر البقيع قبر عثمان الشهيد ذي النُّورين رضي الله عنه وعليه قبة عالية كبيرة مختصرة (؟)

وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد ، أم على بن أبي طالب رضي الله عنها وعلى القبر مكتوب : ما ضَمَّ قبرٌ أحد . كفاطمة بنت أسد — رضي الله عنها وعن بنيها[1] .

وصف المدينة المنورة :

قال البلوي : (وللمدينة المكرمة أربعة أبواب ، وهي تحت سُورين في كل سور باب يقابله باب آخر ، الواحد منهما حديد كله ، يعرف باب الحديد (؟) ويليه باب الشريعة ثم باب القبلة ، ثم باب البقيع المذكور .

وقبل سور المدينة في جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحزُّب الأحزاب ، وبينه وبين المدينة المكرمة عن يمين الطريق العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم وعليها حلق عظيم وبنيان مستدير ، ومنبع العين وسطه كأن الحوض المستطيل ، وتحته سقايتان مستطيلتان باستطالة الحلق ،

(١) لقد أزيلت — ولله الحمد — كل القباب ، وأصبحت مقابر البقيع مسواه بالأرض ، كحالة القبور فى صدر الإسلام ، لأن البناء عليها وكذا الكتابة من الأمور التى جاء الشرع الشريف بالنهى عنها

قد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض المذكور بجدار ، فحصّل الحوض المذكور محدقاً بجدارين ، وهو يمد السقايتين المذكورتين ، ويهبط إليهما على أدراج عددها خمسة وعشرون درجاً . وماء هذه العين المباركة يعم أهل الأرض فضلا عن أهل المدينة) .

وللمدينة المكرمة سقاية ثانية داخل باب الحديد يهبط إليها على أدراج . وماؤها معين ، وهي بمقربة من الحرم .

والمدينة الكريمة في مستو من الأرض شريفة نزيهة ، وسماها عليه السلام طيبة لأن من توجه نحوها يجد رائحة طيبة على مسيرة أميال .

والمدينة الكريمة متسعة الأرجاء مشرقة الأنحاء ، طيبة الهواء ، كثيرة النخل والماء ، ممتدة التخطيط والاستواء ، حسنة الترتيب والبناء ، لم أر قط ولم أستنشق آنق من ريّاها ولا أعبق من صباها ، ولا أمرع من روضها ، ولا أمرخ من أرضها ، ولا أصفى من جوها ، ولا أضوأ من ضوئها ، ولا أشرق من نورها ، ولا أرق حاشية من أديمها ، ولا ألصق بنياط القلب من أرَجها ونَسيمها :

أُحِبُّ الحِمَى من أجل من سكن الحمَى ومن أجل مَنْ فيها تحب المنازل

العلماء في المدينة : ومن العلماء الذين اجتمع بهم البلويُّ الرحالة في المدينة :

١ — عبدالله بن أسعد بن على اليافعي اليمني الشافعي . وقد أطال الثناء عليه . وهو عالم معروف ، وله مؤلفات معروفة .

٢ — محمد بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي ، مؤرخ المدينة المشهور .

ولم يسطّر غير هذين العالمين .

من المدينة إلى مكة : ووَصَف الرحالة البلوي لمنازل الطريق بين المدينتين الكريمتين وصفٌ مُوجَزٌ ، إذ المسافر في تلك العصور يدفعه الخوف إلى الإسراع في قطع الفيافي والقفار ، فلا يتمكن من تصور المواضع التي يمر بها تصوراً تاماً .

الصفراء : قال بعد ذكر ذى الحليفة :

(ولم نَزَل نسير فى تلك الأودية وهجيرها يلفح ،وزفيرها لا يكف عنا ولا يصفح إلى أن وافينا وادى الصفراء ، فنزلنا على نعيمه الذى به حييت الذّماء ، وإن هو إلا الأسودان التمر والماء) .

بـــدر : ثم وصف بدراً الموضع الذى شرفه الله بذكره فى القرآن الكريم :

(وسرنا – إلى أن نزلنا ببدرٍ، وهناك يجتمع من مصر والشام الطريقان ، ويتألف منهما الفريقان ، وبمنزلنا ذالك اجتمعنا مع المركب المصرى ، والمحمل الأمرى (؟) فروينا من عذب ذالك الماء ، وزرنا مشاهد الصحابة الشهداء) .

رابـــغ : ولما ذكر ارتحاله من بدر قال: (ثم رحلنا إلى أن وردنا ماء رابغ بقرب الجحفة ، فأحرم هنالك من كان دون إحرام وارتحلنا محرمين إلى بلد حرام) .

خُلَيص : وارتحلنا إلى أن وصلنا خليص فوردنا ماء ها النمير ، وتزودنا ثمرها الكثير) .

مر الظهـــران : (وارتحلنا إلى أن وصلنا إلى بطن مَرٍّ ، وقد أنسنا بدُنوّ المرام ، والاقتراب من بيت الله الحرام ، فأدركنا في تلك الطريق الظلال بغية المقيل ، وخيّمنا بين متكاثف ذالك النخيل) .

فى مكة المـــكرمة : وفى مكة المكرمة أرْخى الرحالة لقلمه العنان ، فتوسّع في وصف المشاعر المقدسة وما شاهده من الآثار التى تغيّرت عما كانت عليه بتغيُّر الأزمان، وما دخل على كثير منها من العمران ، وخاصّة في عصرنا الحاضر فقد عمر المسجد الحرام وُوسّع ، حتى ضم كثيراً من المواضع الأثرية التى بقربه، وأدخل فيه المسْعَى .

أمّا مدينة مكة فقد اتسع عمرانها اتساعاً هائلا ، بعد أن أدخلت مكة القديمة في الحرم ، أو في الساحات التي حوله .

البيت المكرم (الكعبة) : قال البلوي : (والبيت المكرم له أربعة أركان وهو قريبٌ من التّربيع ، وذكر أن ارتفاعه في الهواء من الصفح الذي يقابل باب الصفا وهو بين الحجر الأسود والركن اليماني — تسع وعشرون ذراعاً ، وسائر الجوانب ثمان وعشرون بسبب انصباب السطح إلى الميزاب .

فأول أركانه الركن الذي فيه الحجر الأسود . ومنه ابتداء الطواف . وأول ما يلقى بعده الركن العراقي وهو ناظر إلى الشمال . ثم الركن الشامي وهو ناظر إلى جهة المغرب ، ثم الركن اليماني وهو ناظر إلى حيّز الجنوب ، ثم يعود إلى الركن الأسود(١) وهو ناظر إلى جهة المشرق .

ومن الركن الذى فيه الحجر الأسود إلى الركن العراقي أربعة وخمسون شبراً ، ومن الركن العراقي إلى الشامي ثمانية وأربعون شبراً — وذالك داخل الحِجْر ، وأما من خارجه فمنه إليه أربعون خطوة وهى مائة وعشرون شبراً ، ومن خارجه يكون الطواف ، ومن الركن الشامي إلى الركن اليماني ما بين الأسود إلى العراقي لأنه الصفح الذي يقابله ومن اليماني إلى الأسود ما من الشامي إلى داخل الحجر ، لأنه هو الذي يقابله أيضاً .

وباب البيت المكرم في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي وهو قريب من الحجر الأسود بعشرة أشبار ، والموضع الذي بينهما من صفح البيت يسمى الملتزم ،وداخل البيت المكرم مفروش بالرخام المُجزَّع ، وحيطانه كلها رخام مجزَّع ، قد قام على ثلاثة أعمدة من ساج ، مفرطة الطول ، متوسطة فيه ، وبين الأعمدة أكوا س (؟) من الفضة عددها ثلاث عشرة ، وأحدها من ذهب خالص .

وظاهر البيت كله من الأربعة الجوانب مكْسُوٌّ سُتُوراً من الحرير الأكحل ، وفي أعلاها رسم بالحرير الأبيض فيه مكتوب : (إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) — إلى قوله تعالى (فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ) واسم الخليفة الإمام .

وفى سعته (؟) قدر ثلاثة أذرع يطيف بها كلها قد شكل في هذه الستور من الصنعة

---

(١) كذا والصواب : (الذى فيه الحجر الأسود) .

الغريبة أشكال محاريب رائعة ، ورسوم مقروءة مرسومة بذكر الله تعالى وبالدعاء للامام العباسي الآمر بإقامتها .

وعدد الستور من الجوانب الأربعة أربعة وثلاثون ستراً ، وقد وُصلَت كلها ، فجاءت كأنها ستر واحد يَعُم الجوانب الأربعة ، محيطة الأعلى والأسفل وثيقة العُرَى والأزرار ، لا تخلع إلا من عام إلى عام ، عند تجديدها .

والبيت العتيق مبنيٌّ بالحجارة الكبار الصُّم . قد رُصَّ بعضها على بعض ، وألصقتْ بالعقد الوثيق إلصاقاً لا تحيله الأيام ، ولا تقصمه الأزمان .

وله خمسة مضاوٍ عليها زجاج عراقي .

وفيه باب يسمى باب الرحمة يصعد منه إلى سطح البيت الكريم داخله الأدراج) .

الحجر الأســود :

(من الحجر الأسود إلى الأرض ستة أشبار ، فالطويل يتطامن لتقبيله . والقصير يتطاول له .

وللحجر الأسود مرأًى بديع ، ورونق صقيل . هو قيد الأبصار حُسْنا ، وفي وسطه مما يلي جانبه الذي على يمين المستلم له إذا وقف نقطة بيضاء صغيرة مشرقة ، تلوح كأنها خالٌ في تلك الصفحة المباركة ، وفي هذه الشامة البيضاء أثر : إن النظر إليها يجلو البصر ، فيجب على المقبِّل أن يقصد بتقبيله من الشَّامة المباركة ما استطاع ، وللحجر عند تقبيله لدونة ورطوبة يتنعَّم بها الفَمُ حتى يَودّ اللاثم ألا يقلع فمه عنه) .

باب البيت (الكعبة) : (والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شِبْراً ونصف ، وهو من فضة مذهبة بديع الصنعة ، رائق الصفة . بستوقف الأبصار حسناً وخشوعاً للمهابة التي كساها الله بيته .

وعضادته كذلك ، والعتبة العليا كذلك ، على رأسها لوح ذهب خالص إبريز ، في سعته مقدار شبرين .

وللباب نقّارتا فضة كبيرتان يغلق عليهما قُفْلُ الباب ، وهو ناظر للشرق . وسعته ثمانية أشبار وطوله ثلاثة عشر شبراً ، وغلَظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار) .

المطافُ : وموضع الطواف مفروش بالرخام البديع ، وقد اتسع عن البيت بمقدار تسع خُطًا ، وسائر الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض .

وطواف النساء في آخر الرخام المفروش .

وقد جُدِّد ترْصيعه ونُمِّق تنْميقاً بديعاً فيه تواريخ مرسومة . ومنها ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم : أمر بعمارة المطاف الشريف سيدنا ومولانا الإمام الأعظم ، المفروض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين ، بلغه الله آماله ، وزين بالصالحات أعماله ، وذلك في شهور سنة إحدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله) .

الحجر :

(والحِجْر من الركن العراقي إلى الركن الشامي ،يقابل الصفح الذي فيه الميزاب ، وفي ارتفاع جدار الحجر بالرخام ستة أشبار ، وسعته أربعة أشبار ونصف وداخل الحجر مفروش بالرخام المجزَّع المقطع في دور الكف إلى دَوْر الدينار إلى ما فوق ذلك ، ثم ألْصق بنظام بديع ، وتأليف عجيب الصنعة ، غريب الإتقان ، رائق التصنيع والتَّجْزيع .

وفى صحن الحجر بمقربة من جدار البيت المكرم قبر إسماعيل عليه السلام وإلى جانبه مما يلي الركن العراقي قبر أمه هاجر ، رضي الله عنها) .

الميزاب :

(والميزابُ في أعلى الصفح الذي على الحجر وهو من صفر مذهب ، بغشاءٍ ، مُسَمَّر بمسامير الفضة الخالصة المذهبة ، مقضب (؟) بصفيح الفضة المرقشة ، منقوش عليه برسم الذهب ما نصه : (مما عمل برسم الحرم الشريف في شهور سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة) .

بئر زَمْزَم : (وقبّة بئر زمزم تقابل الركن الأسود ومنها إليه أربع وعشرون خطوة ، وداخلها مفروش بالرخام الأبيض الناصع البياض ، وتتنور البئر المباركة في وسطها ، وهو من رخام ، قد ألصق إلصاقاً ، لا تحيله الأيام وقد حف به من أعمدة الرصاص الملصقة إبلاغاً في قوّة لزّه ورصّه اثنان وثلاثون عموداً قد خرجت لها رؤوس قابضة على حافة البئر . دائرة بالتنور كله ، ودوره أربعون شبراً ، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف ، وغلظه شبر ونصف .

وقد استدارت بداخل القبة سقايَةٌ ، تُملأ ماءً للوضوء . وحولها مصطبة دائرة ، يرتفع الناس إليها ويتوضؤون عليها .

وبظاهر جدار القبة المباركة مكتوب بالخط الرائق المذهب ما نصه : (عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من طاف بالبيت سبْعاً وصلى خلف المقام ركعتين . وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت » تقبل الله ممن عمل بهذا الحديث ، ودعا لمن أسس هذه السّنّة الحسنة في هذا الحرم في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة) .

قُبّة الشّراب : (وتلي قبة بئر زمزم من ورائها ، قبة الشراب وهي المنسوبة للعباس رضي الله عنه لأنها كانت سقاية الحاج ، وهي كذالك الآن ، فيها يبرد ماء زمزم .

وتلى هذه القبة قبة أخرى .

وهاتان القبتان مخزنان للأوقاف على البيت الكريم ، من مصاحف وكتب وشمع وغير ذالك) .

المسجد الحرام : (والمسجد الحرام تطيف به من جهاته الأربع ثلاث بلاطات على ثلاث سوار من الرخام ، منظمة ، كأنها بلاط واحد ، ذرعها فى الطول أربعمائة ذراع ، وفى العرض ثلاثمائة ذراع ، فيكون تكسيره محققاً ثمانية وأربعين مرجعاً :

وعدد سواريه الرّخاميّة أربعمائة سارية وأربعة وثمانون سارية ، حاشا الحصية[1] التي منها في دار الندوة ، وعند باب إبراهيم) .

الأئمة فى الحرم : (وللحرم الشريف أربعة أئمة ، ولكل واحد من الأئمة الأربعة صلاته (؟) تحت حطيم له مصنوع من الخشب البديع النّجارة . والمالكية تصلى قبالة الركن اليماني ، والشافعية خلف المقام ، والحنفية قبالة الميزاب في البلاط الآخذ من المغرب إلى الجنوب والحنبلية تقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني في البلاط الآخذ من المغرب إلى الشمال[2] .

ويطيف بهذه المواضع كلها دائر البيت العتيق ، وعلى بعد منه يسير مشاعيل توقد في صحاف من حديد فوق خشب مركوزة ، فيتّقد الحرم الشريف كله نوراً ، وتوضع بين[3] أيدي الأئمة في محاريبهم .

وللحرم الشريف سبع صوامع ، أربع فى الأربعة الجوانب . وواحدة فى دار الندوة ، وأخرى على باب الصفا ، وأخرى على باب إبراهيم .

وللحرم الشريف نَيِّفٌ وأربعون باباً ، ولها أسماء منها : باب الصفا ، باب القايد ، ويسمى أيضاً باب الخياطين ، باب العباس رضي الله عنه ، باب بني شيبة ، باب الرباط باب الندوة ، باب دار العَجَلة ، باب السُّدْرة . باب العمرة . باب إبراهيم عليه السلام ، باب حَزْورة . باب جياد ، باب غزة (؟) .

المسعى : ومن باب الصفا إلى الصفا ست وسبعون خطوة ، وللصفا أربعة درجات[4] ، وهو على ثلاثة أقواس مشرقة ، والدرجة العليا متسعة كأنها مصطبة ، وقد أحدقت به الديار وفي سعته سبع عشرة خطوة :

والميْلُ سارية خضراء ، وهي خُضْرة صباغيّة وهي إلى ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم الشريف . ومنها يرمل في السعى إلى الميلين الأخضرين ، وهما أيضاً ساريتان خضراوان على الصفة المذكورة الواحدة منها بإزاء باب علي رضي الله عنه

(١) كذا فى الأصل (الحصية) والكلمة غير واضحة .

(٢) زالت ولله الحمد – بدعة تعدد الأئمة فى الحرم الشريف فأصبح الإمام واحداً .

(٣) كذا .

(٤) كانت (أربعة عشر درجاً) فشطبت .

في جدار الحرم الشريف ، وعن يسار الخارج من الباب ، والميل الآخر يقابله في جدار دار...[1] وعلى كل واحد منهما لوح قد وضع على رأس السارية كالتاج، فيه منقوش رسم مذهب: (إنَّ الصَّفا والمَرْوَةَ من شعائر الله) الآية وبعدها: (أمر بعمارة هذا الميل عبدالله وخليفته أبو محمد المستضيء بأمر الله ، أمير المؤمنين ، أعز الله نصره ، في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة) . فجميع خطا الساعي من الصفا إلى المروة أربع مئة خطوة وثلاث وتسعون خطوة .

وأدراج المروة خمسة وهي بقوس واحد كبير . وسعته سعة الصفا سبعة عشر خطوة والخطوة ثلاث أقدام .

وما بين الصفا والمروة مسيل هو اليوم سوقٌ حافلةٌ بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب والمبيعات الطعامية وغيرها) .

التجارة في مكة : (وهي أكثر البلاد نعَماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر، ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان المواسم ، فيه يجتمع أهل المشرق والمغرب ، فيُباع فيها في يوم واحد — فضلا عما يبيعه من الأيام (؟) — من البرّ إلى الدُّرّ ، ومن الذخائر النفيسة كالجوهر والياقوت وسائر الأحجار ، ومن أنواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة إلى الأمتعة العراقية واليمانية إلى غير ذلك من السلع الخراسانية والبضائع المغربية ، إلى ما لا ينحصر ولا ينضبط مالو فُرِّق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولَعَمَّ جميعها بالمنفعة التجارية ، حاشا ما يطرأ بها مع طول العام من اليمن وسواها ، فما على الأرض سلعة من السلع ، ولا ذخيرة من الذخائر ، إلا وهي موجودة فيها ، وهي تَغُصُّ بالنِّعم والفواكه والخضر على اختلافها ، ولا تنقطع منها على طول العام .

ولكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسّة الذوق ، يفضل فيها نوعه الموجود في سائر البلاد) .

---

(١) كذا بياض في الأصل .

وصف مكة المكرمة : ولها ثلاثة أبواب : أولها باب المعلا ، ومنه يخرج إلى الحبانة المباركة ، وهي بالموضع الذي يعرف بالحجون ، وعن يسار المارّ إليها جبل في أعلاه ثنية عليها علم شبيه البرج ، يخرج منها إلى طريق العمرة . وتلك الثنية تعرف بكَدَاء — بفتح القاف والمد — وهي التي عَنَى حسان بقوله :

تُثِيرُ النَّقْعَ ، موعدها كداء

وعلى هذا الباب المذكور طريق الطائف وطريق العراق والصعود إلى عرفات وهذا الباب بين الشرق والشمال وهو إلى الشرق أميل .

ثم باب المسفلة وهو إلى جهة الجنوب وعليه طريق اليمن ، ومنه كان دخول خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم الفتح .

ثم باب الزَّاهر ، ويعرف أيضاً بباب العمرة ، وهو غربي ، وعليه طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريق الشام وطريق جُدّة ، ومنه يتوجه إلى التنعيم وهو أقرب ميقات المعتمرين ، يخرج من الحرم إليه على باب العمرة ، ولذلك خُصَّ بهذا الاسم) .

حَبَّانة المعْلا : (وهي بالموضع المعروف بالحجون ، وهذه الحبَّانة مدفن جماعة من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين .

وقال عليه السلام : « الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران بالجنة » .

ووقف عليه السلام على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال : « يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله يوم القيامة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً . وجوههم كالقمر ليلة البدر » .

ذُو طَوَى : (وعند اجتيازك الزاهر[1] وهو مبنى على الطريق ، يحتوى على ديار وبساتين ، تمر بالوادي المعروف بذي طوى الذي نزل النبي صلى الله عليه وسلم فيه عند دخوله مكة ، وكان ابن عمر رضي الله عنه يغتسل فيه وحينئذ يدخلها . وحوله آبار تعرف بالشُّبَيْكة ، وفيه مسجد يقال إنه مسجد ابراهيم عليه السلام) .

---

(١) أى للمقبل نحو مكة ، وقد دخل الزاهر فى عمران مكة .

التنعيم : (والتنعيم من البلد على فرسخ ، وهو طريق حسن فسيح ، فيه الآبار العذبة التي تسمى بالشُّبَيْكة[1] وعندما تخرج من البلد بنحو ميل تلقى مسجداً بإزائه حجر موضوع على الطريق كالمصطبة ، يعلوه حجرٌ آخر مسند ، فيه نقش دائر الرسم ، يقال إنه الموضع الذي قعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم مستريحاً عند مجيئه من العمرة . فيتبرك الناس بتقبيله ومسح الخدود فيه .

وعلى جانبي الطريق من هذا الموضع جبال أربعة ، جبلان من هنا وجبلان من هنا . عليهما أعلام من الحجارة — يقال إنهما الجبال المباركة التي جعل إبراهيم عليه السلام أجزاء الطير عليها ثم دعاهن حَسْبما ذكر الله في كتابه .

ثم بعد هذا الموضع بمقدار غلوة تلقى على قارعة الطريق المتوجهة إلى العمرة من جهة اليسار قبرين قد علتهما أكوام من الصخر العظام ، يقال إنهما قبر أبي لهب وامرأته ، فما زال الناس في القديم إلى هلُمَّ جرًّا يتخذون سنَّة رجمهما بالحجارة ، قد علاهما من ذلك جبلان عظيمان) .

الآثار في مكة المكرمة : تطغى العاطفة الدينيّة على كثير من الرحالين الذين يزورون هذه البلاد الكريمة ، طغياناً يحول بينهم وبين التحقق عن صحة ما يزورونه من الآثار ، فهم يكتفون بمجرَّد الزيارة طمعاً في الثواب ، ولا يبحثون عن أصل هذا الأثر .

وكذا حال رحَّالتنا البلوي — رحمه الله — وإن كان يستعمل في بعض الأحيان كلمات (قيل) و (ينسب) و (يقال) وأمثالها .

وقد أوردنا كلامه عن الآثار ليكون عند الباحث فكرة واضحة عن الحالة الفكرية في ذلك العصر ، وإن كان كثير منها غير صحيح مما حيك حوله من تخريف .

مسجد الجنّ : (وعن يمينك إذا استقبلت الجبَّانة — المعلا — مسجد في مسيل بين جبلين . يقال إنه المسجد الذي بايعت فيه الجن النبي صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) موقع الشبيكة التى هى إحدى محلات مكة ليس بتلك الناحية ، ولعل المحلة سميت باسم الباب الذى يخرج منه إلى الزاهر أولا نحو آبار الشبيكة ، ومما أحفظ :

بباب شبيكة الحسن وهى صبرى فواحزنى

قبة الوحي (دار خديجة) : (فمن مشاهدها التى عايناها قبة الوحي ، وهي في دار خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وفيها كان ابتناء النبي صلى الله عليه وسلم بها .

وقبة صغيرة أيضاً في الدار المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وهذه المواضع المقدسة مغلوقة مصونة ، قد بنيت بناء يليق بمثلها ، وكتب بداخل القبة الأولى ما نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم : تقرب إلى الله تعالى بعمارة هذا الموضع الشريف المنسوب [1] إلى خديجة رضي الله عنها ، مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي الكريم العبد المفتقر إلى رحمة الله تعالى مولانا السلطان بن السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر ابن علي [2] خادم الحرمين الشريفين ، بلغه الله غاية آماله . وتقبل منه صالح أعماله وذالك بتاريخ شهر صفر سنة ست وثلاثين وستمائة) .

وكتب بداخل القبة الصغيرة : (هذا هو موضع مولد فاطمة رضى الله عنها) . وموضع الولادة شبه صهريج صغير .

وفيها مختبأ النبي صلى الله عليه وسلم شبيه القبة ، وفيه مقعد في الأرض شبيه الحفرة ، داخلة في الجدار قليلا ، وقد خرج عليها من الجدار حجر مبسوط ، كأنه يظل المقعد المذكور ، قيل إنه الحجر الذى غطّا النبي صلى الله عليه وسلم عند اختبائه في الموضع المذكور .

وفي زقاق هذه الدار على مقربة منها مصطبة فيها متكأ ، يقصد الناس إليها ويصلون فيها ، ويتمسحون بأركانها لأن في موضعها كان قعود النبي صلى الله عليه وسلم) .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم : (ومن مشاهدها الكريمة مولد النبي صلى الله عليه وسلم والتربة التي هي أول تربة مست جسمه الطاهر ، بُنيَ عليها مسجد ، لم يُر أحفل منه بناء ، أكثره ذهب منزل به . وكان داراً لعبد الله بن عبد المطلب ، أبي

---

(١) كلمة (المنسوب) تدل على عدم الثقة بالنسبة

(٢) من آل رسول ملوك اليمن .

النبي صلى الله عليه وسلم والموضع المقدس الذي سقط فيه صلى الله عليه وسلم ساعة الولادة السعيدة المباركة التي جعلها الله رحمة للأمة أجمعين ، محفوف بالفضة ، كأنه صهريج صغير ، سطحه بوصه[1] .

وعليه مكتوب ما نصه :

(هذا ما أمر بعمله عبدالله وخليفته الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد أمير المؤمنين أعز الله أنصاره . وضاعف اقتداره ، سنة ست وسبعين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله) .

جبل أبي قبيس : وقال بعد الكلام على مكة :

(وعلى مقربة منها يشرف منه ، جبل أبي قُبَيْس ، وهو في الجهة الشرقية ، يقابل ركن الحجر الأسود ، وفي أعلاه رباط مبارك ، فيه مسجد ، وعليه سطح مشرف على البلدة الطيبة الشريفة ، ومنه يظهر حسنها وحسن الحرم واتساعه وجمال الكعبة المقدسة القائمة وسطه .

وهو أول جبل خلقه الله تعالى ، وفيه استودع الحجر الأسود من الطوفان ، وكانت قريش تسميه الأمين لأنه رَدَّ الحجر لإبراهيم عليه السلام وفيه قبر آدم عليه السلام وفيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم عند انشقاق القمر له ، بقدرة الله تعالى ، وهو أحد أخْشَبَي مكة ، والأخشب الثاني الجبل المتصل بِقُعَيْقِعان في الجهة الغربية) .

مولد علي : (وبسفح أبي قبيس مسجد محتفل البناء ، عليه مكتوب : (هذا المسجد هو مولد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وفيه تربّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان داراً لأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم) .

جَبَلُ حِرَاء : (ومن جبال مكة المشهورة جبل حراء وهو في الشرق منها ، على مقدار فرسخ أو نحوه ، وهو جبل مبارك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما ينتابه يتعبد فيه ، وأول آية نزلت من القرآن على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الجبل) .

---

(١) كذا ولم يثبت أن هذا مكان مولده عليه السلام .

جبـــل ثور : (ومن الجبال التي فيها أثر كريم ومشهد عظيم الجبل المعروف بابي ثور[1] وهو في الجهة اليمنية . من مكة على مقدار فرسخ وأزيد ، فيه الغار الذي أوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق رضي الله عنه حسبما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، وخص نبيه بآيات مبيّنات) .

دار أبي بكر الصديق : (ومن مشاهدها الكريمة دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي اليوم دارسة الأثر ، ويقابلها جدار فيه حجر مبارك ، يتبرك الناس بلمسه[2] ، يقال : إنه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز عليه ، وذكر أنه صلى الله عليه وسلم جاء يوماً إلى دار أبي بكر رضي الله عنه فنادى به ولم يكن حاضراً فأنطلق الله عز وجل الحجر وقال : يا رسول الله ليس بحاضر . وكانت من إحدى آياته المعجزات صلى الله عليه وسلم .

دار الخيزران : وقال في الكلام على مشاهد مكة : (ومن مشاهدها الكريمة دار الخيزران وهي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله فيها سرًّا ، مع الطائفة الكريمة المبادرة للاسلام من أصحابه ، رضي الله عنهم ، وكفى بهذه الفضيلة الكريمة) .

وصف مشاعر الحج : وللرحالين عناية كبيرة بتحديد المشاعر المقدسة : منى وعرفات ومُزْدَلِفَة ، وسار رحالتنا البلوي على ذلك ، وها هو ذا نصُّ ما قال :

مزدلفة : (ومُزْدَلِفَة بسيط من الأرض فسيح ، بين منى وعرفات ، من منى إليها[3] ما بين مكة إلى منى وذلك نحو خمسة أميال . ومنها إلى عرفات مثل ذالك .

ومزدلفة تسمى المشعر الحرام ، وقبلها بنحو الميل وادى مُحسر وجرت السنة بالهرولة فيه ، وهو حدٌّ بين مُزْدلفة ومِنًى معترض بينهما) .

مسجد الخيف : (وهو آخر منى في التوجه من المعمور منها بالبنيان . . وهو

---

(١) كذا فى الأصل والمعروف (جبل ثور) .

(٢) التبرك بالأحجار من أخلاق أهل الجاهلية ولا يجوز شرعاً .

(٣) كذا ولعله سقط (مثل)

متسع الساحة ، كبير المساحة ، وهو من المساجد المشتهرة وبركته وشرف نفعه[1] وكفى بما ورد الأثر الكريم من أن بقعته مدفن لكثير من الأنبياء ، صلوات الله عليهم).

عـــرفات : (وعَرَفاتُ بَسيط من الأرض ، مَدّ البصر ، لو كان مَحْشراً للخلائق لوسعهم ، وفى آخر ذالك البسيط جبل الرحمة — وفيه وحوله موقف الناس . والعلمان قبله بنحو الميلين . فما أمام العلمين إلى عرفات حِلٌّ ، وما دونهما حَرَمٌ ، وبمقربة منهما مما يلى عرفات بطن عـرنـة ، الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه في قوله عليه السلام : « عرفات كلها موقف ، وارتفعوا عن بطن عُرَنة » (فمن وقف في بطن[2] عرنة) لا يصح حجه ، فيجب التحفظ من ذلك .

وجبل الرحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم في البسيط ، وهو حجارة متقطعة بعضها عن بعض ، فكان صعب المرتقى . فأحدثت فيه أدراج وطيئة واسعة . من أربع جهات ، أنفق فيها مالٌ عظيم . وفي أعلى الجبل قبة تنسب إلى أم سلمة رضي الله عنها والله أعلم بصحة ذلك ، وفى وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه ، وحول ذلك المسجد المكرم سطح محدق به فسيح الساحة . جميل المنظر ، يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار قد نُصِبَت فيه محاريب يصلى الناس فيها .

وفي أسفل هذا الجبل المقدس على يسار المستقبل دارٌ عتيقة البنيان ، في أعلاها غرف لها طيقان ، تنسب إلى آدم عليه السلام ، وعلى يسار الدار في استقبال القبلة الصخرات التي كان عندها موقف النبي صلى الله عليه وسلم وهي في جبل متطامن .

وحول جبل الرحمة والدار المكرمة صهاريج للماء وجِبابٌ وعن يسار الدار ويسار القبلة مسجد قديم فسيح البناء وبقى منه الجدار القبلى ينسب إلى إبراهيم عليه السلام .

فيه يخطب الخطيب يوم الوقفة .

وعن يسار العلمين فى استقبال القبلة وادى الأَرَاك وهو أراك أخضر يمتدُّ في ذلك البسيط مع البصر يمتد امتداداً طويلا) .

---

(١) فى الكلام سقط .

(٢) زيادة يتم بها المعنى وليست فى الأصل .

منى : (ومنى مدينة عظيمة الآثار ، واسعة الاختطاط ، عتيقة الوضع ، تملأ النفوس بهجة وانشراحاً ، قد درست إلا منازل حسنة ، محدثة للنزول ، تحفُّ بجانبي طريق مُمتدّ الطول كأنه الميدان اتساعاً وانفساحاً .

وأول ما يلقى المتوجه إليها عن يساره بمقربة منها مسجد البيعة .

ثم يفضي إلى جمرة العقبة على قارعة الطريق وهي أول منى للمتوجه من مكة . . .

ثم الجمرة الوسطى وبها عَلَم منصوبٌ ، وبينهما قدر الغَلْوة ، ثم بعدها تلقى الجمرة الأولى .

ثم بعد الجمرة الأولى يعرج عن الطريق يَسِيراً ويلقى منحر الذبيح عليه السلام .

ثم يقضي من ذلك إلى مسجد الخيف ، وهو آخر منى في التوجه من المعمور منها بالبنْيان وأما الآثار القديمة فآخذة إلى أبعد غاية أمام المسجد) .

منحر الذبيح : (ثم بعد الجمرة الأولى — يقصد التي تلي الوسطى إلى منى لا جمرة العقبة — يعرج عن الطريق يسيراً ، ويلقى منحر الذبيح عليه السلام[1] وحيث فدى بالذبح العظيم ، وعلى الموضع المبارك مسجد مَبْنِيٌّ ، وهو بمقربة من سفح الجبل ، وفي المسجد المذكور حجر قد ألصق بالجدار ، فيه أثر قدم صغيرة ، يقال إنها أثر قدم الذبيح عليه السلام عند تحركه ، فلا نَ له الحجر بقدرة الله فيتبرك الناس بحكه ولمسه[2] .

ثم يقضي من ذلك إلى مسجد الخيف المبارك هو آخر منى في التوجه من المعمور منها بالبنيان) .

مسجد البيعة : وقال بعد كلامه على منى : (وأول ما يلقى المتجه إليها عن يساره بمقربة منها مسجد البيعة المباركة التي كانت أول بيعة في الإسلام ، عقدها العباس

---

(١) لم يسم الذبيح وهو إسماعيل عند أكثر العلماء .

(٢) التبرك بلمس الأحجار وحكها لا يجوز شرعاً .

رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم عن الأنصار [1] حسبما اشتهر من ذلك) .

ممن اجتمع بهم من العلماء في مكة : قال ما ملخصه :

(ثم تابعت لقاء العلماء والمحدثين ، واستقريت المجاورين منهم والواردين ، فلقيت هنالك منهم جماعة أجلّة يضيق هذا المجموع عنهم . ويتسع [2] برنامج روايتي لهم :

١ — منهم الشيخ الفقيه الخطيب بالحرم الشريف محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عمر المالكي المشتهر بخليل — أثنى عليه كثيراً .. وذكر أنه كان الخطيب يوم عرفة .

٢ — الشيخ أحمد بن إبراهيم الشافعي وقد أثنى عليه وذكر أنه ولد سنة ٦٨٦

٣ — إبراهيم بن شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي ونقل عنه قصيدة لأبيه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وصف المحْمل :— وهو مايسمى في الحجاز بالشقدف . وسماه التّجيبي الشقدوف [3] الذي نشرت خلاصة كلامه عن الحجاز في مجلة « العرب » .

وقد وصف البلوي المحْمل في رحلته وَصْفاً تحمل روعته على عدم الإخلال بذكره فقال : (قباب بديعة المنظر ، عجيبة الشكل . قد قامت كأنها التّيجان المنصوبة ، والأخْبية المضْروبة تُنْقشُ أحسن النقش . وتملأ بأبهى الفرش ، ويقعد الراكب بها مستريحاً وأي مستريح ، وبإزائه معادله أو مُعادلته في مثل ذلك من الشّقة الأخرى . والقبة مضروبة عليهما ، ماشية فيها ، فيُسار بهما وهما نائمان ، لا يشعران ، فعندما

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا ولعل الصواب (ولا يتسع) .

(٣) قال التجيبى : (ثم رحلنا من العباسة — قرية من قوص على ثلاثة أميال — بعد أن أعددنا لركوبنا شقدوفاً يمنياً ، وهو أحسن ما يستعمل للركوب فى هذه الطرقات وكان عديلى فى الركوب الشيخ الإمام أبو الفضل القبتورى ، وكان ارتحالنا منها فى يوم الخميس الثامن من رجب (٦٩٦ هـ) .

بصلان إلى المرحلة التي يحُطّان بها ضرب سرادُقهما للحين – إن كانا من آهل البر و والتّنعم – فيدخل بهما إلى السّرادق وهما راكبان ، و يُنصب لهما كرسيّ ينزلان عليه فيُنْقلان من ظلّ قبة المنزل دون واسطة هواء يلحقها ولا خطفة شمس تصيبهما ، وناهيك بهذا التّرفه وهذا المحمل النبيه (؟) .

العودة إلى العقبة : وقد عاد البلوى من الحج . بطريق البَرّ الذي يسلكه حاجّ مصْر ، ولكننا لا نجد في رحلته التي بين أيدينا من وصف منازل ذلك الطريق منذ أن غادر مكة حتى بلغ ينبع شيئاً ، بل لم نجد فيها ما يدل على أنه زار المدينة في العودة ولا وصف للطريق – طريق العودة من مكة . مما يحمل على القول بأن الرحلة لم تصل إلينا كاملة .

ينبع : قال عنها : (وصلنا إلى اليَنْبُع في عشي يوم السبت ٢٦ لذي الحجة (٧٣٧هـ) وصلناها بعد مسح الجبين . والانفجان(؟) المبين ، فحللنا بها ببلد البير (؟) ذي نخل كثير ، وماء غزير ، عذب نمير ، وخرجنا منها ضحوة يوم الاثنين الثامن والعشرين لذي الحجة المذكور) .

العقبة : وقال بعد أن ذكر أنه سار من يَنْبُع في ٢٨ ذي الحجة سنة ٧٣٧هـ

(وسرنا منها والقَيْظُ يشتد حرُّه ، والهجير يتلظّى جمره ، إلى أن وردنا ماء العقبة الكبرى ، على ساحل البحر ، وهي التي تسمى عقبة أيلة ، يجتمع عندها الناس من الشام ومصر للقاء الركبان ، والسؤال عن الأصحاب والخلاّن . . وصلنا إليها في ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر الله المحرم نفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة ، ثم تقسمت الركبان ، فبعض انقلب إلى الديار المصرية ، وبعض ذهب إلى البلاد الشاميّة) .

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

(وتوالى « العرب » نشر مواد من مقدمة « المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية » التى قدمت للمطبعة .

ولا شك أن للقارئ على كثير مما جاء فى هذه المقدمة مآخذ منها .

١ – النقص : فقد تكون هناك أسماء قرى أو مناهل (موارد) للبادية مشهورة ، ولكنها لم تذكر .

٢ – الضبط : فكثير من الكلمات لم يشكل ، والأسماء لاتنطق النطق الصحيح إلا إذا عرف ضبطها .

٣ – الخطأ فى الضبط أو فى كتابة الاسم .

ولكى يبرز الكتاب صحيحا . يرجى من كل قارئ لديه أية ملاحظات حوله أن يتفضل بالكتابة بها إلى مجلة « العرب »

وستكون تلك الملاحظات محل العناية والتقدير) .

(حرف البـاء)

البابُ : من قرى العَتَبَة من آل السُّعَيْدى من آل سعد من بالأسمر في جبل ضرم ، من إمارة بلاد عسير .

الباتة : من قرى ذبيان في إضم . بمنطقة اللّيث ، من إمارة مكة المكرمة .

باحان : (انظر ظهرة باحان) حرف الظاء .

البا حرُ – بفتح الباء الموحدة بعدها ألف فحاء مهملة مكسورة فراء : قرية من قرى صَبْيا بمنطقة جازان .

آل بَاحص : بالياء مفتوحة بعدها ألف فحاء مهملة مكسورة فصاد مهملة : من قرى الشَّقِّ من بني عمرو الشام ، في السراة على وادي العيمة شمال قرية لزمة في إمارة بلاد عسير .

الباَحةَ : بفتح الباء بعدها ألف فحاء مهملة مفتوحة ، فهاء — : قاعدة إمارة بلاد غامد وزهران ، وتدعى إمارة الباحة .

الباَحةُ — أيضا — : من قرى الحايزة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الباحة : من قرى[1] منطقة غُميقة فى إمارة مكة المكرمة .

الباحة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباخ : — بفتح الباء الموحدة بعدها ألف فخاء معجمة : بقعة فى بلاد بنى مالك شرق القهبة (وانظر لحج)

آل بلخبيب (انظر حرف الخاء الخبيب)

البادع : من قرى العرضية الشمالية ، في منطقة إمارة مكة .

البادرة : من قرى الطائف من إمارة مكة المكرمة .

البادرية : من هجر الدلابحة من الرُّوقة في كُشْب في منطقة المويْه من إمارة مكة المكرمة .

البادى : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بادى : من قرى العرضية اليمانيَّة من إمارة مكة المكرمة .

بادى : من قرى إضم في اللّيث ، بمنطقة إمارة مكة .

البادية : من قرى المُوَيْه ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البادية : من قرى إمارة الباحة .

البادية : من قرى قنا والبحر ، فى إمارة بلاد عسير .

بادية : من قرى صمخ ، بمنطقة بيشة فى إمارة بلاد عسير .

بادية : من قرى بنى مالك ، بمنطقة جازان .

بادية : من قرى الريث ، بمنطقة جازان .

---

(١) لعلها التى قبلها . فالجايزة وغميقة فى منطقة واحدة .

البادية : من قرى الجموم (وادى فاطمة) بمنطقة إمارة مكة وهى :

١ – بادية الجوانية .

٢ – بادية الحرة .

٣ – بادية الشامية .

٤ – بادية علاف

٥ – بادية القعرة .

٦ – بادية اللحيانية .

٧ – بادية المحسنية .

٨ – بادية مديس .

٩ – بادية الناصرية .

١٠ – بادية النهمية .

البار : (انظر صاحب البار) حرف الصاد .

الباردة : مؤنث البارد – : من قرى القويعية في إمارة الرياض .

الباردة : قرية سكانها آل منيع ، من قرى بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسر .

الباردة : من قرى قبيلة عدوان ، في إمارة الطائف .

بارِقُ – بفتح الباء الموحدة بعدها ألف مكسورة وآخره قاف : منطقة واسعة ذات قرى كثيرة ومركز إمارة من إمارات بلاد عسير ، ترتبط بها تلك القرى .

البارِكُ – بفتح الباء الموحدة بعدها الف فراء مكسورة فكاف – من قرى زهران ، بمنطقة الباحة .

البارِكُ : بكسر الراء – من قرى آل خريم من بالأسمر في أصدار تهامة في إمارة بلاد عسير .

البارك : من قرى وادي فرشاط ، في تهامة بني الأحمر (بالأحمر) من إمارة بلاد عسير .

البارك : من قرى العرضية الشمالية ، في إمارة مكة المكرمة .

البارك : من قرى بني مالك ، بمنطقة جازان .

البارك : (انظر جنب البارك) حرف الجيم .

بارك المسلحة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباز : من قرى حرب ، بمنطقة رابغ ، في إمارة مكة .

ذوي باز : في وادي المضيق (نخلة الشامية) بمنطقة مكة .

البازان : من قرى الحموم ، في إمارة مكة المكرمة .

بازخ : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

بازع : من قرى محايل ، في إمارة بلاد عسير .

بازع : بالباء الموحدة مفتوحة بعدها ألف فزاي مكسورة فعين : من قرى الشُّقيق ، بمنطقة جازان .

بازعة : من قرى صبيا ، بمنطقة جازان .

آل بالزرع : (انظر الزرع) حرف الزاي .

البازم : قرية للمجنب من بني مالك من بني الأسمر ، وهي قاعدتهم ، على وادي فياخ من روافد وادي المخاضة ، في إمارة بلاد عسير .

باسية : من قرى العرضية اليمانية في إمارة مكة المكرمة .

الباشر : من قرى آل كثير في العرضة الجنوبية من منطقة إمارة مكة .

الباشل : من قرى منطقة غُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

باشوت : من قرى حَلْي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

باشوت : من قرى رَنْيَة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

باشوت : مركز في منطقة بيشة ، يتبعه قرى وموارد للبادية ، في إمارة بلاد عسير .

الباشية : من قرى الزَّيْمة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الباطح : من قرى الحائزة ، في منطقة إمارة مكة المكرمه .

باطشة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباطن : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباطن : من قرى القوز ، على إمارة مكة المكرمة .

باطنُ الرَّدْحَة : من قرى هروب في منطقة جازان .

الباطنة : من قرى أبها ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباطنة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

الباطنة : قرية من قرى صبيا ، بمنطقة جازان .

باعجُ : بفتح الموحدة : بعدها ألف فعين مهملة مكسورة فجيم من قرى غامد من أعمال بلجرشى ، في منطقة إمارة الباحة .

الباعجة : هجرة بمنطقة القويعية ، في إمارة الرياض .

الباقرَةُ : بفتح الباء بعدها ألف فقاف مكسورة فراء مفتوحة فهاء : من قرى بني مُنبِّه ، في بيشة من إمارة بلاد عسير .

باقلة : من قرى حَلْي ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

باكر – آل باكر – بكسر الكاف – من قرى بني شهر ، لآل خارج من بالأجدع (بَلَّجُدع) بتهامة ، في إمارة بلاد عسير .

الباكو : قرية سكانها شِمْران ، من قرى بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البالوعة : اسم يطلق على قرى في نجران :

١ – البالوعة ، في وطن الحضن .

٢ – البالوعة في وطن زور وادعة .

٣ – البالوعة في شعب براف .

٤ – البالوعة في وطن زور الحارث .

٥ – البالوعة من بلاد جشم من قبيلة يام .

بالة : قرية يسكنها الصلحان من قرى الزَّيمة في إمارة مكة المكرمة .

بام : بفتح الباء بعدها ألف وآخره ميم ، صواب هذا الاسم أُبام بضم الألف في أوله ، وقد ورد في الشعر القديم – وهو شعب فيه قرية بهذا الاسم يسكنها الصلحان من قرى الزيمة ، بمنطقة إمارة مكة .

البانة : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

باهية : من قرى العرضية الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

باينة (؟) : من موارد الدعاجين من عُتيبة ، من إمارة الرياض .

البتر : من قرى بني مالك ، بمنطقة جازان .

البَتْراءُ : بفتح الباء الموحدة ، وإسكان التاء المثناة ، فراء مفتوحة ، فألف ممدودة – : من قرى إمارة بريدة ، بمنطقة القصيم . من قرى الطرسان (واحدهم طريسى) من بني عمرو من حرب .

البتلة : بفتحات ثلاث – من قرى بني شهر ، للشعفَيْن من بالحارث في وادي تنومة ، في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

بَتُودُ : بفتح الباء وضم التاء بعدها واو فلام : من قرى بني الحُرَّث (بضم الحاء وفتح الراء المشددة بعدها ثاء) بمنطقة جازان .

البُتَيْراء : بضم الباء الموحدة فتاء مثناة فوقية مفتوحة فياء مثناة تحتية ساكنة فراء مفتوحة فألف ممدودة – : قرية من قرى سدير ، فى منطقة إمارة الرياض .

البتيلة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البثْنَةُ : بفتح الباء وإسكان الثاء المثلثة وفتح النون وآخره هاء – : من قرى السويق من بلاد ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة .

البثنة : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

بثية : من قرى منطقة غُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

البجاء : من مياه العوازم بمنطقة النُّعَيرية . في المنطقة الشرقية .

آل بجاد : من قرى أبْهـا ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البِجادِيَّةُ : بكسر الباء بعدها جيم مفتوحة فألف فدال مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية مشـــددة فهاء — : من قرى الدَّوادمي ، في منطقة إمارة الرياض ، فيها مركز ، وسكانها النُّخَشَة من النُّفعة من برقاء من عُتيبة .

البجالية : من قرى العرضية الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البجدة : من قرى إضم من أودية اللِّيث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بجدة : من قرى الـــكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البجراء : من قرى بني مالك ، بمنطقة جازان .

بَجْرا — بفتح الموحدة وإسكان الجيم وراء مفتوحة بعدها ألف من قرى بني شهْر ، لبقْرة ، بتهامة بجانب وادي بقرة[1] ، في إمارة بلاد عسير .

بجران — بالباء الموحدة بعدها جيم فراء فألف فنون : من موارد المجامعة من سُبيع ، بمنطقة رَنْيَة ، في إمارة مكة المكرمة .

البجورة : من قرى رُهَاط ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

البُجَيْدِي : بضم الباء وفتح الجيم بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، فدال مكسورة فياء مثناة أيضا : من قرى مكة المكرمة ، في واد يدعى البجيدي أيضا .

البجيدية : من قرى الأشراف[2] ، بمنطقة مكة المكرمة .

بجيرات : من مياه آل مرة في سلوى في المنطقة الشرقية .

بُجَيْلَةُ : بضم الباء والعامة تسكنها وفتح الجيم بعدها ياء تحتية مثناة ساكنة فلام مفتوحة فهاء — : من قرى منطقة إمارة حايل . وسكانها العوامرة من بني رشيد .

البجيلي : من قرى قنا والبحر ، وفي إمارة بلاد عسير .

البُجَيْلَية : بضم الباء الموحدة وفتح الجيم بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فلام مكسورة فياء أيضا مفتوحة مخففة فهاء : قرية من أعمال وادي جازان بتلك المنطقة .

بُجَيْلِيَّةُ : من مياه عَنَزَة ، بمنطقة إمارة حايل .

---

(١) بقرة يسمى به السكان ويسمى به المكان ، ويرد مثل هذا كثيرا .

(٢) كذا في البيان .

البحار : من قرى الطائف ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

بحار : بكسر الباء[1] وفتح الحاء المهملة بعدها ألف ، فراء : واد فيه مياه من مناهل النَّفَعة في جبل النير ، في منطقة الدوادمي ، من إمارة منطقة الرياض .

البِحاري : بكسر الباء الموحدة ، وفتح الحاء المهملة وتخفيفها بعدها ألف فراء مكسورة فياء : من قرى القطيف ، في المنطقة الشرقية .

بحاري : من قرى الشاقة اليمانية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البحاة : من قرى أَحَد رُفَيْدة ، في منطقة بلاد عسير .

البحث : من مواردة آل مرة في سلوا[2] ، في المنطقة الشرقية .

البحتة : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

بحجة : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البَحْرُ : من قرى المحامدة ، بمنطقة القاع ، في بلاد بني مالك ، من إمارة الطائف .

البحر : مركز إمارة تابعة لإمارة بلاد عسير .

البحر : من قرى غُميقة بمنطقة مكة المكرمة .

البحر أيضاً : من قرى الحايزة ، بمنطقة مكة أيضاً .

بحر : من قرى قِلْوَة في تهامة ، بمنطقة إمارة الباحة .

بحران : من مياه المجامعة من سُبيع بمنطقة رَنْيَة ، في إمارة مكة المكرمة .

بَحْرَان : بفتح أوله وإسكان ثانية : من قرى ثمران من بني مالك ، من بالأسمر ، على وادي المخاضة ، في إمارة بلاد عسير .

البحرة : من قرى المويه ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البحرة : بفتح الباء الموحدة فحاء مهملة ساكنة ، فراء مفتوحة فهاء : من قرى منطقة حايل .

---

(١) العامة تسكن الباء (بحار) فيكتب الاسم خطأ (أبحار) .

(٢) آثرنا كتابة الكلمة كما تنطق . والقاعدة (سلوى)

البحرة : من قرى المُظيلف ، في إمارة مكة المكرمة .

البحرة[1] — بحرة الرغاء ، بفتح الموحدة وإسكان الحاء المهملة وفتح الراء بعدها هاء . من قرى وادى لِيَّةَ ، بمنطقة الطائف .

بحرة : بفتح الباء وإسكان الحاء المهملة ، فراء مفتوحة فهاء : من قرى مكة المكرمة . .

بحرة : أيضاً : من قرى أبي عَريش ، بمنطقة جازان .

بحرة : من مياه قبيلة البقوم ، من أعمال الغريف بقرب الخرمة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بحرة : حلة في الدَّرب ، درب بني شعبة ، بمنطقة جازان .

البحرين : مثنى بحر : في وادي مدركة ، فيه مركز من مراكز إمارة مكة المكرمة .

البحرين : مثنى بحر : من قرى الُحرَّث على وادي خلب ، بمنطقة جازان .

البحرية : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البَحْصُ : بفتح الباء وإسكان الحاء المهملة بعدها حاء مهملة : من قرى العبادل من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان .

البَحْطِيط : بفتح الباء فحاء مهملة ساكنة فطاء مهملة مكسورة فياء مثناة تحتية فطاء أيضاً : من قرى الُحرَّث ، بمنطقة جازان .

البحقا (؟) : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة عسير .

البحور : من قرى المجاردة ، بمنطقة تهامة ، في إمارة بلاد عسير .

البُحُولُ : بضم الباء والعامة تسكنها : وضم الحاء بعدها واو ساكنة فلام : من قرى زبيد من حرب فى قديد ، من إمارة مكة .

البحير : من قرى المظيلف في إمارة مكة المكرمة .

---

(١) انظر « العرب » ٨ - ٦٢٥ .

بحيران : هجرة للرحامين من مطير ، بمنطقة عَفيف ، من إمارة الرياض .

البحيرة : من قرى إضم من أودية اللِّيث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بحيرة (؟) : من قرى الدوادمي ، بمنطقة إمارة الرياض .

البحيرى : : من قرى إضم ، من أودية اللِّيث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البحيليصة : من قرى غُميقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بخاء (؟) : هجرة شَجْوَ[1] من بلاد ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة .

البخاتين : من قرى العصمة من عتيبة ، في وادي القيم ، في إمارة الطائف .

بخت عمير : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البُخْتُرِيَّةُ — من البخترة — من قرى زُبَيْد في منطقة قُديد من إمارة مكة المكرمة.

البختة : — بضم الباء الموحدة وإسكان الخاء المعجمة وفتح المثناة الفوقية ، فهاء — : قريتان : العليا والسفلى ، من قرى أبي عريش ، بمنطقة جازان .

البَخْرَاءُ — بفتح الباء وإسكان الخاء المعجمة وفتح الراء فألف ممدودة ، والعامة يفتحون الخاء ويسكنون الباء ويبْدلون الألف هاء (البخرة) — من قرى المزاحميَّة ، من إمارة منطقة الرياض .

بخرا : من قرى الزَّيْمة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البخرة : من قرى المظيلف ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البخرة : من قرى العرضيَّة الجنوبية ، سكانها آل كثير ، بمنطقة مكة المكرمة .

بخشة[2] — يفتح الباء الموحدة وإسكان الخاء المعجمة بعدها شين معجمة مفتوحة فهاء — قريتان فى وادى جازان ، إحداهما بخشة الغربية ، فى منطقة جازان .

بخشة : من قرى بني الغازي (بَلْغازِي) بمنطقة جازان .

بخنى : هجرة في شَجْوا من بلاد ينبع ، من إمارة المدينة .

---

(١) القاعدة المعروفة (شجوى) ولكننا آثرنا قاعدة كتابة الكلمة كما تنطق .

(٢) واحدة البخش ، وهو الفحم فى تلك المنطقة .

آل بَخِيتٍ – بفتح الباء وكسر الخاء المعجمة فمثناة تحتية ساكنة فثاء مثناة فوقية – من قرى بني شهر ، في أغوار بني التيم على وادي بني مليح ، في إمارة بلاد عسير .

بخيتة : من قرى الفُرَيع ، بمنطقة الكامل ، من إمارة مكة المكرمة .

بَدَا – بفتح الباء الموحدة والدال المهملة بعدها ألف – : وادٍ فيه قرية بهذا الاسم ، بمنطقة الوجه ، من إمارة تبوك .

البَدَاح : بفتح الباء الموحدة فدال مهملة مفتوحة بعدها ألف فحاء مهملة : من قرى بني مالك ، بمنطقة جازان .

بَدَادَا – بفتح الباء فدالان مهملتان مفتوحتان بينهما ألف ، فألف آخره – : من قرى المنْدَق بمنطقة الباحة ، من قرى زهران ، في إمارة الباحة .

البدان : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

البَدَايِعُ :– بفتح الباء والدال بعدها ألف فهمزة مكسورة تقلب ياء فعين مهملة ، جمع بديع : من قرى بُريدة ، في منطقة القصيم .

البَدَايِعُ – : بفتح الباء والدال المهملة بعدها ألف ، فهمزة مكسورة وتخفف ياء مثناة تحتية فعين مهملة – : من قرى ثادق ، في منطقة إمارة الرياض .

البدايع – أيضاً – : من هجر ذوي سفران من الدلاحة في الجِمْش بمنطقة الدوادمي ، في إمارة الرياض .

البدايع – أيضاً – : هجرة للدمالجة من الدلاحة . في الجمش ، بمنطقة الدوادمي ، في إمارة الرياض .

البدائع – أيضاً – من هجر المُخَلَّف من مسروح من حرب بقرب جبل طميَّة ، في منطقة القصيم .

البدايع أيضاً قرى في منطقة إمارة حايل ، يميز بينها بالإضافة وهي :

١ – بدايع البدع من هجر الشوالعة من بني رشيد .

٢ – بدايع البكر : من هجر آل عليان من عبدة .

٣ – بدايع الجرعا : من هجر الغيثَة من عَبْدة من شمر .

٤ ــ بدايع الذرفان من موارد آل زميل من سنجارة .

٥ ــ بدايع السبعان .

٦ ــ بدايع سقْف .

٧ ــ بدايع سَمِيرا .

٨ ــ بدايع الصاحة .

٩ ــ بدايع العليا .

١٠ ــ بدايع قفار .

١١ ــ بدائع قُنَيٍّ من هجر العايضات من بني رشيد .

١٢ ــ بدايع المحمي

١٣ ــ بدايع لكان من هجر آل عليان من عبدة .

١٤ ــ بدايع مرحب العليا .

١٥ ــ بدايع مريفق : من هجر الثريبان من عبدة .

١٦ ــ بدايع المعرش : من هجر الححيش من الأسلم .

١٧ ــ بدايع المغويات .

١٨ ــ بدايع المكحول من هجر المسعود من الأسلم .

١٩ ــ بدايع المكظم .

البدايع ــ أيضاً ــ : من قرى الحناكية ، بمنطقة إمارة المدينة .

البدائع ــ أيضاً ــ موارد للبادية بمنطقة عفيف ، منها :

١ ــ بدائع رغباء من موارد المقطة .

٢ ــ بدايع العِضْيان هجرة ومورد للعضيان .

٣ ــ بدائع الحنشل مورد للموازين من مطير .

٤ ــ بدائع مُعَزِّى هجرة للمغايرة .

٥ ــ بدائع نَهاَّض هجرة للمغايرة .

البدايع – ايضاً – من هجر الضبطان من بنى عبدالله من مطير بقرب ضرية ، بمنطقة إمارة القصيم .

البدايع – أيضاً – من موارد الفراعنة والمجامعة وآل محمد والرُّوَبة من سَبيع ، بمنطقة رَنْيَة ، في إمارة مكة المكرمة .

البدايع : – أيضاً – : من قرى الوجه . بمنطقة إمارة تبوك .

البدايع : (انظر قصور) حرف القاف .

بدايع ابن دُميلج – تصغير دملج – : من قرى الدوادمي ، في منطقة الرياض .

بدائع الرحامين من بني عبدالله من مطير ، بقرب ثرب ، بمنطقة إمارة الحسو (الحِسْي) في إمارة المدينة .

بدائع الظليعة : من قرى العُلا ، بمنطقة إمارة المدينة .

بَدْرٌ – بفتح الباء وإسكان الدال بعدها راء – : الموضع الذي ذكره الله في القرآن الكريم ، وحدثت فيه الوقعة التي نصر الله فيها المسلمين ، وهو بلدة الآن ، فيها إمارة ، وتتبعها قرى كثيرة ، بمنطقة إمارة المدينة ، وسكانه بنو سالم من حرب .

بَدْرٌ – أيضاً – : من قرى نجران فيه مركز يتبعه قرى ومناهل للبادية .

آل بدران : من بلاد بالأسمر والأحمر ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

بدرة – مؤنث بدر – مزارع بقرب الرّسّ ، بمنطقة القصيم .

البَدْرِيَّة : ماء في جبل البدر للدواسر جنوب الركاء ، بمنطقة إمارة القويعية ، من إمارة منطقة الرياض .

البِدْعُ : – بكسر الباء وإسكان الدال ، وآخره عين مهملة : من قرى الخرج ، في منطقة إمارة الرياض .

البِدْع – في حايل – :

١ – البِدْع : من هجر المريحم من الجعافرة .

٢ – البدع : من هجر الشوالعة من بني رشيد .

٣ ــ البِـدْع : من هجر القلادان من بني رشيد .

٤ ــ بدع خضراء : من موارد عَبْدَة من شمر .

البِـدْع ــ أيضاً ــ : من قرى القريّات (وادي السرحان) في إمارة القريات .

البِـدْع ــ أيضاً ــ قرية[1] في وادي عفّال ذات زراعة سكانها المساعيد والعميرات من حويطات التهم ، بمنطقة ظبا . من إمارة تبوك .

البِـدْع أيضاً ــ : قصور زراعية بمنطقة القويعية ، في إمارة الرياض .

البِـدْع ــ أيضاً ــ : ماء في جبل الزيدي للعصمة ، بمنطقة الخاصرة في إمارة الرياض .

البِـدْعةُ (البيح) : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البَـدْلَةُ ــ بفتح الباء الموحدة ، وإسكان الدال المهملة فلام مفتوحة فهاء ــ : من قرى زهران ، بمنطقة الباحة .

البَـدْلَة ــ بفتح الباء وإسكان الدال المهملة وفتح اللام وآخره هاء : ــ قريتان لبني شهر ، في إمارة بلاد عسير :

١ ــ البدلة لآل فلاح من بنى زهير على وادي البدلة بتهامة .

٢ ــ البدلة لآل جرادة من بنى زهير على وادي البدلة بتهامة .

البدلة : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بَدَنَة : ــ ماء في جبل بدن لبني عبدالله من مُطير ، قرب ثَرْب ، بمنطقة إمارة الحسو (الحِسْي) من إمارات المدينة .

البدوان : من قرى بني ثابت ، من حرب ، بمنطقة مهور ، في بلاد بني مالك ، في إمارة الطائف .

بَدْوَةُ : ــ بفتح الباء وإسكان الدال المهملة وفتح الواو وآخره هاء . في أودية السراة يفيض في بَرْج ، وفيه قرية بدوة سكانها من كعب من بني عمرو ، في إمارة بلاد عسير .

---

(١) تقع فيها (مغاير شعيب) الأثرية .

البَدَوِيّ – على اسم المنسوب إلى البادية : من قرى المسارحة ، بمنطقة جازان .

بديان السلاطين : من قرى قِلْوَةَ ، بمنطقة تهامة في إمارة الباحة .

ابن بُدَيد : تضاف إليه هجرة سكانها المشابين (؟) تابعة لإمارة عفيف ، فى فى منطقة إمارة الرياض .

البديرة : من قرى أحَدِ رُفَيْدَة ، فى منطقة إمارة بلاد عسير .

البَدِيعُ – بفتح الباء وكسر الدال المهملة وإسكان المثناة التحتية وآخره عين مهملة : من قرى وادى جازان ، بمنطقة جازان .

البَدِيعُ – أيضاً – : من قرى بني الغازي (بَلْغازى) ، بمنطقة جازان .

البَدِيعُ : بديع امْسَوادية (السوادية) – : قرية من قرى أبى عريش ، بمنطقة جازان .

البَدِيع – بالباء الموحدة والدال المهملة ثم ياء مثناة تحتية ، فعين مهملة – : قريتان في الأفلاج يفرق بينهما بالشمالى والجنوبى .

البُدَيِّع – بضم الباء – من مياه بني عبدالله من مُطير بقرب نَرْب بمنطقة الحسو (الحِسْي) فى إمارة المدينة

بديع : من قرى العرضيَّة الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بديع الحرم : بكسر الدال المهملة – : من قرى أبي عريش ، بمنطقة جازان .

البَدِيعَةُ – بكسر الباء والدال المهملة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة فهاء – : من قرى القريات (وادى السرحان) في إمارة القريات .

البديعة : من قرى المحاردة ، في منطقة تهامة ، فى إمارة بلاد عسير .

البديعة : من قرى تَثْليث ، بمنطقة إمارة عسير .

البُدَيِّعَة – تصغير البديعة – بمنطقة عفيف – في إمارة الرياض :

١ – البديعة هجرة للعضيان .

٢ – البديعة مورد للمقطة .

البُديعة – تصغير البديعة – : من هجر بني عمرو من حرب غرب القصيم ، في إمارة القصيم .

بديعة : من قرى فيفا ، في منطقة جازان .

ذي بَرّ[1] من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بـــراء : من قرى رجال ألمع ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

البَرَابِر : من قرى الحموم ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الـــبراث : هجرة في شجوا من بلاد ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة .

بَرَاجُ : بفتح الموحدة والراء بعدها ألف فجيم – من قرى زهران ، من أعمال المَنْدَق ، في إمارة الباحة .

بـــراد : قرية من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البرادي : من قرى إضم من أودية اللّيث ، سكانها بنو عمر بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البَرَارِيق : قرية البراريق من عتيبة بمنطقة القُدَيْرة ، في إمارة الطائف .

البَرَارِيق : من الشُبَتَة ، من بلاد بني سعد من إمارة الطائف .

البراق : من قرى العرضيَّة اليمانيَّة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البراق : من قرى الشاقَّة اليمانية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البراقعة : من قرى ميسان ، في إمارة الطائف ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البراقين : من قرى الطائف ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

البراقية : من قرى المهد ، بمنطقة إمارة المدينة .

بَـــرَّاك : (انظر هيجة براك) حرف الهاء .

البَرَاكيت : بفتح الموحدة والراء بعدها ألف فكاف مكسورة فياء مثناة تحتية ساكنة فتاء – : من قرى بني عمر الأشاعيب بتهامة زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

---

(١) كلمة (ذو) و (ذى) ليست أصلية فى الأسم ولهذا تعتبر كأنها غير موجودة للبحث عن أسم الموضع الذى تضاف إليه .

براكيت : من قرى منطقة عُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

البرام : (انظر شعب) حرف الشين .

برام : من قرى هروب ، بمنطقة جازان .

البَرَّامَةُ[1] — بفتح الباء الموحدة والراء مشددة والميم وآخره هاء — من قرى آل حسين من آل موسى من بالحارث ، في إمارة الطائف ، بمنطقة ميسان .

البرامن : من قرى وَقْدان من بني سعد ، في وادي نخْب ، في إمارة الطائف .

البرامى : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

بُرّان — بضم الموحدة وتشديد الراء مفتوحة بعدها ألف فنون — : من قرى بني عمر الأشاعيب بتهامة زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

برّان : من قرى المُوَيه ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

برّان : (انظر شعب) حرف الشين .

بُرَيَّاع (انظر . رَيَّاع) حرف الراء .

البُرْبَك — بفتح الباء وإسكان الراء وفتح الباء الموحدة أيضاً وآخره كاف — : ماء يقع في الشمال الغربي من جبل سنام من موارد البادية ، في منطقة إمارة المدينة .

البرث : من قرى السَّهْوَي من بني عمرو ، في بلاد بني عمرو من بني مالك ، في إمارة الطائف .

البَرْجَسِيَّةُ[2] : بفتح الباء الموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة فسين مهملة فياء مثناة تحتية مشددة مفتوحة فهاء — : من قرى بريدة ، بمنطقة القصيم .

براحمة (قهاوى شفقة) : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بَرَحْرَحُ : بفتح الباء فراء مفتوحة ، وإسكان الحاء المهملة بعدها راء مفتوحة فحاء مهملة أيضاً — : واد لدوس من زهران ، فيه قرى ، بمنطقة إمارة الباحة .

البرحيـة : من قرى أبي عَرِيش ، بمنطقة جازان .

---

(١) وكان اسمها (صعبة) فغير اسمها .

(٢) في البيان (البرجسيات) لأنها آبار .

البرخريق (؟) : قرية لبني رزق في العرضية الجنوبية ، في إمارة مكة المكرمة .

البردان : من قرى إضم ، سكانها بنو عمر ، في اللّيث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البَرْدان : من قرى خميس مُشَيط في منطقة من إمار ة بلاد عسير .

البردان : : بإسكان الراء — من هجر عَنَزَة في منطقة إمارة حايل .

بـــردان : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

بردان : من قرى فيفا ، بمنطقة جازان .

البِرْدَةُ — بكسر الباء وإسكان الراء وفتح الدال المهملة وآخره هاء ، من قرى بني شهر ، لِبالْحُصَيْن من العوامر على وادي الغِرِّ من روافد نَحْيان في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

البردة : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

البردة : من قرى ثقيف تُرْعة في ميسان بمنطقة الطائف ، في إمارة مكة المكرمة .

بـــردة : هجرة ، في إمارة المدينة[1] .

البرذى (؟) : من قرى المحاني ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البَرْزَة — بفتح الباء وإسكان الراء وفتح الزاي وآخره هاء : واد ذو قرى لمعبَّد من بني عمرو من حرب في إمارة خليص إحدى مراكز إمارة مكة المكرمة .

بـــرزة : من قرى الزُّلْفِي ، في إمارة الرياض .

البرصـــاء : من قرى أبي عريش ، بمنطقة جازان .

البرصـــة : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البرطى : من قرى وادي حبونا (حُبُونَة) في نجران .

برطيخة : من قرى منطقة الحائزة ، في إمارة مكة المكرمة .

البرقـــاء : من قرى اللّيث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بَرْقَاءُ — بفتح الباء وسكون الراء بعدها قاف فألف —: قرية من قرى الدوادمي وتدعى حَشَّاشَة نسبة إلى أهلها آل حشّاش من حَضْر الدوادمي ، في إمارة الرياض .

(١) كذا في البيان . ولم يبين الجهة .

برقـــا : (انظر قرن) حرف القاف .

برقـــاء : (انظر الحازع – حبس – حبيل – الحضن) حرف الجيم والحاء .

البرقـــان : من قرى خَميس مُشَيط ، في منطقة أبها في إمارة بلاد عسير .

بَرْقانُ – بفتح الباء وإسكان الراء وفتح القاف بعدها ألف فنون – من قرى بني شِهْر ، للشهوم من آل ابن رجاع – وتنطق بُرَيَّاع [1] في إمارة بلاد عسير .

آل برقان : من قرى فيفا ، بمنطقة جازان .

البُرْقة : بضم الباء وإسكان الراء وفتح القاف ، وآخره هاء ، من قرى الجموم ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البرقة : من قرى منطقة إمارة حايل ، بقرب الحائط . سكانها الخيارات من بني رَشيد .

البرقـــة : من موارد الغَريف من قرى الخُرْمة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البرقيـــة : من مياه عَنزَة ، بمنطقة إمارة حايل .

البِرْك – بكسر الباء الموحدة وإسكان الراء وآخره كاف – : بلدة في وادٍ بهذا الاسم ، فيها إمارة يتبعها قرى كثيرة .

البرك : من قرى وادى حبونا (حبونة) في نجران [2] .

الـــبرك : من قرى العرضية الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بـــرك : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البَرَكاتُ – بفتحات ثلاث جمع بَرَكة – من قرى بني شِهْر لفخذ مملح ، بوادي جربة من روافد خاط فى تهامة ، فى إمارة بلاد عسير .

البَرَكَةُ – بفتح الباء الموحدة والراء والكاف وآخره هاء – : من قرى بدر ، ويقال له خَيْف البركة في وادي الصفراء ، بمنطقة إمارة المدينة .

---

(١) ويقولون فى نسبه : رياع بن نزار المسودى بن شهر بن نصر بن شهر – جد بنى شهر عامة – رياع : رجاع بالجيم وأهل هذه الجهة كثيرا ما يقلبون الجيم ياء .

(٢) حبونة هو المعروف قديما باسم (حبونن) ويقال حبونا أيضا .

البَرَكَةُ : – أيضاً – : من قرى ينبع النخل ، بمنطقة إمارة المدينة .

البَرَكَة – أيضاً – : من قرى غامد من أعمال بلجرشي ، بمنطقة الباحة ، في إمارة الباحة .

البركة : من قرى إضم ، من أودية الليث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البركة : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البركة : من قرى السلافاء من النفعة ، في بلاد بني سعد ، في إمارة الطائف .

البَرْكَة – بفتح الباء وإسكان الراء فكاف فهاء – : من قرى منطقة حايل ، بقرب سميراء ، من قرى عَنَزَة .

والبركة أيضاً : من قرى الخلويَّة من هتيم بقرب الغزالة بمنطقة حايل .

بركة : هجرة لآل حب من بني الغازي بمنطقة جازان .

البَرَكِيَّة – بفتح الباء والراء وكسر الكاف وتشديد المثناة التحتية بعدها – : من قرى بني عمر الأشاعيب ، في تهامة زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

البرمة : من قرى القنفذة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

بُرْمَة : من مياه البقوم بقرب بُرْبة ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

البُرْمِيُّ – بضم الباء الموحدة وإسكان الراء وكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتية[1] قرية من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان .

البرنى : هجرة للمطارفة من هُذَيْل ، بقرب الزَّيْمة ، بمنطقة مكة المكرمة .

البَرْنِيَّة : بفتح الباء وإسكان الراء فنون مكسورة فياء مثناة تحتية مفتوحة مخففة فهاء : قريتان السفلى والعليا من قرى الحُرَّث بمنطقة جازان .

البُرُّود – بضم الباء والراء وإسكان الواو فدال مهملة – : من قرى السرّ بمنطقة الدوادمي ، في إمارة الرياض .

البُرُّود – بضم الباء أيضاً – : من قرى بريدة هجرة لبني سالم من حرب في شمال الأسياح .

---

(١) البرمى من الزواحف (العظاه) فى تلك الجهة .

البَرود : من قرى بارق ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البُرُود – أيضاً – : منهلٌ بقرب الجِعْرانة ، بمنطقة مكة المكرمة .

برودان : من هجر آل عُلَيان من قحطان في الحصاة ، بمنطقة القويعية ، من إمارة الرياض .

البرودة : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بَرْوَقَةُ : – بفتح الباء وإسكان الراء وفتح الواو بعدها قاف : من قرى بني عامر ، بسراة زهران ، بمنطقة الباحة .

البروة : هجرة لبني الغازي (بَلْغازِي) بمنطقة جازان .

البَرّةُ : بفتح الباء الموحدة بعدها راء مفتوحة مشددة وأخره هاء – : من قرى المحْمِل في منطقة إمارة الرياض .

البـــرة : من قرى الخرج ، في منطقة إمارة الرياض .

بـــرة (انظر حدرة وذروة) في حرفي الحاء والذال .

البرهى : من قرى العرضيَّة الشمالية ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بُرَيَّاع (انظر ريَّاع) حرف الراء .

البريث : من قرى بني عبدالله من حرب من بني مالك بمنطقة مهور ، من إمارة الطائف .

البريـــد : من قرى أحد رُفَيْدَة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بُرَيْدَة – بضم الباء وفتح الراء بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة مفتوحة ، فهاء – من أكبر مدن المملكة ، وهي مقر إمارة بلاد القصيم .

بريـــدة : من قرى جشم من قبيلة يام ، نجران .

بريـــدة : قرية بمنطقة غُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

بُرَيْدَة – أيضاً – من موارد الشَّيابين بمنطقة الخاصرة ، من إمارة الرياض .

البُرَيْدي : (انظر خب) حرف الخاء .

بُرَيْرِيقٌ – بضم الباء الموحدة وفتح الراء بعدها مثناة تحتية ساكنة فراء أيضاً

مكسورة ، فمثناة تحتية ساكنة فقاف — : من مياه المقطة في رغبا بمنطقة عفيف في إمارة الرياض .

بريريقٌ — أيضاً — من مياه بلدة الشعراء في ثهلان ، بمنطقة الدوادمى ، في إمارة الرياض .

بُرَيْرِيقٌ — أيضاً — من مياه بني عبدالله من مُطير بقرب ثَرْب بمنطقة الحسو (الحِسْي) في إمارة المدينة .

بريريق — أيضاً — من مياه حضن للمرازيق من البقوم ، فى منطقة الخرمة من إمارة مكة المكرمة .

بُرَيْرِيقٌ — أيضاً — من مياه شُعبا[1] ، غرب ضرية فى إمارة القصيم .

بُرَيْرِيقٌ — أيضاً — في هضب الدواسر في هضبة بدوة الغربية ، بمنطقة وادي الدواسر ، من إمارة الرياض .

البُرَيْقعُ : — بضم الباء وفتح الراء فياء مثناة تحتية ساكنة فقاف مكسورة فعين مهملة : تصغير بُرْقع ، من قرى زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

بريقع : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

البريك : (انظر بين) .

بريك : من قرى حرب وبني عبس ، في القنفذة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة

البُرَيْكَة — بضم الباء تصغير بركة — : من قرى زُبَيْد ، في قُديد بمنطقة إمارة مكة المكرمة.

البُرَيْكَة[2] — أيضاً — مورد بقرب قُبَّة لقبيلة من حرب ، بمنطقة إمارة حايل .

البُرَيْكَة — أيضاً — من قرى منطقة الظُّبَية ، في إمارة مكة المكرمة .

البُرَيْكَة — أيضاً — من موارد المراشدة من الروقة بمنطقة عفيف ، من إمارة الرياض.

بُريم : قرية لبنى بجاد بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

بريم : (انظر سوق الثلاثاء والحج) حرف السين وحرف اللام .

---

(١) كتبناها على طريقة كتابة الكلمة كما تنطق .

(١) تصغير البركة . وهى بريكة الأجردى .

البريمة : من قرى بمنطقة غُميقة ، من إمارة مكة المكرمة :

البريمـــة : من قرى ظهران الجنوب ، في إمارة بلاد عسير .

الـــبرين : من قرى خَيْبر — بمنطقة أبها ، في إمارة بلاد عسير .

بريبـــه (؟) : من قرى الشاقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البزج : من قرى سامطة ، بمنطقة جازان .

البَزْخاءُ : من قرى ثمران من بني مالك ، من بني الأسمر ، على وادي المخاضة ، في إمارة بلاد عسير .

بـــزع : من قرى ذبيان في إضم من أودية الليث بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

الـــبزم : من قرى ذبيان فى إضم بمنطقة الليث ، من إمارة مكة المكرمة .

البَزْواءُ — بفتح الباء وإسكان الزاي وفتح الواو بعدها ألف ممدودة — من قرى بني شِهْر وهي حاضرة بني قشير بجانب وادي الثماص في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

الـــبْزَةُ — بضم الباء الموحدة وفتح الزاي بعدها هاء — : من قرى العارضة ، بمنطقة جازان .

والبزة أيضاً : عين ماؤها معدنيٌّ ساخن على ضفَّة وادى جازان الجنوبية .

البِسُّ — بكسر الباء الموحدة بعدها سين مهملة مشددة :— من قرى وادي خاط في تهامة لبني عمرو في إمارة بلاد عسير .

بَسُّ — بفتح الباء وآخره السين وهم ينونونها —: من قرى بنى شهر ، فى جبـــل ثربان بتهامة . في إمارة بلاد عسير .

بَسَّام : من قرى بني الغازي (بَلْغازي) ، بمنطقة جازان .

آل بَسَّام — على الاسم المعروف —: من قرى بني رافع من بني عمرو في سراة الحجر ، في إمارة بلاد عسير .

البُسْتانُ : من قرى ذوي زياد من النفعة في وادي كلاخ ، في إمارة الطائف .

البُسْتان — أيضاً — : من قرى الفرع ، في منطقة إمارة المدينة .

---

(١) جريدة « عكاظ » رجب سنة ١٣٩٦ طلب فتح مدرسة للبنات .

البسطة : من قرى ظهران الجنوب ، في منطقة إمارة عسير .

البسطة : من قرى العرضيَّة اليمانيَّة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بسطة : من قرى منطقة عُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

بِسْل — بكسر الباء الموحدة وإسكان السين المهملة وهم يكسرونها وآخره لام — وادٍ ذو قرى ومزارع ، سكانه العُصَمَة وغيرهم من عتيبة ، فى إمارة الطائف .

آل بُسْهام (انظر أبو سهام) حرف السين .

البسيس : (انظر مقوة) حرف الميم .

البسيط : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البشاطي[1] : قرية لبني سهم ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البشاع (؟) : من قرى السُّوَيْق ، في ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة .

بشام : من قرى محايل ، بمنطقة بلاد عسير .

البَشَامة — واحدة البشام الشجر المعروف — : قريةمن قرى بنى حريص من أعمال العارضة ، في منطقة جازان .

البشامة : قرية سكانها بنو رزق من قرى العرضية اليمانية ، فى منطقة إمارة مكة المكرمة .

بشامة : من قرى مركز باشوت ، بمنطقة بيشة ، فى إمارة بلاد عسير .

بشامة : هجرة من أعمال عتْوَد ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

آل بَشِتَّه — بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة بعدها تاء مثلثة مفتوحة مشددة فهاء — : من قرى آل حوراء من بني مُنْبِح الشام من بالأسمر ، بوادي حوراء ، من إمارة بلاد عسير .

آل بشر : من قرى أحد رُفَيْدَة ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

بشرة : منطقة ذات قرى في بلاد بني مالك (بَجِيلَة) مركزها القريع ، من إمارة الطائف .

---

(١) كذا فى البيان .

بَشْعَةُ : — بفتح الباء وإسكان الشين المعجمة وفتح العين المهملة فهاء — : من قرى العبادل من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان .

البشماء : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة عسير .

البُشُورُ[1] من قرى الحموم ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البُشُوكُ : من موارد قبيلة حرب ، بمنطقة إمارة حايل .

آل بَشِيرٍ : من بني عاصم ، بمنطقة السايلة ، في بلاد بني مالك، من إمارة الطائف

بَشِيرٌ :— بفتح الباء وكسر الشين المعجمة فياء مثناة تحتية ساكنة فراء — : من قرى غامد ، بمنطقة إمارة الباحة .

البشيرية : من قرى صَبْيا ، بمنطقة جازان .

بشيش : من قرى منطقة الحايزة ، فى إمارة مكة المكرمة .

البصاخة (؟) : من قرى بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البُصُرُ : — بضم الباء الموحدة والصاد المهملة بعدها راء : — من قرى بريدة فى منطقة القصيم (وهى خَبٌّ) .

البصرة (؟) : من قرى المَنْدَق ، في منطقة إمارة الباحة .

البصرة : من قرى ظهران الجنوب ، في منطقة إمارة عسير .

البصلان : من قرى حديد ، في بلاد بني سعد ، في إمارة الطائف .

البصم : من قرى وادي إضم — في الليث — في إمارة منطقة مكة المكرمة .

بَصْوَةُ : — بفتح الباء الموحدة وإسكان الصاد المهملة بعدها واو مفتوحة فهاء : قرية من أعمال سامطة ، بمنطقة جازان .

البصيرة : من قرى آل موسى من بالحارث ، بمنطقة المريفق ، من إمارة الطائف .

البصيرة : من قرى الأعصاب من سفيان من ثقيف ، بمنطقة الشفا ، في إمارة الطائف .

البَصِيرِي : — بفتح الياء وكسر الصاد المهملة بعدها راء مكسورة فياء مثناة تحتية : بمنطقة القصيم من هجر بني عمرو من حرب .

---

(١) لعل الصواب (قرية البشور وهم فخذ من قبيلة حرب) .

بصيص : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بضـــا : من قرى بني مالك ، في وادي شوقب ، في إمارة الطائف .

البضاضة : قريتان من قرى نجران : إحداهما سكانها دهم والثانية سكانها آل حارث في وطن زور الحارث .

البضع : من قرى تَثْلِيث ، في منطقة إمارة بلاد عسير .

بَضْعَةُ ـ بفتح الباء وإسكان الضاد المعجمة ، بعدها عين مهملة فهاء ـ من قرى البهشة من بني الأحمر ، في إمارة بلاد عسير .

بضعة : من قرى نازلة من بالأحمر ، تابعة لقرية آل عَزَّة ، في إمارة بلاد عسير .

بضير (؟) : من قرى محايل بمنطقة بلاد عسير .

البضيع : من قرى جدة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البُطاحُ ـ بضم الباء وفتح الطاء المهملة بعدها ألف فحاء مهملة ، وهم يسكنون الباء كنطق العامة غالباً ـ : وادٍ من أدوية الرس ، بمنطقة القصيم ، فيه قرية بهذا الاسم

بَطَّاحَة : بفتح الباء والطاء المهملة المشددة بعدها حاء مهملة فهاء ـ من هُجر المغايرة من الرُّوَقة من عُتيبة ، بمنطقة عفيف في إمارة الرياض .

البِطارية : من قرى منطقة القوز ، في إمارة مكة المكرمة .

البِطاطيس : من قرى القنفذة ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

البِطانُ : من موارد العِضْيان ، بمنطقة عفيف ، من إمارة الرياض .

البَطَحُ ـ بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وآخره حاء مهملة ـ : من قرى بني قاعد من بالعَدْمَة ، من بالأسمر ، في أصدار تهامة من إمارة بلاد عسير .

البطح : قريتان من قرى صبْيا ، إحداهما البطيح الشامى والآخر البطح اليماني ، في منطقة جازان .

البطح : من قرى بنى قيس ، بمنطقة جازان .

بطح : من قرى منطقة غُميقة ، في إمارة مكة المكرمة .

البطحاء : من قرى أحد رُفَيْدَة ، في منطقة أبها من إمارة بلاد عسير .

البطحاء : هجرة لبني مُرَّة ، بمنطقة حَرَضٍ ، في المنطقة الشرقية .

بطحا : من قرى حرب وبني عبس في إمارة مكة المكرمة .

بطحاء : من قرى صمخ ، بمنطقة بيشة ، فى إمارة بلاد عسير .

بطحان : من قرى الكامل ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بطحان : من قرى العارضة . بمنطقة جازان .

بطحان : من قرى فيفا ، بمنطقة جازان .

البطحاوى : هجرة للهواملة في منطقة الأفلاج ، من إمارة الرياض .

بَطحاْوَيْن – بفتح الباء الموحدة فطاء مهملة ساكنة ، فحاء مهملة مفتوحة بعدها ألف فواو مفتوحة فياء مثناه تحتية ساكنة فنون ، كأنه مثنى بطحا – : من قرى حايل ، بقرب مَوْقق سكانها آل بُريك من سِنْجارة من شمَّر .

البطحة : (انظر وطن) حرف الواو .

بَطْحةُ : بفتح الباء وإسكان الطاء المهملة وفتح الحاء المهملة أيضا و خره هاء – من قرى بني شِهْر لآل العلا من آل محمد بجبل ثربان ، في إمارة بلاد عسير .

بُطْحِي : بضم الباء وإسكان الطاء المهملة وكسر الحاء المهملة أيضا وآخره ياء – من مياه الصعوب من مطير ، بمنطقة الحسو ، (الحِسْي) .

البَطْنُ : بفتح الباء الموحدة وإسكان الطاء من قرى بني شَهْر ، لآل ليمان من أل أبو ريَّاع [1] (بُرَيَّاع) بأعلى جبل مَنْعا في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

البَطْنُ : على الاسم المعروف– وادٍ فيه مياه ملحة لآل عاطف من قحطان ، بقرب الرَّيْن بمنطقة القويعية ، من إمارة الرياض .

البَطِنُ : بفتح الباء وكسر الطاء وآخره نون : من قرى العتبة . من آل السعيدى من آل سعد من بالأسمر ، في جبل ضرم ، في إمارة بلاد عسير .

البطنات : من قرى صمخ ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

البِطْنَةُ – بكسر الباء الموحدة ، وفتح الطاء المهملة بعدها نون مفتوحة فهاء : من قرى مكة المكرمة .

---

(١) بالياء المثناة التحتية أصله (رجاع) وهم يبدلون الجيم ياء فى بعض الكلمات .

بطنة : من قرى شهران بمنطقة بيشة ، من إمارة مكة المكرمة .

البُطَيْحُ : بضم الباء وفتح الطاء المهملة بعدها ياء ساكنة فحاء مهملة : قريتان من قرى الجعافرة إحداهما البُطَيح الشامية ، والأخرى البُطَيح اليمانية ، بمنطقة جازان .

بُطَيْحان : من موارد وِلْد سَلِيم من حرب ، بقرب السُّلَيمى ، بمنطقة إمارة حايل .

البطيحة : (انظر وطن) حرف الواو .

البطيش : هجرة للمكارمة في نجران[1] .

البَطِيشُ : بفتح الباء الموحدة وكسر الطاء المهملة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، فشين معجمة : حِلَّةٌ بقرب واد خلب ، بمنطقة جازان .

البُطَيْلَةُ : بضم الباء الموحدة فطاء مفتوحة موصدة ، بعدها ياء مثناة ساكنة فلام مفتوحة فهاء : من قرى زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

البُطَيْنُ : تصغير بطن ــ منطقة زراعية بقرب بريدة ، بمنطقة القصيم .

البَطْنِ : بفتح الباء وكسر الطاء : من قرى بني قاعد من بالْعَذْمة من بالأسمر ، في وادي خُرْص ، من إمارة بلاد عسير .

البطين : من قرى قنا والبحر ، في إمارة بلاد عسير .

بَطِينُ أُشَيْقِرٍ : بفتح الباء الموحدة وكسر الطاء وإسكان المثناة التحتية وآخره نون ، مضاف إلى أشيقر تصغير أشقر ، البلدة المعروفة : قرية بقرب أشيقر من قرى شقراء ، في منطقة إمارة الرياض .

البُطَيْنُ : بضم الباء وفتح الطاء ــ قرية من أعمال العارضة ، في منطقة جاران .

بَعَّاجٌ : بفتح الباء الموحدة والعين المهملة مشددة بعده ألف فجيم : من مياه الرَّوَقَة في أسفل وادي الشبرم بمنطقة عفيف ، من إمارة الرياض .

البعاسيس (؟) : من قرى حرب وعبس في منطقة القنذة ، في إمارة مكة المكرمة .

البعاشيب : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

---

(١) كان في البيان (جازان) .

البَعَايث : بفتح الباء والعين المهملة بعدها ألف فياء مثناة تحتية مكسورة فثاء مثلثة ، جمع بَعيثة : من قرى منطقة حايل ، فيها مركز وسكانها ولْد سَليم من حرب .

البَعْجُ : بكسر الباء الموحدة وإسكان العين المهملة وآخره جيم : من مياه وادي واسط بمنطقة الدوادمى ، في إمارة الرياض .

البَعْجاءُ : بفتح الباء وإسكان العين المهملة ، وفتح الجيم بعدها ألف ممدودة : والعامة تسكن الباء وتفتح العين : من قرى بُريدة بمنطقة القصيم ، في وادي المياه لقوم من بني عمرو من حرب .

بَعَرَةُ — بباء موحدة فعين مهملة فراء كلها مفتوحة فهاء : من قرى زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

بُعْقَةُ : بضم الباء وإسكان العين المهملة ، بعدها قاف مفتوحة فهاء : من قرى تهامة زهران ، بمنطقة إمارة الباحة .

بُعَيْثِرانُ : بضم الباء وفتح العين المهملة وكسر الثاء المثلثة بعدها زاء مفتوحة فألف فنون — من قرى القويعية ، فى منطقة إمارة الرياض .

البُعَيْثْرانةُ : واحدة البعيثران النبت المعروف — وادى البعيثرانة من أودية بلاد بلحارث ، بمنطقة إمارة الطائف .

البَعِيثَةُ : مورد بقرب قُبَةَ ، من موارد حرب بمنطقة إمارة حايل .

البَعِيثَةُ أيضا : من هجر البدارين[1] من بني عمرو من حرب ، غرب القصيم ، بمنطقة إمارة القصيم .

بُعَيْجٌ : من مياه بني مُرَّة ، في سلوا[2] في المنطقة الشرقية .

البُعَيْجاءُ : تصغير البعجاء — من قرى منطقة إمارة حايل ، بقرب الحايط ، سكانها البرَّاك من بني رَشيد .

---

(١) وأحدهم بدرانى . وهناك (البدارين) من الدواسر أيضا .

(٢) القاعدة (سلوى) ولكنا سرنا على قاعدة كتابة الكلمة كما تلفظ .

بُعَيْجان : بضم الباء[1] وفتح العين المهملة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فجيم فألف فنون : من قرى منطقة إمارة حايل .

البعيرة : من قرى محايل ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البغث[2] : من قرى خيبر ، بمنطقة أبها في إمارة بلاد عسير .

بغوان : من قرى قبيلة يام في نجران .

البقاء : من قرى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البقار : من قرى ظهران الجنوب ، في منطقة إمارة عسير .

البِقّاع : من بلاد بني مالك في جبل طلان ، بمنطقة جازان .

البقاع : من قرى منطقة الجموم ، فى إمارة مكة المكرمة .

البقاع : بكسر الباء الموحدة وفتح القاف بعدها ألف وآخره عين مهملة : قرية من قرى جُهينة في ينبع ، بمنطقة إمارة المدينة .

البقاقير : من قرى المظُيلّف ، في إمارة منطقة مكة المكرمة .

بقران : (أنظر وادي بقران) حرف الواو .

البَقَرة : على اسم الحيوان المعروف : من موارد المُقَطة والنفعة من عُتيبة ، بمنطقة عفيف ، في إمارة الرياض .

بَقْرَةُ : بفتح الباء وإسكان القاف بعدها راء مهملة فهاء — واد[3] من بلاد بني شهر في تهامة ، سكانه بنو بَقْرة وهو من روافد وادي الغيل الذي يسيل إلى حَلي ، فيه قرى كثيرة — وهو من إمارة بلاد عسير .

بَغْزَة : بفتح الباء الموحدة وإسكان القاف وفتح الراء وآخره هاء — من قرى بني شِهْر لأثرب[4] منهم بجبل أثرب ، في تهامة ، في إمارة بلاد عسير .

---

(١) العامة تسكن الباء (بعيجان) .

(٢) وهناك بغث وبغيث (أبو بغيث) من أودية خيبر التى بمنطقة إمارة المدينة .

(٣) يظهر أن الوادى سمى باسم سكانه .

(٤) يسمى الفخذ باسم الجبل ، واسم الفخذ القديم سفيان .

بقرة الشاطئ : من قرى بني سهم ، بمنطقة مكة المكرمة .

بَقْعاء : بفتح الباء وإسكان القاف بعدها عين مهملة مفتوحة فألف ممدودة : قريتان في منطقة حايل ، إحداهما بقعاء اللويمي ، والأخرى بقعاء الشمالية سكان بقعاء الشمالية (الشرقية) آل جعفر من شمر وسكان بقعاء اللويمي الأساعدة من عتيبة .

بَقْعاءُ : من موارد الجهوم من سُبيع ، بمنطقة رنْيَة في إمارة مكة المكرمة .

آل بقعاء : في ظهران الجنوب ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البقعة : من قسرى ظهران الجنوب ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البُقْعَة : بضم الباء وإسكان القاف وفتح العين المهملة بعدها هاء : من قرى فيفا ، بمنطقة جازان .

البقعة : قرية من أعمال العارضة ، في منطقة جازان .

البقعة : من قرى بني مالك ، بمنطقة جازان .

البُقْعَةُ : من قرى جبل الحشر ، بمنطقة جازان .

بقعة : محلات في فيفا ، بمنطقة جازان ، منها :

١ ــ بقعة آل رُوعة .

٢ ــ بقعة آل أمعمامي (العمامي) .

٣ ــ بقعة آل متعب .

٤ ــ بقعة آل محمد .

٥ ــ بقعة آل يزيد .

٦ ــ بقعة آل حسن قاسم .

بُقْعَةُ الحوابرة : من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان .

بُقْعَةُ الكُعُوب : من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان ــ جمع كَعْب ــ من قرى العبادل

بقعة اللاَّوات : من قرى العبادل ، من أعمال العارضة ، بمنطقة جازان .

البقعية (؟) : من قرى المهد ، بمنطقة إمارة المدينة .

البقم : من قرى بني يوسف من ثقيف بَرْعة ، في إمارة الطائف .

البقما : من قرى قنا والبحر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

البقوع : من قرى رابغ ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بَقَّةُ : بفتح الباء وتشديد القاف المفتوحة بعدها هاء: من قرى بُقَيْق في المنطقة الشرقية .

ابن بقة : (انظر قرن ابن بقة) حرف القاف .

بُقَيْع : من موارد الملوح من سُبَيع ، بمنطقة رَنْيَة ، في إمارة مكة المكرمة .

بُقَيْعاء : بضم الباء وفتح القاف فعين مهملة مفتوحة ، فألف ممدودة : قريتان من قرى بُريدة يفرق بينهما فيقال: بُقيعا الشمالية، وبقيعا الجنوبية (أو اللهيب) فى منطقة القصيم ، والشمالية من قرى بنى سالم من حرب ، والجنوبية (بقيعاء اللهب) لحرب أيضا .

بُقَيْق[1] : بضم الباء وفتح القاف وإسكان الباء (المثناة التحتية) بعدها قاف .

بلدة يتبعها عدد من القرى ، في المنطقة الشرقية .

البكارية : من قرى القوز ، في إمارة مكة المكرمة .

البَكْرُ: بفتح الباء الموحدة وإسكان الكاف فراء : واد فيه قرية بهذا الاسم في منطقة حايل ، وسكانها آل جُحَيْش منْ الأسلم من شمَّر .

بني بَكْر : بكسر الباء وإسكان الكاف وآخره راء — وتدعى بكر النمّاص ، من قرى بني شهر ، في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

آل بكرة : من قرى أبها ، بمنطقة إمارة عسير .

البكرى[2] : من مياه ضريَّة ، في منطقة إمارة القصيم .

البُكَيْرُ: بضم الباء وفتح الكاف بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فراء : من قرى غامد ، بمنطقة إمارة الباحة .

---

(١) يكتب الاسم خطأ (ابقيق) مضاهاة لنطق العامة والكتابة الإفرنجية المتأثرة بذلك .

(٢) البكرات قديما .

ال بُكَيرَة : بفتح الكاف وهم بفتحون الباء الموحدة أيضا لعل الصواب ضمها : من قرى بني شهر لآل الأجلح (ليلح)[1] من بني التم في السراة ، في إمارة بلاد عسير .

البكيرية[2] : بضم الباء الوحدة وفتح الكاف وإسكان الياء المثناة التحتية فراء مكسورة فياء أيضا مشددة مفتوحة فهاء — من مدن القصيم المعروفة .

البُكَيْرِية : (انظر قصور البكيرية) حرف القاف .

البلاح : من قرى جدة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البلادُ : بكسر الباء وفتح اللام بعدها ألف فدال مهملة : يطلق هذا الاسم على بلدة الزُّلفي عند أهلها (انظر الزُّلفي) .

بلاد دال عُلَيَّة (انظر آل علية) حرف العين

بلاد بني مليك (انظر مليك) حرف الميم .

البلاَّزِيَّة : بفتح الباء بعد ها لام مفتوحة مشددة فزاي مكسورة ، فياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة فهاء : كانت هجرة للشملان من عَنَزَة[3] فهجرت الآن ، وهي بمنطقة إمارة حايل .

البلاص : من قُرَى رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بلاعى : قرية فى تثليث ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بلاقة : من فزى القنفذة ، في بلاد حرب وعبس ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

آل بلال : من الشبان من بني على ، بمنطقة عردة[4] في بلاد بني مالك في إمارة الطائف.

---

(١) يبدلون الجيم ياء ويحذفون الهمزة .

(٢) وفيها حدث الوقعة المعروفة سنة ١٣٢٢ وهى إحدى الوقعات الفاصلة التى يؤرخ بها أهل نجد ، عند قيام المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لتوحيد أجزاء هذه البلاد ، تحت راية واحدة .

(٣) عدها الريحانى فى كتاب « تاريخ نجد الحديث » من هجر شمر خطأ .

(٤) هو عردات فى معجمات المواضع .

بلجرشي [1] . بفتح الباء الموحدة وإسكان اللام وضم الجيم وفتح الراء وكسر الشين المعجمة بعدها ياء : مدينة في سراة غامد ، بمنطقة إمارة الباحة .

بَلْجُرَشِي : أيضا من قرى غامد ، بمنطقة إمارة الباحة .

بَلْحارث (انظر بني الحارث) حرف الحاء .

بَلْحصُين : (انظر بني الحصين) حرف الحاء .

بَلحْمَر : (انظر بني الأحمر) حرف الألف .

البلحة : من قرى منطقة الجائزة ، في منطقة مكة المكرمة .

آل بلحي : في سراة عَبِيدة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

آل بَلْخُبَيْب : (انظر بني الحبيب) حرف الحاء .

آل بالزرع : (انظر بني الزرع) ، حرف الزاي .

بالزَّين : (انظر بني الزين) حرف الزاي .

آل بلد : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

بلسا : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

بَلْسَلْيَة [2] : من قرى بلجرشي ، بمنطقة إمارة الباحة .

بَلسَّمر : (انظر بني الأسمر) حرف الألف .

بَلْعَبْل : (انظر أبا العبل) حرف الألف .

بَلْغَتن : من قرى أبها ، قاعة بلاد عسير .

بَلْعَذْمة : (انظر بني العذمة) حرف العين .

---

(١) يظهر أن أصل الاسم (أبا الجرشى) وكان ينبغى أن يذكر فى موضعه ، ولكن لكثرة استعماله أصبح كأنه كلمة واحدة بحيث لايعرف إلا هكذا .

(٢) يظهر أن أصل الكلمة (أبا السلية) ولكنها أصبحت الآن لاتعرف إلا بهذا الاسم .

بَلْعَلا : (انظر بني العلاء) حرف العين .

بَلْعُوم : بضم الباء وإسكان اللام وضم العين المهملة بعدها واو وفيم — من مياه الفردة من مسروح من قبيلة حرب ، في إمارة القصيم .

بَلْغَةُ : بضم الباء الموحدة فلام ساكنة ، فغين معجمة فهاء : وادٍ فيه قرية بهذا الاسم ، تابعة لإمارة القصيم وأهلها من بنى عمرو من حرب (العُمور) وقد تلحق بإمارة المدينة .

بلقاء : قرية سكانها آل سالم من قبيلة يام ، في بخزان .

بلقان : من قرى إضم في اللّيث — بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بلقباش : (انظر القباش) حرف القاف .

البلقة : قريتان إحداهما (البلقة شمرخة) والأخرى (البلقة الحديثة) بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بلقة : قريتان : بلقة المضرم ، وبلقة المعملة ، في بلاد رجال ألمع ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بلقى ابقرة[1] : من قرى حَلي ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

بلة : قرية سكانها آل شرمة من يام ، في نجران .

البلهاء : من قرى اللّيث ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

بَلْهَيْثم[2]: من قرى دوقة ، وأخرى من قرى القوز كلاهما فى إمارة مكة المكرمة .

البلى : من قرى سراة عَبيدَة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

---

(١) كذا فى البيان .

(٢) يظهر أن أصل الاسم (بنوالهيثم) ثم أصبح علما على الموضع ، ولهذا لم نذكره فى حرف الهاء

بليدة : بالتصغير – من مياه الروقة شرقي كشب ، بمنطقة المويه من إمارة مكة المكرمة .

بليس : من قرى حرب وعبس من أعمال القنفدة بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البليص : من قرى القنفذة فى بلاد حرب وعبس ، بمنطقة أمارة مكة المكرمة .

بُلَيْغَة : بضم الباء وفتح اللام وإسكان الياء المثناة التحتية ، بعدها غين معجمة مفتوحة فهاء : قرية في وادي بُلْغة ، من قرى الحسو (حِسْي عليا) بمنطقة إماة المدينة ، وقد تلحق بإمارة القصيم مثل بلغة .

بُلَيْلِجَة : من موارد المقطة من عُتيبة في منطقة عفيف ، من إمارة الرياض .

آل بلية : من قرى نجران .

البُلَيْهِيَّةُ : بضم الباء[1] الموحدة وفتح اللام وإسكان الياء المثناة التحتية فهاء مكسورة فياء أيضا مفتوحة مشددة ، فهاء : من قرى بريدة ، بمنطقة القصيم .

البناء : من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

البنان : من قرى المظيلف ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

البَنَانَةُ : بفتح الباء الموحدة بعدها نون مفتوحة فألف فنون مفتوحة فهاء : من قرى منطقة حاية يل بقرب الغزالة ، وسكانها آل عليان من شهر .

البناة : من قرى بنى مالك ، فى إمارة الطائف .

البَنَايَةَ : من قرى مدركة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البناية : بفتح الباء والنون بعدها ألف فياء مثناة تحتية فهاء : من قرى بَيْش ، بمنطقة جازان .

---

(١) يلاحظ أن العامة غالبا يسكنون أول الاسم فيقولون (البليهية) بإسكان الباء هنا أو فى أمثال هذا الاسم .

بَنْبانُ : بفتح الباء الموحدة وإسكان النون ثم باء أيضا مفتوحة بعدها ألف فنون : من قرى الرياض ، فيه إمارة يتبعها موارد للبادية ، من إمارات الرياض .

بنش (؟) : من قرى بالأسمر والأحمر ، بمنطقة إمارة بلاد عسير .

بالنُّعْمان[1] : باء مفتوحة فنون مضمومة مشددة فعين مهملة ساكنة فميم مفتوحة فألف فنون : قرية في تهامة غامد ، بمنطقة إمارة الباحة .

البِـني : بكسر الموحدة والنون مشددة قرية البني من الثمور ، بمنطقة الهَدَة ، في إمارة الطائف :

البنياء : من قرى بني سعد ، في إمارة الطائف .

البو : من قرى بني مالك ، في إمارة الطائف .

بوحداية (انظر أبو حداية) حرف الألف .

بوسليك (انظر أبو سليك) حرف الألف .

بُواء : بضم الباء الموحدة وفتح الواو بعدها ألف ممدودة — واد ذو قرى ، أهلها من بني مالك ، في إمارة الطائف[2] .

آل بواح : من قرى أبها ، من إمارة بلاد عسير .

البواردة : من قرى إضم سكانها بنو عثمان ، بمنطقة الليث ، في إمارة مكة المكرمة

البوازلة : من قرى المظيلف ، في منطقة إمارة مكة المكرمة .

البواشرة : من قرى الشاقة ، بمنطقة إمارة مكة المكرمة .

البَواطِنُ : بالباء الموحدة مفتوحة فواو بعدها ألف فطاء مهملة مكسورة فنون — من قرى بني شِهْر ، لآل خميس من بني زهير ، بوادي القضي بتهامة في إمارة بلاد عسير .

---

(١) أوردنا هنا وأن كان الأصل (بنو النعمان) لأن الأسم أصبح علما على قرية .

(٢) انظر كتاب « في سراة غامد وزهران » تأليف حمد الجاسر .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

حوضى ورشة

. . . قرأت في « معجم البلدان » أن حوضا ماء لبني طهمان بن سلمة بن سكن إلى جنب جبل في ناحية الرمل .

وحوضا جبال تقع شرق وادي رنية غير بعيدة . فهل هي المذكورة في « معجم البلدان » ومن هم بنو طهمان ؟

رنية — محمد بن سعد السبيعي

العرب : أفضل الباحث المحقق الأستاذ سعد بن عبدالله بن جنيدل بتحديد موقع حَوْضا ، وها هو ذا ما كتبه في الموضوع .

أما طهمان فهو شاعر مشهور عاش في أول العهد الأموي . ووصل إلينا طرف من شعره في ديوان مطبوعاً . وقد كتب المستشرق الألماني المسلم سالم الكرنكوى (فريتس كرنكو) F. Krenkow عن هذا الشاعر بحثاً نشر في « دائرة المعارف الإسلامية[1] المعربة) .

حَوْضَى : بفتح الحاء المهملة وسكون الواو ، ثم ضاد معجمة وألف مقصورة : هضبة كبيرة ، واسعة بنيّة اللون ، ينصّفها طريق سهل ، يسمى : ربع الحاج ، يمر منه حجاج وادي الدواسر تحفّ بها من الشمال برقة واسعة . ، ومن الغرب تمتد منها صوب الشمال كثبان رمل بيضاء تسمى البُتْر ، واحدها بَتْراء ، وفي الشمال منها خبراء واسعة تمتلئ بمياه الأمطار ، وجنوباً منها يقع ماء وَرْشَة عدٌّ مشهورٌ ، ترده القوافل المتنقّلة بين بلدان وسط نجد وبلدة بيشة ، وفي الشمال منها تقع جفرة الصّاقب ، وفي الشمال الغربي منها رمل عِرْق سبيع ، وهي واقعة في ملتقى بلاد عُتيبة ببلاد سُبيع ، أما قديماً فإنها كانت في ملتقى بلاد أبي بكر بن كلاب ببلاد عُقيل .

(١) ج ٥ ص ٥٢٥

قال الأصفهاني : "حوْضا جبل" ، وله ماءة ، وهي لعبد الله بن كلاب ، وقال أيضاً :

ومن بلاد عبدالله بن كلاب ماءة تسمّى : "حوْضا" ، وفيها يقول الشاعر :

كأنّا رَمَتْنا بالعيون عشيـــة جآذرُ حوضا من عيون البراقع

وقال : معقل بن ريحان الكعبي من بني كعب بن عبدالله بن أبي بكر :

جبلنا الخيـــل من حوضا وخوّ نجوب الليل إدائـــة النّقال
ومن ظـــلم ومن جنبي شراءٍ ومما بين ذاك من المَطـــالى
ومن هضب القليب وجانبيه نُخيّبُ شطائباً خبّ السعالى[1]

وقال ايضاً عن العامرى : قال :

وحلّت بالبغاث بغاث "حوْضى" شآبيب تُحفر فى الرّغاب
وبالأعراض حتّى كلّ عرض من الأعراض مطرد الحبـــاب

البغاث : بُرَقٌ بيض ، وحوضا من أقصى بلاد أبي بكر .

والأعراض ، أعراض اليمامة ، وهى أودية وجبال فيها نخل ، وقال :

يا صاحبي قفا على الأطـــلال بالخلّ فالضّفرات من أورال
فبحوضيين إلى براق نواضـــح قد طال ما بقيت على الأحوال

وعنى حوضا عبدالله بن كلاب ، من أقصى دار كلاب . وقال ابو مهدي : هي براق ونواضح . وحوضيان ماءان لبني كلاب . وهما عامّان لهما كلّهم ، وكذلك قال العامريّ[2] .

قلت : ما ذكره الأصفهانى عن حوضى في وصفها الخغرافي يدل على أن حوضى جبل وفيه ماء حوله أبارق ، وأنه في ملتقى بلاد كلاب ببلاد عقيل . وحوضى التي

---

(١) بلاد العرب » ١٤٠-١٤١

(١) « بلاد العرب » ١٦٥-١٦٧

تحدثت عنها كذلك ، جبل وحوله بُرَقٌ ، ورمل ، وماؤه يسمى ورشة ، وهي في ملتقى بلاد كلاب ببلاد عقيل .

وقال ياقوت : (حوضى بالفتح ثم السكون ، مقصور ، بوزن سكرى ، فهو لا ينصرف معرفة ولا نكرة للتأنيث ولزومه : وهو اسم ماء لبني طهمان بن عمرو ابن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب إلى جنب جبل في ناحية الرمل ، وقد أكثر شعراء هذيل من ذكر هذا في شعرهم ، فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها ، قال أبو خراش :

فأقسمت لا أنسى قَتِيلا رُزِئْتُه ... بجانب حوضَى ما مَشَيتُ على الأرض

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد منتقلا ... كأنه كوكب في الجو منفردُ

وقرأت في « نوادر أبي زياد » : حوضى نجد من منازل بني عقيل . وفيه حجارة صلبة ، ليس بنجد حجارة أصلب منها ، قال ذو الرمة :

إذا مابدت حوضى وأعرض حارك ... من الرّمل تمشي حوله العين أعفر

وقال القتال الكلابي :

وما أنْس م الأشياء لا أنسى نسوةً ... طوالعَ من حوضى وقد جَنح العَصْرُ
ولا موقفى بالعرج حتى أجنّها ... علىّ من العرجين أسترةٌ حُمْرُ
طوالع من حوضى الرداه كأنها ... نواعم من مرّان أوقرها النَّسْرّ
بشرقي حوضى أخرتني منازل ... قفار جلالي عن معارفها القَطْر
تُنيرُ وتسدي الريح في عرصاتها ... كما نمنم القرطاسَ بالقلم الحَبْرُ
وخيط نعامى الرّبد فيها كأنها ... أباعرُ ضُلال بآباطها نشرُ

قلت : ما ذكره ياقوت في تحديد حوضى لا يختلف عما ذكره الأصفهاني إلا أنه قال : هي في بلاد هذيل أو قريبة منها لأن شعراء هذيل أكثروا من ذكرها، ويبدو

لي أن حوضى الواردة في شعر الهذليين غير حوضى التي تحدثت عنها ، وكذلك الواردة ذكرها في شعر ذي الرُّمة .

وقد ذكر البكري موضعاً اسمه حوضى ، فقال : وبحوضى مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيره إلى تبوك[1] .

وقال السمهودي : في ذكر مساجد غزوة تبوك : (الثاني عشر : بصدد حوضى . بالحاء المهملة ، والضاد المعجمة ، مقصور ، كما وجد بخط ابن الفرات ، واقتصر عليه المطري ، وقال المجد ، مع ذكره لذلك في أسماء البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادي القرى وتبوك ، قال وهناك مسجده صلى الله عليه وسلم ، انتهى. وهو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذي الحليفة وبين مسجد صدر حوضى في ذنب حوضى ، ومسجد آخر في ذي الحليفة من صدر حوضى ، والمغايرة هي التي في تهذيب ابن هشام، ولعل صدر حوضى هو المعبّر عنه بسمنة ، في رواية ابن زبالة ، فإنه كما سيأتي ماء قرب وادي القرى . وفي نسخة المجد في حكاية روايته : ومسجد بذنب حويضى بدل قوله بسمنة)[2] .

ويحتمل أن حوضى الواردة في شعر الهذليين هي التي وردت فيما ذكره البكري والسمهودي ، فهي في الحجاز ، وبلاد الهذليين حجازية[3] .

أما حوضى الواردة في شعر ذي الرّمة فإنها واقعة في بلاد تميم في أسفل البلاد ، في الدهناء ،

وقد أكثر من ذكرها في أشعاره ، قال :

ألا حيّ ربع الدار قفراً جنُوبُهـا ... بحيث انحنَى من قِنْع حوضى كَثِيبُها
ديار لميٍّ أصبـح اليـوم أهلهـا ... على طِيَّةٍ زوراء شتّى شعوبهـا

---

(١) معجم ما استعجم ٢-٤٧٦ (٢) وفاء الوفاء ١٠٣٠

(٣) حوضا التى بين وادى القرى وتبوك بعيدة عن بلاد هذيل الواقعة حول مكة على مقربة منها فهى حوضا ثالثة إذا لم يكن هذا الأخير بالصاد المهملة (حوصا) وهذا ما رجحه بعض المتأخرين من الباحثين حيث يوجد فى تلك الجهة حوصا وسمنة معروفين على تباعد بينهما وانظر « شمال المملكة » أحد أجزاء « المعجم الجغرافى »

وقـــال :

فما ظبيـــة ترعى مســـاقط رملـــة ... كَسَا الواكفُ الغادي لها ورقا نضرا
تلاعا هراقت عنـــد حوضى وقابلت ... من الحبـــل ذي الأدعاص آملة عفرا
رأتْ أنســـاً عند الخَـــلاء فأقبلت ... ولم تبـــد إلا في تصرُّفهـــا ذُعْرا
بأحْسَنَ من ميٍّ عشمة حـــاولت ... لتجعـــل صـــدعا فى فؤادك أو وقرا

وقال :

فأشرفت الغَـــزالة رأس (حوضى) ... أراقبهـــم ومـــا أغـــنى قبـــالا
كـــأنى أشهـــل العينين بـــازٍ ... على علياء شبه فاستحـــالا
رأيتهـــم وقـــد جعلوا (فتـــاخـــا) ... وأجـــرعه المقـــابلة الشـــمالا
وقد جعلوا (السَّبيَّة) عن يمـــين ... مقـــاد المهر واعتسفوا الـــرّمالا
كـــأن الآل يرفع بين (حـــزوى) ... ورابية الخـــويّ بهم سيـــالا
وفى الأظعـــان مثل مهـــا (رماحٍ) ... علتـــه الشمس فـــادَّرع الظّـــلالا
تجـــوَّف كل أرطـــاة ربـــوض ... من الدّهنـــا تفرعت الحبـــالا

ذكر ذو الرمة في هذه القصيدة مع ذكر حوضى عدة مواضع كلها في رمل الدهنا أو في جانبه ، وهي : فتاخ والسبية وحزوى والخويّ ورماح والدهنا ، وهذا يدلنا على أن حوضى الواردة في شعر ذي الرمة في الدهنا .

وذكر ياقوت أيضا حوضاء بالمد وقال : جبل فى ديار بنى كلاب يقال له حوضاء الماء، وهناك آخر يقال له حوضاء الظّمء لطهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط ابن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وقيل حوضاء اسم ماء لهم يضيفون إليه الهضب .

قلت : ويبدو لي أنه لافرق بين حوضى مقصور وحوضاء بالمد ، فهو موضع واحد ، لأن ماذكره ياقوت في تحديد حوضاء بالمد ووصفها لا يختلف عما ذكره في تحديد حوضى بالقصر ووصفها ، وهو في الواقع جبل كبير له ناصفة تفريه ، وإلى جانبه ماءٌ عدٌّ ، يدعى في هذا العهد ورشة ، وهو في جانب رمل عرق سبيع (رمل عبد الله بن كلاب) وهي في هذا العهد للأشراف آل صامل وورشة تابعة لإمارة رنية ، تبعد عن رنية شمالا شرقيا مائة وخمسين كيلا .

الرياض — سعد بن عبد الله بن جنيدل

طهمان الكلابي

طهمان بن عمرو الكلابي : شاعر غير مشهور ، وبقي ديوانه في حين ضاعت دوواوين أهم منه . والزمن الذي عاش فيه معروف ، ذلك أن أمير الحرورية نجدة ابن عامر الحنفي أسره في بعض غزواته واتخذه دليلا ، وقد حاول أن يفر عندما أجنّه الليل ، فأخذ واحدا من خيرة الإبل وانطلق إلا أنهم اتبعوه على الخيل وأعادوه وقطع الحرورية يمناه في سرقة أتهموه بها ، فلما وفد على الخليفة عبد الملك أنشده أشهر قصائده وهي التي تفجع فيها على قطع يده.وهناك رواية أخرى تذهب إلى أن يده لم تقطع ، وإنما نظم قصيدته لكي ينجو من القصاص فقد كان في حانوت خمار فلما سكر كسر صندوق الخمار وسرق مافيه . وتذهب هذه الرواية إلى أنه أحضر إلى الخليفة الوليد ابن عبد الملك . ومما يؤيد أنه عاش إلى زمن الوليد قصيدة له مدح فيها هذا الخليفة خاصة وبني أمية عامة ، وثَمَّتَ أخبار وأشعار أخرى تشير إلى قطع يده مما يدل على أن الرواية الثانية من انتحال ناسخ يجهل الأشعار .

وكان طهمان دائم التوجع لفقد يده فكان يغطيها أبدا ، واتفق ذات يوم أن ذهب رجل من عشيرة أبي ربيعة بن عَبْدٍ إلى مورد ماء كان طهمان يستقي منه فرمى الرجل بالغطاء عن ظهر يده فاضمرها له طهمان حتى فاجأ الرجل وهو ينحني على شأن من شئونه وضربه بسيفه وظن أنه أصاب منه مقتلا في حين أنه جرح فقط ، ففر إلى اليمن ونزل على قبيلة الحارث بن كعب ووجد الأمان عند بني عبد المدان وهم من أشرف عشائر اليمن وبعث من هناك بأبيات يعلن فيها عن سروره بالانتقام لنفسه من تلك الفعلة . واختلف مع رجل آخر من قبيلة غني فقتله من أجل امرأة وفر هاربا واختفى عامين في جنوب اليمامة يتستر نهاره ويسرق الناس ليله ، ولم يكن راضيا بحاله تلك حتى مرّ به نفر من بني عمومته ، بني كلاب وأنشدهم أبياتا يستعطف فيها عامل المدينة فذهب أحدهم واسمه صدى بن قيس إلى المدينة فعفا عنه الوالي بعد دفع دية الغنوى ويستخلص من هذه الروايات المتفرقة أن طهمان عاش في النصف الثاني من

(١) ورد الاسم في دائرة « المعارف » المعرية ج ٥ ص ٥٢٥ (تهمان) في حرف التاء خطأ

القرن الأول للهجرة ، وكثير من مقطوعاته في الغزل قد نظمها في أثناء إقامته في اليمن ، ولعل ديوانه الصغير جزء من ديوان الشعر الذي جمعه أبو سعيد السكري وسماه « لصوص العرب » ولهذا الديوان ترجمة ألمانية قام بها رشر (O. RESCHER) ووردت متفرقات من أشعار طهمان في مصنفات أخرى ، وذكر في بعضها باعتباره من اللصوص واستشهد صاحب « لسان العرب » بشعره أربع مرات فقط (ج ٣ ص٤٩٢ ج ٢ ص١٣٢ ج ١١ ص٢٩٨ ج ١٣ ص ٤٣ و ٤٣٢) كما ذكر في البكري وياقوت والقالي في مواضع يعثر عليها في الفهارس ،

إمارات القصيم وقــراه

ووضع أحد الإخوة في صندوق بريد المجلة رسالة كتب في ظهرها اسم فواز ابن جابر ، وفيها : (اطلعت على مجلة « العرب » لشهر ذي القعدة سنة ١٣٩٦ وفيها بيان الإمارات ، ويؤسفني أن القصيم مافيه إلا خمس إمارات . . لأنه يجهلكم ، والقصيم فيه أكثر من مئة أمير وفيه ثلاث مئة قرية :

إن كنت لاتدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ونقول للأخ : هوّن عليك ، فأنا لا أدري ، وليس جهلي أو جهل غيري بشيء مجهول مصيبة :

والإمارات التي ذكرت في المجلة لا يُقصد بها مافهمه الأخ ، وإنما المقصود بها الإمارات التي ترتبط بها قرى أو أمكنة مأهولة للبادية ثم إن ذكر تلك الإمارات ليس قائما على أساس معرفتي أنا ، ولــكنه عن بيانات صادرة من جهات هي المسؤولة عن تلك الأمور ، وقد ذكرت مصادرها في أول البحث ، فيحسن بالأخ أن يعرف تلك المصادر أولا ، ثم يوجه العتب بعد ذلك إلى من يريد توجيهه إليه ، والمجلة مستعدة أن تنشر أسماء الإمارات المئة ، والقرى التي تبلغ ثلاث مئة ، متى وصلت إليها .

مكتبة العرب

* الملك الظاهر بيبرس :

وصدر لمعالى الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الخُوَيطِر — وزير المعارف كتاب « الملك الظاهر بيبرس » يحوي عرضاً عن حياته وكفاحه وما حققه من الأهداف التي سعى إلى تحقيقها[1] . ويقع في ثلاثة فصول :

١ — نشأته من ص ٧ إلى ١٣ .

٢ — سعيه للسلطة من ص ١٣ إلى ٢٧

٣ — توليه السلطة من ص ٢٧ إلى ١٤٢ .

والفصل الأخير أهم فصول الكتاب حيث يتضمن الكلام عن سياسة بيبرس الخارجية ، وحروبه مع الصليبيين . وعلاقاته بالممالك المجاورة للمملكة الإسلامية التي كان بيبرس يتربع على عرش حكمها من سنة ٦٥٨ إلى سنة ٦٦٥ تلك الفترة التي وصفها الدكتور عبد العزيز بأنها حالكة (من تاريخ الإسلام والمنطقة، قاد بيبرس فيها معارك المقاومة، وكسر أمواج مَدّ التتار ، وأضعف الصليبيين، وبدأ سياسته الناجحة في استرداد ممتلكات الإسلام في الشام من التتار الوافدين، ومن الصليبيين المقيمين)[2] .

وقد طبع الكتاب سنة ١٣٩٦ (١٩٧٦) بمطابع الأصفهانى وشركائه فى جدة طباعة حسنة فى ١٦٨ صفحة .

* ضرار بن الأزور :

« ضِرَار بنُ الأزْوَر ، الشاعر الصحابي الفارس » هو الحلقة التاسعة عشرة من سلسلة الكتب التى يصدرها الأستاذ المحقق الجليل عبد العزيز الرفاعي بعنوان (المكتبة الصغيرة) هو من مؤلفات الأستاذ ، رجع فيه إلى ثلاثين ونيف من أمهات المصادر القديمة والحديثة ، فجلّى حقائق سيرة هذا الصحابي الكريم ، وأزال شبهات وأوهاماً أُلصقت بها، وأورد طائفة من شعر ضِرَار . مصدراً يكلمة في تحليل شاعريته الأصيلة . وسلامته وأسلوب الأستاذ الرفاعي وعمق بحثه وشموله مما يعتبر الحديث فيه من فضول القول.

(١) المقدمة ص ٤

(٢) المقدمة ص ٤

ويقع الـكتاب في ٨٤ صفحة من القطع الصغير ، مطبوعا في مطابع الشرق الأوسط في الرياض هذا العام (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م)

*** كتاب « الجيم » :**

وأكمل (مجمع اللغة العربية) في القاهرة طبع كتاب « الجيم » لأبي عمرو الشيباني وهو من أقدم أصول كتب اللغة . وجاء في ثلاث مجلدات :

المجلد الأول — من باب الألف إلى باب الراء — مع مقدمة ضافية عن المؤلف وعن الـكتاب بتحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري ، ومراجعة الأستاذ محمد خلف الله أحمد من أعضاء المجمع ويقع في ٣١٥ صفحة .

المجلد الثاني من قسم من باب الراء إلى آخر باب العين بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي، ومراجعة الدكتور محمد مهدى علام من أعضاء المجمع ويقع في٣٤٨ صفحة.

المجلد الثالث : من باب الغين إلى حرف الياء آخر الحروف — وحققه الأستاذ عبدالكريم العزباوي ، وراجعه الأستاذ عبد الحميد حسن من أعضاء المجمع .

جاء في ٣٣٠ صفحة من القطع الكبير ، مطبوعا سنة ١٣٩٥(١٩٧٥)م طباعةجيدة، في القاهرة، بمطابع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، وكذا الجزءان الآخران وكل الأجزاء مشكلة الحروف ، ومجموع صفحاتها نحو ٩٩٣ صفحة . وعناية المحققين بارزة في كل صفحة من الصفحات وطريقتهم متفاوتة . وعمل المراجع ليس متميزا .

والـكتاب من مصادر الدراسات اللغوية القديمة .

*** التكملة والذيل والصلة :**

عمد اللُّغويُّ المعروف الحسن بن محمد الصغانى المتوفي سنة ٦٥٠ هـ لتكملة كتاب « الصحاح » للجوهري فألف هذا الـكتاب الذي يعد من المراجع اللغوية المهمة ، وقد قام مجمع اللغة العربية بنشر هذا الـكتاب فصدر جزءه الأول قبل بضع سنوات في ٥١٦ صفحة يحوي من المواد من أول حرف الألف إلى آخر حرف الجيم بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن رحمه الله :

وصدر الجزء الثاني بتحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري ومراجعة الأستاذ محمد خلف الله أحمد يحوي أبواب الحاء والخاء والدال والذال والراء ويقع في ٥٢٨ صفحة .

صدر الجزء الثالث بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ومراجعة الدكتور محمد مهدي علام يضم حروف الزاي والسين والشين والصاد ويقع في ٥٤٠ صفحة .

واخيرا صدر الجزء الرابع يحوي بقية باب الصاد وأبواب الضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء ويقع في ٥٨٨ صفحة بتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبد الحميد حسن — رحمه الله —

والأجزاء الأربعة مطبوعة طباعة جيدة في مطبعة دار الكتب .

ومن فضول القول الحديث عن قيمة هذا المعجم من الناحية اللغوية إذ هو من المصادر الأولى للغة ومؤلفه الصغاني من مشاهد علمائها وقد رجع في تأليف هذا الكتاب إلى مراجع كثيرة أصبح أكبرها مفقودا .

*** ديوان الأدب :**

وديوان الأدب من أول المعجمات العربية التي رتبت الكلمات بحسب الأبنية ومؤلفه إسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفي عام ٤٥٠ هـ من علماء الطليعة في اللغة وقد قام مجمع اللغة العربية بنشر الكتاب وصدر جزءه الأول في ٤٨٢ صفحة والجزء الثاني في ٥٠٢ في الصفحات الكبار . بتحقيق الدكتور أحمد مختار عمر أستاذ فقه اللغة المساعد في جامعة الكويت ومراجعة الدكتور إبراهيم أنيس من أعضاء مجمع اللغة العربية .

والكتاب من المصادر الأولى للغة وترتيبه بحسب أبنية الأفعال والطباعة جيدة والكلمات فيه مشكّلة .

*** كتاب الأفعال :**

ولمجمع اللغة العربية في سنيه الأخيرة نشاط محمود في نشر أمهات كتب اللغة ومصادرها الأولى ، فقد أكمل نشر كتاب « الجيم » ونشر أجزاء من كتاب « التكملة » ومما نشر أخيرا كتاب « الأفعال » لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السَّرَقُسْطي الأندلسي من أهل القرن الرابع الهجري ، وهو على ماجاء في مقدمة المحقق (أوفى وأكمل كتاب في الأفعال يقدَّم حتى الآن إلى مكتبتنا العربية) والكلمات فيه مرتبة بحسب ترتيب[1] الأفعال وقد صدر الجزء الأول بتحقيق الدكتور حسين محمد شرف المدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ومراجعة الدكتور محمد مهدي علام ، عضو مجمع اللغة العربية .

وجاء في ٥٢٤ صفحة من القطع الكبير

تقع مقدمتاه في ٤٧ صفحة . والكلمات فيه مشكّلة . والحروف واضحة والطباعة جيدة . وجهد المحقق الفاضل أبرز هذا الجزء بصورة مشرقة .

(١) ولكن الكلمات نفسها رتبت على حروف الهجاء حسب ترتيب كتاب سيبويه ، لا على الترتيب المعروف الآن.

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
مؤسسها الشيخ حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٣٠ ريالاً للأفراد و ٥٠ ريالاً للهيئات والأفراد
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ٣ ريالات

(ج ١١و١٢ س ١١ جماديان ١٣٩٧ هـ أيار/حزيران (مايو/يونيو ١٩٧٧)

الندوة العالمية الأولى
لدراسة تاريخ الجزيرة العربية

لعل من من أهم ما عقد في بلادنا من ندوات أو مؤتمرات أو اجتماعات في هذه السنين الأخيرة التي انفتحت فيها بلادنا للعالم وكثرت فيها المؤتمرات والاجتماعات، وتعددت وتنوعت أغراضها — لعل من أجزل هذه الاجتماعات نفعاً (الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية) التي عقدت فيما بين اليوم الخامس واليوم العاشر من شهر جمادى الأولى في جامعة الرياض.

لقد وجه رئيس قسم التاريخ في الجامعة الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاريّ إلى عدد من العلماء من الباحثين في التاريخ والجغرافية من عرب ومستشرقين وجه كتاباً جاء فيه : —

(وبعد فإن قسم التاريخ في جامعة الرياض سيقيم (ندوة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية) يعقد مرة كل سنتين في الرياض. وستكون الحلقة الأولى عن (مصادر تاريخ الجزيرة العربية) في الفترة بين ٢٣ و ٢٨ ابريل ١٩٧٧ م وستتناول الموضوعات التالية :

أولا — مؤرخو الجزيرة العربية :

يقصد بهم أولئك المؤرخين القدماء والمحدثين الذين ألفوا كتباً تاريخية تتعلق بجزيرة العرب وحدها، أو بجزء من أجزائها. ويستطيع الباحث أن

يقدم موضوعاً شاملا لمؤرخ واحد أو أكثر أو أيّ موضوع آخر لهعلاقة بهذا الباب .

ثانيا ــ الجزيرة العربية فى كتب الرحالة المسلمين :

موضوع البحث هو جزيرة العرب في الكتب التي ألفها الرحالة العرب والمسلمون الذين زاروها لغرض الحجّ ، أو لأيّ غرض آخر ، ثم سجلوا ما شاهدوه . ويدخل في ذلك كتب الجغرافيين العرب والمسلمين الذين تحدثوا عن الجزيرة العربية . ويستطيع الباحث أن يختار هذا الموضوع كُكُلٍّ ، أو يختار جانباً من جوانبه المتعددة .

ثانيا ــ الجزيرة العربية فى كتب الرحالة المسلمين :

وهي كتب الرحالة الذين زاروا جزيرة العرب أو أقاموا فيها ثم سجلوا مشاهداتهم وانطباعاتهم عنها .

رابعا ــ الجزيرة العربية فى الكتب القديمة وفى الآثار :

ويقصد بها الكتب القديمة التي تناولت جزيرة العرب وكذلك الآثار والنقوش في الجزيرة العربية وخارجها .

خامسا ــ الجزيرة العربية فى الوثائق :

وتشمل جميع أنواع الوثائق قديمها وحديثها .

سادسا ــ الجزيرة العربية فى كتب التراث :

وهي الكتب التي لا تندرج تحت العناوين السابقة إذا وجد فيها ما يتصل بتاريخ جزيرة العرب .

هذه هي موضوعات الندوة كما وردت فى كتاب الدعوة .

وقد استجاب لهذه الدعوة ما يقرب من مائة عالم وباحث من البلاد العربية وغيرها .

وقدم للالقاء في هذه الندوة ما يقرب من مائة بحث ألقي أكثرها أثناء

المدة المحددة ، وقد طبعت هذه البحوث ووزعت على الحاضرين ثم لُخص أكْثَرُها وطبع الملخص في كتاب ووزع أيضاً .

وكانت البحوث تلقى في قاعتين من قاعات الجامعة ، في الصباح والمساء ويتناوب رئاسة جلسات الإلقاء بعض المدعوين ، وتثار مناقشاتٌ حول بعض ما يلقى من الأبحاث يشارك فيها بعض المستمعين .

وقد افتتح تلك الندوة حضرة صاحب المعالي الأستاذ الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالى .

والحق أن تلك الندوة كانت ذات آثار طيبة فقد أُلْقِيَتْ فيها بحوثٌ تتعلق بتاريخ الجزيرة وجغرافيتها لم يسبق أن أُلْقِيَ مثلها في مجتمع علمي من حيث الكثرة والتنوع ، فهناك من الباحثين من تناول في بحثه بعض الكتب التي تعتبر من مصادر التاريخ الإسلامي من مطبوع أو مخطوط تناولها من حيث صلتها بالموضوع الذي طرقه اجتماعياً كان أو تاريخياً .

ومن الباحثين من تناول أحد المؤرخين بالدراسة ، موضحاً ما قام به هذا الباحث حيال تاريخ الجزيرة من دراسة أو تأليف .

ومن بين الباحثين من ركز بحثه على تاريخ مدينة من مدن الجزيرة من حيث تطورها العمراني حسب ما دونه من زار تلك المدينة من الرحالين .

وبالإجمال فإن تلك الأبحاث قد تنوعت . ولكن الذي يلاحظ أن أكثرها تنقصه الجدة وقد يغلب عليه التكرار ، ومن تلك الأبحاث ما هو خارج عن موضوع الندوة أو بتعبير أخف لم يتناول سوى طرف يسير من الموضوع ولم يتناول الجوانب الجوهرية .

وليس المقام مقام الحديث عن تلك الأبحاث وبيان تضمنته ثم إبراز قيمتها بالنسبة للموضوعات التي عقدت الندوة من أجلها فهذا الأمر من اختصاص القائمين على شؤون تلك الندوة فهم أقدر من غيرهم عليه ، وهو من حقهم . وقد قال الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري رئيس الندوة

فى مقدمة الكتاب الذى تضمن (خلاصة الأبحاث) ما نصه : (وما هذه الخلاصة التي بين أيديكم إلا نموذج للمستوى الذي ارتضيناه من بحوث نشعر أنها استجابة تنم عن نفسها لدعوتنا لكم يا رجال التاريخ) .

يضاف إلى ما تقدم أن هذه الندوة هي الأولى من نوعها عقدت في بلادنا بإشراف أقدم جامعة فيها ، ومعروف أن كل أمرٍ يكون فى بدايته لابُدَّ أن يحدث فيه ما هو موضع ملاحظة أو تساؤل ومن ذلك حول هذه الندوة :

١ — قصر الزمن المحدد لإلقاء البحوث ، ونشأ عن ذلك أن كثيراً منها لم يتسع الوقت إلا لإلقاء ملخصها . وحول هذا الملخص تدور مناقشة سريعة في وقت ضيق لا يمكن استيعاب ما تنبغي مناقشته .

٢ — كانت الأبحاث تلقى في قاعتين في وقت واحد ولهذا لم يتيسر لكل الحاضرين سماع ما أُلقى من محاضرات .

٣ — وتلقى في أوقات كان كثير ممن يرغب سماعها كرجال التعليم والطلاب وغيرهم مشغولين ولهذا فإن أكثرها لم يستمع إليه سوى عدد قليل بحيث أن صالة الإلقاء في بعض الأحيان لا يتجاوز من تضم عدد أصابع اليدين من المستمعين ، وجلهم من المشاركين في الندوة إن لم يكن كلهم .

٤ — عقدت تلك الندوة أثناء انعقاد (مؤتمر علماء الزراعة المسلمين) وكان الإهتمام بهذا المؤتمر أقوى من الاهتمام بندوة التاريخ ، وهذا يرجع إلى أن وسائل التحضير لذلك المؤتمر كانت قوية بخلاف الندوة التاريخية التي حضرها صفوة من العلماء من مختلف البلاد في أوسع المجالات كنا في أشد الحاجة للاستفادة منهم .

ولا شك أن القائمين على شؤون الندوة قد أدركوا كل ما تقدم ، بل قد استفادوا من هذه التجربة الأولى أموراً أخرى ، سيكون لها أثرها الطيب عند عقد الندوات المقبلة .

ومجلة « العرب » إدراكاً منها ما لمثل هذه الندوات الثقافية من آثار قوية في إنعاش الحياة الثقافية تقدم للقارىء في هذا الجزء الخاص عن الندوة مجموعة من بحوثها لا على أن هذه المجموعة هى خير ما قدم أو ألقى في الندوة ولكن لأنها تمثل نماذج مختلفة للمعنيين بالمباحث التاريخية والجغرافية ومختلف الدراسات من أبناء بلادنا .

ولاشك أن قسم التاريخ في (جامعة الرياض) الذي عقدت الندوة تحت اشرافه سيتولى جمع البحوث كلها ثم نشرها بعد أن تعاد إلى أصحابها لإعادة كتابتها مرة أخرى بعد الاستنارة بما دار حولها من مناقشة على ما قيل —

ولكن كثيراً من القراء لا يتسنى لهم الاطلاع على منشورات الجامعة .

ومجلة العرب في نشرها هذه الطائفة من الأبحاث تعبر تعبيراً صادقاً عما يجب أن يقابل به هذا العمل الحسن الأثر من التقدير .

وما هذه الأبحاث كل ما شارك فيه الباحثون من أبناء بلادنا ، ولكنها كل ما وصل إلى المجلة ، ولهذا فالمرجو من الإخوة[1] الذين لم تنشر أبحاثهم التجاوز عن هذا التقصير ، وهو غير مقصود .

أما الأبحاث المنشورة فقد جرى ترتيبها كما وردت في (برنامج الندوة) وفي كثير منها ما ترى « العرب » أنه بحاجة إلى التعليق ، وعسى أن يتسنى هذا لأحد الباحثين من القراء .

وتحية طيبة لتلك النخبة الكريمة من رجال جامعتنا . ولهاؤلاء الأساتذة الباحثين الذين أمدُّوا القراء بهذه الأبحاث الممتعة .

حمد الجاسر

---

(١) وهم : الدكاترة محمد سعيد الشعفى وعبد العزيز الهلابى وعبد الله عنقاوى والأستاذ محمد بن أحمد العقيل :

الجزيرة العربية

في رحلتي ابن جبير والعبدري

محمد بن أحمد بن جبير الكناني صاحب الرحلة المعروفة باسمه ، أحد أعلام العرب الرحالين في القرن السادس والسابع الهجريين ، رحل من غرناطة بالأندلس في يوم الخميس ثامن شهر شوال سنة ٥٧٨ — ٣ فبراير ١٠٨٢ قاصداً برحلته أداء فريضة الحج المكتوبة عليه — أسوة بكثير من أمثاله الرحالين المسلمين في تلك القرون وما قبلها وما بعدها حتى اليوم ، واتفق أن أغلب هذه الرحلة صوب بلد الله الحرام فقطع فيه ما بين بروز وبحار ، وكان نصيب رحلته من سفر البحر أوفر من نصيب البر ، جاء إلى الأسكندرية بحراً من الشاطىء الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وأقام بها ووصف معالمها وتحدث عنها كثيراً ثم اجتازها إلى القاهرة ومصر فأقام بهما ومنهما انتقل على بحر النيل إلى مدينة قوص . فبرا إلى ميناء عيذاب الذي امتطى منه سفينة بحرية للعيذابيين البداة الحفاة صوب مدينة جدة ولاقي أهوال البحر في هذا البحر الأحمر الكثير الأمواج والعواصف وكاد مركبهُ يغرق لولا لطف الله ، ودخل مدينة جدّة في عهده الأمير مكثر بن عيسى أمير مكة ، ووصفها وصفاً شاملا أصاب في أكثره وأخطأه التوفيق في أقله .

ابن جبير يصف معالم جدة :

وجدير بالذكر أنه قال عن جدّة أنها كانت قرية ضئيلة الشأن ، أكثر بيوتها أخصاص من القصب ، وقال : إنّ فيها فنادق مبنية بالحجارة والطين ، في أعلاها أيضاً بيوت من الأخصاص : بيوت قصب مسقفة بالخشب ، ولها سطوح يستراح بالليل فيها من أذى الحر الشديد بجدّة .. وقد أدركنا من هذا القول أن قدومه إلى جدة كان فى موسم الصيف لا فى موسم الشتاء ولا في الخريف ولا في الربيع .

وقد عنى ابن جبير بوصف ما في جدة من آثار قديمة شهدها . ودلنا وصفه لهذه الآثار بالقدم على أن مدينة جدة أقدم عهداً مما يتصور الكثيرون منا .. ومما عنى بوصفه ما أسماه قبر أمنا حواء بجدّة في ضاحيتها الشمالية الشرقية ، ولم يثبت علمياً ولا تاريخياً أن أمنا حواء دفنت بجدّة .. وربما كان قول بعضهم أنه بجدة كان منزلها شيئاً من الواقع أو من القريب من الواقع فليس عندنا نص من القرآن المجيد ولا من الحديث النبوى الصحيح على صحة وجود قبر أمنا حواء بجدة . . ولا على أن نزولها من الجنة كان بجدة . . ووجود أمنا حواء كان بالطبع قبل تدوين التاريخ .. فالتاريخ المدوّن لا يرتقى عهده ولا وجوده ولا مدوناته إلى العصر العريق الذى عاشت فيه أمنا حواء .. وأذكر أنى تعرضت لهذا الموضوع باسهاب فى كتابى : « تاريخ مدينة جدة » . ومنذ ذلك الحين ظللت اتتبع التاريخ فلم أجد ما ينقض مارأيت وما أبديت ، في ذلك الكتاب .

ومما أفدناه من رحلة ابن جبير حرصه على وصف أنواع سكان مدينة جدة الصغيرة حين دخلها ، وذلك مما يدلنا على دقة ملاحظاته ، فان بحث الرحالة عن هذا الأمر هو أمر يرفع علمياً مستوى رحلته . . وسكان مدينة جدة كما أفاد به ابن جبير أشراف علويون حسنيون وجعفريون . وقد ذكر أنهم في شظف العيش بمكان ، مما دلنا على ضمور اقتصاديات هذا البلد يومئذ ، ونحن لا نستطيع أن نسلّم لابن جبير بأن سكان جدة أشراف فحسب ، فلابدّ أن بينهم ألواناً أخرى من الناس ، غير الأشراف شأن كل بلد وقرية مطروقة وبخاصة الموانىء البحرية عامة ، وموانىء الحجيج خاصة .. وتحدّث لنا عمّا يتقاضاه عامل أمير مكة من المكوس على الحجاج فرداً فرداً برغم حظر صلاح الدين عليه تقاضي هذه المكوس ، وبرغم منحه تعويضات سخية عنها . وكرحالة نقادة عالم نرى ابن جبير ينحي باللائمة على الأمير مكثر لا على استيفائه المكوس من حجيج بيت الله الحرام وفيهم الأغنياء المقتدرون والضعفاء والفقراء المحتاجون ، بل على طريقة استيفاء هذه المكوس التي لا تتفق مع الكرامة الانسانية ولا مع المبادىء الاسلامية ، ومن دقة

الرحلة نراها تعني بذكر نوع التعويضات التي قدمها السلطان صلاح الدين لامارة مكة مقابل توقفها عن تقاضي أيّ مكوس من الحجاج .. وقد كانت هذه التعويضات على نوعين : نوع هو من النقود يرسلها سنوياً لأمير مكة . . وهي (ألفا دينار) ونوع آخر كان طعاماً يبعث به إليه أيضاً ومقداره أيضاً (ألفا أردب من الحنطة) وهذا عدا اقطاعات أقطعها صلاح الدين بصعيد مصر وجهة اليمن للأمير مقابل تخليه عن أخذ المكوس المشار إليها . . ومن جملة آثار جدة التي اهتم بها ابن جبير ، تلك المصانع القديمة التي قال لنا انها تدل على قدم اختطاطها من عهد الفرس . . واذن فان فى فكر ابن جبير قضية تاريخية يحفل باثباتها بشواهدها الماثلة أمامه من الآثار التي هي أصدق عادة من الأخبار . . فهو يستدل لنا على قدم اختطاط جدّة بما حوته من آثار المصانع الحباب أى الصهاريج التي تحفظ ما يسيل إليها من المياه العذبة من الأمطار النازلة على مدينة جدّة ..

وغريب أن تظل تلك الحباب مستعملة فيما استعملت فيه في عهد ابن جبير (القرن السادس الهجري) حتى عصرنا الحاضر فقد أدركنا بأعالي مدينة جدّة – أى بالضاحية الشرقية والجنوبية منها صهاريج ماء بعضها مرتفع البناء فوق سطح البحر بعض الشيء ، وبعضها مساو لسطح الأرض تماماً ، وقد ترك لها أبواب مغلقة مساوية لسطح الأرض تقريباً وتفتح إذا شيم المطر وأدرك نزوله من السماء ، لكى تمتلىء فيحفظ فيها هذا الماء العذب بعناية بالغة لريّ ذوي هذه الصهاريج أو لبيعهم لها على الناس وكان يغلى ويصفى مما علق به من تراب وغيره .

قضى ابن جبير وزميله جعفر بن حسن أو ابن حسان أسبوعاً كاملا في جدّة ، وكان يتجول دائماً في أحيائها وضواحيها مستطلعاً لآثارها ومآثرها .. وقد كان قدومه إليها في فصل الصيف في شهر أغسطس سنة ١١٨٢ م الموافق ١١ ربيع الآخر ٥٧٩ هـ – ولمّا أنجز أهدافه بها رأيناه يشد الرحال إلى مكة ، فيمتطي هو ومن معه قافلة جمال ذاهبة إليها ويمر بمحطة القرين التي لا نعرف ماهيتها اليوم فقد تغيّرت أسماء المحطات عمّا كانت قبلا .

(ومن ذا الذى ياعزّ لا يتغيّر ؟) . . ودخل مكة محرماً من هذا الطريق في يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر ٥٧٩ هـ فكان مكثه في الطريق نحو ثلاثة أيام . . ودخلها من باب العمرة أحد أبواب مكة المعروف بهذا الإسم يومئذ . . .

ابن جبير يصف مشاهد مكة المكرمة :

وكان أول مشهد وصفه من مشاهد مكة المعظمة ، الكعبة المشرفة ، بالمسجد الحرام ، ثم وصف مبانيه وأرضه وأبوابه ومآذنه وماء زمزم ثمّ عـــدد أسماء جبال مكة المأثورة .

وعن المسجد الحرام نقد الخرافة المتداولة إلى عهد قريب ، وهي أن عتبات باب السلام من أبواب المسجد الحرام بمكة هى من أصنام قريش التى كانت تعبدها في الجاهلية — وبينها كبيرها (هبل) نقد هذه الخرافة بقوة وإصرار ، ومن دلائلة أن النبي صلوات الله وسلامه عليه يوم فتح مكة كان أمر بكسر الأصنام وباحراقها . وجزم بأن هذه الحجارة المستطيلة الملس الزيتونية اللون التي هي من عتبات باب السلام هي منقولة إليه من جبال مكة ، إنما شبهها القوم بالأصنام لعظمتها . .

ومما عني بوصفه من جبال مكة المأثورة جبلا أبي قبيس وحراء ، وعن حراء وقع في خطأ علمي وإسلامي عندما قال : إنّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (وهو على ظهره . . اسكن فما عليك الاّ نبي وصديق وشهيدان وكان عثمان رضى الله عنه معهم) والصحيح أن هذا الحديث إنما ورد في جبل ثبير لا في جبل حراء . . جاء ذلك في صحيح البخارى وذكر ابن جبير من آثار مكة دار الخيزاران ، وكانت تعرف في صدر الإسلام بدار الأرقم بن أبي الأرقم ، وتقع قرب سفح جبل الصفا بمكة .

الرخاء فى موسم الحج بمكة :

فابن جبير الدقيق الملاحظة ماكان له أن يصمت عمّا يبهره من الرخاء المتدفق على مكة في موسم الحج الذى حج فيه ، فهاهو في رحلته يصفه وصفا بالغا متحمسا ، ويبدي لنا انبهاره وتعجبه من أن يسود هذا الرخاء بهذا الطراز

العظيم في مكة .. في كل شيء .. فى الأطعمة وفى الأرزاق ، وفى الخضروات وفى الفواكه والحبوب بأنواعها ، وفي الألبسة ، وحتى في ألوان الحلوى ..

وعني بذكر البطيخ وبالإشادة برائحته العبقة وطعمه الحلو الشهي ، وحديثه عن البطيخ بمكة يثبت لنا بما يقبل الجدل (؟) أن هذا الاسم إنما كان يطلق عربيا وتاريخيا على الأخضر لونه ، داخليا وخارجيا ، وليس من الصحة لغة وتاريخا مايطلق عليه فى القطر المصرى من الفاكهة الخضراء الأديم الحمراء اللّب ، فهذه اسمها الصحيح هو الحبحب كما يسميها أهل الحجاز ، ولا يصح أن تسمى باسم البطيخ مطلقا وهذا مايثبت لنـــا أن عامية أهل هذه البلاد ذات صلة وارتباط وثيق باللغة الأم الفصحى ..

وحينما شاهد الناس يجعلون من المسجد الحرام بمكة سوقا تجارية للبيع والشراء غضب وصبّ جام غضبه على هذا الصنيع الذي لايتفق مع الشرع الحنيف ولا مع الـــكرامة الاسلامية فالمساجد انما تبنى لعبادة الله وحده وأما البيع والشراء فمحلهما الأسواق خارج محيط المساجد المقدسة ..

وقد شاهد ابن جبير طائفة من أهل جبال السّراة يقدمون إلى مكة في موسم الحج ومعهم قوافل الأرزاق والفواكه والشّمل – نوع من العبيّ منسوج من الصوف ثقيل – فأبدى سروره وإعجابه بذلك ، ووصف هؤلاء القوم البسطاء كما شاهدهم ، كما وصفهم بالشجاعة والنجدة والمروءة .. وكان فقيها من فقهاء اليمن حدث ابن جبير عن هؤلاء السّرويين المائرين لمكة بأنهم ينسبون إلى سراة الرجال ، وهو قول يجانبه الصواب فان هؤلاء القوم إنما ينسبون إلى (السراة) وهي سلسلة الجبال الممتدة من جنوب المملـــكة العربية السعودية إلى الشمال والمعروفة من قديم في اللغة العربية بهذا الاسم التاريخى الشهير ..

أقام ابن جبير ثمانية أشهر بمكة ، وهي أطول إقامة قضاها في بلد طيلة رحلته ، ولذلك نراه يتمكن من وصف أشياء وأمور دقيقة في بلد الله الحرام .. وقال : إنه شاهد فيما شاهد مصحفا من مصاحف عثمان رضي الله عنه في المسجد الحرام ووصفه بالضخامة . ونحن نرى أن مصحف عثمان

لايمكن أن يكون بالضخامة التي وصفه بها ابن جبير ، وقـد رأى مثله على حدّ قوله في المسجد النبويّ ، ومصحفا ثالثا في المسجد الأموي بدمشق الشام أيضا .

ونسبة هذه المصاحف إلى سيدنا عثمان بن عفان تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث العميق في شتى جوانب هذا الموضوع الأثرى الهام . وبعد أن أشبع ابن جبير عاطفته الدينية الحارة — والمشبوبة ، من طول المقـام بمكة رحل منها صوب الشمال قاصدا المدينة المنورة لزيارة المسجد النبويّ وللسلام على سيدّ الخلق صلى الله عليه وسلم وصحابته الأماجد .. وكما كان دخوله مكة يوم الخميس ١٣ ربيع الآخر سنة ٥٧٩ كان خروجه منها أيضا إلى المدينة يوم الخميس ٢٢ ذى الحجة ٥٧٩ هـ . وكان الطريق الـذي سلـكه هو طريق عسفان ، فخليص ، فبدر ، فالصفراء ، فبئر ذات العلم ، ثم شعب علي ، فالبيداء التي يبصر منها زائرو المدينة ، مآذنها ودورها ، من ذلك الموضع الذي كان يعرف قبل تمهيده وسفلتته ، باسم (المفرّحات) لأن القادم إلى المدينة إذا صعد إليه ورآها من بعيد داخله الفرح والسرور ، ثم نزل ابن جبير من المفرّحات إلى القسم الغربى من وادى العقيق . وفي عشى يوم الاثنين ٣٠ المحرم ٥٨٠هـ دخل المدينة وصلى بالروضة وسلّم على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه ، وزار مشاهد المدينة ومنها البقيع وشهداء أحد وعلى رأسهم عم الرسول شهيد أحد : حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وأرضاه . ومما حدّثنا به مشاهدته في المسجد النبوي للقطعة الباقية من الجذع الذي حنّ إلى الرسول ، وهو حينما شاهده كان ملصقا بعمود من أعمدة المسجد .

وكما وصف المسجد الحرام بدقة وشمول كذلك صنع مع المسجد النبوي وإن كنا نلاحظ عليه أن وصفه للمسجد الحرام أوسع وأعمق من وصفه للمسجد النبوى ، لوجود برهة كافية من الزمان لديه ، ببقائه في مكة ثمانية أشهر ، ولعدم وجود الوقت الكافي لدقة الوصف وشموله لديه إبّان قدومه إلى المدينة المنورة ، إذ كانت مدة إقامته بالمدينة تقل عن الأسبوع ..

ولعل مالاحظناه عليه من الاضطراب في الوصف لبعض المآثر بالمدينة ناشئ عن ضيق الوقت . ولعله لعدم استطاعته استيعاب أوصاف المسجد النبوي اعتمد على الرواة . وما أكثر تخليط الرواة في مثل هـــذه المواقف المتعلقة بالمآثر والآثار .

ويبدو جليا أن الباعث له على اختصار مسافة الإقامة بالمدينة استطالته لزمن الرحلة ، واستبداد الشوق به إلى الأهل والوطن البعيدين بمسافات برية وبحرية شاسعة مترامية .

وقد أزمع أن يغيّر طريق عودته إلى بلاده الأندلس ، بعد ماكابد الأهوال المريرة في قدومه بحرا إلى الاسكندرية من بلاده رأساً . فهو لايريد أن يكرر المشكلة التى عقدت عليه رحلته وتركته يهيم في أودية الآلام والمخاوف التى أحاطت به إحاطة السوار بالمعصم .. وانه كذلك يريد أن يرى دار الخلافة العباسية وأن يشق جزيرة العرب من غربها إلى شرقها الشمالى ، ويريد أن يرى بلاد صلاح الدين : « الموصل » وبلاد الشام ، ويركب البحر لامن الاسكندرية فقد أرهقه من أمره عسراً ركوب هذا البحر إبّان قدومه إلى الاسكندرية والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين .. إنه يريد أن يركب البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى .. من جهة الشام .. ليشاهد أيضا آثار استبداد الصليبيين المستعمرين لديار الشام من كثب ، وليقف على أحوالهم من قرب وعن مشاهدة ، وليصف ماكان عليه حال المسلمين المحتلة بلادهم عنوة ، من مكان قريب ، وليرى تلك الأحوال رؤية واضحة لالبس فيها ولا أمت ، حتى إذا وصفها في كتاب رحلته كان وصفه لها واقعيا وعن مشاهدة كرحالة نبيه الشأن لبيب الرأي ، واسع العقل ، يعتمد فيما يروي على مايرى ، وفيما يتحدث به على التجربة . وقد فارق المدينة قاصدا جهة الشرق الشمالي ، مخترقاً صحراء الجزيرة بصحبة قافلة أمير الحج العراقي . وأخذ في طريقه محطات وادي العروس ومنه صعدوا إلى فلاة نجد الشمالية مخلفين تهامة وراءهم سائرين فى منبسط من الأرض ينحسر الطرف دون أدناها ولايبلغ مداها ، وتنسموا نسيم نجد ،

فانتعشت نفوسهم وأجسامهم ببرد ذلك النسيم ، ونزلوا رابع يوم رحلتهم على ماء العسيلة ، فالنقرة ذات الآبار والمصانع العظام التي هي كالصهاريج العظام ، ومضوا إلى محطات أخرى بين المدينة والـكوفة .. ومن مدينة الـكوفة اتجهوا إلى بغداد مارّين بمدينة الحلة ، وفي بغداد ألقى عصا التسيار مؤقتا ، وقد رآها دون سماعه بها إذ حطمتها الغزوات وأثرت عليها الفتن والمحن والنكبات .

وهنا ملاحظة لانرى بأساً من ذكرها .. وهي أن ذهن ابن جبير كالمغناطيس ، سريع التأثر والانفعال والجاذبية لما يسمع .. وفى نطاق هذه الصفة نراه يسمى ماكان يسميه « الجباب » قبل قدومه إلى الحجاز ، يسميه باسم « الصهاريج » على لهجة الحجازيّين ، وقد حللنا هذه الظاهرة في رحلته بكتابنا الذى هو تحت الطبع الآن بالقاهرة (مع ابن جبير فى رحلته) .

وقد أعجبه علماء بغداد ووعّاظها في سلاسة كلامهم وفصاحة بيانهم وتأثير وعظهم على الجماهير وسمتهم العلمى . ومضى فى وصف مدينة بغداد قدما حتى أتى على كل شيء متحرك وساكن فيها . . ووصف لنا الخليفة العباسي المعاصر الشاب وصفا دقيقاً ووصف موكبه وطريقة حكمه في عاصمة الخلافة ثم شدّ الرحال من بغداد إلى الموصل في طريقه إلى بلاده .. كما أشرنا إليه آنفا .

مع العبدرى فى رحلتـــه إلى جزيرة العرب :

بعد تسع وثمانين عاماً من رحلة حج ابن جبير الأندلسى رأينا الرحالة الأندلسى محمد بن أحمد بن على بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي يستأنف رحلته إلى الحج أيضاً في ٢٥ ذي القعدة سنة ٦٨٨هـ - ١٠ ديسمبر ١٢٨٩ م . والعبدرى عربى صميم مثل سلفه ابن جبير وقد وفد جداهما مع العرب المسلمين الفاتحين إلى الأندلس من أبناء هذه الجزيرة العربية .

بدأ العبدري رحلته من تلمسان إلى تونس فالقيروان فطرابلس ووصل الاسكندرية برا فأعجبته في مبانيها ومناظرها . ومن الجدير بالذكر أن العبدري كان على مايلوح من سياق كلامه يتابع ابن جبير في كثير من

آرائه التي دوّنها في رحلته .. ومن ذلك نقمته على عمليات تفتيش الحجاج القادمين من أرض المغرب بالإسكندرية .. وكما مر ابن جبير على القاهرة في طريقة إلى مكة — فكذلك صنع العبدري ، ولكن العبدري خالف طريق ابن جبير فذهب من القاهرة برّا إلى العقبة فالحجاز فكان طريقه إلى مكة من بعد القاهرة يشبه الطريق الذى سلكه ابن بطوطة . وقد دخل العبدري قرية الوجه على ساحل البحر الأحمر ووصل وادي كرا فالحوراء التي هي أحساء غزيرة على شاطئ البحر . وماؤها ملح خبيث منكر الرائحة لايكاد يجرع على ماوصفه لنا العبدري في رحلته . ومنها مضى إلى المغيّرة (تصغير مغارة) وهى بئر فى وادين جبليين محفورة في بطن الوادي ومدخلها ضيق يهبط منه في درج ، وماؤها قليل . ومنها مضى إلى ينبع وينبع هذه ليس المراد بها مايعرف الآن باسم (ينبع البحر) وإنما المراد منها مايعرف عندنا باسم (ينبع النخل) وهي ينبع المعروفة قديماً وهي ذات نخيل ومياه وعيون وحدائق . وقد وصفها لنا العبدري كما شاهدها فقال : (وينبع من بلاد الحجاز المعروفة ، وهي بليدة في أصل جبل ضعيفة البناء قليلة المساكن والخراب فيها كثير ، وغربيها بسيط متسع هو محط الركب ، ولكنه سبخة لاتنبت ، وفيها نخيل وماء معين (طيب) . وصفة (معين) للماء العذب سبقه إليها ابن جبير في رحلته فهما كأنهما يمتحان من بئر واحدة مع تفاوت الزمن ..

ويصف (صاحب ينبع) بأنه مستقل بحكمها فيقول : (وصاحب ينبع مستبد بها كاستبداد صاحب مليانة) ومليانة بلد بالجزائر معروف . ثم قال : « وللركب أى ركب الحجيج — في ينبع سوق كبير والتمر فيه كثير ومن ينبع ذهب مغرّبا إلى قرية الدهناء ، وهي غير الدهناء التي يقول فيها الشاعر .

يمـرون بالدهنـا خفـافا عيابهم ويرجعن من دارين بجر الحقائب

ومن الدهناء وصل قرية بدر المأثورة وقد وصفها بأنها (واد به ماء معين ونخل وعمارة ليست بالكثيرة وماؤها طيب ، وبه مسجد ... ذكروا أنه بني في موضع العريش الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه

وسلم يوم بدر) ووصف سكان قرية بدر بأنهم ضعفاء، وذكر مقبرة شهداء بدر بغربي المسجد ، ومن بدر سار إلى الجنوب قاصداً مكة فاخترق صحراء (البزواء) بضم الباء وسكون الزاى — وهي صحراء ممتدة ملساء مجهل من أعظم المجاهل نكراء يضلّ بها لنـــكارتها الدليل ، ويذهل فيها الخليل عن الخليل، وهي مسيرة ثلاثة أيام ، ليس على الترفق إلمام ، ولا نصبت بها على المسالك أعـــلام ، اشتبهت فما يتميز وراء من قدام ، يسرح بها الطرف ، فلا يقف على مداه وتظمأ بها الأفواه فلا تجـــد بلة تنقع صداه ، وفي متنها واد يقال له (رابخ) وبعض يقوله بالغين وإذا كثر المطر كانت به غدران عظيمة ، فيبقى فيها الماء زمانا وإن قلّ المطر نضبت وغار الماء ، فيحفر عنه — ويتعنّي فيه ، وفي تلك الجهة عربان كثيرة تقيم مع الركب سوقاً عظيمة ، ويجلبون إليها الغنم والتمر فيتسع العيش ويرخص) .. هذا وليس من ريب في أن قارىء عبارات العبدري السابق ذكرها يدرك بطبيعة الحال أن العبدري كان يقتبس أفكار ابن جبير وأوصافه للمشاهدات اقتباساً مركزا واضحا . والمهم هنا هو وصفه لصحراء البزواء .. فهذه الصحراء كما نعرفها هى التي يخرج المسافر إليها من المفرق — أى مفرق الأسفلت الفاصل بين الطريق إلى ينبع البحر ، والطريق إلى جدة ومـــكة وتستمر في سعتها الفيحاء حتى يصل المرء منها إلى رابغ . وترى البحر يبتعد حينا ويقرب .. حينا .. وهذه الصحراء الفيحاء لايعرف المسافرون وأعتقد ولا المثقفون المعنيون بآثار البلاد اسمها ولا حدودها ويرى المسافر إلى مكة سلسلة جبل صبْح عن يساره من بعيـــد قبل أن يصل البرية التي تقع فيها مستورة وهي جزء من صحراء البزواء الموصوفة آنفا .

وجدير بالذكر أن « القاموس المحيط » قد عرّفنا بهذه الصحراء تعريفا فضفاضا حيث قال : (والبزواء أرض بين الحرمين) .. وبعد البزواء دخل العيدري رابغ ، فالجحفة الميقات وقد أفادنا العبدري بأن اسم الجحفة القديم هو (مهيعة) مفرد (مهايع) التي هي اسم إحدى قرى بني سليم بشرقي هذه الصحراء — وكانت على مايقول العبدري قد نزلها بنو عبيل إخوة عاد في الدهر الأول حين أخرجتهم العمالقة من يثرب (المدينة) فأتى

عليهم سيل اجتحفهم فسميت بالجحفة . . وجاء في القاموس المحيط : في مادة (الهيعة) :(ومهيعة : الجحفة بين الحرمين ميقات الشاميين) ومن هنا أقبل العبدري على وادي خليص الذى قال عنه : (وهى قليعة منيعة على شرف مرتفع وبها نخل كثير وماء جاو طيب ، وصاحبها من الشرفاء استبد بها – أى استقل – وهو رجل صالح محب للحجاج مكرم لهم وإذا نزل الركب تلقاهم ، وأحسن مثواهم ، والعربان تقيم هنالك سوقا عظيمة الخ .. (وأقول: إن خليصا واد ، والقلعة التي يشير إليها العبدري هي فوق قمة جبل قرب سوق خليص المندثر على ماحققناه من المشاهدة في كتابنا (تاريخ العين العزيزية بجدّة ولمحات عن مصادر المياه بالمملكة العربية السعودية) . وخليص اليوم مرتبطة إداريا بامارة منطقة مكة ، واخترق العبدرى بطن وادي مَرٍّ، ثم كان في مكة المشرفة ونزل بالمحصب شرقي مكة سابع ذي الحجة وأكمل فريضة حجه ونقل لنا وصفاً ثميناً عن مشاهداته بمكة في آثارها ومآثرها ومشاعرها وجبالها ومسجدها الحرام والكعبة المعظمةوزمزم والمقام وصوامع المسجد الحرام (مآذنه) وأساطينه ، وحجر اسماعيل وكما أشار ابن جبير قبل نحو مائة عام – بأهمية القبائل السروية في نقل الطعام الذي يزدرعونه في بلادهم وفواكهها وثيابها إلى مكة، كذلك صنع العبدري أيضاً .. إنه يتبعه حذوك القذة بالقذة .. في كثير من المشاهد والرؤى . وقد ذكر حدود الحرم المكي .. كما ذكرها ابن جبير ..

ثم عاد في طريقه أيضا إلى المدينة قصصا فدخلها لأول مرة في ضحى يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة ٦٨٩ هـ وقد رام أن يصفها بدقة كما وصفها سلفه ابن جبير ولكن زلّ قلمه في بعض الأوقات نتيجة قصر المدة التي مكثها في المدينة إذ كان مجموع مقامه بها يوماً ونصف يوم ، ومثال ذلك أنه جعل قباء في ناحية المشرق للمدينة مع أنها تقع في جنوبها .

وفي يوم الأربعاء ٣٠ ذي الحجة ٦٨٩ هـ رحل العبدري عن المدينة مع الركب المصري فمر بينبع النخل مرة أخرى ودخل فلسطين فالقاهرة براً فمدينة قابس فسوسة فتونس فالمغرب الأقصى .

عبد القدوس الأنصارى

الوجود البرتغالي في عمان في المصادر العمانية

على الرغم من أهمية وخطورة الغزو البرتغالي للخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية وما ترتب على تحويل طرق التجارة الدولية عبر الخليج والبحر الأحمر والجزيرة إلى طريق رأس الرجاء الصالح من نتائج خطيرة بعيدة المدى ليس فحسب على المناطق التي تعرضت مباشرة لهذه الهجمة المباغتة في التاريخ وإنما على العالم العربي والاسلامى بوجه عام . ترتب عليها آثار ونتائج لا نعتقد أننا نبالغ إذا قلنا أنها غيرت المجرى التاريخي لتلك البقعة من العالم قرونا طويلة — على الرغم من ذلك . فان هذا الموضوع لم يحظ بالعناية الكافية من قبل المؤرخين والكتاب العرب لابل نكاد نقول : إنه لم ينل أى عناية من قبل هؤلاء حتى عهد قريب ويعود السبب في ذلك فى رأيي إلى ثلاثة أسباب هى :

أولا : أن هذه المنطقة ظلت قروناً طويلة وكأنها خارج نطاق العالم العربى بسبب العزلة التي فرضتها القوى الاستعمارية المسيطرة .

ثانيا : أن المصادر العربية عن هذا الموضوع قليلة للغاية والمعروف منها أقل من غير المعروف.

ثالثا : أو في الحقيقة نتيجة لهذين العاملين فان أى عمل من هذا القبيل يحتاج إلى جهد مكثف وصبر طويل ولن تكون مربحة على النطاق التجاري بأى حال

ومن ناحية أخرى فقد نال هذا الموضوع من الكتاب الغربيين المهتمين بهذه المنطقة شيئا من الاهتمام أفضل بكثير مما ناله من الكتاب العرب إلا أن هناك اعتبارات لابد من أخذها في الحسبان حكمت معالجة هؤلاء الكتاب لهذا الموضوع — وهذا ليس تقليلا للجهود الطيبة والمثمرة التي بذلها بعض هؤلاء — أولى هذه الاعتبارات أن تلك المؤلفات أعتمدت

إلى حد كبير إن لم يكن كاملا على تقارير الشركات الغربية ومذكرات وتقارير مستشارين عسكريين وسياسيين ورحالة تنقصهم الحيدة من ناحية والإطلاع العميق على أحوال البلاد وعاداتها وتقاليدها .

وثانيها أن معظم هؤلاء المؤلفين كانوا في كتاباتهم أسرى للون سياسي معين حكم نظرتهم للأمور وبالتالى نتائج أبحاثهم .

وثالثها أو في الحقيقة نتيجة لهذين العاملين كانت أحكامهم أبعد ماتكون عن الحياد الضروري لمعالجة القضايا التاريخية .

ورابعها أن من حاول من هؤلاء الـكتاب الاستفادة من المؤلفات المحلية فإنهم كانت تنقصهم الدراية والمعرفة باللغة العربية بصفة عامة واللهجات المحلية بصفة خاصة .

وعلى هذا الأساس فهذا البحث محاولة لاستخراج النصوص المتعلقة بالوجود البرتغالي في عمان من المصادر العمانية التي توفرت الآن وأمكن الاطلاع عليها وبعضها مازال مخطوطا وبعضها ترجم إلى بعض اللغات الأوربية .

ألا أن الملفت للنظر والمؤسف حقاً أن المصادر العمانية تجاهلت وبشكل يكاد يكون تاما مرحلة هامة وطويلة من مراحل الوجود البرتغالي في السواحل العمانية هذه المرحلة التي بدأت بظهور البرتغاليين في مياه الخليج ٩١٣-١٥٠٧ وحتى أول صدام لهم مع الإمام الجديد ناصر بن مرشد اليعربي في صحار [١] ويبدو أن سبب سكوت المؤلفين العمانيين عن هذا الحدث يعود إلى العوامل الآتية :

الأول : وكما يشير السالمى [٢] أن أهل عمان لايعتنون بتدوين الأحداث التاريخية لذاتها وإنما تأتي عرضاً في سيَر الأئمة ومناقشة القضايا الدينية كالاحكام وغيرهـــا .

الثاني : أن معظم موانئ عمان الهامة حتى قبل مجيئ البرتغاليين بفترة طويلة

كانت تخضع لمملكة هرمز [٣] . وبالتالي أصبحت خارج نطاق اهتماماتهم أو مهماتهم .

الثالث : أن المؤلفين العمانيين شعروا أن الاحتلال البرتغالى لموانئهم وما يعنيه من سيطرة هؤلاء النصارى وتفوقهم الكاسح ليس فيه مايشرف ذكره فأعرضوا عن تدوينه عمدا .[٤] .

ومن زاوية أخرى فإن الأوضاع الداخلية في عمان والمعاصرة لهذه الفترة حظيت باهتمام المؤلفين العمانيين وإن كانت ليست بالوضوح الذى تبدو به الفترة التالية والتي بدأت بمجئ الأمام ناصر بن مرشد اليعربى سنة ١٠٣٤ — ١٦٢٤ . ويعلل السالمي سبب هذا بقوله « وإنما كتبنا من سيرة هذا الإمام مالم نكتبه في سيرة من قبله لأن بعض أصحابه قد أرخوا بعض سيرته ولم يؤرخ من مضى إلا ما وجدناه من القضايا التى يحتاج البحث عنها في الأحكام »[٥]

وسنحاول في الصفحات القليلة التالية وقبل معالجة موضوعنا الرئيسي (الوجود البرتغالي في المصادر العمانية) سنحاول إعطاء صورة عجلى على الأوضاع السائدة فى عمان قبيل الغزو البرتغالي ورسم صورة واضحة ماأمكن للأوضاع الداخلية إبان هذا الوجود .

عمان قبيل الغزو البرتغالى :

هناك ظاهرتان لازمتا التاريخ العماني منذ الصدر الأول للاسلام وهما :

عدم خضوع هذا القطر للخلافة الاسلامية سواء فى دمشق أو في بغداد إلا في حالات قليلة محدودة وبعد جهود كبيرة مرهقة تبذلها الخلافة ، ولكن ما إن تتراخى قبضة الخلافة حتى تفلت عمان من سيطرتها وتعود إلى ممارسة انفصالها من جديد . والظاهرة الثانية هو استمرارية انتخاب الأئمة وفق المذهب الإباضي السائد في معظم أجزاء عمان .

وفي الحقيقة ان هاتين الظاهرتين إحداهما نتيجة للأخرى فانفصال عمان بالإضافة إلى عوامل أخرى يعود إلى حد كبير بسبب سيادة المذهب الإباضي

الذي يرفض الخضوع لسلطان الجور – حسب عقيدتهم – ومن ناحية أخرى فإن انتخاب الأئمة لم يكن متصلا بدون انقطاع ولم يكن السبب الوحيد لهذا الانقطاع هو التدخل الخارجي فهناك عامل داخلي كان له دور كبير في هذا وهذا العامل هو وجود أمراء أقوياء يستطيعون فرض وجودهم بالقوة وبالتالي يتعطل انتخاب الأئمة ، وقد امتدت إحدى الفترات قرابة قرنين ونصف من حوالى سنة ٥٥٧ – ١٦٦١ - ١١٦٢ .

وبعد موت الأمام محمد بن خنبش[٦] إلى سنة ٨٠٩-١٤٠٦ انتخاب الإمام الحواري بن مالك[٧] ونتج عن توقف انتخاب الأئمة في هذه الفترة أن أصبحت تلك الفترة حلقة مفقودة في التاريخ العماني – حسب المصادر المتوفرة على الأقل وذلك للسبب نفسه الذي سبقت الإشارة إليه وهو أن المؤلفين العمانيين لايهتمون بتدوين الأحداث التاريخية لذاتها وإنما يعنون بتدوين سير الأئمة ومايتعلق بها . وبعد فترة الانقطاع هذه بدأت الصورة تتضح قليلا قليلا حيث لدينا سلسلة تكاد تكون متصلة بتعاقب الأئمة وبعض اللمحات عن مجريات الأمور في عمان :

وبمجئ الإمام الحوارى بن مالك سنة ٨٠٩-١٤٠٦ بدأت مرحلة جديدة في تعاقب الأئمة إلا أن هذا التعاقب لم يكن متصل الحلقات أيضاً حيث تشهد فترات انقطاع امتدت احداها قرابة أربعين عاما مابين موت الإمام أبو الحسن بن خميس سنة ٨٤٦ - ١٤٤٢ [٨] وحتى انتخاب الإمام عمر بن الخطاب سنة ٨٨٥-١٤٨٠ [٩] ويبدوا أن السبب في ذلك هو النزاع بين الأئمة وامراء بني نبهان [١٠] حيث نرى الإمام عمر بن الخطاب بعد سنة من انتخابه يتلقى هزيمة ساحقة على يد الأمير سليمان ابن سليمان النبهانى [١١] إلا أنه مالبث أن جددت له البيعة . فاستطاع توجيه ضربة قوية للنباهنة فصفى املاكهم وصادرها سنة ٨٨٧ – ١٤٨٢ [١٢] إلا أن الإمامة بعد موت هذا

الإمام انتكست مجددا حيث شهدت السنوات العشر أو الأثنى عشرة سنة التالية مالا يقل عن أربعة أئمة بعضهم تولى الإمامة أكثر من مرة مما مكن لسليمان بن سليمان النبهاني من استعادة السلطة وبقى « أياما مالـــكا بالقهر والجبرية متغلباً على من تحته بالسلطة والقهر ينسب إليه من الأعمال ماليس بالجميل » [١٣] .

فترة الغـــزو البرتغـــالى :

حين وصل البرتغاليون إلى مياه الخليج ٩١٣ــ١٥٠٧ كانت إمامة عمان تشهد استقراراً نسبياً حيث استطاع محمد بن اسماعيل سنة ٩٠٦ - ١٥٠٠ التغلب على سليمان بن سليمان النبهاني [١٤] ومن ثم انتخب اماماً وظل ما يقرب من ست وثلاثين سنة إماماً أى حتى وفاته سنة ٩٤٢-١٥٣٥ والملفت للنظر أنه لم ترد أى إشارة في المصادر العمانية إلى البرتغاليين واحتلالهم لموانىء عمان أو اسهام هذا الإمام في المقاومات اليائسة التي أبداها سكان هذه الموانىء ضد الاحتلال البرتغالي سواء عند بدءهذا الاحتلال أو الثورات التي حدثت في كل من مسقط وقريات وصحار وقلهات سنة ٩٣٠-١٥٢٢ ، ٩٣٦-١٥٢٩ [١٥] وأقرب تفسير لهذا الموقف هو أن هذه المناطق اعتبرت ولفترة غير قصيرة من ممتلكات مملكة هرمز كما أن العنف والقسوة والتفوق الذي ظهر به الوجود البرتغالي جعلت أى محاولة للصدام معهم في هذه المرحلة غير ذات جدوى .

وإذا عدنا إلى تتبع الأوضاع في الداخل نجد أن تطورات هامة حدثت في عمان ، فبعد وفاة الإمام محمد بن اسماعيل تمت البيعة لابنة بركات إلا أنه لم يحظ بتأييد كافة العلماء فحدث انشقاق بينهم وتم انتخاب إمام آخر مع وجود هذا الإمام وهو عمر بن القاسم الفضيلى [١٦] وليس لدينا معلومات عن تاريخ انتخاب هذا الأخير ولا وفاته ولكن في عهد بركات هـــذا أيضاً انتخب إمام آخر هو عبدالله بن محمد القرن في يوم الجمعة ١٥ رجب

سنة ٩٦٧-١٥٥٩[١٧] ولا ندري هل انتخاب هذا الأخير بعد وفاة الإمام الفضيلي أم كان في حياته المهم في الأمر أنه أصبح هناك أكثر من إمام واحد ويعلق السالمي على هذا بقوله « وبنصب الأئمة في وقت واحد تشتت الكلمة وتفرقت الجماعة وضعفت دولة المسلمين »[١٨] .

ويكتنف الغموض مصير هذين الامامين بركات بن اسماعيل وعبدالله بن محمد القرن وآخر إشارة إليهما فى مصادرنا المتوفرة هو نجاح الأول فى إخراج الثاني من حصن بهلا سنة ٩٦٨- ١٥٦٠ [١٩] ولا يبدو أنه تم انتخاب إمام بعد هذين حتى مجيء الإمام ناصر بن مرشد أول أئمة الأسرة اليعربية سنة ١٠٣٤ -١٦٢٤ وانما شهدت هذه الفترة نمو قوة النباهنة مجدداً حيث استولى سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني على نزوى سنة ٩٦٤-١٥٥٦[٢٠] وبلغت قوة النباهنة ذروتها في هذه المرحلة في عهد حفيده سليمان بن مظفر بن سلطان الذي جاء إلى الحكم سنة ٦٨٠ - ١٥٧٢ تقريباً واستطاع بفضل تحالفه مع بني هناءة القضاء على ثورة أهل نزوى وحلفاءهم الجبور بزعامة محمد بن جيفر [٢١] ويبدو أن سليمان هذا يتمتع بدهاء وحنكة سياسية فقد تزوج بزوجة زعيم الجبور هذا بعد قتله في المعركة ليضمن ولاء هذه القبيلة كما أنه لبى استنجاد حاكم صحار محمد بن مهنا الهديني الذي تعرضت بلاده لغزو أجنبي[٢٢] واستطاع هذا الحلف دحر العدوان إلا أنه لم يلبث أن انشق عليه حلفاؤه الأقوياء بنو هناءة [٢٣] فحاول ترميم هذا الصدع إلا أن محاولاته لم تنجح وكان هذا الانشقاق بداية النهاية لحكمه فقد لجأ بنو هناءة إلى حاكم سمائل القوي الأمير عمير بن حمير الذى انتهز الفرصة وعقد تحالفات واسعة مع المناوئين لسليمان والخائفين من نمو قوته فتحالف مع سلطان الرستاق مالك بن أبي العرب اليعربي جد الإمام ناصر ابن مرشد ومع قبيلة الجهاضمة أصحاب سمد الشان[٢٤] والمضطهدين من سليمان، بالاضافة إلى

بني هناءة واستطاع هذا الحلف بعد وقعات متعددة انزال هزائم متتالية بسليمان حتى تم إخراجه من عاصمته بهلا حوالي ١٠٢٣ - ١٦١٤ [١٥] ، حيث مات بعد أيام قليلة أصبح الأمير عمير بن حمير الرجل الأقوى في عمان ولا شك أن هذه التطورات أثارت مخاوف صاحب صحار وحليف سليمان القديم محمدبن مهنا الهديفي فقاد حملة ضد دير السيب التابعة لعمير [٢٦] والتي كانت تحت حكم اخوته وحقق الهديفي نجاحاً في حملته هذه فصمم الأمير عمير على الانتقام من الهديفي ويبدو أن هذا الأخير على جانب من القوة لهذا لم يجرؤ عمير على مهاجمته وحده فاتصل بالبرتغاليين في هرمز [٢٧] الذين لا شك وجدوها فرصة سانحة لاستعادة صحار التي لاشك أنها أصبحت تشكل منافساً خطيراً لمسقط [٢٨] ولا ندري ما هي شروط الاتفاق بين البرتغاليين والأمير عمير ولكن يبدو أن البرتغاليين اشترطوا الاستيلاء على صحار حيث نرى الأمير عمير بعد القضاء على الهديفي ينسحب إلى عاصمته سمائل [٢٩] ويستولى البرتغاليون على صحار وكان قتل الهديفي ليلة ٢١ ربيع الآخر سنة ١٠٢٥ — ١٦١٦ [٣٠] .

وفي العام التالي استطاع الأمير عمير أن يقضى على آخر معاقل النبهانيين من بني عم سليمان من مظفر في حصني مقنيات وينقل [٣١] . إلا أن الغموض يكتنف مصير الأمير عمير فلم نعد نسمع عنه شيئاً على الاطلاق وعندما بدأ عهد الامام ناصر بن مرشد بعد ثمان سنوات نجد أن زعيم آل عمير في سمائل هو مانع بن سنان العميري فلعله قد مات خلال هذه الفترة . ويبدو أن هذا الأخير لم يستطع ملء الفراغ الذى تركه الأمير عمير فلم يعد مانع بن سنان أكثر من أمير كبقية الأمراء الآخرين ويختتم السالمي هذه الفترة بقوله . . ولبث سيف بن محمد البهنائي في بهلى وآل عمير في سمائل ومالك بن أبي العرب اليعربي في الرستاق والجبور في الظاهرة والنصاري في مسكد وصحار وجلفار وصور وقريات وخربت عمان بعد العدل والأمان وعاثت الجبابرة . . وبقيت عمان كذلك حتى أظهر الله الإمام الأرشد والهمام الأمجد إمام المسلمين ناصر بن مرشد » [٣٢] .

البرتغاليون فى عمان فى المصادر المحلية العمانية :

كما سبق القول تحجم المصادر العمانية عن الاشارة للبرتغاليين في سواحل عمان حتى مجيء الإمام ناصر بن مرشد سنة ١٠٣٤-١٦٢٤ وبدء الصراع معهم حتى اخراجهم النهائي من مسقط باستثناء اشارتين وردتا عرضا الأولى عندما استنجد حاكم صحار محمد الهديفى بالسلطان سليمان بن مظفر لرد هجوم أجنبي متوقع وزعمت هذه المصادر أنه هجوم من قبل الايرانيين[٣٣] . والإشارة الثانية والتي سبقت الإشارة إليها أيضاً عندما احتل البرتغاليون صحار سنة ١٠٢٥-١٦١٦ .

وعندما بدأ الصراع بين البرتغاليين والامامة اليعربية أصبحنا نجد معلومات قيمة وفيرة نسبياً تتابع مراحل هذا الصراع حتى خروجهم النهائي إلا أن هذه المعلومات على وفرتها النسبية وبعد مقارنتها ببعضها البعض نجدها تستقي معلوماتها من مصدر يكاد يكون واحداً ولكن ليست كلها تستقيه من هذا المصدر مباشرة لهذا نجد بعض الاختلاف في الألفاظ وأحياناً تحريفاً في الأخبار المروية . هذا المصدر هو كتاب سيرة الامام العادل ناصر بن مرشد[٣٤] ومؤلف هذا الكتاب هو عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان وهو معاصر للامام ناصر وقد انتهى من تأليفه في حياة الامام يوم الثلاثاء عند العصر الثاني والعشرين من شهر محرم سنة ١٠٥٠ سنة ١٦٢٤[٣٥] وقد الفه بناء على طلب من الشيخ محمد بن سيف الدالي والشيخ ناصر بن ثاني بن جمعه ابن هلال [٣٦] .

ونلاحظ أن ابن قيصر انتهى من تأليف كتابه هذا قبل وفاة الإمام ناصر إلا أن يدا تدخلت وأضافت في آخر الصفحة الأخيرة[٣٧] بيتين من الشعر تؤرخ وفاة الامام ناصر بأنه كان في يوم الجمعة ١٠ ربيع الثاني سنة ١٠٥٩ سنة ١٦٤٩ ووضع تاريخ وفاة الامام في بيتين من الشعر محاولة

ذكية لا يهام القارىء أنها من وضع المؤلف الذي اعتاد نظم القصائد في المناسبات المماثلة كما أنه وضع تاريخ انتهائه من مؤلفه في أبيات من الشعر أيضاً. والذي يجعلنا نستبعد نسبة تأريخ وفاة الامام للمؤلف هي : أولا أنه خلال السنوات التسع – بين الانتهاء من تأليف الكتاب والتاريخ المزعوم لوفاة الإمام – لم يرد في هذا الكتاب أى ذكر للأحداث ، فليس من المعقول أنه لم يجر فيها أى شيء يستحق التدوين، ونستبعد أن يكون هناك سبب حال دون المؤلف وتدوين أحداث تلك الفترة ، والثاني أنه من المستبعد أن حدثا مثل هذا – وفاة الإمام ناصر – لا يستحق من المؤلف إلا هذين البيتين ، وإنما نتوقع مرثية طويلة كما اعتاد أن يفعل مع من هم أقل شأناً من الامام وأقل منه نيلا لاعجاب المؤلف . ومن نقاط ضعف مؤلفنا أنه لا يهتم بذكر تاريخ وقوع الأحداث ، ففيما يخص موضوعنا لم يذكر إلا تاريخ هجوم قوات الامام على صحار سنة ١٠٤٣ سنة ١٦٣٣ كما أنه يكثر من استعمال الكلمات الدارجة ويتكلف السجع .

الكتاب الثاني – كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة[٣٨] :

خصص مؤلف هذا الكتاب الباب السابع والثلاثين من كتابه وجعله تحت عنوان : في ذكر ظهور الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله وذكر الأئمة من بعده إلى وقوع الفتنة بين اليعاربة[٣٩] وفي معلوماته عن موضوعنا يعتمد اعتمادا كاملا على كتاب ابن قيصر ، وان لم يشر إلى ذلك ، إلا أنه كان أكثر تضلعاً في اللغة العربية ونحوها فصاغ عبارته بأسلوبه واستبعد مسجوعه . وهذا الكتاب هو مصدرنا الأول فيما بعد الامام ناصر بن مرشد وخاصة في فتح مسقط على يد الإمام سلطان بن سيف . ويبدو أنه أدرك الخطأ الذى أشرنا إليه في تاريخ وفاة الإمام ناصر وأنها كانت سنة ١٠٥٩ فجعل عبارته غامضة حيث يقول « وكانت وفاته يوم الجمعة لعشر ليال خلون من ربيع

الآخر سنة وخمسين وألف »[٤٠] – أن لم تكن سقطت سهواً من الناسخ – إلا أنه أخطأ في نقل معلوماته عن فتح جلفار أو سقطت منه العبارة سهوا فأسقط فتح دبا تماماً وأصبحت عبارته توحي بأنه كان في جلفار حصنان أحدهما للبرتغاليين والآخر للفرس[٤١] بينما الحقيقة أن الفرس كانوا في جلفار والبرتغاليين في دبا كما أنه ذكر أيضاً أثناء الحديث عن فتح جلفار أن فرقة من أهلها ظاهرت جيش العجم[٤٢] بينما تذكر السيرة أن فرقة من النصاري هي التي ظاهرتهم فأوهم بهذا الخطأ والذي قبله من جاء بعد .

الكتاب الثالث : الفتح المبين المبرهن لسيرة السادة البوسعيديين[٤٣] : لمؤلفه حميد بن محمد بن زريق . لا يبدو أن ابن زريق اطلع على كتاب سيرة الامام العادل وإنما اعتمد على رواية كشف الغمة حيث نجده يتابعه في أخطائه في جعل حصنين في أحدهما للبرتغاليين والآخر للفرس [٤٤] السابق الايماء إليهما إلا أنه يذكر أحياناً بعض الاضافات الهامة خاصة عن رفض البرتغاليين دفع الجزية أثناء الهجوم على صحار[٤٥] وإن قائد جيش الإمام الذى فتح صور وقريات كان سلطان بن سيف بن مالك [٤٦] وأثناء حصار مسقط في عهد الإمام سلطان يعطي تفصيلات مسهبة[٤٧] .

الكتاب الرابع : كتاب تحفه الأعيان المبرهن لسيرة أهل عمان : لمؤلفه نور الدين عبدالله بن حميد السالمي . ليس هناك شك في أنه اطلع على المصادر الثلاثة السابقة واستفاد منها إلا أنه يحتفظ كثيراً في الأخذ عن ابن زريق لعدم ثقته فيه [٤٨] أما كتاب ابن قيصر فعلى الرغم من معرفته به [٤٩] إلا أنه – فيما يخص موضوعنا على الأقل – أخذ معلوماته عن طريق كشف الغمة يثبت ذلك مقارنة النصوص فى الكتابين بما لا يدع مجالا للشك ويبدو أن السبب في عدم الأخذ مباشرة عن كتاب ابن قيصر هو سهولة لفظ كشف الغمة وأمانته فى النقل إلا أن هذا أدى إلى الوقوع في نفس الأخطاء التي وقع فيها مؤلف كتاب كشف الغمة والتي سبقت الإشارة إليها إلا أنه ذكر أن وفاة الإمام ناصر كانت سنة ١٠٥٠ إلا أنه عاد فناقض

نفسه وذكر أن مدة أمامته كانت ستا وعشرين سنة بينما ذكر كما تؤكد المصادر السابقة – أن بيعته بالامامة كانت سنة ١٠٣٤ ؟

الكتاب الخامس – مجهول المؤلف وأيضاً بدون عنوان :

وهو نفس المجلد الذي يحتوى على كتاب سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد في مخطوطة المتحف البريطاني ٣٤٣-٢٣ ويأخذ من رقم ٥٠ – نهاية كتاب السيرة – حتى آخر المجلد الورقة ١٧٣ وفي كل صفحة ١٣ سطراً .

ويبدأ بقوله « رب يسر بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير قال الكلبي أن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم بن غانم بن دويس بن عدنان بن عبدالله ابن زهران بن كعب بن الحارث بن عبدالله بن مالك ابن نصر بن الأزد الأزدي ثم الدويسي وكان سبب خروجه إلى عمان . ؟ [٥٠] ؟

وينتهي بقوله : (وقد أعطى سيدنا قيس بن الإمام كوت المطرح ومحصولها وبقى مدة بيده إلى أن ارد الله اظهار ما هو كائن أراد السيد سلطان الكوت الغربي من سيدنا محمد بن خلفان واحجر عليه بالكوت الشرقي وذلك بعد عهود وايمان جرت بينهما فلم يجد بدا من تسليمه وكان فيه خصيف بن مطر النبرى فمكث أياماً وأمر بتخلصه من الشيخ ماجد بن سعيد وفسح لمولانا محمد بن خلفان وخرج من مسكة إلى بيته فلج جبل الفاف ثم أراد الله اصلاحهم واصطلحوا ورجع مولانا محمد بن خلفان وكيلا بالفرضه » [٥١] ؟

وهو ناقص الآخر وكما رأينا ينتهى بذكر السيد قيس بن الإمام المتوفي سنة ١٢٢٣- ٨٠٨ وفيما يخص موضوعنا فهو ينقل نقلا يكاد يكون حرفياً عن كشف الغمة .

الكتاب السادس : مجهول المؤلف أيضاً وليس له عنوان ويقع فى ٤٧ ورقة وفي كل ورقة ٢٣ سطراً في مخطوطه المتحف البريطاني or - 6668 وكاتبه يدعى جعفر بن سالمين بن عبدالله النخلي وقد انتهى من كتابته يوم ٢٠ جمادى الأولى ١٣٠٨ .

ويبدأ بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم ذكر والله أعلم وأعز وأحكم وأروف وأرحم فيما مضى وتقدم من أحاديث الأمم فيما قيل أن سبب إخراج الفرس من عمان وانتقال مالك بن فهم إليها وكانت يومئذ أهلها الفرس وكان مالك وقومه من أهل سبا . . . [٥٢] .

وينتهى بقوله « فهذه مما وردت به من الأخبار عن الأئمة والملوك والشيوخ والشجعان من أهل عمان تاريخ يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ وقد تم هذا الكتاب مما وجدته مكتوب (كذا) في هذه الصحايف من تأليف والتواريخ عن الأئمة والمشايخ والسلاطين والشجعان المتقدمين الأوايد (؟) والله أعلم والحمد لله رب العالمين حق حمده كثيراً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكتبه الفقير الحقير أقل العباد خادم المسلمين جعفر بن سالمين بن عبدالله النخلي تابع أولاد محمد بن بشير بن محمد بن بشير النحيرى الذى هو من بلد العليا من ناحية وادي بني خروص والله أعلم بصحة ذلك . . [٥٣] .

هذا الكتاب ينتهى بذكر مجيء أحمد بن سعيد اليوسعيدي واخراجه العجم من عمان . وفيما يخص موضوعنا هو أيضاً يعتمد كلية على كشف الغمة ويكاد يكون حرفياً إلا أنه يبدو أنه اطلع على كتاب سيرة الإمام العادل حيث نجده عند ذكر وفاة الامام ناصر يقول : « كما قال الشاعر في تاريخه [٥٤] » ثم يورد البيتين الذين سبقت مناقشتهما مع بعض الاختلاف في اللفظ .

بهذا العرض السريع يتبين لنا بوضوح أن المصدر الأساسى لجميع هذه المؤلفات فيما يتعلق بوجود البرتغاليين واجلائهم عن عمان في عهد الإمام ناصر بن مرشد هو كتاب سيرة الإمام أما اخراجهم النهائي على يد سلطان ابن سيف فمصدرنا الأول هو كشف الغمة لهذا سنورد النصوص الخاصة بهذا الموضوع من كتاب السيرة فيما يتعلق بفترة الامام ناصر ومن كتاب كشف الغمة فيما يتعلق ببدء فترة الامام سلطان بن سيف .

سيرة الامام العـادل ناصر بن مرشد ـ الورقة ٢١ :

« خبر افتتاح قـرية لوى »

« قال الراوى لهذه السير الطرايف ولهاية القصص الشرايف : قال الراوى لحضر (؟) هذه الأمثال وضبط هاية الأحوال الأقوال (كذا) ثم ركب عبدالله بن محمد يقطع الجبال مع الشوى ؟ متوجهاً بالجنود إلى قرية لوى وذلك لاختلاف رأى الجبور بعضهم ببعض وقتل محمد بن جفير وحصول العداوة ما بينهم والبغض حتى وصل إلى الفليح من قرية مجيس وبات مع جيشه في ذلك القاع النفيس ثم ركب منها متوجهاً لقرية لوى ونزل بجامعها لصحة رواية من روى وعلى جميع أهلها ونخلها احتوى ودارت الجيوش بحصنها حينما نزل واستقام الحرب فيما بينهم فلم تزل وكان مالكه سيف بن محمد بن جفير الهلالي وعنده من الجنود كل سميدع وغظنفر مصالى وأما اخوته ووزراؤهم التجوا إلى صحار وهي حينئذ في ملك النصاري لصحة الأخبار . وكان مانع بن سنان في صحار عند النصاري والناس من وقع الحروب (الورقة ٢٢) وقطع الدروب حيارى فما زالوا في صحار يغيرون من لوى لجيش الامام (كذا) ولا يكفون أيديهم عن الخاص والعام لا سيما إذا عسعس ديجور الظلام ويمدون جماعتهم المحصورين ما استطاعوا عليه من الطعام وأصناف آلات الحروب على الدوام . قال الراوي : فأرسلوا أبناء جفير للوالى عبدالله بن محمد الموصوف بالخير يسعون في أنواع الصلح وأسبابه خاضعين له ومنتظرين لجنابه فعلم على ما هو عليه من سجيه وطبيعة كما قيل : الحرب بالخديعة فلما أن وضح لديه حالهم جهز لهم جيشاً وأمر فيه الوالي محمد بن على ليهجم جمعهم المستكن بصحار وليكن ذلك بعـد الهدوء في غياهب الأسحار فأتوهم عند ذلك قبل بدء الصباح في موضع يدعى بمنقل في الأحاديث الصحاح وهو مما يلى الجنوب من الحصن على ساحل البحر فهناك قد وقع فيهم الطعن والضرب والنحر . ثم رجع والي الإمام محمد بن على إلى الولاة (كذا) حاكياً لأصحابه ما فعل في أضداده وسواه . فما زالوا حاصرين الحصن بعد هذه الوقعة بمدة معتدين للحروب

باعدل آلة وأكمل عدة حتى أرسل سيف بن محمد بن على رجال ليحمدوهم العدة إذ هم يومئذ رؤساء الرستاق ونجباء الإمام وأهل الشوكة يوم التلاق ليدخلوا به على الوالي الأكبر والمقدم الغظنفر والكوكب الدري الأزهر وهو عبدالله بن محمد الأفخر ليخرجوا من حصنهم آمنين ومن سائر النهب والسلب سالمين | فأعطاهم والي الإمام الأمان وأدخل عليهم رجال اليحمد بالاعلان فخرج سيف بن محمد في الوقت والحين ولم يعلم به أحد من المسلمين وخرجت من بعده ساير الأقوام وما تضمنه ذلك الحصن من الامام . فدخل والي الإمام الحصن وذلك خبر اذن الله تعالى بالنصر وقد كان الحصر ستة أشهر في التعداد كما روى لنا ذلك في صحيح الاسناد . . » .

حصـــار مسقط :

قال الراوي لهذه السيرة الرائقة والطريقة المنيقة الفائقة ثم أن جهز الامام جيشه العرمرم وأمر فيه الشيخ التقي المكرم والتقى الصفي المفخم ذا التقوى والإيمان الشيخ مسعود بن رمضان ومعه رؤساء القبائل من عمان وسيرهم قاصدين مسكد بالتحقيق فأناخ الجيش بموضع يقال (له) طوى الرولة بالتصديق وهي بالمطرح بقرب المسكد المذكورة ودارت رحى الحرب المنون ما بين المسلمين والمجرمين للأخبار المشهورة ووقع بينهم الضرب والطعن الشديد . وكان النصر للمسلمين على المشركين والتأييد وهدموا ما احتووا عليه من مسكد من بروج باذخة ومبان شامخة وقتل من المشركين خلق كثير لا يحصون عدداً وذلك مما روى لنا من الحديث مسندا . فحين تحقق المشركون بالهلاك وأيقنوا أن لا لهم من الضيق فكاك بعثوا رسلهم للشيخ مسعود بن رمضان لينعم عليهم بالصلح بعد المشقة والهوان ، فصالحهم على فك ما تحت أيديهم من عصايب أموال العمور وأموال الشيعة من صحار . فأذعنوا بالطاعة بعد عظائم الأمور فأخذ لهم العهود على ذلك وأعطاهم

الأمان ورجع الجيش مؤيدا منصوراً إلى عمان حاكياً للأمام ما كان من المشركين من الطوع والاذعان وقال المصنف (١٧ بيتاً من الشعر) .

الورقة ٢٧ ــ « خبر افتتاح قرية الصير :

قال الراوي لهذه المذاهب النفيسة والحاوي لغاية الملاحات الأنيسة ثم أن الامام نصره الله جهز جيشاً لهاما وأمر فيه على بن أحمد بن عثمان النزوي وجعله مقداماً وعضده ببني عمه أبي العرب الأمجاد وأمرهم على امتثال أمره والطوع له والانقياد فقام الجيش على أقدامه بقطع السباسب والآثار ويجتاز الصياصح ويجاوز القفار مستقبلا قاصداً بمشيئة الله تعالى بلدة جلفار حتى بلغها ذلك الجيش الكبير . وكان بحصنها ناصر الدين العجمي الأمير وعنده جيش من العجم أهل مينا (؟) ووقار وحصير . فحصرت العرب العجم بحصن الصير (الورقة ٢٨) ومازالوا مجتهدين في الجهاد من غير تقصير مشمرين في ذات الله تعالى غاية التشمير ، قد استنصروا الله فنصرهم وهو نعم المولى ونعم النصير . وما برحوا قائمين بالحرب والنزال والعزم القوي الذي لا يزال فظاهرت الأعداء فرقة من المشركين وكانوا فى قتال المسلمين على المجرمين بقدر قاييهم (؟) وكان لحصن الصير برج معتزل عنه له جدار والجدار هو متصل بالحصن وهو له مدار وفيه أقوام تقاتل آناء الليل وأطراف النهار ، وكان غربان النصاري تدفع بمدافعها المسلمين عن الحصن بضرب مدافعها وليس ضربها عن سطوات المسلمين بنافعها . فعزم المسلمون على هجم (كذا) البرج الذي هو للحصن منقاده واتفقت آراؤهم إذا غشي القوم الرقاد فهجموا عليه ليلا وأخذوه قهراً ومالوا على الحصن وافتتحموه جهراً وذلك من فضل الله على الناس وتتابع نعمه وحسن الطافة الخفية فيهم (و) واسع كرمه وجعل والي الإمام بحصن الصير من جنابه والياً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وللبغي ماحيا . فشد الله يومئذ للإسلام مأزرا . وقال المصنف في ذلك شعرا (١٦ بيتاً) .

الورقة ٢٩ ــ « خبر افتتاح قــرية دبا » :

قال الراوي لهذه الأقاويل المرتبة والحادي لهاية التماثيل المنتخبة ثم أقبل الجيش الذي كان بجلفار قاصداً قرية دبا مع رجال الدهامش يقطعون الأقفار ومعهم خميس بن محزم مجتمعين في مقصدهم بالواحد الملك القهار وكان خميس بن محزم مجداً مجتهداً مشمرا في ذات الله أذياله باذلا في الجهاد حينئذ نفسه وماله . وكان بقرية دبا حصن بساحل البحر للنصاري فدخل جيش المسلمين البلد ليلا أو نهاراً ، واستولى على جميع أهلها ونخلها جهاراً فحصر النصاري جيش الإمام وبنوا فيها حصناً مشمخرا لا يرام . فاستذلت دولة المشركين غاية الاستذلال وبعثوا رسلهم يومئذ في الحال . فصالحهم الوالي المؤيد بالتمكين لحقن دماء المسلمين ولاستراحتهم من الزحام والفرار إلى حين . فأقام المسلمون بحصن دبا رجلا من الثقات آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ومعهم بعض الشراة (١٥ بيتاً من الشعر) .

الورقة ٣٠ ــ « خبر سير الوالى على صحار » :

قال المؤلف لهذه الروايات والمصنف لهاية الحكايات وكان رجال العمور شراة في خدمة الإمام وكان الوالي بها حينئذ حافظ بن سيف المعروف بابن يحيي في الأنام فاسندوا عليه في أخذ صحار بعض الأسانيد فى تعريض الكلام أن يوجه لها جيشاً ويؤسس لها حصناً ليحوز الأنام فاستحسن رأيه السديد وصغى إليه وكان طائعاً ومعتمداً عليه ، فبعث برسله لمن بقربة من القرى والدور ورؤساء (الورقة ٣١) القبائل وبني خالد وبني لام ورجال العمور وأخذ من قمزية لوى شراة الامام وهم العمدة وشوكة الجمهور بالتمام فسار بالجنود متوجهاً إلى صحار قادماً عليها بالجحافل راد الضحى من النهار وكان رجال من أهل صحار يدعونه إلى ملكها فأجابهم على ذلك ولم يعزم على تركها ففصل بالجنود وبات بقرية عمق ولم يعلم به من صحار أحد من الخلق وصبحها ضحى النهار في آخر يوم من محرم الحرام لسنة ثلاث سنين وأربعين سنة وألف من هجرة خير الأنام محمد صلى الله عليه

وسلم وأناخ بمكان يدعى بالبدعة من صحار وذلك هو أول يوم نزل بها لصحة الآثار وصال جمع المسلمين على المشركين حتى وصلوا إلى حصن ابن الأحمر ووقع بينهم الطعن والضرب فهما قضاه الله وقدر . وكانت النصاري تضرب بمدافعها المسلمين وما أصاب من مصيبة إلا باذن الله رب العالمين وكان الظفر حينئذ للاسلام حتى أدخلوهم حصنهم بالتمام . ثم انتقل الوالي من المكان الذي كان قدما فيه ونزل بالمقدمى من صحار ما يحكيه المصنف ويرويه فما قام بها إلا مدة قليلة من الأيام وما زالت النصاري تضرب بمدافعها الأنام وتوجهها قاصداً لجمع الأقوام ، فاشتد ذات يوم على المسلمين شدة ضربها لاستخفافهم بالقصد لفئة الإسلام والعلم بقربها فجاءت ضربة من مدفع مرتفع بمكان عال فخاضت النخيل والجموع وقصدت مجلس الوالي وكان جالساً بين أرباب دولته وبجنبه أخوه في الله وهو راشد بن عتاد وشراة الامام تحيط بهم ومعهم خلق كثير من أهل البلاد فأصابت راشد بن عتاد دون أولئك الصفوف (الورقة ٣٢) وكان ذلك لحصول القضاء وحلول الحتوف فمات حينئذ ودفن في الحال . فعزم الوالى من ذلك المكان على الارتحال ، ثم عزم الوالي على بناء حصن في صحار وذلك لأجل الاقامة فيه . وأقام ونزل فيه والى الامام حافظ بن سيف ولم يزل الحرب ما بين المسلمين والمشركين بمدينة صحار مستقيماً دائماً آناء الليل وأطراف النهار إلى أن استقل قاضي القضاة الرستاقي خميس بن سعيد ، واستقامت عنده طائفة اليحمد وهم أولى البأس والشدة وذروة من انتخبه من ذوي الرأى السديد ، وجعلوا يقطعون الدكادك والبيد ، ويخترقون المرافع والصعيد حتى أتوا إلى قرية بوشر فأرسل لهم المشركون بالصلح كفاية للشر . فأنعم عليهم الشيخ خميس بن سعيد بالرضى والصلاح ، ورجعوا عنه ببلوغ القصد والنجاح . ثم بعث رسله للنصارى في مسكد ليطلع على أحوالهم ويتأكد ثم لم تزل الرسل بينهم متواترة وأسباب الخير والسرور متكاثرة . ثم ركب خميس بن سعيد وأناخ بالمطرح وأقام بها أياماً فلم يبرح ثم أرسل للنصارى فأجابوه وأذعنوا له طوعاً فلم يحاربوه وجاءت رجالهم إليهم ووجوه أهل البلاد ، وامتثلوا لأمره عليهم وبما أراد فأرسل القاضي خميس بفك المقابض التي كانت عليهم

ورخصوا للناس إلى التوجه إليهم وأطفأ الله نار المشركين فخمدت ، وشكرت البرية باريها فحمدت ، وكفت الأيادي عن القتال ولأسيافها غمدت وقال المصنف عبدالله بن خلفان بن قيصر بن سليمان شعرا من الوافر (١١ بيتاً) .

الورقة ٣٣ ــ « خبر افتتاح بلدة قريات » :

قال الراوي لهذه السيرة الحميدة والطريقة الرشيدة ثم إن مولانا الإمام المؤيد المنصور جهز جيشاً ووجهه بعض الولاة (كذا) إلى صور وهى بلدة شاسعة عن ملك النصارى ، فنزل المسلمون بها وحصروها جهاراً فلم تزل الحرب ما بينهم ليلا ونهاراً حتى خول الله المسلمين نصراً وأعان على النصارى فافتتحوها قهراً . ثم توجهت فئة الإسلام لصد فيه الظلام (كذا) بقرية قريات وللنصارى فيها حصن لصحة الأحاديث (و) الروايات . وأناخ المسلمون فيها بجيشهم الهمام وبنوا فيها حصناً لمولانا الإمام وحاز المسلمون على أهلها وجميع الأموال والتمام ، وجعلوا في الحصن والياً ومعه بعض الشراة وذلك مما قضاه الله في خلقه وأجراه فافتتحت الولاة حصن قريات وصور ودانت جميع القبائل لمولانا الإمام المنصور فاحتوى ملك الامام على جميع اقليم عمان من صور إلى الصبر وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس وهو حسبنا ونعم النصير وقال المصنف (١٠ أبيات من الشعر) .

كشف الغمة ــ الورقة ٣٧٣ :

« . . . ثم ان المسلمين لما مات الإمام ناصر بن مرشد بن مالك عقدوا لابن عمه الإمام سلطان بن سيف بن مالك حتى نصره الله عليهم وفتحها ولم يزل يجاهدهم أينما تجدهم (كذا) في بر وبحر . . . ولم يزل قائماً مستمرا رحمه الله وغفر له وقبر حيث ما ظنت غير الامام ناصر بن مرشد وكانت وفاته الجمعة السادس من شهر القعدة سنة تسعين وألف سنة »

على أن الخلاف لا زال قائماً حول تاريخ اخراج البرتغاليين من مسقط ويعود سبب هذا الاختلاف إلى عدم معرفة تاريخ وفاة الامام ناصر بن مرشد بشكل دقيق على أنه يظل ما بين سنة ١٠٥٠ ـ ١٦٤٠ و سنة ١٠٥٩ ـ ١٦٤٩ .

المصـــادر والتعليقات

١ ــ انظر ص ٩ من هذا البحث .

٢ ــ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الطبعة الخامسة ١٣٩٤-١٩٧٤ جـ ١ ص ٣٥٣ .

٣ ــ يفهم مما أورده مؤلف كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة مخطوطة المتحف البريطاني رقم 8076 on الورقة ٣٥٢ أن أمير هرمز ــ القديمة ــ المسمى محمود ابن أحمد الكوشى الذي وصل إلى قلهات ثم غزا ظفار ــ يفهم منه أن أمير هرمز كان يسيطر على سواحل عمان ويطمح في حملته هذه التي حدثت سنة ٦٦٠-١٢٦١ إلى مد نفوذه حتى على الداخل ينظر ابن بطوطة .

٤ ــ Gf-, S. B. Siles The Countri S and Tribel of the Persian Sulf 2nd. editon,London, 1966 .P. 141 .

٥ ــ تحفـــة الأعيان جس ٢ ص ٢٠ ــ ٢١ .

٦ ــ المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤٩ .

٧ ــ نفسه جـ ١ ص ٣٦٩ .

٨ ــ نفسه جـ ١ ص ٣٧٠ .

٩ ــ نفسه جـ ١ ص ٣٧١ .

١٠ ــ ليس لدينا صورة واضحة عن حكم بني بنهان ومدته والمعلومات عنهم غامضة يلخصها السيابى ، سالم بن حمود فى كتابه اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان منشورات المكتب الإسلامى ، بيروت سنة ١٣٨٤-١٩٦٥ ص ١١٨ بقوله « وقد ملك بنو بنهان عهداً طويلا لم يزل الملك فيه من أيديهم إلا أعواماً يسيرة ثم يعود إليهم فمن قائل ملكوا عمان مرتين ومن قائل مرة واحدة تسلسل الملك فيها قدر خمسمائة سنة وبعضهم يقول قدر مائتين وستين أو سبعين عاماً .

١١ – السالمي ، نفسه جـ ١ ص ٣٧٢ .

١٢ – نفســـه .

١٣ – نفسه ص ٣٧٨

١٤ – نفسه ص ٣٨٠ .

١٥ – F.C. Danvers, The Portuguese In Indis. 2nd, imprssion London,vol.I,P·354 : iles, op. cit,P. 156.

وانظر أيضاً ويلسون ، أرنولد ، الخليج العربى ، مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين ، نقله إلى العربية ، د. عبد القادر يوسف ، الكويت ، بدون تاريخ ص ٢١٨ .

١٦ – السالمي ، نفسه ، جـ ١ ص ٣٨٦ .

١٧ – نفســـه .

١٨ – نفسه ص ٣٨٧ ، الواقع أن انتخاب أكثر من إمام واحد في وقت واحد تعود جذوره إلى أواخر القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادى عندما عزل الإمام الصلت بن مالك وانتخب الإمام راشد بن النظر سنة ٢٧٢-٨٨٥ فاختلف العمانيون فى ذلك فتمسك بعضهم بامة الامام المعزول ، الصلت وتابع آخرون الإمام الجديد ، راشد . ثم بعد ذلك بفترة طويلة تبلورهـــذا الانشقاق وأدى إلى نشؤ فرقتين إحداهما تدعى الرستاقية وهي التي ترى امامة الصلت والأخرى تدعى النزوانية وهي التي ترى صحة امامة راشد وظل هذا الانقسام حتى ظهور الامام ناصر بن مرشد . انظر السالمي ، نفسه . جـ ١ ص ١٩٦ و ص ٢١٢ .

١٩ – السالمي ، نفسه جـ ١ ص ٣٨٦ .

٢٠ – المصدر السابق ص ٢٨٨ .

٢١ – نفسه .

٢٢ ــ السالمي ، نفسه ، وقد ذكر أنه هجوم من العجم وليس لدينا تاريخ محدد لهذا الهجوم ولكن من المؤكد أنه بعد عام ٩٨٠-١٥٧٢ التي فيها أو بعدها بقليل جاء سليمان بن مظفر إلى الحكم وفي هذه الفترة كانت ظروف إيران الداخلية لا تسمح بالقيام بمثل هذا العمل انظر :

Sir P. Sykes.A History of Persin 3rd edition, london, 1969 vol.2 Po 170-172.

والأقرب للاحتمال أن هذا الهجوم كان من قبل البرتغاليين الذين لا شك يزعجهم منافسة صحار للموانى الخاضعة لهم .

٢٣ ــ السالمي ، نفسه ص ٣٨٩ ــ ٣٩٠ .

٢٤ ــ نفسه ص ٣٩١ ــ ٣٩٢ .

٢٥ ــ نفسه ص ٣٩٤ .

٢٦ ــ نفسه ص ٣٩٦ .

٢٧ ــ نفسه ص ٣٩٧ .

٢٨ ــ ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، ترجمة مكتب الترجمة بدبوان حاكم قطر ، ١٣٨٧ - ١٩٦٧ ، ص ٢٤ ، ويلسون ، أرنولد ، نفسه ص٢٤٥

Danvers op. Cit. p.191.

٢٩ ــ السالمي ، نفسه ج ١ ص ٣٩٨

٣٠ ــ كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة المنسوب لسرحان بن سعيد ، مخطوطة المتحف البريطانى رقم pr 8076 الورقة ٣٦٣ .

٣١ ــ السالمي ، نفسه ج ١ ص ٣٩٩

٣٢ ــ نفسه ص ٣٩٩ ــ ٤٠١

٣٣ ــ أنظر أعلاه هامش رقم (٢٢)

٣٤ ــ مخطوطة المتحف البريطانى رقم Add 23343 ويقع في ٥٠ ورقة في كل صفحة ١٣ سطرا .

٣٥ ــ الورقة ٤٩

٣٦ ــ الورقة ٣

٣٧ ــ الورقة رقم ٥٠

٣٨ ــ ترجمت وطبعت أجزاء منة ١٨٧٤في The Journal of the Asistic Society of Bengal. vol,xiii part 1,by E. C.Ross

تحت عنوان Aunals of Oman

وينسب هذا الــكتاب لسرحان بن عمر بن سعيد السرحافي الأزكوى. إلا أن هذه النسب محل شك أنظر :

W. Phillips, oman A History, London. 1967, Note No, D,P.19

٣٩ ــ مخطوطة المتحف البريطاني . رقم 8076 or الورقة ٣٦٤

٤٠ ــ الورقة ٣٧٠

٤١ ــ الورقة ٣٦٩

٤١ ــ نفسه

٤٣ ــ مخطوطة مكتبة جامعة كيمبردج تحت رقم Add 2892 نشرة تحت عنوان History of the Imama and deyyies of oman.london 1871

٤٤ ــ الورقة ١١٩

٤٥ ــ نفسه

٤٦ ــ الورقة ١٢٠

٤٧ ــ الورقة ١٢٣ ــ ١٢٧ وهو هنا لايكتفي بما جاء في كشف الغمة حيث يقول « أخبرني غير واحد من الثقات المسنين الذين نشأوا في زمن الأمام سلطان ابن سيف بن مالك اليعربي رحمه الله فاتفقوا في الرواية معنى واختلفوا لفظا فكان معنى كلامهم اللفظي . . »

٤٨ ــ تحفة الأعيان جـ ٢ ص ٩٥

٤٩ ــ نفسه جـ ٢ ص ٢١

٥٠ ــ الورقة ٥٠

٥١ ــ الورقة ١٧٣

٥٢ ــ الورقة ١

٥٣ ــ الورقة ٤٧

٥٤ ــ الورقة ٣٤

الشعر النبطي
من مصادر تاريخ نجد

لعل من نافلة القول الإشارة إلى أن بعض الأقطار أوفر حظاً من البعض الآخر من حيث تدوين تاريخها وتعدد مصادره لما لهذه وتلك من ظروف خاصة . ومناطق جزيرتنا العربية لاتخرج عن هذه القاعدة ، فبعض مناطقها كالحجاز واليمن حظيت بعناية المؤرخين في عصور مختلفة بدرجة لابأس بها لما للحجاز من مكانة رفيعة في نفوس المسلمين ، ولما ظهر في اليمن من علماء اهتموا بكتابة تاريخ بلادهم . وبعض مناطق هذه الجزيرة كنجد لم تحظ بمثل تلك العناية لظروف معينة مرت بها .

مضت عدة قرون قبل ظهور حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمعلومات المدونة في المصادر التاريخية عن نجد تكاد تكون نادرة ، والإشارات العابرة التي وردت عنها في تلك المصادر غير متصلة . وبعد قيام حركة الشيخ كتب عن هذه المنطقة الشيء الكثير وإن كان غير واف من بعض الوجوه . وعلى هذا الأساس فإنه لابد للباحث من استعمال جميع الوسائل الممكنة التي تساهم في رسم صورة واضحة لتاريخ هذه البلاد ووصل ما انقطع من سلسلة الأحداث فيها طيلة القرون السابقة للحركة المذكورة . وإكمال ماهو ناقص من بعض النواحي في الكتابات التي دونت عنها بعد قيام تلك الحركة .

والشعر العربي من أهم مصادر تاريخ هذه الأمة الشاعرة في مختلف العصور وفي سائر جوانب حياتها . وقديما قيل: الشعر ديوان العرب . وغالبا ماأعطى الباحثون هذا المصدر حقه من العناية والدراسة . وكثيراً ماأمدهم ذلك الشعر بما يبحثون عنه من معلومات مفيدة في مجالات بحوثهم المختلفة . وإذا كان الشعر العربي المتقيد بضوابط الإعراب قد اعتني به واستخدم فقدم خدمة جليلة للباحثين فان الشعر النبطي متى نال مثل تلك العناية واستخدم

كذلك الاستخدام سيعطي للدارسين خدمة لاتقل عن تلك التي أعطاها ولا يزال يعطيها الشعر الأول . وسنرى من خلال هذا البحث المتواضع جوانب مما يمكن أن يؤديه الشعر النبطي بصفته مصدرا من مصادر تاريخ هذه البـــلاد .

ولعله من الواضح أن هذا البحث لا يهدف إلى دراسة الشعر النبطي دراسة فنية . غير أن إشارة بسيطة للتعريف به وما حظي به من عناية قد تكون مستحبة في هذه المناسبة .

المقصود بالشعر النبطي ذلك اللون من الشعر العربي الذي لايتقيد في غالب الأحيان بقواعد إعراب اللغة العربية وصرفها ولا ببحور الشعر المعهودة .

وهناك من يسميه الشعر العامي أو الشعر الشعبي ، وهناك من يدعوه شعر البادية . والتسميتان الأوليان ترمزان إلى معنى واحد وهو أن ألفاظ هذا الشعر هي الألفاظ التي يتكلم بها عامة الناس أو سائر الشعب لا أن الذين يقولونه هم العامة وحدهم لأن ذلك خلاف الواقع . فهناك أناس من الخاصة وعلية القوم قالوه . وهناك أفراد من المشهورين كتبوه كما كتبوا الشعر المتقيد بقواعد إعراب اللغة . ولعـــل أبرز مثال على هذا شاعر نجد الكبير محمد بن عثيمين ، وأما اطلاق شعر البادية عليه فتعريف قاصر لأن الحضر لايقصرون باعا فيه عن البدو . بل إن أكثر أصحاب الدواوين الـــكبيرة فيه من السكان الحضر .

ويرى الأستاذ خالد الفرج أن في تسميته بالشعر النبطي دليلا على أنه قد أتى إلى نجـــد من سواد العراق أو مشارف الشام لأن اسم الأنباط كان يطلق على فلاحي تلك الجهات التي لحق التحريف اللغة العربية فيها قبـــل جزيرة العرب[1] .

---

(١) خالد الفرج ، ديوان النبط ، المطبعة العربية ، القاهرة ، ١ ـ٧ .

وقد يكون في هذا شيء من الحقيقة . وقد يكون سبب التسمية أن قائله لا يتقيد بإعراب اللغة العربية لأنه لايتقنها مثله في ذلك مثل رجل الأنباط . فـكان في تسميته أول الأمر نوع من الازدراء . ثم أصبحت التسمية علما عليه . ولذا فهو شعر محلي لم يفد إلى المنطقة من الخارج .

ويعود أول ماروى لنا من هذا الشعر إلى القرن السابع الهجري . وظـل متوارثاً من جيـل إلى آخر حتى العهد الحاضر . وقد دخلت إليه عبر القرون أنواع من التطور ويلاحظ أنه كلما قرب عهده من الوقت الحاضر زاد بعده عن الشعر الملزم بقواعد العربية على العموم . وظل محفوظا عن طريق الرواية الشفهية في الغالب . ولم يكن قائلوه يكتبونه إلا قلة مثل محمد العبد الله القاضي . وكان العلماء والمؤرخون يتفادون تسجيله فابن بشر — مثلا — حينما تحدث عن معركة الخرمة سنة ١٢١٢ هـ قال : « وقد أنشد فى هذه الوقعة شعر كثير ولـكن ليس على اللفظ العربي[٢] » . وعندما تكلم عن اغتيال الإمام تركي بن عبد الله قال : « وقد رثاه رحمة الله عدد كثير من الشعراء ولـكن ليست على اللفظ العربى فلا تليق بهذا الـكتاب[٣] . على أنه كان يوجد هواة عنوا به قد دونوا ما راق لهم منه .

ومنذ أواخر القرن الماضي كثر المهتمون بتدوينه ونسخه . وكان هناك من يدونه ميلا إليه . وهناك من كان ينسخه للارتزاق منه . وكان هناك من يسجله للاستحسان والارتزاق معاً .

وأول ماطبع من الشعر النبطي ديوان صغير للشيخ قاسم بن ثاني سنة ١٣٢٨هـ .[٤] ثم توالت طباعته على هيئة دواوين أو مجموعات . وفي الفترة الأخيرة جعلت له برامج خاصة في بعض الاذاعات . وبدأ الباحثون بدراسته.

---

(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد . الطبعة الثانية على نفقة وزارة المعارف السعودية ١٣٩١هـ ١ - ١٥٢ .

(٣) المصدر السابق ٢ - ٧٥ .

(٤) خالد الفرج ، المصدر السابق ١ - ١٠ .

وكان من رواد المهتمين بطباعته المرحوم خالد الفرج . ومن رواد دراسيه الأستاذ عبد الله بن خميس .

والملاحظ أن الشعر النبطي رغم مالحقه أحيانا من خروج على قواعد إعراب اللغة هو أقرب الأشعار الدارجة في البلدان العربية إلى الشعر العربي الملتزم بتلك القواعد من حيث الألفاظ والبحور والأغراض والدور المؤدى ولم يكن متوقعاً أن يكون غير ذلك وقائلوه أبناء قلب الجزيرة العربية الذين فرضت عليهم ظروفهم الجغرافية أن يظلوا أبعد العرب عن التأثر بالمؤثرات الخارجية عبر القرون . وظلت حياة كل جيل من هؤلاء الأبناء مشابهة لحياة الجيل الذي سبقه بكل جوانبها . بقيت المثل الاجتماعية والعادات والأخلاق عربية أصيلة كما كانت منذ عصور قديمة بحسناتها وسيئاتها . ولم يبدأ التغير الحقيقي لما ذكر إلا بعد تدفق النفط على أرض هذا الوطن ، وما تلا ذلك من ثروة واختلاط بالأجانب ترك بصماته على كثير من أمور حياتنا ومنها الشعر . فبعد أن كان رسول الشاعر يقال له :

ياراكب من فوق حرٍّ مشدّر	مـادنّق الرقـاع يرقع رهوقه
أمـه لفتنـا من عمان تذكّـر	وأبوه من قعـدان علوى عموقه
يشبه ظليم من جـذيب تحدّر	وإلا النداوى يوم تطلق سيوقه[٥]

أصبح يوجد من يقول له :

راكب اللي لا مشى يسهى سهيـان
مـا يداني رجـل سـواقه تنوشه
إن عطى لـه مـع طـمان أو بيـان
والـدر يول شد سـكانه يهوشـه.[٦]

---

(٥) فهد المارك ، من شيم العرب ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ ١ - ٢٤١ .

(٦) عبد الله بن رداس ، شاعرات من البادية ، دار اليمامة ١ - ١٥٣ .

وبعد أن كان الولهان يصف مشاعره بقوله :

كِنيً خـــلُوجٍ تنهض الصوت وتْهِيتْ
وحْوارها الـــراعى تَعَشَّى شْـــوَاتِـهْ
كنّه ينقزها عن الرعي عِفْـــرِيتْ
والشّرب كِنَّهْ تَنْقُرِه من صّرَاتِه [٧]

أصبح يوجد من يعبر عن مثل تلك المشاعر بالقول :

حنّ قلبِي حنّ (ماك) على سُمْرَ الْعَجَلْ
عَشَّقَ السَّـــوّاق والدَّرْبِ مَمْسُوكٍ وَرَاه
إنْ عَطَى مَعَ طَلْعَةٍ عَشّقُوا له بالدّبَلْ
وانْ تِسَهَّل رَيَّحه لَيْن ياصَلْ منتهاه [٨]

الاستدلال التاريخى بالشعر النبطى :

يمكن استخدام الشعر النبطي في دراسة العصور التي سبقت قوله . كما يمكن استخدامه في دراسة العصر الذي قيل فيه . وتجدر الإشارة إلى كيفية الاستفادة منه في المجال الأول وإن كان المقصود في هذا البحث التركيز على المجال الثاني .

ذكرنا أن سكان قلب الجزيرة العربية ظلوا عبر قرون طويلة حتى فترة قريبة جداً أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا . ومن هنا فإن شعرهم في هذه القرون يلقى أضواء على كثير من جوانب حياة أسلافهم الذين كانوا يشابهونهم في مختلف هذه الجوانب .

كثيرا ماشك بعض الباحثين في الشعر الجاهلي لأسباب متعددة من بينها أن منه مانسب إلى شاعر من قبيلة لها لهجة خاصة فورد في ذلك المنسوب كلمات ليست من تلك اللهجة . ومع الإيمان بوجود الانتحال بالنسبة لذلك

---

(٧) محمد سعيد كمال ، الأزهار النادية ، القاهرة ، ٤-٣٤ .

(٨) عبد الله بن رداس ، المصدر السابق ١ - ١٠٨ .

الشعر القديم فإننا نود أن نلفت النظر إلى حقيقة هامة وهي أن شعراء النبط لا يتقيدون دائماً بلهجة مناطقهم أو قبائلهم الخاصة وإنما يخرجون عنها أحيانا . مثال ذلك أن ضمير الغائبة يختلف لفظه في لهجة سكان منطقة عن لفظه في لهجة سكان منطقة أخرى . والخلاوي يقول :

قم يافتى واختـــار للســـير جســـره
كتـــوم الرغـــا منجـــوبة الخـــال حايل
وملْهـــا أمـــام سهيـــل عشرين ليلة
وتلغى نفـــود الســـر ملوى الرمـــايل

فهو يستعمل ضمير الغائبة كما هو شائع « ملها » ولـــكنه يستطرد فيقول :

أصْغَه يســـار صـــوب وادي حنيفـــه
تلقّي بهـــا المرعى وهجـــل المخـــايل[٩]

وهو هنا لا يستعمل ضمير الغائبة مثل استعماله له قبل ذلك . والعوني من القصيم . ومعروف أن سكان تلك المنطقة يسكنون ضمير الغائبة ويفتحون ماقبله . ولـــكنه يقول في مطلع قصيدته المشهورة بالخلوج :

خلـــوج تجـــذ القلب باتلى عوالهـــا
تـــكسر بعـــبرات تحطم ســـلالهـــا
تهيض مفجـــوع الضـــماير بحسهـــا
إلى طوحت حســـه تزايد هجالها[١٠]

وعلى هذا الأساس فما وجد في قصيدة قديمة من تعبيرات ليست من تعبيرات سكان منطقة الشاعر الذى نسبت إليه القصيدة لا يكفي للتشكيك في صحة كونها له .

---

(٩) عبد الله بن خميس ، راشد الخلاوى ، دار اليمامة ١٣٩٢ هـ ص ٥ – ٢٧٧
(١٠) خالد الفرج ، المصدر السابق ٢ - ٢٨٣

ومن دلالات الشعر النبطى على ماسبق عصر قائليه — كما يذكر علامة الجزيرة الشيخ - حمد الجاسر — إيضاحه لتعابير لغوية ولهجات عربية قديمة وردت في كتب القدامى [١١] .

ويستفاد من الشعر النبطي الشئ الكثير في محاولة فهم ماقد يكون غير واضح من عادات وتقاليد ومعرفة الشخصية العربية نظراً لأن الحياة الاجتماعية كما قلنا لم تتغير إلا حديثاً . ومن أهم دلالات هذا الشعر على الماضي فوق كل ماسبق — تحديده لأمكنة وردت في أشعار الأقدمين أو في كتابات من تحدث عنها . ولم يستطع من درس تلك الأشعار أو الكتابات تحديدها أو معرفتها . وقد استعمل الشعر النبطي في هذا الغرض المرحوم محمد بن بليهد في كتابه صحيح الأخبار . ويستعمله الآن أساتذة أجلاء من أبناء هذه البلاد في كتاباتهم القيمة لإخراج معجم جغرافي لمناطق مختلفة من وطننا العزيز .

من شعراء النبط الذين تحدثوا عن بعض القوى المعاصرة لهم في نجد راشد الخلاوي الذي أشار إلى زعيم يقال له أبو سالم كان له نفوذ فى وادى حنيفة كما أشار إلى أن جو الثليما كان من الموارد التي ترتادها الظفير ولام وفئات من عقيل :

أصغه يسار صوب وادي حنيفه ... تلقي بها المرعى وهجل المخايل
دار لبوسالم فتى طال شبره ... شيخ الكمام ومنتدى كل سايل
فالى جيت في جو الثليما بنزله ... وقد لمّ جال الما رجال القبايل
وتجمعوا لك من ظفير وغيرهم ... ولام ومعهم من عقيل حمايل
فاكشف عليهم من بعيد وناظر ... واعقل من الرعيان رمز المثايل [١٢]

---

(١١) عبد الله بن رداس ، المصدر السابق ١ — ٨ .
(١٢) عبد الله بن خميس ، راشد الخلاوى ص ٢٧٧

م يصف قوم ممدوحه بقوله :

عيّالهم تزيك عيّال غـيرهم وعقّالهم تزيك قـول وقـايل
نزارية تحدى لمحـدى ربيعـه منيعية تدعى وفـاة الخصـايل
نما هم نجيب الخال من نسل سالم رب الورى يكفيه مادال دايل [١٣]

ويدعو لهم بقوله :

رعى الله حي للمنيعي وقـومه واسقاه من غر الغوادي سحايبه
عسى سربهم مرعاه باكناف حاجر ومن فوق وادي السيح ترعى ركايبه
سحـاب الحيـا اسقاه واروى وعلّـه
وخشم الثليما فاض واروى شعـايبه [١٤]

وكان منيع بن سـالم صاحب نفوذ في الأحساء وما حولها :

فلـولا منيع سـور هجر وبابهـا
وابنا عقيـل عصبه من قـرايبه
لك الله مـا سنعت لسهيل ناقـتي
ولولاه مانوخت يبرين شـاربه [١٥]

ولـكن المشاكل اعترضته وذل بعد عز :

قل الله هـل شفت السخي ابن سـالم
منيـع من حاش الثنا والفـوايد
تطاوحته الأيام لين أودعنـه
يشد على ثلب قصيف البدايد [١٦]

تغيرت الدنيـا وأهلهـا تغـيروا
وتعلّ على فروخ الحـرار خفـاش

---

(١٣) المصدر السابق ص ٢٨٤
(١٤) المصدر السابق ٢٢٠
(١٥) المصدر السابق ٢١٤
(١٦) المصدر السابق ٢٩٩

وطـــاه الزمـــان آسف على حـــالة بهـــا
منيع وزانت للردي والـــلاش [١٧]

وكان الخـــلاوي قد نصح منيعاً بالضرب على أيدي أعـــدائه :

قـــد قلت له قول قـــديم به الـــدوا
ويكفي منيـــع لو تبعـــنى وحـــاط به
اسق اللـــدان وخضب البيض منهم
ومن جـــاك منهم صـــاحب لا تصاحبه
وحريب جـــدك لوصفـــا مايودك
وعيناه لو تبكي لك الـــدم كاذبه [١٨]

ورغم أسف الخلاوي لما جرى لمنيع فإنه يحثه على عدم اليأس :

منيـــع لا تيّس ولا تقطـــع الرجـــا
من الناس قبلك لك غطـــا وفـــراش
أقول أنا واد جـــرى من فـــروعه
يجري لزوم كـــان عمرك عـــاش [١٩]

والمتأمل في شعر الخلاوي يجد أنه يسمى ممدوحه منيع بن سالم . ويقول عن داره حي للمنيعي . ويصف ذويه بقوله منيعية كما ينسبهم إلى ربيعة ونزار .

ولـــكن ذلك غير كاف لمعرفة اسم اسرته المباشرة . أكانت تدعى آل سالم أم آل منيع ؟ أم كان لها اسم آخر ؟ والتساؤل وارد أيضا عن عصر منيع .

كان لآل عصفور العقيليين العامريين نفوذ في الأحساء خلال النصف

---

(١٧) المصدر السابق ٣١٠

(١٨) المصدر السابق ١٥٢

(١٩) المصدر السابق ٣١٠ .

الثاني من القرن السابع الهجري . وقد امتد ذلك النفوذ إلى أرض اليمامة [٢٠] وكان لآل جروان العامريين نفوذ في الأحساء وما حولها منذ بداية القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع تقريباً . ثم قضى على حكمهم سيف بن زامل الجبرى الذي أتى بعده أخوه أجود المشهور [٢١] . وفي خلال هذه الفترة كانت لبني لام قوة في نجد . فهل عصر الخلاوي وممدوحه أحد القرون المذكورة ؟ وهل كان منيع من آل عصفور أو آل جروان ؟ لست مقتنعاً تماماً بهذا ولكني أيضاً غير مقتنع برأي من يرى عصره بعد قرون المذكورة لأن تاريخ كلتا المنطقتين نجد والأحساء أصبح أكثر وضوحا بعد ذلك .

شهدت بعض المناطق النجدية نفوذا لأجود بن زامل حتى وصف بأنه رئيس نجد ورأسها [٢٢] . وكان من أمراء هذه الدولة الجبرية فتى يقال له مقرن قال فيه الكليف :

تل العشيرة مقرن زاكي الوفا
حمال من جل الخطوب أثقالها
قد شاف بالاعمام مالا يرتضي
بالدار واقفي زاهد باعمالها

وقد حرضه الشاعر على محاولة الحكم بقوله :

فان كان تبغي ملك هجر صادق
فاضرب بحد السيف روس رجالها [٢٣]

---

(٢٠) حمد بن لعبون ، تاريخ ابن لعبون ، مكة ١٣٥٧ هـ ص ٢٧

(٢١) محمد آل عبد القادر ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد ، الرياض ١٣٧٩ هـ - ١-١٢٠

(٢٢) المصدر السابق ١ - ١٢٠

(٢٣) عبد الله الخاتم ، خيار ما يلتقط ، من الشعر المنبط ، الطبعة الثانية ، دمشق ١٣٨٧ هـ ١ - ٤٠ — ٤٢ .

وقد عبر عن نفوذ هذه الدولة في نجـد جعيثن اليزيدي حين قال :

ولاقيت بعـد السير ياناق مقرن
وقابلت وجهـا فيه للحمـد شـاهد

نشـابين سيف والغـريرى زامـل
فيـالك من عم كـريم ووالـد

وبين أجـود سلطان قيس وركنهـا
عن الضيم أو في المعضلات الشـدايد

حمى بالقنـا هجر إلى ضـاحى اللـوى
إلى العـارض المنقـاد نابى الفـرايد

ونجـد رعى ربعي زاهـي فلاتهـا
على الرغم من سـادات لام وخـالد

وسـادات حجر من يزيد ومـزيد
قـد اقتادهم قود الفلا بالقلايد (٢٤)

وكلام جعيثن يدل على أمرين : أحدهما ماأشير إليه من نفوذ لدولة آل أجود في نجد ، والثاني أن من بين القوى النجدية آنذاك بنى لام وبني خالد . وقد اشتهر من رؤساء بني لام عجل بن حنيتم الذى عبرت ابنته عن صولة أتباعه بقولها :

ألا يابـلاد جنب تـيما مقيمـه
مـادامت الشعـرا هيـام قليبهـا

أخذنا على ولد الشريف بن هاشم
على الحوض حقّه من وردها يجيبهـا (٢٥)

---

(٢٤) حمد بن لعبون ، المصدر السابق ص ٣٢

(٢٥) عبد الله بن خميس ، الشعر الشعبى ومعالم الجزيرة ، العرب شوال ١٣٨٦ هـ ص ٥ – ٢٩٦

كما كان منهم ابن عروج الذى أتعب الإبل بكثرة غزواته :

مشوا من العارض بجيش يهيف
يتلون ابن عـــروج مقـــدم بنى لام
باما انقطع فى ســـاقته من عسيف
ومن فاطر تسبق على الجيش قـــدام
عقب الشحم ومـــلافخه للـــرديف
قامت تضولع مثـــل مرهوص الأقدام(٢٦)

وأما بنو خالد فقد ازدادت قوتهم في نهاية القرن العاشر . ثم أصبحوا قوة كبيرة في شرق الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر . وتمكنت قيادتها من آل حميد بزعامة براك بن غرير من إجبار الحامية العثمانية في الأحساء على مغادرة المنطقة سنة ١٠٨٠هـ . وقد مدح رميزان بن غشام أمير روضة سدير براكا بقوله :

براك بن غـــرير أمضـــى خـــالد
مولى مفاخرها سنى من زارهـــا (٢٧)

وكان لزعماء بنى خالد نفوذ في نجد عبر عنه راعي السر حين مدح سعدون بن محمد بقوله :

ماغير سعـــدون مزار إلى عـــدت
علينـــا الليـــالى صـــايلات جرودها
حمى من ربى هجر إلى ضـــاحى اللـــوى
إلى الشـــام من دار العميرى حدودها
إلى خشم رمـــان إلى النـــير مجنب
إلى الشعرا ، وقمانهـــا من لحودهـــا

---

(٢٦) عبد الله بن رداس ، المصدر السابق ١ - ١٣٠
(٢٧) عبد الله الخاتم ، المصدر السابق ١ -٨٦

إلى العرض والوادى الحنيني مشرق
وما عن جنوب كل هذى يسودهـا
إلى طاب منها مرتع زانه الحيـا
رعاها على رغم العـدا مايكودها (٢٨)

وخلال القرنين العاشر والحادى عشر من الهجرة كانت عنزة أكثر القبائل ذكرا في حوادث الصراع الدائر آنذاك في نجـد . ولـكن قبائل أخرى كالدواسر والظفير والفضول وآل مغيرة كان لها بعض الشأن . كما ورد ذكر لقبيلة زعب التي تحدثت عنها إحدى شاعراتها بقصيدة طويلة منها :

نهيضت ياسبّاع لـدار ذكرتهـا
ولا عاد منها إلا موارى حيودهـا

ومنها :

زعبيـة ياعـم مـانى همّيـه
ولاني من اللى هافيات جدودهـا
قبيلة كم أذهبت من قبيلة
إذا عدت الجودات ينعـد جودها
زعب أهالى المدح والمـد والثنـا
من الربع الخالي للحجـاز حدودها (٢٩)

ولقد تمكنت مطير من انتزاع مركز الثقل في نجد من عنزة فيما بعد . ثم تركته لقبيلة قحطان كما تقول إحدى شاعراتها :

نجد حميناها من أولاد وايـل واليوم عدوناسكن وادى الراك(٣٠)

---

(٢٨) المصدر السابق ١-٣- ١٩٥

(٢٩) عبد الله بن رداس ، المصدر السابق ١-٧٠ - ٧٤

(٣٠) محمد بن بليهد ، صحيح الأخبار عما فى بلا د العرب من الآثار ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ - ١٣٠

وكان أول تحد من مطير لعنزة سنة ١٠٧٨ هـ حين أخذت غزواً لها (٣١)

ولكن تلك الحادثة كانت بمثابة الشهاب الذى ظهر ثم اختفى فجأة إلى أجل . ولم يأت التحدي الكبير إلا في أواخر القرن الثاني عشر حين انتصرت مطير على عنزة سنة ١١٩٥ هـ قرب الحجناوي .

وكان ممن قتل من زعماء عنزة في هذه المعركة مقعد بن محلاد وجديع بن هذال .وقد سجل ذلك رئيس الحبلان الملقب حصان ابليس بقوله :

عينت لى مقعد عيون المهـــارا وجديع اللى كل الأسلاف تتليه
جروه من درعه سواة الحوارا وسيوف علوى جربت في علابيه

وقد التجأ بعض آل هذال إثر المعركة إلى جبل كير فأدركتهم خيل مطير وقتلوا :

يا كير ما عينت ربع لحوافيـــك خطلات الأيدى نقوة أولاد وايل

وقد بلغت زعامة قحطان في نجد أوجها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر زمن رئيسها محمد بن هادي حتى أن زعيمين مشهورين تركى بن حميد وراكان بن حثلين ذكرا تودهما إليه بالهدايا . قال راكان :

أهديت لك نور السلف والجهامه أبغيك ذخر في مقاديم الأيـــام

وقال تركي :

أهديت له خمس وسادسهن التوم وقعود زبن اللى بغى ما حصل له

وبلغ من ثقة ابن هادى بقوته أن قال في تحديه لتركي بن حميد بعـــد تكدر العلاقة بينهما :

إن كان رمحك في هل الخيل مرسوم
فأنـــا برمحى حامى نجد كلـــه

---

(٣١) عبد الله بن بسام ، تحفة المشتاق فى أخبار نجـد والحجاز والعراق – مخطوطة – ورقة ٤٨ أ –

(٣٢) مقبل الذكير ، تاريخ نجد – مخطوطة – ص ٢٠٨

لكن الغلبة أصبحت فى النهاية لعتيبة التى قال شاعرها :

ما نجد ما والله نزلناك بسلوم ولا أنت بورث جدودنا بالقدايم
خذناك عقب مدارك العمر بالسوم
سـوم يخسر لابسـات العثايم
ويانجد أخذنا منك حق ومرسوم
وصفا جنابك عقب نطل العمايم(٣٣)

ويبدو على أية حال أن المراد بنجد في كلام بعض هؤلاء الشعراء جزء معين منها صالح لرعي الإبل لا المعنى الشامل المعروف لنجد . أو أن المقصود بالحماية التمكن من التحدى لا ادعاء السيطرة الكاملة . ولعل مما يؤيد ذلك ذكر جعثين اليزيدي نجد ا جنباً إلى جنب مع العارض وحجر . وأنه في الوقت الذى ادعى فيه ابن هادى حماية نجد كان هناك الإمام فيصل وأبناؤه اضافة إلى قوة آل رشيد المتحفزة . وقد يكون ما ذكر قيل على سبيل المبالغة في الفخر لا على أساس حقيقى دقيق .

وإذا كان المؤرخون يبالغون أحياناً فما بالك بالشعراء ؟

وحينما نحاول التعرف على أوضاع سكان نجد من الحاضرة قبل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجد أن الشعر النبطي يمدنا ببعض المعلومات . فمن خلاله نجد أن النزاع حول السلطة قد امتد إلى نزاع بين أقرب الأقرباء أحياناً . فحميدان الشويعر يقول :

مثل راعى جلاجل مع ابن نحيط أدركه من زمان وهو يسحره
أظهره من كنين الذرا للفضـا ثم جوّد عنه ساقف المجحره
ثم قال احملوا ياعياله عليـه بلّمه واحـد وآخر عقـره
ياعيال النـدم يا رضاع الخدم يا غذايا الغـلاوين والبربره
ما يفك الحـذر من سهوم القدر والشويعر حميدان يا ما انذره(٣٤)

(٣٣) عبد الله بن خميس ، الشعر الشعبى ومعالم الجزيرة ، العرب ، ذو الحجة ١٣٨٦ هـ ص ٥ – ٤٩٧ و ٥٠٢ – ٥٠٤

(٣٤) عبد الله الحاتم ، المصدر السابق ١ - ١١٨

وكان إنذاره له فى قصيدة أخرى قال فيها :

يا ابن نحيط افهم جواب مهذب ... جا من صديق واضح عنوانها
عدوّ جدك من قديم دارس ... متجرع بغضاك طول أزمانها
والقرب من نار الصديق غنيمه ... والضد حذرا من نعيم جنانها(٣٥)

وكان هناك من أمراء نجد من هو ظالم لمواطنيه ، يقول جبر بن سيار :

شيوخ إلى فكرت فيها لكنها ... ثعالب طرفا تفسد الملك جايره
تركبوا ظلم الرعايا وطبعهم ... يدلك عليه ان مات تشبح بصايره

وشعر حميدان ملىء بوصف الحياة المعاصرة له من جميع نواحيها . ولكنه يعطى اهتماماً خاصاً للجوانب غير المشرقة في المجتمع . وغالباً ما أتى شعره على هيئة تحذير من فئات غير مستقيمة وتعرية لها . يقول — مثلا : —

يا صبي استمع من عويد قضى ... الدهر مد به لين ما قصرى
لا تضم الذى ما تعرف السوا ... تجعل الزين شين ولا تسترى
يذن العصر والعيش فوق الرحى ... القدر موضح واللبن مخورى
ولا تضم الذى ما تمل الرديف ... تسرى الليل للى لها يحترى
الوعد مثل ما قال كحى واكح ... في قيام العشر وان ظهرت اظهرى
واقعدى عندنا لين هم يظهرون ... واظهرى والمطوع بهم يوترى(٣٧)

وحينما يتناول بعض المنتسبين إلى العلم والدين ينقد تصرفاتهم نقداً لاذعاً خاصة أولئك المتاجرين بالدين أو المرتشين . يقول :

من الجماعة من ينط بمرتبه ... بالدين لو هو ما يخط ولا قرا
يدرق بدين الله دين غادر ... والله علام بما هو أضمرا

---

(٣٥) المصدر السابق ١,- ١٣٨
(٣٦) المصدر السابق ١ - ١٠٤
(٣٧) المصدر السابق ١,- ٥ — ١٣٦ .
(٣٨) المصدر السابق ١-١٢٠

ويقـــول :

بالناس من هو يدعى بديانـــه متمسك بقرايتـــه وأوراده
عـــد الخلايق غافل ويحســـن يأخذ شريطه مثل جارى العاده
عنـــده لراعى الصاع موس جيد واللى بلا صاع له المكـــراده
فاحـــذر خداع الخاين المتعبد لو دام ليله والنهـــار عبـــاده
كم غـــر فيها من غرير جاهل حظه لمثـــله مثل فخ صاده(٣٩)

ويقول أيضـــاً :

أنا امدح بالعـــالم شـــاره طيبـــه فى فـــرع الدهمـــا
لاجتـــك الطلبه في حلقـــك وتقـــابلت أنت ويا الخصما
ودّلى يسمع نبـــط الخصـــم ولحقتـــك الشكـــة والتهمـــا
فالفـــز في كفـــه دينـــار ليـــاه يضرّبك اليهمـــا (٤٠)

ولم يكن حميدان وحيداً في انتقاد هذه الفئة من المجتمع فجبر بن سيار يقول :

لك الله ما في عصرنا ذا شفيـــه معاً كل هلباج ينمى تجـــايره
وكل كبير التاج فسل مطـــوع يرى الطوع في شال على الراس كايره
يطالع فى كتب التسانيد معرض عن الفهم ما ياعظ لنفسه نظايره (٤١)

والمصادر التاريخية الأخرى تشير إلى وجود بعض القضاة النجديين الذين كانوا يشترطون على المتخاصمين أجوراً مقابل نظرهم في قضاياهم . وهو موقف عارضة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد ودارت بينهم وبينه مجادلات بشأنه . ورغم وجود هذه الفئة من القضاة والمنتسبين إلى العلم فانه كان هناك قضاة مستقيمون وعلماء أجلاء أشادت المصادر بفضلهم وعلمهم .

---

(٣٩) محمد سعيد كمال ، المصدر السابق ٩-١٣
(٤٠) المصدر السابق ٩-٥٥
(٤١) عبد الله الحاتم ، المصدر السابق ١-١٠٤

وقامت الدولة السعودية الأولى متضامنة ومعتمدة على دعوة الشيخ محمد واستمرت قرابة خمسة وسبعين عاماً تمكنت خلالها من ضم كثير من مناطق جزيرة العرب . ومن المؤكد أن الشعراء من مؤيديها ومعارضيها أدلوا بدلائهم دفاعاً وهجوماً ، ولكن ما وصل إلينا من شعر هذه الفترة قليل جداً إذا ما قورن بما وصل إلينا من شعر قبل قيامها أو بعد نهايتها . ومن بين ذلك الشعر القليل ما نسب إلى عريعر بن دجين زعيم بني خالد وهو يشير إلى وجود خلاف بين صفوف الزعامة الخالدية التي كانت معادية للدرعية مما أتاح لقادتها فرصة تثبيت مركزهم في المناطق القريبة منا دون تدخل خالدي محتمل :

فلا واوجعي من لابة خالديه ... غدوا للملا والعالمين حكاه
عفيت لهم ما فات باغ إلى أوجهوا ... على الضد فلّوا بالجموع قواه
فيا مبلغ مني شهيل رساله ... بها من بقايا ما بقاه وصاه
مشيتوا بنا يا شهيل ممشى قطايع ... بكم رز شيطان الرجيم عصاه(٤٢)

ومن ذلك أبيات قالها الشريف راجع عن وقعة الخرمة سنة ١٢١٢ هـ بين أتباع الدرعية وأتباع الشريف غالب موضحاً بعض الفئات التي يتكون منها الجيش السعودي ومبيناً انهيار معنوية أتباع الشريف غالب :

جونا الدواسر مع فريق القحاطين ... كلنا لهم بالمد واوفوا لنا الصاع
الاشراف لانوا عقب ما هم قاسين ... والشق ما يرفاه خمسة عشر باع

أما الحوادث التي تلت انهيار الدولة السعودية الأولى فقد ساهم الشعراء النبطيون في ذكر تفصيلاتها مساهمة كبيرة ، وكان من بين هؤلاء أفراد من الأسر التي لها صدر الزعامة أثر شعر للامامين تركي بن عبدالله وابنه فيصل وحفيدهما محمد بن سعود . كما أثر شعر لأمراء آل رشيد عبدالله بن علي وأخيه عبيد وحمود بن عبيد وروى شعر لبعض زعماء القبائل كمحمد بن هادي

(٤٢) المصدر السابق ١-٧٠- ٧١

القحطاني وتركي بن حميد العتيبي وراكان بن حثلين العجمي وروى شعر لزعماء غير هؤلاء وأولئك ، كما روى لكثيرين من غير الأمراء والزعماء وكله أضاف الكثير من المعلومات وأوضح بعض مالم تذكره كتب التاريخ.

وفى الوقت الذى كان فيه تركي بن عبدالله يحرز انتصارات فى نجد كان مشارى بن عبدالرحمن آل سعود فى مصر مع من اخذ من أفراد الأسرة السعودية أثر سقوط الدرعية وقد وجه إليه تركى قصيدة يستحثه فيها على القدوم إلى نجد ويخبره بما جرى له من نصر :

سر يا قلم واكتب على ما تورا أزكى سلام لابن عمى مشارى
يا حيف يا خطو الشجاع المضرا فى مصر مملوك لحمـــر العتارى
أكفخ بجنحان السعد لا تدرا فالعمر ما ياقاه كثر المدارى

ومنهـــا :

إن سايلوا عنى فحالى تسرا فبقب شراع العز لو كنت دارى
رميت عنى برقع الذل بـــرا ولا خير فيمن لا يدوس المحارى
من يوم كل من خويه تـــــبرا خليت الاجرب لي خوى مبارى
وحصنت نجد عقب ما هى تطرا مصيونة عن حر لفح المذارى(٤٤)

أما فيصل بن تركى فقد واجه فى بعض فترات عهده مشاكل خاصة من بعض أناس خذلوه وكان يأمل أن يقفوا معه حينما هاجمه خالد بن سعود واسماعيل بك . وقد عبر عن ذلك بقوله :

مفهوم قلبي للرعابيب ما اشتاق أيضاً ولا همه لجمع الدنانير
لكن من ربع عليها الردا ســـاق عقب الجمايل أنكروا نيّة الخير
باروا بحق ذا تنكر وذا باق وذا قاعـــد عنى ولا له معاذير

---

(٤٣) ابن بشر ، المصدر السابق ١ - ١٥٢
(٤٤) عبد الله الحاتم ، المصدر السابق ٢- ٩

ومنهـــا :

قولوا لخير الله ترى المكر به حاق واخوانه اللى نسيوا الطيب والخير

ثم يشير إلى انتصار أهل جنوب نجد على اسماعيل وخالد بقوله :

حنا حمينا نجد من كل فساق من حمر مصر والوجيه المناكير
أول نراسلهم بتسجيل وأوراق واليوم بأطراف الرماح المساهير
با ضبعة بالخرج من كل فساق كولى زنادى من وسود المناقير
ضفتى هل العارض وعشوك باشناق وأهل القرى عشوك روس الطوابير(٥

أما الأمير عبدالله بن علي بن رشيد فتكاد تكون حوادث حياته مسجلة فى شعره وشعر أخيه عبيد . كان عبدالله قد لعب دوراً كبيراً فى القضاء على مشاري بن عبد الرحمن الذى استولى على الرياض بعد تنفيذ مؤامرة اغتيال الامام تركي بن عبدالله قبيل نهاية سنة ١٢٤٩ هـ . لهذا ولما قد يكون حدث من شكوى بعض أهالى حائل صالح بن عبد المحسن آل على ولي عبدالله إمارة حائل بدلا من صالح ، وحين وصل خالد بن سعود واسماعيل بك إلى القصيم ذهبت فرقة من جيشهما إلى حائل مع عيسى بن علي . وحين اقتربت من تلك المدينة هرب عبدالله بن رشيد منها والتجأ إلى جبة . ثم تمكن من اجبار عيسى على مغادرة حائل بعد أن تركها أكثر رجال الفرقة التى أتت معه . وقد أشار عبدالله إلى ذلك فى إحدى قصائده : —

قل هيه يا اللى لى من الناس وداد ما ترحمون الحال يا عزوتى ليـــه

ومنهـــا :

جبه سقاه من أول الوسم رعـــاد ما حدرت خشم أم سمنان تسقيه
اللى بهـــا للمنهزم زين ميعـــاد من لاذ به كن الحرم لايذ فـــيه

ومنهـــا :

عيسى يقول الحرب للمال نفـــاد والمال لمن هبت نسانيس ذاريه

---

(٤٥) المصدر السابق ٢ - ١١ — ١٣

عيسى يقول الحرب ما به لنا أزواد إنشد مسوى السيف قل ليه حانيه
والله لو انى من ورا جسر بغـــداد انى لـكم مثل العمل عندراعيه(٤٦)

أما وقعة بقعا التي حدثت سنة ١٢٥٧ هـ بين ابن رشيد وأتباعه من شمر وبين أهل القصيم وحلفائهم من عنزة فقد اعطت تفصيلاتها قصيدة عبيد بن على التي منها :

يا دارنا من جاك جيناه عجلين باليل نسرى والصفر والقـــوايل
جينـــا صباح وهم لنا مستكنين وثار الدخن من حرصلوا الفتايل
وحصل لنا عقب المواصل وفا الدين وراعى السلف ردت عليه الحمايل
ومن فضل رب العرش عدل الموازين راحت على القصمان وأولاد وايل
ربعى مروية السيوف المسانين خلوا صفا بقعا من الدم سايل (٤٧)

وفى سنة ١٢٦١ هـ قام أمير عنيزة باغارة على أطراف حائل فرد عليها عبيد بن على بغزوة انتقامية قتل فيها أمير عنيزة . وقد أشار عبيد إلى الأولى بقوله :

ياابن سليم إن كانوا(؟) بالأطراف ما تنتفع بالطهبله والتداهـــير
ان ساعف الله نلحق الفايت أرداف وتالى سنتكم تلعنون المشاوير (٤٨)

وأشار إلى الثانية بقوله :

وا حلو زعجتنا عليها الهـــلاهيل بيوم كسا وادى عنيزة ضبابه
صارت فقايدهم رقاب المشاكيل بايمان من لا ثمنوا فى عقابه
يا ذيب صح وازعج لذيب الهذاليل واذكر له الوادى يدور العشابه
عن فرسه الطليان يفرس رجاجيـــل بدار بصرف البين ينعى غـــرابه
وقبله مضى منا عليهم تهاويـــل والشر هذى عاقبة من سعى به (٤٩)

---

(٤٦) مقبـــل الذكير ، المصدر السابق ٥ — ٦٦
(٤٧) عبد الله الخاتم ، المصدر السابق ٢-١-٨٣
(٤٨) المصدر السابق ٢ - ٨٨
(٤٩) محمد سعيد كمال ، المصدر السابق ٣-٣-٦٤

وتوضح قصيدة عبدالله بن على التى بعثها إلى الإمام فيصل ليشرح موقفه ويتجنب غضبه أن أهل عنيزة كانوا قد حاولوا اغتياله ، كما توضح أن الإمام كان قد بعث إليهم ليردوا ما أخذوه من إبل لابن رشيد :

يوم انهم عجزوا عنى بالغيـــاله شبوا لنار الحرب بالقيظ صوال
هذاك حق اللى خطوطك عصاله فرحان وابن سبيت ما التى لهم بال

ولا يفوته بهذه المناسبة أن يشير إلى الخدمة التي كان قد أداها لفيصل سابقاً حين اشتبك مع عبد مشارى بن عبد الرحمن وأصيب بجروح ليؤكد ارتباطه به ويحصل على رضائه .

شهودى بجلدى والعدو به بداله والناس تدرى بالحدايد والأسمال(٥٠)

وكما سجلت قصائد عبد الله بن رشيد وأخيه عبيد كثيراً من أخبار امارة آل رشيد حفظت لنا أشعاركثيرة لغيرهما أخباراً مفيدة عن سير الحوادث فى نجد . وقد أعطت بعض القصائد المعلومات مفصلة عن بعض الوقائع كما حدث بالنسبة لقصيدة شليويح العطاوى التي وصف فيها معركة بين قومه من عتيبة وبين سعود بن فيصل . فقد ذكر فيها مكان المعركة وعدد الجيشين وتكونهما كما ذكر بعض زعماء قومه ووصف سير المعركة حتى نهايتها قال :

على طلال الصبح أخيل مخايـــل وصلت سناويها إلى المطـــاوى
جانا ســـعود مسير بجنـــوده معه الدويش ولمـــة البداوى
ثمانيـــة آلاف عداد جموعهم بلوى كفانا الله شرا البـــلاوى
وحنـــا ثمان ميه عداد جموعنـــا ليس أجنبي فينا ولا برقـــاوى
يا ظفرهم لا قرب الله دارهم وحنا عليهم مثـــل نجم هاوى
صحنـــا علـيم ثم عاونا الله لمـــا انها صارت لنـــا مناوى
وطلحه نحو عنا بْرَيْه يسارهم من بينهم دهم العـــروق هداوى
تطلعن يا البيض فى مركا ضمنا وصلت كسايرهم إلى الحرذاوى
تزينوا عنا قصـــور بريـــده لين احتمالهم بيرق القصماوى(٥١)

---

(٥٠) ضاوى الرشيد ، نبذة تاريخية عن نجد ، دار اليمامة ١٣٨٦ هـ - ٩٦ - ١٠١
(٥١) عبد الله الخاتم ، المصدر السابق ٢ - ٥ - ٢٥٦

وخلدت قصيدة ضيدان العارضى من مطير صمود رفاقه ضد خيل ابن رشيد معطية بعض التفاصيل لما حدث :

يوم نط الرقيبة راس مشذويه ... قال زالوا وجتك الجيش زرفالى
قال أنا شفت شوف لا يليتوا به ... شوف ريبه ومنه القلب يهتالى
طوحوا لابتى فى كل مسلوبه ... واحتموا جيشهم ماضين الأفعال
يوم لحق الأمير ولحقت الشوبه ... لا قرايا ولا مزبن ولا جـال
لحقت الخيل بالغلمان مركوبه ... واقفت الخيـل فـيها الدم شلال
كلما قلت راحوا عودوا نوبه ... وارسلوا سربة تسعين خيـال
من شريق الضحى يا قابل التوبه ... لين غالبت وحنا هوش وقتـال
يحسب أنا نعود عنـد مندوبه ... قال يرسل علينا خيله ارسـال
الظفر ساعة لا حل ما جوبه ... كل ساعة لهـا حزات ورجال

كما ألقت قصيدة إحدى شاعرات الجبلان من مطير بعض الضوء على معركة لبن حين قالت :

كون جرى فى لبن ما جا بالأكوان ... من مات فى جنة الفردوس موعوده
غاروا علينا السحر فى وقت الأذان ... الملح منهم يشيل الأرض برعوده
قومان ما حدها العارض لنجران ... وابن صباح وابن حثلين وجنوده
ردوا لخضر النمش بالكون دوشان ... ترى الجنايز خلاف الجيش مرجوده
نعم بربعى هل العادات جبـلان ... كم أطلقوا من هنوف قبل ملدوده

والقصائد التي تتحدث عن المواقف بين المرحوم الملك عبد العزيز وبين خصومه لا تحصر . وهناك من الشعراء من شعره سجل تاريخي لهذه المواقف .

---

(٥٢) عبد الله بن رداس ، المصدر السابق ١ - ١٤٢

ويلاحظ فى هذه الفترة بالذات ظهور قصائد طويلة بمثابة ملاحم . من ذلك قصيدة محمد العونى التى تبلغ ١٨٤ بيت والتى مطلعها :

قوموا كفاكم شر ميلات الأقدار شدوا على هجن لهن الطرب دار

تاريخ مفصل للحوادث التى دارت فى منطقة القصيم سنة ١٣٢٢ هـ بين الملك عبد العزيز وأنصاره وبين الأمير عبد العزيز بن رشيد وأتباعه من عرب وغيرهم . لنأخذ مقطعاً منها يتحدث فيه عن معركة البكيرية — مثلا —

مشى وحنا بالبيارق مشينا والأمر لله والسبب به مضينا
يبغى البكيريه وحنا بغينا هدمه ولطمه قبل ما ياهل الدار
نزل وحنا عند خشمه نزلنا من دون ديرتنا تبين جهلنا
والطير ظلل فوقنا يوم صلنا يرجى بمانينا وعدلات الأنظار
سرنا عليه وسار بين الصلاتين والشمس غابت من قتام الخميسين
والبين صاح وناح بين الخصيمين واغبرت الأفاق واشتعلت النار
تخاطبوا من بينهم بالهنادى والترك ترطن والعرب له تنادى
لاكن مطل الروس جدع الهوادى بيوم عبوس الشر بوجيه الأشرار
الميمنة دارت وصارت خفيفة راحت عن الاسلام صارت خفيفة
والترك لا قتهم موارت حنيفه ما خايروا يوم ان بعض العرب خار
عنوى هل العوجا تعداهم اللوم اركوا جموع الحضر والبدووالروم
لولا زهبهم كملت تالى اليوم ما خيشروا بالمدح بشهود الأخيار
يوم أكمل القصدير عيوا يطيعون قاموا بحد مصقلات يهوشون
يوم أنهم خانوا بهم من تعرفون استعصموا بحدود عطبات الأذكار
ولا بهم شافوا هل الشر خله إلا جموع عايلتهم مظله
أولاد عَليّ شرعوا كل سله نعم بهم والصدق هو عين الأذكار
اركوا على شمر وراحوا مدابير وجموع حايل هم وسبعة طوابير
دلت تصيح الغوث وين المعابير يوم أنهم حاطوا بهم مثل الأسوار

الليث أبو تركى بسيفه ضربنـــا هماتنا بسيوفنا ما اكترثنـــا
لاكن جدع الروس يوم انتدبنا جدع الحدايج عند لفوات الأسفار
بنحورنا ماجد وابن جبر خلى وشيوخ شمـــر ملحقين المتلى
ورجال حايل هيه فكر وقل لى والترك تسع ميه تزيد الكمندار(٥٣)

وكما قيل عن قصيدة العونى هذه يمكن أن يقال عن قصيدة ابن حصيص التى تبلغ ١٣٩ بيت والتي تحدث فيها عن النزاع بين الملك عبد العزيز وزعماء الاخوان خاصة عن معركتي السبلة وأم ورضمة ، واصفا لهما وصفاً دقيقاً شارحاً ظروفهما ونتائجهما ومصير أولئك الزعماء . لنأخذ مثلا – وصفه لأم رضمة :

مطـــير أشفى الله منهـــم راعى الدين أوفى الديـــان
جاهم شى ما عرفوا له من خيـــل وسلة صبيـــان
وجمـــوع ما يحصى عده كنـــه صـــولات الكتفان
معهـــا ابن مساعد يقداها غاد للشوبه دنـــــدان
يوم ان عـــزيز جا وارد حـــاديه اللال وعطشـــان
يبى المـــارد والى هم له هل العـــادات الظـــفران
ضوارى نجـــد القطـــاعه كل يركض قـــدم الثـــانى
ما صح أنه يشـــرد عنهم صكوا به مثـــل الحيطـــان
خلوهم مثـــل الضحـــايا طعـــم لسباع الخليـــان
سبع ميه بـــام رضمـــه نقـــوه علوى والبرهـــان
وتمامتهم راس عـــزيز عشوه الســـبع الجيعـــان

وهكذا نرى أن الشعر النبطى أسهم اسهاماً كبيراً فى تسجيل تاريخ نجد ، ونرى أنه لا غنى لمن يريد بحث تاريخها عن استخدامه . ولتتم الاستفادة منه حاضراً ومستقبلا لابد من تحقيقه وشرحه .

د : عبد اللـــه العثيمين

---

(٥٣) خالد الفرج ، المصدر السابق ٢-٧ – ٢٧٨

أضواء جديدة على دولة كندة
من خلال آثار ونقوش قرية الفاو

ان الحديث عن دولة كندة حديث يطول وقد لا نصل فيه إلى نتيجة وخاصة إذا ما أردنا أن نستعرض آراء النسابة والمؤرخين، ذلك لأن عوامل كثيرة ساعدت على أن تجعل من كندة قبيلة ثم دولة تحاك حولها وحول أماكنها وملوكها الكثير من الأخبار التي لا نشك فى أن الاعتماد فيها على الرواية الشفوية تسبب فى البلبلة التي يحار فيها المؤرخ . ولا يمكننا أن نلقى بالعصبية القبلية التي راجت فى القرون الأولى للهجرة ، أن نلقي بها جانباً لأنها أثرت فى مسار الحياة السياسية وفى الحياة الاجتماعية التى كانت تموج فى دمشق وفى البصرة والكوفة وما بينها من البوادى والتى تستمد قوتها ونفوذها من تثبيت جذورها عبر القرون فى الجزيرة العربية ، لكي تجد طريقها إلى المجد ، وحتى تنفذ من خلال التناقض القاسي إلى الصفوف الأولى فى مجريات الأحداث . ذلك لأن الخلفاء كانوا يجدون فيها فرصة طيبة للحكم من ورائها وان لم يتنبهوا إلى أن الاستفادة من هذا الصراع القبلى محدودة ، ذلك لأن خسارتهم كانت أفدح مما يتصورون . فقد قصر الصراع عمر الدولة الأموية وأفقد العرب وهم مادة هذا الصراع سيطرتهم على مقاليد الأمور منذ قيام الدولة العباسية رغم ما يراه البعض من أن الدولة العباسية كانت عربية ، أو بمعنى آخر قامت على أكتاف العرب ، إلا أنه مما لا شك فيه أن العرب فقدوا الكثير فى بداية الأمر ثم فقدوا كل شيء فى عهد المعتصم. وإن كان لنا أن نتصور أنه من المفروض أن يستعيد العرب تجمعهم ووحدتهم مقابل هذا التغير ، ولكنه على ما يبدو كان تغيراً بطيئاً لم يشعروا به، كما نعتقد أن الرخاء الذى أصاب العالم الإسلامى فى بغداد والحياة الرغدة التي استمتعوا بها أقعدتهم عن التجمع ، إلى جانب عوامل أخرى ليس هذا مجال ذكرها .

وهكذا نجد أنفسنا نقف حائرين أمام كثير من مجريات الأحداث في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ذلك لأن ظروفاً خاصة خلقت للعرب تقليداً لم يعرفوه من قبل وهو تقسيم أنفسهم إلى مجموعتين كبيرتين هى مجموعة القحطانيين ومجموعة العدنانيين ، وكل مجموعة تحاول أن تضم إليها أكبر عدد من قبائل الجزيرة العربية ، بل وصل بهم الأمر إلى أن يضموا إليهم قبائل أذلها الاسلام لمواقفها المعادية من دعوة التوحيد وهذا ما نجده لدى القحطانيين الذين ضموا إليهم عادا وثمود . ولعب الشعر والشعراء دوراً كبيراً في هذا المجال . بل وأصبح فريق من القبائل يصطنع قصائد ليعزز مركزه كما فعل الأوس والخزرج وغيرهما من القبائل .

وقد لعبت شخصية امرىء القيس الشاعر دوراً كبيراً أيضاً . فقد كانت مادة خصبة نسجت حولها الأساطير لدرجة جعلت بعض مؤرخي الأدب يبدأون بالشك في تصديق وجود هذه الشخصية . كما لعبت أيام العرب كأنموذج للفروسية والبطولة والصراع القبلى الدامي ، لعبت دوراً زاد في غموض الصورة التي يجري وراءها الباحث وفي تعقيدها .

إلا أننا مع ذلك لا نعدم وجود أخبار نحتمل قبولها واعتمادها كمنطلق لبحثنا ، وخاصة إذا ما رجحتها نتائج الحفريات الأثرية التي تجري في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية وفي بلاد الشام . مما أعاد الأمل إلى إمكان إعادة النظر في بعض ما يرويه المؤرخون وما يشير إليه الشعر العربي من أحداث ومواضع .

وإذا رجعنا إلى قبيلة ودولة كندة وقرأنا ما كتب عنها فى كتب التاريخ والأنساب ودواوين الشعر ، تظهر لنا مجموعات من علامات الاستفهام أمام كثير من نواحي حياتها السياسية والاجتماعية المختلفة ، وعلاقاتها بالقبائل الأخرى والممالك المعاصرة لها . وعلى كل فاننا لن نستطيع الإجابة على علامات الاستفهام ، بل سنحاول أن نضع معالم على الطريق علّها تسهم في وضوح الصورة إذا ما تابعنا السير فى أبحاثنا بروح علمية ودأب مستمر .

دعونا نبدأ طريقنا بالبحث عن كندة القبيلة وكندة الدولة . يحاول مؤرخو الجزيرة العربية أن يجعلوا كندة قبيلة جنوبية ، فقد كانت تسكن أولا منطقة حضر موت ثم انتقلت إلى وسط الجزيرة ، وأصبحت لها السيطرة كدولة تدين بالولاء لدول الجنوب ، أو بمعنى أوضح لتبابعة اليمن ، وتوسعت هذه الدولة حتى شملت شرق الجزيرة ووسطها وجزءاً من شمالها وجزءاً من غربها ، أى أنها أصبحت تحتل رقعة أقل بقليل من رقعة المملكة العربية السعودية . ولكن يبدو أن الأماكن التي تدور عليها وحولها قبيلة ودولة كندة ، كانت في الوسط الجنوبي من الجزيرة العربية . وتعالوا نستعرض أماكن ورد ذكرها في شعر امرىء القيس في معلقته لعلها هى الأماكن التي كان يرتادها في نطاق دولة كندة وهذا لا يعني أننا نجزم بذلك ولكننا نستخدمها لمحاولة القيام بتحديد أضيق من التحديد الكبير خاصة وأن امرأ القيس هو أحد الشخصيات التي ارتبط تاريخها بتاريخ دولة كندة كوريث للعرش بعد موت أبيه الذي اغتالته قبيلة أسد . يقول امرؤ القيس .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها ... لما نسجتها من جنوب وشمال
كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل
ألا رب يوم لي من البيض صالح ... ولا سيما يوم بدارة جلجل الخ

فلنستعرض بعض الأماكن التي جاءت في معلقته :

سقط اللوى : سناف يقال له اليوم مشرف واسمه في الجاهلية شراف .

الدخول : ماء عذب معروف بهذا الاسم يقع شمالى الهضب المعروف بين وادى الدواسر ووادي رنية .

حومل : جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية يبعد مسافة نصف يوم من الدخول .

توضح : أرض قريبة من الهضب يقال لها اليوم التوضحيات تقع عند

جبل الحمل جنوباً والحمل جبل يقع جنوبي الهضب فجميع هذه المواضع بعضها قريب من بعض .

المقـــراة : واد يصب إلى جهة الجنوب بين الهضب والسوادة وقد حرف اليوم إلى القمرا .

دارة جلجل : وأما دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس فهي باقية إلى اليوم فى بطن الهضب تقع فى جهته الجنوبية الشرقية ويقال لها اليوم دارة جلاجل وهو الموضع الذى عناه عمرو بن الحثارم البجلي بقوله :

وكنا كأنا أصل دارة جلجل مدل على أشبـــاله يتهمهم

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضبات باقية على هذا الإسم ؛ .

وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي : دارة جلجل من منازل حجر الكندى بنجد ؛

عرعـــرا : هو ماء في الهضب الواقع في المنطقة الجنوبية من نجد يقال لهذا الهضب اليوم هضب آل زايد . والماء يقال له عراعر معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد وهو واقع في الجهات التى ذكرها امرؤ القيس في أول معلقته .

قيمـــر : موضع يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية الشرقية . جبل فيه أبارق ويقال له الجنبة ، وأرض يقال لها الأجحر فيها مياه، وهي قريب من الجنبة بين الأفلاج ووادي الدوامر .

ماســـل : الذي عناه امرؤالقيس هو ماسل الهضب وهو في وسط الهضب في عالية نجد الجنوبية .

قرقـــرى : أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة يريد مهب الجنوب وجعل العارض شمالا فانه يعلو أرضاً تسمى قرقرى فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة ومن قراها الهزمة فيها ناس من بني قريش وبني قيس بن ثعلبة .

وقرما والجواء والأطواء وتوضح . ثم يقول : وفي قرقرى أربعة حصون : حصن لكندة وحصن لتيم وحصنان لثقيف .

فنحن نرى أن هذه المواضع تكاد تكون في منطقة واحدة هى المنطقة الواقعة في عالية نجد الجنوبية أو على وجه التحديد جنوبي خط المسافر من الرياض بعد تركه لجبل طويق إلى الدوادمي وما حولها حتى وادي الدواسر جنوباً وهذا التقارب يجب أن نأخذه في الاعتبار ، لأن تلك الأماكن كانت أقرب إلى نفس الشاعر لأنه قضى فيها أجمل أيام حياته .

ثم دعونا نضيف إلى هذه الأماكن التي جاءت في شعر امرىء القيس مكاناً جاء في كتب البلدانيات وهو :

قـــرية : يقول البكري في معجمه : « قرية بفتح أوله وإسكان ثانيه على لفظ الواحدة من القرى معرفة لا تدخلها الألف واللام : موضع بين عقيق بني عقيل واليمن » .

ويقول الهمداني في الصفة : ثم رجعت إلى الطريق من المقترب تريد اليمن قصد نجران فتشرب بحسي كباب الذى يقول فيه مروان بن أبي حفصة :

والعيس قد عات الدبيل وخلفت بطن العقيق بنا وحسي كباب

فان تيامنت شربت ماء عادياً يسمى قرية إلى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر .

وقرية هذه التي جاءت لدي الجغرافيين العرب هي على وجه التحديد ما يعرف الآن بقرية لدى سكان منطقة وادي الدواسر كما تسمى « قرية » الفاو لأنها في النقطة التي يتداخل ويتقاطع فيها وادي الدواسر بحاجز طويق في قناة تدعى الفاو أى فم القناة أو الوادي .

ومن هنا يمكن أن نقول أن مجموع تحديد هذه الأماكن مع تحديد مكان « قرية » يعطينا فكرة عن المنطقة التي كانت تعيش فيها كندة خاصة

إذا ما لاحظنا ما ذكره ياقوت عن قرقرى وأن فيها حصناً لكندة ، ثم نجد الهمداني يقول : فأما مراحل نجران إلى العقيق فأولها الكوكب وهو قلت ، ثم الحفر ثم ثلاث مراحل ثم العقيق ، وسمي العقيق لأنه معدن يعق عن الذهب وهو لجرم وكندة ففيه الآن الكنادرة من كندة .

وقد بدأ الاهتمام بقرية الفاو كمنطقة أثرية باهتمام بعض موظفي شركة أرامكو بها منذ الأربعينات ، ثم جون فيلبي الرحالة المعروف الذي عاد إليها مع مجموعة من العلماء أهمهم آل ريكمانز سنة ١٩٥٢ وقد كانت ثمرة رحلتهم جيدة ، ثم قام ألبرت جام برحلته إليها سنة ١٩٦٩ ، ودرس مجموعة من النقوش التي جمعها ثم قامت جامعة الرياض برحلات متتالية منذ سنة ١٩٧٠ م ، وحفرت فيها حفريات تركزت على التل الكبير إلى جانب بعض التلال الأخرى وبعض المقابر . ورغم أن النتائج بالنسبة للتل الكبير كانت باهرة إذ أننا نعتقد أنه كان سوق القرية لوجود دكاكين للبائعين وأسماء أصحاب هذه الدكاكين ، كما يعطي فكرة عن نوع البضاعة التي كانت تباع فيه ، وخاصة أنه يقع على حافة الوادي الذي يفصل بينه وبين الجبل . وصورة السوق تذكرني بوصف سوق المشقر الذي ورد وصفه في الكتب العربية ، فهو بهذا يعتبر أول سوق متكامل يظهر في وسط الجزيرة أو في الجزيرة بشكل عام . وبجانب ذلك فقد وجدنا أحد الدكاكين يبدو أنه كان لخطاط القرية أو رسامها ، إذ وجدنا فيه رسوماً لرحلة صيد للجمال ، كما وجدنا كلمة (ملك) مكتوبة فوق أحد الشخصيات المرسومة ، والشيء الذي يثير الاهتمام هو وجود كلمة كهل منتشرة بأشكال مختلفة وإلى جانب ذلك أكتشفنا مقبرتين من نوع المقابر العائلية والتى لم يكشف لها مثيل فيما اطلعت عليه من حفريات فى الجزيرة العربية ، والتي قد نجد لها شبيهاً في فلطسين وبلاد الشام في القرون الأولى للميلاد . وقد وجدنا المقبرتين قد نهبتا قبلا ولم نجد إلا شاهد القبرين :

المقبرة الأولى هي لعجل بن هفعم وهذا هو نص النقش حسبما ورد :

١ – ع ج ل – ب ن – ه ف ع م – ب ن – ل أخ ه – ر ب ب ل ب ن – ه .

٢ – ف ع م – ق ب ر – و ل ه و – و ل و ل د ه و – و م .

٣ – ر أ ت ه – و و ل ل د ه و – و و ل د – و ل د ه م .

٤ – و ن س ى ه م – ح ر ى ر – ذ و أ ل – غ ل و ن – ف .

٥ – أ ع ذ ه – ب ك ه ل – و ل ه – و ع ث ر .

٦ – أ ش ر ق – م ن – ع ز ز م – و و ن ى م – و .

٧ – ش ر ى م – و م ر ت ه ن م – أ ب د م .

٨ – ب ن – و ك س م – ع د ك ى – ت م ط .

٩ – ر – أ س م ى – د م – و ل أ ر .

١٠ – ض – س ع ر .

وهذا هو محتوى النص :

عجل بن هفعم بنى لأخيه ربال بن .

٢ – هفعم قبرا وله ولولده .

٣ – ومرأته وأحفاده وأحفاد أحفاده .

٤ – ونساءهم الحرائر من آل غلوان .

٥ – فأغادة بكهل ولاه وعثر .

٦ – أشرق من كل ضيق وونى .

٧ – وشرو زوجاتهم أبدا .

٨ – من كل خسارة والا فلتمطر .

٩ – السماء دماً والأرض .

١٠ – سعـــيرا .

فنحن هنا نلاحظ أن النص يقترب إلى حد كبير فى مظاهره اللغوية من

لغة الشمال . كما أننا نجد ذكرا للمعبود كهل كمعبود رئيسي ، وعلى كل فهذا المعبود شمالي إذ كان من جملة معبودات الثموديين ، وهو معبود يشير إلى القمر ، معبود القوافل . فهل هذا كان معبده في قرية ؟ .

أما المقبرة الثانية فعليها بناء يعلو المقبرة مربع الشكل مبنى من الحجر المسوى . كما وجد بجانب البناء نصف علوي بدون رأس لتمثال يذكرنا بتماثيل تدمر والانباط كما وجدنا فى هذا البناء العلوي قطعاً فخارية نبطية يدل شكلها على أنها من أفضل أنواع فخار القرن الثاني الميلادي . أما المقبرة فيبدو أنها بنيت فى العصر الاسلامى إذا وجد مع الرمال التى تملأ المقبرة نقشاً إسلامياً لشخص يسمى زياد . كما وجدنا شاهد القبر على عمق حوالي مترين من المنزل وكأنه ساقط من مدخل البناء العلوى ، وحروف النص سبئية الشكل بعكس النص السابق والتي تتخذ شكلا محلياً . وهذا هو النص حسبما ورد :

١ ــ ق ب ر ــ م ع و ى ت ــ ب ن ــ ر ب ع ت ــ ذ أ ل ــ (م) (؟) (ث) ــ (ق) .

٢ ــ ح ط ن ى ن ــ م ل ك ــ ق ح ط ن ــ و م ذ ح ج ــ ب ن ى ــ ع ل .

٣ ــ ه ــ ع ب د ه ــ ه ف ع م ــ ب ن ــ ب ر ن ــ ذ (أ) (ل) ــ أ ل أ .

وهذا هو محتوى النص :

١ ــ قبر معاوين بن ربيعة من أل . . .

٢ ــ القحطاني ملك قحطان ومذحج بني عليه .

٣ ــ عبده هفعم بن بران من ال ألا .

وهذا النص على قصره يثير كثيراً من التساؤلات عن هذا الملك الجديد الذي لم يرد له ذكر لا فى النقوش الجنوبية ولا في الكتب العربية . فهو على ما يبدو قحطاني بسط نفوذه فى « قرية » على قحطان ومذحج ، بمعنى

أن هذه المنطقة كانت تسكن من قبل هاتين القبيلتين بشكل خاص . فبالنسبة لقبيلة قحطان نجد أنها كان يحكمها ملك كندة في القرن الأول ق.م. وهذا ما يشير إليه النص Ja 635 وهو أقدم نص يصلنا عن « قرية » التي تعبد كهلا . إذ يذكر النص أن أبكرب أحرس الذي كان قائداً للجيش للملك شعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان قد حارب ضد مدينة « قرية » ذات كهل ضد ربيعة من آل ثور ملك ندكندة وقحطان وضد سادات مدينة « قرية » فما صلة معاوية هذا بربيعة من آل ثور ؟ انني أظن أن معاوية هذا وأعتقد أنه كان في القرن الثاني الميلادي — إنما كان في فترة ضعف لكندة ، واستطاع معاوية وهو من قحطان أن يتملك عليها وعلى مذحج رغم أن مذحجاً مرتبطة ارتباطاً قوياً مع كندة في النصوص الجنوبية وفي الكتب العربية ، فالنص رقم Ja 576 يشير إلى ارتباط كندة بمذحج والتي يذكر النص أن قتالا نشب بين الشرح يحضب من جهة وبين مالك ملك كندة وشعب كندة من جهة أخرى وذلك من سنة ٥٠—٣٠ ق م وكذلك النص رقم Ja 660 والذى يعود إلى أوائل القرن الرابع للميلاد والذى يشير إلى أن كندة ومذحجاً كانت ضمن القبائل القوية في جيش شمر يهرعش ملك سبأوذي ريدان وحضرموت ويمنة . ثم نجدها أيضاً في النص Ja 665 من جملة القبائل مع مذحج في جيش يسرم يهنعم وابنه ذرأ أمر وذلك من سنة ٣١٥ — ٣٢٠ م وان كنا نجد كندة بمفردها تشترك في حملة أبكرب أسعد وابنه حسان يهنعم ملكى سبأ وذى ريدان وحضر موت ويمنة وأعراب طود تهامة في نقش Ry 509 سنة ٤٢٥ — ٤٣٠ م بمعنى أن كندة كانت تعيش في هذه المنطقة هي ومذحج وقحطان ولكن الغلبة كانت لكندة في المرحلة الأولى ثم لقحطان . أما مذحج فكانت قبيلة بحسب حسابها ولكن يبدو أنها مرتبطة برباط ما مع كندة ، ولعل هذا ما تشير إليه الكتب العربية عندما تتحدث عن نسب كندة ومذحج . فكندة هو ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ومذحج هو مالك بن أدد بن زيد إلى آخر النسب . فعلى هذا فمذحج يقع في مرتبة الجد الثالث لكندة وهو عم الجد الثاني لكندة .

ومن كل ذلك نرى أن معاوية بن ربيعة حكم في فترة لم تكن فيها كندة حاكمة لقرية . ويبدو أن كندة قد ضعف مركزها بعد الحملة التي قام بها أبكرب أحرس ، ثم حملة الشرح يحضب في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد إذ أننا لا نجد ذكرا لكندة بين هذه الفترة وبين فترة حكم معاوية بن ربيعة القحطاني .

وهنا نلتفت إلى نقش آخر وهو نقش النمارة الذى يعود تاريخه إلى سنة ٣٢٨ ميلادية وصاحبه امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ، فانه يشير في نصه إلى مذحج . وإذا نظرنا إلى القبائل التي وردت في النص فاننا يمكن أن نلاحظ بأنها كانت مرتبة ترتيباً جغرافياً، فهو قد بدأ بقبيلتي أسد ونزار في الشمال ثم نزل جنوباً إلى مذحج ثم انصرف إلى نجران مدينة شمر ، ثم اتجه إلى قبائل معد . بمعنى أن امرأ القيس قد حارب مذحجاً في مكان ربما كان « قرية » ولعله سلك الطريق الذي سلكته التجارة والثقافة التي نجد آثارها واضحة في المكتشفات الأثرية .

ومما يلفت النظر في « قرية » أن«كهلا »كان هو معبوده الرئيسي سواء في السوق أو في المقبرة .

ومن كل ذلك نظن أن « قرية » المشار إليها في النقوش لا شك أنها هي « قرية الفاو » وأنها ذات المعبود « كهل » خاصة إذا ربطنا ذلك بارتباط المواقع التي جاءت في شعر امرىء القيس بمنطقتها ، وبذلك تكون « قرية » هي عاصمة كندة الأولى ، أو على أقل تقدير إحدى حواضرها ، وإن كنت أرجح أنها العاصمة . وخاصة إذا نظرنا إلى مساحتها والتي تعد كبيرة نسبياً ، إذا ما قيست بحجم مدن تلك الفترة في المناطق المجاورة .

د : عبد الرحمن الطيب الأنصارى

بعض المصادر والمراجـع

١ ــ أحمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي بيروت سنة ١٩٧٠ م .

٢ ــ مطهر على الارياني : في تاريخ اليمن ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٣ ــ جونار أولندر : ملوك كندة من بنى آل المرار ، ترجمة عبد الجبار المطلبي ، بغداد سنة ١٩٧٣ م .

٤ ــ محمد بن عبدالله بن بلهيد : صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار . طبعة ثانية سنة ١٩٧٢ م .

٥ ــ حمد الجاسر : مدينة الرياض عبر أطوال التاريخ ، الرياض سنة ١٩٦٦ م .

٦ ــ ياقوت الحمدى : معجم البلدان ، بيروت سنة ١٩٥٧ م .

٧ ــ عبدالله بن خميس : المجاز بن اليمامة والحجاز ، الرياض سنة ١٩٧٠ م .

٨ ــ محمد بن الحسن بن دريد : (؟) الاستقامة ، القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

٩ ــ جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ م .

١٠ ــ الطاهر أحمد مكي : امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية ، حياته وشعره . الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٠ م .

١١ ــ أحمد بن عبد الوهاب النويرى : نهاية الأرب ، القاهرة سنة ١٩٥٤ م .

1. A.F.L. Beeston : Warfare in Ancieut South Arabia (2nd.-3rd. Centuries A.D.) Qahtan Fase. 3. London 1976

2. R. Dussaud : La penetration des Arabes en Syrie Avant L'Islam, Paris. 1955.

3. G.R. Harding : An index and coneordance of Pre-Islamic Arabian names and Inscription, Toronto, 1971

4. A. Jamme : Le Pantheon Sud-Arabe Preislamique. Le Mupeom, LX. 1-4 Louvain, 1947.

5. A. Jamme : Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib) Baltimore 1962.

6. A. Jamme : Sabaean and Hassaean Inscriptions from Saudi Arabia Rome 1966.

7. A. Jamme : Miscellanees d'ancien arabe IV, Washington D.C. 1973.

8. Ph. Lippens : Expedition en Arabie Centrale. Paris. 1956.

9. J.B. Philby : Two notes from Centrai, Araqia aG.J. vol. 113, 1949.

10. J.B. Philby : Motor Tracks and Sabeean Inscriptions in Najd, G.J. vol. 116. 1960.

11. G. Ryckmans : Les Religions Arabes Preislamiques, Louvain 1951.

تقارير القناصل البريطانيين في جدة
كمصدر لتاريخ غرب الجزيرة العربية

لقد كان هناك في جدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين أكثر من قنصل يمثل دولة أجنبية ولكنه يبدو أنهم لم يلعبوا نفس الدور الذي لعبه قناصل بريطانيا من حيث اهتمامهم في المنطقة بل وتدخلهم شؤونها الداخلية في أكثر من مناسبة . كانت بريطانيا دولة استعمارية ولها مصالح في مناطق كثيرة من الجزيرة العربية ولذلك فانه كان يهمها أن تعرف ما يجرى في محيط القنصلية بل حتى في المناطق المجاورة أو البعيدة مثل نجد وعسير وحائل واليمن ما أمكن ذلك . والقناصل وهم يعرفون هذه الرغبة لم يألوا جهداً في الكتابة عن كل ما رأوه وسمعوا عنه من أحداث وما وصل إليهم من معلومات وسواء كان لهذه المعلومات علاقة مباشرة بالمصالح البريطانية أو كانت على غير ذلك .

ان اهتمام بريطانيا في الجزيرة العربية يعود إلى أكثر من عامل : فموقعها الاستراتيجي على الطريق إلى الهند أعطاها أهمية لا يمكن تجاهلها ، وأول من لفت نظر البريطانيين إلى هذه الأهمية هم الفرنسيون عندما استولوا على مصر وأخذوا يحاولون إقامة علاقات بينهم وبين بعض أمراء غرب الجزيرة العربية (١) . ولو أن بريطانيا تنبهت إلى مخططاتهم فأحبطتها في مهدها بل وأخرجتهم من مصر ، إلا أن الأمر لم ينته عند ذلك الحد ؛ فظهور محمد على باشا — حاكم مصر والموالى لفرنسا — على مسرح الأحداث في الجزيرة العربية وأطماعه التوسعية فيها قادت إلى اصطدامه ببريطانيا التي حاولت في بادىء الأمر تحديد مناطق النفوذ معه ولكن عندما لم يحدث شيء من هذا بسبب أطماعه اللامحدودة كان لابد لها من فعل شيء يوقفه عند حده فنصبت من نفسها حامياً لمصالح السلطان ضد تابعه الخارج عليه إلى أن أدى الأمر في الأخير إلى دخولها معه في حرب كان من بين نتائجها تجريده من جميع

ممتلكاته فى الجزيرة العربية ما عدا الشريط الساحلى الممتد من الوجه إلى العقبة والذى ظل بصفة عامة تحت الحكم المصرى حتى نهاية القرن التاسع عشر .

أما العامل الثانى الذى حدا ببريطانيا فى أن تهتم بالجزيرة العربية فهو عامل اقتصادى ، فوانيء البحر الأحمر المؤدية إلى الهند كانت مهمة للسفن البريطانية التى تجد فيها الملجأ والوقود إضافة على ما تقوم به معها من تجارة رائجة . فمثلا قدرت قيمة الواردات إلى جدة وحدها فى سنة ١٩٠٧ بمليونى جنيه استرلينى وكان نصف هذه الواردات من الهند كما قدر أن ربع هذه التجارة كانت بيد رعايا بريطانيين . وأما العامل الأخير والأهم فهو أن بريطانيا وهى تحكم ملايين المسلمين فى الهند وفى غيرها كان لها اهتمام خاص بما يجرى فى البلاد الإسلامية المقدسة ، ففى كل سنة يأتى من مناطق تحت نفوذها الآلاف من المسلمين لتأدية فريضـــة الحج ، هذا إضافة على وجود جالية إسلامية كبيرة من رعاياها تقيم فى هذه البلاد بصفة دائمة وتزاول مختلف الأعمال . لذا كان لابد لها من ممثل فى هذه البلاد لكى يرعى شؤونهم ويسعى لدى السلطات المحلية من أجل إيجاد كل ما من شأنه ضمان سلامتهم وأمنهم وحفظ حقوقهم (٣) .

لقـــد كان حق تعيين من سيقوم برعاية المصالح البريطانية حتى سنة ١٨٢١ فى جدة محصوراً بيد شركة الليفانت The levant Company ولذلك فانه مسئول أمامها وليس أمام وزارة الخارجية التى ليس لها سلطة مباشرة عليه . هذا الوضع تغير بعد انحلال الشركة سنة ١٨٢١ م فأصبح القنصل يسعين من قبـــل شركة الهند الشرقية East India Company ولكنه مسئول أمام وزارة الخارجية ومرتبط بها لا بالمصدر الذى عينه . على أن ذلك لم يستمر طويلا فبعد مدة وجيزة من مقتل المستر بيج Page ممثل الشركة والذى كان يشغل فى نفس الوقت منصب نائب القنصل أثناء اضطرابات

حدثت فى جدة ١٨٥٨ م – صار تعيين القناصل وعزلهم ومسئوليتهم تنحصر فقط فى يد وزارة الخارجية (4) .

لقد قام بتمثيل بريطانيا في جدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى واحد وعشرون قنصلا أو نائب قنصل تركوا حصيلة وافرة من المعلومات القيمة عبر تقاريرهم التي كانوا يرسلونها – ما عدا في بعض الحالات القليلة * – إلى سفرائهم في العاصمة العثمانية ، هذه المعلومات كانت عبارة عن سجل لما كان يجري في منطقة الحجاز – وفي المناطق المجاورة بدرجة أقل – من أمور سياسية واقتصادية واجتماعية . وبما أنني لن أستطيع في بحث صغير كهذا أن استعرض أسماء وأعمال جميع هؤلاء القناصل ، لذا فسوف أقتصر في كتابتي على إعطاء نماذج من تقارير أولئك الذين اتسمت كتاباتهم بالشمول وتنوع المواضيع ووفرة الإنتاج . على أنه تجب أن لا يقلل من شأن الآخرين والذين حفلت تقاريرهم بالعديد من الحقائق التي لا غنى عنها في نظرى – لمن يريد أن يكتب عن المنطقة وفي هذه الفترة .

كان على رأس هؤلاء القناصل ومن أنشطهم جيمز زوهراب Jamʿz Sohrab الذى عين قنصلا لبريطانيا في جدة في الفترة ما بين الخامس من أكتوبر سنة ١٨٧٨ ، والأول من يوليو سنة ١٨٨١ (5) . فعلى الرغم من قصر المدة التي أقامها هذا القنصل في جدة إلا أنه أرسل إلى سفارته تقارير كثيرة تطرقت إلى مواضيع شتى كان لبعضها مساس مباشر بمهمته ومصالح دولته ، ولا صلة واضحة لمصالح دولته في بعضها الآخر . ففي الثاني عشر من شهر مايو سنة ١٨٧٩ أرسل زوهراب تقريراً إلى السفير البريطاني في استانبول أوستن لايارد Austin Layard يحدثه فيه عن ميناء جدة وأنها الميناء التجارى الرئيسى للحجاز وأن فيها تجارة رائجة تزيد قيمتها عن ثلاثة ملايين

(*) فى بعض الحالات القليلة أرسل القناصل تقاريرهم رأساً إلى وزير الخارجية فى لندن كما هو واضح من بعض الأمثلة التى سنسوقها فى هذا البحث .

جنيه استرليني . وقد تشكى القنصل فى تقريره هذا بقوله أنه رغم هذه الأهمية وكونها مقرا لاقامة لقناصل ثلاث دول كبرى إلا أن حاكم الحجاز لم يقم حتى بزيارتها ولذا فإن إدارة شؤونها تركت بيد القائمقام كما أنيط أمر المحافظة على أمنها بوحدتين صغيرتين من المشاة لا يتجاوز عدد أفرادهما على المائة والعشرة رجال (6) .

وفى تقرير أرسله زوهراب إلى نفس السفير فى السابع من يوليو سنة ١٨٧٩ م تحدث القنصل عن مركز السلطان ودولته فى الحجاز فأكد أن السلطات التركية فى محاولتها للمحافظة على سلطتها هناك تواجه العديد من المصاعب . على رأس هذه المصاعب كون هذه السلطات تعيش بين شعب متوحش ، مثير للقلائل ، ويناصبها العداء من غير أن تمتلك الوسيلة لقمعهم أو اجبارهم على مراعاة النظام فلا يوجد فى الحجاز — على حد قول القائمقام له — الا أربع كتائب من المشاة . لذا فليس غريباً أن ينعدم الأمن فى جميع أنحاء البلاد وأن يكون الاعتداء على القوافل والمسافرين من الأمور التي تحدث كل يوم . وقد أوضح القنصل أن الرشاوى وحدها هي التي تجعل البدو يقبلون بذلك الظل الخافت للسيادة العثمانية التى توجد فى الحجاز ، فهناك مبالغ طائلة تمنح للأشراف والمشائخ ومقادير من الحبوب توزع على سكان القرى إضافة إلى ما يصل الحجاز من هبات تدخل تحت ستار الدين . ان هذه المصروفات تكلف الحكومة التركية فى السنة ما يزيد على خمسمائة ألف جنيه استرليني . مقابل ذلك فان الحكومة التركية لا تحصل على أى شيء بسبب كون الحجاز مستثنى من كل من الضرائب والتجنيد ، ولذا فان هذه المنطقة لا تتميز بكونها عديمة الفائدة للسلطان فحسب بل إنها تشكل عبئاً ثقيلا على موارد الأمبراطورية . وفى نهاية التقرير يذكر القنصل أنه بالامكان تغيير وضع المنطقة إلى ما فيه فائدة الدولة العثمانية لو أن الأخيرة قامت باحكام سيطرتها عليها وأجبرت السكان على أن يتحملوا نصيبهم من الضرائب بدلا من الدفع لهم لشراء هدوئهم (7) .

وفى تقرير عن ضرورة انشاء تمثيل قنصلي لبريطانيا فى منطقة البحر الأحمر

أشاد زوهراب بالأهمية الكبرى للمنطقة لبريطانيا ومستعمراتها وخاصة الهند ، كما أشـــاد بالأهمية التجارية التى تحتلها هذه المنطقة وعلى رأسها ميناءى جدة والحديدة وقد أعطى فى هذا التقرير دراسة شاملة للنواحى التجارية والسياسية وتجارة الرقيق فى المنطقة ، كما أعطى تقريراً لعدد رعايا بريدانيا هناك كذلك أوضح أن الدلائل كلها تؤكد أن لدول كبرى مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا مطامع فى المنطقة ، ثم تعرض بعد ذلك فى تقريره إلى مواضيع أخرى مثل أهمية الحجاز والأماكن المقدسة بصفة عامة ولبريطانيا بصفة خاصة ، نظرة السكان من بـــدو وحضر إلى ادعاءات السلطان بالخلافة ونظرتهم للأتراك ككل ، علاقة الشريف عبد المطلب بتركيا ومدى الصلاحيات التى فى يده ونظرة كل منه والسلطان إلى الآخر (8) على أن زوهراب لم يجعل تقاريره وقفاً على السفير فى استانيول وانما أرسل البعض إلى وزير الخارجية الماركيز سالزبرى The Marquizof Salisbury من هذه التقارير واحداً أرسله فى الثانى عشر من مارس سنة ١٨٧٩ م عن شريف مكة الحسين بن محمد بن عون مبيناً فيه مركزه الدينى واستعداده المطلق لاستخدام مركزه هذا فى أى أمر من شأنه خدمة الحكومة والمصـــالح البريطانية شريطة ألا يضر ذلك بمصالح السلطان وأن تكون الاتصالات معه تتم بصورة سرية ولا يعلم بها أحد حتى الحكومة التركية حسب استنتاج القنصل (9) .

وفى تقرير آخر إلى وزير الخارجية كتب زوهراب عن مجيء والى الحجاز حالت باشا إلى جدة وأن هذه الزيارة تمت بعد خطاب أرسله إليه بهذا الخصوص . وقد أفاد فى تقريره أن زيارته لجدة كانت مفيدة وأن الوالى نفسه اقتنع بأنها كانت ضرورية . وذكر أنه عقد مع الوالى مباحثات مطولة وأن الأخير أخبره بأنه فوجيء بحالة الاضطراب واللانظام اللذين كانا يسودان الجهاز الإدارى فى جدة ، وأن هذا الأمر لا يمكن اصلاحه إلا بتعيين أناس مؤهلين هناك . وقد شملت المباحثات نقاط أخر أثارها القنصل تخص جدة منها تنظيم وتدعيم قوة الشرطة وتنظيف المدينة والحجر الصحى والمرسى والاهتمام بمصادر المياه وإيجاد مجالس قضائية مناسبة وإيقاف

تجارة الرقيق . وقد بين الوالي للقنصل أنه لا يستطيع تنفيذ هذه الرغبات جميعها في آن واحد بل أنه لن ينفذ شيئاً منها في الحال ولكنه وعد بأنه سيولى جميع هذه النقاط اهتمامه (١٠) .

لم تقتصر تقارير زهراب كلها على الأمور التي كان معاصراً لها وإنما كتب عن أحداث سبقته بأكثر من نصف قرن . ففي تقرير مطول بلغ احدى وعشرين صفحة أرسله لوزير خارجيته سالزبرى كتب عن تاريخ اشراف مكة منذ سنة ١٨٢٣ ، فصل فيه عن الخلافات التي كانت تنشب بين الأشراف من ذوي زيد وعون ، هذه الخلافات التي كثيراً ما قادت إلى مجازر راح ضحيتها الكثير من أفراد الأسرتين . وقد أوضح كيف كانت الشرافة تنتقل من أسرة إلى أخرى وموقف الحكومة التركية غير الثابت نحو الأسرتين . ثم تطرق بعد ذلك إلى موقف كل من الأسرتين تجاه بريطانيا مؤكداً أن أسرة عون لا تنظر دوماً إلا بعين الود والصداقة للحكومة البريطانية على عكس أسرة زيد المناصبة للبريطانيين العداء ، ذلك الموقف الذى تمثل في شريفهم عبد المطلب . لقد كان زوهراب يكره عبدالمطلب كرهاً شديداً لذا فلا عجب أن يصفه في تقريره هذا بالغدر والتعصب والسوء في كل شيء ، بل إنه في الحقيقة جرده من كل الصفات الإنسانية آملا في أن يستطيع إقناع وزير خارجيته للتدخل فى منع تعيينه للشرافة للمرة الثالثة . ولكى يؤكد وجهة نظره فيما يقوله عن عبدالمطلب فقد أكد لوزير خارجيته أن هذه هى نظرة جميع المسئولين فى الحجاز وعلى رأسهم الوالى وقائمقام جدة اللذين توسلا إليه لكى يمنع عنهم وقوع هذه الكارثة . وكان يمتدح ذوى عون ويحبذ تولية أحدهم مذكرا الوزير بما قدموه من خدمات جليلة لبريطانيا (١١) .

من القناصل الذين زودونا بالعديد من التقارير القيمة المستر توماس جايجو Thomas Jago الذى شغل منصب القنصلية في الفترة ما بين سبتمبر ١٨٨٣ ويوليو ١٨٨٨ . ففي تقرير أرسله في الخامس من مارس ١٨٨٤ م إلى سفيره في استانبول ايرل دوفرين The Earl of Dofferin ذكر

أنه لم ير الوالي عثمان باشا في جدة طيلة المدة التي كان القنصل قد أقامها في جدة والتى تقارب الستة أشهر . بعد ذلك تحدث عن سلطات الوالي الواسعة التي يمارسها على جميع الأمور صغيرها وكبيرها وسواء كانت إدارية وعسكرية أو اقتصادية وأنه قضى على سلطات قائمقام جدة الذى صار يرجع إليه في كل شيء . لقد صار الوالي الذي يشغل في نفس الوقت منصب القائد الأعلى للجيش يتصرف في أمور كانت في السابق من اختصاص الشريف الذى لم يبق له من سلطة إلا تلك التى تدور حول شؤون القبائل البدوية بما يدخل في ذلك من حفظ لأمن الطرق وحل خلافاتهم . أما بخصوص القبائل البدوية فانهم على الرغم من كونهم يرتبطون برباط الدم والزواج مع زعماء مكة والمدينة ، إلا أن هذه الروابط تزعزت فى السنوات الأخيرة بسبب ما تعرض له هؤلاء البدو من ظلم على يد الأشراف الأمر الذي أدى بالتالي إلى تلاشي تلك الروابط التي جمعتهم في سبيل مصالحهم المشتركة ضد الدولة الحاكمة . إن هؤلاء البدو يعتمدون غالباً في معيشتهم على ما يحصلون عليه مقابل سماحهم لمرور الحجاج عبر أراضيهم في موسم الحج ، وما يحصلون عليه من إعانة سنوية من الدولة — عينية ونقدية تقدر قيمتها بحدود خمسة وثلاثين ألف جنيه استرليني — من أجل حمايتهم لطرق مكة والمدينة . وقد حصل البدو على هذه الإعانة لأول مرة من محمد على بعد استيلائه على الحجاز ولو أن الدولة العثمانية استمرت تدفعها لهم إلا أن السلطات المحلية لا تعطيهم جميع ما قرر لهم فلا يصلهم تقريباً إلا نصفها . لقد أعطى في تقريره هذا أيضاً بعض المعلومات عن قبيلتي حرب وعتيبة . مواقع القبيلتين وأعداد أفرادهما ، وعلاقة هاتين القبيلتين ببعض وعلاقتهما بالدولة العثمانية ، كما بين أن ما يدعى بثورة البدو التي حدثت فى سنة ١٨٨٣ كانت باتحاد القبيلتين ضد السلطات المحلية . وأكد ثانية على سلطات الوالي الواسعة وأنه استطاع بعد مدة قصيرة من مجيئه إلى الحجاز أن يقلم سلطات الشريف عبد المطلب وبالتالي عزله عن الشرافة ، وبما أن الشريف الجديد عون الرفيق يعرف مدى قوة مركز الوالي لذا فانه لم يحاول أن يستعيد السلطات التي كانت أحياناً لسابقيه . ويذكر أن الشريف الجديد وهو يعرف مدى كره السلطات التركية للقنصلية البريطانية

لذلك فانه يحرص على الابتعاد عنها خوفاً من أن يتهم بأن له صلات بها . وقبل نهاية التقرير تطرق إلى الجيش التركي في الحجاز ، أعداده وكفاءته مبيناً أن الكثير من أفراده جيء بهم من سجون سوريا وفلسطين لتحملهم جو الحجاز الحار ولتأديبهم ، كما تطرق إلى ميزانية الحجاز (١٢) .

وفي تقرير آخر كتب جايجو بالتفصيل عن مصادر الدخل والضرائب في ولاية الحجاز ضمنه معلومات كثيرة عن مواضيع شتى من ضمنها نبذة عن تاريخ الاشراف والغزو السعودي للحجاز واستيلاء محمد على عليها الذي أدى إلى اضعاف مركز الشريف . وقد امتدح في تقريره هذا الشريف عبدالله بن محمد بن عون وأعطى وجهه نظره عن أسباب عزل الشريف عبدالمطلب ، كما تحدث عن المخصصات التي تدفعها الدولة العثمانية للأشراف والبدو وسكان المدن . ولكن من أهم المواضيع التي كتب عنها القنصل بالتفصيل فى هذا التقرير هي مصادر الدخل في الحجاز ، من أين تأتي ، مفرد اً لكل من جدة ومكة باب على حدة . وقد قدر أن مجموع دخل الشريف لوحده أربعة وثلاثون ألف ومائتان وثمانون جنيه استرليني (١٣)

أما « آرثر البان » Orthur Alban الذي جاء إلى جدة ليقوم بأعمال القنصل في سنتى ١٨٨٥ م ، ١٨٨٦ م فقد أرسل إلى سفارته عدة تقارير كان من أهمها ذلك الذي كتبه في الثالث من أغسطس ١٨٩٦ م ، والذي تحدث فيه عن سلطات الشريف عون الرفيق الواسعة والمؤيدة من جانب السلطان في استانبول ، وأن هذا قاد إلى زيادة طغيانه وفساده اللذين تقاسي منهما جميع الطبقات في الحجاز ، كما أن جميع الولاة الذين حاولوا وضع حد لاستهتاره كان جزاؤهم عزلهم . لقد ذكر القنصل أن من سوء حظ هذه الولاية أن الوالي الحالي أحمد راتب باشا عندما جاء إلى الولاية كان يعرف مدى سلطة الشريف وفساده ولذلك فقدكان عليه إما أن يسايره ويجاريه أو يستعد للابعاد عن مركزه . وقد اختار السبيل الأول له طريقاً ولذلك فقد أصبحت حالة الولاية ليس لها نظير بين الولايات الأخرى إذ بدلا من رئيس واحد للولاية كما هي العادة في جميع الولايات فان هناك في الحجاز

رئيسين ، كل معه زمرة من التابعين الذين لابد من اشباع رغباتهم وإرضاء تهمهم . إن الرأى العام في الحجاز قد يتباين حول محاسن ومساوىء الولاة السابقين ولكن بالنسبة لأحمد راتب باشا فليس هناك مجال للخلاف إذ أن الكل مجمع على أنه أسوأ وأفسد وال عرفه الحجاز خلال السنوات العشرين الماضية على الأقل . وقد أسهب القنصل في تقريره هذا في تعداد مساوىء الوالي التي شملت جميع الناس تقريباً كما بين عدم جدارته لما أنيط به من مسئولية واهماله لأعماله الرسمية ، كما عدد مساوىء الشريف عون وأوضح الحالة السيئة التي انحدر إليها الوضع من جميع النواحى في عهد الاثنين . كما أعطى فكرة عن الشريف عون وإدارته وصفات القائمقام الحميدة وعلاقته الودية بالقناصل والتى كانت السبب في النهاية في عزله . وبما أن الشكاوى قد كثرت من طغيان الوالي والشريف وفسادهما لذلك قامت الحكومة التركية بارسال العديد من البعثات لاستقصاء الحقائق ومدى صحة هذه الشكاوى ، إلا أن الشريف أحبط مساعي هذه البعثات بما كان يقدمه لها من رشاوي جعلها تأتي وتعود لتكتب تقارير مرضية عن وضع الحجاز . كان من أشد القناصل كرهاً للوالي والشريف القنصل عبد الرازق (١٨٨٢–١٨٩٥ م) الذي كرس جهده للوقوف في وجه طغيانهم . هذا القنصل هوجم على حدود جدة وقتل مشكوكاً أن للشريف يداً في هذا الاعتداء . وقد حاول القناصل كلهم دون جدوى ازاحة الشريف عون عن مركزه مما زاد في سلطته التي عانى الحجاج والبدو منها أكثر من غيرهم لما فرضه عليهم من ضرائب . لقد أدى موقف الشريف هذا من البدو إلى ازدياد هجومهم على الحجاج والمسافرين يشجعهم على ذلك عدم اطلاق الحراس عليهم النار مدعين بأنهم لم يعطوا أوامر بهذا الخصوص . كما اشتمل تقرير البان هـذا على معلومات عن الجيش وكثرته وسوء حاله وتأخر رواتب أفراده ، وفى نهاية البحث يقترح إزالة كل من الشريف والوالي(١٤) .

على أن أبرز هؤلاء القناصل – في نظرى – على الاطلاق هما القنصل جورجي ديفي George Dewey الذي كان قنصلا في جدة من الأول من

ديسمبر سنة ١٨٩٦ م إلى الخامس من ديسمبر سنة ١٩٠٥ والرجل الذي عاصره وشاركه مهمته معظم الوقت الشيخ محمد حسين Shaikh Mohammad Hussam الذي عمل كنائب قنصل ثم وكيل قنصل من ١٢ مارس ١٨٩٦ إلى ١٩٠٨ م . لقد تميزت تقارير هذين القنصلين بغزارة المادة وتنوع المواضيع وكثرة التفاصيل . وربما أن هذا يكون راجعا إلى طول المدة التي قضياها في الحجاز الأمر الذي أعطاهما الفرصة لمعرفة الوضع في الحجاز وما حولها من مناطق عن كثب . فمن بين تقارير ديني التي ركز فيها على بعض المواضيع تقرير مؤرخ في الثامن من يوليو سنة ١٩٠٠ م تحدث فيه بالتفصيل عن الجيش النظامي التركي في الحجاز مبيناً نوعية وحداته وعتاده وأين يتركز ، وعن الجيش الغير نظامي هناك (١٥) . أما في تقرير آخر فقد كتب هذا القنصل بالتفصيل أيضاً عن ميزانية جدة ايراداتها ومصروفاتها والحالة المالية فيها على ضوء هذه الميزانية (١٦) . كما لم يفته أن يكتب عن الشريف عون الرفيق ، الرجل الذى شغل بال الكثير من القناصل والذى قلما تجد تقريرا في هذه الفترة بالذات إلا وفيه شيء عنه . فقد أوقف عليه تقريراً كاملا مكونا من سبع صفحات مبيناً فيها مقالبه وصلاحياته وحالة سجونه السيئة التى اقترح تفتيشها ، هذا بالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة(١٧) . وفي تقرير آخر أعطى معلومات وافرة عن الأسعار والضرائب والتعليم والصحة والبدو وشغبهم وأمن الطرق والقرصنة وعـــدد جيش الشريف والسبب فى عدم تحسن الإدارة في الحجاز وقلة السفن التى تحرس الشواطىء والتي تستعمل أيضاً في نقل من انتهت خدمتهم من الجنود (١٨) .

وأخيراً نجد في تقريره الذي أرسله في التاسع من سبتمبر سنة ١٩٠٣ معلومات مفصلة عن المدارس في كل مدينة من مدن الحجاز الرئيسية ونوعيتها وعدد طلابها (١٩) أما نائب القنصل حسين فقد أرسل إلى سفارته تقارير كثيرة عالجت نفس المواضيع التي تطرق إليها ديني أحياناً واختلفت عنها في بعض مواضيعها أحياناً أخرى .

على أن تقارير القناصل لم تقتصر كما أشرت على الأمور التي تحدث في الحجاز وإنما تطرقت أحياناً إلى اعطاء بعض المعلومات التى كانت تحدث في المناطق المجاورة . مثال ذلك التقرير الذي أرسله ديني في الثاني من نوفمبر سنة ١٩٠٣ م عن التحركات العسكرية التركية في عسير وعدد الجيوش التي تحارب هناك ومدى الخسائر التي تعرضوا لها (٢٠) . وتقرير القنصل ريتشارد سون G Richerdson الذي قام بعمل القنصل في سنة ١٩٠٩ م والذى أرسل في الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٩٠٩ إلى سفارته يذكر فيها نجاح الأمير محمد الإدريسى في تثبيت قدمه في عسير وازدياد أتباعه وبدء العمليات الحربية بينه وبين الأتراك (٢١) .

ومن تلك التقارير ذلك الذي كتبه نائب القنصل حسين عندما كان يحدث أى من تطاحن على السلطة في نجد بين الملك عبد العزيز آل سعود وآل الرشيد وموقف الأتراك المعادي لابن سعود ، ومحاولة الأخير كسب الأتراك إلى جانبه عندما طلب من الشريف حسين التوسط بينه وبينهم وذكر الأخير بأنه ليس ثائرا ضد الدولة العثمانية وإنما ضد آل رشيد الذين اغتصبوا ملك آبائه وأجداده وأنه هو الحاكم الشرعى لنجد (٢٢) :

« تقييم وتحليل هـذه التقارير وإلى أى مدى يمكن الاعتماد عليها » :

ان أهمية هذه التقارير تكمن في أكثر من ناحية : —

أولا : أنها تعرضت لمواضيع كثيرة لم تسجلها أية مصادر أخرى . فقد أحصى القناصل من الناحية السياسية على الأشراف والولاة حركاتهم وسكناتهم ، مدى سلطتهم وصلاحياتهم ، محاسنهم ومساوئهم ، صلاحهم وفسادهم ، علاقتهم ببعضهم وبالآخرين . ومن الناحية الإدارية نجد أنهم كتبوا لنا الكثير عن الجهاز الإداري في الحجاز وسواء كانت تخص جهاز الأتراك أو الأشراف ومحاسن هذه الأجهزة ومساوئها . أما الأمور العسكرية فقد كان لها نصيب وافر من هذه التقارير ، فقد كتبوا عن الجيش ونوعية وحداته وأفراده وتسليحه وتدريبه وحالته ومواقعه ومدى انضباطه ، كما

تطرقوا بالتفصيل إلى تحركات الأتراك العسكرية في المنطقة وسواء كانت مع البدو أو الأشراف أو السكان أو كانت مع المناطق الأخرى المجاورة . كذلك كتبوا بشيء من التفصيل عن الأمور المالية من موارد ومصروفات وإعانات . عن التجارة في الحجاز . عن المدارس والمستشفيات ومصادر المياه . عن الموانىء البحرية والسفن الحربية وغير الحربية . وباختصار فقد شملت كتاباتهم كل شيء رأوه أو سمعوا عنه أو حدث في عهدهم بل حتى أحياناً عن أمور حدثت قبلهم — لدرجة أن أى باحث لن يخرج خلو اليدين من هذه التقارير .

ثانياً : صحة المعلومات التي وردت في هذه التقارير ، فما من شك أن القناصل حاولوا — وهذا واضح في كثير من تقاريرهم — أن يتحروا الصدق فيما يكتبون عنه وأن يشعروا سفراءهم ووزراء الخارجية بذلك ، فتراهم كثيراً ما يستخدمون الصيغ التالية : لقد أكد لي . . . أخبرت من مصدر موثوق . . . ،فلان أخبرني . أخبرت من قبل أشخاص معلوماتهم أكيدة. . ، إن هذا الأمر حقيقة معروفة . . . وإذا لم يتأكدوا من مصادرهم فانهم يوضحون ذلك أحياناً فتراهم يكتبون : أن الشائعات رائجة عن . . وأن الأخبار التي وصلت هنا . . . وقد سمعت . . ويظهر . . وأن الموضوع بقدر ما استطيع أن أعرف . . ومن الدلائل على صحة الكثير من المعلومات التي ترد في هذه التقارير ما كان يوليها السفراء أحياناً من اهتمام وما يبدونه تجاهها من ثقة . مثال ذلك التعليق الذى أرسله السفير فيليب كاري Philip currie إلى وزير خارجيته سالزبرى عن عون الرفيق وبناءاً على التقارير التي وصلته عنه « أن هذا الشريف وغد من نوع فريد حتى في الحجاز » (٢٣) . وتعليق آخر هذه المرة من السفير نيقلاس أوكونور N O. couar على تقرير ديني الذي يمتدح فيه الشريف على باشا والذي يبدي فيه ارتياحه لتعيينه للشرافة إذ قال « إن على باشا كما تشير معلوماتنا الحالية يبدو أحسن مرشح لهذا المنصب » (٢٤) .

على أن هذا لا يمنع من كوننا نجدهم أحياناً يقعون في بعض الأخطاء

والمبالغات التي قد تكون مقصودة أو غير مقصودة ، والتي قد يعود سببها إلى أمور منها عدم تأكدهم من صحة معلوماتهم أحياناً أو تحكم علاقاتهم وعواطفهم الشخصية في كتاباتهم أحياناً أخرى . هذا بالاضافة إلى بعدهم في بعض الأحيان عن مكان وزمان وقوع الحادث مما يجعلهم يعتمدون على الرواة الذين قد يصدقون وقد يكذبون أو يبالغون . . ولذلك فإننا نجد السفير أحياناً — ولو أنها قليلة — يبدى شكوكه في صحة بعض هذه المعلومات . مثال ذلك ما ورد في تقرير القنصل زوهراب عن تعيين عبد المطلب للشرافة وأن الرأى العام والسلك الدبلوماسي في الحجاز يعتبر هذا تحدياً لانجلترا ، وأن السلطان إنما يريد في هذا أن يخلق المشاكل لبريطانيا فى ممتلكاتها الإسلامية ، إذ علق السفير لايارد على هذا بقوله: إن مثل هذا الرأى قد لا يوجد ومبالغ فيه (٢٥) . ومن أمثلة تلك التقارير التي لعبت العلاقات الشخصية دوراً في عدم دقتها ما كتبه ديني عن الوالي أحمد راتب باشا عندما كانت علاقته به وثيقة ، فقد أوضح نائب القنصل حسين أن ديني يضحي بمصالح الرعايا البريطانيين في سبيل علاقته الودية مع الوالى ، الأمر الذى يمكن أن يستنتج منه أن ديني — ان صح اتهام حسين — لم يعط السفير أحياناً صورة صحيحة لما يقع في المنطقة والتي تخص المصالح البريطانية (٢٦) . كما أن ذلك واضح من تضارب تقارير بعض القناصل أحياناً حول حكمهم على والي أو شريف ، فبينما نجد أن هذا يسرف فى ذمه ، نجد الآخر الذي يأتي بعده وحال استلامه العمل يبدأ فى كيل المدح لذلك المذموم (٢٧) .

أما الأخطاء التي تقع أحياناً بسبب البعد عن زمن الأحداث فمن أمثلتها ذلك التقرير الذي كتبه زوهراب عن تاريخ الحجاز خلال النصف قرن الذي سبقه ، فقد ذكر أن ثورة الشريف عبدالمطلب ضد السلطان بدأت في سنة ١٨٥٣ وأن سببها كان الخلاف بين الشريف والوالي إذ أن هذا طبعاً من الأخطاء الواضحة (٢٨) .

ولكن على الرغم من تلك الأخطاء التي لم تحدث إلا في حالات نادرة

والتي لا يجب أن تؤخذ كدليل على التقليل من قيمة هذه التقارير ، ففي الحقيقة إن مدى صحة هذه التقارير قد تفوق أي كتاب اهتم في تحرى حقائقه كاتب عصرى محايد ، ولا أري قيمة حقيقية لأى عمل يكتب عن هـــذه المنطقة وفي هذه الفترة دون الرجوع إلى هذه التقارير .

إن هذه التقارير موجودة في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية في لندن Publie Record Office وغالباً في مجلدات وغير مفهرسة ولـكن وثائقها مرتبة حسب تاريخها وبشكل تنازلى أي من الأقدم للأحداث . ومعظم هذه الوثائق أو التقارير تقع تحت الرقمين .

F.O. 195/151 - 2368 (Embassy and Consular. Archives) .

F.O. 78/1694 - 5484 (General Crresnondence) .

د : صالح العمرو

« المراجـــع »

1. Hoskins, H. British Routes to India, N,Y. 1928. P. 65.

2. Al-Amr, S. The Hijaz Under Ottoman Rule. 1869 - 1914, Th Ottoman. Vali, The Sharif of Mecca & The grewth of British influence, PH.D Thesis presenred to the University of Leeds, Feb. 1974, P. 264-263.

3. Monahan, Jamez, Jid. No. 27. July, 3. 1928. 195/2286. For details see Al-Amr. OP. cit. PP. 212-216.

4. Marston. T., Britain's Imperial Role in the Red Sea Area from 1800-1878.

   U.S.A. PP. Xi, 157F, 282, 500.

5. Fromore details about the Consuls and the Vice-Consuls who occupied the Consulate, see the F.O. Lists for the years, 1861, 1869. 1880. 188 1883. 1895. 1398, 1905, 1906i 1921. 1925.

6. Sohrab to A. Layard. Jid. No. 12. May 12, 1879. FL F.O. 185[1251.

7. Ibid. Jid. No. 28. July 17, 1879. F.O. 185/1375.

8. Zohrab. Jid. June 1. 1881 F.O. 195/1375.

9. Sohrab to Salisbury. Jid. March 12, 1879 F,O. 195/1251.

10. Ibid. No. 28, April. 7, 1879. F.O. 78/2988.

11. Ibid. Jip. March. 17, 1880. F.O. 195/1482.

12. Jago to Dufferin. Jid. March 5, 1884 E.O, 195/1482.

13, Jago. Report on the Revenue of the Hijas. Jid. Jan 4.29 1886, F.O. 195/1547.

14. Alban to Herbert. Jed. Aug. 3, 1896. F.O. 195/1943.

15. Devey to Olconor. July 18, 1900, F.O. 195/2083.

16. Devey. Budget Estimate fr the Jeddah District. 1902. F.O. 195/2126.

17. Devey. Memorandum. Inc. No. 3. in his desp. No. 82. Oct. 14, 1902. FO.O. 195/2126.

18. Devey. Iid. No. 82. oct. 14. 1902 F.O. 195/2126.

19. Devy, No. 84. Sept. 9, 1903. F.O. 195/2148.

20. Devy to Olconor. No. 107. Nov-, 2, 1903. F. 195/2148.

21. Pichardson to Lowther. No. 48, Sept. 13 1909 F.O. 195/2320.

22. Husein. Memorandum Jan. 3, 1905. Inc. in Devey's disp. to Olconor, No. 5. Jan. 4, 1905 F.O. 195/2198.

23. Currie to Salisbury, Cons. Sept, 19, 1895. Salisbury Papers (Christ Chvrch) Vd. A. 135/49.

24 O'Conor to Lansdowne. No. 766. Therapia. Oct. 31, 1905 F.O. 406/24.

25. Layard to Salisbury. Dera. March. 31, 1880. Salisbury P. vol. A / 17 / 99.

26. Hussein to O'Conor. Jid. March. 22, 1900. E.O. 195/2083.

26. Al-Amr, Op. Cit. P. 218.

28. Zoharb to Salisbury. Jid. No. 2. March 17, 1880. F.O. 195/1313.

تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية

إنه لمن النادر أن نشاهد مكاناً في جزيرة العرب أو نسمع عنه اليوم إلا ونجد له ذكرا في الشعر الجاهلي أو شعر القرن الأول الإسلامي أو شعر الذين عاشوا وسط الجزيرة العربية حتى القرن الرابع الإسلامي ما لم يكن هذا المكان قد اكتسب تسمية حديثه تحت اسمه القديم الذى ورد في هذه الأشعـــار .

لقد سجل الشعر العربي في تلك الفترة أسماء هذه الأماكن بغزارة وبدقة وكان هذا الشعر خير عون لعلماء القرن الثاني الإسلامي الذين أخذوا على عاتقهم استخلاص التاريخ العربي القديم من ذلك الشعر وتحويله من سجل يحفظه الرواة عن ظهر قلب إلى كتب مدونة تجمع بين الوثيقة المكتوبة والنطق المسموع . وإذا كان هدفهم من ذلك هو تدوين اللغة العربية التى كانت بدورها وسيلة إلى تفسير القرآن الكريم فقد تحرجوا من الاعتماد إلا على ثقات الرواة وصاروا يطرحون رواة كثيرين ويتجنبونهم إذا ثبت على أحد منهم التدليس أو الكذب أو كثرت فيه الأقاويل وهذا يجعلنا نعتمد هذه الأشعار في أغلب الأحوال مصدراً دقيقاً لأسماء تلك الأماكن وطريقة نطقها .

لقد أدرك معظم الباحثين المحدثين تميز اللغة العربية في غناها « في كل ما يتعلق بالتربة وأخص مميزاتها الباطنية والعالمين النباتي والحيواني أيضاً » (١)، ولكنهم لاحظوا بشكل أوضح ما يتميز به الشعر العربي القديم من ذكر المواضع ، يقول كراتشكوفسكي في هذا المجال « وقد وصلت إلينا هـــذه المادة في آثار فريدة ربما كانت الوحيدة من نوعها في الأدب العالمي . . . لقد حفظ لنا الشعر الجاهلي مادة لا تنضب من هذا القبيل » (٢) . ويعتقد

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب ، ص ٤٢ .

(٢) كراتشكوفسكي : المصدر السابق ص ٤٣ .

أولرخ ثايلو أن الشعر العربي القديم أغنى من شعر أية أمة أخرى في أسماء الأماكن ، والسبب في نظره يكمن في طبيعة الحياة في الصحراء » حيث يضطر البدوي إلى الانتقال من مكان إلى آخر وعلى الشاعر أن يسجل في شعره الأماكن التي قضى فيها شيئاً من وقته » (١) . ويظهر لنا أن تعليل ثايلو لهذه الظاهرة يشكل على الأقل واحدا من الأسباب التي جعلت الشعر العربى القديم يزخر بهذه القوائم الضخمة من أسماء الأماكن . ولقد سخر من هذه الظاهرة قوم من الشعراء والنقاد في القديم والحديث إلا أنهم في نظرنا لا يدركون طبيعة الحياة التي كان العرب يعيشونها في صحراء الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده . علينا أن نتصور مجموعة من الأعراب هاجرت من مرابعها إلى مكان يوجد فيه ماء يسقون منه ماشيتهم في الصيف ويرعونها حول هذا الماء . إنهم في الغالب سوف يكونون أفراد عشيرة واحدة وسوف تكون خيامهم متقاربة وسوف يمضون نهارهم في العناية بأمور ماشيتهم ولكنهم منذ أن تغرب الشمس تنتهى أعمال كثير منهم ومعظمهم في الغالب أميون وحتى من يحسن القراءة منهم لن يجد كتاب يقرأه وإذا وجده فلن يجد الإضاءة التي تمكنه من الانفراد عن العشيرة والانصراف إلى هذا الكتاب ، وهذا هو الذى جعل الإنسان العربي — ولا سيما البدوي في الصحراء — شخصاً اجتماعياً ينفر من العزلة بحيث أن حضر الجزيرة العربية يسخرون إلى اليوم من الحاح البدوي في السؤال عن الأخبار وذلك يجعلنا نطمئن إلى أن أفراد العشيرة في العصر الجاهلي يتجمعون في مكان واحد بعد غروب الشمس ويتحلقون من أجل السمر ولابد أن يكون بينهم ناشئة حريصون على سماع أخبار القبيلة وأمجادها القديمة . حينئذ يأتي دور الشاعر لكي يقدم لهؤلاء الناشئة وللسامعين من غير أفراد القبيلة أبياتاً من الشعر أو قصيدة أو قصائد تكون بمثابة سجل لأمجاد القبيلة وتاريخ لبطولتها ، وفي هذه الحالة يجب على الشاعر أن يذكر الأماكن التي كانت خاضعة لحكم القبيلة أو كانت من أملاكها أو مرت بها القبيلة في طريقها إلى الاستقرار . وأحياناً

يكون الشاعر وحده في الفلاة فتثور أشجانه ويتذكر حبيبته أو أصدقاءه أو قبيلته فيذكر الأماكن التى كان فيها معهم وفي كل هذه الحالات يأتي ذكر الأماكن الجغرافية بطريقة منطقية لا خلط فيها حيث يذكر الشاعر اسم مكان ما ثم يأتي باسم المكان الذى يجاوره أو يشابهه ، وهكذا إلى أن تخرج من شعره بخارطة تقريبية للجزء الذى يتحدث عنه من جزيرة العرب ، هذه كانت المرحلة الأولى من محاولات تسجيل الأماكن الجغرافية شعراً التي كان الشاعر يتقيد فيها بالترتيب الجغرافي للأماكن لا يخل به مهما كانت الأسباب على الرغم من أنه قد يغير الاسم نفسه بما يلائم الوزن أو القافية مما يجعل المكان الواحد يأخذ العديد من الصيغ إلا أن ذلك لا يعتبر خسارة كبرى إذا قسناه بالمكاسب الضخمة التي حققها لنا تقيد الشاعر العربي بالترتيب الجغرافي للمواقع في مطلع قصيدته . وهذا هو الهدف الذىيقصده شعراء الجاهلية وشعراء القرن الأول الإسلامي وشعراء الجزيرة العربية بعد ذلك عندما يفتتحون قصائدهم بذكر الأماكن ، وهذا هو ما لم يتنبه إليه النقاد الذين سخروا منهم بل ولم يتنبه إليه الباحثون الذين سجلوا ظاهرة وجود هذه الأماكن بكثرة في تلك الافتتاحيات . ان هذه الأماكن ترد في تلك الأشعار مرتبة ترتيباً جغرافياً دقيقاً يصعب معه ارتكاب الخطأ في تحديد مكان ما إذا ورد في شيء من تلك الأشعار وذلك بالطبع إذا عرفنا عصر الشاعر الذى قال ذلك الشعر وتأكدنا من صحة نسبته إليه ، وفهمنا مضمون قصيدته أو مطلعها على الأقل .

ولكن ينبغي أن نكون على حذر دائم لما قد يوقعنا فيه اعتمادنا على الشعر وحده في ما يختص بالأماكن الجغرافية من أخطاء لا في قراءة اسم المكان فقط بل وفي تحديده ، إذ يحدث أن يرد اسم مكان غير مشهور إلى جانب مكان آخر ذي شهرة فنحكم قاطعين بأن المكان ذي الشهرة هو المقصود بعينه في ذلك الشعر ، مع أن التعمق فى القراءة والبحث يهدينا فى أحيان كثيرة إلى أن المقصود هو مكان آخر لا صلة له بهذا . ونشأ هذا الخطأ من أن بعض القبائل إذا انتقلت من منطقة إلى منطقة فانها تسمي بعض

المواقع في المنطقة الجديدة بأسماء مواقع عرفتها في المنطقة القديمة . وينشأ هذا الخطأ كذلك من أن بعض المواقع يسمي باسم نوع من الشجر أو النبات أو باسم لون من الألوان أو الأحجام أو الجهات أو حتى باسم حوادث تاريخية وكل ذلك يمكن أن يوجد في أكثر من منطقة بل أنه يوجد في شمالي الحجاز وحده أكثر من مكان بمسمى واحد مثل الرحبة والسقيا والمعدن ورابغ وأيلة والشجرة ونخلة وغير ذلك كثير . ولنضرب بالبكري مثلا على الخطأ الذى يقع فيه الباحث إذا أصدر حكمه لأول وهلة دون تثبت . فعندما تحدث البكري عن السّرير قال إنه « واد من أودية خيبر قد تقدم ذكره في رسمها وهو من الحار على سبعة أميال ، قال كثير :

ديار باعناء السرير كأنما عليهن في أكناف غيقة شيد

وغيقة لبني غفار بن مليل بين مكة والمدينة (١) ، فالبكري في هذا المثال يعرف أن أحد أودية خيبر يسمي السرير فجزم بأنه المقصود في بيت كثير ولكن لأن غيقة مجاورة للحار فقد حدد المسافة بين السرير والحار بسبعة أميال ولم يعن نفسه معرفة ما إذا كانت أودية خيبر يمكن أن تصب في غيقة . والسرير الذى يقصده كثير مجاور لغيقة وهو غير السرير الواقع بجوار خيبر . وبالمناسبة فان غيقة ليست بين مكة والمدينة إذ أنها تقع قرب الحار على ساحل البحر الأحمر ومياه أودية خيبر لا تصب في غيقة .

كذلك ينبغي أن نكون متنبهين دائماً لتحديد شراح الشعر القدامى للأماكن الجغرافية الواقعة فى الشعر العربي ، ولنضرب بياقوت مثلا على الأخطاء التي تنشأ من عدم فهم هذه التحديدات ، حيث ظن في تحديده للسرير نفسها أن هناك سريراً ثالثة ، إذ يقول : « السرير واد بالحجاز قال نصر السّرير قريب من المدينة قال كثير :

حين وركن درة بيمين وسرير البضيع ذات الشمال

---

(١) البكرى : معجم ما استعجم ، ص ٧٣٧

والسرير أيضاً موضع بقرب الجار . . . وعندي أن كثيراً أراد بقوله هذا السرير » (١) ، والحقيقة أن نصراً كان يعني السرير الذى ذكره كثير كذلك . وأحياناً يحدد المؤلف الموقع في بلاد الشاعر انطلاقاً من أن ذلك الشاعر لا يذكر من الأماكن إلا ما هو في بلاده مثل ما فعل البكري حيث ذكر أن وادى الدوم في بلاد ضمرة لأنه ورد في شعر كثير إذ يقول :

بآية ما جئناك يوماً عشية بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فالبكري يظن أن كثيراً يخاطب عزة وكلاهما من ضمرة ، ولكن الحقيقة أن كثيراً ينقل رسالة من جميل إلى بثينة وكلاهما من عذرة وبلادهما تقع في الكورة العربية ، أما بلاد ضمرة فهى حول الجحفة ورابغ والابواء وودان . » (٢) .

لقد كان علماء العربية في القرن الثانى الهجرى حريصين جداً على معرفة الأماكن التي وردت في الشعر العربي القديم . لأن ذلك يساعدهم كثيراً على فهم النص ومعرفة ما حوله ، وهذا هو الذى دفعهم إلى زيارة جزيرة العرب والاقامة فيها مدة طويلة يبحثون عن الأشعار وينقبون عن القصص لكي يقدموا إلى تلاميذهم والمستمعين إليهم عملا أدبياً متكاملا وكانت الدوائر الأدبية تقيم وزناً كبيراً للعلماء الذين يذهبون إلى جزيرة العرب لغرض البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، ولذلك اعتبر أبو عمرو بن العلاء حجة في حفظ الشعر العربي القديم ومعرفة أغراض الشعراء منه لأنه من أكثر العلماء العرب تنقلا في جزيرة العرب يومذاك . وبموت أبي عمرو بن العلاء حمل اللواء بعده الأصمعى الذى ألف أول كتاب جغرافي عن جزيرة العرب نجد بعض اقتباسات منه في كتاب « جزيرة العرب » للغدة الاصفهاني ، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة بين العرب في وقت الأصمعى وبعده وهو في الغالب شرح للأشعار التي تهتم بالأماكن الجغرافية .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ص ٣

(٢) البكرى : معجم ما استعجم ، ص ٥٦٣ .

ولما قلل العلماء العرب من تنقلاتهم في جزيرة العرب صار الأعراب العالمون باللغة والشعر يذهبون ببضاعتهم إلى الكوفة والبصرة وبغداد (١) . بل لقد وصلوا إلى نيسابور (٢) حيث صاروا يعقدون مجالس أدبية يلقون فيها نوادرهم ويشرحون للمستمعين معاني الشعر ويحددون الأماكن الجغرافية الواردة فيه .

ونذكر من هؤلاء الأعراب واحداً من ألمعهم هو عرام بن الأصبغ غادر موطنه — بلاد بني سليم في الحجاز — لظروف قد تكون سياسية في أول القرن الثالث الاسلامي ولكنه لم يتخل عن حبه لوطنه وحماسه لكل ما فيه من أشعار وبطولات فأملى في العراق رسالته عن جبال الحجاز وتهامة وأودية وموارد المياه فيهما ، ولسوء الحظ فان هذه الرسالة الفريدة في نوعها وصلت إلينا مشوهة يكثر فيها الخلط بسبب تداخل صفحاتها وضياع بعضها وقد تطرق إليها الخلل منذ عهد بعيد ، وبالتأكد قبل منتصف القرن الخامس الاسلامي ، ولم يتنبه إلى ذلك علماء مختصون وعظماء مثل البكري وياقوت الذين اعتمدوا على هذه الرسالة اعتماداً كلياً ولكن في صورتها المشوهة ، ومع هذا فاننا بدون شك مدينون لهما ولغيرهما ممن حافظ على هذه الرسالة لأن عراماً كان شديد الحماس لبلاده وقد اعتمد عليه علماء العراق والمشرق في تفسير أشعار بني سليم ولا سيما الخنساء حيث نجد اسم عرام يتردد في أماكن كثيرة من شرح ديوانها وأكثر ما يكون ذلك عند الحديث عن المواقع الجغرافية التي ترد في أشعارها (٣) .

في البداية كان الشاعر العربي شديد المحافظة على الهدف الذى من أجله توضع الأسماء الجغرافية في مقدمة قصائده ، وكان يتقيد في كل حين بأن تكون قصيدته سجلا طبوغرافياً للمواقع التي يذكرها . لقد كان من النادر أن تجد قصيدة تحوى اسم موقع جغرافي لا يمت بصلة إلى الموقع الذي يسبقه

---

(١) انظر للمزيد من التفاصيل الفهرست لابن النديم ، ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) الصفدى : نكت الهميان ، ص ٩٧ .

(٣) انظر مثلا فى ديوان الخنساء الصفحات ٤ ، ١٧ ، ٩٧ ، ١٠٣

في القصيدة نفسها ، وإذا رأينا شيئاً من ذلك فلا ينبغي أن نتهم الشاعر ، إذ ربما تكون الرواية خاطئة أو يكون أحد المكانين قد عفى عليه النسيان ، نعم قد نرى شاعرا مجيداً يتحدث عن مكان في الشرق وآخر في الغرب ولكنه يفعل ذلك عن عمد ليوضح لنا بعد المسافة بينه وبين المكان الذي يحن إليه أو يبين المشابهة بين مكانين أو التناقض بينهما . وكان هذا الالتزام بارزاً في اشعار الجزيرة العربية في القرون الثلاثة الأولى حيث كان الجمهور يفهم الصلة بين هذه الأماكن فيزيد الشاعر حماساً وقبولا . بل إن بعض المستمعين في الأمصار الإسلامية كانوا يسخرون من الشاعر الحضري إذا سمعوه يجمع بين اسمين لا صلة جغرافية بينهما . والمثال التالى يوضح لنا حرصهم على أن تكون القصيدة سجلا طبوغرافيا صادقاً للجزيرة العربية ، يقول ياقوت : « حدث عمر بن كركرة قال أنشدني ابن مناذر قصيدته الداليّة فلما بلغ إلى قوله :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخـــور من هبود

قلت له : أى شيء هبود ؟ فقال جبل ، فقلت سخنت عينك ، هبود عين باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء ، ولقد . . . . . فيه مرات . فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشد ، فلما بلغ هذا البيت أنشد :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخـــور من عبود

فقلت له : عبود أي شيء هو ؟ قال جبل بالشام ، فلعلك يا ابن . . . فيه أيضاً ، فضحكت !!! » [1] .

فهذا ابن مناذر شاعر لم يلق بالا إلى الصلة بين رضوى وهبود ، إذ كان همه منصرفاً إلى رثاء عبد المجيد ، ويبحث عن القافية لا غير ، فلم يقبل منه ابن كركرة هذا الاستهتار ، ونبهه إلى الخطأ فيه ، لأنه جمع بين جبل رضوى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ٤-٩٥١ .

شمالي الحجاز وبين هبود وهو اسم ذكره الشاعر دون عناية ولا تفكير و انما لمجرد أن الوزن والقافية احتاجا إليه ، فوبخه ابن كركرة على هذا الخلط ، لأنه كان ينبغي عليه أن يذكر جبلا عظيماً مثل رضوى بدلا من هبود التي ظن بن مناذر أنها جبل ، ولكن ابن كركرة يعرف أنها عين في اليمامة ، وأدرك ابن مناذر خطأه هذا ، فعدل قصيدته وبحث عن اسم جبل لم يعرفه ابن كركرة ، ولكنه خشي لسان الشاعر فسكت .

والذي فعله ابن مناذر لا يعد استهتاراً بأهداف الشعر العربي القديم من إيراد الأسماء الجغرافية ، مرتبة واضحة الصلة ، إذا ما قيس بما فعله شاعر يظهر أنه من أهل الجزيرة ، ولكنه عن جهل أو عمد أورد أسماء لأماكن جغرافية بين مكة والمدينة ، فوضعها بترتيب عجيب لا منطق فيه ولا طبوغرافية ، اسمعه يقول :

أفقر السفح من أميـــة فالعنف فقول فيليـــل فـــبرام
فكدي فبطن مـــر فمسدوس قفار تسعي به الآرام
فخليص فبطن وجـــه عفاه كل مسحنفر له إرزام
فقد يد أقـــوي فعسفان فالجحفة أقوي جميعها فرجام
فكديد فالجي أقفر منها فالعرينات فالهضاب العظام
فالرويحاء فالرويثة فالعرج فابـــوا منعج فشـــمام
فالهضيبات فالسيالة فالسقيا بأرجائها تداعي الحمام (١)

فمثل هذا الخلط بين الأماكن الجغرافية دون ترتيب طبوغرافي ملتزم لا يصدر عن شاعر عربي قديم على الاطلاق . وهذا الشاعر الجاهل أو العابث يقلد قصيدة عبيد الله بن قيس الرقيات الرنانة في مصعب بن الزبير التي يقول فيها :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جـــبروت ولا بـــه كبرياء

(١) البكري : معجم ما استعجم ، ١٢٢٥ .

ومن أبياتها الطبوغرافية :

أقفرت بعد عبد شمس كداء ... فكديٌّ فالركن فالبطحاء
فمنى فالحمار من عبد شمس ... مقفرات فبلدح فحراء
فالخيام التي يعسفان أقوت ... من سليمى فالقاع فالا بواء (١)
موحشات إلى تعاهن فالسقيا ... قفار من عبد شمس خلاء

إن ترتيب الأسماء في قصيدة قيس ابن الرقيات ترتيب طبوغرافي ملتزم ، فهو بدأ بالجنوب واتجه شمالا ، بحيث لا يذكر أي موقع بعد آخر إلا إذا كان الأخير يقع شمال الأول .

ولكن تعالوا نستعرض الأسماء في القصيدة الأخرى ، فماذا نجد ؟ نجده ينتقل من تهامة إلى الحجاز ثم يعود فجأة إلى تهامة لكي يعود مرة أخرى إلى الحجاز . . ليس هذا فحسب ، بل إنه يبدأ من الجنوب ويحاول الاتجاه شمالا ولكنه في أحيان كثيرة يتخبط بين الشمال والجنوب دون ضابط بل لقد شارف المدينة شمالا وجاوز الطائف جنوباً في البيت الأول وهو ما يزال في مكة ، واستمر في كل بيت تقريباً ينطح بقرونه حيطان الشمال ثم يعود إلى حيطان الجنوب ويغير على الشرق والغرب غارات عشواء لا منطق فيها . ولم يتنبه البكري إلى هذا العبث لأن همه كان منصرفاً إلى مجرد ورود الإسم الجغرافي خلال هذه القصيدة . وهذا شغله حتى عن الالتفات إلى أن الشاعر العربي الأصيل لا يدلل على خراب المكان بتداعي الحمام في أرجاء الأطلال ، وإنما يعمد إلى ذكر طائر ذي نعيق مشئوم عند العرب كلهم وهو البوم ، أما الحمام فهو يثير الصبابة والشوق في نفس الشاعر لأنه ينوح على أحبته كما ينوح الشاعر . إنه لمن المضحك جداً أن يأتي مؤلف في الأسماء الجغرافية في جزيرة العرب فيضع مثل هذه القطعة المتهافتة من الشعر مرجعاً من مراجعه ، وهذا كان يحصل في القديم إذا كان المؤلف

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ، ص ٨٩، ٩٠ .

يكتب عن جزيرة العرب وهو بعيد عنها ولم يسبق له التعرف عليها ولكن واجبنا اليوم أن نقرأ الشعر الجاهلي ، وكل شعر عربي يضم أسماء الأماكن في ضوء معرفتنا لجزيرة العرب ، معتمدين على الخرائط الدقيقة وعلى البحث الميداني .

وقل أن نرى شاعراً قديماً يخصص قصيدة بأكملها للأسماء الجغرافيـة ، ولكن في نهاية القرن الأول الهجري بدأت تظهر في الأشعار العربية ظاهرة تعداد المحطات على طريق الحجاج بترتيبها الطبوغرافي ، وقد استمر هذا النوع من الأرجاز والأشعار في ازدياد ، بحيث أصبح الآن يؤلف مجلداً ضخماً لو جمع ، وكان السباقون إليه شعراء العراق ، حيث بدأت قوافل الحج تسير من هناك باحتفال ظاهر أيام الحجاج ، وبلغ الاحتفال مداه أيام زبيدة ، وقد جمع وكيع القاضي في كتاب الطريق[1] وابن الحائك الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب[2] باكورة هذه الأراجيز والأشعار .

على أن الهمداني أورد في كتابه هذا قصة عن قحط شمل بلاد العرب من نجد وحجاز وتهامة ، فاجتمعوا يستغيثون ، وقام من كل منطقة شاعر يبتهل إلى الله بتعداد أبرز الأماكن الجغرافية التي أضربها الجفاف في منطقته على رويٍّ واحد وجاءت هذه الأسماء مرتبة ترتيباً طبوغرافياً دقيقاً ، لا يتقدم فيه مكان عن موقعه ولا يتأخر ، وظاهر في هذه القصة الافتعال ، إذ يبعد أن تكون هذه القصائد الثلاث صدرت عن ثلاثة شعراء ، وأقرب الاحتمالات أن قائلها شاعر واحد ، نظمها في مكتبة غنية بالمراجع ، ولكنه أراد أن يحدد نجدا وتهامة والحجاز شعراً وقد فعل فأجاد ، وانى مورد هذه القصة برمتها :

قال أبو الحسن الخزاعي وكان يسكن بأرض نجد العليا وتوطن عروضها وخالط أهل السراة وسمع من الجميع صدراً من الأخبار القديمة قالوا :

---

(١) انظر كتاب المناسك المنسوب للحربي ، ص ٢٣٤ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ٢١٤ – ٢١٩ .

أصاب[1] أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء وسموها سنة الجمود لجمود الرياح فيها وانقطاع الأمطار وذهاب الماشية وهزالها وثباث الغلاء وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية والآبار ، ويسمى مثل هذه السنة الحطمة والأزمة واللزبة والمجاعة والرّمد وكحل والقصر والشدة والحاجر ، فأقبل الناس بالضّجة والعواء والتضرّع إلى بيت الله الحرام من أرض نجد وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسروات يدعون الله عز وجل بالفرج لهم ويستسقون وكان فى الوفد المستسقين من أهل نجد شاعر يقال له الحزازة العامري أنشد شعراً يذكر آلاء الله عز وجل فيه ورحمته التى كانت تشملهم وتشمل أرضهم بلداً بلداً ووادياً وادياً وجبلا جبلا فقال :

ربّ ندعوك فاستجب فبك الدّهر ... عن الخلق تكشف الغماء
انّ أيوّب حين ناداك لم يحـ ... ـجب لأيوّب ربّ عنك النداء
مسّه الضرّ فاستجبت له الدّعوة لمّا به أضرّ البلاء
ان هذا الجمود للسّنة الشهباء والمصمئلة الدهياء
فأغثنا إلاهنا ولك الحمد ... بغيث تجرّه الأنواء
ينعش النّاس في السوارح والو ... حش وتحي الجديدة الغبراء
فلكم ثم كم رأيت غيوثا ... لك تقتادها الرياح الرّخاء
ستي الشحر فالمزون فما حا ... زت ذوات القطيف فالاحساء
فالتمامات فالكلاب فبحرين ... فحزوى تميم فالوعساء
فالنمارات فاللوى من أثال ... فالعقيقان عليا فالحواء
فكتاب الدبيل فالحمرة العليـ ... ـيا فقهر الوحاف والقرفاء
فعلى مأرب فنجران فالحو ... ف فصنعاء صبّة عزلاء
فقرى الحنو فالمناضح منها ... فسروم الكروم فالطرفاء
رويت فهى للنزول من الغيـ ... ـث عليها دجنّة خضراء
ألقيت للسحاب من أرض تثليث فأرض الهجيرة الأعباء
فالشعيبات من يبنبم أخيين فأجزاعهنّ فالميثاء

(١) وفى الخطبة : أصاب الناس .

أعشب الكور كور عامر تيم ... حيث ... هرجاب فالملاذاء
واتلأبت سيول بيشة في أعرا ... ضها فهي لّجة طخياء
وكأن النخيل من بطن ترج ... وهي حوم حنادس ظلماء
وبحوران للأوارك والصّـ ... ـين وفي خصب عشّر ضوضاء
رويت قيعتا تبالة غيثا ... فذوات الآصاد فالعبلاء
فقريحاؤها فرنية قد سا ... ل فوادى كلاخها فالكراء
فعكاظ فذو المجاز مع الحر ... ة فالأبرقان فالجرداء
فخريداؤها مع الحضن المعـ ... ـرض فالقرن تلك والبوباء
وعلى ذات عرق فالسّيّ فالرّ ... كبة منها الملّثة الوطفاء
رويت حرّتا سليم وسالت ... شعب المعدنين فالأحفاء
فضرياتها فبرقة ثهلا ... ن إلى حضنها استمال الرّعاء
سال في حاجر فأودية التّو ... ز سيول يضيق عنها الفضاء
فسميرا لها عباب وعلّت ... مثلها الثعلبية الورقاء
فالحماء من قرن نجد فرمّا ... ن فرمل الهبير فالدّهناء
فرّبى يحمد فاجا وسلمي ... تغتبي في نصيبهنّ الظبّاء
شاكلت فيدها زبالة خصبا ... وكذاك الشّقوق فالقرعاء
وسما الغيث حيث برقة شمّا ... ء وحيث اللذيد فالخلصاء
فحياة فالصفاح فاعلي ... ذي فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا وأودية الشّر ... بب فالشعبتان فالأبلاء

هذان البيتان الأخيران مضّمنان وهما للحارث بن حلّزة وهذه أسماء بلاد العرب والمناهل النجدية المعروفة المشهورة والمذكورة التي تحتلّها العرب من أهل نجد وتقيم على مياهها ومراعيها بالظعن والمواشي ذكرها الحزازة على الولاء فأحسن احصاءها وأحكم نظامها . . قالوا فسمع الوفد

المستسقون من أهل تهامة وسرواتها هذا الشعر ، وكان فيهم شاعر يقال له أبو الحياش الحجري من الحجر بن الهنو فسألوه أن يقول شعرا فى مثل ما قال الحزازة فأنشأ أبو الحياش يقول :

ربّ ما خاب من دعاك ولا يحـ ... جب ياذا الجلال عنك الدعاء
لم يخب للنبّى يعقوب ياذا الـ ... ـعرش فيما دعا لديك الرّجاء
ربّ أنت الذي رددت عليـ ... ـه بصرا كان قد محـاه البكاء
وابنه يوسفا جمعت عليـ ... ـه بعد أن مّس يوسف الضّراء
وحشة منه في الغيـابة للجـ ... ـب وفى السجن حين طال الثواء
رحمة منك هب لنا إننا نحـ ... ـن لك الله أعبـد وإمـاء
ان هاتا لأزمة عمّت النـّا ... س ومسّتهم لهـا البأسـاء
ولكم نـّم كم سقيت لنا الأر ... ض غيوثا أتت بهـا الأنواء
سقيت حضرموت منها مع ... الأحقاف رّيا وعلّت الأسعاء
طبّقت بالسّيول أبين حتى ... لحجهـا وهي والسماء سواء
تلكم أحور وتلك الدثينـا ... ت مع السرو جنـّة خضراء
ولذبحـان فالمعـافر فالسا ... حل من غورها ضباب عماء
فقرى شرعب مع الجندالعليـ ... يا فما حازت الزيـادى رواء
فالسّحولان فالمذيخرة الغيـ ... ثاء علّت فحبسها القوراء
وأربّت تصـوب فوق زبيد ... مثل ما صب في الحياض الدلاء
ولجبلان سال في رمع الطمـ ... م وجادت على ذؤال السماء
وعلى سردد مسف من الجو ... د لسقياه أحيت الكـدراء
وللعسانها فـأرض طمام ... فلعيـان ديمـة هطـلاء
سقيَ الطود من حراز فمن هو ... زن غيثا لهيـدتيه الطّخـاء
فقرى مور فالقرية فالشّر ... جـة فالواديـان فالسلعـاء
وادلهمّت على قري حرض يو ... مين بالسّحّ مـزنة سـوداء
سقيت برهة قرى خلب منـ ... ـها فجـازان تلك فالصّبياء
فقرى بيش فالدويمات فالبر ... ك فحلّيٌ ممطـورة غينـاء

ومن الطود فالزنامات خضر ... رويت فالتنومة الزهراء
فقري الحجر جهوة الزّرع والضر ... ع فأشجانها الحنا فالحباء
فجبال السّراة فالفرع الوس ... طى حكين الحنان فالحيفاء
فالشّذاوان من سقامة فالمر ... حلة المرجحنة النجلاء
فقري مغسل فأودية النه ... بين فالوادي ذي النجول العذاء
فالذري من سراة غامد فالنّمـ ... ـر فأجبال دوسها طخياء
فقرى الدارتين أرض عليّ ... سهلها والجبال منها الماء
فالشبابات فالمعادن فالطّا ... ئف فالويل أرضهن سماء
فقنونا فأرض دوقة فالليـ ... ـث فعشم السّرين فالسرّاء

هذه أسماء بلاد العرب والمناهل والأودية التهامية والسروية المعروفة المشهورة المذكورة التي تحتلها العرب من أهل تهامة وسرواتها باديها وحاضرها ذكرها أبو الحيّاش الحجري فأحسن إحصاءها وجود رصفها في الشعر ، قالوا وكان في المستسقين من أهل الحجاز شاعر يعرف بالعجلاني فقال له أصحابه الحجازيون قل لنا شعراً نعارض به هذين الشاعرين واذكر لنا في قولك شبه ما ذكرا فأنشأ يقول :

رب إياك نحن ندعو ونرجـو ... ولنا أنت ذا الجلال الرجاء
فاستجب ربنا فانك لا يحسـ ... ـجب للسائلين عنك الدعاء
اسقنا الغيث كي يفارقنا المحـ ... ـل له والسّنيهة[1] اللأواء
رب ان الحجاز مذ كانت الأر ... ض بلاد تدوم فيها الغلاء
غير أن الحجاز لم يك يخطيـ ... ـها بمنهلة الغيوث السّماء
ينعش المرمل المعيل لدى الخصـ ... ـب وتحيي البهيمة العجماء

(١) في الخطبة : والسنية .

رب إن الحجاز أجحفها الأز ... ل فقد حل في ذويها الجلاء
رب ان السماء تضحى وتسمي ... فوقهـا وهي وردة حمـراء
جمدت ريحها فلم ير فيهـا ... منذ حول سـحابة هطلاء
ولكم قد رأيت يطمو على السّهـ ... ـل مع الوعر فى الحجاز الماء
من غيوث توابـع لغيـوث ... د الحات درت بهـا الأنواء
عل منها جبـال مكـة حتي ... هي مثـل الرياض خضر رواء
شاكل الزّيمة المغمس والنخـ ... ـلة فالموقفـان فالبطحاء
فمداريجها يلملـم فالعمـ ... ـق فتلك السواحل اليهماء
فالفقيان من خذارق فالفر ... ش فهاتلك جـدة القوراء
فجديدات فالحوابط فالـبر ... قـة تلك الغميمة السخماء[1]
فالكـراعان فالغمـيم مغيثـا ... ت فعسفان تلك فالبرقـاء
طبق الضاحيات من أمج الريُّ ... وأحيـت قديدها الفيحـاء
فالـكليات فالستارة فالحجـ ... ـفة فالقـدس عل فالأبواء
فالضواحى من بطن ودان فا ... لجار فبدر سقين فالصـفراء
رويت بالسيول سقيا وعلت ... مع تلك المغيثـة الروحـاء
سقيت ينبع فسـاحتها تلـ ... ـك فتلك الضياع فالشعثاء
واتلأبت تصب من فوق رضوي ... فبـواط دلـوية وطفـاء
رويت من بعاعها العيص فالر ... س سيولا فالمـروة البيضاء
وأربّت تصب فى الحجر والو ... د كما صب فى الحياض الدلاء
رويت خير لهـا فيـديع ... ديمنـة كان نؤهـا الجوزاء
أعشب القاع فالحدائق من يثـ ... ـرب للغيث فالضواحي الظّماء

---

(١) فى الخطبة : السحماء .

سقي اللابتان فالحـــرّة الدنـــ يا فوادي العقيق فالحماء (١)
فالخليعـــات فالسّيالة فالفـــر ع فتلك السوائـــر الطخياء

هذه أسماء المنازل والمناهل والأودية والقري الحجازية .

نختتم هذه العجالة باستخلاص بعض النتائج ، وأهمها أن الشعر العربى القديم هو أوثق المصادر لدينا لتحديد الأماكن الجغرافية وضبط اللفظ بها قبل أن يبدأ الجغرافيون العرب بتدوين معلوماتهم في كتب تقرأ عليهم ويجيزون نقلها عنهم بعد الاطمئنان إلى صحة ما كتبه تلاميذهم . كذلك يهمنا أن نؤكد أن الشاعر العربي القديم كان يهدف من ايراد الأسماء الجغرافية في مطلع قصيدته إلى أن يحدد مواقعها ، ليتناقل ذلك شباب القبيلة ، فلا ينسوا مواطن أسلافهم ، ولكي يعرفوا طريقهم إليها عندما تضطرهم حياة الصحراء إلى العودة إليها . ولم يكن الشاعر العربي القديم ليورد الأسماء الجغرافية إلا مرتبة ترتيباً طبوغرافياً يعتمد عليه في رسم الخرائط التاريخية لجزيرة العرب .

ولقد رأينا في هذة العجالة أيضاً كيف أن الشعراء المتأخرين والبعيدين عن جزيرة العرب حاولوا تقليد الشعراء الجاهليين في رصف أسماء الأماكن في افتتاحيات قصائدهم ، ولكنهم خلطوا هذه الأسماء وساقوها في صورة تدعو إلى السخرية ، لأنهم لم يكونوا ليدركوا الهدف الأساسى من التزام الشعراء القدامى بذكر تلك الأسماء في افتتاحيات قصائدهم .

كذلك أشرنا إلى خطورة الاعتماد على الشعر وحده في تحديد موقع الاسم الجغرافي الذى يذكره الشاعر ، حيث أن ذلك يورد الباحث في مزالق لا يتنبه إليها وعلينا في هذا العصر أن نجمع بين قراءة هذا الشعر وبين البحث

---

(١) لعلها : الجماء .

الميداني لأن كثيراً من الأسماء الجغرافية تتعدد في جزيرة العرب ، فلا يكفي مجرد ورود الاسم في شعر قديم ، ومعرفتنا بمكان يطلق عليه هذا الاسم ، لكي نجزم بأن الشاعر قصد هذا المكان بعينه ، إذ أن القبيلة العربية إذا هاجرت من موطنها ، تطلق أسماء من هذا الموطن على أماكن في موطنها الجديد ، إضافة إلى أن كثيراً من الأسماء الجغرافية مشتقة من لون أو شجر أو نبات أو جهة أو حجم أو منهل ، وهذه أشياء عامة في كل جزيرة العرب .

ان من حق أسلافنا العظماء ، الذين حاولوا تسجيل المعاجم الجغرافية معتمدين على الشعر العربي القديم وشروحاته ، مثل البكري وياقوت ، أن يأتي منا في هذا العصر ، من يدرس بدقة وإمعان ما كتبوه عن أسماء الأماكن في جزيرة العرب وأن ينتقي تلك الكتابات من الأخطاء التي ارتكبوها في تحديد تلك الأماكن . إن واجبنا أن نرد لهم الدين ، ويا خجلتاه إذا جاء البكري وياقوت وأمثالهما بعملهم العظيم الذى قاموا به في ذلك العصر ، وأتينا نحن مفلسين ونحن نعيش في عصر التصوير الجوى والفهارس المتقنة والمخيمات المترفة . ولقد حاول المحدثون من علماء الجزيرة العربية أن يؤدوا هذا الواجب ، مثل محمد بن بليهد رحمه الله وعبد القدوس الأنصاري أمتع الله به . ولكن أهم هؤلاء جميعاً وأعظمهم منة على أمتنا العربية عامة وعلى أبناء الجزيرة خاصة هو حمد الجاسر الذي حمل الراية ولا يزال منذ خمسين عاماً ، وهو بحمد الله يتجدد شباباً ونشاطاً ، وكلما تعرض لأزمة أو عارضته مصيبة خرج منهـــا قوياً مؤمناً صابراً متحدياً ، فعسي أن يعيد إلينا مجلة العرب ، وعسي أن تستطيع جامعاتنا الاستفادة من بحوثه وأفكاره وتعليقاته ومخطوطاته ومصوراته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

دكتور—عبد الله بن ناصر الوهيبي
كلية الآداب
جامعـــة الرياض

بنو فهد : مؤرخو مكة المكرمة

توطئة :

ان من بحث في كتب الطبقات التي ترجمت للمكيين على وجه الخصوص فسيجد أن هناك أكثر من أربعة علماء يعرفون بابن فهد ، جميعهم ينتسب إلى عالم واحد هو محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن فهد الأصفوني الهاشمي ، بيد أني أراني ملزماً بأن اترجم لمن له دور نابه في كتابة تاريخ مكة المكرمة نفسها أو تاريخ رجالها فوجدتهم أربعة هم التقي بن فهد وولده النجم عمر بن فهد وولده العز عبد العزيز بن عمر بن فهد وولده جارالله محمد بن عبد العزيز بن فهد ثم اني تجاوزت عن أولهم محمد بن محمد بن عبدالله وعن عمر بن عبد العزيز بن النجم وعن عبد الرحمن ابن أبي بكر أحمد بن محمد بن فهد ، وهؤلاء الثلاثة ترجم لهم السخاوي [1] ولم يؤثر عنهم أنهم كتبوا تاريخاً في مكة نفسها أو في رجالها .

ومع أن آل فهد عرفوا بالمكيين فان قصة مكيتهم بدأت حينما جاور جدهم محمد بن محمد بن عبدالله والد التقي بن فهد في مكة المكرمة ، وذلك أن والد التقي كان يقطن بأصفون الحبلين من صعيد مصر بالقرب من اسنا « وقتاً لمآثر آل استحقاقها إليه وكان يتردد منها في بعض المواسم صحبة الحاج لمكة بحيث كان مولد ابنه التقي فيها إلى أن تحول منها في سنة خمس وتسعين (وسبعمائة) بمكة فدام فيها حتى مات »[2] .

---

(١) انظر تراجمهم حسب ترتيب أسمائهم في الضوء اللامع : ٩ - ٢٣١ ، ٦ ٩٤ ، ٤-٧٠-٧١ .

(٢) نفس المصدر : ٩-٢٣١ .

التقي بن فهـد .. ترجمتـه :

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله ابن فهد التقي أبو الفضل بن النجم أبي النصر بن الجمال أبي الخير ابن العلامة أقضي القضاة الجمال أبي عبدالله الهاشمي العلوي الأصفوني ثم المكي الشافعي ويعرف بابن فهد ، ولد سنة سبع وثمانين وسبعمائة [٣] ومن تسميته بالمكي قد يتبادر إلى الذهن أنه ولد بمكة والحقيقة أنه لم يولد بها وإنما انتقل به أبوه من أصفون الجبلين من صعيد مصر الأعلى . . حيث كانت ولادته ، إلى مكة المكرمة عن طريق القصير ، وهو في الثامنة من عمره ، وبدأ حياته العلمية بها فحفظ القرآن والعمدة والتنبيه وألفية النحو والحديث وبعض الحاوي وعرض على جماعة وسمع الأبناسي والجمال بن ظهيرة وحبب إليه هذا الشأن وأول ما طلبه سنة أربع وثمانمائة فسمع الكثير من شيوخ بلده والقادمين إليها وكتب عمن دب ودرج فكان ممن سمع عليه ابن صديق والزين المراغي وأبو اليمن الطبري وقريبه الزين والشمس العراقي والشريف عبد الرحمن الفاسي وأبو الطيب السمولى والشهاب بن مثبت والجمال عبدالله العرياني وأبو هريرة بن النقاش[٤] ، ومما يلفت النظر حقاً إهمال السيوطي للتقي فهو لم يترجم له ضمن الحفاظ الذين ترجم لهم في ذيله على طبقات الحفاظ رغم أن التقي كان أحد شيوخه إما مشافهة وإما بالقراءة عنه ، وقد أثار هذا الإهمال تساؤل حفيده جار الله بن فهد فقال في آخر كتاب

---

(٣) الضوء اللامع والجزء : ص ٢٨١ ، هدية العارفين : ٢-٢٠٥ ، ذيل طبقات الحفاظ : ٥ ، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ : ٣٨٢ .

(٤) الضوء اللامع : ٩-٢٨١ - ٢٨٢ .

السيوطي الذي كتبه (٥) : « وقد اقتصر شيخنا في تراجم أهلها وترك جماعة ممن انتظم فيها وبين ذلك شيخه جـــد والدى الحافظ الرحلة تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي في ذيله على طبقات السيد شمس الدين محمد بن على الحسيني المسماة (لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ) وقد ذيلت عليه بحمد الله تعالى بمؤلف سميته (تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ) وترجم فيه لجده — دون شك — وعدم حصولى على هذه المخطوطة أفقدني جزءا نافعاً من ترجمة التقي .

شيوخه ورحلاته العلمية:

بعد ما استوفي التقي ماعند علماء مكة المكرمة والقادمين إليها آزمع الرحلة للبلدان المجاورة كالمدينة واليمن فسمع بالمدينة من المراغي ورقية بنت مزروع وعبد الرحمن ابن على الزرندي ، ولقي باليمن الفيروز أبادي اللغوي والموفق علي بن أبي بكر الأزرق وآخرين فسمع منهم وكان دخوله لها مرتين ، وأكثر من الاستفادة من الشيوخ أهل مكة والقادمين إليها فلقى شيخ الإسلام ابن حجر يوم أن كان في مكة فأخذ عنه وانتفع به واشتغل في الفقه على ابن ظهيرة والشمس العراقي وابن سلامة والصلاح الأقفهسي فلما وصل إلى مرحلة الاجازة أجاز له خلق كثير منهم العراقي والهيثمي وعائشة بنت ابن عبد الهادي وأذن له الشمس العراقي وابن سلامة وابن الجزري فى التدريس والإفتاء (٦) ، وتميز في هذا ماجعل طلاب العلم يفدون إليه في مكة ، ويكفي أن يكون من بين تلامذته ثلاثة علماء اشتهروا في عصرهم شهرة لم يشاركهم فيها أحد ، وهم

---

(٥) ذيل طبقات الحفاظ : ٣٨٢ .

(٦) الضوء اللامع : ٩-٢٨٢ .

شيخ الأسلام زكريا الأنصاري أخذ عنه حين حج سنة خمسين وثمانمائة(٧) والعالم المؤرخ شمس الدين السخاوي(٨) والشمس محمد بن طولون مؤرخ الشام الذي ترجم له ضمن مشائخه الأربعين في كتابه(أربعين الأربعين)(٩) ، ويبدو أن بين ابن حجر والتقي مراسلات وأخبار ، وكان ابن حجر يعتمد عليه في كثير من وفيات المكيين واليمنيين ، أشار إلى ذلك ابن حجر في رسالته لابن التقي النجم عمر بن فهد التي قال فيها : « ويعرفني الولد بأحوال اليمن ومكة ووفيات من انتقل بالوفاة من نبهاء البلدين وتقييد ذلك حسب الطاقة ولا سيما منذ قطع الحافظ تقي الدين تقييداته « (١٠) .

مؤلفـــاته :

ترك التقي وراءهُ مؤلفات عديدة اتسمت بسمتين شأن أغلب مؤلفات آل فهد من أولاده وأحفاده : سمة الحديث وسمة التاريخ ، وإليك مؤلفاته فيما يأتي :

١ ــ لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ : وهو مطبوع مع كتاب ذيل تذكرة الحفاظ لشمس الدين الحسيني وذيل السيوطي ، ولعله الـــكتاب الوحيد الذى طبع حتي كتابة هذه الترجمة لآل فهد الأربعة وهو بخط حفيده جار الله الذى ذكر أنه كتبه في مجالس عديدة « بديء بها بالمسجد الحرام وختمت تجاه بيت الملك العلام (١١) .

٢ ــ تأميل نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب : وقد جمع فيه

---

(٧) النور السافر : ١٢٢ .
(٨) الضوء اللا مع : ٩-٢٨٢ .
(٩) ذيل طبقات الحفاظ : ٥
(١٠) الضوء اللا مع : ٦-١٢٩ .
(١١) ذيل طبقات الحفاظ : ٣٤٤ .

بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبي وابن حجر وغيرها وهو حسب وصف السخاوي « كتاب حافل لوضم إليه ماعند مغلطاى من الزوائد في مشايخ الراوي والآخذين عنه لكنه لم يصل إلى مكة » .

٣ – نخبة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء .

٤ – الجنة بأذكار الكتاب والسنة .

٥ – بهجة الدماثة بما ورد في فضل المساجد الثلاثة .

٦ – طرق الأصابة بما جاء فى الصحابة .

٧ – عمدة المنتحل وبلغة المرتحل : وهو عبارة عن زوائد الكمال الدميري في النسخة الأخيرة بحياة الحيوان على النسخة الأولى حسب وصف السخاوي له .

٨ – الإبانة بما ورد في الجعرانة .

٩ – اقتطاف النور بما ورد في جبل ثور .

١٠ – المطالب السنية .

١١ – النور الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع ، وقد ذكر السخاوي أن هذا الكتاب أحد عدة تصانيف في السيرة النبوية .

١٢ – العوالى بما لقريش من المفاخر والمعالى .

١٣ – بشرى الورى مما ورد في في حرا : انفرد بذكره السخاوي[١٢]

وما أظن إلا أن القارئ سيلحظ تداخل الحديث والتاريخ في مؤلفات التي فمعظمها يشتمل على هذين الفنين .

---

(١٢) هذه المؤلفات ذكرها كل من السخاوى فى الضوء اللامع : ٩-٥٢٨ والبغدادى فى هدية العارفين : ٢-٢٠٥ .

ثنـــاء العلمـــاء عليـــه :

أثنى عليه علماء العصر ثناء يليق به بيد أن السخاوي لفرط حبه له وإعجابه به وبيت آل فهد أكثر من إطرائه وبالغ في مدحه فقال : [١٣] « وعرف العالى والنازل وشارك في فنون الأثر وكتب بخطه الـــكثير وجمع المجاميع واختصر وانتقى وخرج لنفسه ولشيوخه فمن بعدهم وصار المعول في هـــذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبة عليه وعلى والده بلا منازع واجتمع له من الـــكتب مالم يكن في وقته عند غيره من أهل بلده وكثر انتفاع المقيمين والغرباء بها فكانت أعظم قربة خصوصا وقد حبسها بعد موته » ، ووصفه الحافظ ابن ناصر الدين بالشيخ العلامة الحافظ تقي الدين مفيد المحدثين[١٤] ، وممن أثني عليه حفيده جار الله الذى ذيل كتاب جده في ذيل طبقات الحفاظ بهذه النعوت[١٥] : « تأليف الإمام الحافظ المرحلة شيخ السنة ببلد الله الأمين أبي الفضل محمد تقي الدين ... « هذا ثناء بعض العلماء على علمه ، أما ثناؤهم على نهج حياته وسيرته فقد ذكر السخاوي طرفا من ذلك فقال [١٦] : « ولم ينفك عن المطالعة والـــكتابة والقيام بما يهمه من أمر عياله واهتمامه بكثرة الطواف والصوم وحرصه على الاستمرار على الشرب من ماء زمزم بحيث يحمله معه إذا خرج من مكة غالباً وبره بأولاده وأقاربه وذوي رحمه مع سلامة صدره وسرعة بادرته ورجوعه وكثرة تواضعه وبذل همته مع من يقصده واستهانته لنفسه وغير ذلك » .

---

(١٣) الضوء اللامع : ٩-٢٨٢ .

(١٤) الضوء اللامع : ٦-١٢٧ .

(١٥) ذيل تذكرة الحفاظ : ٣٤٤ .

(١٦) الضوء اللامع : ٩-٢٣٨ .

النجم عمر بن فهـد

ترجمتـه :

هو عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله ابن فهد القرشي الهاشمي المكي الشافعي المعروف كسلفه بابن فهد ولد ليلة الجمعة سلخ جمادي الآخرة سنة اثنتي عشرة وثمانمائة بمكة (١٧) ونشأ بها فحفظ القرآن وكتابا في الحديث ألفه له والده وشرع في قراءة فقه الأمام أحمد فحوله أبوه شافعيا وحفظ النصف الأول من المنهاج وبعض الألفية لابن مالك وبعض ألفية العراقي وسمع في صغره بمكة على مشائخها والقادمين إليها كالمراغي والجمال بن ظهيرة والولى العراقي وابن الجزري والنجم بن حجي والـكازروني وأجاز له جماعة من جهات شتى وأقبل على الطلب بنفسه وتخرج بوالده (١٨) ، وكان النجم غير قنوع بما أخذه في مـكة على مشائخها والقادمين إليها شأنه في ذلك شأن آل فهد كما ستري فعزم أن يضرب آباط الإبل لمشائخ عصره في الشام وفي مصر مركزي العلم آنذاك فبدأ برحلته إلى القاهرة آما شيخ عصره ابن حجر العسقلاني فـلازمه مدة أخذ منه ماشاء له الأخذ ثم واصل الرحلة شرقا صوب الشام وهناك سمع على علمائها ولازم الحافظ ابن ناصر ثم سافر إلى القدس والخليل وسمع من هناك » وطاف البلدان وطول الرحلة وتردد في جميع مدائن مصر والشام وغيرهما وكتب الـكثير بخطه وسمع العالى والنازل ومهر فى الحديث (١٩)

وبعد هذا الطلب الجاد والرحلات المتتابعة طارت شهرة النجم في الآفاق وضربت إليه آباط الإبل وطلب منه العلماء تخريج مشيخات لهم فهذا مثلا أحمد ابن عبد الله بن أحمـد السمهودي يلتمس من النجم تخريج مشيخة له

---

(١٧) البدر الطالع : ١-٥١٢ ، الضوء اللامع : ٦-١٢٦ — ١٣١ ، النور السافر : ٥٨ ، الأعلام : ٥-٢٢٥ ، هدية العارفين : ١ ٧٩٤ ، معجم المؤلفين : ٧-٣١٨ .

(١٨) البدر الطالع : ١ ٥١٢ — ٥١٣ .

(١٩) الضوء اللامع : ٤ -٢٨٤ .

ففعلها وعظمها في خطبتها ومات قبل إكمالها فتممها ولده العز عبد العزيز وبيضها له وحدث بما فيها (٢٠) ، وخرج أيضاً مشيخة لعبد القادر بن الشهاب الأنصاري (٢١) .

مؤلفـــاته :

صنف النجم في الحديث مصنفات وخرج لنفسه معجما وعمل مسلسلا وذيل على تاريخ مكة للتقي الفاسي وله كتاب المدلسين ثم المخضرمين ثم المغير اسمهم ثم المؤاخى بينهم ثم اللباب في الألقاب ثم بذل الجهد فيمن سمي بفهد وابن فهد ، والمشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة وله في كل بيت من بيوت مكة المشهورة بالعلم مصنف وله غير ذلك من المصنفات (٢٢) .

وأحسب أن الشوكاني حينما ذكر أن له ذيلا على تاريخ مكة دون تسميته كان يقصـــد كتـــاب النجم « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » ، وقـــد أثبت هـــذا المؤلف باسمه غيره ممن ترجم له كالبغدادي (٢٣) وصاحب الأعـــلام (٢٤) وقطب الدين الحنفي الذي نقل منه كثيراً (٢٥) كما ذكر ذلك ابنه العز ابن فهد في كتابه « بلوغ القرى » الذى جعله ذيلا على كتاب والده « إتحـــاف الورى » (٢٦) كما ذكره حاجي خليفة في سلسلة من كتب تواريخ مكة فقال : « ومنها إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم بن فهد » (٢٧) ، هـــذا وقـــد ذكر صاحب الأعـــلام ماذكره الشوكاني من أن له كتابا سماه « ذيل تاريخ مكة للتقى الفاسي » رغم أنه ذكر كتاب « إتحاف الورى » وجعله كتاباً آخر (٢٨) ، ويبدو لى أن

---

(٢٠) النور السافر : ٥٨

(٢١) الضوء اللا مع : ٤-٢٨٤ .

(٢٢) البدر الطالع : ١-٥١٣ ، الضوء اللا مع : ٦-١٢٨ .

(٢٣) هدية العارفين : ١-٧٩٤ .

(٢٤) ٥-٢٢٥ .

(٢٥) الأعلا م بأعلام بيت الله الحرام : ٣٥ .

(٢٦) الورقـــة : ١

(٢٧) كشف الظنون : ١-٣٠٦ (٢٨) ٥-٢٢٥ .

فالـــكتاب واحد يؤيد ذلك ماذكرة السخاوي من أن له ذيلا على تاريخ بلده للتقي الفاسي ، ولم يذكر كتابه « إتحاف الْوَرَى » [٢٩] بين مؤ لفاته والسخاوي كما سترى كان يعرف النجم صاحبه كما يعرف أبناءه .

وأضاف كل من السخاوي[٣٠] والبغدادي [٣١] وصـــاحب الأعـــلام [٣٢] أن له كتابا آخر هو « التبيين في تراجم الطريين » وزاد البغدادي ثلاثة كتب للنجم هي : « تذكرة الناسي بأولاد عبد الله الفاسي ، والسر الظهيري بأولاد أحمد النويري ، ونور العيون مما تفرق من الفنون [٣٣] وزاد السخاوي أن له كتابا ترجم فيه للقسطلا نيين أسماه « غاية الأماني في تراجم أولاد القسطلاني » وأن له غير ذلك مما أكثره في المسودات ويضيف السخـــاوي قوله : « ووقفت على أكثره كالمعجم عمن كتب عنه من الشعراء ورتب أسماء تراجم الحلية والمدارك وتاريخ الأطباء وتاريخ الحنابلة لابن رجب والحفاظ للذهبي والذيول عليه على حروف المعجم حيث يعين محل ذلك الاسم من الأجزاء والطبقة ليسهل كشفه ومراجعته من أهم شيء عمله وأفيده [٣٤] .

ويلحظ القارئ أن مؤلفات ابن فهد تصطبغ بصبغتين : صبغـــة المحدثين وصبغة المؤرخين وهذه شنشنة نعرفها من آل فهد الأربعة فهم أهل حديث وأهل تاريخ بل إن بعضهم وصل إلى درجة الحفاظ كما رأيت أو كما سترى [٣٥] .

---

(٢٩) الضوء اللا مع : ٦-١٢٨ .
(٣٠) الضوء اللا مع : ٦-١٢٨ .
(٣١) هدية العارفين : ١-٧٩٤ .
(٣٢) ٥-٢٢٥ .
(٣٣) هدية العارفين : ١-٧٩٤ .
(٣٤) الضوء اللا مع : ٦-١٢٩ .
(٣٥) شذرات الذهب : ٨-١٠٠ ، الكواكب السائرة : ٢-١٣١ ، الشمعة المضيئة ٢ ، الأعلام : ٣٥ ، ٣٧ ،

ثنـــاء المؤرخين عليـــه :

خص المؤرخون الذين أكثروا من الثناء على آل فهد الأربعة النجم من بينهم بما هو أهل له من الاحترام والمدح ، أثني عليه أهل زمـــانه من شيوخه وأقرانه وتبعهم في الثناء عليه من أتي من بعدهم وأخذ منـــه أو نقل عنه ، فمن بين مشايخه المقريزي – وكفاك شاهدا – الذي رأي فيـــه شغفاً صادقاً للعلم وجدا في طلبه وتحصيله مع ذكاء بالغ وشدة استحضار وقرنه مع والده التقي فقال في عقوده [٣٦] : « إنه قرأ عليه الإمتاع وحصل منه نسخة بخط ولده الفاضل عمر وهما محدثا الحجاز كثير الاستحضـــار وأرجو أن يبلغ ابنه عمر في هذا العلم مبلغاً عظيما لذكائه واعتنائه بالجمع والسماع والقراءة بارك الله له فيما آتاه » ، وذكره ابن أبي عذيبة في ترجمة والده فقال [٣٧] : « الحافظ نجم الدين من أعيـــان فضلاء تلك البلاد وإليه المرجع في هذا الفن وهـــو ممن كتب عنه واغتبط به حفاظ شيوخه كابن ناصر الدين » .

وممن أثني عليه قطب الدين الحنفي الذي استفاد من تاريخه واعتبره شيخ شيوخه في قوله [٣٨] : « قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهد الهاشمي العلوي – رحمهم الله تعالى » وما أحسن ماوصفه به ابن العماد حينما ترجم لابنه العز [٣٩] وتبعه الغزي [٤٠] فقالا : الحافظ عز الدين أبو الخير وأبو فارس عبد العزيز بن العمدة المؤرخ الرحال نجم الدين ، وقال عنه ابنه العز بعد وفاته [٤١] : « وأسف الناس وأهل البلد والغرباء على فقده وأثنوا عليه خيراً .

---

(٣٦) الضوء اللامع : اللامع : ٩-٢٨٣ .
(٣٧) الضوء اللامع : ٦-١٣٠ .
(٣٨) الأعلام بأعلام بيت الله الحرام : ٣٥
(٣٩) شذرات الذهب : ٨-١٠٠ .
(٤٠) الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ .
(٤١) بلوغ القرى ، ورقة : ١

هذا وما أثني عليه أحد مثلما أثني عليه السخاوي الذي قال في ترجمته(٤٢) « عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد صاحبنا بل مفيدنا شيخ الجماعة النجم والسراج أبو القسم .. » وقال عنه أيضا (٤٣) : « واستمد الجماعة قديماً وحديثاً من فوائده وعولوا على اعتماده » وبعد أن عدد السخاوي مؤلفات النجم قال عنها وعنه (٤٤) : كل ذلك مع صدق اللهجة ومزيد النصح وعظيم المروءة وعلو الهمة وطرح التكلف والعفة والشهامة والاعراض عن بني الدنيا وعدم مزاحمة الرؤساء ونحوهم وكونه في التواضع والفتوة وبذل نفسه وفوائده وكتبه وإكرامه للغرباء والوافدين بالمحل الأعلى ومحاسنة جمة ، وأثني عليه شيخه الحافظ ابن ناصر الدين الذى سافر معه من بلده إلى حلب وكان من جملة ماوصفه به (٤٥) : « السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ العالم الفاضل البارع المحدث المفيد الرحالة سليل العلماء الأماثل فخر الفضلاء الأفاضل جمال العترة الهاشمية تاج السلالة العلوية نجم الدين ضياء المحدثين » .

وكفي النجم فخرا ومدحة أن يعرض عليه ابن حجر الاقامة عنده ليرشده لبعض التصانيف قال السخاوي (٤٦) : « وكان رحمه الله كثير الميل إليه والإقبال عليه وأثني عليه كما نقلته في « الجواهر » ومما كتبه إليه : وقد كثر شوقنا إلى مجالستكم وتشوقنا إلى متجدداتكم ويسرنا مايبلغنا من إقبالكم على هذا الفن الذي باد جماله وحاد عن السنن المعتبر عماله :

وقد كنا نعدهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

فله الأمر إلى أن قال : ويعرفني الولد بأحوال اليمن ومكة ووفيات من انتقل بالوفاة من نبهاء البلدين وتقييد ذلك حسب الطاقة ولاسيما منذ

---

(٤٢) الضوء اللامع : ٦-١٢٦ .
(٤٣) نفس المصدر والجزء : ١٢٨ .
(٤٤) نفس المصدر والجزء : ١١٩ .
(٤٥) الضوء اللامع : ٦-١٢٧ .
(٤٦) نفس المصدر والجزء : ١٢٩ .

قطع الحافظ تقي الدين تقييداته وإن تيسر للولد الحضور في هذه السنة إلى القاهرة فليصحب معه جميع ماتجدد له من تخريج أو تجميع ليستفاد انتهى ، ووصفه بقوله مرة : « من أهل البيت النبوي نسبا وعلماً وأنه جـد واجتهد في تحصيل الأنواع الحديثية النبوية وأخري بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوي. وأخرى: بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوي وأخري أنه من أهل العلم بالحديث ورجاله ومن أهـل البيت النبوي إلى غير ذلك مما بينته في « الجواهر والدر » .

وفاتـه :

أجمـع المترجمون للنجم على أنه توفي سنة خمس وثمانين وثمانمائة وأربي عليهم ابنه العز في ترجمته المقتضبة له في وصف علته التي أودت بحياته فقال (٤٧) : « مات مؤلف الأصل الوالد نجم الدين عمر بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي تغمده الله برحمته بعد أن تعلل مدة بالبطن والاسهال ثم عرض له ثقل وانقطع عن البروز نحو عشرين يوماً ، وكان حاضر الذهن ويكثر من الشهادة حتي كان آخر كلامه عند خروج روحه فجهز في يومه وصلى عليه صديقه قاضي القضاة الشافعي برهان الدين بن ظهيرة القرشي عند باب الـكعبة بعد صلاة عصر يومه وحضر خلق كثير ودفن بالمعلاة على والده بجانب مصلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما » .

أثره فيما أتى بعـده من المؤرخين :

أكثر المؤرخون من النقل من النجم بن فهد كثرة يلاحظها المتتبع لكتبهم ، فمن بين من نقل عنه السخاوي في كتابه « الضوء اللامع » وأكثر النقل ، ومن أمعن النظر في هـذا الـكتاب وجد أن مصنفه السخاوي

---

(٤٧) بلوغ القرى ، ورقة : ١ .

يستند كثيراً إلى أربعة مؤرخين : شيخه ابن حجر في كتابه « إنباء الغمر » والمقريزي في « عقوده » وابن فهد والفاسي ، ويرجع إلى الأخيرين في تراجمه للمكيين خاصة ، واستناده إلى ابن فهد أكثر من استناده إلى الفاسي (٤٨) ، وممن نقل عنه شيخ الاسلام ابن حجر فان النجم لما قدم القاهرة صحب معه بعض تقييداته ووفيات المكيين وهي الجزء الأخير من كتابه « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » فعرضها على ابن حجر فانتقى منها ونقل عنها(٤٩) كما روي عنه التقي المقريزي في كراسة له في فضل البيت(٥٠) .

ونقل عنه أيضاً قطب الدين الحنفي وابن ظهيرة القرشي وغيرهما ، نقل ابن ظهيرة عنه نصاً طريفاً في مسجد بسوق الليل ، يقول (٥١) : « ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله ان هـذا المحل مسجد بسوق اليل بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقال له المختبأ يزوره الناس كثيراً في شهر ربيع الأول ، معبد عثمان بن عفان وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الـكفار » ، أما القطب فقد أكثر من النقل عنه ، وإليك بعض هـذه النقول : « قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقي محمد بن فهـد الهاشمي العلوي رحمهم الله تعالى في كتاب « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » في حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام إبراهيم من موضعه وذهب به حتى وجـد بأسفل مكة وأعيـد مـكانه الذي كان فيه لمـا عفـاه السيل فأتي به وربط يلصق في الـكعبة في وجهها» (٥٢) ، وتكاد تكون بقية فقول

---

(٤٨) انظر الضوء اللامع : ٧-١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، جـ ٨ ص : ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ .

(٤٩) انظر الضوء اللامع : ٦-١٢٩ (٥٠) نفس المصدر والجزء : ١٣٠ .

(٥١) الجامع اللطيف : ٢٠٥ .

(٥٢) الاعلام بأعلام بيت الله الحرام : ٥٣ .

القطب عن النجم فيما يخص عمارة المسجد الحرام وزياداته في مراحل مختلفة، فنقل عنه أن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه اعتمر من المدينة سنة ست وعشرين فأتي مكة ليلا فطاف وسعي وأمر بتوسيع المسجد الحرام [٥٣] واستشهد بـــكلام النجم مرتين في حج المنصور الخليفة العباسي [٥٤] كمانقل عنه خبر حج المهدي وقصة زيادته للمسجد الحرام وهي الزيادة الثانية [٥٥] ، ونقل كذلك أخبار زيادة المهدي الثانية للمسجد الحرام [٥٦] وزيادة قاضي مكة محمد بن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين وباب جمع وهي السوح الذي كان بين داري زبيدة[٥٧] ، ومن أهم مانقل القطب عن النجم بن فهد هذا النص الذى دارت أحداثه في سنة ست وعشرين وثمانمائة[٥٨] « قال النجم عمر بن فهد رحمه الله : وفيها عمر الأمير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة إلى القاضي أبي السعود بن ظهيرة إلى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الأساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الأول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجوار المسجد وجود من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وباب على وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الأوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو باب واحـــد وأحـــد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورسم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الأمير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى » .

---

(٥٣) نفس المصدر : ٣٧ .
(٥٤) نفس المصدر : ٤٢ .
(٥٥) نفس المصدر : ٤٦ .
(٥٦) نفس المصدر : ٤٩ .
(٥٧) نفس المصدر : ٧٤ .
(٥٨) نفس المصدر : ٩٨ .

العــز بن فهــد :

هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير العز أبو الفارس وأبو الخير بن النجم أبي القاسم الهاشمي المكي الشافعي ويعرف كسلفه بابن فهد وأمة عائشة بنة العفيف عبد الله بن محمد بن على العجمي الأصل ولد في الثلث الأخير من ليلة السبت سادس عشر شوال سنة خمسين وثمانمائة بمكة المشرفة في غيبة والده بالقاهرة وتوفي سنة ٩٢١ (٥٩) وقد يلحظ القارئ إطلاق هاتين الــكنيتين عليه (أبو الخير وأبو فارس) ويخيل إليه أنها قد جرت على غير عادة المألوف فإنهم يكنون بواحدة ، ولتلك قصة طريفة أوردها السخاوي وهي أن والد العز كناه أبا الخير ولــكنه رأي في منامه قائلا يقول له جاءك ذكر فسمه عبد العزيز أبا فارس فغير كنيته الأولى وأبقى الثانية (٦٠) ، ولــكن المؤرخين لحياته أثبتوا له كلتيهما . نشأ بمكة المكرمة فحفظ القرآن العظيم والأربعين النووية والارشاد لابن المقرئ وألفية ابن مالك والنخبة لابن حجر والتحفة الوردية والجرومية وعرضها جميعها على والده النجم وجده التقي والثلاثة الأولى على جماعة غيرها (٦١) وكذا عرض جميع هــذه الكتب ماعدا النخبة الوردية والجرومية على جماعة من أهــل بلده ومن القادمين إليها كالباسي وابن القصبي المالــكي وكتب إجازته نظما ثم حفظ أيضاً غالب ألفية الحديث وجانباً من المنهاج الأصلي (٦٢) .

---

(٥٩) الضوء اللامع : ٤-٢٢٤ ، شذرات الذهب : ٨-١٠٠، الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ ، هدية العارفين : ١-٥٨٣ ، الأعلام : ٤-١٤٩ ، معجم المؤلفين : ٥-٢٥٥

(٦٠) الضوء اللامع : ٤-٢٢٤ .

(٦١) شذرات الذهب : ٨-١٠٠ ، الكواكب السائرة : ١ -٢٣٨ .

(٦٢) الضوء اللامع : ٤-٢٢٤ .

شيوخه ورحلاته العلميـــة :

بعد أن حصـــل مباديء علوم عصره على والده وجده رأي والـــده أن ابنه بدأ في مرحلة من التعليم جديدة يحتاج فيها إلى عقول أخـــرى تلاقح عقله وتفيده فاعتنى به واستجاز به خلقاً كثيراً منهم ابن حجر العسقلاني وأحضره وأسمعه على كثير من المكيين كأبي الفتح المراغي والزين الأسيوطي والبرهان الزمزمي وغيرهم (٦٣) بها وبأماكن منها كمنى (٦٤) ولما ترعرع قرأ بنفسه ثم رحـــل بنفسه إلى المدينة المنورة وسمع فيها من جماعة (٦٥) وارتحـــل من البحر إلى الديار المصرية فأكثر بها من القراءة والسماع ومما أخذه عن الشمـ في البحث بعض شرحه لنظم أبيه للنخبة وعن البقاعي في متنها مع شـ ـ حاذي به من ايساغوجي ، وسمع بمصر والجيزة وعلو الأهرام وغيرها من أماكنها وكذا بجدة في مجيئه ولمـــا انتهى أربه سافر إلى البلاد الشامية فسمع في توجهه بالخانقاة الرباقوسية (٦٦) ثم بمم صوب القدس وغزة ونابلس ودمشق وصالحيتها وبعلبك وحماة وحلب وغيرها وسمع بهن جميعاً ممن لايحصى وجد واجتهد وتميز في الطلب ثم رجع إلي بلده (٦٧) وبعد أربع سنوات دعاه شوق السفر فلباه وكانت وجهته هذه المرة هي مصر فقرأ على السخاوي في بحث ألفية الحديث مع غيرها من مؤلفاته وحضر عنده في الامـــلاء وغيره (٦٨) وقرأ علي شيخ الاسلام زكريا والشرف عبد الحق

---

(٦٣) شذرات الذهب : ٨ -١٠٠-١٠٢ ، الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ ، الضوء اللامع : ٤-٢٢٥ .

(٦٤) الضوء اللامع : ٤-٢٢٥ .

(٦٥) شذرات الذهب : ٨ - الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ ، الضوء اللامع : ٤-٢٢٥

(٦٦) الضوء اللامع : ٤-٢٢٥ .

(٦٧) شذرات الذهب : ٨-١٠١ ، الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ .

(٦٨) الضوء اللامع : ٥-٢٢٥ .

السنبـــاطي في الإرشـــاد [٦٩] وكان أحـــد القراء في تقسيم المنهاج علي السراج العبـــادي ولـــكن لم يتهيأ إكماله وقرأ على الشمس الجوجري قطعة من أول شرحه علي الإرشاد وكتبه بخطه وعلى الزيني زكريا في المتن وكان جـــل قصـــده من هـــذه القدمة الدراية ورجع إلى مابدة [٧٠] ثم سافر في موسم السنة التي تليها إلي دمشق وقرأ بها علي الزين خطاب والمحب البصروي وكان قد أخـــذ عنه بمكة أيضاً وحضر دروس التقي بن قاضي عجلون وسافر إلي القاهرة ثم عاد إلي بلده ثم عاد إلي القاهرة ولازم السخاوي [٧١] وكان مما قرأ عليه قطعة كبيرة من أول شرحه لألفية الحديث وجميع شرح النخبة وحضر كثيراً من مجالس إملائه بل واستملى بعضها وأكمل الربع الأول من شرح الجوهري للارشاد عليه وحضر عنده تقسيم التنبيه إلا يسيراً وتقسيم جميع ألفية ابن مالك سوي مجلسين أو ثلاثة بل هو ممن لازمه حين مجاورته بمكة حتي سمع عليه شرح الشذور له وغالب متن البهجة وكذا لازم إمام الـــكاملية في الفقه وغيره وقرأ عليه غالب الوردية في النحو ومما أخـــذه عن العبادي في القدمة الرابعة في الروضة أو الخادم ، ورجع مع الحاج إلى بلده [٧٢] فأقام بها ملازما للاشتغال والأشغـــال ولازم فيها عالم الحجاز البرهان بن ظهيرة في الفقه والتفسير وأخاه الفخر والنور الفاكهي في الفقه وأصوله وأخذ النحو عن أبي الوقت المرشدي والسيد السمهودي مؤرخ المدينة والنحو والمنطق عن العلامة يحيي المالـــكي [٧٣] ولما جاور السخاوي

---

(٦٩) الشذرات : ٨-١٠١ ، الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ .

(٧٠) الضوء اللامع : ٥-٢٢٥ .

(٧١) شذرات الذهب : ٨-١٠١ الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ .

(٧٢) الضوء اللامع : ٤-٢٢٥ .

(٧٣)

في مكة أكثر من ملازمته بحيث قـــرأ عليه ماكان في كتب والده من تصانيفه وهو كثير وأكمل سماع شرحه للألفية [٧٤]

وبعد هذه السنوات من الرحلات المتتابعة والطلب الجاد أدرك رتبة الشيوخ وأذن له بالتدريس وأفادة طلابه وممن أجاز وأذن له السخاوي في التدريس والافادة والتحديث وأذن له أيضاً الحوجري في تدريس الفقه والنحو والإفادة وكذا المحيوي ضمن جماعة في إقراء الألفية [٧٥] ، وأخذ طلاب العلم خاصة الحديث يفدون إليه من كل مكان يطلبون الإفادة منه حينـــا والاجازة منه حينا آخر ، ومن أشهر من أجاز لهم محمد بن طولون مؤرخ الشام في عصره فقد ذكر أنه أجازه مراراً وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية ثم المسلسل بالمحمدين ثم المسلسل بحرف العين وذلك يوم الأثنين سادس ذي الحجة سنة عشرية وتسعمائة بزيادة دار الندوة[٧٦] ، هـــذا وقـــد رأينا آنفاً أن أباه النجم بن فهد كان قد خرج مشيخة لأحمد بن عبد الله السمهودي فمات النجم قبل أن يتممها له العزابنه وبيضها له وحدث بما فيها [٧٧] .

مؤلفـــاته :

ألف العز بن فهد في صنوف من العلم عديدة وأهمها الحديث والتاريخ ، وأهم هذه المؤلفات : معجم شيوخه نحو ألف شيخ وفهرست مروياته وجزء في المسلسل بالأولية وكتاب فيه المسلسلات التي وقعت له ورحلة في مجلد وكتاب الترغيب والأجتهاد في الباعث لذوي الهمم العلية علي الجهاد وترتيب

---

(٧٤) الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ شذرات الذهب : ٨-١٠١ .

(٧٥) الضوء اللامع : ٥-٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٧٦) شذرات الذهب : ٨-١٠٢ ، الكواكب السائرة : ١-٢٣٩ .

(٧٧) النور السافر : ٥٨

طبقات القراء للذهبي ، وتاريخ علي السنين ابتدأ فيه من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (٧٨) ، ونزهة الأبصار لما تألف من الأفكار ونزهة ذوي الأحكام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة بلد الله الحرام في تاريخ مكة ، وغاية المرام باختبار سلطنة البلد الحرام ، وبلوغ القري بذيل إتحاف الورى بأخبار أم القري والحجة الدامغة لرجال الفصوص الزايغة (٧٩) .

ثناء العلماء عليه :

أثني عليه العلماء ثناء عاطرا كما أثنوا علي أبيه وعلي جده من ذي قبل وعلي رأسهم معاصره وشيخه السخاوي الذي أشاد به في موضعين من كتابه « الضوء اللامع » فقد قال (٨٠) : وبرع في الحديث طلباً وضبطا وكتب الطباق بل كتب بخطه جملة من الكتب والأجزاء وتولع بالتخريج والكشف والتاريخ » ثم أردف قائلا : « وليس بعد أبيه ببلاد الحجاز من يدانيه في الحديث مع المشاركة في الفضائل وجودة الخط والفهم وجمال الهيئة وعلو الهمة والحياء والمروءة والتخلق بالأوصاف الجميلة والتقنع باليسير وأظهر التجمل وعدم التشكي . وهو حسنة من حسنات بلده » وذكر قريباً من هذا الثناء كل من ابن العماد (٨١) والغزي (٨٢) في وصفهما للعز ، وكتب السخاوي في خاتمة كتابه ما نصه (٨٣) : « الحمد لله أنهاه علي قراءة ومقابلة مفيداً مجيداً محرراً وللمحاسن مظهراً كاتبه الشيخ الإمام الأوحد الهمام العالم المرشد والمحدث المفيد الرحال المسند الحافظ القدوة عبدالعزيز مفيد أهل الحجاز ومسعد القاطنين فضلا عن الغرباء بما يسعفهم به بدون المجاز نفع الله به ورفعه في الدارين لأعلي رتبة » .

---

(٧٨) شذرات الذهب : ٨-١٠٢ ، الكواكب السائرة : ١-٢٣٩ .

(٧٩) هدية العارفين : ١-٥٨٣ .

(٨٠) ٤- ٢٢٦ .

(٨١) شذرات الذهب : ٨-١٠١ .

(٨٢) الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ .

(٨٣) الضوء اللامع : ١٠-٦٦ .

جار الله بن فهـد

هو محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي ويعرف كسلفه بابن فهد ويسمى المحب أبا الفضل ولكنه بجار الله أشهر ، ولد في ليلة السبت لعشرين من شهر رجب سنة إحدي وتسعين وثمانمائة بمكة وتوفي سنة أربع وخمسين وتسعمائة بعد أن خلف أولادا كثيراً (٨٤) .

شيوخه ورحلاته العلمية :

نشأ في كنف أبويه بمكة المكرمة فحفظ القرآن الكريم وكتبا كأربعي النووي ومنهاجه (٥) وحضر على السخاوي وهو في الرابعة من عمره وأحضر من المحب الطبري الإمام ختم مسلم وثلاثيات البخاري والربع الأول من تساعيات العز بن جماعة كل ذلك بعد المسلسل (٨٦) ، ولازم والده في القراءة والسماع وأخذ عنه وعن جده الحديث (٨٧) ، وتوجه مع والده للمدينة وجاور بها سنة تسع وتسعمائة وسمع بها من لفظ والده تجاه الحجرة الشريفة الكتب السنة والشفا لعياض وغيره وعلي السيد السمهودي بعضها وتاريخه الوفا وفتاواه وألبسه خرقة التصوف وقرأ علي أبيه فيها العمـدة والشمائل وغيرهما ، ولما عاد إلي مكة أكثر عليه من قراءة الكتب الكبار والأجزاء الصغار وانتفع بارشاده وخرج الأسانيد والمشيخات لجماعة من مشايخه وغيرهم فلما استوفى ما عنـد مشايخ بلده أنشأ يفكر في الرحلة طلباً ما عند غيرهم من العلم فيمم شطر مصر ثم رحل إلي الشام ودخل حلب حين دخلها السلطان الغوري سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وبيت المقدس

---

(٨٤) الضوء اللامع : ٣-٥٢ ، شذرات الذهب : ٨-٣٠١ الكواكب السائرة : ٢-١٣١ ، كشف الظنون : ١-٣٧٨ . الأعلام : ٢-٩٣ ، معجم المؤلفين : ٣-١٠٧ النور السافر : ٢٤١ .

(٨٥) النور السافر : ٢٤١ (٨٦) الضوء اللامع : ٣-٥٢ .

(٨٧) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ .

واليمن وأخذ بها وفي غيرها من البلدان نحو السبعين علي جماعة من السندين [٨٨] وأجازه خلق كثير جمعهم في مجمع حافل كعبد الغني بن البساطي وأجازت له عائشة بنة ابن عبد الهادي والشمس محب بن الشهاب البوصيري وغيرهم [٨٩] واشتغل في فنون وأخذ الفقه والنحو والأصلين عن الشيخ عبد الله باكثير وقرأ عليه المنهاج للنووي وغالب شرحه للمحلي وألفية ابن مالك وغيرها وبعض شروح الورقات وقسم المنهاج علي الشيخ شهاب الدين اليسري مرتين وعلي الشيخ عبد الحق السنباطي مرة ولازمه في قراءة كتب الحديث وخرج له مشيخة اغتبط بها وكذا الخطيب محب الدين النويري وغيرهما من الأكابر ، وحدث بالحرمين الشريفين وغيرهما [٩٠] .

ومما يلحظ القاريء علاقة جار الله بشخصيتين بارزتين في ذلك العصر هما السخاوي وابن طولون صاحب التآليف الكثيرة عن الشام وتواريخها . أما صلته بالسخاوي فسنرجؤها إن شاء الله إلي مكان لاحق ، وأما صلته بابن طولون فلها نواح ثلاث :

أولاهما(؟): أنهما كانا زميلين في الأخذ عن عدة شيوخ ، قال الغزي في ترجمته لجار الله ابن فهد [٩١] : « وقد كان صاحب الترجمة صاحباً للشيخ شمس الدين بن طولون ورفيقاً له في الأخذ عن جماعة من الشيوخ » .

ثانيتهما : أن جار الله في وقت من أوقات تحصيله قرأ علي ابن طولون وكتب عنه تعليقات وسمع منه ، قرأ عليه مسند أبي الدراء المختصر من الانتخاب كما كتب له رسالة أسماها ابن طولون « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ، يقول ابن طولون في مقدمة هذه الرسالة [٩٢] : الحمد لله الذي

---

(٨٨) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ ، النور السافر : ٢٤٢ .

(٨٩) الضوء اللامع : ٣-٥٢ .

(٩٠) النور السافر : ٢٤٢ .

(٩١) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ .

(٩٢) رسائل تاريخية ، الرسالة الثانية : ٢

أيد عساكر الإسلام وياله من مؤيد وناصر والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين العناصر وبعد فهذا تعليق سميته (الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية) سألني في تعليقه المحدث المفيد الرحال محب الدين محمد المدعو جار الله بن الحافظ عبد العزيز ابن الحافظ سراج الدين محمد المدعو عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهـــد الهاشمي العـــلوي المكي الشافعي أمتع الله بحياته الأنام وأعاد علينا من بركات أسلافه الكرام لما قرأ على بمقام أبي الدرداء بها مسنده المختصر من الانتخاب من مسند أبي الدرداء لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبيد بن جهينة الشهرزورى الحافظ يوم الاثنين ثامن ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بحضرة بعض الأفاضل المفيدين فأجبته إلى سؤله مستعيناً بالله فانه نعم المعين . . . » .

ثالثهما : أنهما ظلا على صلة ببعضهما البعض بعد أن رجع جار الله إلى مكة يكاتب كل واحد منهما الآخر في كل سنة مع الحجاج ويذكر له من يتوفى في كل سنة ، هذا يذكر له من توفى بالشام ونواحيها وهذا يكتب له عمن توفى بمكة والمدينة (٩٣) .

وبعد أن استقر جارالله في مكة بدأت وفود الطلاب تأتيه من كل صوب تسمع منه الحديث وتقرأ عليه التاريخ وتطلب إجازته ، ومن أشهر من أخذ عنه ونال اجازته ابن الحنبلي الذي ذكر علاقته العلمية بجارالله بقوله (٩٤) : « سمعت من لفظه بمكة المشرفة سنة ثلاث وخمسين وأجاز (لي) في أن أورده عنه وجميع ما يجوز له وعنه بروايته وأنشدنا لبعض مشايخه :

---

(٩٣) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ ، وترجمة جار الله في ذيل طبقـــات الحفاظ : ٤٨٣

(٩٤) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ .

أكابرنا شيوخ العلم حازوا علم (؟) الدين فاغتنموا وفازوا
أجازوا لي رواية ماروووه فها أنا ذا أجزت كما أجازوا

وناولني نسخة بهذا الكتاب بخطه بمكة .

وكما أثنى المؤرخون على والديه فقد أثنى عليه معاصروه ولقد رأيت ما قاله ابن طولون عنه ، أما ما قاله غيره فان « شيخ الاسلام الوالد » لما حج في سنة خمسين وتسعمائة حضر جار الله للسلام عليه فأثنى عليه الوالد كثيراً وترجمه بالأمانة والتقدم في علم الحديث(٩٥) .

مؤلفاته :

ترك جار الله خلفه مؤلفات عدة نحا بها منحى والديه من قبله في الحديث أو التاريخ تاريخ مكة أو تاريخ شيوخها وأمرائها ، وإليك هذه المؤلفات :

١ — التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة (٩٦) .

٢ — تحقيق الرجا لعلو المقر بن أجا أشار إليه الغزي (٩٧) وذكره صاحب كشف الطنون (٩٨) ألفه لمحب الدين محمود بن محمد بن أجا التدمرى الحلبي المتوفي سنة ٩٢٥ .

٣ — تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا . جمع فيه الوفائية والشاذلية ورتبهم على الحروف انفرد بذكر هذا الكتاب صاحب كشف الظنون (٩٩) .

---

(٩٥) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ .

(٩٦) الكواكب السائرة : ٢-١٣١ كشف الظنون : ١-٣٠٦ ، الاعلام :

(٩٧) الكواكب السائرة : ١-١٣١ .

(٩٨) ١-٣٧٨ .

(٩٩) نفس المصدر والجزء : ٩٢٥

٤ ـ تحفة اللطائف في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف، ذكر صاحب الأعلام أن هذا المصنف يقع في مئة صفحة وكان بالمكتبة الماجدية بمكة وأنه رأى في حاشيته عليه: هذا التاريخ غير المذكور في الكشف أي كشف الظنون[١٠٠].

٥ ـ تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، ذيل به على ذيل جدة[١٠١]

٦ ـ معجم شيوخه، ذكر فيه أسماء شيوخه والشعراء الذين سمع منهم الشعر[١٠٢].

٧ ـ السلاح والعدة في فضائل بندر جده[١٠٣].

٨ ـ تاريخ يفيد في معرفة وفيات المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء[١٠٤].

أثر كتاباته التاريخية فيمن بعده:

يبدو أثر كتابات جار الله التاريخية فيمن جاء من بعده خاصة في كتاب النور السافر فقد أشار مؤلف إلى أقوال جار الله في مواضع عدة أحسبه نقلها من معجم جار الله الذى ذكر فيه شيوخه، وإليك نماذج مما نقله عن جار الله

١ ـ نقل قول جار الله فى ترجمة الحافظ عثمان بن محمد أبو عمر الديمي: «قال الشيخ جار الله بن فهد المكي: أقول: وبعد المؤلف انفرد بالرواية وازدحم عليه الطلبة وصار له ذكر عند الخاصة والعامة مع عدم معرفته

---

(١٠٠) الأعلام: ٢-٩٣.
(١٠١) ذيل طبقات الحفاظ: ٣٨٢.
(١٠٢) الكواكب السائرة: ٢-١٣١.
(١٠٣) الأعلام: ٢-٩٣.
(١٠٤) الأعلام: ٢ ـ ٩٣.

بتخريج الأسناد لكن الناس انتفعوا بتقريره واستمر كذلك إلى أن لقى الله عز وجل رحمه الله تعالى » (١٠٥) .

٢ – في ترجمة برهان الدين الأقصرائي المواهبي : قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أقول : « وقد جاوز صاحب الترجمة بمكة سنة أربع وتسعمائة وأقام بها ثلاث سنين وألف بها شرحا على الحكم لابن عطاء الله سماه « أحكام الحكم بشرح الحكم » وشرح رسالته المسماة « أصول مقدمات الأصول » وشرح كلمات على بن محمد وفا المعروف يا مولانا يا واحد يا أحد سماه شرح التمويل في بيان مشاهد يا مولانا يا واحد يا أحد وشرح الرسالة السندسية في أصول الدين وله ديوان نظم وعدة رسائل » (١٠٦) .

٣ – فى وفيات سنة ست عشرة وتسعمائة وفي ترجمة السلطان العادل المجاهد أبو(؟) الفتح محمد بن محمد صاحب كجرات بأحمد أباد ، قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أقول : وعمر بمكة رباطا مجاوراً بباب المدينة عرف بالكنيابتية (؟) وقرر به جماعة ودروسا وغير ذلك وكان يرسل لهم مع أهل الحرمين عدة صدقات ثم قطعها لما بلغه استيلاء النظار عليها » (١٠٧) وممن نقل عنه وأكثر الاستعداد منه الجمال الشلى اليماني في كتابه « السنا الباهر بتكميل النور السافر » وشمس الدين بن طولون فان تواريخه طافحة بالنقل عنه » (١٠٨) .

---

(١٠٥) النور السافر : ٤٩ .

(١٠٦) نفس المصدر : ٥٠

(١٠٧) النور السافر : ٩٢ .

(١٠٨) ذيل طبقات الحفاظ : ٣٨٣ .

علاقة السخاوى ببنى فهـد :

توثقت العلاقة بين العلامة المؤرخ المحدث شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي وبين بني فهد الأربعة توثيقاً قوياً وبدت هذه العلاقة في مظاهر عدة منها :

١ ــ أن السخاوي تتلمذ على الحافظ محمد بن محمد بن فهد ، لقيه في مكة المكرمة مراراً واستفاد منه ذكر ذلك في ترجمته لابن فهد وفي ترجمته لنفسه ، فهو يقول عند ذكره لتأليف ابن فهد لكتابه في السيرة « النور الباهر الساطع من سيرة ذى البرهان القاطع » [١٠٩] : « قرأته عليه بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بشعب بنى هاشم من مكة » ويقول أيضاً عندما ذكر كتبه « بشرى الورى مما ورد في حرا ، واقتطاف النور مما ورد فى ثور ، والابانة مما ورد في الجعرانة » [١١٠] :

« قرأتها عليه بمحالها من مكة » ويذكر السخاوى أيضاً أن ابن فهـد جمع له ولده معجماً وفهرستا استفاد منهما [١١١] ، ويقول : أيضاً بعد أن أثنى على علم ابن فهد[١١٢] : « فأخذ عنه الناس من سائر الآفاق وكنت ممن لقيته فحملت عنه في المجاورة الأولى الكثير بمكة وكثير من ضواحيها » ، وحينما ترجم العيدروسي للسخاوي ذكر بعض شيوخه في مكة فقال[١١٣] : « وحج بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه ولقي جماعة من العلماء فأخذ عنهم كأبي الفتح الأغر والبرهان الزمزمى ، والتقي بن فهد وأبي السعادات ابن ظهيرة وخلائق » .

---

(١٠٩) الضوء اللامع : ٩-٢٨٢ .

(١١٠) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١١١) ذيل طبقات الحفاظ : ٣ .

(١١٢) الضوء اللامع : ٩ -٢٨٣ .

(١١٣) النور السافر : ١٨ .

وبعد مرحلة التلمذة أعجب الشيخ بتلميذه أيما إعجاب وهو جدير بذلك فاهتبل الفرص في مدحه والإشادة بكتبه وطالع كثيراً من كتبه وأثنى عليه ، روى ذلك السخاوي بقوله [١١٤] : « وبالغ في مدحي بما أثبته في المعجم وغيره وطالع في المجاورة الثانية كثيراً من تصانيفي حتى في مرض موته » ، ويذكر السخاوي في معرض حديثه عن الأئمة الذين قرضوا « أشياء من تصانيفه » في ترجمته لنفسه أن « الحافظ محدث الحجاز التقي ابن فهد الهاشمي وصفه بأشياء منها : زين الحفاظ وعمدة الأئمة الأيقاظ شمس الدنيا والدين من اعتنى بخدمة حديثه سيد المرسلين واشتهر بذلك في العالمين على طريقة أهل الدين والتقوى فبلغ فيه الغاية القصوى » [١١٥] ، ويني السخاوي وفيا لشيخه في صباه ولنده في كهولته فكان ممن شهد الصلاة عليه ودفنه وكان كثير التردد على قبره « بعد تفرقة الربعة بالمسجد أياماً » [١١٦] .

إن السخاوي صحب النجم عمر بن فهد صحبة ود واحترام ويكفيك شاهدا على هذا أنه لا يشير إلى النجم دون أن يردف قبل اسمه لفظه « صاحبنا » وهو يعتز بهذه الصحبة ، فحينما ترجم لابنه العز قال[١١٧] : « عبد العزيز . . أبو فارس وأبو الخير بن صاحبنا النجم » وفي ترجمته لعبد القادر بن الشهاب الأنصاري يقول [١١٨] : « خرج له صاحبنا النجم بن فهد مشيخة » ويقول في ترجمته عمر بن العز بن النجم بن فهد[١١٩] : « عمر ابن عبد العزيز بن صاحبنا النجم عمر » ويقول في موضع آخر حينما ترجم لعلي ابن أحمد الكلاعي الحميري اليمني [١٢٠] : « وكتب عنه صاحبنا

---

(١١٤) الضوء اللامع : ٩-٢٨٣ .
(١١٥) نفس المصدر : ٨-٢٠ .
(١١٦) نفس المصدر : ٩-٢٨٣ .
(١١٧) نفس المصدر : ٤-٢٢٤ .
(١١٨) نفس المصدر والجزء : ٢٨٤
(١١٩) نفس المصدر : ٦-٩٤ .
(١٢٠) نفس المصدر : ٥-١٧٤ .

ابن فهد من نظمه « ولو ذهبت استقصي ذكر لفظة صاحبنا النجم بن فهد في كتاب السخاوي لأطلت ، وكان بينهما من المودة والاحترام ما يعجز المرء عن تصوره يشتاق أحدهما إلى الآخر اشتياقه إلى ولده إذ أن صداقتهما بنيت على أساس من الصحبة والأستاذية وتحصيل العلم ولذلك يقول السخاوى في وصف هذه الصداقة وأسسها[١٢١] : « وبيننا من المودة والإخاء مالا أصفه وله رغبة تامة في تحصيل كل ما يصدر عني من تأليف وتخريج ونحو ذلك بحيث اجتمع عنده من ذلك الكثير » وكانت بينهما مراسلات أخوية وعلمية تفيض شوقاً وتوداً ، ومن هذه المراسلات رسالة كتبها النجم إلى السخاوي لما بلغه ما عرض في ذراعه بسبب سقوطه في الحمام ثم برؤه منه قال فيها : « ولله الحمد على العافية والله يمتع بوجودك المسلمين ويديم بقاءك فو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة لا أعلم لك في الدنيا نظيراً ووالله كلما اطلعت في مؤلفاتك وما فيها من الفوائد أدعو لكم بطول الحياة ولم أزل أبث محاسنكم في كل مجلس وأدعو لكم بظهر الغيب فالله يتقبل ذلك بمنه وكرمه »[١٢٢] ، ويرسل النجم رسالة إلى بعض اصحابه ويطلب منه فيها أن يبلغ سلامه للسخاوي فيقول[١٢٣] : « .. والسلام على سيدنا وشيخنا وبركتبا سيدي الشيخ الإمام العلامة الحافظ الكبير فلان جمع الله به الشمل بالحرم الشريف قريباً غير بعيد واني والله العظيم مشتاق كثيراً إلى رؤيته ووالله أود لوكنت في خدمته بقية العمر لأستفيد منه ولكن على كل خير مانع » .

وكان السخاوي يراه ثقة يقرنه بشيخه ابن حجر وبالمقريزى ولذلك فقد أكثر النقل عنه في ترجمته للمكيين أو من نزل بمكة ومات بها أو بغيرها كما رأيت آنفاً ، كما أن النجم نقل كثيراً من كتابات السخاوي حسب قول السخاوي في ترجمته للعز بن النجم[١٢٤] : « قرأ على ما كان في

---

(١٢١) الضوء اللامع : ٦-١٣١ .

(١٢٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٢٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(١٢٤) الضوء اللامع : ٤-٢٢٦

كتب والده من تصانيفي وهو شيء كثير » ومن قرأ ترجمة السخاوي للنجم لحظ أن كليهما قد أخذ من صاحبه فترة ، قال في معرض حديثه عن شغف النجم بطلب العلم من أي جهة كانت وعلى يد شيخ مهما بلغت منزلته من مثله أو أقل منه (١٢٥) وقش في هذه المدة بل وبعدها أيضاً عمن دب ودرج وأخذ عمن هـــو مثله بل ومن هو دونه فمن هو في عداد من يأخذ عنه ولم يتحاش عن ذلك كله حتى أنه سمع مني بمكة جملة من تصانيفي وحضر عندى ما أمليته بها » وفي ترجمته لنفسه ذكر أنه صحب النجم فى بدء حياته العلمية واستفاد من إرشـــاده وافادته (١٢٦) : « وكذا تدرب في الطلبة بمستمليه مفيد القاهرة الزين رضوان العقبي وأكثر من ملازمته قراءة وسماعا وبصاحبه النجم عمر بن فهد الهاشمي وانتفع بارشاد كل منهم وأجزائه وافادته » والسخاوي مدين لصاحبه النجم ادانة لم ينكرها السخاوي مع ما عرف عنه من التعالي على أقرانه خاصة في أول أمره فقد أعانه ابن فهد بما يلزمه في تلك الفترة وهو يعبر عن ذلك بقوله (١٢٧) : « وأعانه عليه صاحبه النجم ابن فهد بكتبه وفوائده ونفسه ودلالته على الشيوخ وكذا يكتب والده » بل إن السخاوي صرح في بعض المواضع أنه سمع منه وقرأ عليه يقول (١٣٨) : « أما أنا فاستفدت منه كثيراً وسمعت منه في سنة خمسين وبعدها أشياء بل قرأت عليه في الطائف ومكة أشياء » .

ومع أن كلا منهما استفاد من صاحبه وأثنى عليه وحمد له علمه فان النجم بن فهد كان لا يقدم على السخاوي أحداً كما فخر بذلك السخاوى وهو يترجم لنفسه . ومما وصفه به ما يأتي: (١٢٩) « شيخنا الإمام العلامة

---

(١٢٥) نفس المصدر : ٦-١٢٨ .

(١٢٦) نفس المصدر : ٦٠٨ ويلاحظ أن السخاوى كان يعبر عن نفسه بضمير الغائب فى ترجمته لنفسه .

(١٢٧) نفس المصدر والجزء والصفحة

(١٢٨) نفس المصدر ٦ ـ ١٣٠

(١٢٩) نفس المصدر : ٨-٢٠٠ .

الأوحد الفهامة المتقن العلم الزاهر والبحر الزاخر عمدة الحافظ وخاتمتهم من بقاؤه نعمة يجب الاعتراف بقدرها ومنة لا يقام بشكرها وهو حجة لا يسع الخصم لها الجحود وآية تشهد بأنه إمام الوجود وكلامه غير محتاج إلى شهود وهو والله بقية من رأيت من المشايخ وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية وسائر بلاد الإسلام عيال عليه ووالله ما أعلم فى الوجود له نظير » .

٣ ــ أن السخاوي زامل العز بن النجم بن فهد في مرحلة من مراحل تعليمه وسمع معه عن كثير من المكيين كأبي الفتح المراغى والزين الأسيوطى والزمزمي وغيرهم بمكة أو بأماكن منها كمنى ، قال السخاوي [١٣٠] : « وجل ذلك معي » ولكنه بعد ذلك أصبح أحد شيوخه الذين لازمهم العز واستفاد منهم كثيراً[١٣١] ذكر ذلك السخاوي في مواضع من كتابه حينما ترجم له فقال[١٣٢] : « واجتهد في كل ذلك فتميز في الطلب واستمد مني ثم عاد إلى بلده مع الركب ثم رجع من البحر أيضاً في سنة خمس وسبعين (وثمانمائة) وقرأ علي في بحث ألفية الحديث مع غيرها من تصانيفي وحضر عندى في الاملاء وغيره » وبعد سنين قضاها العز في مكة وفي بلاد أخرى طلباً للدراية دخل القاهرة فاتصل بالسخاوى، يقول السخاوي عن ذلك[١٣٣] : « ثم دخل القاهرة أيضاً مع الركب في سنة أربع وثمانين (وثمانمائة) فلازمني في السماع والقراءة وكان مما قرأه على قطعة كبيرة من أول شرحي لألفية الحديث وجميع شرح النخبة وحضر كثيراً من مجالس الاملاء بل واستملى

---

(١٣٠) الضوء اللامع : ٥-٢٢٥ .

(١٣١) الكواكب السائرة : ١-٢٣٨ ، شذرات الذهب : ٨-١٠١ .

(١٣٢) الضوء اللامع : ٤-٢٢٥ .

(١٣٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

بعصبها » . ولم يكن ذلك آخر عهده بالسخاوي والقراءة عليه بل لازمه عندما جاور السخاوي الذي يروي ذلك بقوله [١٣٤] : « ولما جاورت سنة ست وثمانين (وثمانمائة) والتي تليها أكثر من ملازمتي بحيث قرأ على ما كان في كتب والده من تصانيفي وهو شيء كثير وحصل هو أيضاً أشياء قرأها وأكمل سماع شرحي للألفية مع تكرر كثير منه له وكذا سمع على ومني غير ذلك » ولما رأى السخاوي براعة العز في الحديث وولعة بالكشف والتخريج والتاريخ أذن له في « التدريس والافادة والتحديث » [١٣٥] ، وكان العز يري في شيخه كفاءة عالية وفي تصانيفه فائدة جمة فكتب بعضها وكتب مصنف « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » وقد وجد في آخر جزء من الأصل هذه العبارة : « آخر الجزء الرابع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشيخنا العلامة الحجة الفهامة شيخ الإسلام حجة الأنام أبي الخير محمد شمس الدين بن المرحوم زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي القاهري الشافعي أدام الله حياته للمسلمين آمين وانتهى إلى هنا من خطه في مدة آخرها يوم الخميس حادي عشر صفر الخير سنة تسع وتسعين وثمانمائة بمنزل كاتبه من مكة المشرفة المفتقر إلى لطف الله وعونه عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي لطف الله بهم آمين والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما » [١٣٦] ، وفي آخر الصفحة كتاب السخاوي نفسه الذي أذن للعز ولزميله الشيخي الفاضلي برواية هذا الكتاب وبرواية غيره من مؤلفات السخاوى وهو : « الحمد لله أنهاه على قراءة ومقابلة مفيداً مجيداً محرراً وللمحاسن مظهراً كاتبه الشيخ

---

(١٣٤) نفس المصدر والجزء : ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(١٣٥) الضوء اللا مع : ٤ ٢٢٦ .

(١٣٦) نفس المصدر : ١٠-٦٦ .

الإمام الأوحد الهمام العالم المرشد والمحدث المفيد الرحال المسند الحافظ القدوة عبد العزيز مفيد أهل الحجاز ومسعد القاطنين فضلا عن الغرباء بما يسعفهم به بدون المجاز نفع الله تعالى به ورفعه فى الدارين لأعلى رتبة ، وسمعه معه الشيخي الفاضلي ذو الهمة العلية والنسبة إلى السادات الأئمة العمري أبو بكر السلمي المكي عرف بالشلح جمله الله تعالى سفرا وحضرا وحمله على نجائب جوده وفضله مساء وبكرا ، وانتهى في يوم ثاني عشر رجب سنة تسع وتسعين بمكة وأجزت لهما روايته عني وسائر مروياتي ومؤلفاتي ، قاله وكتبه محمد بن عبد الرحمن السخاوي مؤلفه ختم الله له بخير وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما »[١٣٧] .

ولما انتهى السخاوي من كتابه في تاريخ المدينة الذى أسماه « التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة » أشار مفتخراً إلى أن السمهودي قد أشاد بهذا المصنف وأنه كتب بذلك للعز بن فهد يدعوه إلى قراءته واقتنائه والتوجه بسببه ، يقول السخاوي[١٣٨] : « وكان الشروع في تبييضه والرجوع لتهذيبه وتنهيضه حين كونى بطيبة الشريفة وقرة عيني بلحظ تلك العرصات المنيفة ، وكتب (السمهودي) إلى العز بن فهد يحرض عليه ويمرض من لم يلتفت إليه ، بل نظم الفواصل اللواتي ، والحبيب المواتي قصيدة في التنويه والتوجه بسببه » .

أما علاقة السخاوي بجار الله بن فهد فقد كانت علاقة شيخ بتلميذه ، شيخ كان يعرف آباءه الثلاثة قبله ويكن لهم كل احترام ويثني عليهم فى كل مقام ، تتلمذ عليه جار الله وسمع منه[١٣٩] ، وكان قد بدأ السماع منه وهو في سن مبكرة جداً في الرابعة ، والسخاوي مجاور للمرة الرابعة فيها ودعنا نقرأ ما قاله السخاوي عن تلمذة جار الله عليه[١٤٠] : « حضر

---

(١٣٧) الضوء اللامع : ١٠ -٦٦

(١٣٨) التحفة اللطيفة : ١-٨ .

(١٣٩) النور السافر : ٢٤١ .

(١٤٠) الضوء اللامع : ٣-٥٢ .

على وهو فى الرابعة في مجاورتي الرابعة من لفظي وبقراءة أبيه وغيره أشياء ثم سمع علي بعد ذلك أشياء » . وقد علق جار الله على ترجمة السخاوي لنفسه تعليقاً يفيض حباً وإعجاباً ووصفه « بشيخنا » وحشد في ترجمته صفات لا تتوفر إلا للقليل من العلماء ثم استشهد بثناء جده عليه . يقول جار الله (١٤١) : « إن شيخنا صاحب الترجمة حقيق بما ذكره لنفسه من الأوصاف الحسنة . ووالله العظيم لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله ويعلم ذلك كل من اطلع على مؤلفاته أو شاهده وهو عارف فقيه مصنف في تراجمه . ورحم الله جدي حيث قال في ترجمته : « إنه انفرد بفنه فطار اسمه في الآفاق وكثرت مصنفاته فيه وفي غيره طار صيته شرقاً وغرباً وشاما ويمنا ولا أعلم الآن من يعرف الحديث مثله ولا أكثر تصنيفا ولا أحسن ، ولذلك أخذ عنه علماء الآفاق من المشايخ والطلبة والرفاق وله اليد الطولى في المعرفة بالعلل وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل وإليه يشار في ذلك » .

ولعل القاريء يلحظ نغمة الثناء المتبادلة بين السخاوى وبين آل فهد ، والثناء لا يأتى من السخاوي هوناً سهلا بل لقد عرف السخاوى بفرط قسوته على العلماء خاصة علماء عصره منهم وشدة نقده لهم وعدم تحرجه حينا من تجريحهم . وما قصته مع السيوطي المشهورة وما بينهما من خصومة وهجاء إلا دليل على ذلك وما قوله عن بعض الشخصيات التي ترجم لها : « ودفن بالمعلاة غير مأسوف عليه » إلا من ذلك الضرب وبهذا تدرك أن ثناءه وحبه لبني فهد كان ناتجاً عن آل فهد أنفسهم في علمهم وفي منزلتهم وتوطئة أكنافهم للغرباء والعلماء والطلاب .

٤ ــ ان السخاوي في ترجمته لآل فهد كان شديد العناية ودقيق التحرى فقد كان مثلا يذكر كل شيء عنهم حتى أسماء أمهاتهم ، ففي ترجمته للتقي يقول السخاوي عن أمه (١٤٢) : « وكان والده سافر إليها (أصفون)

---

(١٤١) النور السافر ٢١

(١٤٢) الضوء اللامع : ٩-٢٨١ .

لاستخلاص جهات موقوفة على أمه خديجة بنت النجم الأصفونى فتزوج هناك بابنة ابن عم جده النجم المشار إليه واسمها فاطمة بنة أحمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم القرشية المخزومية وهى ابنة عم جده لأمة العلامة النجم عبد الرحمن بن يوسف الأصفونى الفقيه الشافعي فولد له منها هناك التقي » ، أما في ترجمة العز فيقول (١٤٣) : « وأمه عائشة بنة العفيف عبدالله ابن محمد بن على العجمي الأصـــل » ويقول عن أم جار الله (١٤٤) أمه كمالية » ، ومن خبر السخاوي وكتابه « الضوء اللامع » خبري به فسيعرف أن السخاوي لا يذكر أمهات من ترجم لهم إلا في حكم النادر ، وأحسب ذكره لآل فهد انما نشأ من عمق معرفته لهم وصلته العلمية القوية بهذا البيت الهاشمي .

ومن هذا القبيل اعتناء السخاوي بذكر تاريخ مواليدهم ، وهو وإن كان يذكر اليوم والشهر والسنة ، أما في ترجمته لآل فهد فانه يذكر إذا ما كان قد ولد في نهار ذلك اليوم أو في ليلته بل ويذكر الجزء الذي ولد فيه من ذلك اليوم أو تلك الليلة ، وهذه دقة متناهية في ذكر تواريخ الميلاد ، فهو يقول مثلا عن التقي (١٤٥) : « ولد في عشية الثلاثاء خامس ربيع الثاني سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، ويقول عن النجم عمر (١٤٦) : « ولد في ليلة الجمعة سلخ جمادى الثانية سنة اثنتي عشرة وثمانمائة» ويقول عن العز (١٤٧) « ولد في الثلث الأخير من ليلة السبت سادس عشرين شوال خمسين وثمانمائة » ويقول عن جار الله (١٤٨) : « ولد في ليلة السبت لعشرين من شهر رجب سنة احدى وتسعين وثمانمائة » . (للبحث صلة)

د : ناصر بن سعد الرشيد

---

(١٤٣) الضوء اللامع : ٤-٢٢٤ .
(١٤٤) نفس المصدر : ٣-٥٢ .
(١٤٥) نفس المصدر : ٩-٢٨١ .
(١٤٦) نفس المصدر ٦-١٢٦ .
(١٤٧) نفس المصدر : ٤-٢٢٤ .
(١٤٨) نفس المصدر : ٣-٥٢ .

دراسة موجزة
لبعض مؤلفات كريستيان سنوك هورغرونية
عن تاريخ الجزيرة العربية

كريستيان سنوك هورغوروني هو أحد الرحالة من الغربيين الذين زاروا الحجاز وكتبوا عن هذه المنطقة كتابات مستفيضة .

ويسعدني هنا أن أقدم دراسة موجزة عن هذا الكاتب وعن مؤلفاته التي كتبها عن هذه المنطقة بصورة خاصة وعن التاريخ الإسلامي بصورة عامة ، وذلك لالقاء الضوء على هذا الكاتب والتعرف عليه وعلى كتبه التي كتبها عن منطقة الحجاز والتي يمكن اعتبارها مصدراً من مصادر تاريخ الجزيرة العربية عن الفترة التي كتبت فيها .

لمحة تاريخية عن حياته :

ولد الدكتور كريستيان سنوك هورغروني في الثامن من شهر فبراير عام ١٨٥٧ ميلادية في قرية صغيرة في شمال هولندا هي « أوستير هوت » وفي هذه القرية التحق بمدارسها حتى أتم دراسته الثانوية ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة ليدن حيث واصل دراسته الجامعية والعليا بجامعتها العريقة وتخصص في دراسة الأديان واللغات وخاصة اللغات السامية وبقي فيها حتى حصل على درجة الدكتوراه وكان موضوع رسالته هو :

« الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي » .

وبعد تخرجه من جامعة ليدن انتقل إلى شتراز بورج حيث عمل تحت إشراف البرفسور نولدكه المستشرق الألماني المشهور وكان يقوم بتدريس اللغة العربية وآدابها وقواعد الدين الإسلامي وقد أمضى في ذلك مدة ثلاث سنوات أدرك بعدها أنه من الأفضل أن يقوم برحلة علمية إلى منطقة الحجاز ليتعرف من خلالها على حياة المسلمين وحقيقة الدين الإسلامي في منبع الإسلام والتعمق في دراسة اللغة العربية وآدابها والوقوف على غوامضها في موطنها الأصلي لأن ذلك سوف يساعده على فهم هذه

الموضوعات وتدريسها بطريقة سليمة وصحيحة لأن كل ما درسه عن الإسلام واللغة العربية كان من خلال ما كتب عنها في كتب عربية أو أجنبية متنوعة .

وقد تحقق له ما كان يعتزم القيام به ، ففي أوائل شهر أغسطس من عام ١٨٨٤ تمكن من الوصول إلى مدينة جدة فمكث فيها حتى شهر فبراير عام ١٨٨٥ بعدها تسلل إلى مكة المكرمة تحت اسم مستعار حيث سمى نفسه (عبد الغفار) وقد بقي في مكة حتى أغسطس عام ١٨٨٥ .

وفي مكة كان يحضر حلقات العلم في المسجد الحرام ويكتب عن كل صغيرة أو كبيرة يدور فيها ولم يكتف بذلك بل إنه فى الوقت نفسه أصبح طالباً من طلاب العلم يدرس الدين الإسلامى واللغة العربية بمختلف فروعها وينتقل من حلقة إلى أخرى حتى انه جمع مادة ممتازة عن الناحية الثقافية في المدينة الاسلامية المقدسة .

وعندما علمت السلطات العثمانية عن وجوده بمكة أثر اخبارية وصلت إليها من القنصل الفرنسي في جدة المسيو دى لوستالوت فإنها قامت باخراجه من الحجاز بعد أن زودته بأربعة جمال لحمل أثقاله إلى جدة والتي منها سافر بالباخرة إلى هولندا .

وفي عام ١٨٨٩ عين مستشاراً حكومياً للشؤون الشرقية والإسلامية وبعد إحالة أستاذه البرفسور دي خويا إلى التقاعد في عام ١٩٠٦ عين الدكتور سنوك هورغروني أستاذاً للدراسات العربية في جامعة ليدن وقد بقي في هذا المنصب حتى أحيل إلى التقاعد في عام ١٩٢٧ حيث خلفه على هذا المنصب البرفسور أ.ح . فينسينك مؤلف « فهرس الأحاديث النبوية » ولم يلبث سنوك هورغروني طويلا حيث توفى ٢٦ يونيه ١٩٣٦ بعد عمر طويل قضاه في دراسة الدين والحضارة الإسلامية واللغة العربية محاولا بذلك أن يضطلع بهذه الدراسة وقد استفاد فعلامن رحلته هذه وسجل لنا معلومات وافية عن هذه المنطقة مع أنها لا تخلو من التعصب والتحيز ضد الإسلام في بعض الأحيان لذا يجب علينا أن نأخذها بحذر ــ وخلال حياته ألف عدة مؤلفات كتبها بلغات متعددة أهمها الهولندية والألمانية والانجليزية مما زاد من الاهتمام بالدين الإسلامى واللغة العربية بين شعوب تكاد تجهل تاريخ وأهمية هــذه

المنطقة وأهم مؤلفاته عن تاريخ الجزيرة بصورة خاصة وعن الإسلام بصورة عامة والتي سوف نذكرها هنا على سبيل المثال لا الحصر هي : —

١ — مكة « Mekka » . وقد كتبه باللغة الألمانية فى مجلدين كبيرين طبع في مدينة لاهاى بين عامي ١٨٨٨ — ١٨٨٩ وقد ترجم المجلد الثاني إلى اللغة الانجليزية تحت عنوان : مكة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وقد قام بالترجمة — هـ موناهان « Monohan » القنصل البريطاني في جدة آنذاك وطبعت الترجمة لأول مرة فى عام ١٩٣١ فى مدينة ليدن ويعتبر كتابه هذا كتاباً مهماً حيث أنه يتطرق نواحي مهمة جداً في تاريخ المدينة المقدسة كما أنه اعتمد عليه أكثر من كتب عن تاريخ مكة وخاصة في هذه الفترة.

٢ — مقالات وأبحاث لسنوك هورغروني :

Verspreiae Geschriftcn Ven C. Snouck-Hurorje.

وقد صدر هذا الكتاب في ستة مجلدات طبعت في مدينتي بون وليدن في الفترة الواقعة بين عام ١٩٢٣ إلى ١٩٢٧ ويحتوي هذا الكتاب على دراسات إسلامية وعربية متنوعة مثل : مركز الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية ، والشعوب العربية والاسلامية ، لغتهم ، عاداتهم ، وآدابهم كما أنه يتطرق أيضاً النواحي السياسية في المنطقة العربية في فترات مختلفة وغير ذلك من أبحاث كما أن أحد مجلدات هذا الكتاب يحتوي على دراسة الأمثال والحكم الحجازية جمعها سنوك هورغورني خلال إقامته في الحجاز وأضاف إليها إضافات عديدة ودراسات متنوعة وقد سماه .

Mekkenische Sprichworter unf Bedensurten.

وهذا المجلد يعتبر دراسة للغة العربية واللهجات في الحجاز في تلك الفترة.

٣ — الإسلام في أندونيسيا :

De Islam in Nederjandsch Indie.

وقد طبع هذا الكتاب في مدينة ليدن في عام ١٩١٣ وهو دراسة ممتازة عن حياة المسلمين في أندونيسيا والتي كانت تحت السيطرة الهولندية في تلك الفترة.

٤ — مختارات من كتابات سنوك هورغورني — كتب باللغتين الانجليزية والفرنسية أصدرها كل من ج — هـ — بوسكويت ، وج شخت ليدن ١٩٥٧.

٥ – الإســـلام : ISLAM

كتاب صغير كتبه سنوك هورغروني وطبع في عام ١٩١٢ في ليدن . وفي هذا الكتاب يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله وانتشار الإسلام وأن الإسلام لم يكن انتشاره لأسباب اقتصادية كما كان يروجه كثير من المستشرقين وإنما يرجع ذلك إلى شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وإلى ما جاء به الإسلام من تصحيح وتنظيم للحياة في مختلف جوانبها .

ويهمنا هنا أن نقدم دراسة مختصرة لكتبه التي تبحث في تاريخ الجزيرة العربية وأهمها : كتاب مكة (MEKKA) وكما أشرنا سابقاً أن هذا الكتاب يحتوي على مجلدين كبيرين . ويشمل المجلد الأول على دراسة مفصلة لتاريخ مكة وحكامها . وقد قسمه المؤلف إلى أربعة أقسام :

١ – الموقع الجغرافي لمكة : وفيه (؟) وافية عن موقع مكة الجغرافي .

٢ – مكة في العهد الاسلامي الأول : ويتحدث الكاتب في هذا القسم عن انتشار الإسلام وحكومة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والنظم الإسلامية الجديدة للنواحي الاجتماعية والاقتصادية والإدارية ونشأة العلوم الإسلامية ونحو ذلك .

٣ – تسلسل تاريخي لأهم الأحداث بمكة وعلاقة الحجاز بنجد وخاصة بعد قيام الدولة السعودية الأولى في نجد على يد الإمام محمد بن سعود وما تبع ذلك من أحداث .

٤ – مكة من عام ١٧٧٨ إلى عام ١٨٨٧ وهي السنة التي انتهى فيها من إعداد كتابه هذا . كما أن هذا المجلد يحتوي على شجرة أنساب حكام [مكة] وفترة حكم كل واحد منهم كما يشمل المجلد الأول على تفصيل كامل لمحتويات المجلد الأول والثاني وقد كان المجلد عبارة عن مقدمة للمجلد الثاني والذي فيه يتحدث باسهاب عن ما شاهده أو سمعه في مكة خلال إقامته بها (أغسطس عام ١٨٨٤ إلى أغسطس عام ١٨٨٥) .

ويشمل المجلد الثانى على أربعة أقسام أيضاً وهي :

١ – الحياة العامة في مكة : وتشمل الإدارة ، وحياة السكان

وما يزاولونه من أعمال تجارية وحرف متنوعة أو ما يقدمونه لخدمة الحجاج وهنا يتحدث بإسهاب عن المطوفين بمكة . فيقول: إن المطوف كان يقوم هو وأفراد أسرته بشؤون الحجاج وخدمتهم منذ وصولهم إلى جدة حتى عودتهم وإن كل مطوف يختص بخدمة نوع من الحجاج فهناك مطوفون للعراقيين ، وآخرون للمصريين ، وغيرهم لأهل الشام وأيضاً للأتراك ، والجاوة ، والهنود وغير ذلك . ويقوم المطوف باستضافة حجاجه وخدمتهم وأخذهم إلى الحرم الشريف والمشاعر المقدسة حتى يؤدوا مناسكهم على أحسن وجه . ثم يستطرق إلى الخدمات الأخرى مثل الباعة والصرافين وأصحاب البيوت والشقق الذين يؤجرونها بأثاثها خلال الموسم .

كما أنه يتحدث عن الأحداث التي حدثت في مكة خلال إقامته هناك وعن أشكال المنازل بمكة والحالة الصحية بها ، وأماكن الزيارة بمكة .

٢ ــ الحياة العائلية وبناء الأسرة ويشمل ذلك مراسيم الزواج من خطبة ومهر ومكانة المرأة في الحجاز ، وكذلك يتحدث عن مراسيم أخرى كالمتبعة في حالات التسمية والختانة وما شابه ذلك من أعياد واحتفالات دينية وكذلك في أيام الحزن ودفن الميت وغير ذلك .

٣ ــ العلوم والثقافة في المدينة المقدسة : وفي هذا الفصل الذي يزيد على الخمسين صفحة يتحدث الكاتب عن الكاتيب وطرق التدريس فيها وخاصة تدريس القرآن الكريم كما أنه يقدم دراسة ممتازة عن تاريخ العلوم الإسلامية والعربية والعلوم الأخرى التي كانت تدرس في المسجد الحرام بمكة ونظام التدريس في الحرم المكي الشريف ومركز شيخ العلماء وغيره من العلماء والمواطنين ومقدار الإعانات المخصصة لهم من الدولة العثمانية كما أنه يتحدث عن المدارس وغيرها من المؤسسات العلمية المختلفة فهو يقول : إن الدراسة في المسجد الحرام تتم على شكل حلقات تعقد بعد كل صلاة وكانت الدولة العثمانية تصرف مرتبات سنوية للعلماء الذين يقومون بالتدريس في هذه الحلقات وهم فى الغالب من أهل الحجاز وبينهم أئمة من المغاربة والهنود والجاوة والبخارية . ومن البلاد الخاضعة للدولة العثمانية ويورد هنا معلومات وافية عن حلقات التدريس وطلبتها ، والعلوم التي

تدرس فيها وأوقات كل منها بالتحديد والقواعد والتنظيمات المرعية فيها وغير ذلك مما لا يمكن إيراده بالتفصيل في هذا المجال .

٤ ــ السكان في مكة : وفي هذا الفصل يتحدث باسهاب عن السكان وأجناسهم ، وقد طبع المجلد الأول في عام ١٨٨٨ والثاني في عام ١٨٨٩ . ويحتوى الكتاب على ستة ملاحق ضمن خمسة منها في المجلد الأول وقد كتبت باللغة العربية مع ترجمة لأربعة منها باللغة الألمانية وهي ملاحق مهمة تمثل وثائق تاريخية أولية عن تاريخ المنطقة استمدها الكاتب من تقارير الدولة وكتابات نادرة من ذلك العهد . أما الملحق السادس والذى يوجد في المجلد الثاني فيشمل على أناشيد شعبية اعتاد أن يرددها سكان مكة في مناسباتهم المتعددة وخاصة فى مناسبة الزواج . ويوجد أيضاً فى نهاية المجلد الثاني خريطة لمكة أخذها عن بورك هاردت » .

ولكنه وضع بعض التصحيحات عليها وكذلك خريطة للمسجد الحرام في تلك الفترة .

أما الترجمة للمجلد الثاني فتحتوي أيضاً على فهرس كامل للاعلام والأماكن المشهورة التي وردت في تلك المجلد والتي هي من مجهودات المترجم كما أنه يشمل على مجموعة ممتازة من الصور الفوتوغرافية عن مباني مكة والمسجد الحرام وأعيان مكة وبعض ما يستخدمه السكان في مكة في حياتهم اليومية وكذلك صور الحجاج .

من هذا يتضح للقارئ الكريم أن في كتاب سنوك هورغروني هذا دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية لمكة المكرمة كما أن ماكتبه عن الناحية الثقافية في مكة المكرمة يعتبر فريداً في نوعه حيث أنه أظهر أن المسجد الحرام كان بمثابة الجامعة يفد إليها المسلمون من كل حدب وصوب لتعلم الدين الاسلامي واللغة العربية على أيدي علماء أفاضل كان لهم الفضل في المحافظة على مكانة مكة المكرمة كمركز إشعاع تشع منه مختلف الدراسات الاسلامية والعربية إلى كافة أنحاء المعمورة ، كما أنه على الرغم من أن كثيرا من الكتب التي كتبها عدد من الكتاب المستشرقين وغيرهم قد

ترجم معظمها إلى اللغة العربية وخاصة خـــلال السنوات العشرين الماضية مما مكن كثيرين من الـــكتاب من الاستفادة منها [1] .. حيث أن كتاب سنوك هورغروني عن تاريخ مكة بالذات قـــد ترجم الجزء الثاني منه إلى اللغة الانجليزية وحبـــذا لو ترجم في المستقبل القريب إلى اللغة العربية لأن هذه الترجمة سوف تعطي دراسة مفيدة لتاريخ المنطقة في تلك الفترة وخاصة مايتعلق منها بالناحية الثقافية في مكة المكرمة . على أنه يجب أن نضع في الاعتبار أننا عندما ندرس هـــذا الـــكتاب فإنه لايخلو من الدس على الاسلام وعدم فهمه الفهم الصحيح والعميق ويجب أيضاً أن نكون حذرين فى قبول كل مايسجله لنا من معلومات عن منطقة الحجاز في كتابه آنف الذكر وأعتقد أن هذا هو واجب المؤرخ كما هـــذا لا يمنع تماماً من دراسة الـــكتاب واعتباره من المصادر التي كتب عن هذه المنطقة ومحاولة تصحيح مالايتفق مع الحقيقة أو ما سجل عن غير فهم لأن رسالة ندوة تاريخ الجزيرة العربية رسالة عظيمة تهدف إلى تقديم دراسة سليمة وصحيحة عن تاريخ الجزيرة العربية كموطن للعروبة ومنبع لرسالة الاسلام الخالدة .

ثانيـــا ــ كتاب الأمثال والحكم فى الحجاز :

وهـــذا الـــكتاب هو كما ذكرنا أعـــلاه أحـــد المجلدات الستة التي كانت عبـــارة عن مقالات وأبحاث كاتبها سنوك هورغروني عن الأسلام والشعوب العربية والاسلامية ويعتبر هذا الـــكتاب دراسة جيدة للأمثال واللهجات في منطقة الحجاز عامة وفي مكة خاصة على أنه لايخلو من تحامل في كثير من الأحيان . وقد طبع هـــذا الـــكتاب في ليدن ضمن السلسلة التي ذكرناها أعـــلاه وذلك عام ١٩٢٥ م .

د : عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

(١) لمعرفة عدد الكتب المترجمة للغة العربية من مختلف اللغات انظر

Inax (???) (Paris)

وقد صدر من هذا الكتاب أكثر من ٢٤ مجلداً حتى الآن .

مؤلفات الجرموزي عن الدولة القاسمية

ولد المطهر بن محمد الجرموزى في جمادى الآخرة سنة ١٠٠٣هـ وتوفى في ذي الحجة ١٠٧٧هـ[١] ويبدو أن مطولات التراجم اليمنية قد أغفلته فهو لم يظهر فى مطلع البدور ومجمع البحور لصديقه القاضي أحمد بن صالح ابن أبى الرجال . وأظن أن الأخير لم يترجم إلا للذين تفقهوا في مذهب الزيدية . هذا بالرغم من أن صفة العلامة للجرموزى قد ظهرت بعد العنوان في كتابه الجوهرة المضيئة . كما أن محمد بن على الشوكاني لم يترجم له في كتابه البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . وإنما هناك تعليق لنسابة اليمن ومؤرخها السيد محمد بن محمد زبارة في هامش البدر الطالع جـ٢ ص ١٨٣ توضيحاً لما كتبه الشوكاني عن ابن المطهر الجرموزى جعفر — مرددا ماقاله المؤرخ والمعاصر للمطهر الجرموزى يحيى بن الحسين ابن القاسم في تاريخه بهجة الزمن . من أن المطهر كان متوليا لبلاد عُتْمَةَ من أول دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم من عند استفتاحه لها ، واستمر المذكور متوليا لها إلى تاريخ وفاته فى سادس شهر الحجة١٠٧٦هـ[٢]

غير أن هناك ترجمة قصيرة له أوردها محمد المحبي في الجزء الرابع من كتابه خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر ص ٤٠٦ ، نقلا عن القاضي حسين المهلا ويبدو أن هذه الترجمة فى كتاب الأخير بعنوان النفحة حيث ذكر أن المطهر الجرموزي كان من أعيان الدهر وأفراد العصر علما وعملا . ونباهة وفضلا . كما ذكر أن له التاريخ الذى جمع فيه أحوال الأئمة الثلاثة : الإمام القاسم وولديه محمد المؤيد ، واسماعيل المتوكل الذي ذكر فيه كثيراً من وقائعهم . وسيرهم وأحوالهم ومكاتباتهم ، وقد أتت

---

(١) المحبى : محمد ، خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر حـ ٤ ص٤٠٦ بيروت .

(٢) الشوكانى ، محمد بن على ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع حـ ١ ص ١٨٣ القاهرة ١٣٤٨ هـ يوجد هنا فرق سنة فى حياة الجرموزى فيما دونه المهلأ ويحى بن الحسن .

معرفة المهلا للجرموزي من أن الأخير كان صديقاً لوالده ، ودارت بينهما مراسلات ، كما أن المترجم كان صديقاً لأولاد المطهر ولذلك فقد ترجم لهم في كتابه النفحة كأدباء [٣] .

غير أن المتتبع لمؤلف الجرموزي الثاني وهو الجوهرة المضيئة ، وهو سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم يجد أنه ذكر كثيراً عن نفسه كمستشار للأمام المؤيد وكحاكم لأقاليم عتمة . وكذلك نجد أنه يتحدث عن نفسه في مؤلفه الثالث سيرة الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم كمتصل بالامام فهو يقول : وفي العام المذكور أراد الأمام عليه السلام كما أخبرني بذلك مكاشفة وشفاها للتقدم إلى محروس شهارة لموجبات أعظمها وأعمقها معاهدة تلك المعاهد المحروسة والمحال المأنوسة [٤] .

قيام الدولة القاسمية :

بعد قتل السلطان قنصوه الغوري في مرج دابق سنة ٩٢٣ هـ -١٥١٧ م على يد السلطان سليم الأول العثماني ، أصبح الأخير وريث ممتلكات دولة المماليك الجراكسة ، ولذلك فقد اتجهت أنظاره نحو اليمن لأن القوات الجركسية تحتله في ذلك الوقت منذ سنة ٩٢١هـ - ١٥١٥ م في حملة قام بها حسين الكردي قائد الأسطول المملوكي ، وقد استطاع العثمانيون القضاء على بقية الجراكسة سنة ٩٤٥هـ - ١٥٣٨ م حينما تمكن سليمان الخادم من قتل الناخوذه أحمد آخر حاكم جركسي أثناء حفل أقيم للأخير في مدينة المخا [٥] .

وبعد القضاء على الجراكسة في اليمن دخل العثمانيون في حرب شديدة مع الأمام شرف الدين ثم مع أبنه المظهر إلى أن تمكن العثمانيون من القضاء على حكم الأئمة الزيدية سنة ٩٩٤هـ - ١٥٨٥م حينما استطاعوا القبض على خلفاء

---

(٣) المحبى ، محمد أمين خلاصة الأثر حـ ٤ ص ٤٠٦ .

(٤) الجرموزى ، المطهر بن محمد : سيرة الامام المتوكل على الله اسماعيل ص ٦٣ .

(٥) النهروالى ، قطب الدين البرق اليمانى فى الفتح العثمانى ص ٨٥ الرياض سنة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧ .

الامام المطهر – وهم أولاده – وارسالهم إلى القسطنطينية ليوضعوا تحت مراقبة سلاطين آل عثمان [٦] .

وقد ظن الأتراك العثمانيون أن هذا القبض على زعماء الزيدية في اليمن قد أنهى المشكلة ، وأن احتلالهم لهـذا القطر العربي سيدوم طويلا ، غير أنه لم يدر بخلدهم أنه سيظهر أئمة آخرون على مسرح المقاومة فكان أولهم الإمام المنصور القاسم بن محمد بن على سنة ٩٦٧هـ١٠٢٩هـ الذى اقترنت باسمه الدولة القاسمية منذ قيامها سنة ١٠٠٦هـ وذلك حينما قام بثورته ضد الأتراك العثمانيين في ذلك التاريخ واستمرت إلى سنة ١٠٢٨هـ بعدها عقد معهم هدنة .

واستمرت هذه الهدنة لمدة سنة فقط فى حياته توفي بعدها في سنة ١٠٢٩هـ فتولى ابنه الإمام المؤيد محمد بن القاسم ٩٩٠هـ – ١٠٥٤ الإمامة ، فاحترم تلك المعاهدة ، إلا أنها انتقضت في سنة ١٠٣٦هـ حينما قتل الأتراك في صنعاء أحد قضائه ظنا منهم أنه كان يقوم بدعاية لإمامه في هذه المدينة والواقعة تحت سيطرتهم فقام الإمام بثورة عارمة ضدهم ، فكان معتمداً على مساعدة إخوانه والقبائل الزيدية الشديدة البأس ، فتمكن من طردهم سنة ١٠٤٥هـ .

أما الإمام الثالث في الدولة القاسمية والذي سنتعرض له هنا ، فهو المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم « سنة ١٠٥٤ – ١٠٨٧هـ ، وهو أحد عظمائها . كان عالما بأصول مذهب الزيدية وفروعه ولم تقف علومه عند مذهب الزيدية وإنما تعداه فأخذ يقرأ كتب الحديث التي رويت عن طريق أهل السنة ، وله عدة مؤلفات توجد في مكتبة الحكومة الألمانية في برلين ومكتبة الامبروزيانا في ميلان في إيطاليا ، وقد اقترن اسمه بتوسعاته في اليمن الجنوبي كما سنبين ذلك فيما يأتي .

---

(٦) يحيى ابن الحسين بن القاسم غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى : القسم الثانى ص ٧٦٤ القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ .

المطهر الجرموزى يؤلف ثلاث سير لحياة الثلاثة الأئمة ومحتوياتها :

تعرض كثير من المؤرخين اليمنيين لتاريخ الدولة القاسمية وأخبارها وما وقع فيها من الأحداث . وخاصة في فترة حكم هؤلاء الأئمة الثلاثة العظماء السالفي الذكر ومن بين هؤلاء المؤرخين السيد المطهر بن محمد الجرموزي الذي أفرد لكل واحد منهم مؤلفا خاصا دون فيه أخبار الإمام المترجم له ، وما حدث في اليمن في عصره .

وأول هذه المؤلفات هو « النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة في أخبار .. المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد بن علي » هذه النسخة توجد في مكتبة المتحف البريطاني رقم ٥٤.٣٣٢٩ . وكان الدافع إلى تأليف هذا الكتاب كما ذكر الجرموزي أنه قد سمع الكثير من أخبار هذا الإمام إلا أن النسيان قد أخذ على كثير منها ، ولذلك أخذ يدون ماوصل إليه من معلومات ثم وضعها في هذا الكتاب .

بدأ المؤلف بمقدمة للمواضيع التي سيكتب عنها ، ثم تطرق إلى نسب الإمام إلى أن أوصله إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونشأته وخصائصه و صفاته الأخرى كالشجاعة والعلم والورع والصبر .

كما تضمن هذا المؤلف العديد من الرسائل التي أرسلها الإمام إلى الأفراد والمجموعات أو الاجابة عليه . وكذلك العهود وهى عبارة عن تعيينات لأشخاص مهمتهم تولي الحكم في بعض الأقاليم من قبل الإمام . ومن قراءة الرسائل والعهود نجد آراء الإمام القاسم السياسية في أن أمور الحكم لاتكون إلا في أهل البيت ، وهذه النظرية هى أحد معتقدات الزيدية إذ أنه من الواجب أن يكون الإمام المتولي للسلطة منحدرا من أولاد الحسن أو الحسين ابنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في أي مكان وأي زمان إذا شهر سيفه مثل الإمام زيد بن على في ثورته ضد هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ ، وأن يكون فقيهاً لأن زيد بن على كان فقيها .

وبما أن للشعر أهمية كبرى في ذلك الوقت فقد دون الجرموزي الكثير من القصائد للامام نفسه ومن أخصها القصيدة ضد التصوف والصوفية وهي

بعنوان « الكامل المتدارك لبيان مذهب المتصوف الهالك » وقد رد عليها السيد محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين بأمر سنان باشا ، كما يوجد الكثير من قصائد المدح وخاصة بعد الإنتصارات أو قصائد الرثاء بعد الهزائم أو موت أحد المقربين من الإمام كابنه علي وعمه عامر بن علي الذين قتلهم الأتراك ، وقد سلخوا جلد عامر وحشوه تبنا ليتألم الإمام القاسم نفسيا من هذا العمل ومن ثم تصبح هزيمته عسكريا سهلة ، ويوجد أيضاً كثير من قصائد الرثاء في الإمام القاسم الذي مات سنة ١٠٢٩هـ .

وقد ترجم الجرموزي في هذا المؤلف لأربع طبقات من الرجال : هم علماء عصر الإمام من أهل البيت وهم طبقتان : الأولى الذين أيدوه ومن هو في عصره ، والطبقة الثانية منهم الذين تفقهوا في أيام خلافته ولحقوا بالطبقة الأولى في اتباع طريقته .

وأما الطبقتان الأخريان فهم أكابر شيعة الإمام : الأولى الذين ايدوه في عصره والثانية الذين تفقهوا في خلافته ثم تداركوا الطبقة الأولى واتبعوهم في تأييد الإمام .

وأخذت أخبار ثورة الإمام القاسم الجزء الأكبر من هذا المؤلف حيث يوجد تفصيل شامل لمقدمات الثورة . وفي أثنائها إلى عقد الهدنة سنة ١٠٢٨هـ ، وكانت هذه الثورة على أربع فترات : الأولى من بدء دعوة الإمام إلى خروجه من شهارة إلى برط والثانية من خروجه من برط إلى انعقاد الصلح بينه وبين سنان ثم جعفر باشا ، والثالثة من خروجه على جعفر باشا بعد موت ابراهيم باشا ، والرابعة خروجه على محمد باشا ثم الهدنة سنة ١٠٢٨هـ .

ولم يغفل الجرموزي عن ذكر اصلاحات الإمام القاسم من بناء المدارس والمساجد أو إصلاح الوديان وشق القنوات لتجرى فيها المياه المستخرجة من الينابيع .

اعتمد الجرموزي في مؤلفه هذا على كتابات من سبقه من المؤلفين عن الإمام القاسم كالسيد أحمد بن محمد الشرفي في الجزء الثالث من كتابه

اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية[٧] وقد كان الشرق أحد حكام الأقاليم في اليمن من قبل الإمام . كما اشترك معه في الثورة ضد الأتراك ، وكذلك اعتمد الجرموزي أيضاً على ماكتبه السيد عيسى بن لطف الله وأظنه في كتابه روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح(٨) فنجده كثيراً مايقول وذكر السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي أو قال السيد عيسى بن لطف الله ولتجميع المعلومات لهذا الكتاب اتصل أيضاً بالكثير من الرجال الذين كانوا يشاهدون الوقائع كوالده والإمام المؤيد محمد بن القاسم وغيرهم من القادة العسكريين أو الذين عاشوا مع الإمام فهو مثلا يقول : « وأخبرني والدي » أو « لنرجع إلى رواية الشيخ ناصر بن عبد الملك » وهو قد يذكر للرواية عدة أشخاص أو يقول : ونقلت من رسائل الامام القاسم التي جمعها أبنه الامام المؤيد محمد ، وقال في موضع آخر : وأما دعوته وحروبه وطرف من سيرته فمما أخبرني الثقة من جماعة من أصحابه أو وسمعت من القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين في مجلس القراءة في الحضرة الشريفة الإمامية حضرة الإمام المؤيد بالله أنه بعد دخوله حدود العصيمات ..

وقد ألف الجرموزي كتابه هذا بعد وفاة الإمام بفترة طويلة أذ أن عمره في سنة الوفاة في ١٠٢٩ سبع وعشرون سنة ، وفي آخر الكتاب دلالة على أن الفراغ من تأليفه كان سنة ١٠٦٤هـ .

أما المؤلف الثاني للمطهر الجرموزي فهو « الجوهرة المضيئة في تاريخ الخلافة المؤيدية » هذه النسخة في مكتبة الحكومة الألمانية فى برلين ، ضمن مجموعة جلازر رقم ١٤٧ ، ويبدو واضحاً أنها مسودة المؤرخ نفسه لأنه يوجد فيها تقطع في ترتيب المعلومات ، واختلاف في الخطوط فلم تكن على نسق واحد .

---

(٧) توجد نسخة من الجزء الثالث من اللالىء المضيئة للشرفى مكتبة امبروزيانا فى ميلان رقم C lol Arabo

(٨) توجد نسخة من روح الروح لعيسى بن لطف الله فى مكتبة المتحف البريطانى رقم ٤٥٨٣ OR

تولى الإمام المؤيد محمد بن القاسم الامامة بعـــد وفاة أبيه سنة ١٠٢٩هـ وأجمع العلماء من السادة والشيعة على مبايعته كما ذكر ذلك الجرموزي الذي كان حاضراً احتفالات تولى الحكم ، وقد عقب على ذلك بقوله : « ولقد رأيت في تلك الأيام عجباً » .

وقد تطرق الجرموزي إلى صفات الامام المتعددة كالـــكرم ، والرفق بالناس ، والبعد عن قرناء السوء منذ صغره ، وشجاعته ، وورعة وكرم أخلاقه ، وصبره ومرؤته ، ثم انتقل إلى وصف حياته العلمية كطالب ومدرس في حياة والده وأثناء أمامته وأخيراً كمؤلف .

ويضم هـــذا المؤلف بين دفتيه كثيراً من القصائد التي قيلت في مختلف المناسبات من مدح الإمام أو مدح الأبطال الذين انتصروا على أعـــداء الأمـــام كالأتراك أو الخارجين عليه من غيرهم أو في رثاء أحـــد من البارزين من أقاربه وغيرهم .

وقد أخذت ثورة الامام المؤيد ضد الأتراك الجزء الأكبر من هـــذا المؤلف والتي استمرت من سنة ١٠٣٦هـ إلى طرد هم على يديه سنة ١٠٤٥هـ . وقـــد أعـــان الإمام في حروبه هذه إخوته الحسن والحسين وأحمد واسماعيل تعضدهم القبائل الزيدية ، كما أنه حوى الـــكثير من ثورات المغامرين في اليمن وعلى رأسها تلك الثورتين اللتين قام بهما أحمد بن الحسن بن القاسم والملقب في حضرموت بسيل الليل ، ثم بالإمام المهدي أخيراً من سنة١٠٨٧ إلى سنة ١٠٩٢هـ وكان الأخير ابن شقيق الإمام وقـــد غاضب عمه لعـــدم إعطائه مناطق نفوذ والده الحسن المتوفى سنة ١٠٤٨هـ ، كما أن الجرموزى تطرق فى هذا المؤلف أيضاً للصراع الذى دار بين الإمام المتوكل على الله اسماعيل وأخيه أحمد على تولى الإمامة في اليمن بعـــد موت أخيهم الإمام المؤيد محمد سنة ١٠٥٤ هـ .

وقد تخلل الكتاب الكثير من رسائل الامام وعهوده المرسلة إلى الأشخاص والجماعات في اليمن وخارجه والتي ضمنها نصائحه وآراءه في سياسة الحكم .

وترجم الجرموزي في مؤلفه هـــذا لست طبقات من الرجال وهم

طبقتا نمن علماء أهل البيت فالأولى التي عاصرت والده ثم عاصرت الامام المؤيد نفسه ، والطبقة الثانية الذين تفقهوا في زمانه ثم والوه ، ثم طبقتان أخريان وهم الشيعة وتنطبق أوصافهم على مافى الطبقتين الأولى(؟) أما الطبقة الخامسة والتى ترجم لها الجرموزي فهم علماء الشافعية من القائلين بإمامة المؤيد محمد وأخيراً ترجم للطبقة السادسة وهم الأمراء الذين تولوا الحكم فى المناطق لمختلفة في اليمن أو الذين اشتركوا في القتال ضد الأتراك أو ضد الخارجين على سلطة الامام من المغامرين اليمنين ، ثم ختم هـذا الـكتاب بذكر أولاد وبنات الامام المؤيد محمد بن القاسم .

ويوجد الجزء الثاني من هـذا المؤلف في مكتبة الاميروزيانا في ميلان رقم Arabo ٧٣٠٥ A ١١٥ A بعنوان « الجزء الثانى من سيرة مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله ابن المنصور بالله » وقد ظهر هذا الجزء أكثر وضوحاً وترتيباً من الجوهرة المضيئة، غير أن المؤلف حذف منه طبقات الرجال الست الذين عاصروا الإمام المؤيد والذين ذكرهم في الجوهرة المضيئة .

جمع المطهر الجرموزي مؤلفه هذا من ملاحظاته الشخصية فهو كان احد مستشاري الإمام ومعاونيه ، والمتتبع للحوادث في هـذا المؤلف يرى ذلك فهو في موضع مثلا يقول : « وفي هـذا العـام في شهر القعدة أمرني وغيري ممن وجهه — كما بلغنى — بالبقاء وأن اكمل العمل حتى يأتى رأيه الكريم » كما أن المؤلف كان حاكماً فى إقليم عتمة ، فهو على اتصال بالامام أو برجال القصر ، فنراه يقول : « وأخبرنى أن الامام أخبره ، وأخبرنى أصحابه الذين معه » وأخبرني مولانا الحسن » وكان الأخير شقيق الامام والقائد العام لجيشه أثناء الثورة ضد الأتراك .

أما المؤلف الثالث الذي كتبه المطهر الجرموزى فظهر تحت عنـوان « سيرة الامام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن المنصور » وهذه النسخة توجد فى مكتبة الفاتكان رقم ٩٧١ وهي التي اعتمدنا عليها في دراستنا هـذه ، غير أنه لم يظهر هـذا العنوان على الـكتاب ، ولربما أن الأستاذ . Deila Vida . G. L قـد وضع هـذا العنوان عندما أسند إليه تأليف

فهرست المخطوطات الاسلامية والموجودة في مكتبة الفاتكان في روما(٩). وقد ظهر عنوان آخر لنفس الكتاب وهو « نزهة الاسماع والأبصار بما السيرة المتوكلية من الأخبار » وهذه النسخة موجودة في مكتبة الشعب في المكلا في حضرموت (١٠) .

ويبدو أن نسخة الفاتكان هي مسودة المؤلف غير أنه لاتوجد ثغرات كثيرة ، كما أن الخط واضح ومتناسق . ولم تظهر هنا حياة الإمام الأولى ولا فترة شبابه ، ولا الكيفية التي وصل بها إلى الحكم ، ولربما أن المؤلف اكتفي بما دونه عنه في مؤلفه الجوهرة المضيئة حينما تطرق إلى الصراع على الإمامة بينه وبين أخيه أحمد بن القاسم .

بدأ المؤلف سيرة الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم سنة١٠٥٤هـ إلى ١٠٨٧هـ بتوسعات الأخير في الحدود الشرقية لليمن (اليمن الجنوبي حاليا) فقوى من قبضته على لحج وعدن سنة ١٠٥٥ هـ ، وكان الأمير عبد القادر حاكم أبين قد استولى على المنطقتين بعد طرده للأتراك باسم الإمام المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٣٦ هـ ، وبقيت سيطرة الأخير اسمية إلى أن انتزعها الأمام المتوكل على الله اسماعيل فى التاريخ السابق من الأمير حسين ابن عبد القادر ، ولم يقف الإمام عند هذا الحد وإنما أنتزع منه مقاطعة أبين فأصبح الأمير طريد شريدا بدون مأوى .

وبعد هذا الاستيلاء أخذ الإمام ومستشاروه في اليمن يراقبون الفرصة المواتية لاحتلال بقية أجزاء اليمن الجنوبي ، وقد حانت تلك الفرصة سنة ١٠٦٥هـ عندما تمكن الجيش اليمني بقيادة أحمد بن الحسن بن القاسم (سيل الليل) من هزيمة أحزاب اليمن الجنوبي في نجد السلف بقيادة حسين الرصاص ، ونتيجة لهذه الهزيمة فقد خضع إقليم يافع ، وأرض الرصاص ، وأرض الفضلي والواحدي للامام ، وما إن أتت سنة ١٠٧٠هـ

(٩) Della Vida.G, L. Elenco Die Manoscritıl Arabi Islamici Della Biblieteca Vaticana. Rome,1935'

(١٠) الحبشى ، عبدالاله محمد ، فهرست المخطوطات اليمنية فى حضر موت المحافظة الخامسة ، عدن ، ١٩٧٥ .

حتى تمكن الجيش اليمنى بقيادة أحمد بن الحسن أيضا من احتلال حضرموت ، ثم فى سنة ١٠٧٧ هـ خضع أقليم ظفار لحكم الأمام فى اليمن بعد أن تمكنت قواته من طرد حاكمه الـكثيرى .

وتطرق الجرموزي لـكل من الثورات التي قامت ضد الإمـام المتوكل على الله من أهالى اليمن الجنوبي بعـد احتـلال الجيش اليمنى لمناطقهم ، وللثورات المحلية في اليمن ، والتي قام بها ضد الإمام بعض المغامرين ومن بينهم من كان يرسل للامام الرسائل العلمية منتقداً سياسته في الحكم وقد دونها الجرموزى ني مؤلفه هـذا .

ويعتبر هـذا المؤلف سجلا حافلا لاعمال الامام الاصلاحية أو تحركاته داخـل اليمن ، كما ضم الـكثير من رسائله وعهوده التي أرسلها إلى كثير من الأفراد ، والحكام داخل وخارج اليمن ومن بينها يوجد عهد طريف ثبت فيه الامام حكم أحـد سلاطين الهند المسلمين ، ويدعي محمد أوزيك . كما دونت كثير من القصائد التي قيلت في مدح الإمام أو في بعض المناسبات .

وتعرض الجرموزي لذكر بعض الرحالة أو العلماء الذين وفدوا على الإمـام في اليمن ، ومن بينهم من زار الهند وأندونيسيا والقسطنطينية ، وقـد دون من أحدهم نظام التعليم في الدولة العثمانية ، كما دون أيضاً الرحلة التي قـام بها القاضي الحسن بن أحمد الحيمي من المخا إلى جوندار عاصمة الملك فاسلداس ملك الحبشة سنة ١٠٥٦هـ الذي ظن الامام أنه سيعتق الاسلام فأرسل له الحيمي يتلمس ذلك . ولـكن تبين أخيراً أنه يريد أن يقيم علاقات تجارية مع اليمن وخاصة بعد أن قطع صلته بأوربا بعـد طرد المسيحيين الـكاثوليك من الحبشة .

كما دون الجرموزي ارتفاع الأسعار أو ظهور بعض الآفات فهو يذكر أن ريحا شديدة هبت على ذمار سنة ١٠٥٦هـ وتساقطت النجوم سنة ١٠٦٠هـ ، كما ظهرت الجرذان بكثرة في أماكن متعـددة سنة١٠٦٨هـ

---

(١١) الجرموزى ، المطهر بن محمد ، سيرة المؤيد محمد بن القاسم ج ٢ ص ٣٢ أ ، ص ٣٢ب سيرة المتوكل على الله اسماعيل ص ٢١ أ – ص ٢١ ب .

مما تسبب عنه أكـــل المحاصيل الزراعية ، ونزول صاعقة على شهارة سنة ١٠٦٩ هـ وظهور الجراد سنة ١٠٧٠هـ .

اعتمد الجرموزي في تأليف هـــذا الـــكتاب على مشاهداته الخاصة أو من اتصالاته بالامام كحاكم لإقليم عتمة أو برجال القصر أو بالقادة العسكرين الذين كانوا يرسلون تقاريرهم أولا بأول عن نتائج المعارك أو باتصاله شخصيا بالذين شهدوا الحوادث فهو يقول مثلا : من ذلك ماأخبرني به القاضي العلامة شمس الدين وخلف السلف الراشدين أحمد بن صالح ابن أبي الرجال أطال الله بقاه » وكـــان هذا أحـــد قضاة الإمام المتصلين به على الدوام فهو يعرف الشئ الـــكثير مما يدور داخل الدولة . وقال في موضع آخر : قال القاضي شمس الاسلام أحمد بن صالح بن أبي الرجال أيده الله فيما كتبه إليّ : إنه حصل مع الأمام السرور وظهور النعمة.. بوصول مولانا الصفي « (أي أحمد بن الحسن) ، إلا أنه قـــد اعتمد أيضاً في تدوين بعض المعلومات على عامة الناس فاستحق أن يطلق عليه المثل القائل « حاطب ليل » فهو مثلا يذكر أن الإمام المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٤٠هـ أو سنة ١٠٤١ هـ قـــد أرسل البهال الأسرى إلى سلطان حضرموت ، وقـــد وصف الجرموزي هـــذا الرسول بأنه من حذاق العـــوام ، فدون عنه كلاماً سخيفاً عن العـــلامة السيد الحسين بن أبي بكر بن سالم عميد أسرة آل أبي بكر بن سالم في مدينة عينات – عندما زاره في منزله في التاريخ السالف الذكر ، وقـــد تولى هـــذا العميد خطة مقاومة توسعات الزيدية في اليمن الجنوبي مما حـــدى بالمطهر الجرموزي في أن يركز هجومه عليه في مؤلفاته .

وإذا ألقينا نظرة على مؤلفات المطهر الجرموزي نجد أن التعصب للأئمة الزيدية وأتباعهم واضح كل الوضوح وقـــد علل ذلك قائلا : « والله ولي العفو عن المقصرين في حقوق الأئمة الهادين ، نسأله القيام بحقه (أي الامام الذي يكتب عنه (وحقوقهم) أى الأئمة الآخرون » . وعلل أيضاً قائلا : « فالعقيدة ، صحيحة والحمد لله والمحبة للحق وأهله صريحة » ويعنى هنا بأهل الحق هم الأئمة وإتباعهم من الزيدية .

ونتيجة لهـذا التعصب الأعمى فأنه أخـذ يكيل اللعن والشتم لمن قـام ضد الامام من غير الزيدية ، فهو قـد حمـل على الأتراك حمله شعواء فلم تكن هناك مثلبة إلا وذكرها ، وكلما ذكر قائداً منهم قال لعنه الله إن كان حياً ، ولا رحمه الله إن كان قـد مات ، كما تهجم على السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري آخر سلاطين الدولة الطاهرية بقوله « الناصبي لعنه الله » وكان هـذا السلطان قد توسع في اليمن على حساب الأئمة مما حـدى بالمطهر الجرموزي في أن يلعنه حتى ولو كان تحت الثرى .

ولنر الآن ماذكره النهروالي في كتابه البرق اليماني في الفتح العثماني ص ٣٠ عن هذا السلطان مرددا مارثى به علامة اليمن ومسندها ومحدثها الشيخ وجه الدين عبد الرحمن الدبيع السلطان عامر بعد قتله على يد المماليك الجراكسة ليكون القارئ لمؤلفات المطهر الجرموزي على حذر مما يدونه فيها.

قال الدبيع شعرا :

أخلايَ ضـاع الدين من بعـد عامر
وبعـد أخيه[1] أعـدل النـاس في الناس

فمن فقد أخيـه (؟) بعـد صلاحه
من الأمن والسلـوان فى غاية اليـأس

وله فيه أيضاً :

تحطم من ركـن الصـلاة مشيـده
وقـوض من بنيـانه كـل عامر

فمـا صـالح فيـه يعـد صـلاحه
ولا عـامر والله بعـد عـامر

وقد عقب النهروالي قائلا : وفيه مراث كثيرة ، واستمر يرثي بعـد تطاول زمان وفاته أيضا ، بحيث أنني سمعت بعـد سنة أربعين وتسعمائة (أى بعد أكثر من مرور عشرين عاما على وفاته) وأهل اليمن ينعونه بمراثي جعل لها طرائق يغنون بها .

د: عبد الله بن حامد الحبيد

---

(١) كذا وفى « قرة العيون » للدبيع ص ٢٢٣ : (فمذ عدما والله ولله إننا) الخ « العرب »

فهـــارس السنـــة الحاديـة عشـــرة

١ ــ الكتـــاب والمعلقـــون والمؤلفـــون ٢ ــ الموضوعـات العامـــة
٣ ــ الأعـــــــــلام ٤ ــ الاسر والقبائل والجماعـات
٥ ــ الكتب والصحف والمجـلات ٦ ــ المواضـــــع
٧ ــ الشعـــــــر

أولاً: الكتاب والمعلقون والمؤلفون

حسن أحمد عاكش ٥١٧
حمد الجاسر ..... ٢ /١٨ /٧٢ /٩٥ /٣٠٥
/٣١٦/٣٥٠/٤٦٣/٤٦٨/٥١٦
/٦٢٢/٦٣٧/٧٠١/٧١٥/٧٢٧/٧٩٠/٨٠٥
سعد بن جنيدل ... ٣٩/١٩٧/٣٦٤/٤٧٤/٦٦٧/٧٩٥
د. سلمان الغنام ٨٣٤
د. صالح العمـرو ٨٨٩
د. عبد الرحمن الأنصاري ٨٧٣
عبدالقدوس الأنصاري ٨١٦
د. عبداللطيف بن دهيش ٩٤٨
د. عبدالله الحييد ٩٦٠
عبدالله بن خميس ٢٠٦/٦٤٩
د. عبدالله العثيمين ٨٦٢
د. عبدالله الوهيبي ٩٠٧
عثمان بن سيار ٦٣٩
د. علي جواد الطاهر ٤٢٣
عمر العمـــروي ٦٨٢
فيحان العنزي ٣٠
كرنكـو ٧٩٦
محمد العبودي ١٦٦/٦٢٨/٦٦١
مرتضـــى الزبيـــدي ١١٤
(ألويس) موزل ٩٦/٢٠٦
د. ناصر الرشيد ٩٤١
الوزير المغربي ٤٥٦

ثانيًا: الموضوعات العامـــة

أشهر أودية بلاد الحجر وجبالها ٦٦٨
أضواء جديدة على دولة كندة ٨٦٤
افتخار الحرمين ٤٢٤
إمارات القصيم وقراه ٧٩٧
أيام في بلاد العم سام ٣
بنو فهد مؤرخو مكة ٩٠٨
بين الأخوة في السودان ٤٨١
تحديد الشعراء للمواقع الجغرافية ٨٩١
تقارير القناصل البريطانيين وتاريخ الجزيرة ٨٧٦
الجفاف في الجزيرة العربية ١٥٢/٢٨٢
جحدر العكلي: خبره وشعره ٧٣
الجزيرة في رحلتي ابن جبير والعبدري ٨٠٦

جهينـــــة ٤٧٤/١٣١
حرب عدنانية أم قحطانية ٤٧٦
خير الدين الزركلي ٦٢٩
الربـــذة أيضـــاً ١٦١
الشعر النبطي كمصدر لتاريخ نجد ٨٣٩
شهران والعواسج ٣٠٠
طهمان الكلابي ٧٩٦
العامية والدخيل في قلب الجزيرة ٦٤١
عروة بن أذينة ٤٧٥
العرضة النجدية ٣٦
فصول من كتاب «شمال نجد» ٩٦
في رحاب الحرمين ٧٢٨/١٦٨/٥٤/٤٠
قبيلة حرب (حرب عدنانية أم قحطانية) ٤٧٦
كلمة عن الندوة ٨٠١
مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم ٧٩١/٤٧٧/٤٦٨/٣٠٥/٢٨٢
معجم المطبوعات السعودية ٤٠٤
مكتبة العرب ٧٩٧/٦٤٠/٤٨٠/٤٧٧/٣١٧
مكة المكرمة في القرن التاسع ٥٤
من المجلة إلى قرائها ١
مواضع تاريخية في بلاد القصيم ٦٢٣
مواضع في شمال المملكة ٣٦٤
مؤلفات الجرموزي عن الدولة القاسمية ٩٤٩
مؤلفات سوك هروحيروبيه عن الجزيرة ٩٤٢
الوجود البرتغالي في عمان ٨١٧
الهجري في أنساب البلبيسي ٤٦٣

ثالثًا: الاعـــلام

إبراهيم بن محمد الطبري المكي ٦٧
إبراهيم باشا بن محمد علي ٢٢٧
أبو نمي (محمد بن أبي سعد) ٧٠
التقي بن فهد ٩٠٩
أحمد فوزي باشا ٢٤٧
أحمد فيضي باشا ٢٤٨
امرؤ القيس بن حجر ٤٤٦
بشر بن منقذ الشيني ٤٤٧
جار الله بن فهد ٩٢٧
جحـدر العكلـــي ٧٣
خورشيد باشـــا ٢٣٢
حسن بن أحمد عاكش الضمدي ٤١٧
سالم بن مبارك بن صباح ٢٥٦
سعدون بن عريعر ٢١٤
سعود بن عبدالعزيز بن سعود ٢١٨
سعود بن فيصل ٢٣٦
ضرار بن الأزور ٧٩٨
ضيدان بن حثلين ٢٥٧
طهمان بن عمرو الكلابي (الشاعر) ٧٩٦
عايض بن مرعـــي ٥٢٩
عبدالرحمن بن فيصل ٢٤١
عبدالرحمن بن محمد بن علي الطبري المكي ... ٦٦
عبدالعزيز بن رشيد ٢٤٥
عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل ٢٤٢
عبدالعزيز بن سعود ٢١٣
عبدالكريم محمد السمان ١٧٧
عبدالله بن ثنيان ٢٣٤
عبدالله بن سعود ٢٢٦
عبدالله الطيب (الدكتور) ٥٠٥
عبدالله بن فيصل ٢٣٥
عثمان الفريح (الدكتور) ٥١٤
عرب سعيد هاشم ٤٨٥
عروة بن أذينة الشاعر ٤٧٥
علي بن محمد بن علي الشرواني ١٧٦
عمر بن فهد (النجم) ٩١٤
عوض الله صالح (مفتي السودان) ٤٨٥
عون الشريف ٥١٢
عيسى بن عبدالعزيز العسليوس ٤٢٧

فهد بن هذال ٢٤٧
فيصل بن تركي ٢٣٠
محمد بن أحمد بن جبير (الرحالة) ٨٠٦
محمد خليفة النبهاني ٤٠٤
محمد بن رشيد ٢٤٣
محمد زارع عقيل ٤٠٥
محمد الزايدي ٤٠٦
محمد سرور الصبان ٤٠٦
محمد بن سعود ٢١١
محمد سعيد أحمد قربان ذو الفقار ٤٠٩
محمد سعيد باعشن ٤١٠
محمد سعيد الخنيزي ٤١٠
محمد سعيد الدفتردار ٤١١
محمد سعيد العامودي ٤١٢
محمد سعيد عبدالمقصود خوجة ٤١٤
محمد سعيد العوضي ٤١٥
محمد سعيد المسلم ٤١٨
محمد سلطان المعصومي ٤١٩
محمد بن عايض ٥٢٣
محمد بن عبدالوهاب ٢١١
محمد بن غالب الجياني ٦٩
محمد بن فهد (عز الدين) ٩٢٢
محمد الفهيد ٤٨٤
مدحة باشا ٢٣٧
مشاري بن عبدالرحمن بن مشاري بن سعود ٢٣١
يحيى بن محمد بن علي المكي ٦٧
يحيى بن مسكين بن ايوب بن مخراق ٤٢٦

رابعًا: القبائل والأسر والجماعات

الأخوان ٢٥٨
البطون ٩٩
جهينة ١٣١/٤٧٤/٦٧٤
حرب ٤٦٨/٤٧٦
شهران ٣٠٠
الصمدة ٩٩
الظفير ٩٨
العجمان ٢٥٧
العواسج ٣٠٠
كندة ٨٦٤

خامسًا: الكتب والصحف

أدب الحجاز ٤٠٨
أدب الخواص ٤٣٤
إرشاد السالك شرح «أوضح المسالك» ٤٠٤
أطياف في الماضي ٤٨٠
افتخار الحرمين ٤٢٤
الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ٤٨٠
ألمانيا والعالم العربي ٤٧٩
أوضح البرهان في تفسير أم القرآن ٤١٩
أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي ٤٨٠
«تاج العروس»: ..... ٣٠٦ /٤٥٧ /٧٠٢
تاريخ الدولة السعودية ٢٠٦
تاريخ الغوص على اللؤلؤ ٣٢٠
التحفة النبهانية شرح منظومة البيقونية ٤٠٤
التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ٤٠٥
التذكرة النبهانية في أسماء المخترعات العصرية .. ٤٠٤
التكملة والذيل والصلة ٧٩٧
الجيم ٧٩٧
الحركة الأدبية والفكرية في الكويت ٤٧٨
خلاصة الهيئة النبهانية ٤٠٤
الدارة (مجلة) ٣١٧

الدر الثمين في تاريخ أمراء عسير ٥١٧
ديـوان الأدب ٧٩٧
ذخائر المدينة المنـورة ٤١١
رحلة البلـــوي ٨٢٨
رحلـة ابن جبير ٨٠٧
رحلة العبـــدري ٨١٣
زيـــغ وحقائـــق ٤٠٩
سـاحل الذهـب الأسـود ٤١٨
سلاسل العقيان من أحاديث الشيخ محمد بن خليفة آل النبهـان ٤٠٤
شـــفق الأحـــلام ٤١٨
شـــمال الحجـــاز ٣١٧
العالم يبدأ من هنا ٣١٧
فن كرة القـدم ٤٠٦
فهرس مخطوطات جامعة الرياض ٤٧٨
قصـة الأفنـدي ٤١١
قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار ٤٠٤
الكتـاب (مجلـة) ٤٧٩
ليلـى في الظـلام ٤٠٦
مؤنس العرب تذييل سبائك الذهب في أنساب العرب ٤٠٤
المجلة العربيـــة ٤٧٧
مدينـة الريـــاض ٣١٧
المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٣٢١/٥٦١/٧٥٤
المعجم الكـبير ٧١٦
معجم المطبوعات السعودية ٤٠٤
المعـرض ٤٠٨
مقدمة عن آثار المملكة ٦٨٣
الملك الظاهر بيبرس ٧٩٧
من أمهات الكتب العربية ٣١٧/٣١٨
من تاريخـــنا ٤١٢
منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثالث والرابع قبل الميلاد ٤٧٨
النيران في التاريخ وتخطيط البلدان ٤٠٤
وحـي الصحـــراء ٤١٤
هدية الأخوان في شجرة الدخان ١١٤
الينابيـــع ٦٤٠

سـادسًا: المواضـــع

أبايـــر ٧١٩
أبـرق الخيـل ٦٢٨
أبـرق السيح ٦٢٣
أبو قبيس ٦٥
أثـــرا ٧٢٢
أم درمـــان ٤٩٠
أحامـــر ٦٢٥
ارم الكلبـــة ٦٢٤
أفيعيـــة ٦٢٧
بايـــر ٧١٩
بـــدا ١٨٢
البـدي (جهـام) ٣٥١
بـراق الخيـل ٦٢٨
البكـــاء ٦٦/٧٢
بيشـــة ٤٦٨/٤٧٤/٤٧٧
تبـــوك ٧٣٠
تثليـــث ٧٢٦
الترمـــس ٤٥٩
ثـــادق ٧٢٠
ثافـــل ٧٢٤
ثجـــر ٧١٧
ثـــروق ٧٢٢
الثريـــا ٧٢٣
الثعلبيـــة ٧١١/٧٢٤
ثقـــيب ٧٢٥
الثلبـــوت ٧٢٦

الثمامي ٣١٠
ثور ٦٥
جدة ٥٥/٤٣١/٨٠٦/٨٧٦
الجرف ١٧٩
جهام (البدي) ٣٥١
حامر ٦٢٥
حبونن ٣٠٧
الحجر ٦٦٨/٧٣٠
حراء ٦٥
الحزيز ٣١٢
الحصاة: (صاحة وعماية) ١٨٧
الحصاتان ١٨٧
حفائر الغنم ١٨٢
حوضا ٧٩١
الخرطوم ٤٩٠
دجنا ٧١٣
الدهناء ٨١٤
ذو المجاز (المجاز) ٣٠٨
رابغ ٧٣٨
الريذة ١٦١
الزاهر ٧٢
ساق وسويقة ٦٥٠
صاحة وعماية (الحصاة) ١٨٧
عجرود ١٨٥
العرائس ٧٠٧
عردة ٣٠٠
عريدة ٣٠٠
عسعس ٧٠٨
العلا ٧٣٠
عمايتان ١٨٩
غبير ٨١
غرب ٤٦٨/٤٧٧
الغرس ٧٠٩
غميز الجوع ٤٥٧
غميس الحمام ٧٠٨
غول ٨١
الفحلتان ١٨٢
الفرس ٧٠٩/٧١١
قدس ٧١١
قرن الثعالب ٧٢٣
قرن المنازل ٧٢٣
قرية الفاو ٨٦٤
القزاز ١٨٣
قساس ٧١٣
اللبينان ٨١
مأسل وميسل ٦٦٢
المجاز (ذو) ٣٠٨
المجازة ٣٠٨
مجنة ٧٢
المدينة المنورة ١٦٨/٧٣٦
مكة المكرمة ٥٧
النباج ٧١٦
نيان ٧١٩
وادي القرى ١٨١/٧٣٢
هدية ٧٣١
الهضب ٣٠٠
يثقب ٧٢٦
اليمامة ١٩٧
ينبع النخل ٨١٤

سابعاً: الشعر والشعراء

أثل بيشة ٤٧٤
جحدر العكلي: خبره وشعره ٧٣
الشعر النبطي مصدر لتاريخ نجد ٨٣٩
طهمان الكلابي الشاعر ٧٩٦
عمرو بن أُذينة ٤٧٥
في مرابع الصبا (قصيدة) ٦٣٨
لا تسألي (قصيدة) ٦٣٨

مطابع المرزوق التجارية
البريد: ص.ب ٤٨٢٤٩٨ ت ٤٨٢٤٩٨ ـ ٤٨١٥٤٨٤